شؤون فلسطينية

تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٧٢

١٤

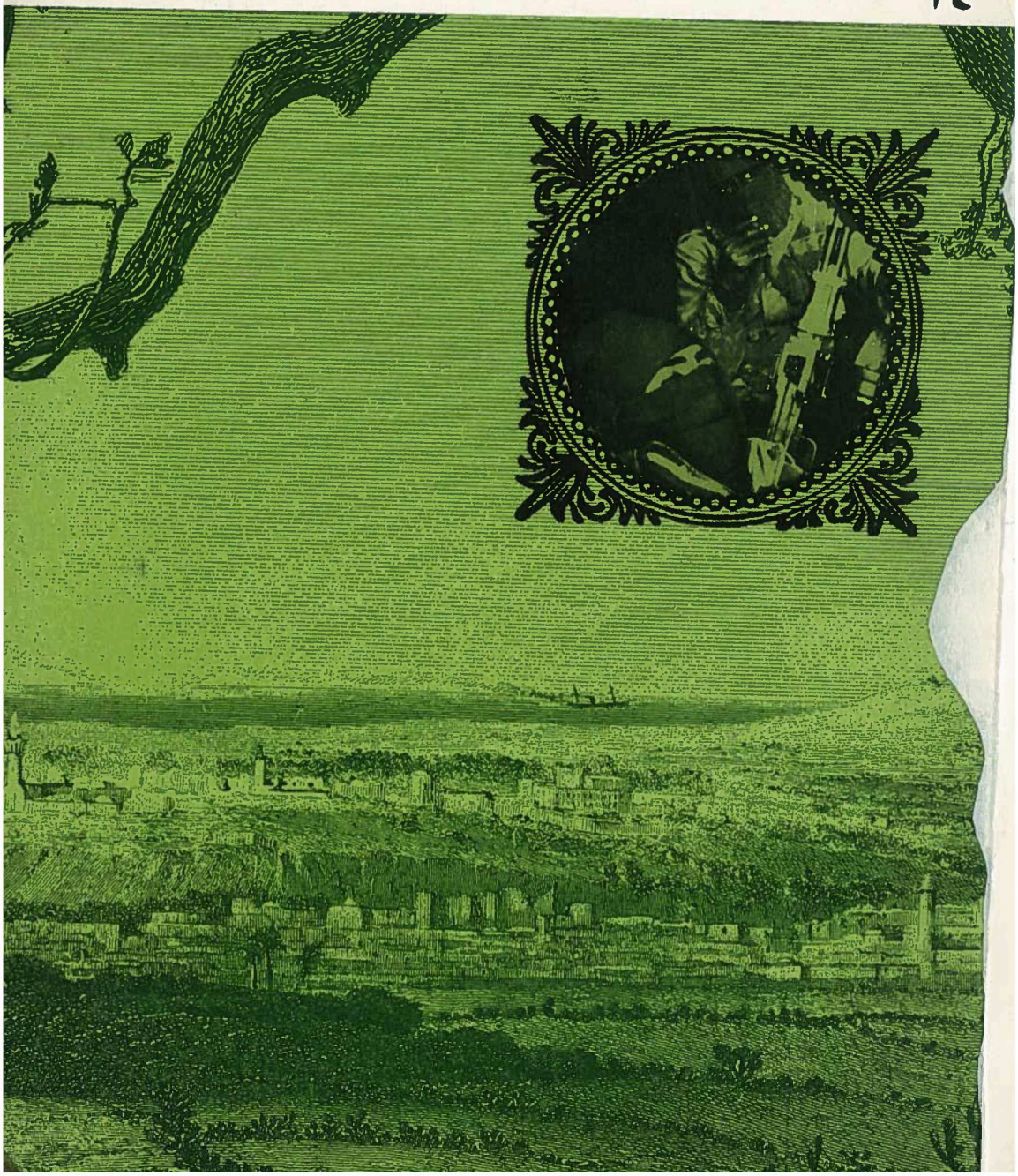

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ١٤ — تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٧٢

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **متعهد التوزيع :** جبريل ديب .

هيئة التحرير : المقدم الهيثم الايوبي ،بلال الحسن ، احمد خليفة ، الحكم دروزة ، محمود درويش ، د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، د. صادق العظم ، ناجي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد المجذوب ، عبد الحفيظ محارب ، د. حنا ميخائيل ، هاني الهندي .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص. ب ١٦٩١ ، تلفون ٣٥١٢٦٠ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد (بريد جوي) : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسية وافريقية واوروبة ، ٦ ل.ل. في الاميركتين واوسترالية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا اميركيا) في آسية وافريقية واوروبة، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا اميركيا) في الاميركتين واوسترالية . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٣ دولارا اميركيا) في سائر الدول الاجنبية .

يعطى حسم ٥٠٪ (عدا البريد) على الاشتراكات للمقاتلين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال التنظيمات او النقابات او الاتحادات .

صورة الغلاف : غزة الصامدة .

المحتويـــات

صفحة ٤ — **شؤون فلسطينية** ، الدكتور أنيس صايغ [مدير عام مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ورئيس تحرير شؤون فلسطينية] .

٥ — **ذاهب الى العالم غريب عن العالم** ، محمود درويش [الشاعر والكاتب الفلسطيني ، مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. ا.] .

٩ — **حول مستقبل المقاومة الفلسطينية** ، الدكتور هشام شرابي [استاذ التاريخ والعلاقات الدولية في جامعة جورجتاون] .

٢٦ — **يهود الولايات المتحدة والحزبان الديمقراطي والجمهوري** ، عودة ابو ردينة [الدارس في كلية القانون والدبلوماسية في جامعـــة هارفارد في الولايات المتحدة] .

٤٠ — **خطر الابادة : اسطورة في قاعدة الاستراتيجية الاسرائيلية** ، المقدم الهيثم الايوبي [المستشار العسكري في م. ا.] .

٤٩ — **« الاتحاد الوطني » والشكل الراهـــن للسلطة في الاردن** ، هاني حوراني [كاتب أردني] .

٦٩ — **سميرة عزام في ذكراها الخامسة : دراسة في فنها القصصي** ، الدكتورة نادرة جميل السراج [أستاذة الادب العربي في جامعتي عمان والكويت سابقا] .

٨٣ — **المطامع الاسرائيلية في الاراضي اللبنـــانية** ، خليل ابو رجيلـــي [باحث في الشؤون الفلسطينية] .

٩١ — **مرحلة الركود القادمة في الاقتصاد الاسرائيلي** ، كين ميركورد [باحث في الاقتصاد الاسرائيلي] .

٩٧ — **اليابان واسرائيل والعرب** ، ا. ق.

١١٣ — **التعليم في قطاع غزة** ، شحادة موسى [باحث في م. ا.] .

١٤١ — **مراجعات** : اليسار الجديد واليهود ، جوليـــانا سعد [كاتبة في الشؤون الاسرائيلية] . شجرة الصبير ، مصطفى كركوتي [كاتب عربي سوري] . من هو اليهودي ، الدكتور محمد المجذوب [استـــاذ الحقوق في الجامعة

اللبنانية] . لماذا هو غير ممكن اللقاء مع اليسار في اسرائيل ، ا. ن. سعد [باحث في م. أ.] . الطوفان واعادة التكوين ، فوزي كريم [شاعر وناقد عراقي] . تحت شجرة التوت ، رشاد الشامي [معيد بقسم الدراسات العبرية بجامعة عين شمس] .

١٥٩ **ثلاثة تقارير عن الولايات المتحدة واسرائيل** : (١) نيكسون يغدق العون لاسرائيل دون أن يجني حصادا سياسيا من اليهود الاميركيين ، أندرو غلاس [كاتب أميركي] . (٢) دور اليهود الاميركيين في تمويل اسرائيل وتوجيه دفة السياسة الاميركية ، ستيفن كليدمان [كاتب أميركي]. (٣) ملاحظات على العلاقات الاميركية الاسرائيلية ، خالد القشطيني [باحث عربي ومراسل شؤون فلسطينية في لندن] .

٢٠٥ **تقرير خاص : خطة التنمية الثلاثية في الاردن ٧٣ ــ ١٩٧٥** .

٢١١ **ثلاثة آراء حول مؤتمر الكتاب والصحافيين الفلسطينيين** : (١) بلال الحسن [رئيس قسم الشعب الفلسطيني في م. أ.] . (٢) شفيق الحوت [مدير مكتب م. ت. ف. في لبنان وأمين في اتحاد الصحفيين العرب] . (٣) ناجي علوش [الكاتب الفلسطيني] .

٢٢١ **رد على مقال « مؤتمر بولونيا للسلام والعدل في الشرق الاوسط »** ، خالد محي الدين [سكرتير عام المجلس المصري للسلام] .

٢٢٨ **تقييم استراتيجي اولي لمعارك ١٦ و١٧ ايلول** ، هـ. ا.

٢٣٤ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، ب. ح. (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ن. ع. (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، الدكتور صادق جلال العظم [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] . (٤) المناطق المحتلة ، عبد الحفيظ محارب [باحث في م. أ.] . (٥) جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية ، وآخر بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٨/١٣ ــ ١٩٧٢/٩/١٢ ، غازي خورشيد [باحث في م. أ.] . مع ملحق عن المانيا واسرائيل والعرب ، ف. المنصور [باحث في م. أ.] .

٢٦٤ **اسرائيليات** : م. د.

شؤون فلسطينية

الدكتور أنيس صايغ

مر الكاتب الفلسطيني ، في الاسابيع الماضية ، في امتحان عسير . ومرت معه « شؤون فلسطينية » في امتحان عسير ايضا . فمن الجهة الواحدة ، وبحكم كون « شؤون فلسطينية » منبر الكاتب الفلسطيني ومجاله الاول للتعبير والمناقشة ، لم يكن من المعقول الا أن تهتم المجلة بالقضايا التي أثارت اهتمام الكتاب والصحافيين الفلسطينيين في اجتماعاتهم الاخيرة في بيروت . وزاد في ضرورة اطلالة المجلة على هذه القضايا ان عددا من أسرة تحريرها اشتركوا اشتراكا فعليا في تلك الاجتماعات ، ان في الاعداد لها ، او في تقديم البحوث ، او في الترشح (وبعضهم في النجاح) لانتخابات الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين التي انبثقت عن تلك الاجتماعات . ولكن مقابل هذا كله اثار بعض الاصوات في أسرة التحرير تساؤلا وجيها : هل يصح لشؤون فلسطينية ، وهي احدى الادوات التي يستعملها الكتاب الفلسطينيون لتوحيد الصفوف ولتنقية الجو الفلسطيني ليصبح أوفر قدرة على مواجهة العدو ، أن تفتح صفحاتها لنقاش في الموضوع قد يغذي الخصومات ويلهب المشاعر الحساسة ؟ وكانت حجة رئاسة التحرير ، في الاصرار على تناول الموضوع ، هي ان مبرر وجود « شؤون فلسطينية » هو في الاساس ومنذ البدء ان تكون منبرا حرا للنقاش في القضايا المطروحة على صعيد البحث في وطننا العربي مما له علاقة بالقضية وبالشعب الفلسطينيين .

واذا كانت « شؤون فلسطينية » تحرص دائما على أن تغطي المؤتمرات والندوات التي تعقدها التجمعات المهنية الفلسطينية ، من طلاب ونساء وعمال ومعلمين ، حتى تلك الاجتماعات والندوات العادية ، فمن غير المعقول أن تغفل المجلة عن شؤون تجمع الكتاب والصحافيين . وعلى الاقل من ناحية وثائقية لا يجوز لشؤون فلسطينية ان تصدر في أكتوبر ولا تتطرق الى مسائل اهتم لها الكتاب الفلسطينيون (بل المجتمع الفلسطيني كله) في سبتمبر . والكتابة في موضوع كهذا ليست هي ، بحد ذاتها ، مدعاة لتأجيج الحساسيات واثارة المشاعر . المهم هو نوع الكتابة والغاية منها . وغاية « شؤون فلسطينية » حينما تتكلم ، في مراجعاتها للكتب او في تغطياتها للمؤتمرات او في مقابلاتها مع قادة المقاومة ، هو أن تتيح للافكار الفلسطينية ان تنشر في جو من الحرية ومن الهدوء ومن النقاش العلمي مما يسهم في سد الطريق على الانفعالات وعلى التشنجات وعلى المهاترات . والمهم في معالجة المجلة لموضوع كهذا الا تنحاز بشكل انفعالي أو عاطفي أو مغرض الى جانب فريق فلسطيني ضد فريق آخر ، ما دام الفريقان ينتميان الى ثورتنا التي نؤمن بها ونعمل لها . ولهذا لم نعهد بمعالجة مشكلة الكتاب والصحافيين الفلسطينيين الى كاتب واحد يمثل وجهة نظر واحدة ، بل طلبنا الى ثلاثة من اخواننا وزملائنا (اثنان منهم من أسرة التحرير والثالث من كتاب المجلة) ، ممن رافقوا القضية المطروحة للنقاش مرافقة حميمة ، وممن مثلوا ويمثلون ثلاث وجهات نظر مختلفة عن بعضها بعضا ، طلبنا منهم أن يتناولوا الموضوع كل من زاويته . وذلك ليخرج القارىء بمحصلة صورة واضحة ومتكاملة عن هذا الموضوع وليتخذ ، في آخر الامر ، الحكم أو القرار الذي يصل اليه بقناعته هو . وان رئاسة التحرير تعتقد انها ، بهذا الاسلوب ، تحقق غرض المجلة لا في توثيق الاحداث وتحليلها فحسب بل ايضا في تقريب وجهات النظر وفي تعبئة الجهود من أجل الوحدة الوطنية ، هذه الوحدة المنشودة في كل المجالات وعلى كل الاصعدة ، لتنطلق الثورة بالمزيد من الاندفاع والقدرة والحرارة والايمان . ومما يزيد في قناعتنا بهذا الاسلوب ان الكتاب والصحافيين المجتمعين في بيروت تحت شعار « بالدم نكتب لفلسطين » (وهو اقدس شعار يرفعه كاتب او صحافي) انما هم انفسهم يحترفون مهنة النقد كسبيل لتوجيه الشعب نحو الافضل ، ومن غير المعقول ان يرفضوا نقد انفسهم او أن يتجاهلوا المشاكل التي تعترض سبلهم .

ذاهب الى العالم
غريب عن العالم

محمود درويش

● في ساعة متأخرة من الليل ، يذهب العالم الى غرفة النوم .

لقد كان يومه حافلا . وكان الصفاء يغمر الارض : ما زالت أدوات الحضارة الغربية تصارع الارادة البشرية في آسيا . التراب الاسيوي يموت والانسان الاسيوي يموت . ومياه الانهار تجرف من فاتهم أن يلتقوا بأدوات الحضارة . وقريبا من البحر الابيض ، ما زالت الاحذية العسكرية ، الغربية الصنع ، تدوس الحضارة القديمة والانسان الجديد . وفي نشرات الاخبار العادية ، العادية جدا ، يباد حقل من الاطفال ، لانهم عرب ولانهم قادرون على النمو .

وفي ساعة متأخرة من النهار ، ينهض العالم من غرفة النوم الى غرفة العمليات . لقد كانت ليلته صافية ، واحلامه متواصلة السعادة .

هكذا ينام العالم . .

هكذا يستيقظ العالم . .

وهكذا ينساني .

لا يذكرني الا في حالتين : حين أجرب الموت ، وحين أجرب الحياة . ولقد مت لمدة ربع قرن وشبعت موتا .

واليوم ، اليوم لم يذهب العالم الى غرفة النوم . وقف على حافة الكرة الارضية ، وأمرني بالخروج من دائرة الانسانية ، لانني حاولت أن أخترق الدائرة ، حاولت الدخول .

ـ ماذا يعنيك من تاريخي أيها العالم . . ماذا يعنيك ؟

ـ التاريخ هو الماضي ، وانا أدرسه في المعاهد .

ـ واين رأيتني أول مرة ؟

ـ كنت أراك دائما على تراب فلسطين حتى خرجت ، وعاد الصفاء والسلام الى الارض . فلماذا تعود الان ؟ لماذا تكسر الصفاء ؟

هكذا يفهمني العالم ، وهكذا يريدني . لقد انتهى صراعنا ما دمت قد خرجت من فلسطين ، وما عاد للنار حارس . واكتملت معادلة سلام العالم ، وصار الامن الدولي مشروطا بغيابي عن فلسطين وعن الانسانية .

لم أودع أحدا ، ولم أودع شيئا . دحرجني كعب بندقية من الكرمل الى الميناء ، وكنت

انشغلت بخاصرة الله واصرخ ، حتى ضاع صوتي ووعيي . ولكن العالم وعدني بصدقة مقابل التوقيع على هدنة مع النفس ، لان الهدنة مع القاتل لا تتم الا بعد الهدنة مع النفس . ولقد تصدق العالم علي : اعطاني طحينا وثيابا وخياما كثيرة لي ولاطفالي الذين لم يولدوا مقابل ان اعطيه الوطن والامن . وحين كنت اشعر بالبرد في المنافي ، كانت صحف الراي العام العالمي تقيني من الامطار والارتجاف . وحين كنت اشعر بالجوع ، كانت فقرة من ثلاثة سطور في خطاب رئيس دولة متحضرة تشبعني . وحين كنت اشعر بالحنين ، كانت الاغاني الاجنبية ، المنبثقة من راديو الجيران ، تجعل الرحيل تجربة جميلة .

وهكذا يذهب العالم الى غرفة النوم .. وينساني .

● لا توقظوا الضحية ، لئلا تصرخ .

ـ من ايقظها .. من المسؤول ؟

ـ ريح تهب فجأة ، فتنعش الموتى .

ـ من اين تهب ؟

ـ من كل الجهات .. من الوطن .

ـ ومن علمهم هذه اللفظة المهجورة ؟

ـ شعراء يغنون على ربابة .

ـ اقتلوهم .

ـ قتلناهم ، فابتكروا لفظة اخرى ـ الحرية .

ـ من علمهم هذه اللفظة العاصية ؟

ـ ثوار حماسيون .

ـ اقتلوهم .

ـ قتلناهم ، فتعلموا كلمة اخرى ـ العدالة .

ـ من علمهم هذه اللفظة ؟

ـ الظلم .. هل نقتل الظلم ؟

ـ اذا قضيتم على الظلم ، قضيتم على انفسكم .

ـ ما العمل ؟

ـ نقتل الذاكرة .

وهكذا ينام العالم . وهكذا يصحو . هو مدجج بالسلاح ، وانا مدجج بالقيود . القوي متحضر ، والضعيف بربري . وليس التاريخ قاضيا . التاريخ موظف . ماذا كان الهنود الحمر سيقولون لو هزموا غزاتهم . والذين يتباهون بالحضارة والتمدن هم غالبا ما يكونون القتلة .. القتلة . انظروا هذا الثلاثي : الاول ـ اباد شعبا في الماضي ، ويبيد اليوم شعبا وتربة في جنوب شرق آسيا ، ويفجر علامة تحضره الكبرى ـ القنبلة الذرية ـ في شوارع العالم .. يطالبني بالخروج من حلبة الانسانية ومن الكرة الارضية لانني ارهابي . والثاني ـ ليس من الحكمة ان نذكره بماضيه . لقد احرق عشرات الملايين من البشر باسم الحضارة والتمدن ، والان يتعانق القاتل والضحية وينجبان وليدا جديدا هو الثالث ـ فماذا ينتج عن زواج الارهاب الا الارهاب ! وجاء الثالث المدجج بالتوراة

والسلاح ، واتقلصني من حيالي وسهولي وتخرجني من الحضارة الى الخنيص . هذا الثلاثي يطالبني بالخروج من الكرة الارضية لانني ارهابي .

وماذا كان العالم يفعل ؟

في ساعة متأخرة من الليل ، يذهب الى غرفة النوم وينام .

القتل دائما جريمة . فلماذا يتحول القتل الى دعامة من دعائم الهيكل الحضاري اذا مارسه الاقوياء ؟. وهل نشأت اسرائيل على وسيلة أخرى غير القتل والارهاب . هكذا العالم دائما ـ شديد الاعجاب بالقتل الجماعي ، وشديد التنديد بالقتل الفردي . من حق الدول أن تقتل شعوبها والشعوب الاخرى ، وليس من حق فرد او شعب ان يقاتل من أجل حريته .

ومن هو هذا الرأي العام العالمي ؟

نحن نستخدم هذا المصطلح مجازا ، فنطلب العدالة من القتلة اذا كان معنى المصطلح هو تلك الاجهزة الاعلامية التي يديرها افراد متشابكون في المصالح والعقائد . فلماذا نعطيه مثل هذه القداسة ؟ ان الرأي العام الحقيقي ـ الضمير الانساني ـ لا نراه ولا نسمع صوته ، لان مؤسسة « الرأي العام العالمي » الغربية الرسمية قد خنقته وزيفته . واذا كان سلوكنا خاضعا لمتطلبات كسب « الرأي العام العالمي » المعبر عنه بالاجهزة الاعلامية الرسمية ، فقد آن لنا ان نكتشف أننا نستمرىء عبوديتنا وضياعنا ونبحث لها عن أسباب البقاء ، طالما ان هذا « الرأي العام » ملك أفراد هم أعداؤنا . فهل يصلح هؤلاء لان يكونوا قضاة ! حين نتحاشى الانتحار يقولون اننا جبناء . وحين ننتحر يقولون برابرة . حين ندعو الى السلام يقولون اننا كذبة مراؤون . وحين ندعو الى المعركة يقولون اننا متوحشون . وهل نحن قتلة ؟. من قتل من ؟ هل سألوا هذا السؤال .

ليس صحيحا ان العالم قد فقد ذاكرته . وليس صحيحا ايضا اننا قادرون على اعادة الذاكرة الى العالم عن طريق ارضائه . العالم يرتاح . العالم يريد ان يلعب ويريد ان يشرب .

ـ لماذا توقظ العالم من النوم ؟

ـ هذا ليس صوتي . هذا صوت ارتطام جثتي على الارض .

ـ ولماذا لا تموت بهدوء ؟

ـ لان الموت الهادىء حياة ذليلة .

ـ والموت الصارخ ؟

ـ قضية .

ـ هل جئت تعلن حضورك ؟

ـ بل جئت أعلن غيابي .

ـ ولماذا تقتل ؟

ـ لا أقتل الا القتل . لا أقتل الا الجريمة .

ـ اذهب الى الجحيم .

ـ انا قادم من الجحيم .

للمرة الاولى ، سأل العالم نفسه : من أخبره انه قنبلة ؟

— من كثرة ما ضربوه بالرصاص ، تراكمت الشظايا على الشظايا ، فولدت طاقة ، وصار قابلا للانفجار .

— اخرجوه من دائرة العالم .

— لقد اخرجناه . . وعاد .

— انصبوا له كمينا على حافة الارض ، وادفعوه الى الفراغ .

— لا يمكن الاقتراب منه ، لانه مدجج بربع قرن من المأساة والغضب والانفجار .

— ارهابي ؟

— نعم . ارهابي ويائس .

ماذا يفعلون باليأس . اليأس صنو الموت . لا اريد من العالم شيئا الا ان يرفع سكينه عن عنقي . لقد كنت رهينة . أنا الرهينة منذ خمس وعشرين سنة في أيديكم ، واطلق اليأس سراحي . من يعيدني الى الامل غير اعلان يأسي ! ومن يحررني من الاسر غير قدرتي على الانتحار ! . ليذهب العالم الى غرفة النوم . أنا صمام أمان العالم — هذا هو الدور الذي حددتموه انتم لي . وليس بوسعكم ان تحددوا لي شكل اعتراضي على موتي المجاني . ليس بوسعكم ان تحددوا لي طريقة تخلصي من المجزرة المزمنة . ليس لي الا أن أموت . فلأمت كما أشاء . لا أرضى بهذا الدور لا أرضى — فليست عبوديتي معادلة للامن . سموني ما شئتم . جاء دوري الان لاسمي نفسي ما أشاء ، وافعل ما أشاء . أقف في قلب العالم . أنتزع ذراعي . ألوح بها في الهواء . أحولها الى كرة والعب معكم . . اقذفها في شبكات عيونكم يا قضاة الحضارة . ليس من أجل الوطن . ليس من أجل الشعب . وليس من اجل الانتقام . هكذا ، يطيب لي — كحيوان آسيوي — ان استخدم جسدي ، ان امرنه على الحركة بعد شلل دام ربع قرن . . أن اقطعه أربا اربا وأسليكم . هذه هي حريتي الوحيدة ، فلماذا تعترضون على انتحاري يا خبراء القتل الجماعي . ويا من تحولون الاطفال الى فحم ! أنتم تقتلون . . اذن أنتم تعيشون . وانا انتحر . . اذن انا أعيش . لن أسمح لاحد ، بعد الان ، أن يقتلني سواي . هل تعرفونني ؟ لقد نجوت من قنابلكم . هل تعرفونني ؟ . ان حليب وكالة الغوث لا يخلق دما في الشرايين . انه يخلق ديناميت . هذا غذاؤكم يعود اليكم . شكرا لكم . وحين رمتني أمي في شوارعكم طردتموني وقلتم : عد الى أمك ، وحين عدت الى أمي القيتم علي القبض وعذبتموني وقلتم : ارهابي . ومنذ تلك اللحظة ، وأنا ابحث عن أمي . وهل تعرفون أين وجدتها ؟ كان جسمي يمطر دما . وحين افقت من الغيبوبة وجدت نفسي في بركة دم . حدقت فرأيت ملامح سميتها وجه أمي . كان ذلك دمي ولم يكن دمكم يا قضاة العالم .

من حولني الى لاجيء ، حولني الى قنبلة . اعرف اني سأموت ، واعرف اني اخوض معركة خاسرة اليوم لانها معركة المستقبل . واعرف أن فلسطين — على الخارطة — بعيدة عني . واعرف انكم نسيتم اسمها وتستخدمون ترجمتها الجديدة . أعرف هذا كله . ولهذا أحملها الى شوارعكم ، وبيوتكم ، وغرف نومكم . ليست فلسطين أرضا — أيها السادة القضاة — . لقد صارت فلسطين اجسادا تتحرك . . تتنقل في شوارع العالم ، وتغني اغنية الموت ، لان المسيح الجديد ترجل عن الصليب . امتشق عصا ، وخرج من فلسطين .

حول مستقبل المقاومة الفلسطينية

الدكتور هشام شرابي

مقدمة لكتاب سيصدر قريبا بالانكليزية عن مركز الابحاث تحت عنوان « فلسطين تعيش » ويضم مقابلات مع زعماء خمس من منظمات المقاومة الفلسطينية سبق ونشرتها « شؤون فلسطينية » .

ان هذه المقابلات التي أجريت مع زعماء خمس من منظمات المقاومة الفلسطينية ــ فتح ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، والجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ، والصاعقة ، وجبهة التحرير العربية ــ تشكل وثيقة سياسية وتاريخية فريدة من نوعها ، اذ ربما كانت هذه هي المرة الاولى التي يضم فيها كتاب واحد تصريحات عن مواقف منظمات المقاومة وآرائها والتي هيمنت على المسرح السياسي والايديولوجي في العالم العربي منذ العام ١٩٦٧ .

وربما صح القول انه لم يسبق ان صدر أي تصريح عن أي من زعماء المقاومة الذين أجريت معهم هذه المقابلات فيه مثل هذه الصراحة والشمول . والحقيقة ان ما يسبغ على هذه المقابلات فرادتها هو بالضبط الانفتاح الذي ميز استجابة أولئك الزعماء الى الاسئلة السابرة التي طرحت عليهم . ويحتمل أن تكون هذه هي المرة الاولى التي يمارس فيها الزعماء علنا النقد الذاتي محللين أخطاءهم السابقة وخطط المستقبل .

واذا ما اخذنا كل مقابلة على حدة نجد انها تمثل وجهة نظر معينة وايديولوجية مختلفة ولكن تلك المقابلات مجتمعة تؤلف كلا واحدا وتعبر عن موقف واحد مستمد من تجربة مشتركة وهدف مشترك ــ تجربة شعب يحمل السلاح ويضع التحرير هدفا أخيرا لكفاحه . وجدير بالملاحظة ان أيا من الزعماء لا يتحدث عما يسمى « بالتسوية السياسية » ، وان الجميع يتحدثون عن مبدأ **التحرير** . ومن الاهمية بمكان أن نشير الى أن الفلسطينيين المناضلين (مهما كان موقفهم الايديولوجي) يرون ان الحل النهائي للمسألة الفلسطينية لا يمكن أن يكون على حساب حقوق الفلسطينيين بل على اساس العدل فقط ، اي على اساس الاستعادة الكاملة لحقوق الفلسطينيين الانسانية والسياسية **في وطنهم هم** .

وكما سيتضح من خلال قراءة هذه المقابلات فانه ليس ثمة وهم حول كيف ومتى يمكن تحقيق هذا الهدف . فمن جهة ينظر الى اسرائيل كما هي ، قوة تدعمها اميركه ولكنها تعتمد في الوقت ذاته على نفسها وتتمتع بقدرة تدميرية مستقلة هائلة ، كما تشكل الحركة الصهيونية بالنسبة لها حصنا عالميا نجح في السيطرة على ارادة وثروة اليهودية العالمية . ومن جهة أخرى ، ينظر الى الدول العربية كما هي ، دول متخلفة ومجزأة وعاجزة عن تعبئة الحد الادنى من مواردها لمواجهة التهديد الذي يواجهها وغير قادرة على التعاون فيما بينها من اجل ان تصبح القوة التي بمقدورها أن تصبحها . اما الفلسطينيون من جهتهم فيجدون انفسهم ممزقين بالخلافات والنزاعات الداخلية ، ويعانون من نقاط

الضعف والعجز نفسها المسؤولة عن الضعف العربي الاكبر . ان هذه المقابلات تلقي الضوء بوضوح على العوامل التي ساهمت في الوصول الى هذا الوضع ، كما تحدد الشروط الضرورية للتغلب عليه . ومن هذه الناحية تشكل هذه المقابلات علامة بارزة على طريق تطور الوعي الفلسطيني الذي يشكل بدوره نقطة مهمة في تطور الوعي الثوري في العالم العربي ككل .

كان على هذه المقدمة ان تستتبع تحليلا تاريخيا لحركة المقاومة وربما مناقشة لتطورها الايديولوجي والسياسي . الا اني رأيت ان المدخل المنهجي وحده لا يكفي لفهم نمو حركة التحرير الفلسطينية وتطورها ومستقبلها اذ ان مثل هذا الفهم لا يتطلب معرفة المبادىء والاهداف التي تقول بها الحركة فحسب بل أيضا معرفة المنطلقات التي تنبع منها . ونادرا ما سنحت الفرصة للفلسطينيين للتعبير عن سبب رفضهم حل التسوية السياسية واصرارهم على التحرير كمبدأ وهدف نهائيين . انني سأحاول في الصفحات التالية ان احدد الاطار الذي يمكن من خلاله فهم هذا الموقف مركزا على ما يعنيه الفلسطينيون عندما يقولون اننا لا نستطيع القبول عن التحرير بديلا .

ملاحظات شخصية

أولا وقبل كل شيء ، ان بعض التعليقات المبنية على اساس تجربتي الشخصية قد توضح بعض النقاط حول تطور خلفية المقاومة الفلسطينية .

عكست تحليلات المقاومة باستمرار ، في السنوات التي تلت حرب العام ١٩٦٧ مباشرة ، ذلك الشعور بالقوة والنشاط والعافية الذي ساد تلك الفترة بدل ان تعكس حقيقة الوضع . ولقد أوضحت كتاباتي وكتابات آخرين غيري الفرضيات والمفاهيم الخاطئة التي شجع ظهورها بروز الحركة السريع . ولقد لاحظت في دراسة عن حركة المقاومة الفلسطينية وضعتها في العام ١٩٦٩* تطورات كانت تتشكل بصورة مفاجئة وعنيفة في الوقت الذي كانت تسير فيه الثورة باسلوب الثورتين الكوبية والجزائرية . الا انني لم استطع أن أرى مستقبلا المأزق والركود الذي تلاه نتيجة لهجمة الملك حسين على الفلسطينيين في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ . وكذلك لم استطع ان اقيم تقييما صحيحا عوامل الانشقاق داخل الحركة ، فقد كان تصوري الدائم هو ان الوحدة آتية بشكل طبيعي وحتمي . وقبلت الكثير من الشعارات المتداولة دون تساؤل او تفحص . اذ لم تكن تراودني شكوك حول صحة المواقف الثورية . وعندما انظر الان الى الوراء اجد ان ذلك لم يكن نتيجة للتفكير المزاجي فحسب ، وانما ايضا نتيجة لنقاط ضعف معينة تضمنها تحليلي . وكنت قد بدأت بعد هزيمة العام ١٩٦٧ ، مثل كثيرين غيري ، اقرأ ماركس بجدية فامتلأ رأسي بالنظريات التي لم اتمثلها تماما .

ان ابناء جيلي الذين وجدوا انفسهم ، مثلما وجدت نفسي ، في اعمال مهنية (تقتضي ثقافة او علما) كانوا قد اعتادوا نكبة العام ١٩٦٧ على كبت مشاعرهم والانصراف الى مشاغلهم . وكان شعور هذه الطبقة المثقفة بعدم جدوى رفع الصوت ناتجا بالاكثر عن تخوفنا من الضرر الذي قد يلحق اعمالنا ومصادر رزقنا كفلسطينيين يعيشون خارج بلادهم . فعشنا ليومنا سواء في البلدان العربية أم خارجها . ولكننا حققنا نجاحا على وجه العموم ، وبدا ان النجاح الشخصي يسهل علينا نوعا ما تحمل النكبة الوطنية . ولكن لم يتمتع الفقراء والفاشلون منا ، وخاصة سكان المخيمات ، بالتعويضات النفسية ذاتها ، وكانت فلسطين بالنسبة لهم عذابا يوميا . كانوا يفكرون في شيء واحد فقط : في **العودة** .

---

* الفدائيون الفلسطينيون : فاعليتهم وصدقهم (مركز الدراسات الستراتيجية والدولية ، واشنطن العاصمة ، ١٩٧٠) . الترجمة العربية : مؤسسة الدراسات الفلسطينية (١٩٧٠) .

الا أن ١٩٦٧ حطمتنا نحن أنفسنا ووضعنا في ضوء جديد. ففي ذلك العام أصبح أكثر من نصف شعبنا يعيش تحت الحكم الاسرائيلي ، وصار الفلسطينيون « يهود اليهود » * ولكننا على عكس اليهود لم نثر في نفس العالم العربي شيئا من الشفقة او الرحمة . ان يعود اليهود الى « وطنهم » فذلك مشهد مثير يدعو الى الاعجاب والدعم . بينما ان نفقد نحن وطننا فذلك امر لا اهمية تذكر له . وفجأة رأينا مكانتنا في أعين العالم « المتمدن » : اننا نوع ادنى من الانسانية يعيش خارج التاريخ ، اننا الهنود الحمر الجـدد والزنوج لاسرائيل .

وكانت الحالة الاسوأ هي حالة فقرائنا ــ عمالنا وفلاحينا . اما الطبقة العليا ــ ملاكو الاراضي وكبار التجار والفئات المتوسطة والمتوسطة الدنيا ــ فقد تدبرت امورها بشكل او اخر . في ظل الحكم الاسرائيلي تواطأت هذه الطبقة مع الحكام اليهود وخلـدت الى السكينة . أما في البلدان المحيطة بفلسطين فقد كانت هـذه الطبقة من الفلسطينيين قد دبرت امورها المعيشية واندمجت في حياة بيئتها الجديدة . أما الشعور بفقدان الوطن فقد عبر عن نفسه عند هذه الطبقة في صورتين : صورة « مادية » تنعكس في روايات عن الغنى والاملاك التي خلفوها وراءهـم ، وصورة « عاطفية » تنعكس في وطنية بلاغية مجردة عن الالتزام أو العمل السياسي الجاد .

ان الاوضاع الجديدة التي عاش في ظلها الفلسطينيون غيرت القليل من العلاقات الطبقية القديمة . لقد كانت البرجوازية والبرجوازية الصغـيرة بالنسبة للفلاحين والعمال غير المهرة الذين اقتلعوا من وطنهم تمثل طبقات مالكة ومستغلة . ولم يتغير شيء في هـذه العلاقة لا في ظل الاحتلال الاسرائيلي ولا في البلـدان المحيطـة باسرائيل . واعتبرت الطبقات العليا الظروف الرهيبة التي عاشتها الجماهير الان ، « طبيعية » مثلما كـانت الظروف السابقة . ان عيش الجماهير الفلسطينية على الحسنات الدولية واستغلالها كيد عاملة رخيصة بواسطة مغتصبي أرضها لم تكن الا امتدادا فقط للاستغلال والبؤس السابقين على يد الطبقات البرجوازية والاقطاعية الوطنية . وبمعنى معـين تطابق افق رؤيا الطبقات الفلسطينية المسيطرة وأفق رؤيا المحتل الاسرائيلي . لقـد استغل الجانبان الجماهير الفلسطينية وعانت هذه الجماهير من استغلال الجانبين عـلى حد سواء .

وكشفت هزيمة العام ١٩٦٧ ايضا افلاس النظام الاجتماعي والسياسي القائم ، وحطمت سيطرة الايديولوجية القديمة مفسحة المجال بذلـك لبروز منظور راديكالي جديد . فقد اخذ الفلسطينيون المنضوون تحت لواء حزب البعث وحركـة القوميين العرب والحزب السوري القومي الاجتماعي والحزب الشيوعي والاخوان المسلمين ينظرون الى الامور بطريقة مختلفة . واخذت الشعارات القديمة التي ترعرعت في ظل معاناة اجيال ثلاثة من البورجوازية العربية وطموحاتها تفقد معناهـا . وخضع المجتمع الان ككـل ، بقيمه ومؤسساته وتنظيمه السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، لنقد سريع وغاضب .

ومع انهيار تبريرات الهزيمة اصبح القول بالحاجة الى تحول جذري في المجتمع العربي يتخذ معنى عينيا معينا . وهذا الادراك مثل بداية أول تغير خطير في وعي هذا الجيل . ولكن نضوج الادراك الراديكالي يتطلب تجاوز مجـرد اطلاق التعميمات . الا ان هذا الوعي الجديد افتقر الى الاسس النظرية الضرورية للتحليل الشامل ، كما افتقر ايضا الى القدرة على الخروج ببرنامج وستراتيجية واضحة تنتظم حولهما القوى الاجتماعية الجديدة . وهنا ظهر التشوش الموضوعي في البيئة الاجتماعية في شكل الوعي ذاته .

ان السعي منـذ العام ١٩٦٧ وراء مفهوم ثوري ادى الى ظهـور أدب ثوري واسع

* على حد تعبير راشد حسين في احدى قصائده .

ـ ترجمات الكتابات الثورية الرئيسية كافة من ماركس الى ماركوزه بالاضافة الى التعليقات والتأريخات والتحليلات الثورية . الا ان الممارسة في التجربة الفلسطينية سارت سيرا مستقلا عن النظرية المنظومة وتلكات وراء الممارسة . وفي حين لم يكن من الممكن التمييز بين النظرية ومجرد الكلام اتخذت الممارسة صورة العمل العفوي غير المنظم .

ان حمل البندقية اعطى بالتأكيد دروسا لم تكن أي نظرية بمفردها قادرة على اعطائها . ولم تظهر الايام الاولى للمقاومة ما تستطيع الارادة ان تولده فقط بل اكدت ايضا ان العمل الثوري هو الطريق الوحيد الى التحول الذاتي . واصبح واضحا ان لا شيء يستطيع تحرير المجتمع من قيوده غير القوة الكامنة في جماهير هذا المجتمع المقهورة والمستغلة . وهكذا رأينا الانسان العربي الجديد يبرز على صورة الفدائي الفلسطيني ، وتصورنا الثورة العربية تولد من تصاعد حركة المقاومة الفلسطينية .

وكانت الآثار المباشرة لهزيمة ١٩٦٧ هي تلك الفترة البطولية التي برزت فيها المقاومة الفلسطينية ، ونفثت شجاعة رجالها وتصميمهم حياة جديدة في نفوس الفلسطينيين والجماهير العربية كافة . وقبل ذلك لم يشعر الفلسطينيون في تاريخهم بالارتباط الشديد فيما بينهم . لقد عبر الفدائيون النهر للمرة الاولى خلال عشرين عاما واستطاعوا ان يضربوا العدو ضربات موجعة .

وفي اللحظة ذاتها التي بدا فيها ان المقاومة اوشكت ان تدخل مرحلتها الحاسمة سيطرت عليها تناقضات داخلية وخارجية شلت فاعليتها . وأمام عجز حركة المقاومة عن الاتحاد والاتفاق حول برنامج مشترك واستراتيجية مشتركة اصبحت الحركة عرضة لضربات قوى الثورة المضادة . وهكذا بدات الضربات الاليمة المتتالية تتساقط عليها من قبل انظمة الحكم « الصديقة » والمعادية في صورة مستترة تارة وفي صورة علنية طورا الى ان جاء الهجوم الساحق في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ . واخذ الاصدقاء والمؤيدون ينصرفون عن الحركة ، وبذلك انتهت فترة الشعور بالقوة والنشاط والعافية . وفجأة وجد الفلسطينيون انفسهم في عزلة وفي غربة عن مضيفيهم العرب يواجهون العدو وحيدين .

وعند عودتي في اوائل العام ١٩٧١ الى عمان في زيارتي الاولى لها بعد ايلول (سبتمبر) الماضي لاحظت ان مشاهد الازدحام الحية التي كانت تتميز بها عمان قبل برهة قصيرة قد غابت . وعادت عمان ثانية البلدة التي عرفت في العام ١٩٤٩ عشية الهزيمة الاولى : بلا وجه ، ومهجورة ، ومقهورة . ان تواجد جنود البادية في كل مكان — في المطار وفي المباني الحكومية وعلى كل مفترق طرق — كان يعزز جوا بربريا يخيم على كل شيء .

لقد كان الجو جافا وباردا عندما حطت الطائرة التي اقلتنا الى مطار عمان حيث حضرنا لمناقشة زعماء مختلف المنظمات حول مخططات الوحدة التي وضعها مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية كي تطرح في الاجتماع المقبل للمجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة . وجرى لنا استقبال حار في المكاتب التي اصبحت الان هادئة وشبه مهجورة . وكان الناس أشد رغبة في التحدث من الاستماع . وكان لدى كل جماعة وكل مسؤول صورة خاصة لما حدث وللخطأ الذي وقع وصورة لعلاج الوضع . ولم تعد هناك تلك الحماسة والثقة الفخورة بالنفس التي تركت في نفسي اثرا عميقا في زيارتي الاولى لمنظمات المقاومة في العام ١٩٦٩ . لقد اخذ الانهاك نصيبه وذهب الزهو وظهر في الجو ذلك الشعور بالضياع الذي ساد الساحة الفلسطينية قبل العام ١٩٦٧ . وبدا الناس في المخيمات والمكاتب قلقين ومرتابين : يلومون ويغتابون بعضهم بعضا ويتبادلون التهم ، انها عادات المهزومين والمنكوبين . انني لم اسمع من قبل بمثل هذا العدد الكبير من الاشخاص الذين يتهمون بجرائم رهيبة مثل الجاسوسية والتواطؤ مع

العدو والتعامل مع نظام الحكم هذا او ذاك . ان الفلسطينيين الذين توجدوا منذ فترة قريبة فقط بدوا الآن حجازين ومنشغلين على انفسهم

ركبنا احدى سيارات لجنة المقاومة العربية ، وكانت تحمل علما احمر كبير يرفرف على جانبها ، وصعدنا الى تلال جرش الصحرية ذات اللون البني الفاتح ، وتوقفنا في المركز المحلي لقيادة جيش التحرير الفلسطيني قرب الآثار الرومانية الجميلة . ونظرت من شرفة المركز الذي يشغل بناية صغيرة لأرى رجالا مسنين من مخيم غزة القريب يستدفئون في شمس الشتاء ورؤوسهم محنية ومنتشرين هنا وهناك في مجموعات صغيرة . ونادرا ما كانوا يظهرون أي اهتمام بما يدور حولهم . وبعضهم كان ينظر بصمت . ولدى خروجنا من المركز المحلي لقيادة جيش التحرير وجدت ان معظمهم، وعلى الرغم من تجعد وجوههم وبياض ذقونهم ، لا يتجاوز الخمسين . انهم الشبان الذين تركوا بيوتهم وحقولهم قبل عشرين سنة ونيف .

توقفنا ثانية في مخيم غزة الواقع على الطريق الى منطقة الاحراج . وهنا احاط بنا عدد لا يحصى من الاولاد وكذلك قلة من الرجال المتجهمين السائرين سيرا بطيئا . وبدا الاولاد سعداء واصحاء . أما الشبان فبدا أن جوا مأساويا يلفهم . وهنا انتابني حس باليأس . وأدركت في لمح البصر ما المقصود بالتمييز الماركسي بين الوضع الثوري في حد ذاته والوضع الثوري **من أجل** ذاته ، أدركت الفرق بين العيش تحت عبء الظروف القاهرة وبين امتلاك الوعي الثوري لتغيير تلك الظروف .

وسرعان ما ادركنا ان مسألة الوحدة (بين مختلف المنظمات) لم تكن مسألة نظرية بحاجة الى حل بواسطة الاتفاق الشفوي . وعدنا الى بيروت مقتنعين انه قبل القيام بأي شيء يجب اولا ان يوجد الوضع حلوله بذاته اذ ان الحلول المتأتية عن التفكير تفكيرا ذاتيا اثبتت انها قليلة الفائدة على الرغم من صحتها النظرية .

منظور الوعي الثوري

بعد أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ أخذ الناس يتحدثون حديثا مختلفا . وفي هذه المجموعة من المقابلات يظهر ذلك جليا ، فنجد الناطقين الرسميين باسم المقاومة يوجهون كلامهم الى بعضهم بعضا والى شعبهم هم وليس الى « الرأي العام العالمي » ووسائل الاعلام . فهم لا يسعون وراء خلق صورة معينة لانفسهم وما عادوا يتنافسون الواحد مع الاخر من أجل الدعاية . وهذا يضفي على المقابلات ميزة نادرة من الصراحة . اضف الى ذلك ان هناك متطلبات ملحة جديدة نتيجة للظروف التي تغيرت . اننا نتحسس موقفا يتطلب اتصالا ولن يرضى بالطريقة الخطابية القديمة . وليس هذا مجرد تغير في التكتيك الاعلامي ، انه يشير الى تغيرات داخل الحركة وربما الى دخولها مرحلة متقدمة من النضوج .

ان الناطقين باسم المقاومة في موقفهم من مختلف المسائل التي يتناولها هذا الكتاب بالبحث يعبرون عن وعي مشترك يتجاوز وعي الافراد او المجموعات . انهم يتحدثون نيابة عن الفلسطينيين ككل ، ومن خلالهم ، عن الصامتين والمقهورين في العالم العربي بأسره . انهم يؤكدون العزم على تحمل الهجمات الصهيونية على حقوقهم القومية والانسانية ، ويعبرون عن رفض النظام السياسي والاقتصادي للامبريالية الغربية المعاصرة التي تحول دون ان تحقق المنطقة استقلالها السياسي والاقتصادي التام . وهم ينظرون الى اسرائيل ضمن هذا النظام على أنها فرع للامبريالية تغذيه وتعززه الولايات المتحدة التي تلقى مصالحها في المنطقة دعم اسرائيل وتأييدها . ومهما اعتبرت اسرائيل نفسها مستقلة فانها تبقى خاضعة موضوعيا لحكم منطق الوضع الامبريالي الراهن ومتطلباته والذي تشكل هي جزءا منه . انها بالنتيجة تشكل تحديا للتطلعات

العربية النابعة من الوعي المتزايد للوضع السائد في المنطقة . واذا كان هذا الوعي سيقدر على ترجمة نفسه الى عمل اجتماعي وسياسي منظم يشمل العالم العربي ويصبح بذلك قوة مادية فان « الثورة » الفلسطينية هي من اجل ذلك بالتحديد . وعلى الرغم من ان الفلسطينيين لا يستطيعون القيام بالثورة في البلدان العربية ، عدا ثورتهم الفلسطينية ، فان ثورة فلسطينية اصيلة ومستمرة قد تلعب دور المساعد الذي يجعل العالم العربي راديكاليا ويعطي الثورة العربية دافعها الحاسم .

ان الوعي المرتبط بالمقاومة الفلسطينية هو ذات صفة تاريخية أي انه يشكل مرحلة محددة في التطور السياسي . وان محتوى هذا الوعي ووجهته يتغيران ويتطوران مع الخبرة والزمن . ولكن الشكل الثوري يبقى أثناء هذه العملية بأسرها ثابتا . ولا يفقد الوعي صفته الثورية الا اذا تحطمت حركة المقاومة التي تجسده أو تحولت الى مجرد عمل سياسي .

وقد يبدو في هذه المرحلة الهدف الذي يقوم حوله هذا الوعي ، أي هدف التحرير ، غير واقعي ومجرد حلم نظري . ولكن هذا يرجع بالضبط الى كون الوعي وعيا ثوريا . ان التفكير الثوري يولد من معارضة الواقع القائم ، وهو لكونه ثوريا لا يقبل هذا الواقع مرجعا نهائيا لتفكيره . ان « حقيقة » هذا التفكير لا تستمد من هذا الواقع المباشر **المعين** ولكنها متأصلة في الكل التاريخي الاوسع الذي يشكل هذا الواقع جزءا مرحليا عابرا منه فقط . ان ديناميته هي في عدم ديمومة الحاضر .

ان هذا النوع من الوعي الذي تعبر عنه حركة المقاومة الفلسطينية والذي يرفض الامر الواقع الصهيوني وفق شروط هذا الواقع ومتطلباته يعلن ان التحرير الكامل ، وليس غير التحرير الكامل ، هو هدف الثورة الاخير . ونلاحظ ان لا احد من المتحدثين باسم المقاومة ينكر الواقع الحاضر المرير متمثلا في الفوضى العربية والشقاق الفلسطيني والتفوق العسكري الاسرائيلي والتزام الولايات المتحدة بالصهيونية ، الخ ، ولكنهم يرفضون الخضوع لهذا الواقع وحقائقه . ان الوعي الثوري الذي يعبرون عنه في هذه المقابلات يقدم البديل للتفكير والعمل بلغة الامر الواقع . وان البديل هو مشروع نضالي يستمد قوته وثقته من **الطاقة التاريخية المتأصلة في الحاضر** . وهذا البديل يطرح مطلبا للمستقبل ، وهو مطلب لا يمكن للوعي العملي المتمثل في قيادة الانظمة ان يطرحه لانه وعي غائب عن المصالح القومية الكبرى ومنهمك في المصالح الجزئية الصغيرة . ولا يطرح هذا البديل المستقبل كهدف طوباوي يمكن الوصول اليه بقفزة خيالية ولكن كهدف بعيد يمكن تحقيقه بالعمل الجاد وبلورته من خلال النضال اليومي المستمر . الا انه هدف لا يمكن تحقيقه الا على يد حركة قادرة على تعبئة الجماهير تعبئة ثورية صحيحة .

المقاومة واليهود الاسرائيليون

ان كل منظمة من منظمات المقاومة الفلسطينية تستهدف ، كجزء من استراتيجيتها ، الوصول الى اليسار الاسرائيلي الجديد ، وبالتالي الى الجماهير اليهودية . وهذا يعكس القدرة المتزايدة للحركة ، وهي تسير على طريق النضوج ، على الاعتراف بحقائق معينة والقبول بها . وعلى رأس هذه الحقائق **وجود شعب يهودي على الارض الفلسطينية** . وقد يكون مفهوم فلسطين الديمقراطية أول تعبير عن ذلك ولا بد أن يليه صيغ مادية اخرى اكثر دقة وتفصيلا . الا ان تفهم هذه الحقيقة لم يكن سهلا . وانه لمن المستحيل تحديد الاشكال المادية المحددة — السياسية والاقتصادية والحضارية — التي قد يتطلبها الاتساق المشترك في هذه المرحلة . ولكنه بات من الواضح انه في سبيل معالجة هذه المسألة وضع الفلسطينيون برنامجهم على انه برنامج جدير بدعم القوى اليسارية والتقدمية ، وهو بذلك يشكل تقدما كبيرا على الموقف الصهيوني العنصري .

ولا بد من القول ان منظمات المقاومة الفلسطينية كافة تلتقي حول الاعتقاد بان التحرير يجب ان يقوم في النهاية على اساس الانشقاق الفلسطيني ـ اليهودي خارج الطبقة الصهيونية . ولكن مهمة تحطيم البنى الفوقية للجرح الصهيوني لا يمكن تنفيذها على ايدي الفلسطينيين وحدهم بصفتهم قوة خارجية . ويتطلب نجاحها منها ان تصبح ايضا مهمة يهودية يجري تنفيذها سياسيا من الداخل .

ان هذا اللقاء بين القوى الراديكالية الذي يفترضه هذا الراي يشكل خطا سياسيا اساسيا واحدا في اية ستراتيجية ثورية في المستقبل . ولا بد هنا من الاعتراف انه حتى الان لم تنجح الا جماعات هامشية من المعسكرين في الاتصال فيما بينها محققة نتائج سياسية ضئيلة . ومع ذلك فان هذا امر هام من حيث ارسائه سوابق للمستقبل . وفي هذه المرحلة تقع مهمة حمل المقهورين من الشعبين ، على ادراك القهر المشترك والحقوق المشتركة ، على الثورة الفلسطينية التي تمثل رفض العدوان الصهيوني والارادة على قهره .

مسالة التصديق

ولكن قبل الوصول الى هذه الاهداف سيتحتم على الفلسطينيين ان يناضلوا وحدهم مدة طويلة . وينتظر من القوى المؤهلة او التي قد تكون حليفة للفلسطينيين في اسرائيل (العمال المقهورون واليهود الشرقيون واليسار غير الصهيوني) ان تبقى مدة طويلة من الزمن جزءا من المؤسسة الصهيونية رغم الصراعات الطبقية والعرقية والايديولوجية . وهكذا فان المسالة تطرح نفسها على الشكل التالي : وجوب اسقاط الصهيونية ، واقامة تحالف طبقي بين المضطهدين الاسرائيليين والفلسطينيين . ولكن من اجل اقامة مثل هذا التحالف يجب اولا تحطيم الهيمنة الصهيونية الايديولوجية والسياسية (على المضطهدين)، اي انه يجب اسقاط البنى القومية للصهيونية . ولا يبدو ان هناك مخرجا واضحا او سهلا من هذا المأزق .

ولكن ربما كان بامكان الفلسطينيين التقدم تقدما كبيرا في هذه المسالة اذا نجحوا في تحقيق امرين : (١) تحويل حركتهم الى حركة راديكالية حقيقية ، (٢) تنظيمها على شكل قوة سياسية وعسكرية فعالة . واذا اظهر الفلسطينيون بصورة مقنعة (وليس بتعابير ايديولوجية فقط) انهم متجهون نحو مجتمع اشتراكي يتمتع فيه اليهود بحقوق متساوية مع غيرهم ، وانهم عازمون حقا على خوض نضال طويل الامد فانه من الممكن التفكير بالتحول الراديكالي . ولكن ربما كان اهم من ذلك قدرتهم على توضيح استحالة حل المسالة اليهودية على حساب الفلسطينيين وعدم عدالة ذلك ، وذلك من خلال عملية النضال الحقيقي وليس من خلال محاولات الاقناع الاعلامي فقط . ويجب اظهار الحركة الصهيونية على انها حركة تدفع بطبيعتها اولئك الذين يعانون منها الى مقاومتها والقتال ضدها .

وباختصار ، يجب اولا تحطيم الاجماع الصهيوني ايديولوجيا قبل ان يصبح من الممكن قيام اي بديل قابل للحياة وغير صهيوني للتعايش العربي الاسرائيلي . كما يجب بطريقة ما حمل الاسرائيليين على ادراك انهم لا يستطيعون العيش الى الابد بالسلاح وحده وبتاجيل التفاهم مع الفلسطينيين وجيرانهم العرب الى امد غير محدد . ومن الواضح ان هذا لا يمكن ان يأتي عن طريق الاقناع الفعلي او بواسطة هزيمة واحدة . ونذكر انه عندما كان نشاط المقاومة في اوجه بين العامين ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠ بانت بعض الدلائل الاولية واضحة على تزايد وعي الاسرائيليين لمطالب الفلسطينيين . ان احد اهداف حركة المقاومة هو دفع مثل هذه الافكار عند الراي العام اليهودي وتوسيعها مرة اخرى . يجب ان تصبح حركة المقاومة الفلسطينية اذا قوة عسكرية وسياسية وايديولوجية

حقيقية وموثوقة ومعترفا بها كذلك من جانب العدو وحلفائه المحتملين في معسكر العدو، قبل ان تستطيع الحركة ان تثير داخل اسرائيل الاستجابة التي بدونها سيبقى التحرير الحقيقي بعيد المنال . ان عملية التحويل الراديكالي التي جرت في حركة المقاومة الفلسطينية يجب ان تجري في صفوف اليهود . وفي ظروف كهذه قد تكون المعارضة من داخل اسرائيل أقل صلابة وأكثر ديالكتيكية مما يظهر لاول وهلة .

مبررات استمرار النضال

ويعي الفلسطينيون في اتخاذهم قرارهم السير في طريق النضال المعارضة التي سيلقونها على جميع المستويات . فهم يجدون انفسهم على صعيد المنطقة في مواجهة الوضع الراهن محددا بنماذج وقوانين اجرائية تربط ضمن اطار مشترك اسرائيل والدول العربية من جهة ، والاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة من جهة اخرى . ان التوازن السوفياتي — الاميركي والميزان العربي الاسرائيلي يستثنيان اي تغيير جذري في العلاقات القائمة بين القوى ومناطق النفوذ ، انهما يستثنيان بالضبط ذلك النوع من التغيير الذي تتطلبه استعادة الحقوق الاساسية للفلسطينيين . وهكذا فان حركة المقاومة الفلسطينية تمثل نفيا لهذا التوازن والميزان . وكونها كذلك يجعل الفلسطينيين يشكلون القوة المركزية الاولى التي من شأنها ان تهدد الوضع القائم واستقرار القوى القائم في الشرق الاوسط على جميع المستويات .

وربما يكون من الطبيعي ان نتوقع من اولئك الراضين عن الامور كما هي قائمة — اي من المستفيدين من التوزيع القائم للسيطرة والجاه — ان يتحدثوا بما يتمشى ووضع تلك الامور ، أي ان يتحدثوا عن القيم والمصالح والاهداف المستمدة من هذه الحالة وان يعملوا من أجل الحفاظ عليها . وهكذا فان اولئك الذين يقولون «بالاتزان» و «التعقل» و «الواقعية» في حديثهم عن الحفاظ على الوضع الراهن في المنطقة يلقون مشاركة الامبرياليين الرأسماليين والمستعمرين الاستيطانيين وكذلك الطغم البورجوازية والبورجوازية الصغيرة الحاكمة في المنطقة .

الا ان الفلسطينيين لا يرون خيارا غير الاستمرار في الكفاح . انهم يقاتلون في سبيل حقوقهم الانسانية الكاملة بما في ذلك حقهم البديهي في العيش في ظل الحرية الديمقراطية على أرض وطنهم . ان الفلسطينيين لا يطالبون بالتمتع بهذا الحق وحدهم وانما يقولون بحقوق اليهود الموجودين الان في اسرائيل بالتمتع بالحقوق نفسها في دولة ديمقراطية علمانية مشتركة . ومن ناحية حقوق الانسان فان اسرائيل اليوم تساوي بالضبط ما اخذت من الفلسطينيين . ان السعادة الاسرائيلية تتكون من دموع الفلسطينيين*. واذا كان الاسرائيليون اليوم شعبا له أرض فان ذلك لان الفلسطينيين شعب بلا أرض . ان انتصارات اسرائيل هي هزائم الفلسطينيين وان اعتداد الاسرائيليين انما هو ذل الفلسطينيين ، وقوة اسرائيل هي ضعفهم . وبينما تنمو اسرائيل على مر الزمن وتتقدم لتصبح دولة بين الدول يختفي الفلسطينيون شيئا فشيئا ليصبحوا شعبا بلا دولة اما مسيطرا عليه في أرض فلسطين أو يعيش في المنفى . ان وجود اسرائيل انما يعني انعدام وجود الفلسطينيين بكل ما في الكلمة من معنى .

وبصورة موضوعية ، ليس امام الفلسطينيين خيار غير القتال ضد الاستعمار والسيطرة الاسرائيليين . ولا يمكن ، والحالة كذلك ، ان ينظر الى التحرير على انه مغامرة رومنطيقية بل على اساس انه مسألة بقاء او عدم بقاء . ولا يمكن ان يكون الفلسطينيون طرفا في اي حل « جزئي » في ظل الظروف السائدة لان كل حل « جزئي » هو في الحقيقة

---

* وفق تعبير محمود درويش .

اما بالنسبة للاخلاق فان الفلسطينيين يعون جيدا فلسفة الاقوياء المنكفئة على ذاتها التي تجعلهم عاجزين عن رؤية الام شعوب العالم الثالث وتطلعاتها المشروعة في الحياة الحرة السعيدة . وفي فترة ما قبل التاريخ التي تشكل التاريخ الذي لا زلنا نحياه فان نظام الامبريالية الرأسمالية الليبرالية والمستغلة القاسية انتج منظومة من القيم التي تستطيع بكل سهولة ان تبرر اكثر جرائم الامبريالية وحشية وضراوة . وهكذا استطاعت البلدان القوية كأميركه ان تكتنف بالغموض الحقيقة الانسانية لاعمالهم عن طريق تقنيع تلك الاعمال بتعابير وعمليات فكرية لا علاقة لها بتلك الاعمال ذاتها ، مثل الحجج التي تبدو في ظاهرها قانونية او النصائح التي تدعو الى « العملية » تلك التعابير والعمليات الفكرية التي تعمل على ابقاء البنى المضطهدة القائمة في الدول العنصرية وعلى ابقاء التعابير العسكرية « المحايدة » المعقدة التي تستخدم في اخفاء الرعب الانساني من الدمار على يد القوة التكنولوجية المتفوقة في فيتنام . ولقد حاول الصهيونيون في فلسطين والاميركيون في فيتنام والروديسيون البيض والافريقيون الجنوبيون جميعا ان يضربوا ستارا على اعينهم واعين الاخرين واخفاء عدوانهم ووحشيتهم ولا انسانيتهم بطريقة او اخرى . وقد يرتكب الصهيونيون ابشع الجرائم (كما فعلوا في دير ياسين وقبيه وكفر قاسم) ولكنهم يستطيعون التغلب على شعورهم بالذنب والحفاظ على استقامتهم في اعينهم هم وذلك بالاعتراف بارتكاب مثل هذه الجرائم ومعالجتها على اساس انها « غير مقصودة » وشاذة وعبارة عن انحرافات آنية .

وبسبب هذه الفلسفة الاخلاقية يدرك الفلسطينيون انهم لن يحققوا شيئا بمجرد دعوة القوي الى معالجة الظلم الذي ارتكب في حقهم لانه يكاد لا يعترف بهذا الظلم . لقد وجد الفلسطينيون من خلال الدروس المريرة التي تلقوها انه لا القوانين الدولية ولا الاعمال والمقررات الصادرة عن الهيئات الدولية تستطيع ان تحقق شروط الحق والعدالة . ان العدالة التي سيعترف بها العالم هي تلك التي يستطيع المضطهد ان يحققها من خلال نضاله وتضحياته . ان المضطهدين لا يستطيعون ابدا ان يتوقعوا الحصول على حقوقهم على طبق من الفضة في عالم السيادات الوطنية وسيطرة الامم الغنية ، عالم القوى الامبريالية والمواقع العاجزة عن الدفاع عن نفسها ، عالم الاستعمار الجديد .

ويعلم الفلسطينيون انه مع تصاعد النضال فلا بد له من ان يتخذ شكلا قاسيا . ان العنف الشامل لا ينفصل عن عملية التحرير من الاستعمار الاستيطاني . ان ضحايا العدوان الاستعماري يلجأون الى العنف المضاد للقضاء على العنف الذي وقع عليهم . والوحشية تزداد مع تزايد العنف والعنف المضاد . وهكذا فان الضحية ومضطهدها يقعان في شرك التصعيد القاتل . ونحن نعلم من التجربة الماضية ان التصعيد لا ينتهي قبل ان يصل درجات حادة من سفك الدماء والدمار الذي يدوم شهورا بل وسنوات كما حدث في الجزائر .

وهناك ثلاثة اسباب اساسية تفرض على الفلسطينيين اختيار هدف التحرير هدفا لا عودة عنه . السبب الاول هو غياب اي بديل آخر للكفاح : فاذا هم لم يقاتلوا هلكوا . وهم لم يبق لديهم الا القليل ليخسروه . « ان ما لا يقتلني يجعلني اقوى » على حد قول فريدريك نيتشه . السبب الثاني يكمن في حركة التحرير السائرة في جميع انحاء العالم . فالفلسطينيون اصبحوا يرون ، كما لم يفعلوا من قبل ، ان تحررهم جزء من حركة عالمية . انهم يرون تحررهم مرتبطا بتمزيق نظام الامبريالية الجديدة الاميركي ، هذا النظام المحكوم عليه بالزوال في الشرق الاوسط مثلما في جنوبي شرقي آسيه . وهناك اخيرا

القدرة على التحول في المجتمع العربي ، اي القدرة على تعبئة الطاقة العربية التي لا بد ان تصبح يوما ما حقيقة واقعة .

الوضع العربي

ان من الحماقة التقليل من قيمة المصاعب التي يواجهها الفلسطينيون في هذا الوقت في العالم العربي . فحركة التحرير تواجه بديلا ووجهة نظر بارزة تعتبر نفسها واقعية وبراجماتية وتدعو الى تسوية سياسية ، ويدعو هذا الموقف الواقعي (أو التشاؤمي) اساسا الى تسوية (في هذا الوضع السياسي والعسكري المحدد) تنفذ « ما يمكن انقاذه » . ولا يستمد هذا الموقف ضرورته من مجرد الضغوط اليومية (والضعف العربي الناتج عن الاحتلال والشقاق العربي والفلسطيني) وانما ايضا ، وبالقدر نفسه ، من الاعتقاد ان القوة (العربية) **الممكنة** لا تستطيع ان تأتي بأية نتيجة عملية في الوقت الحاضر ، وان خدمة الاهداف النهائية على أفضل وجه قد تأتي عن طريق ضمان المصالح الآنية . ان اولئك الذين يدافعون عن هذا الموقف يؤكدون انهم في سعيهم للتسوية السلمية لا يتخلون عن هدف التحرير وانما « يؤجلونه » فقط الى وقت اكثر ملاءمة في المستقبل . ويحاجج هؤلاء بقولهم ان الطريقة الوحيدة الان هي مواجهة العدو ، بسوء نيته ونزعته المزيفة للخير ، والحصول منه على أكبر ما يمكن الحصول عليه دون التعرض لمخاطر قوته (وقوة مؤيديه الاميركيين) التدميرية الساحقة .

ان رد المنادين بالتحرير على هذا الموقف يتلخص بالقول ان ثمن السلم أغلى من ثمن الحرب . هم يرفضون التسوية السياسية على انها ليست اكثر من الاستسلام والغاء امكان التحرير الى الابد . انهم يحذرون تبني الاوهام حول المستقبل نظرا للمسافة التي لا يزال يترتب على حركة التحرير السير فيها ، كما يحذرون بالقدر نفسه رفض بديل التحرير على انه في الظرف الحاضر غير عملي أو غير واقعي . وعلى الرغم من ان التسوية **السياسية** ، من وجهة نظر دعاة التحرير ، ربما ستبقى الشكل النهائي لسلم نهائي فان السلام تحت اية ظروف (مثل الظروف الحاضرة) لا يمكن ان يكون مقبولا لانه لا يمكن ان يكون سلاما حقيقيا .

ويرى الذين يرفضون التسوية ويدعون للنضال ان المصالح الآنية والاهداف النهائية لا ينفصلان . فاذا كان التحرير في الوضع الحالي يبدو بعيد المنال فان التسوية السياسية تتخلى ليس فقط عن الحقوق الاساسية ولكنها تقضي على ارادة القتال وتؤجل امكان التحرير الى اجل غير مسمى . ومن الواضح ان الموقفين في مضامينهما العملية والسياسية يعبران بالضرورة عن مواقف متناقضة حول السؤال : « ما العمل ؟ » فالمسافة التي تفصل بين الموقفين هي تلك التي تفصل بين مصالحهما المادية . ويبدو هذا التعارض واضحا في الطريقة التي يقيم بها كل من الجانبين التجربة الفيتنامية . فبالنسبة الى الواقعيين نرى ان درس فيتنام هو ذلك الدرس الذي تريد الولايات المتحدة ان تلقنه الى شعوب العالم الثالث كافة أي الثمن الكبير الذي يتوجب على الشعوب التي تقول بحرب التحرير الشعبية . اما بالنسبة لدعاة الكفاح المسلح فان الدرس المستقى هو ان الشعب الفيتنامي علم العالم ان الشعب المسلح المصمم هو قوة لا تقهر . ان التناقض اذا بين موقف التحرير وموقف « الواقعية » ليس فقط بين المقاومة المستمرة والتسوية السياسية ولكنه يعبر عن تناقض داخلي عميق في قلب بنية المجتمع العربي بكليته .

ان دعاة التحرير ينظرون الى انفسهم بانهم الواقعيون الحقيقيون وذلك من خلال المنظور الذي ينظرون منه على المسألة دون ان توجههم مصالحهم الثابتة في البنية القائمة ، فهم يعتقدون انه من المعقول تماما خلق وعي سياسي كاف في صفوف الجماهير العربية وجعل الكفاح المسلح قضية واقعية . ان المدخل الآلي والسطحي وحده يفصل الكفاح

المسلح عن النضال السياسي . انهم يرون ان النضال السياسي والكفاح المسلح يشكلان وحدة ، ان النضال السياسي ، منفصلا عن الكفاح المسلح ، سيسود بناء على الاحوال والظروف التاريخية .

وهذه النظرة في التحرير تأخذ في الحسبان مصادر العالم العربي كافة ولا تسترشد بالمبادىء الجامدة ، فهي لا تتخلى عن دور الجيوش التقليدية والتدريب التكنولوجي والمعدات المتقدمة وغيرها في حرب العصابات . وتعتبر زيادة القدرة العسكرية للجيوش القائمة عاملا رئيسيا في خوض الحرب الشعبية ، فلا الجيوش النظامية ولا قوات الفدائيين وحدها تستطيع ان تتحمل حربا طويلة ضد عدو غني متقدم تكنولوجيا . وعندما يرتبط شكلا النضال عضويا فقط تستطيع ان تولد حركة تحرير شعبية حقيقية ، اي عندما تنضم الجيوش النظامية الى الميليشيا الشعبية وقوات الفدائيين يمكن التغلب على التجزئة والشقاق العربي ويمكن ان تصبح الجبهة العربية الموحدة حقيقة راهنة . وترتكز مقولة التحرير على المبدأ القائل انه عندما يشمل النضال الشعب بأسره فقط يمكن تحقيق حق الشعب في الحرية والاستقلال ، ولن يستطيع اي قول بالحق او العدالة ان يثبت وحده هذا الحق ابدا . وفي النضال ضد الاستعمار يستطيع عنف المضطهدين وحده ان يحطم عنف المضطهد . ومن خلال هذا المنظور لا يمكن رؤية طريق قصير الى التحرير او مهرب من سفك الدماء والدمار الذي تستتبعه حرب التحرير . وفي النضال ضد الاستعمار الاستيطاني ، مثلما هي الحال في النضال البروليتاري لا بديل للثورة من الاستيلاء على السلطة التي لا تستسلم بارادتها ابدا . أما التسوية السياسية القائمة على المساومة والحل الوسط فتؤدي ، مثل جميع الاصلاحات البرجوازية ، الى تعزيز السيطرة القائمة ونسف ارادة القتال عند الشعب المتحفز الى القتال . وبناء عليه فان المفهوم التحريري يرفض « العقلانية » المزعومة التي ينادي بها « الواقعيون » و « البرجمانيون » بأسلوبهم الكمي والحسابي والعملي . **وبالنسبة لهذا المفهوم فان الانسان ، لا التكنولوجيا ولا الآلة ، هو محور التغيير** . ان سر القوة الفيتنامية يكمن في التنظيم الاجتماعي والسياسي الفيتنامي وليس في تقدم فيتنام التكنولوجي (ولقد اظهرت التجربة الاميركية في فيتنام انه يمكن ان تصبح التكنولوجيا المتقدمة قوة سلبية بكونها قوة غير عقلانية وغير انسانية ، مدمرة لغيرها ولنفسها في آن واحد) . وفي المجتمعات النامية (مجتمعات العالم الثالث) فان البنى الاجتماعية والسياسية الموجهة الى هدف التحرير (لا الى التعايش مع الامبريالية) تستطيع وحدها ان تكرس التكنولوجيا لخدمة الانسان وتحريره . اما عندما تكون التكنولوجيا تحت سيطرة الوضع الراهن فانها توضع في خدمة هذا الوضع اي في خدمة السيطرة والقمع ، اي في خدمة الامبريالية .

ولا يتعامى الموقف التحريري عن حالة المجتمع العربي الموهنة ، بل على العكس من ذلك فهو منهمك بتحليل هذه الحالة باستمرار . ولهذه الحالة جوانب كثيرة . فمن الناحية السياسية لا يزال العرب بعد اكثر من خمس وعشرين سنة من المواجهة يجدون انفسهم بعيدين عن الوحدة بعدهم عنها عندما نالوا استقلالهم من الاستعمار . وتقضي الشقاق والارتياب المتبادل بين الدول العربية على اية امكانية في المستقبل المنظور للتعاون الجدي او العمل المنسق بين تلك الدول . ومن الناحية الاجتماعية فان المجتمع العربي ، بما فيه مجتمعاته القطرية (سوريه والعراق ومصر وغيرها) لا يزال يعاني من نقاط العجز والضعف القديمة الحضارية والسياسية والاقتصادية . ان المجتمع العربي لا يزال عاجزا عن تجنيد القوة الكافية لتحقيق اول اهدافه الاساسية الاجتماعية والسياسية .

ان الجانب الاهم في هذا الوضع هو ذلك المتعلق بعماد الطاقة الثورية في المجتمع العربي اي الجماهير البروليتارية والفئات البرجوازية الصغيرة وخاصة المثقفة منها .

ان الجماهير متأصلة في حضارة القرون الوسطى الدينية والمثقفون هم اسرى تربية مثالية تجريدية . ومن الناحية الايديولوجية والتنظيمية فان المهمة التي يتطلبها التحرير تبدو مخيفة وبالضرورة طويلة الامد . وبذلك نفهم موقف « الواقعيين » ونفاد صبرهم وشكهم بالامكانات البشرية المتوافرة .

ولا يتمتع الوعي الثوري حتى الان (وهو شرط من شروط السلوك الثوري) بقاعدة جماهيرية في العالم العربي . وعلى الرغم من أن الجماهير قادرة على الممارسة الثورية عندما يستوعبها النضال الثوري (الجزائر ، عدن ، غزة) فانها تميل في حالات الاستقرار والانتقال الى البقاء خاضعة للايديولوجية السائدة (اي الايديولوجية الدينية والقومية الحضارية) وبالتالي للتلاعب السهل بها من جانب الممسكين بمقاليد السلطة . وهكذا تطرح المسألة نفسها ، من وجهة نظر المنادين بالتحرير ، **ليس على انها غياب الجماهير الثورية موضوعيا وانما قبل كل شيء على أنها غياب الوعي الثوري داخل الجماهير الثورية .**

اما المثقفون البرجوازيون فيعانون من نوع آخر من العجـــز الذي يؤدي الى النتيجة ذاتها . وان التقديس الاعمى للتعليم خلق في العالم العربي ، كما في المجتمعات المتخلفة الاخرى ، طبقة همها السعي وراء المركز الاجتماعي « اللائق » والرفاهية في العيش. وتسيطر على هذه الطبقة ايديولوجية الحضارة المجردة التي تغفل الانسان وتتعامى عن الواقع الاجتماعي . وان القيم التي يشكل منها المثقفون البرجوازيون الصغار صورتهم الذاتية ونمط حياتهم تعود جذورها الى حضارة طبقية وشوفينية وعرقية ، هي الحضارة الاوروبية والاميركية . وانتقال هذه الطبقة الى الوعي الثوري هو تحول صعب ومعقد ويشكل عملية طويلة الامد .

واذا كان للموقف التحريري ان يقبل الواقع الاجتماعي والسياسي القائم في العالم العربي طبقا لشروطه فان معارضة هذا الموقف الواقعي تفقد حينئذ معناها ، وتجد المقاومة نفسها خاضعة لمتطلبات الواقعية كما يدركها الحس العام اي خاضعة للتسوية . ولكن من الضروري لمنظور التحرير ان يقدر بالضبط على تجاوز الواقع الحالي والنظر مـــن خلاله وما وراءه الى الطاقة الثورية الكامنة في احشائه ، اي أن يقدر على رؤية الوضع القائم لا كمجموعة مجزأة وجامدة من الاحداث والوقائع المتجاورة عرضا ، بل ككل دينامي حي ، وكجزء من **عملية** تاريخية متطورة . وبهذا المنظور فان تحليـــل الواقع العربي لا يتوقف عند ما نراه أمامنا من الانحلال والانحطاط الذي يقدمه هذا الواقع ولكنه يتجاوزه ليرى التناقضات المتأصلة فيه والقادرة على تهيئة الظروف والامكانات للتحول الراديكالي فيه .

ان المفهوم التحريري يفترض التغيير الراديكالي (سياسيا واجتماعيا) كما يفترض هذا التغيير المفهوم التحريري ذاته الذي يرى التحرير والتغيير الراديكالي عملية ديالكتيكية ويراهما يسيران يدا بيد في عملية **النضال** .

ومن خلال هذه النظرة لم يعد العالم العربي يبدو مجرد مجتمع متخلف **ينتظر** ان «يطور» بل مجتمعا على عتبة فترة اضطرابات وتغيرات عنيفة . ان الوضع الموضوعي بعيد عن الغائية ويمثل وضعا مفعما بالامكانات .

الا ان هذا المفهوم لا يضفي على صاحبه اي قدرة تنبؤية بمعزل عن تلك التي تحددها الارادة الجماعية المؤثرة في الواقع الموضوعي ، اذ ان الواقع المادي للصورة الاجتماعية والسياسية القائمة سيستمر في طرح نفسه في أشكال غير متوقعة . وليس هناك اية ضمانة في أن التناقضات المدركة في الوضع السائد لن تطمس أو تظهر بواسطة القوى الخارجية ، أو أن المستقبل يجب ان يأتي بظروف أكثر ملاءمة للتحرير . وصحيح ان

الطاقة الثورية الكامنة سوف تتحدد تحديدا رئيسيا بواسطة تناقضات معينة متأصلة في الوضع العربي الراهن ولكن هذا سيحدث فقط بالطريقة وإلى الحد الذي تستطيع معه الارادة الذاتية ان تسير بهذه التناقضات في اتجاه ثوري . وعلى أية حال فان من المستحيل التنبؤ بالشكل المعين للتطورات الممكنة . وما يجب التأكيد عليه هو ان التحرير لا يطرح نفسه على انه **مجرد** هدف يجب ان يتحقق ولكن بالحري **كعملية** تتكشف في مراحل عبر مدة زمنية . ولذلك نرى هذا الشعار الصائب : ان الذين يناضلون في سبيل التحرير يحررون انفسهم أيضا في عملية التحرير .

وهناك طبعا خطر ان يحمل هذا التحليل المدافعين عن نظرية التحرير على المجازفة في تصعيد التفكير المزاجي في وضع الصياغات النظرية . وبامكان التجاوز ان يصبح مضللا لان الواقع هو واقع رعب ويدعو المرء الى التهرب منه . ومن الواضح ان وجهة النظر المنادية بالتحرير (في اشكالها العملية في العالم العربي) لم تنتج حتى الآن تحليلا منظوما للوضع ـ لتركيب أو بنية المجتمع العربي وللقوى التاريخية المحددة والمؤثرة فيه ولاتجاهاته ونظراته الايديولوجية وللمهام التنظيمية القادمة وما الى ذلك . انها لا تزال على المستوى الاولي لتمثل مفاهيم النقد والتحليل الكلاسيكيين ولتطوير الادوات المفاهيمية الاساسية لهذا التحليل . وان تطوير النظرية الصحيحة يشكل مهمة خطيرة في هذه المرحلة من مراحل تطور الحركة الفلسطينية .

ومن الواضح ايضا ان المسافة التي تفصل بين وعي الفلسطينيين الثوري وبين الوعي الكامن لدى القاعدة الشعبية أي الجماهير العربية هي المسافة ذاتها التي تفصل بين ارادة التحرير وبين الوسيلة الحقيقية لتحقيقه . ولهذا السبب فاننا عندما نبدأ بالتفكير جديا بنضال يمتد عشرين وثلاثين وخمسين سنة يصبح البرنامج الثوري حينئذ برنامجا واقعيا . ولكني اكرر القول : ان الظروف الموضوعية للتطور الثوري موجودة في الواقع الحاضر الآن . وبما ان العوامل « الموضوعية » قد تكون ناضجة فان العوامل الذاتية تصبح مهمة تماما . وان الفلسطينيين بوعيهم واعمالهم يلعبون الدور « الذاتي » في الاسراع في العملية التي ربما تهيأت لها الظروف « الموضوعية » . لهذا لم تعد الازمات تدل على مجرد حالات عدم استقرار عرضية او مؤقتة وانما قد تدل على بداية مرحلة تاريخية جديدة من التغيير البنيوي في المجتمع .

وهكذا تبرز أهمية تمييز وتحديد الاتجاهات والميول الملازمة لوضع تاريخي معين. فعندما ينفذ ادراك طاقة الحاضر الكامنة الى الوعي (على شكل امكانات مستقبلية) يؤثر على الحاضر ويصبح قوة تحويلية تصعد وتسارع في الوضع الثوري . وقد يبدو على السطح ان الهدوء قد تمكن استعادته وان الوضع الراهن دائم ، ولكن هذا هو المظهر السطحي لكل نظام مسيطر يستمد وجوده من علاقات القوى الراهنة .

ان التناقضات تنضج أبدا تحت السطح . ويستطيع انتشار الوعي الراديكالي ، الذي اصبح يشكل عملية مستمرة في المجتمع العربي اليوم ، ان ينتهز ظروف الازمات وان يعزز الدفع الثوري . وعندما تحدث تطورات مفاجئة وغير متوقعة داخل البنية القائمة ـ وطنيا وعلى صعيد المنطقة وبين القوى الكبرى ـ فقد تنتج عن ذلك ازمات أعمق تتيح المجال امام تحقيق « قفزات » ثورية تسير بالعملية الثورية الى الامام .

مقدمات ومتطلبات أساسية

وهكذا فانه يتوجب على الفلسطينيين ان يقوموا بدور رئيسي في الثورة العربية الآتية . وان ارادة التحرير راسخة في وعي منبثق من تجربة تاريخية ويؤلف أداة تغيير للتاريخ. وبالنسبة لهذا الوعي فان الهزائم (والانتصارات) ليست نتائج نهائية ولا يمكن ان تحدد نتيجة النضال من يوم لآخر . فالنصر والهزيمة يؤلفان **العملية** التي من خلالها قد تؤدي

الهزائم ايضا الى انتصارات . ان ما يقرر النتيجة النهائية هو حصيلة القوى التي تكد وتناضل وتنظم على امتداد سنوات عديدة .

ويتجسد الوعي الثوري في العالم العربي موضوعيا في الفلسطينيين بغض النظر عن حالة « الثورة الفلسطينية » (ذاتية الفلسطينيين) . وطالما ان الفلسطينيين مقتلعون من ارضهم ومحرومون من حقوقهم الانسانية والوطنية (وشرط الا « يذابوا » كشعب) فان هذا الوعي الثوري سيبقى موجودا فيهم كامكانية تنتظر التحقيق لتخلق التناقضات التي تعمق الوعي وتزرع الثورة .

وتكمن فرادة الوضع الفلسطيني في انها قضية عربية شاملة تتخطى الحدود الوطنية الفلسطينية . وعلى العكس من الثورة الجزائرية التي كانت مع كل راديكاليتها ثورة **وطنية** جزائرية تهدف الى استقلال الجزائر وحسب ، فان المقاومة الفلسطينية تنطوي على حركة تتجاوز الحدود الفلسطينية المحضة وتشمل المجتمع العربي بأسره . وهكذا فان ما يبدو في تعبيرها المادي انه وعي فلسطيني بالتحديد يبرز على انه الوعي المشترك لكل الجماهير العربية . وهذه هي الحقيقة التي تجعل امتلاك الفلسطينيين وعيا ثوريا شرطا مسبقا لبروز وعي جماهيري صحيح على النطاق العربي العام . وتتمتع حركة المقاومة الفلسطينية بالطاقة الكامنة لتحويل السياسة العربية والايديولوجية العربية تحويلا راديكاليا لكونها تمثل عملية اجتماعية جذرية . وان دفع شرط هذه العملية الى الامام هو ما يصر عليه زعماء المقاومة : مواجهة عنفية مستمرة مع العدو ، رفض الاستسلام ، ونضال مستمر ومتصاعد .

ومن هذه الناحية فان هناك مقدمات ونقاط انطلاق معينة تحدد نضال الحركة واستراتيجيتها . والمقابلات لا تذكر هذه المقدمات والنقاط ذكرا واضحا ، ولذلك لا بد هنا من تحديدها تحديداً واضحا .

ان اول هذه المقدمات وربما اهمها هي التالية : **ان الدولة الاستعمارية الاستيطانية لا اساس لها في الشرعية** . فهي وليدة القوة وبقاؤها رهن ببقاء القوة . وان النظرية الصهيونية ومطالبها لا معنى لها خارج ذاتية الصهيونيين الدينية او النفسية وخارج صفوف مؤيديهم الدينيين والسياسيين . ان الدولة لها وجود تجريبي فقط وليس لها اكثر من الشرعية التجريبية . وفلسطين ارض مغتصبة مثلما كانت الجزائر في الماضي ، واسرائيل تشكل كيانيا استعمارا استيطانيا .

اما المقدمة الثانية فهي **ان الدولة الصهيونية ، مثل كل دولة استيطانية اخرى ، تخلق بذاتها حفاري قبرها . انها تخلقهم خلقا خارجيا على شكل مقاومة مسلحة ، وخلقا داخليا على شكل معارضة اخلاقية وسياسية** . وان حركتي المقاومة (الخارجية) والمعارضة (الداخلية) تبرزان منفصلتين ولكنهما قادرتان على التعاون والارتباط فيما بينهما اذا تيسرت الظروف المناسبة .

ويعتبر الزعماء الصهيونيون اليوم هذه الامكانية بعيدة ، فهم لا يستطيعون ان يروا اي شكل من اشكال التفاهم والارتباط الفلسطيني ــ اليهودي على مستوى التساوي بين الشعبين . ويرجع ذلك الى عجز الايديولوجية الصهيونية عن رؤية تناقضاتها وعجزها بالتالي عن التغلب على هذه التناقضات . وتجدر الاشارة الى ان الصفة السلطوية للصهيونية (وكل ايديولوجية عنصرية) تحد من رؤيتها (انظر ادناه) وتعيق جوانب حيوية من معرفة الذات ــ مثلا ، معرفة كيف جاءت اسرائيل الى الوجود ، ومعرفة من هم الفلسطينيون ، الخ . ولكن هذه الجوانب لا يمكن ان تخفى او تطمس الى الابد . ان الستار الذي يخفي الواقع الاستعماري عن ذاته يمزقه انبثاق حركة التحرير والانتقاد الداخلي . فعندما حمل الفلسطينيون السلاح في العام ١٩٦٧ ونظموا انفسهم

من اجل الكفاح المسلح بدأت بوادر الشك بالذات تدخل عقول الاسرائيليين ، وظهرت الدولة اليهودية للكثيرين اقل طوباوية واكثر استعمارية في التركيب والاتجاه . وشعر كثيرون من اليهود داخل اسرائيل وخارجها — المستوطنون الصهيونيون ، واليهود الصابرا ، ومؤيدو اسرائيل من الصهيونيين وغير الصهيونيين — بالقلق والخوف ، فقد اضطر هؤلاء اليهود اما الى تجاهل الحقائق عن وعي او الى خنق المشاعر الاخلاقية او الى تفسير المعلومات الجديدة تفسيرا تبريريا. واصبح الشك بالذات وطمس المشاعر الاخلاقية والتبرير الذهني للشعور بالذنب من اول علامات نضوح التناقضات الداخلية.

والمقدمة الثالثة هي **ان الدولة الصهيونية عاجزة عن ادراك مجمل واقعها ، فهي تدرك فقط مظاهر سطحية ومفككة من مظاهر التناقضات الخارجية** . وربما كان هذا الفشل متأصلا في العقلية الاستيطانية ذاتها على الرغم من اساليبها « العلمية » . وهكذا فان الصهيونية لا تستطيع ان تتصور الامن بمعزل عن القوة . وهي من حيث المبدأ تزدري بيئتها الانسانية « المحلية » وتسعى دائما لقمعها — يقول الاسرائيليون : « لا يفهم العرب الا منطق القوة » . ان طبيعة « المعرفة » الصهيونية تجعل الاستنتاج التالي حتميا : لكي تحوز اسرائيل على الطمأنينة عليها ان تستعد للامن النووي .

وترتكز المقدمة الرابعة على الاعتقاد **بان البنية الصهيونية ليست ابدية وان تحطيمها ليس في حيز المعقول فقط بل هو امر حتمي اذا اخذنا بالحسبان الطاقة الكامنة للتحول العربي وانحلال الاستعمار*** . ان التناقض بين الدولة الصهيونية وبيئتها العربية يمكن الابقاء عليه دون حل باستمرار الشلل العربي (استمرار الشقاق والتخلف الاجتماعي والسياسي) وبتعزيز السيطرة الصهيونية والامبريالية الجديدة . وانه من السخف التاريخي ان يستطيع ٢ ٪ من مجموع سكان المنطقة (وارضها) ، وهي النسبة التي تحتلها اسرائيل في العالم العربي ، ان يمد سيطرته الى الـ ٩٨ ٪ الاخرى (كما لو سيطرت هونغ كونغ على الصين) حتى ولو بدعم اغنى قوة امبريالية في العالم . وعندما يظهر هذا السخف كواقع عملي محسوس لا يعود التحرير أمرا تجريديا بعيدا وانما مشروعا عمليا تحتمه البنية التي هو في موقع المعارض والمقاوم لها .

يمكن تحديد اهداف التحرير من خلال نضال الفلسطينيين فقط . انه عندما تكتسب الحركة معرفة عدوها تكتسب معرفة ذاتها ، وهي تكتسب معرفة ذاتها في نضالها ضد عدوها . وعملية التحول الراديكالي هي النتاج الحتمي للنضال ، اما اللامبالاة والانتهازية فهما النتاج الحتمي للتخلي عن النضال .

وتؤكد المقدمة الخامسة ما يلي : **بقدر ما تشكل الصهيونية نفيا للفلسطينيين فان التحرير يشكل نفيا للصهيونية** . ولا تستطيع التسوية السياسية ضمن الواقع القائم الا ان تعني تسوية قائمة على « لا واقع » الفلسطينيين اي على تقليصهم الى اقتلاع دائم ، الى لاجئين ، الى تجمع من الافراد لا دولة لهم ، وبكلمة ، الى لا شعب . وبناء على ذلك فان التناقض بين الصهيونية والمطالب الفلسطينية يطرح نفسه بشروط مطلقة . ولا يمكن تحقيق تسوية بين الصهيونية والحركة الفلسطينية الا بأحد طريقين : اما باذابة الشعب الفلسطيني او باذابة البنية الصهيونية . والمعادلة هنا هي بين **اذابة شعب واذابة بنية، وبالتحديد اسقاط قيادة اسرائيل وسياستها الصهيونيتين وتعرية جهازها الاستعماري**

---

* ان تشويه هذه الجملة امر سهل بالطبع ، فهي قد تعطي معنى « ابادة الجنس » ولكن « القاء اليهود في البحر » الخ . ولكنه لا يوجد سبيل للحؤول دون مثل هذا التشويه . لقد اغتصب الصهيونيون بيوت الفلسطينيين واراضيهم والقوا بهم في الصحراء ، ولا يزال الامر يبدو وكان الصهيونيين هم « الضحية » . وهذا النوع من التشويه غير ممكن في مناخ عادي سليم ، وربما لا يكون ذلك كله تزييفا واعيا بل نتيجة نوع من ارهاب الاضطهاد Paranoia الجماعي .

والغاء اطارها الثيوقراطي والعنصري ، واستبدال كل ذلك ببنية انسانية حرة ديمقراطية .

في العام ١٩٦٥ عرف ابا ايبان ، وزير خارجية اسرائيل ، السياسة الصهيونية (تجاه العرب) بانها تستهدف في النهاية تحقيق أهداف ثلاثة جميعها تشكل اهدافا نفسية اساسا وهي : « ... خلق (١) **شك** — وفي نهاية الامر (٢) **تسليم** و (٣) **يأس** — حول حلم ازالة اسرائيل من خارطة العالم » . وفي التحليل الاخير فان أهداف المضطهد تشكل أهداف المضطهد . وهكذا فان الهدف الاول لحركة التحرير هو بالضبط منع الصهيونية واسرائيل من تحويل التفوق (العسكري) القائم الى شرعية (سياسية) . ان اليأس من الحفاظ على التناقض بلا حل وبقوة السلاح ، ذلك التناقض الذي خلقته الصهيونية الاستعمارية ، يفتح المجال أمام البديل ، اي التصالح العربي — اليهودي ، الذي لا يمكن تحقيقه الا من خلال التحرير . وعليه فان تحرير فلسطين لا يمكنه الا ان يكون راديكاليا ، انه الشرط المسبق للتغير النوعي في النضال . ومن السهل التسليم بحتمية الحجة القائلة انه بناء على قوة العدو (ودعم الولايات المتحدة له) فان التحرير حلم لا جدوى منه . ولكن التسليم بالحجة المضادة القائلة انه اذا كان المستقبل ليس في صالح الاستعمار الصهيوني والامبريالية الاميركية فانه لا بد من ايجاد بديل للمساومة والتسوية أصعب من ذلك .

وربما لا يكون الوضع ناضجا لبروز حركة تحرير تامة ولكن الظروف ليست جاهزة « للتسوية » ايضا . ان اعطاء الوقت لقوات التحرير قد يقوم به العدو نفسه . وقد يكون الامر انه طالما استمرت الولايات المتحدة في دعمها — وقد تستمر في دعمها الى أجل غير مسمى — وطالما حافظت اسرائيل على تفوقها الذي لا نزاع حوله فمن المحتمل ان تستمر القيادة الصهيونية في تأجيل نوع التسوية الذي تسعى حكومات عربية كثيرة وراءه . وقد يؤدي هذا الى نضوج التناقضات وقد يقدم للفلسطينيين فرصة اخرى للامساك بالمبادرة التاريخية في العالم العربي .

ومع ذلك فان الوضع الحالي يفرض متطلباته الملحة والمباشرة وهذه المتطلبات ليست متغيرة ولا يتوقع ان تفقد اولويتها في المرحلة الحاضرة ولا لزمن قادم .

الامر الاول هو وقف التوسع الاقليمي الصهيوني ووقف استيطان الصهيونيين على اية اراض اضافية في فلسطين وفي الاراضي العربية . ففي العامين ١٩٤٨ — ١٩٤٩ سقطت مساحات شاسعة من الارض تحت السيطرة اليهودية بسبب نمط المستوطنات الصهيونية التي كانت قائمة في فلسطين في العقدين السابقين او العقود الثلاثة السابقة . ولم تكن هذه المستوطنات مجرد ادوات في تأمين مناطق ستراتيجية ولكنها خدمت ايضا كقواعد لاخراج السكان العرب من تلك المناطق . والان يتكرر النمط نفسه في المناطق المحتلة من مرتفعات الجولان الى البحر الميت ، ومن شرم الشيخ الى غزة . وفي حال نشوب حرب في المستقبل فان عملية ١٩٤٨ — ١٩٤٩ ذاتها ستتكرر . وهذه المرة سيعبر اللاجئون نهر الاردن قادمين من غزة والضفة الغربية تاركين مناطقهم خالية وقابلة للضم **بالامر الواقع** . ان التمسك بالارض اذا هو الهدف الاسمى لكل عمل فلسطيني في الحاضر والمستقبل .

اما الامر الثاني فهو تجذير السكان الفلسطينيين في الارض الفلسطينية سواء في اسرائيل العام ١٩٤٨ أم في الضفة الغربية المحتلة ام في قطاع غزة . ولا بد من ايجاد الوسائل لوقف خروج الفلسطينيين من أرضهم بارادتهم او بالاغراء . وفي النهاية سيستطيع أصحاب الارض الشرعيين التمسك بحقوقهم الوطنية في فلسطين وذلك فقط برفضهم « مغادرة » أرضهم و« الاختفاء » عنها . ان اكثر من نصف الفلسطينيين يعيش الآن في

والامر الثالث هو اعاقة الهجرة اليهودية على نطاق واسع الى اسرائيل . وان التوسعية الصهيونية ليست مجرد عملية عسكرية ، انها بصورة رئيسية عملية استيطان . فبدون الهجرة اليهودية على نطاق واسع لا تستطيع الصهيونية تحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية . وطالما ان الهجرة اليهودية الى اسرائيل على نطاق واسع لا تتم (من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة على وجه الخصوص) ـ وطالما ان الهجرة المضادة الضئيلة من اسرائيل تستمر ـ فان الصهيونيين لن ينجحوا ابدا في ان يصبحوا قوة ذات شأن في الشرق الاوسط وسيفشلون في زرع أنفسهم في المنطقة بصورة دائمة . وهذا الامر ضروري لستراتيجية النضال قصيرة وطويلة الأمد .

الامر الرابع هو الحفاظ على المقاومة الفلسطينية حيـة ونـاشطة . ان العنف المنظم للفلسطينيين المضطهدين هو القادر بصورة رئيسية على تحقيق الامور المذكورة اعلاه وعلى خلق حركة تحرير ناجحة ونامية . وان الكفاح المسلح هو شرط تنظيم الشعب وللقيام بالنضال السياسي والحفاظ على نيران التحرير ملتهبة . وفي التحليل الاخير ، ان الكفاح المسلح وحده يستطيع ان يمنع الحقيقة **الثابتة** للعدوان الصهيوني من ان تصبح واقعا **مسلما به** . ان مصير الاجيال القادمة من الفلسطينيين (وغيرهم من العرب) ، سواء أكانوا سيعيشون أحرارا مستقلين أم خاضعين للاستعمار الجديد ، قد يعتمد على ما اذا كانت المقاومة الفلسطينية ستتطور بطريقة تجعل من الممكن بروز حركة تحرير قادرة على تعبئة الجماهير مادة الثورة وعلى تحقيق اهدافها الاجتماعية والسياسية .

صدر حديثا عن مركز الابحاث في م.ت.ف.

كتـــاب

الصهيونية واسرائيل وآســيا

تاليف ج. هـ. جانسن

ترجمة راشـد حميـد

يرتكز الكتاب على قراءات مكثفة في الايديولوجيا الصهيونية وعلى مسح للعلاقات الاسرائيلية بالدول غير العربية في آسيا ، وبذلك جاء مثيرا للتساؤلات العميقة ومقدما مادة اساسية للمهتمين بالصهيونية وبعلاقات اسرائيل مع العالم الثالث .

٢٤٩ صفحة
من الحجم الكبير

٨ ليرات لبنانية

تضاف اليها اجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي
٢٥٠ ق.ل. في اوروبه ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر دول العالم

يهود الولايات المتحدة والحزبان الديمقراطي والجمهوري

عودة ابو ردينة

أعرب الحزبان الاميركيان الجمهوري والديمقراطي في حملة هذه السنة لانتخابات الرئاسة الاميركية عن اهتمامهما باسرائيل ويهود الاتحاد السوفياتي . وسنحاول في هذه المقالة تحليل وتقييم تأثير اليهود الاميركيين على الحزبين المذكورين . ان قلق الحزبين الرئيسيين على اسرائيل ومصلحتها ليس وليد الصدفة كليا . فلقد قال الصحافي الاميركي وليم بكلي : « ان تعهد الولايات المتحدة بضمان استقلال اسرائيل ضروري في الوقت الحاضر لكل من يطمح الى ان يتبوأ سدة الرئاسة ، وذلك لسبب بسيط هو ان الجالية اليهودية بموقعها الستراتيجي سخية جدا في دعم القضايا السياسية ومصرة جدا على مسألة استقلال اسرائيل»(١) . ويشكل اليهود الاميركيون الان قرابة٢٫٩بالمئة من مجموع سكان الولايات المتحدة الاميركية . ولذلك يجب ان تجعل هذه النسبة مجموع الاصوات اليهودية ثانويا وغير ذي اهمية بالنسبة الى مرشحي الرئاسة . الا ان خصوصيات النظام الانتخابي الاميركي تعطي الاصوات اليهودية تأثيرا اكثر من قدرتها العددية بكثير . ان نظام انتخاب الرئيس الاميركي بواسطة « الهيئة الانتخابية » (Electoral College) يعطي قيمة نسبية الى جميع الولايات وفقا لعدد سكان كل واحدة منها . وبما ان معظم اليهود الاميركيين يتمركزون في الولايات الصناعية والمدينية فان أصواتهم تستطيع ان تؤثر في الانتخابات في هذه الولايات حيث يسعى المرشحون للرئاسة بحماس شديد لكسب الاصوات . ويتمركز اليهود الاميركيون في احدى عشرة ولاية على الشكل التالي : نيويورك ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ ، كاليفورنيه ١٫٠٠٠٫٠٠٠ ، بنسلفانيه ٤٤٣٫٥٩٥ ، نيوجيرسي ٣٨٧٫٢٢٠ ، الينوي ٢٨٣٫٠٠٠ ، ماساتشوستس ٢٥٩٫٠٠٠ ، فلوريده ١٨٩٫٠٠٠ ، ماريلاند ١٧٧٫٠٠٠ ، أوهايو ١٦٠٫٠٠٠ ، كونكتيكت ١٠٣٫٠٠٠ ، ميشيغن ٩٨٫٠٠٠ ، تكساس ٦٥٫٠٠٠ . ويبلغ مجموع مقاعد هذه الولايات مجتمعة في « الهيئة الانتخابية » ٢٧٧ مقعدا . والجدير بالذكر ان على المرشح للرئاسة الحصول على ٢٧٠ صوتا في هذه الهيئة كي ينجح .

والى جانب تمركز اليهود الاميركيين في الولايات المدينية الكبيرة وفي المدن ، فانهم « يسجلون ويصوتون حتى آخر رجل وامرأة فيهم بينما لا يفعل الآخرون ذلك »(٢) . تبلغ اهمية الاصوات اليهودية ضعف ما يشير اليه عددها . فقد كتب جوزف السوب يقول : « في مدينة نيويورك مثلا يشكل اليهود ربع السكان فقط بينما ٤٠ في المئة من الاصوات هي أصوات يهودية »(٣) .

لقد خاض المرشحون الرئيسيون للرئاسة عن الحزب الديمقراطي — مسكي وجاكسون وهمفري ومكغفرن — حملتهم الانتخابية «وكأن طموحهم الحقيقي أن يجلسوا في الكنيست

في القدس »(٤). وقد صدر اثناء الحملة الانتخابية الاولية في فلوريدا بيان عن مركز الحملة الرئيسي للسيناتور مسكي (عن ولاية مين) يحييه بقوله : « فائز يناضل من اجل قضية فائزة هي أمن اسرائيل »(٥). ونشر العاملون في حملة همفري الانتخابية اعلانا في صفحتين في صحيفة « جويش فلوريدين » الاسبوعية يتساءل : « اي مرشح ديمقراطي افضل صديق لاسرائيل ؟ »(٦) ثم يجيب ان السيناتور هيوبرت همفري هو المرشح الوحيد الذي يدعم مطالب اسرائيل بالجزء العربي من القدس . ورد العاملون مع جاكسون باعلان مؤلف من صفحتين وفي الصحيفة نفسها ايضا مؤكدين « ان احدا لم يعمل اكثر من السيناتور م. جاكسون في سبيل مساعدة اسرائيل »(٧). وفي سبيل الحصول على الاصوات اليهودية الكثيرة في فيلادلفيه اثناء الانتخابات الاولية في بنسلفانيه قال السيناتور همفري « انني سأذهب الى اسرائيل » . وذكرت صحيفة « نيويورك تايمز » انه بسبب عدد السكان اليهود الكبير قال الزعماء اليهود لهمفري انه يجب عليه « تجديد اوراق اعتماده » اذا كان يتوقع تأييد اليهود له في الانتخابات . وبناء على ذلك اصدر السيناتور همفري بيانا يقول ان الولايات المتحدة قد رفضت الاعتراف بالقدس يهودية وان الرئيس نيكسون « لم يجد الوقت أبدا لزيارة اكثر اصدقائنا ولاء في الشرق الاوسط. ومهما يكون دوري في الحياة الاميركية العامة في العام القادم فانني سأقوم برحلة الى القدس للمشاركة في احتفالات الذكرى السنوية الخامسة والعشرين لقيام اسرائيل »(٨).

وحتى السيناتور مكغفرن ، اكثر المرشحين اعتدالا ، تخلى عن اعتداله السابق حول الشرق الاوسط « لان الذي يدعم اسرائيل باندفاع شديد يجلب الاصوات اليهودية »(٩). ولقد توج مكغفرن رأسه بقلنسوة الصلاة في كنيس وادي سان فرناندو حيث دعا ادارة نيكسون الى الاعتراف بالقدس عاصمة لاسرائيل « والى نقل سفارتنا الى هناك »(١٠). وقال مكغفرن أيضا انه يجب على الولايات المتحدة ان « تزود اسرائيل بالطائرات المتقدمة وغيرها من المعدات التي تحول دون الهجوم عليها . وتسليم هذه الاسلحة ... يجب الا يشترط موافقة اسرائيل على المطالب الدبلوماسية الاميركية بل يجب ان يكون التزاما مستمرا يقوم على اساس المتطلبات العسكرية فقط »(١١). اما جورج لاردنر الابن فقد قال بصراحة في صحيفة واشنطن بوست : « ولكن هنا في كاليفورنيه ... كان مكغفرن يلعب اللعبة القديمة ذاتها ، كان ينشد اناشيد المديح للجميع من النبي ابراهيم الى موشيه دايان »(١٢). واثناء الانتخابات الاولية في نيويورك طبع رجال مكغفرن ثلاثة ملايين نشرة تصفه بانه « مدافع قوي عن اسرائيل »(١٣). ونقلت احدى النشرات عن مكغفرن قوله انه سيبيع طائرات الفانتوم النفاثة الى اسرائيل ويسلمها تلك الطائرات في غضون أسبوع بعد تسلمه مهامه رسميا . وقالت النشرة ايضا انه يدعم ضم اسرائيل مدينة القدس اليها(١٤). وتم ذلك لمواجهة مزاعم رجال همفري ، ان مكغفرن « ضعيف » في موقفه من اسرائيل ولمواجهة ما قاله مانفرد أهرنشتاين ، عضو مجلس الشيوخ الاميركي عن ولاية نيويورك ، أن « اصوات جزء من المؤسسة الصهيونية في هذا البلد ... سيتحدد على ضوء ما يعتقدون ان نيكسون فعله من أجل اسرائيل، ويعتقدون انه فعل الكثير في هذا السبيل . فهم متجهون نحو مسألة واحدة تشكل كل ما يستطيعون رؤيته . ولذلك فهم يشعرون انهم ملزمون وسيفون هذا الالتزام »(١٥).

وهكذا لعب الزعماء السياسيون اليهود أدوارا بارزة شملت أمورا واضحة جدا في حملة مكغفرن الانتخابية الناجحة للفوز بترشيح الحزب الديمقراطي له ضد ريتشارد نيكسون لانتخابات الرئاسة في السابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢ . ولقد رشح السيناتور ابراهام ريبيكوف ، حاكم ولاية كونكتيكت السابق ، صديقه القديم والطيب ، مكغفرن في مؤتمر الحزب حيث القيت ثماني عشرة خطبة أمام ٣٠١٦ مندوبا بينهم ٣٠٠ يهودي ترشح ستة اشخاص . ولم يشر أي من الخطباء عدا ريبيكوف وحده الى اسرائيل بقوله

ان « دور (مكغفرن) القيادي في انهاء مأساة فيتنام لم يقلل من عزمه على حماية المصالح الحقيقية للولايات المتحدة في اوروبه وعلى بقاء اسرائيل في الشرق الاوسط»(١٦). وبعد ان انتصر مكغفرن في الاقتراع الاول اعلن ريبيكوف وماندل عضوين في الوفد الرسمي للحزب الذي سيبلغ مكغفرن رسميا نبأ ترشيحه . وتجدر الاشارة هنا الى ان ماندل هو احد ثلاثة حكام من اليهود جميعهم في الحزب الديمقراطي ، اما الاخران فهما ملتون شاب ، حاكم ولاية بنسلفانيه ، وفرانك ليشت ، حاكم ولاية رود ايلاند . وكان ليشت رئيس وفد ولايته الذي اقترع اعضاؤه الاثنان والثلاثون الى جانب مكغفرن . ورئس ماندل ايضا شخصيا وفد ماريلاند الا ان هذا الوفد لم ينجح في الاقتراع بأغلبية اعضائه الى جانب مكغفرن الذي حصل على ١٣ صوتا فقط في حين صوت ثمانية وثلاثون الى جانب جورج ولاس ، حاكم ولاية الاباما .

وبرز نفوذ اليهود الاميركيين في الحزب الديمقراطي في ذلك البند من البرنامج السياسي المتعلق باسرائيل الذي نص على انه : « يجب على الولايات المتحدة ان تلتزم التزاما تاما بدعم اسرائيل في حقها في الوجود ضمن حدود آمنة يمكن الدفاع عنها . ويجب على الادارة الديمقراطية القادمة أن تعلن وتنفذ التزاما ثابتا وعلنيا طويل الامد بتزويد اسرائيل بالطائرات وغيرها من المعدات العسكرية بكميات وانواع متقدمة حسب حاجتها من أجل الحفاظ على قوتها الرادعة في وجه تكديس الاسلحة السوفياتية والتهديدات العربية لتجديد الحرب ، وان تسعى الى جمع الطرفين في مفاوضات مباشرة في سبيل حل سياسي دائم ... وان تحافظ على التزام سياسي وقوة عسكرية كبيرة في اوروبه وفي البحر الابيض المتوسط بحيث تردع الاتحاد السوفياتي عن ممارسة ضغط لا يطاق على اسرائيل . وان تعترف بالقدس كعاصمة لاسرائيل وان تدعم الوضع القائم فيها بحيث تتاح حرية الوصول الى الاماكن المقدسة للاديان كافة »(١٧).

ان اليهود الاميركيين هم « من الممولين الرئيسيين للاحزاب السياسية ، وخاصة للديمقراطيين ، تماما مثلما هم الممولون الرئيسيون لاسرائيل نفسها » (١٨). ويعتمد رجال السياسة الاميركيون اكثر فأكثر على مبالغ كبيرة من المال في حملاتهم الانتخابية . وهذا ما عبر عنه السيناتور مسكي بايجان عندما انسحب من الانتخابات الاولية : « ليس لدينا المال ... ببساطة لا يمكن خوضها (الانتخابات) بدون المال »(١٩). وهكذا فان المرشحين للرئاسة مدينون بازدياد لاولئك المتبرعين اليهود الذين يستطيعون تزويدهم بالمال . « فمع ازدياد تكاليف خوض الحملات يزداد نفوذ الدولار »(٢٠). ان قلب الحزب الديمقراطي المالي هو الاستثمار اليهودي الذي يقوم به اصحاب البنوك اليهود في « وول ستريت » . وتجدر الاشارة هنا الى مجموعتين اثنتين تسيطران على وول ستريت هما الـ WASPS (اميركيون من نيو انغلند) واليهود .

ومن المستثمرين اليهود اصحاب البنوك : لحمان اخوان ، وغولدمان ، وساكس وشركاه ، وكوهن ، ولواب وشركاه ، ولازارد اخوان ، وكارل م. لؤاب ورودس (Rhoades) . هذا وان الاشخاص الذين يديرون هذه المؤسسات تربطهم بصورة وثيقة صلات عائلية وتجارية تعود الى زمن وصول الافراد الاول من عائلاتهم الى الولايات المتحدة . وعلى سبيل المثال فان اقارب لحمان وحدهم يجمعون معظم البيوت اليهودية من اصحاب البنوك في عائلة واحدة كبيرة . وهكذا نجد ان جون ل. لؤاب (من كارل م. لؤاب ورودس) وبنيمين بطنفيزر (احد كبار الشركاء في كوهن ولؤاب) متزوجين امراتين من عائلة لحمان . وآرثر التشوتل (من غولدمان وساكس) تربطه قرابة وثيقة بلحمان . وهناك امثلة كثيرة أخرى . فكوهن متزوج من لؤاب وشيفس (من كوهن ولؤاب) متزوج من عائلة ووربورغ (من كوهن ولؤاب) .

ان شركاء كثرين وموظفين عديدين في المصارف اليهودية يعملون مدراء في شركات كبيرة. وهذا يعني انهم يمثلون دورا بارزا على الرغم من انهم لا يسيطرون بالضرورة على المصالح المالية . وعلى سبيل المثال فان لازارد اخوان وشركاه وصفت بانها من اقوى البيوت المالية في وول ستريت . ويسيطر على هذه الشركة اندريه ماير البالغ الثالثة والسبعين من العمر « واحد اقوى الرجال في وول ستريت والذي يشكل بذلك قوة رئيسية في الدوائر المالية الدولية »(٢١). وجدير بالذكر أن السجلات الراهنة تشير الى أن شركاء لازارد يعملون حاليا كمدراء لاكثر من ستين شركة ، حوالي نصفها من الشركات العامة الكبيرة(٢٢). ولا بد لنا ان نذكر ان صلة ماير بآل كنيدي وثيقة ، فهو يقدم لهم المشورة حول المسائل المالية وبالاضافة الى ذلك يعتبر ماير ان الرئيس الاميركي السابق ليندون جونسون ودافيد روكفلر (تشيز مانهاتن بنك) من اصدقائه . وهناك اصدقاء متنفذون اخرون لماير في الولايات المتحدة منهم يعقوب جافيتس وشارل بيرسي وادوارد كنيدي ، اعضاء مجلس الشيوخ الاميركي ، وهنري فولر ودوغلاس ديلون ، وزيرا المالية السابقان في الولايات المتحدة .

« ومع ذلك فانه لا حاجة بنا الى القول ان رجال الاعمال اليهود وليس الاميون هم الذين يتزعمون الدعم المالي للحزب الديمقراطي في وول ستريت بالاضافة الى تقديمهم عددا من الخدمات واسباب الراحة الى المرشحين والمسؤولين في الحزب . وهناك عدة عائلات في هذه المجموعة تقدم للحزب بعض اكبر المتبرعين له والذين يجمعون الاموال في سبيله . وفي العام ١٩٦٤ ، على سبيل المثال ، قدم العديد من آل لحمان ما مجموعه ٣٧،٠٠٠ دولار للمرشحين الديمقراطيين . وقدم اندريه ماير وحده ٣٥،٠٠٠ دولار . وفي العام ١٩٦٨ قدم جون ل. لؤاب واقاربه وشركاؤه مبلغ ٩٠،٥٠٠ دولار ، كما سلفهم لؤاب شخصيا مبلغ ١٠،٠٠٠ دولار اخر »(٢٣). ومن كبار المتبرعين للحزب الديمقراطي في منطقة نيويورك ، ماري لاسكر ، ارملة البرت لاسكر الذي اثرى ثراء فاحشا من جراء عمله في الاعلانات(٢٤). ويقوم بجمع الاموال للحزب الديمقراطي بصورة رئيسية في نيويورك أشخاص اخرون مثل آرثر كريم ، وروبرت بنيمين ، وارنولد بيكر (عن الفنانين المتحدين) وهوارد شتاين (من شركات درايفوس) . ووردت معظم اموال الحزب الديمقراطي في نيوجيرسي في السنوات الاخيرة من ليون هس (اميرادا — هس بتروليوم) والراحل شارل انغلهارد (صناعات انغلهارد)(٢٥).

وكان البرت م. غرينفيلد ، لعقود خلت ، ابرز الذين يجمعون المال في بنسلفانيه . أما الان فان غرينفيلد ميت . الا ان مهمة جمع الاموال قد تقع على كاهل غوستاف امستردام (Greenfield's Bankers Securities Corp.) . وسيقوم بمساعدة امستردام يهود بارزون آخرون مثل فريدريك مان (رئيس Industrial Container Corp.) وفيليب بيرمان (رئيس Hess Department Store) وآرون غولدمان (Macke Vending Company)(٢٦). ونستطيع ان نتبين بجلاء دور رجال الاعمال اليهود في تمويل الحزب الديمقراطي في شيكاغو من خلال حقيقة ان « ٢٩ من أصل نحو الـ ١٢٠ رجلا الذين أعطوا ١٠٠٠ دولار أو أكثر الى « نادي الرئيس جونسون » في العام ١٩٦٤ كانوا اعضاء في « ستاندرد كلب » الذي تقتصر عضويته على اليهود فقط الى حد بعيد . وأمكن التعرف على ١٠ اشخاص فقط كأعضاء في « نادي شيكاغو » الذي يعتبر معقل الاثرياء من غير اليهود في هذه المدينة »(٢٧). وفي كاليفورنيه نجد ان ابرز جامعي الاموال والمتبرعين هم ، بشكل رئيسي ، من اثرياء رجال الاعمال اليهود بمن فيهم صاحبا العقارات بن سويغ و وولتر شورنشتاين وصديقهما وزميلهما في التجارة ادولف شومان الذي يرئس شركة لصناعة الالبسة . اما الذين يجمعون المال في لوس انجيليس فمعظمهم من اعضاء Hillcrest Country Club وهو اكثر الاندية

اليهودية في المدينة اقتصارا على اليهود . ويضم هذا النادي رجل المال مارك تيبر ، والمحامي يوجين وايمان ، وجو شاين ولورنس هارفي . ومن المتبرعين السياسيين البارزين الآخرين بولس زيغرن وجون فاكتر ومايلز روبين وماكس بالفسكي . هذا ويقدر ان ٦٠ — ٩٠٪ من الاموال التي تجمع في كاليفورنيه تأتي من اليهود(٢٨) . ومدينة نيو اورلينز هي المدينة الجنوبية الكبيرة الوحيدة التي يسيطر فيها اليهود على الناحية المالية في الحزب الديمقراطي ، ومنهم عائلة شتيرن التي تملك جزءا كبيرا من شركة سيرز وروبك ، ورجل الاستثمار المصرفي هيرمان كوهلماير (كوهلماير وشركاه) والمحامي ستيفن ليمان وتاجر القهوة سام اسرائيل(٢٩) .

ولقد لعب اليهود الاميركيون دورا محوريا في تمويل حملة السيناتور همفري لانتخابات الرئاسة في العام ١٩٦٨ . ووفقا لما تقوله Citizens Research Foundation فقد تلقى همفري المبالغ التالية بالدولار :(٣٠)

جون فاكتور وزوجه ١٠٠،٠٠٠ ، السيدة البرت لاسكر ٦٠،٠٠٠ ، جاك درايفوس وزوجه ٦٣،٠٠٠ ، نورمان كزنز ٥٥،٠٠٠ ، ليو فاسرمان وزوجه ٥٤،٠٠٠ ، هاري براثت وزوجه ٤٥،٠٠٠ ، فريدريك ر. مان ٣٠،٠٠٠ . وقدم جون فاكتور ٢٤٠،٠٠٠ دولار اضافية على شكل قروض . وجدير بالذكر هنا ان جون فاكتور هذا ، وهو من رجال التأمين في ولاية كاليفورنيه أعفي في العام ١٩٦٢ بواسطة الرئيس جون كنيدي من تهمة التحايل (عن طريق الرسائل) التي أدين بها في العام ١٩٤٣ . وسلف ليو فاسرمان، رئيس «شركة الموسيقى» في اميركه، لهمفري مبلغ ٢٤٠،٠٠٠ دولار في العام ١٩٦٨(٣١) .

اما الرجل الذي قام بجمع معظم الاموال من اجل حملة همفري في العامين ١٩٦٨ و ١٩٧٢ فهو يوجين وايمان الذي يدير مكتبا يضم ٦٠ موظفا في لوس انجيليس . واحد العوامل الاساسية في نجاح وايمان كرجل مال سياسي كونه يعمل في بفرلي هيلز بالغة الغنى والمأهولة باليهود بصورة كثيفة . وهناك عامل آخر هو اتصالاته مع اغنى اغنياء اليهود الاميركيين عبر « سندات اسرائيل » . ويضم مكتب وايمان صورة له مع غولدا مئير عندما اجتمعت به للاعراب عن امتنانها له بسبب الدور الذي لعبه في بيع ما قيمته ٢١ مليون دولارا من السندات الاسرائيلية(٣٢) . ويعود دعم اليهود الاميركيين المالي لهمفري الى دعمه الاعمى لاسرائيل . فقد قال وايمان « ان هيوبرت همفري هو أفضل بائع سندات اسرائيلية في البلاد »(٣٣) .

وفي ما يلي قائمة بأسماء المتبرعين اليهود الرئيسيين لحملة همفري الانتخابية في العام ١٩٧٢ : (٣٤)

اسم المتبرع	الهبات	القروض
آرثر كوهين	١٠،٠٠٠ دولار	
جوزف كول	٤٥،٠٠٠ دولار	٣٢٥،٠٠٠ دولار
جون فاكتور	٦٠،٠٠٠ دولار	
ميلتون فلبرت	١٠،٠٠٠ دولار	
ستانلي غولدبلم	٢٥،٠٠٠ دولار	
ايرفنغ كاهن	٧٥،٠٠٠ دولار	
ايرفنغ كوسلوف	١٠،٠٠٠ دولار	
ماكس كامبلمان	٥،٠٠٠ دولار	
يوجين كلاين	٦،٠٠٠ دولار	٥٠،٠٠٠ دولار
فيليب كلاتسنيك	٥،٠٠٠ دولار	
جون لؤاب وزوجه	٥٠،٠٠٠ دولار	

آرثر لفنان	١٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار	
ارت . بوليسكي	٥٠،٠٠٠ دولار	
لورنس روزنتال	١١٠،٠٠٠ دولار	
مشلم ريكليس	١٢٥،٠٠٠دولار	١٥٠،٠٠٠ دولار
مارفن روزنبيرغ	٥٠،٠٠٠ دولار	
صموئيل روثبيرغ	١٥٠،٠٠٠ دولار	
دانيال شوارتس	٣٨٠،٠٠٠ دولار	٥٠٠،٠٠٠ دولار
والتر شورينشتاين	٢٥٠،٠٠٠ دولار	
روبرت كوغود	٥٠،٠٠٠ دولار	
يوجين وايمان	٢٧٠،٠٠٠ دولار	
غلبرت لحمان	١٢٥،٠٠٠ دولار	٥٠٠،٠٠٠ دولار

نلاحظ ان القائمة تضم أسماء الذين يتبرعون بمبلغ ٥٠٠٠ دولار فما فوق فقط . وهناك عدد كبير من المتبرعين اليهود الذين قدموا أقل من خمسة آلاف دولار . ومن بين الذين تبرعوا لهمفري عدد من الناس الذين تربطهم صلات وثيقة باسرائيل ، وهؤلاء هم : لويس بوبار ، زعيم منظمة السندات اليهودية « والرفيق الدائم لغولدا مئير رئيسة الوزراء الاسرائيلية »(٢٥). ومشلم ريكليس ، الرئيس المساعد للنداء اليهودي المتحد الكبير في نيويورك . وجوزف كول مدير PEC Israel Corporation التي تملك أجزاء رئيسية من شركات اسرائيل مثل كرمل واينز المحدودة ، وايحود للتأمين ، ودهانات تامبور . وهناك ايضا صموئيل روتبيرغ المدير العام لمنظمة السندات الاسرائيلية ، وروبرت كوغود عضو لجنة الشؤون العامة الاميركية الاسرائيلية التي تعمل في الكونغرس من أجل كسب التأييد لاسرائيل .

اما اللائحة التالية فتتقدم جزءا من أسماء المتبرعين اليهود الذين قدموا لحملة مسكي خمسة آلاف دولار أو أكثر :

المتبرعون اليهود الرئيسيون لحملة مسكي

الاسم	المكان	المبلغ
اليكس ابراهام	نيويورك	٥٠،٠٠٠ دولار
جو البرسون	بفرلي هلز ، كاليفورنيه	١٢،٥٠٠ دولار
اليكس جان بنيمين	نيويورك	١٨،٧٥٠ دولارا
سليمان بيكر	بفرلي هلز ، كاليفورنيه	١٠،٠٠٠ دولار
ايرفنغ بلم	بلتمور ، ماريلاند	٦،٠٠٠ دولار
ب. جيرالد كانتور	بفرلي هلز ، كاليفورنيه	٥٠،٠٠٠ دولار
نورمان كرنز	نيويورك	١٥٠،٠٠٠ دولار
سيدني فاكتور	بفرلي هلز ، كاليفورنيه	٥،٥٠٠ دولار
جوزف ملنر وأولاده	نيويورك	٣٢٠،٠٠٠ دولار
ادوار غنزبرغ	كليفلاند	٥٠،٠٠٠ دولار
بيلي غولدبيرغ	هوستن ، تكساس	١٠،٠٠٠ دولار
برام غولد سميث وزوجه	بفرلي هلز ، كاليفورنيه	٥،٥٠٠ دولار
تشارلز غولدشتاين	ميامي ، فلوريده	٥٠،٠٠٠ دولار
ستانلي غولدشتاين	بروفيدنس ، رود ايلاند	٥٠،٠٠٠ دولار
سانفور غرينبيرغ وزوجه	واشنطن العاصمة	٥٠،٠٠٠ دولار
مالكوم هشت الابن	ووترتاون ، ماساتشوستس	٥٠،٠٠٠ دولار

جيرالد هوفبيرغر	بلتمور ، ماريلاند	٦،٠٠٠ دولار
دافيد كار	باريس	٥،٠٠٠ دولار
هوارد كوفين	شيكاغو ، الينوي	٥،٠٠٠ دولار
دافيد كريغر	واشنطن العاصمة	١٠،٠٠٠ دولار
فريدريك وبولا ديتس مورغان	نيويورك	١٦،٠٠٠ دولار
هارولد بيرلمان	شيكاغو ، الينوي	٣٢،٠٠٠ دولار
ارنولد بيكر وزوجه	غولدبيتش ، فلوريده	٣٩،٨٩٣ دولارا
ليونيل بينكس	نيويورك	٥،٠٠٠ دولار
السيدة رالف بومرنوس	كونكتيكت	١١،٢٥٠ دولارا
ادوار بيسزيك	فيلادلفيه	١٠،٠٠٠ دولار
سومنر ردستون	بوسطن	٥،٠٠٠ دولار
ارنولد سولتسمان	نيويورك	٥،٢٣٣ دولارا
وولتر شورينشتاين	سان فرانسيسكو ، كاليفورنيه	٥،٠٠٠ دولار
فيليب شايندلينغ	بفرلي هلز ، كاليفورنيه	٧،٥٠٠ دولار
تشارلز سميث	واشنطن العاصمة	٥،٠٠٠ دولار
أ. ستينبيرغ	نيويورك	٥،٠٠٠ دولار
سيدني شتاين الابن	شيكاغو ، الينوي	١٠،٠٠٠ دولار
السيدة ليونارد سبري	بفرلي هلز ، كاليفورنيه	٥،٠٠٠ دولار
جوزف سيناي	لوس انجيليس	١٢،٠٠٠ دولار
لورنس تيش	نيويورك	٥،٠٠٠ دولار
برستون تيش	نيويورك	٥،٠٠٠ دولار
بول زيغرن	ماليبو ، كاليفورنيه	٥،٠٠٠ دولار
جاي وسليغ زيسيس	نيويورك	١١،٠٠٠ دولار
الفين زيسيس	نيوتون ، ماساشوستس	٧،٩٧٨ دولارا

المصدر : **واشنطن بوست** ، ٢٨ آذار (مارس) ١٩٧٢ ، ص ١ — ١٠ .
نيويورك تايمز ، ٢٨ آذار (مارس) ١٩٧٢ ، ص ٢٦ .

يظهر أن أكثر المتبرعين سخاء هم من عائلة ارنولد بيكر الذي يشغل منصب رئيس اللجنة التنفيذية لشركة الفنانين المتحدين ، ويلعب بيكر هذا دورا رئيسيا في جمع الاموال لمسكي . ولقد بلغ مجموع ما قدمته عائلة بيكر ٥٣،٨٩٣ دولارا(٣٦). وأعلن مسكي أيضا عن تلقيه مبالغ اضافية هامة من اليهود الاميركيين في شركة الفنانين المتحدين وغيرها من الشركات العاملة في صناعة السينما . وتشمل التبرعات التي تقدمها شركة الفنانين المتحدين (بالاضافة الى مبلغ الـ ٥٣،٨٩٣ دولارا) ١٢٥٠ دولارا من دافيد بيكر (رئيس الفنانين المتحدين) و ١٠٠٠ دولار من آرثر كريم (رئيس مجلس ادارة الشركة) و ٢٠٠٠ دولار من روبرت س. بنيمين (الرئيس المشارك للمجلس) و ١٨٧٥٠ دولارا من السيدة بنيمين و ٥٠٠ دولار من اريك ر. بلسكو و ١٠٠ دولار من فرد غولدبيرغ (وكلاهما نائب للرئيس) . ومجموع ما تقدمه الشركة هو ٧٧،٤٤٣ دولارا(٣٧). اما الذين يجمعون المال لمسكي في كاليفورنيه فمنهم بول زيغرن الذي قدم مبلغ ٥٠٠٠ دولار وجو سبيتاي الذي تبرع بمبلغ ١٢،٠٠٠ دولار ، وكلاهما مؤيد قوي لاسرائيل . وهناك هبات اخرى تأتي من صناعة السينما اذ قدم في شركة (Loew)كل من لورنس تيش (المدير) وبرستون ر. تيش (الرئيس) مبلغ ٥٠٠٠ دولار . وقدم مايكل ردستون ، مدير شركة مسرح نورث ايست ٥٠٠٠ دولار كما قدم ابنه سومنر (رئيس الشركة) مبلغا مماثلا، وبالاضافة

الى ذلك دفع ادوار رندستون، شقيق بومر، مبلغ ١٥٠٠ دولار(٣٨). ولقد برع بورمان كزبرا، المحرر السابق في مجلة « ساترداي ريفيو »، بمبلغ ١٥،٠٠٠ دولار لحملة مسكي. وتبرع فريدريك مورغان (المحرر في مجلة « هدسون ريفيو » وعضو هيئة التدريس في جامعة برنستون) وزوجه بمبلغ ١٦،٠٠٠ دولار. ومن المتبرعين اليهود الآخرين المعروفين ليونيل بنكس الذي تبرع بمبلغ ٥٠٠٠ دولار والسيدة رالف بومرونس التي قدمت مبلغ ١١،٢٥٠ دولارا. وقام هارولد بيرلمان (من رجال الاعمال اليهود في ويلمات في ولاية ايلينوي) بتقديم مبلغ ٣٢،٠٠٠ دولار. وقبل انسحاب مسكي من حملة الانتخابات الاولية قال بيرلمان لمسكي انه « مستعد لتخصيص ١٠٠،٠٠٠ دولار... لهدف مساعدته في أن يترشح وينتخب »(٣٩). وجدير بالذكر ان بيرلمان من اكبر اصحاب الاسهم في شركة وستنغهاوس (اذ يملك ١٦٥،٠٠٠ سهم) التي تعمل في اسرائيل. وشملت لائحة المتبرعين لمسكي يهودا بارزين من العاملين بنشاط من اجل اسرائيل : لورنس تيش (المدير المشارك للنداء اليهودي المتحد الكبير في نيويورك) ودافيد كريغر (في لجنة الشؤون العامة الاميركية الاسرائيلية) وتشارلز سميث (من اللجنة نفسها) وايرفنغ بلم (الذي رئس اللجنة التي طورت معهد المعيشة اليهودية التابع لمجلس الاتحادات اليهودية) وادوار غينزبيرغ (رئيس لجنة التوزيع المشترك في كليفلاند) وجيرولد س. هوفبرغر (من لجنة الشؤون العامة الاميركية الاسرائيلية) وكبار المسؤولين في وكالة البرق اليهودية. وهناك آخرون أيضا مثل السيدة ليونارد سبري (رئيس مجلس « انظمة المعلومات العلمية » Scientific (XEROX) Data Systems التي لها فرع اضافي في اسرائيل) وروبرت بنيمين (رئيس اللجنة التنفيذية في المؤسسة الثقافية الاميركية الاسرائيلية وعضو مجلس امنائها). وهناك أخيرا جوزف فلنر واولاده الذين قدموا ٣٢،٠٠٠ دولار. وفلنر هو احد الذين يجمعون الاموال للنداء اليهودي الموحد.

هذا ويلعب اليهود الاميركيون دورا هاما في تمويل حملة السيناتور مكغفرن لانتخابات الرئاسة ضد ريتشارد نيكسون. واحد اكبر ممولي مكغفرن هو ماكس بالفسكي الذي يقول انه اعطى الى مكغفرن ٣٥٠،٠٠٠ دولار على شكل منح وقروض قبل انعقاد المؤتمر الديمقراطي(٤٠). وبالفسكي هو اكبر اصحاب الاسهم في XEROX بالاضافة الى انه رئيس مجلس ادارة « انظمة المعلومات العلمية المحدودة في اسرائيل ». اما ثاني اكبر الممولين لحملة مكغفرن فهو مايلز روبين، أحد رجال الصناعة في لوس انجيليس، الذي قدم حتى الان ٨٦،٠٠٠ دولار(٤١) على شكل هبات و٨٥،٠٠٠ دولار(٤٢) على شكل قروض. ويشكل المرتبة الثالثة هنري كيملمان الذي يتولى توزيع المستوردات الرئيسية في فيرجن آيلاندز وصاحب فندق هيلتون في المنطقة ذاتها بالاضافة الى انه يرئس اللجنة المالية القومية التابعة لمكغفرن. وقد قدم هو نفسه هبات بقيمة تفوق ٥٩،٠٠٠ دولار وقروضا بقيمة ١٠٠،٠٠٠ دولار(٤٣). وقد قام كيملمان بتنظيم جماعة من المتبرعين لجمع الاموال لمكغفرن وذلك تحت اسم Woonsocket Club تيمنا ببلدة صغيرة في ولاية داكوته الجنوبية امضى فيها مكغفرن دراسته الثانوية. وفي سبيل الاشتراك في عضوية هذا النادي يجب ان يدفع المتبرع مبلغ ٢٥،٠٠٠ دولار على الاقل. وبين أعضاء هذه الجماعة يهود بارزون منهم ماكس بالفسكي وروبرت مغرهوف وابنر ليفاين وهارولد ويلنز والممثلة شيرلي مكلين. ويقول كيملمان انه سيجمع من خمسة الى عشرة ملايين دولار لحملة الخريف وثلاثين الى خمسة وثلاثين مليون دولار للحملة الانتخابية بأسرها(٤٤). ومن المتبرعين الآخرين ماكس فاكتور الثالث(٤٥) الذي قدم قرضا بمبلغ ٥٠،٠٠٠ دولار وتشارلز سبيل الذي قدم هبات بقيمة ١٢،٥٠٠ دولار وبرنارد فايسبورد قدم مبلغ ٧٠٠٠ دولار وفرانك توبين مبلغ ١٤،٩٩٥ دولارا وآبنر ليفاين ٦،٨٧٥ دولارا وادغار برونفمان ٥٠٠٠ دولار وبرنارد روبين وزوجه مبلغ ١٠،٠٠٠

دولار وجاك هولتزمان ٥٠٠٠ دولار وفرد ايشتاين ٦٠٠٠ دولار ولويس وولفسون ٥٠٠٠ دولار وتوربرت كريغل ١٠٠٠٠ دولار(٤٦). ولا بد لنا من ان نذكر ان كثيرين من اليهود قدموا أقل من ٥٠٠٠ دولار . أضف الى ان كثيرين من اليهود البارزين في العمل المسرحي والسينمائي يجمعون المال مثل برباره سترايسند . ويلقى مكغفرن دعم مليونيرين يهوديين بارزين هما هوارد ساميلز (الذي يطمح أن يصبح حاكم نيويورك في العام ١٩٧٤) وهوارد متسنباوم (المرشح الديمقراطي عن اوهايو في العام ١٩٧٠)(٤٧). ويذكر ان جاك كابلان وزوجه جمعا في أول أيار (مايو) ١٩٧٢ مبلغ مليون دولار على شكل هبات وتعهدات لمكغفرن في جلسة في شقتهما في بارك افنيو(٤٨). ومن بين الذين حضروا الجلسة أو الذين أعلنت تعهداتهم في غيابهم جوان بالفسكي (زوج ماكس بالفسكي السابقة) التي قدمت ٥٠٠٠٠ دولار . ومن جهة اخرى فان كثيرين من أغنياء اليهود يتجهون الى تأييد ريتشارد نيكسون ودعمه لان مشاعر القلق تراودهم حول سياسات مكغفرن الخارجية والاقتصادية . وسنتناول تحول اغنياء اليهود الى تأييد نيكسون بالنقاش في هذه الدراسة . وفي ما يلي أسماء بعض المتبرعين اليهود من انصار مكغفرن المعروفين بتفانيهم لاسرائيل : تشارلز سميث (من لجنة الشؤون العامة الاميركية الاسرائيلية) الذي قدم ٢٠١٠٠ دولار ، وماير فلدمان الذي أعطى ١٠٠٠٠ دولار ، والذي خدم كمستشار لدى الرئيس جون كنيدي « والذي كان القوة الموجهة في القرار الذي نص على ارسال اول مساعدة عسكرية اميركية هامة الى اسرائيل — ارسال صواريخ هوك التي شحنت الى اسرائيل في العام ١٩٦٣ . ومارس فلدمان مرة ضغطا شديدا حول مسألة تتعلق بمقبرة في ذلك الجزء الذي كان تحت السيطرة الاردنية الى درجة انه هدد وزير الخارجية دين راسك بالاستقالة »(٤٩). ونذكر فرانك لوتنبرغ (أول نائب رئيس لمؤسسة اصدقاء الجامعة العبرية الاميركيين) الذي يلعب دورا رئيسيا في جمع الاموال للمؤسسات التربوية الاسرائيلية . ونذكر ايضا آبنر ليفاين كشخص يجمع الاموال لاسرائيل ومكغفرن .

وهناك ممولون ومؤيدون يهود وراء الحزب الجمهوري أيضا . الا « أن ما يجعل جامعي الاموال من اليهود يبرزون الى ذلك الحد من البروز في صفوف الديمقراطيين ليس الوجود اليهودي البارز بقدر ما هو غياب البروتستانت البارز »(٥٠). وعلى سبيل المثال قدم اعضاء كثيرون في نادي هارموني في نيويورك (وهو أقدم ناد للذكور اليهود فقط) في العام ١٩٦٨ مبلغ ٥٠٠ دولار أو أكثر الى الجمهوريين ، كما فعلوا مثل ذلك بالنسبة للديمقراطيين . وفي ستاندرد كلوب (وهو نظير نادي هارموني) في شيكاغو قدم ثلاثة وعشرون عضوا مبلغ ٤٣٠٠٠ دولار للديمقراطيين كما قدم احد عشر عضوا مبلغ ٣٥٠٠٠ دولار للجمهوريين(٥١). وعرف في العام ١٩٦٠ ستون متبرعا للجمهوريين قدم الواحد منهم ١٠٠٠٠ دولار أو أكثر بينهم ١٠ بالمئة فقط من اليهود(٥٢). وفي الانتخابات القادمة فان كثيرين من المتبرعين التقليديين للحزب الديمقراطي سيدعمون نيكسون ، وهذا نتيجة لقرار نيكسون تزويد اسرائيل بالفانتوم وانهاء محاولات يارنغ من اجل انسحاب اسرائيل من سيناء(٥٣). وبدأ هذا التحول عندما دعي سبيرو أغنيو ، نائب رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، كمتحدث في المأدبة السنوية الثانية والستين للصهيونيين الاميركيين المتدينين في أوائل حزيران (يونيو) حيث جرى رفض الديمقراطيين بازدراء . أضف الى ذلك ان السفير الاسرائيلي لدى الولايات المتحدة اشار الى انه يفضل اعادة انتخاب الرئيس نيكسون هذه السنة . وقال السفير الاسرائيلي اسحاق رابين « يجب علينا أن نفرق بين المساعدة الفعلية والمساعدة اللفظية »(٥٤). وأضاف انه « في الوقت الذي نقدر فيه الدعم اللفظي الذي نتلقاه من جهة فاننا يجب ان نفضل الدعم الفعلي الذي نتلقاه من الجهة الاخرى »(٥٥). وقال رابين ايضا انه لم يصرح اي رئيس

آخر تصريح يعتد الاتحاد ملزم للولايات المتحدة بدعم وجود اسرائيل مثل التصريح الذي أدلى به الرئيس نيكسون في خطابه للكونغرس عند عودته من موسكو .

ان اسرائيل راضية جدا عن نيكسون : « فعند نهاية السنوات الاربع من حكم نيكسون تكون اسرائيل قد تلقت أكثر من ١١٧٨ مليون دولار كمجموع قيمة المساعدة بما في ذلك القروض والهبات . وذلك يفوق ما تلقته اسرائيل على شكل مساعدة خلال السنوات التسع عشرة الماضية »(٥٦) . أضف الى ذلك قول السيناتور جافيتس ان نيكسون سينقل قريبا السفارة الاميركية من تل أبيب الى القدس(٥٧) . وقد أرسل سام روثبيرغ ولويس بوير (من منظمة السندات الاسرائيلية) وهما من مؤيدي الحزب الديمقراطي التقليديين، رسائل دعم شخصية الى نيكسون . وصرح بوير الى صحيفة « جيروساليم بوست » قائلا « انني أعمل محاولا اعادة انتخاب الرئيس نيكسون . وانني لا أجعل من ذلك سرا »(٥٨) . وعلق الصحافيان ايفنز ونوفاك على ذلك بالقول انه « لا يمكن تصور حدوث هذا التحول دون مباركة الحكومة الاسرائيلية »(٥٩) . وعلى الرغم من ان الحكومة الاسرائيلية وسفيرها في واشنطن نفيا انهما يفضلان اعادة انتخاب نيكسون قال ستيوارت السوب « انه (التأييد الاسرائيلي لنيكسون) صحيح بالطبع »(٦٠) . ويعزو السوب تأييد اسرائيل لنيكسون الى انه اثناء القتال في الاردن بين الجيش الاردني والمقاومة الفلسطينية في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ تلقى رابين مكالمة هاتفية من البيت الابيض تتساءل عما تستطيع اسرائيل عمله لوقف الدبابات السورية التي كانت تزحف على الاردن لمساعدة الفدائيين ، ورد رابين على هذا التساؤل بقوله ان الاسرائيليين يثقون ثقة مطلقة بأن قواتهم تستطيع بالعمل من مرتفعات الجولان أن تأسر او تدمر القوة السورية برمتها . وكان الاسرائيليون يرغبون في ركوب تلك المخاطر التي ينطوي عليها تدخل قواتهم بشرط واحد فقط هو ان توضح الحكومة الاميركية للسوفيات ان الولايات المتحدة ستقاوم بشدة أي عمل مضاد على قناة السويس او في أي مكان آخر . والتزم نيكسون بذلك دون تردد وأصدر أمرا شديدا أن لا اتصال اطلاقا بموسكو او أي عاصمة أخرى . وقرر أن تكون هناك أفعال لا كلمات(٦١) . واستنفرت احدى الفرق الاميركية الخمس الموجودة في المانيه الغربية استنفارا كاملا وكذلك الفرقة الثانية والثمانون المجوقلة في الولايات المتحدة . وفي الوقت نفسه جرت ترتيبات سرية مع الحكومة اليونانية لتقديم مناطق تحط فيها القوات الاميركية في اليونان بالاضافة الى قاعدة لدعم تلك القوات في حال تحرك قوات الولايات المتحدة . وبالاضافة الى ذلك جرى تعزيز الاسطول السادس في المتوسط بصورة كثيفة بحاملات الطائرات والقوات التابعة لها . وزيدت قوة الاسطول السادس بسرعة عن حجمها في الحالات العادية بحيث أصبح يتألف مما لا يقل عن خمس حاملات تضم قوات من مختلف الاسلحة لمهمة معينة . وأخذت هذه القوة تتحرك باتجاه شرقي المتوسط . وتم هذا العمل من جانب نيكسون بسرية كاملة . وكان الشعب الاميركي ولا يزال في معظمه غير مدرك أن أزمة خطيرة جدا وقعت . أما الحكومة الاسرائيلية فكانت تعي الازمة كما كانت سعيدة للغاية بسبب تحرك نيكسون .

وابرزت ازمة ١٩٧٠ للاسرائيليين الحاجة الى وجود اسطول اميركي قوي في المتوسط . ووفقا لبرنامج مكغفرن فان الولايات المتحدة ستحتفظ بفرقتين عسكريتين فقط في اوروبه بدلا من خمس . أضف الى ذلك ان مكغفرن يريد تخفيض القوات الاميركية التابعة للحاملات من اربعة عشرة الى ستة . وأخيرا سيقطع مكغفرن كل مساعدة اميركية الى الحكومة اليونانية وسيقفل كل المنشآت الاميركية في اليونان(٦٢) . وتعليقا على هذا قال ستيوارت السوب : « في مثل هذه الظروف — التي يعيها الاسرائيليون جيدا — ستكون الولايات المتحدة قادرة على الكلام ولكن على القليل من الافعال الحقيقية »(٦٣) . وقال بيتر غروس في صحيفة « نيويورك تايمز » « ان الخيار الاسرائيلي يبرز من موقف الرئيس

المعادي للسوفيات في الشرق الاوسط ومن سياسته في متابعة الحرب في فيتنام . ولم يتردد الاسرائيليون الحساسون سياسيا في الاختلاف على مـر السنين مع الاميركيين الليبراليين حول فيتنام .

« ان مزاج هذا البلد (اسرائيل) يتميز بالشعور بالقوة ، ويرى الاسرائيليون انهم امة قوية تقوم بدور الحليف الصغير ، وهي سياسة من الواضح انها جذابة جدا بالنسبة للاسرائيليين »(٦٤) . الا ان اهتمام الجالية اليهودية يتجاوز سياسة مكغفرن الخارجية . وبالنسبة لليهود الاغنياء وغير الاغنياء فان برنامج نيكسون الضرائبي مهم لهما على حد سواء اذ يقضي بفرض الضرائب بصورة كبيرة على الاغنياء ، كما يدعم تقديم الباصات للمدارس والمساكن الافضل من اجل الفقراء السود في المناطـق المحيطة بالمدن مثـل فورست هلز في نيويورك(٦٥) .

ويتوقع ان يشمل تنظيم حملة نيكسون تشكيل لجنة من الزعماء اليهود البارزين الذين يدعمون اعادة انتخاب نيكسون . وسيكون الرئيس المشارك لهذه اللجنة وليم أ. وكسلر رئيس بناي بريث السابق وكذلك صموئيل روثبيرغ (من بيوريه في ولاية الينوي) وهو الشخص الرئيسي الذي يقوم بمختلف المهام في منظمة السندات الاسرائيلية ورئيـس مجلس محافظي الجامعة العبرية . وسيكون بين أعضاء اللجنة « أسمـاء تجد آذانا صاغية في الجالية اليهودية الاميركية »(٦٦) . وذكر الصحافي توماس برادين أن الزعمـاء الديمقراطيين جعلوا لسفير اسرائيل في واشنطن اسحاق رابين صلة في جمع خمسة ملايين دولار من الجالية اليهودية الاميركية من اجل اعادة انتخاب نيكسون . وزعيم هذه الخطوة هو لويس بوبار المعروف بدعمه لقضايا الحزب الديمقراطي(٦٧) . وقال ماكس فيشر ، وهو من الاشخاص البارزين في جمع المال من أجـل اسرائيل ونيكسون ، أن « مبالغ كبيرة » من الاموال اليهودية التـي كانت تذهب في السابق الـى المرشحين الديمقراطيين تتدفق الان على حملة نيكسون . وقد امتنع فيشر عن اعطاء ارقام ولكنه قال انه جمع حتى الان من اليهود « ثلاثة اضعاف » ما جمعه في العام ١٩٦٨ كله . وقال أيضا : « ببساطة ليس هناك مقارنة . ولم يكن عملي أسهل ابدا »(٦٨) . ودعا لويس بوبار الى منزله في بفرلي هلز ، فيشر وخمسة واربعين من اصدقائه اليهود الاغنياء الديمقراطيين في أيار (مايو) لجمع المال من اجل نيكسون ، وعند انتهاء الاجتماع قال فيشر ان « الجميع عدا حفنة » تعهدوا بالتبرع لنيكسون .

وعقدت اجتماعات مماثلة في طول البلاد وعرضها وكانت الاستجابة حتى الان ، على حد قول فيشر « ممتازة »(٦٩) . وتحدث هنري كيسنغر خلال شهر تموز (يوليو) الى رجال الاعمال اليهود في نيويورك وبفرلي هلز الذين يعتبرون تقليديا ديمقراطيين والمشمئزين في الوقت الحاضر اشمئزازا شديدا من موقف مكغفرن من اسرائيل وسياسته الاقتصادية . وفي السادس والعشرين من تموز (يوليو) القى كيسنغر خطابا في خمسة وستين من اليهود الديمقراطيين الاغنياء جدا في مدينة نيويورك . وكانت هذه هي المرحلة الاخيرة في عملية التجميع الناجحة لصالح نيكسون للمتبرعين السياسيين الذين يؤيدون همفري . والاشخاص البارزون في هذه العملية هم خمسة مليونيريين يهود: ماكس فيشر ، غوستاف ليفي (المول في وول ستريت) ، تافت شرايبر (شركة الموسيقى الاميركية) ، تد كمنغز (صاحب شركة Giant Food Markets) ، برنارد لاسكر (وول ستريت) . وفي ما يلي أسماء بعض الذين تركوا همفري وأيدوا نيكسون نتيجة لعملية التجميع المذكورة : جون فاكتور ، جين كلاين ، ستانلي باير (شركة بنسلفانيه للتأمين على الحياة) ، ستانلي غولد بلم (Equity Funding) ، فكتور كارتر (مليونير يهودي من الساحل الغربي للولايات المتحدة وصهيوني أيد جاكسون في انتخابات الرئاسة)(٧٠) . والمليونيريون اليهود الآخرون الذين أيدوا حملة نيكسون مثلم ريكليس ، وتشارلز باسين ، وآرثر كوهين(٧١) . وفي

الثالث من حزيران (يونيو) ١٩٧٢ ، بنى ثلاثة رجال بارزون في المنظمات اليهودية تأييد ريتشارد نيكسون معتبرين ان سياسته تجاه اسرائيل هي السبب الرئيسي لموقفهم . والرجال الثلاثة الذين كانوا طوال حياتهم ديمقراطيين هم الدكتور وليم أ. وكسلر (رئيس المؤتمر العالمي للمنظمات اليهودية) ، والحاخام هيرشل شاكتر (الرئيس السابق للمؤتمر اليهودي الاميركي حول اليهود السوفيات ، وللصهيونيين المتدينين في اميركة) ، والحاخام سيمور سيغل (استاذ اللاهوت في معهد اللاهوت اليهودي الاميركي) . وجدير بالذكر ان الحاخام شاكتر قال انه يدعم نيكسون « بدافع اعتقاد ايجابي » . وانتقد شاكتر برنامج مكغفرن « لتهديده دور أميركه في حفظ الامن والسلام في كافة ارجاء العالم ، وتأكيدها على نظام الحصة (الكوتة) المحلي الذي سيثير التمييز في الجهة المعاكسة»(٧٢) . وذلك يشير الى اصلاحات الحزب الديمقراطي التي قدمها أصلا مكغفرن والتي دعت الى تمثيل أوسع لجماعات الاقليات الاثنية في المؤتمر الديمقراطي .

وبسبب الدعم القوي الذي قدمه نيكسون لاسرائيل يتوقع كثيرون من المحللين السياسيين ان يتحول اليهود الى تأييد نيكسون في التنافس بينه وبين مكغفرن ، كما يتوقعون ان تتراوح نسبة التحول بين ٣٠ و ٥٠ بالمئة معتبرين ان ٣٥ ٪ معدل جيد(٧٣) . وقد أعلن الحاخام الكناه شوارتس ، مدير العلاقات مع الجماعات في اتحاد الكنس اليهودية الارثوذكسية الاميركية ، ان اكثر من نصف يهود نيويورك سيؤيد نيكسون . واعرب شوارتس عن شعوره ان معظم اليهود الاورثوكس لا يؤيدون سياسات مكغفرن المعادية لفيتنام . وقال الحاخام هارولد هاهن ، حاخام Rochdale Temple في سينسناتي في أوهايو ، انه يعتقد ان المقترعين اليهود « يشعرون في مأمن أكثر مع نيكسون مما مع مكغفرن » . وهذان الحاخامان يتفقان على ان الناخبين اليهود يعتقدون « أننا نعرف ما لدينا عند نيكسون ، أما عند مكغفرن فاننا لا ندري ماذا سنكسب »(٧٤) . وهكذا فان تحول الناخبين اليهود في تشرين الثاني (نوفمبر) القادم الى نيكسون سيجعل انتخابه مضمونا .

ان حساب مردودات الاستثمارات السياسية أمر صعب . ومع ذلك فان من الواضح ان اليهود يلعبون دورا رئيسيا في تحديد المرشح الديمقراطي للرئاسة « ويشكلون أكبر فريق بين أكبر المتبرعين »(٧٥) . ووفقا لما قاله الكاتب والناقد اليهودي ت . ر . فايغل فان « من الواضح ان اسرائيل كما نعرفها لم تكن لتأتي الى الوجود لولا الدعم المالي الاميركي والدعم السياسي من اليهود الاميركيين كقوة ضاغطة فريدة على اي ادارة أميركية»(٧٦) . وكتب ستيفن كلايدمان في الواشنطن بوست قائلا ان المعلومات التي تصل الى الرئيس واعضاء الكونغرس عن طريق أفراد يهود ومنظمات يهودية تحاول كسب التأييد لليهود « تشكل جزءا ، واحيانا جزءا هاما ، من المعلومات التي تدخل في عملية اتخاذ قرار الرئيس حول مسائل مثل المساعدة الاقتصادية والعسكرية لاسرائيل »(٧٧) .

وأخيرا يجب التأكيد على ان عدم قدرة العرب على معاقبة الولايات المتحدة بسبب دعمها لاسرائيل يعزز النفوذ الصهيوني ويؤيد زعمهم أنه من الممكن للولايات المتحدة أن تبني علاقات مع العالم العربي في الوقت الذي تستمر في دعمها لاسرائيل . ولقد قال أبا ايبان : « ان اولئك الذين يقولون أن التوتر بين الولايات المتحدة والبلدان العربية ليس بسبب دعم اميركه لاسرائيل هم على حق »(٧٨) .

---

١ ــ ايفننغ ستار اند دايلي نيوز، ١٩٧٢/٧/٢٥ . ص أ ــ ١١ .
٢ ــ واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٦/٢٨ ، ص أ ــ ١٥ .
٣ ــ المصدر نفسه .
٤ ــ نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٣/١٠ ، ص ٢٠ .
٥ ــ المصدر نفسه .
٦ ــ المصدر نفسه .

٧ ــ المصدر نفسه .
٨ ــ نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٤/١٩ ، ص ٢٨ .
٩ ــ واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٦/٥ ، ص أ ــ ٢١ .
١٠ ــ وكالة البرق اليهودية ، نشرة الانباء اليومية ، ١٩٧٢/٥/٣٠ ، ص ٤ .
١١ ــ المصدر نفسه .
١٢ ــ واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٦/١ ، ص ف ــ ١ .
١٣ ــ نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٦/١٠ ، ص ١٢ .
١٤ ــ المصدر نفسه .
١٥ ــ واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٦/١٠ ، ص أ ــ ٤ .
١٦ ــ وكالة البرق اليهودية ، نشرة الانباء اليومية ، ١٩٧٢/٧/١٤ ، ص ٤ .
١٧ ــ جويش ويك ، ١٩٧٢/٧/٢٠ ص ٢ .
١٨ ــ واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٢/٢٠ ، ص أ ــ ٤ .
١٩ ــ ناشنال جورنال ، ١٩٧٢/٥/١٣ ، ص ٨٠٥ .
٢٠ ــ واشنطن بوست ، ١٩٧٢/١١/١٤ ، ص ب ــ ١ .
٢١ ــ نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٥/٢٨ ، ص ١ .
٢٢ ــ المصدر نفسه .
٢٣ ــ وليم دونهوف ، *Ramparts*, 'Fat Cats & Democrats', حزيران(يونيو) ١٩٧٢ ، ص ٢٨ .
٢٤ ــ المصدر نفسه ، ص ٤٠ .
٢٥ ــ المصدر نفسه .
٢٦ ــ المصدر نفسه ، ص ٤٢ .
٢٧ ــ المصدر نفسه .
٢٨ ــ نيويورك تايمز، ١٣ أيار ١٩٧٢ ، ص ١٠ .
٢٩ ــ Ramparts ، ص ٤٣ .
٣٠ ــ نيوزويك ، ١٩٧١/١٢/١٣ ، ص ٢٩ .
٣١ ــ وول ستريت جورنال ١٩٧٢/٣/٨ ، ص ١.
٣٢ ــ ناشنال جورنال ، ١٩٧٢/٥/١٣ ، ص ٨٠٣ .
٣٣ ــ نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٥/١٣ ، ص ١٠ .
٣٤ ــ جويش ويك ، ١٩٧٢/٣/٢٣ ، ص ٢ .
تقرير مكتب الولايات المتحدة العام للمحاسبة رقم C 062472051, DM 000001 ورقم C 04,207,2395, DM 000001 .
٣٥ ــ نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٥/١٣ ، ص ١٠ .
٣٦ ــ واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٣/٢٨ ، ص أ ــ ١٠ .
٣٧ ــ المصدر نفسه .
٣٨ ــ المصدر نفسه .
٣٩ ــ ناشنال اوبزرفر ، ١٩٧٢/٤/٨ ، ص ١ .
٤٠ ــ نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٧/٢٣ ، ص ٣٢ .
٤١ ــ ناشنال جورنال، ١٩٧٢/٥/١٣ ، ص ٨٠٠ جويش ويك ، ١٩٧٢/٣/٢ ص ١ . نيويورك تايمز، ١٩٧٢/٣/٣٠ ، ص ٣٢ .
٤٢ ــ واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٥/٢٨ ، ص أ ــ ٢ .
٤٣ ــ واشنطونيان ، آب (اغسطس) ١٩٧٢ ، ص ، ٤١ .
٤٤ ــ لوس انجيليس تايمز ١٩٧٢/٦/٦ ، ص ٣.
٤٥ ــ واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٥/٢٨ ، ص أ ــ ٢ .
٤٦ ــ جويش ويك ، ١٩٧٢/٣/٢ ، ص ١ . نيو يورك تايمز ١٩٧٢/٣/٣٠ ، ص ٣٢ .
٤٧ ــ واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٧/٢٣ ، ص ب ــ ٧ .
٤٨ ــ ناشنال جورنال ، ١٩٧٢/٥/١٣ ، ص ٨٠٠ .
٤٩ ــ نيويورك تايمز ماغازين ، ١٩٧١/١١/٧ ، ص ٨٨ ــ ٨٩ .
٥٠ ــ Ramparts ، حزيران (يونيو)١٩٧٢ ، ص ٤٣ .
٥١ ــ المصدر نفسه .
٥٢ ــ المصدر نفسه .
٥٣ ــ واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٦/٢١ ، ص أ ــ ٢٣ .
٥٤ ــ واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٦/١١ ، ص أ ــ ١ .
٥٥ ــ المصدر نفسه .
٥٦ ــ نيو ايست ريبورت ، ١٩٧٢/٦/٧ ، ص ٩٧ .
٥٧ ــ وكالة البرق اليهودية ، نشرة الانباء اليومية ، ١٩٧٢/٧/١١ ، ص ٢ .
٥٨ ــ جروسالم بوست الاسبوعية،١٩٧٢/٦/٢٧، ص ٢ .
٥٩ ــ واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٦/٢١ ، ص أ ــ ٢٣ .
٦٠ ــ نيوزويك ، ١٩٧٢/٧/١٠ ، ص ١٠٠ .
٦١ ــ المصدر نفسه .

٦٢ ــ **نيوزويك** ، ١٩٧٢/٧/١٠ ، ص ١٠٠ .
٦٣ ــ **المصدر نفسه** .
٦٤ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٧/١٤ ، ص ١٢.
٦٥ ــ **واشنطـن بوست** ، ١٩٧٢/٦/٢١ ، ص أ ــ ٢٣ .
٦٦ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٧/٧ ، ص ١١ .
٦٧ ــ **واشنطـن بوست** ، ١٩٧٢/٦/١٧ ، ص أ ــ ١٥ .
٦٨ ــ **المصدر نفسه** .
٦٩ ــ **المصدر نفسه** .
٧٠ ــ **واشنطن بوست** ، تموز (يوليو) ١٩٧٢ ، ص أ ــ ١٩ .
٧١ ــ **المصدر نفسه** .
٧٢ ــ **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٨/٤ ، ص ٣٥ .
٧٣ ــ **واشنطـن بوست** ، ١٩٧٢/٦/٢٨ ، ص أ ــ ١٥ .
٧٤ ــ **جويش كرونيكل** ، ١٩٧٢/٧/٢١ ، ص ٨ .
٧٥ ــ Ramparts ص ٤٣ .
٧٦ ــ **ملحق جويش كرونيكل الادبي** .
٧٧ ــ **واشنطـن بوست** ، ١٩٧٢/٢/٢٠ ، ص أ ــ ٤ .
٧٨ ــ **وكالة البرق اليهوديـة** ، نشرة الانبـاء اليومية ، ١٩٧٢/٧/٣١ ، ص ١ .

صدرت الكتب التالية عن مركز الابحاث في م.ت.ف.

حول الولايات المتحدة والقضية الفلسطينية

السعر ل.ل.

ــ **الاراء الاميركية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين** ، بقلم مايكل جانسن (بالانجليزية ، ١٩٧١). ١

ــ **مقالات في الرأي العام الاميركي والقضية الفلسطينية** ، بقلم ليلى شاهي (بالانجليزية ، ١٩٦٩) . ٢

ــ **عرض للعلاقات الاميركية الاسرائيلية** ، بقلم ليلى شاهي (بالانجليزية ، ١٩٦٩) . ٢

ــ **الجالية الاميركية في لبنان والمشكلة الفلسطينية** ، بقلم باسم سرحان (بالعربية وبالانجليزية ، ١٩٦٩) . ١

ترسل الطلبات الى : مركز الابحاث ، قسم التوزيع ، ص.ب ١٦٩١ ، بيروت ، ويضاف الى ثمن كل كتاب اجرة البريد الجوي : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١٠٠ ق.ل. في اوروبه ، ٢٠٠ ق.ل. في سائر دول العالم .

خطر الابادة :
اسطورة في قاعدة الاستراتيجية الاسرائيلية

المقدم الهيثم الايوبي

الاستراتيجية في دولة من الدول هي مجموعة التدابير والخطط والاساليب المستخدمة لتجميع **قوى** الدولة واعدادها لخلق **الاداة** اللازمة لتحقيق اهدافها رغم العقبات والصعوبات الناجمة عن ارادة الخصم واستراتيجيته . والاستراتيجية بنت الواقع الذي تعيشه الدولة ، وهي تحمل في صلبها انعكاسات هذا الواقع الاجتماعي والاقتصادي والديموغرافي والجغرافي والنفسي ، وتتحول مع تحولاته وتتطور بتطوره الدائم .

ولقد وعى مخططو اسرائيل قبل بنائها وقبل انتقالها من مرحلة الفكرة الى مرحلة الواقع، طبيعة هذه الدولة وحقيقتها كجسم غريب مغروس في قلب منطقة لا يمكن ان تقبله او تتعايش معه . كما وعوا ان وجود عرب فلسطين وحقهم الشرعي في البقاء على ارضهم، سيجبر بناة الدولة الجديدة على اقتلاع السكان ، واحتلال مكانهم بالقوة ، الامر الذي سيؤدي الى صراع عنيف تزداد حدته مع ارتفاع مستوى وعي العرب اصحاب الارض لطبيعة الخطر ، وتزايد حاجة المهاجرين الجدد لمجال حيوي اوسع . لذا كان من الطبيعي ان يرسموا لدولة اسرائيل استراتيجية تحقق لها **الامن والتوسع**، وتؤمن ترابط هذين الهدفين وتناوبهما حسب الوضع وحالة موازين القوى . وان يخلقوا **الاداة** السياسية ـ العسكرية القادرة على تنفيذ هذا الترابط والتناوب . ولكي تكون الاداة على مستوى المهمة ، ولكي يستطيع الجسم الغريب **مجابهة التحديات** المنتظرة ، راى مؤسسو الدولة الاوائل ان عليهم اعداد قوة مسلحة متفوقة ماديا ، وقادرة على تحقيق « الردع النشيط » عن طريق التلويح بالقوة او استخدامها جزئيا عند الضرورة ، والانتقال من استخدام القوة الجزئي الى الحرب الشاملة مع نقل المعركة الى خارج اراضي الدولة عندما تتوفر الظروف الملائمة لذلك على الصعيدين الداخلي والخارجي .

والى جانب **الاعداد المادي** الذي اهتمت به كافة الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة ، وتوصلت اليه عن طريق التفوق النوعي ، وتكثيف التسليح الحديث ، وتفتيت قوى المعسكر العربي ، والترابط العضوي مع المعسكر الامبريالي الراغب بحماية مصالحه في المنطقة العربية ، فقد سارت هذه الحكومات اشواطا على طريق **الاعداد المعنوي** الذي يستمد عناصره من الجذور الدينية والتاريخية للعقيدة الاسرائيلية . وتوصلت الى استخدام التعصب الديني والعقد القديمة المتأصلة في نفوس يهود المنطقة العربية ويهود الشتات لرفع مستوى الحقد الجماعي ، وتمجيد العنف والقوة داخل المجتمع الاسرائيلي الجديد ، وخلق رباط معنوي يربط بين مختلف طبقات هذا المجتمع الذي يضم افرادا من جنسيات متعددة وثقافات متباينة ، وتسليح السكان الاسرائيليين وقواتهم المسلحة بقوة معنوية تتحول خلال الصراع الى قوة مادية .

وبهما تكن القوتان المادية والمعنوية كبيرتين ، ومهما كان الاعداد المادي والمعنوي دقيقا ، فان امكانية استخدام القوى على ارض المعركة ، واحتمالات النصر في الصدام المرتقب لا تصل الى ذروتها — في عالمنا المترابط المتشابك بكل تعقيداته وحساباته وتوازناته الدولية — الا اذا امتلكت القيادة السياسية — العسكرية العليا حرية عمل واسعة عن طريق اكتساب المناورة السياسية الداخلية والمناورة السياسية الخارجية بشكل حاسم يضمن تماسك المجتمع ودعم الراي العام العالمي طوال مدة الصراع التي يسعى كل طرف من الطرفين المتنازعين الى تقصيرها او اطالتها حسب لجوئه — بناء على وضعه وتقديراته وتوقعاته الخاصة بتبديل موازين القوى — الى استراتيجية الحرب الخاطفة او استراتيجية الحرب طويلة الامد .

وتكشف دراسة حركة المجتمع الاسرائيلي واتجاهات الراي العام العالمي خلال الحروب العربية — الاسرائيلية الثلاث (٤٨ — ٥٦ — ٦٧) وخلال معارك الاستنزاف او فترات الهدنة الطويلة بين هذه الحروب ، تماسك غالبية طبقات الشعب وشرائحه في اسرائيل ، وتأييدها — بنسب متباينة — لفكرة ضرورة اخضاع كافة التناقضات والصراعات لصالح الصراع ضد العرب . كما تكشف ان شرائح واسعة من الراي العام العالمي — بما في ذلك مجموعات « اشتراكية » غربية وشعوب مقهورة في العالم الثالث — كانت تؤيد اسرائيل رغم عدوانها المكشوف . ولا يمكن تفسير هاتين الظاهرتين الا اذا وعينا نجاح العدو في المناورتين السياسيتين الداخلية والخارجية قبل المعارك العسكرية ، وخلالها ، وبعدها .

ولقد استخدم الاسرائيليون لتحقيق هذا النجاح اكثر من سلاح ، واستندوا الى عدة افكار ، كتدعيم ايديولوجية ديناميكية عنصرية في الداخل ، والعمل خارجيا بديبلوماسية نشطة ترافقها مساعدات اقتصادية وتقنية وعسكرية للدول الافريقية حديثة الاستقلال ، مع الافادة من قوة الاعلام الاسرائيلي وسيطرة الصهيونية العالمية على الاعلام في عدد كبير من الدول بغية تشويه سمعة العرب ، وكشف تناقضاتهم الداخلية ، واقناع العالم بعدالة الحرب الدفاعية (الوقائية) الاسرائيلية ، واقناع العالم الغربي بالاسطورة المزيفة القائلة بأن مبادئه ومثله العليا (!) مرتبطة ببقاء اسرائيل « المخفر الامامي الذي يحرس المدنية ضد البربرية »(١)، وبأن مصالحه المادية تتفق ودعم هذه الدولة التي ستقف في وجه مد الحركات التحررية في المنطقة وتكون « قاعدة ضد روسيا »(٢) و « حصن الديمقراطية في هذا الشرق »(٣)... الخ .. بالاضافة الى التأكيد على اسطورة محورية هي : **خطر الابادة المحدق بالشعب الاسرائيلي** الذي يخوض معركته وهو بين شدقي الاسد . وتستند اسطورة خطر الابادة الى ان اسرائيل دولة صغيرة حضارية مسالمة [!] تعيش وسط منطقة معادية وحساسة ، وفي ظروف عسيرة تجعل **حضارتها المادية والروحية معرضة للخطر ومرتبطة بشكل لا يقبل الانفصام مع مقتضيات الامن** . والحقيقة ان التركيز على خطر الابادة الخارجي لا يستهدف سوى احتواء النزاعات الداخلية ، وبناء وحدة وطنية قوية باسم ضرورات الامن التي جعلتها الحكومة الاسرائيلية ، حسب تعبير المطران يوسف ريا « بقرة مقدسة »(٤). وفي الندوة التي نظمها معهد شيلواح وجمعية السلام وكلية ادارة الاعمال في جامعة تل ابيب تحت عنوان « تحديات السلام » تحدث الدكتور يوحنان بيرس ، الاستاذ في علم الاجتماع بجامعة تل ابيب عن العوامل الخفية للنزاع العربي الاسرائيلي ، وذكر ان من هذه العوامل « الرغبة في ابراز المشاركة اليهودية ازاء الظاهرة الاجتماعية المعروفة ، وهي ازدياد النزاعات الداخلية عندما يتلاشى الخطر الخارجي »(٥). وتحدث عن تغذية العداء اليهودي للعرب ، واعادها الى عدة اسباب منها « المصلحة في تقوية بناء الوحدة الوطنية ضد عدو خارجي مشترك »(٦). بيد ان محاولة التركيز على الخطر الخارجي ،

ومقتضيات الامن الداخلي والخارجي في اسرائيل اخذت بعدا مبالغا به . ولم تعد آثارها لتقف عند حدود تحقيق الوحدة الداخلية ، بل اتسعت حتى خلقت مجتمعا عاش على القلق وتوقع الحرب ، وافرز جيلا فاشيا يقدس العدوان والعنف ، ويحتقر كل القيم والحضارات ويعيش داخل « غيتو مادي ومعنوي »(٧) يعزله عزلا مطلقا عما حوله . ويلاحظ المدقق في خطابات الزعماء السياسيين والعسكريين الاسرائيليين وتصريحاتهم وتوجيهاتهم الى المواطنين واوامرهم اليومية الى الجنود نغمة التأكيد على ضرورة الدفاع عن الوطن و « احباط محاولات الجيوش العربية الراغبة باحتلال اسرائيل وتدميرها » ، و « فك الحلقة المطبقة على اسرائيل » ، و « صد العدوان الرامي الى تدمير البلاد » ... الخ .

ولكن ترى متى كانت اسرائيل معرضة لخطر الابادة والدمار ؟ ان ابادة دولة ما بالمعنى المادي للتصفية امر متعذر في عالمنا المعاصر . والخطر الاقصى الذي يمكن ان تتعرض له أية دولة هو تدمير قواتها المسلحة ، وتجريدها من درعها ، واجبارها على تقديم تنازلات سياسية واقليمية تختلف باختلاف حجم الهزيمة العسكرية وحجم الجهد والتضحيات الاضافية التي يعتقد الخصم المنتصر أن عليه ان يقدمها اذا ما شاء المطالبة بتنازلات اكبر ، واستعداده للاشتراك بمعارك جديدة لتحقيق ذلك . ولا يمكن تدمير القوات المسلحة للدولة الا اذا امتلك الخصم تفوقا ماديا ومعنويا ، واستغل ظرفا دوليا مناسبا لتسديد الضربة وتحقيق النصر العسكري الذي يترجم خلال مباحثات السلام الى نصر سياسي . فمتى اجتمعت كل هذه المعطيات منذ بدء الصراع العربي ـ الاسرائيلي حتى اليوم ؟

في عام ١٩٤٨ كان ميزان القوى المادية متوازنا . وهناك تقديرات تؤكد ميل الميزان آنذاك لصالح القوات الاسرائيلية . وتقديرات معاكسة تؤكد ميله لصالح الجيوش العربية . ولكن الميل حسب التقديرين لم يكن كافيا لتحقيق الحسم السريع قبل تدخل المجتمع الدولي ، وفرض الهدنتين ، ثم فرض مباحثات رودس . وفي حديث لبن غوريون مع صحيفة معاريف عن حرب ١٩٤٨ سئل بن غوريون : «هل خفت من ان نهزم ؟» فاجاب: « كنت واثقا من النصر . كانت لدي معلومات »(٨) . وفي عام ١٩٥٠ جاء التعهد الامريكي ـ البريطاني ـ الفرنسي ليضمن امن اسرائيل وحدودها . وفي الفترة ما بين ١٩٥٠ و ١٩٥٥ ، وعندما كانت مفاتيح التسليح العربي بيد الغرب اعلنت الدول الاستعمارية المتقدمة عن رغبتها بالحفاظ على الوضع الراهن في الشرق الاوسط عن طريق تزويد اسرائيل باسلحة تعادل اسلحة الدول العربية المتاخمة لفلسطين او تفوقها . وكانت كافة المحاولات العربية لشراء الاسلحة من الغرب في تلك الفترة ـ تماما كالمحاولات التي تجري اليوم ـ دليلا على نقص في وضوح الرؤيا ، وخلل في فهم طبيعة الاستراتيجية الامبريالية وارتباطاتها ، وسيطرة الوهم على امكانية الافادة من مساعدة الغرب الامبريالي دون تهديد مصالحه بجدية ـ هذا الوهم الذي لم يتبدد كليا حتى اليوم رغم جميع الدروس . وعندما حطم الغرب حصار السلاح ، وفتحوا الباب لاسلحة دول الكتلة الشرقية ، فتحت الدول الاوروبية مخازنها لاسرائيل ، ومتنت التحالف معها ، واعادت التوازن .

وفي حرب ١٩٥٦ كانت القوات الاسرائيلية ، وقوات فيلق الغزو الانكلو ـ فرنسي ، وقوات فرنسا وبريطانيا البحرية ـ الجوية العاملة في شرق البحر الابيض المتوسط اكبر من القوى العربية (المصرية والسورية والاردنية) المستعدة للاشتباك في المعركة . ومن عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٦٧ استطاعت الامبريالية والرجعية اجهاض اول وحدة رأت النور ، وكان من الممكن ان تلعب دور نواة تجمع عربي اكبر يشكل خطرا على اسرائيل . وبالرغم من السلاح السوفييتي الذي تدفق الى الجيشين السوري والمصري قبل الوحدة

وخلالها وبعد انفصالها ، فقد حرصت الولايات المتحدة على تسليح اسرائيل عن طريق فرنسا والمانيا الغربية وبريطانيا في البداية ، وبشكل مباشر فيما بعد ، بحيث تكون القوة الاسرائيلية العسكرية اكبر من تسليح دول المواجهة وهكذا تحولت هذه الدولة الصغيرة ـــ مساحة وسكانا ـــ الى قلعة مسلحة ، أخذ الاسطول الامريكي السادس مهمة حماية امنها كضمانة اضافية بلا مقابل .

وفي عام ١٩٦٧ كان حجم القوات الاسرائيلية المشتبكة في القتال أكبر من حجم القوات العربية التي دخلت المعركة (نظرا لانعدام الوحدة العربية ـــ ولو بين دول الطوق على الاقل ـــ وضعف أساليب التعبئة والحشد والقيادة والاتصال) . وبالرغم من تحسن الوضع الاستراتيجي الاسرائيلي بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، واستناد الجبهتين الاسرائيليتين الغربية والشرقية الى موانع طبيعية قوية (قناة السويس ونهر الاردن) وتسلق القوات الاسرائيلية لهضبة الجولان ، فقد عملت الولايات المتحدة ما في وسعها لتدعيم القوة العسكرية الاسرائيلية وتزويدها بأحدث الاسلحة حتى تستطيع الحفاظ على المناطق المحتلة والمساومة بها لتحقيق السلام (على الطريقة الاسرائيلية) أي لاجبار الامة العربية على الاستسلام .

وعندما بدأت معارك الاستنزاف على قناة السويس تابعت الولايات المتحدة عملها لتزويد اسرائيل بما يلزمها من طائرات ومعدات وأموال لتأمين التفوق على القوات العربية ، ولمجابهة التطورات التكنولوجية في الحرب الاليكترونية ، ولتعويض كل خسائر حرب الاستنزاف .

وفي فترة وقف اطلاق النار ، ومع تزايد الوجود العسكري السوفييتي في مصر بصورة خاصة ، صعدت الولايات المتحدة دعمها لاسرائيل ماديا وتقنيا . ووضعت أسلحتها المتطورة كلها في خدمة التفوق الاسرائيلي .

اذن ، في أية مرحلة من هذه المراحل كانت اسرائيل معرضة بالفعل لخطر الابادة او حتى لخطر الهزيمة ؟ وفي اية فترة من هذه الفترات اتحد عرب دول المواجهة، ووحدوا قواهم، وأعدوا للمعركة قوة تتفوق على قوة العدو بنسبة تسمح بسحقه ؟ وفي أية فترة خرجوا من حلقة السباق مع العدو في المجال الذي يمكنه ان يسابقهم فيه ، وفتحوا مجالا جديدا لا يستطيع مجاراتهم فيه ولا تستطيع الدول الكبرى المتقدمة ضبطه او التأثير عليه الا اذا تورطت على غرار التورط الامريكي في كوريا (١٩٥٠ ـــ ١٩٥٣) وفي فيتنام (من ١٩٦٦ حتى اليوم) ، وهو مجال تثوير القوى البشرية الزاخرة كافة وتعبئتها وتسليحها بغية زجها في معركة تحرير طويلة ، يتناغم فيها قتال القوات الآلية المتطورة مع قتال الجماهير المسلحة ، وتمتزج فيها حرب الحركة (طيران ـــ مدرعات ـــ صواريخ محمولة) مع حرب المواقع (ميليشيا شعبية مسلحة بايديولوجية ثورية واسلحة خفيفة ومعدات مضادة للدروع والطائرات) بالاضافة الى حرب عصابات نشطة وراء خطوط العدو ؟ ومتى كان الوضع العربي والسياسة العربية قادرين على فصل اسرائيل عن حلفائها عن طريق تهديد مصالح هؤلاء الحلفاء الحيوية في المنطقة ؟

ان الوحدة العربية ـــ ولو وحدة القتال على الاقل ـــ لم تتحقق حتى الآن . والتحالف مع الصديق الوحيد (المعسكر الاشتراكي) يضعف يوما بعد يوم . وتعبئة الجماهير وتسليحها ايديولوجيا وماديا لقلب موازين القوى وشن حرب طويلة الامد لم يتحققا بعد . ولم يعد العرب بملايينهم المائة وثرواتهم الهائلة لمعركة المصير قوة تفوق قوة العدو . ولم تتقدم القوات العربية البعيدة حتى اليوم الى المدى الاستراتيجي او العملياتي الذي يسمح لها بأن تلعب دورا فعالا في المعركة . والامبريالية الامريكية سائرة على طريق دعم العدو الاسرائيلي وهي ضامنة ـــ حتى الآن ـــ لكل مصالحها واستثماراتها التي زادت

بعد عام ١٩٦٧ ! فكيف يمكن التحدث في اسرائيل والحالة هذه عن خطر الابادة سواء أكان المقصود ابادة الدولة ، أم ابادة القوات المسلحة وتدميرها بشكل يحقق الهدف السياسي ؟ وكيف يمكن ان يتحدث القادة العرب عن تحرير الاراضي المحتلة قبل ان تتغير المعطيات السابقة وتنقلب موازين القوى المادية والمعنوية ؟

ان هذه الحقائق مجتمعة تكشف زيف الاسطورة التي روجها الاسرائيليون واستفادوا منها داخليا وخارجيا ، وترفع القناع عن الدجل الكامن في قول العميد شارون قائد المنطقة الجنوبية ، واحد قادة الهجوم على سيناء « ان حرب الايام الستة كانت حربا تهدف الى منع ابادتنا . ان هدف العدو المعلن عنه كان ابادة دولة اسرائيل . كان هذا هو الشعور الذي رافقنا وبهذه الروح تحدثنا الى الجنود »(٩)، او في قول اسحاق رابين عند الحديث عن حرب ١٩٦٧ : « ساد الشعب بأسره في اسرائيل الشعور بأن الحرب هي من أجل استمرار بقائنا . هذا الشعور هو الذي أدى الى ان تحقق الحرب تلك الانجازات العظيمة . وليس السلاح والطائرات والاشياء الاخرى . ولولا هذا الشعور الصادق والصحيح لما حصلنا على ما حصلنا عليه »(١٠)، او في أقوال غيرهما من قادة العدو .

ولقد أدى انتصار الاسرائيليين في عام ١٩٦٧ الى خلق شعور من الاطمئنان بين صفوف الجيش والشعب في اسرائيل . وجاءت تصريحات القادة العسكريين والسياسيين وتبجحاتهم لتدعم هذا الشعور . فلقد صرح اللواء موشي دايان في خطاب أمام المؤتمر العالمي لمهاجري مراكش بـ « ان دولة اسرائيل اليوم هي أقوى دول المنطقة ، وان قوتها العسكرية متمركزة ومتحركة وقادرة على حماية الدولة »(١١). وعندما سئل حاييم بارليف في آب ١٩٧٢ عن اقتصاد الحرب وضرورة تطبيقه في اسرائيل اجاب : « انا لا اعتقد بأن اسرائيل تواجه الان وضعا يحتم عليها اهمال جميع مجالات الحياة في سبيل المجهود الحربي . ولا أعتقد بأن اسرائيل من الممكن ان تسمح لنفسها بتوجه كهذا ، ولذلك لا اعتقد بوجود اساس لاتباع نظام اقتصاد الحرب »(١٢). الامر الذي يؤكد ان اسرائيل لا تعيش حالة خطر يهدد وجودها ، ولا تعيش حتى حالة حرب تستدعي اتباع اقتصاد حرب . اما زئيف شيف المعلق العسكري الاسرائيلي فقد كتب في هآرتس : « تخلصت اسرائيل بفضل الوضع الجغرافي الاستراتيجي الحالي من مخاوفها القديمة وهي : انها ان لم تكن البادئة باطلاق النار فمن المحتمل أن تهزم او ان تضطر لدفع ثمن فادح من الضحايا »(١٣). ولقد نشرت معاريف نص مقابلة اجرتها مع اللواء الاحتياطي يغآل يدين قال فيها : « في الخامس من حزيران ١٩٦٧ عندما وقفت الى جانب مردخاي هود في غرفة العمليات ، واخذنا نسمع عن الانتصارات الرائعة لسلاح الجو قلت لمردخاي : ان اسرائيل قد ولدت اليوم من جديد . . . ان الاخطار التي كانت تحيق بها آنذاك لم تعد قائمة الان »(١٤). وفي مطلع نيسان ١٩٧١ تحدث ابا ايبان امام مؤتمر حزب العمل الاسرائيلي قائلا : « واجهنا الافناء زمنا طويلا . اما الآن فقد أصبحنا أسياد مصيرنا ، ولن نخاطر بهذا الوضع »(١٥).

واثار هذا الشعور الجديد حالة جدل داخل المجتمع الاسرائيلي . وطرح العديد من التساؤلات حول اسطورة الابادة القديمة . ولقد انبرى عدد من كبار القادة العسكريين لتحليل هذه المسألة . وذكرت هآرتس ان العميد الاحتياطي متتياهو بيليد رئيس قسم الامداد والتموين في القيادة العامة للجيش الاسرائيلي خلال حرب ١٩٦٧ ، والباحث في معهد شيلواح ، واستاذ تاريخ الشرق الاوسط في جامعة تل أبيب قال بأن مقولة ان اسرائيل تعرضت في حزيران ١٩٦٧ لخطر الابادة وان دولة اسرائيل حاربت من أجل كيانها ، عبارة عن « خدعة ولدت ونمت بعد الحرب فقط » كما قال بأن الاسرائيليين لم يتعرضوا في أيار لخطر الابادة « كأفراد او كجماعات » . وعاد الى مسألة ميزان القوى

وهي مسألة جوهرية في هذا المجال عندما قال « ان المصريين حشدوا في سيناء ٨٠ الف جندي ، وحشدنا نحن ضدهم مئات الالاف من الرجال » . ثم ربط خطر الابادة بالهجوم وفق المبدأ العسكري الذي ينفي قدرة الدفاع على تحقيق النصر الحاسم ، وطرح السؤال التالي : « ما هي آخر مرة كانت اسرائيل فيها مكشوفة لهجوم عربي ؟ كان ذلك سنة ١٩٤٨ ، كما اقرأ التاريخ »(١٦) .

وبالرغم من عدم موافقة يغال آلون على كافة تفاصيل فكرة بيليد ، فقد اشار الى صحة رأيه القائل بعدم تعرض الدولة في حرب حزيران ١٩٦٧ لخطر الابادة بقوله : « اننا لم نكن عرضة لخطر الابادة وقتها »(١٧) . واشترك العميد الاحتياطي عيزر وايزمان (رئيس شعبة العمليات في القيادة العامة للجيش خلال حرب حزيران ١٩٦٧ ورئيس حركة حيروت) في الجدل الدائر حول هذه المسألة اكثر من مرة ، فلقد قال في آذار ١٩٧٢ « انني مستعد للموافقة على ان وجود دولة اسرائيل لم يتعرض لخطر الدمار، ولكن هذا لا يعني اننا كنا نستطيع الامتناع عن ضرب المصريين والاردنيين والسوريين ، ولو فعلنا ذلك لما استمرت دولة اسرائيل قائمة بنفس المقياس والروح والجوهر »(١٨) . ثم تحدث في مقابلة اجراها بعد شهر مع روف غولدشتاين فأكد « لم يكن هناك خطر ابادة ! كان لا بد من مهاجمة المصريين ولم يكن ثمة مفر من ذلك . ولو كانوا هم البادئين بالهجوم لما هددنا بخطر ابادة ، ولكن خسائرنا كانت ستكون أكبر كثيرا »(١٩) .

ولما سأله غولدشتاين : هل قلت قبل الحرب لاشكول اننا غير مهددين بخطر ابادة ؟ اجاب : « لم يكن ثمة حاجة لذلك لانه لم يجر اي حديث في اي اجتماع جدي عن مثل هذا الخطر . لقد تحدثنا عن الحرب وأهوالها . وتحدثنا عن قصف تل أبيب والخسائر . تحدثنا عن الخطر الناجم عن دخول قوات عدوة الى مناطق في اسرائيل . ولكن لم يتحدث اي شخص عن الابادة »(٢٠) . ثم عاد العميد الاحتياطي عيزر وايزمان ليكرر افكاره في حزيران ١٩٧٢ على صفحات يديعوت احرونوت فقال : « لم تكن دولة اسرائيل فعلا معرضة للفناء لو لم نشن الحرب في الوضع الذي كنا عليه خلال أيار ــ حزيران ١٩٦٧ ، ولو لم نتغلب على المصريين والأردنيين والسوزيين . ولكن وجودها لم يكن ليستمر بالصورة نفسها التي كانت قائمة يومذاك ، او كما هي اليوم »(٢١) .

وبالرغم من هذه الحقائق والشهادات الصادرة عن اعلى مستويات القيادة الاسرائيلية ، وبالرغم من حجم الهزيمة التي لحقت بالجيوش العربية في عام ١٩٦٧ ، والذي ادى الى خفوت الاصوات المتحدثة عن خطر الابادة العربي ، فقد لجأت القيادة الاسرائيلية الى تغذية سكان اسرائيل ويهود الشتات والرأي العام الغربي بجرعات جديدة من الحديث عن الخطر . ولكن الحديث اتجه هذه المرة نحو « الخطر السوفييتي » و« الخوف من الدب الاحمر » الذي لا يهدد اسرائيل وحدها ، بل يهدد الوجود الغربي والمصالح الغربية في الشرق الاوسط . ففي أيار ١٩٧١ كتب عيزر وايزمان تحت عنوان : **ما الذي يجعل وزير الدفاع يتراجع** : « وما تزال هذه الحكومة (الاسرائيلية) تعمل في جو من المخاوف، ومن الحديث عن صعوبة محاربة المصريين اليوم لانه **ينبغي الخوف من الروس** »(٢٢) . واشار زئيف شيف الى **احتمال التدخل السوفييتي** في الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، والخطر الذي يمثله هذا التدخل عندما قال « ان أكثر المسائل التي تتخبط فيها اسرائيل حيوية هي كيف سترد الولايات المتحدة في حالة **تدخل روسي** بصورة فعالة ومباشرة بالقتال في قناة السويس وسيناء ، وربما اكثر عمقا في أراضي اسرائيل »(٢٣) . وذكر رئيس الأركان حاييم بارليف في حديثه مع الاذاعة الاسرائيلية بتاريخ ٧١/٩/١١ « ان اسرائيل لا تستطيع ــ بأي حال ــ ان تتجاهل الوجود السوفييتي في المنطقة . ولا تستطيع ان تخرجه من حساباتها عند أي تقدير للموقف »(٢٤) . . . « اننا لا نجهل انه في حالة عودة القتال فان بعض الاعمال ستؤدي بلا شك الى رد فعل

سوفييتي »(٢٥). وذهب اسحاق رابين سفير اسرائيل في الولايات المتحدة الى ابعد من ذلك في البيان الذي القاه امام اللجنة الاميركية ــ الاسرائيلية للشؤون العامة وقال فيه : « ليس ثمة دولة اشد رغبة من اسرائيل ان ترى اتفاقية بين القوتين الكبيرتين تقرر انهما لن تستدرجا الى الصراع المحلي مهما كانت الظروف . الا ان الروس قاموا لسوء الحظ بالخطوة الاولى ... فأشركوا قواتهم الذاتية في نزاعنا المحلي في آذار ١٩٧٠ . ومنذ ذلك الحين نعيش في وضع تشترك فيه **قوة كبرى بقواها الذاتية** الى جانب احد اطراف الصراع »(٢٦).

ولقد استغل الاسرائيليون هذا الموقف الجديد لاستثارة الولايات المتحدة وحلفائها داخل حلف الاطلسي ، ولابتزاز الاموال والاسلحة المتطورة من الولايات المتحدة التي لم تتردد في تقديم طائرات الفانتوم المزودة بأحدث الاجهزة للصراع ضد الدفاع الجوي المصري بما في ذلك بطاريات الصواريخ التي يديرها السوفييت وطائرات الاعتراض التي يقودهـــا طيارون سوفييت . ولقد كتب زيف شئيف بهذا الصدد « اعتقد ان لاسرائيل الحق في المطالبة بهبات شبيهة بتلك التي تعطى للدول الغربية **الواقعة بالقرب مـــن الحدود الروسية** . على الولايات المتحدة الاعتراف بحقيقة ان موسكو نجحت في توسيع حدودها منذ الحرب العالمية الثانية الى حد بعيد . ان اسرائيل هي احدى الدول الواقعة اليوم على الحدود الجديدة . ولذا يحق لها ان تتوقع مساعدة اميركية ملائمة »(٢٧). وعندما تحدث اسحاق رابين أمام اللجنة الاميركية ــ الاسرائيلية للشؤون العامة ، اشار الى مسألة المعدات والاسلحة وقال بأنه استلم اسلحة كافية لمحاربة العرب « لكن المشكلة لا تقتصر على القوات العربية . ففي الوقت الحاضر على اسرائيل الا تقدر فقط قوتها العسكرية مقابل قوة الدول العربية مجتمعة ، ومدعمة بكميات لا حد لها من السلاح والتقنيين والمدربين من الاتحاد السوفييتي ، بل انها تواجه ايضا **التورط العسكري المباشر لقوة كبرى** . ان الاتحاد السوفييتي موجود على ارض مصر ، واذا استؤنفت الاعتداءات ــ آمل الا يحدث هذا ــ قد نجد انفسنا مشتبكين مع قوات روسية محدودة متمركزة في مصر وملتزمة بعمليات عسكرية ذات ادوار معينة في الاجواء المصرية . هذه هي مشكلتنا » ... « ان باستطاعة اسرائيل ان تدافع عن نفسها بنفسها ضد قوى العالم العربي مجتمعة لاية فترة ممكنة ــ خمس او عشرين او خمسين سنة ــ ما دمنا لا نحرم من المعدات اللازمة لدفاعنا . واذا كان هناك تهديد لوجود اسرائيل فانه يأتي من **خطر مشاركة الاتحاد السوفييتي بقواته الذاتية** في الصراع ضدنا »(٢٨). ولم تقتصر مطالب اسرائيل من واشنطن على الاموال والاسلحة والمعدات بل تعدتها الى المطالبة بضمانات جديدة تتعهد الولايات المتحدة بها **بالتدخل الفعال** الى جانب القوات الاسرائيلية اذا ما تعرض امن اسرائيل لخطر حقيقي من جانب السوفييت . ولقد نشرت هآرتس تعليقا لزيف شئيف قالت فيه : « ولعله يستحسن الابقاء في هذه اللحظة على الشك لدى الروس حيال استعداد الولايات المتحدة لمجابهتهم اذا تعرضوا لاسرائيل »(٢٩). وذكرت معاريف في تعليق على زيارة سيسكو لاسرائيل « ان الالتزامات الامريكية والردع في وجه التدخل السوفييتي ، وهما جوهر المشكلة في نظر مخططي السياسة الاسرائيليـــة ، سيجددان هذه المرة ايضا شروط اسرائيل »(٣٠). وعندما حدد اسحاق رابين امام مؤتمر اللجنة الامريكية ــ الاسرائيلية للشؤون العامة الاهداف الاربعة التي تسعى اسرائيل لتحقيقها في علاقتها مع امريكا قال عن الهدف الثالث : « والهدف الثالث اكثـــر تعقيدا نوعا ما . ذلك ان صراع الشرق الاوسط لم يقتصر على نزاع محلي ، فثمة قوة كبرى هي الاتحاد السوفييتي متورطة ايضا . لهذا فاننا **نحتاج لموقف امريكي معين** ، يؤثر في الاوضاع بطريقة تحول دون حرية الاتحاد السوفييتي بالقيام بأعمال عسكرية ضـــد اسرائيل »(٣١).

وهكذا نرى ان اسرائيل لم تتوقف طوال فترة وجودها عن التحدث باسهاب عن خطر الابادة رغم انها كانت غير معرضة لهذا الخطر . وعلى الجانب الاخر من الخندق تحدث العرب عن ابادة اسرائيل في وقت كان ميزان القوى **سلبيا** بالنسبة لهم . واذا كانت اسرائيل قد استفادت من حديثها عن هذا الخطر ، وابتزت ما هي بحاجة اليه من عطف وتأييد واموال واسلحة ومعدات ، وكسبت المناورتين السياسيتين الداخلية والخارجية، فان نتيجة حديث الساسة العرب عن ضرورة ابادة اسرائيل — دون امتلاك الاداة اللازمة لذلك ، وقبل ظهور الظروف التي تسمح حتى بقهر القوات المعادية المسلحة — أفقدهم الكثير على صعيد المناورة السياسية الخارجية ، وأضعف قدرتهم على المناورة السياسية الداخلية لانه خلق حالة رفض وعدم ثقة داخل الجماهير العربية التي كانت تفجع دائما بالتناقض بين طموحاتها والامكانات المتوفرة لها ، وبالبون الشاسع بين ما تطرحه الحكومات نتيجة لتصوراتها الذاتية او لاغراضها الداخلية وحقيقة الواقع الموضوعي على أرض الصراع السياسية — العسكرية .

ان هذا القول لا يعني مطلقا نقد فكرة ابادة العدو الاسرائيلي (لا بمعنى تدمير الناس والممتلكات بل بمعنى تدمير الهياكل السياسية — العسكرية الاساسية وقهر القوات المسلحة بشكل يحقق الهدف السياسي العربي) فهذه الفكرة كامنة في صلب كل صراع ، وتشكل هدف كل قوتين متجابهتين تحاول كل واحدة منهما استخدام العنف — بعد فشل الاساليب الاخرى — لتدمير قدرة الخصم القتالية او لشلها عن الحركة بغية الوصول الى الاغراض العسكرية التي تتم المساومة عليها للوصول الى الاهداف السياسية . ولا يمكن لامة تجابه تحديا مصيريا يعرض وجودها كله للخطر الا أن تفكر بالحرب وتستعد لها ، وأن تستعد بالتالي لتبني فكرة كلاوزفيتز « ان الحل الدامي للازمة اي الجهد الرامي الى ابادة القوات المعادية هو الابن الشرعي للحرب »(٣٢) مع التأكيد على أن « تدمير قوات العدو هو أهم هدف رهان في الحرب قاطبة »(٣٣). ان نقدنا لا يلامس الفكرة بل يتجه بشكل اساسي الى التحدث عن الابادة قبل امتلاك القوة اللازمة للهجوم ، وقبل انتظار المناخ السياسي الدولي الملائم . والتحدث عن الهجوم مع النية باتخاذ موقف الدفاع ، وفي ذلك مخالفة لمبدأ حربي اساسي يؤكد ضرورة التحدث عن الدفاع عندما تكون الخطة الهجومية مكتملة والقوى الهجومية مستعدة للضرب .

ان الواقع العسكري العربي الحالي ، ومضي سنتين على وقف اطلاق النار دون وجود أية بادرة لمتابعة القتال ، والسعي الحثيث وراء الحل السلمي ، وانخفاض حجم الوجود العسكري السوفييتي في منطقتنا الى الحد الادنى سيسكت الابواق المتحدثة في اسرائيل عن خطر الابادة . ولكن الاستراتيجية الاسرائيلية لم تتبدل . وستبقى اسسها واهدافها وأساليبها كما كانت من قبل . فمن اين ستستقي بعد اليوم مبررات حديثها عن الخطر ؟ وهل ستجد ضالتها في بعض التصريحات النارية الجديدة التي يطلقها الزعماء العرب عن الحرب — دون امتلاك أداتها — أم في تحليلات عسكرية أحادية الجانب كتحليلات الفريق صلاح الدين الحديدي في كتابه الذي نشرت مجلة الحوادث عددا من فصوله(٣٤)، أم في الاخبار الغامضة التي تتردد عن **سراب** شراء أسلحة غربية فرنسية أو ايطالية او انكليزية ان لم نقل أمريكية لتبديل موازين القوى ؟

هذا هو ما سترد عليه الاحداث في وقت غير بعيد .

---

١ — تيودور هرتزل . ذكرها هيثم الكيلاني في **المذهب العسكري الاسرائيلي** ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت .

٢ — بن غوريون (١٩٤٦) ، **المرجع السابق** .

٣ — الدكتور التمان (١٩٥٣)، **المرجع السابق**.

٤ — في مطلع آب ١٩٧٢ قال المطران يوسف

ريا لمولدا مائير خلال اجتماعه بها : « لقد خلقت الحكومة بقرة مقدسة اسمها الامن » .

٥ ــ عرض الياهو سلفطر في **هآرتس** ، ١١/١٧/ ٧١ ، عن **نشرة م. د. ف.** ، ٧١/١١/١٦ .

٦ ــ **المرجع نفسه** .

٧ ــ من حديث لهربرت ماركوز خلال زيارته لاسرائيل في نهاية عام ١٩٧١ : « انكم على طريق اقامة غيتو مادي ومعنوي آخر ، الا اذا حدث تغيير وستكونون معزولين عن العالم المعادي لكم » ، **نشرة م. د. ف.** ، ٧٢/١/١ .

٨ ــ **معاريف** ، ٧١/٤/٢٨ ــ نشرة م. د. ف. ، ٧١/٧/١ .

٩ ــ **معاريف** ٧٢/٦/٧ ــ نشرة م. د. ف. ، ٧٢/٧/١ .

١٠ ــ **معاريف** ٧٢/٦/٢ ــ نشرة م. د. ف. ، ٧٢/٦/١٦ .

١١ ــ **دافار** ، ٧٢/٣/٣١ .

١٢ ــ نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** العبرية الصادرة عن مركز الابحاث الفلسطينية ، ٧٢/٨/٥ .

١٣ ــ **هآرتس** ، ٧١/١٢/٢٢ .

١٤ ــ **معاريف** ، ٧١/١٢/١٠ ، نشرة م.د.ف. ، ٧٢/١/١ .

١٥ ــ مركز الابحاث الفلسطينية ، **اليوميات الفلسطينية** ، مجلد ١٣ ، ص ٣٧٣ .

١٦ ــ **هآرتس** ، ٧٢/٣/١٩ ، نشرة م.د.ف. ، ٧٢/٤/١ .

١٧ ــ **دافار** ، ٧٢/٦/١٥ ، نشرة م.د.ف. ، ٧٢/٧/١ .

١٨ ــ **عال همشمار** ، ٧٢/٣/٢٠ ، نشرة م.د.ف. ، ٧٢/٤/١ .

١٩ ــ **معاريف** ، ٧٢/٤/٤ ، نشرة م. د.ف. ، ٧٢/٥/١ .

٢٠ ــ **المرجع السابق** .

٢١ ــ **يديعوت احرونوت** ، ٧٢/٦/٦ ، نشرة م.د. ف. ، ٧٢/٧/١ .

٢٢ ــ **معاريف** ، ٧٢/٥/١٤ ، نشرة م. د.ف. ، ٧٢/٦/١ .

٢٣ ــ **هآرتس** ، « كيف يفكرون في البنتاغون (الحلقة الرابعة) » ، ٧١/٧/٢ ، ملحق العدد ٨ من نشرة م. د. ف. ، ٧١/٧/١٦ .

٢٤ ــ **الاهرام** ، ٧١/٩/١٢ .

٢٥ ــ وكالات الانباء : أ. ب ، ي. ب .

٢٦ ــ **نيرايست ريبورت** ، ٧٢/٥/٧ ، نشرة م. د. ف. ، ٧٢/٦/١ .

٢٧ ــ **هآرتس** ، « كيف يفكرون في البنتاغون (الحلقة الخامسة) » ، ٧١/٧/٤ ، ملحق العدد ٨ من نشرة م. د. ف. ، ٧١/٧/١٦ .

٢٨ ــ **نيرايست ريبورت** ، ٧٢/٥/٧ ، نشرة م.د.ف. ، ٧٢/٦/١ .

٢٩ ــ **هآرتس** ، « كيف يفكرون في البنتاغون (الحلقة الخامسة) » ، ٧١/٧/٤ ، ملحق العدد ٨ من نشرة م. د. ف. ، ٧١/٧/١٦ .

٣٠ ــ **معاريف** ، ٧١/٧/٢٣ .

٣١ ــ **نيرايست ريبورت** ، ٧٢/٥/٧ ، نشرة م.د.ف. ، ٧٢/٦/١ .

٣٢ ــ كارل فون كلاوزفيتز « **في الحرب** » الجزء الاول ، الفصل الثاني ، الصفحة ١١٥ .

٣٣ ــ كارل فون كلاوزفيتز ، **المرجع السابق** .

٣٤ ــ تقول نشرة **رصد اذاعة اسرائيل العبرية**، الصادرة عن مركز الابحاث الفلسطينية (عدد ٢١ في ٧٢/٨/٢٤) ان اللواء الاحتياط حاييم هيرتسوغ علق في اذاعة اسرائيل على صدور كتاب الفريق صلاح الدين الحديدي ، وعلى حديث المؤلف عن خطة هجومية مصرية في عام ١٩٦٧ بما يلي : « لهذا التصريح اهمية كبيرة لانه قد لحقنا ضرر كبير حسب رأيي من جراء التصريحات الكثيرة غير المعتمدة ، واحيانا غير المسؤولة التي أدلى بها البعض في الفترة الاخيرة ، والتي مفادها ان اسرائيل لم يكن يتهددها الخطر في فترة الاستعداد لحرب الايام الستة . ومن المفيد ان يأتي مصري اخيرا ، ويعترف ان هدف مصر كان هجوميا وان المصريين أرادوا مهاجمة اسرائيل » . وعندما سأله مراسل الاذاعة بولماز براك : « هل يفهم من ذلك ان خطر الابادة يتهددنا ؟ » اجاب هيرتسوغ : « هل كنا مهددين بالابادة أم لا أمر خاضع للاعتبارات الموضوعية ، ولكن من ناحية ذاتية كان خطر الابادة بالنسبة للسكان في اسرائيل ماثلا حقا أمام اعينهم ... ومن الجهة الاخرى كان العرب ينوون ابادتنا . ان اعتراف المسؤول المصري في غاية الاهمية لانه يعيد وضع الاحداث في المنظور الصحيح » .

« الاتحاد الوطني »
والشكل الراهن للسلطة في الاردن

هاني حوراني

[١]

في ٧ ايلـــول ١٩٧١ ، اي بعيد قرابة الشهرين من خـــروج المقاومة من جبـــال عجلون والاحراج ، وبعد مرور عام على قتال ايلول ، أعلن الملك ، قيام تنظيم سياسي عـــام في البلاد « يضم جميع ابناء الشعب وبناته ، وينظم طاقات المجتمع وامكاناته ، ويوجههـــا نحو اهداف محددة واضحة »(١) . وبصيغة « الاتحاد الوطني » لم يعد النظـــام يتحدث باسم الشرائح الطبقية والفئات العليا من المجتمع ، بل أعطى نفسه حق الحديث باسم جميع الطبقات وباسم الشعب وعاد الملك ليؤكد أن الاتحاد الوطني « ليـــس هو تنظيما حزبيا بالمعنى السياسي او الاجتماعي المعروف ، ولكنه اطار عام ينتظم الانسان والحياة في بلدنا »(٢) . فما الذي حصل ؟ وماذا يعبر هـــذا التحول ، وبأي اتجـــاه يجري داخل النظام ؟

لحظة الاعلان عن الاتحاد الوطني ، كانت ذاكرة الجماهير ما زالت ندية . وتعود الى ما قبل عام ، حين كانت توطن نفسها للانعتاق ، واذ ذاك كانت الردة الرجعية قد استكملت ملامحهـــا ، واستعادت كل تقاليدهـــا بسرعة . وخلال عام اخذت كـــل ادوات القمع ورموزها التي لم تكن حتى الامس القريب ، غير أكسسوارات لمسرحية تاريخية بالية ، تستعيد اعتبارها ، و « عاد كذلك الى الظهور رجال الدرك القـــدامى الذين بدا أنهم اندثروا منذ امد بعيد » . وفي ايام ايلول الدموية استنفر الملك اسلحة الماضي في الحرب الصليبية التي شنها ضد المقاومة والحركة الوطنية الديمقراطية . واتحدت الشرائـــح الطبقية العليا في الدولة والجيش ، حيثما رأت جحيمها في مرمى البصر ، وتسلحت بالعداء البدائي ، وبالأخطاء المقدمة من الجبهة المقابلة لها ، وأعطت فيالقها شرف القتال من اجل اقرار سلطة « القانون والنظام » واحباط « المؤامرة الجهنمية » ومشروع « الوطن البديل » . وهكذا اندفعت الفيالق الصليبية الجديدة للقتال بشراسة ، مسلحـــة بوعود غسل شرفها العسكري المهدور ، واعادة اعتبارها لذاتها ، والانتقـــام من العقائديين والملحدين ، والفدائيين غير الشرفاء ، وتطهـــير الفداء من مدعي الفداء » . ومع نتائج القتال الشرس الـــذي دار قرابة الايام العشرة ، كـــان حزب النظـــام ، غير المعلن : البرجوازية البيروقراطية في الدولـــة والجيش ، بعض اجنحة البرجوازيـــة الكبـــيرة ، والزعماء العشائريون ، يسجل انتصاره لمصلحته الخاصة تحت عنوان « مصلحة البلاد والمجتمع » وفي الوقت ذاته كـــانت نشوة الجنود بسقوط عدد من اجـــزاء « المدينة » بيدهم ، بعد أن استعصت عليهم في الايام المـــاضية ، قد بلغت ذروتها ، فلم ينسوا ان يحولوا نارهم ، ونهبهم الى الاحيـــاء البرجوازية ، التي ابدت تساهلها وضعفها تجـــاه

المقاومة ــ وبالتالي استحقوا عقابهم . لقد كان كل ما هــو مديني ، كل ما هو معتدل ومتعقل يجد نفسه معرضا للعقاب ومستهدفــا بالعداء . ان المدينة بكاملهــا ، عوقبت جماعيا وان تراوحت حصص احيائها ، لكونها متواطئة مع المقاومة .

ان الجنود المشحونين بايديولوجية النظام ، وبالشــعارات التي وضعت بين ايديهم ، وبتعزيز العداء الشخصي بينهم لكل ما له صلة بالمقاومة وبالمدينة ، لــم يوفروا الحماة القدامى للنظام ، الذين كانوا قبل ايام حرس النظــام ، والذين يضعون بشــعاراتهم السلمية والتفاهمية ، واجهة متعقلة و « وطنية » للذين يعدون عمليا للتصفية وللمجزرة. وهكذا ، فان الجنود السكارى الذين قاتلوا تحت راية سيادة القانون والنظام وتحت راية الدين ضد الالحاد ، وراية حماية المجتمع ضد الفوضى ، طافوا في الاحياء البرجوازية ، وحطموا واجهات المحال ونهبوها ، ودخلوا المنازل الوجيهــة عنوة ، وعبثوا ، واعتدوا عــلى الاعراض ، وواجهوا بالضرب والشتم كل من يفســد طقوس الغزو الاحتفالي . واطلقوا النار على سبيل التسلية على مواطنين ، يعتبرون طيعين ، امتثاليين ، غاية في الطاعة والامتثال للنظام . وسددوا قذائفهم على المساجد والكنائس ، واهانوا رجــال الدين ، ولم يوفروا رموز النظام حتى الامس من الاذلال . **اي انهم انتهكوا كل ما حارب النظام باسمه ، وقاتلوا من اجله** . واخيرا ، وعــلى اكتاف هذه الفيالق ، وباسمها ، صعد وصفي التل ، الذي كان ضمن بضعة رجال من أبطال المجزرة في غرفــة عمليات النظام ، الى سدة الحكم ، بعد ان كــان يقف الى جانبه ، ومن خلفه ، او على هامشه لسنوات منذ عام ١٩٦٦ .

[٢]

ان وصفي التل ، لم يفهم كما يجب ، ولم تعامله المقاومــة بما يستحق كخصم ، ومن ثم فان « تحليلهم » له ، لم يصبه سياسيا ، كما اصابته رصاصات مقاتلي ايلول الاسود فيزيقيا . انهم لم يتوصلوا الا الى اطلاق اللعنات وصرخــات الثأر من الارادة الجهنمية الاستعمارية التي اعدته وهيئته لدوره المنتظر ، ولم يفهموه الا كوريث لاقليمية والــده الشاعر ، ورجل الانجليز وصنيعتهم . وبالتالي فقد قاتلوا فيه شبحا لعينا لــم يعرفوا كنهه، **في الوقت الذي اغفلوه كافراز وكنهج سياسي واجتماعي ينبثق عن بنيان اجتماعي له علاقاته الداخلية وقوانينه** .

[٣]

لم يسبق ان صعد سياسي اردني الى رئاسة الوزارة بمثل العنجهية والغطرسة التي احاطت بصعود وصفي التل بعيد المجزرة . انه لم يكتف باملاء **شروطه** على الملك لقبول الوزارة ــ متسلحا بحرارة مواسير البنادق التي لم تتوقف عن العمل بعــد ، وبدخان البارود الذي يعبق في جو السلطة ويصبغ سياستها ــ وانما اعلنت هذه الشروط ، التي تمثل طبيعة نهج التل ، عبر وكالة الانباء الاردنية الرسمية ووزعت بما تستحق من عناية عبر اجهزة الاعلام الاردنية المختلفة . ومع التحول النوعي الكبير في موازين القوى بين المقاومة والنظام ، الراجح لصالح الاخيرة . كان التحول ذاته يطرأ على علاقات الاجنحة المختلفة المنضوية تحت لواء النظام الاردني . كما ان الملك ، الذي اعتاد ان يلعب دوره القديم « كوالد للاسرة الاردنية » ، وان يمسك عصا التوازن بين شتى اجنحة النظام من منتصفها ، كان واعيا بالثقل الذي يمثله وصفي التل الــذي يحظى بثقــة البيروقراطية الادارية والاطارات العليا من النظام وكبار الضباط . وبالتالي كان مضطرا الى الاتكاء على برنامج التل ونهجه المتصلب ، الذي يكفل له استعادة السيادة الكاملة للنظام واحكام سلطته على البلاد ، غير انه يخفف من سلطة الملك ويخضعها لتقنين سياسي كابح . وهكذا فان ظهور الاتحاد الوطني ، كتنظيم سياسي في البلاد ، كان تعبيرا تنظيميا ، عن نهج هذه الفئات والشرائح التي اعطت وصفي التل **ثقله الاجتماعي في البلاد** ، واعطته

لمرونة الجواء تحولات جذرية على بنية السلطة مما يكفل لها احتلال مراكز متميزة ضمن النظام . ان اطروحة انشاء تنظيم سياسي موحد في البلاد ، يمثل الطليعة الاكثر تنفيحا وتشذيبا لمفهوم وصفي التل في العمل السياسي . وهي طبعة مكيفة ومعدلة لاطروحات سابقة لم تعرف الحياة قط . ففي اوائل الستينات ، كان وصفي التل ينشط لطرح مشروع يسمح بانشاء احزاب سياسية في البلاد ، تتكون ضمن اطار النظام وشرعيته ، وتقتسم ادوار الحكم والمعارضة وفقا لمنظور ليبرالي يتيح فرص الصراع على السلطة على أسس برامجية ، يوفر للنظام قواعد استقرار سياسي نسبي ، ويقلل من الطابع العشوائي للصعود والهبوط للرموز السياسية في البلاد والتي تتم وفق « ارادة ملكية سامية » غير محكومة بنفوذ هذه القوة الاجتماعية او تلك ، هذا البرنامج السياسي او ذاك(٣) . ان وصفي التل ردد اطروحته هذه في فترة صعوده السياسي المفاجيء ، **وبدون اسناد اجتماعي من قاعدة النظام التقليدية** . وخرج من الظلال ، في فترة تنامي النفوذ الامبريالي في البلاد ، وخضوعها لنموذجه التنموي ، متسلحا بوزارة من **التكنوقراطيين والاداريين والمهنيين** ، الذين لم يسبق لهم ان شغلوا مناصب وزارية من قبل . وكان بينهم عدد من ذوي المسحة الوطنية والعصرية ، وعدد من الحزبيين الديمقراطيين المرتدين . لقد كانت حكومته تلك (١٩٦٢) اشارة ذات دلالة للتحولات التي جرت على عدد من الفئات الاجتماعية « البرجوازية الكبيرة والمتوسطة » والتي باتت جزءا من قاعدة النظام الاجتماعية ، وذلك بعد ان افسحت سياسة الاستعمار الجديد الاقتصادية في البلاد المجال لتنامي الاستثمارات في قطاعات التجارة والصناعة والزراعة ، مما عزز وضع هذه الفئات اقتصاديا واجتماعيا ، وأمكن حل تناقضها مع النظام بشكل ودي وضمن حصولها على نفوذ سياسي مواز ، يعبر عن نهجها وطموحها(٤) . وهكذا فان اطروحة تعدد الاحزاب جاءت متوافقة مع النموذج « الليبرالي » للتنمية والتطور الاقتصادي في الاردن ، والتي لعبت المساعدات والاستثمارات الامريكية دورا مهما فيها . كما قدمت الولايات المتحدة ومؤسساتها المتخصصة ، التوصيات المناسبة لنمط التنمية وشكل الاسهام الحكومي وحدوده . اي ان اطروحة تعدد الاحزاب كانت متوافقة مع موضوعات التنمية الليبرالية « المبادرة الحرة ، الحرية الاقتصادية .. الخ » ان برنامج السنوات السبع كان صدى مباشرا لهذه التوصيات ، فقد كانت السياسة الاقتصادية تتبنى تعاون القطاعين الحكومي والخاص ، وترك للدولة دور الاسهام في المشاريع العامة ، واحداث تسهيلات تحتية تعزز مبادرة القطاع الخاص (شق الطرق والمواصلات المختلفة ، مشاريع الري .. الخ) واسهام الدولة في تمويل المشاريع الانتاجية الكبيرة ، ثم طرح حصص الدولة فيما بعد للبيع للقطاع الخاص . بالاضافة الى احداث تسهيلات تشريعية مختلفة لحماية الانتاج المحلي واغراء القطاع الخاص بتوسيع مجال الاستثمار(٥) . اي ان وصفي التل ، قدم اطروحة الاحزاب المتعددة ، الى جانب اسهامه في احداث تطوير رأسمالي في البلاد (في شروط وآفاق كولونيالية) ، وتحديث قطاعات الانتاج واطارات الدولة . وجاءت بالتالي محاولته لبلورة اطاراته السياسية ، وتنمية قوته الاجتماعية . ان اطروحته هذه كانت **محاولة للبحث عن هذه الاطر** ، وهذه القاعدة الاجتماعية من الفئات **المتنورة والعصرية في قطاع الدولة والبرجوازية النامية ، المتصلة بالقطاع الحديث من الانتاج ، ومن التكنوقراط والمهنيين** ، ليواجه بهم الثقل السياسي لباقي الرموز التقليدية في النظام والمستندة الى قوى اجتماعية غير قادرة على طرح برنامج له جزالة برنامجه العصري وبريقه . ومن ثم فان هذه الاطروحة كانت كفيلة ــ ان تحققت ــ باهتدائه الى الاطر التي تبلور برنامجا يحظى بثقة القوى الاجتماعية النامية والتي تبحث لنفسها عن دور ارسخ في تقرير سياسة النظام ، وتضمن له ايضا البقاء في السلطة ، او الصعود اليها مجددا ، بهدف عقلنة اسلوب الصعود والهبوط من السلطة وتقنينه وفقا لقوانين واسس الصراع البرامجي بين الفئات والشرائح الطبقية المشكلة

لقاعدة النظام الاجتماعية . اي بهدف التقليل ، ما امكن ، من الطابع العشوائي الذي يفرضه الملك ، كموجه وموازن بين اجنحة السلطة ، في تحديد الوجهة السياسية للبلاد ، الامر الذي يجعل طموحات التل مهددة فعلا بالسقوط في الظلام ، بمجرد ان يطرأ اي تناقض مع الملك ، وتذهب « الارادة الملكية السامية » للبحث عن رجل منفذ ، اكثر طواعية ، ليصعد مجددا الى النور(٦).

وكما نعرف ، فان هذا المشروع لم ير النور قط، وبوسعنا ان نتصور ان ما طوى اطروحة الاحزاب ، هو بالذات الهاجس الذي كان يتخوف منه وصفي التل : « الارادة الملكية السامية » التي لا يمكن ان تتوافق دوما وابدا مع منظور وصفي التل السياسي وبرنامجه، نفوذ القوى والفئات الاخرى في قاعدة النظام ، خضوع النظام لضغوط التحولات الجماهيرية في المنطقة العربية وانعكاساتها على البلاد ، مما يتطلب الانحناء للعواصف السياسية ، لا مجابهتها . ان ما يمكن اضافته ، هو ان القوى والشرائح التي اطلق وصفي التل شهيتها بحكومته الاولى « حكومة الشباب » من اجل حصص اكبر في السلطة ، ومن اجل اقرار نهج مؤات لمصالحها ، كانت **جنينية سياسيا** ، ولم تجد الفرصة لتميز نفسها بشكل اكثر نضجا ، كما لم تجد الشجاعة لتقدم رموزا اخرى بقوة شكيمة رمزها الاول وصلافته . وبكلمة اخرى لم تع ، هذه الفئات والشرائح مصالحها كليا بصورة اكثر تجانسا وتمايزا بما يكفل لها طرح نفسها كقوة سياسية يحسب حسابها . ولعل اكثر محاولاتها هذه نموذجية ، نجده في السؤال الخجول الذي قدمته مجلة « الاثنين » في منتصف الستينات عن غياب السياسيين الشبان في الحكومات المتعاقبة على البلاد .

[٤]

ان التعديل والتنقيح الذي اجراه وصفي التل ، بطرحه مشروع التنظيم السياسي الموحد بدلا من اطروحة الاحزاب المتعددة ، لم يكن مجرد تكيف مع ظروف ما بعد معارك ايلول، وان كان الاتحاد الوطني قد حمل في بنيته التنظيمية والسياسية ملامح هذه الظروف . ولذلك يمكن ان نلاحظ ان الانقسام العمودي الذي شق المجتمع ، بصورة اقليمية ، وانعكاس هذا الانقسام على قاعدة النظام الاجتماعية ، كان يعبر بهذه الدرجة او تلك عن تناقضات طبقية ، وتناقضات في المصالح بين الشرائح التي تنتمي الى ذات الطبقة . والذي له صلة بتفاوت التطور بين سكان الضفتين ، وتوزع ادوارهما الانتاجية . ذلك ان قاعدة النظام الاجتماعية والمكونة من تحالف طبقي بين البرجوازية الكبيرة (ذات الصبغة التجارية الغالبة) والملاك العقاريين والبرجوازية الادارية (البيروقراطية) في الدولة والجيش والزعامات العشائرية ، قد انقسمت ، في فترة تنامي الصراع بين النظام والمقاومة ، على نفسها . واتخذ هذا الانقسام دلالته السياسية الواضحة في عدم اتفاق اطراف النظام على نمط المجابهة مع المقاومة . وكان ثمة خياران امام النظام ، مجابهة اردنية سياسية مع المقاومة ، تكون جزءا من المجابهة السياسية العربية من اجل الوصول الى تسوية بعيد مبادرة روجرز ، ام مجابهة مسلحة لا تنتظر التسوية ، بل تكون التصفية خطوة على طريقها . وهكذا فان قاعدة النظام انقسمت على ارضية التسوية بين هذين النمطين من المواجهة(٧). لقد اخذ هذا الانقسام طابعه العياني الملموس في الايام الاخيرة من حكومة عبدالمنعم الرفاعي ، التي شهدت تصعيدا منظما للتوتر في عمان ، وتحركات عسكرية شاملة حول محاور العاصمة . واخيرا اقالة حكومة الرفاعي وقيام الحكومة العسكرية ، التي عبرت عن تغلب الاطراف المتشددة في النظام باتجاه حسم الصراع مع المقاومة عسكريا .

[٥]

ان هذا الانقسام ، الذي اخذ شكلا اقليميا ، له مقدماته بظهور تناقضات ما بين جناحي

السلطة الاساسيين - البرجوازية التجارية والملاك العقاريين من ناحية ، والبيروقراطية وكبار الضباط وبعض الرموز البرجوازية الصناعية والعشائرية من ناحية اخرى ، عبر عن نفسه في صراع زمر النظام في نهاية الستينات وتصاعد بعد الحرب . وكان موقف الرموز السياسية في السلطة والممثلة للقطاعات البرجوازية التجارية والملاك العقاريين بعد تنامي نفوذ المقاومة ، هو تحاشي الصدام معها ما أمكن ، بحكم وعيها بالاضرار التي ستخلفها مثل هذه الصدامات على مصالحها في البلاد ، وخاصة بعد ضياع الضفة الغربية . فهي بحاجة ماسة الى **جو وفاق عربي** يتيح لها التحرك اقتصاديا في مناخ سياسي ملائم .

وكانت مصالحها تعتمد أساسا على تسهيلات تسمح لها بالحركة عبر الحدود العربية ، وفي **اطار علاقات أردنية ــ عربية متوطدة** . اما البرجوازية البيروقراطية والاطارات العليا في الدولة والجيش والزعامات التقليدية الشرق ــ أردنية ، فانها على الرغم من انتعاشها الاقتصادي بفعل المساعدات العربية بعد الحرب ، الا انها لم تكن تطمئن لبدء ارتهان المساعدات بموقف النظام من المقاومة، ولكون الاخيرة تتنامى جماهيريا وسياسيا الى حد انها تقف كسلطة اخرى موازية لها وبالتالي ترى فيها نقيضها المرشح لتهديدها ، ذلك ان المقاومة كانت تمارس نفوذها كسلطة **بفعل الضغط الجماهيري ، وبشكل عفوي** وبشيء من البلادة ، وان كانت تبدو وكأنها متنزهة عن اغراض الحكم والسلطة .

ان البرجوازية البيروقراطية في الدولة وكبار الضباط ، الذين باتت تحت ايديهم قاعدة مادية مؤثرة ، وجهاز لجب من الموظفين وجيش جرار يتنامى باستمرار ، كما يتنامى حجم انفاقها ، استشعرت باستقلالها عن باقي اطارات النظام الاجتماعية ، وبتعزز مطامحها بمباشرة اقرار نهجها في السياسة العليا للنظام ، بحكم ارتباط مصالح هذه الفئة الاجتماعية ببقاء الدولة ونموها . وواقع الامر ، ان هذه الفئة الاجتماعية ، نمت وتوطدت مصالحها بفضل **البحبوحة الامبريالية** ، التي قدمت الحصة الاعظم من مساعداتها وهباتها لدعم **الميزانية** ، ولدعم **الانفاق المتكرر** في الدولة والجيش ، ربطت مستقبلها عن وعي بالرهان على الامبريالية وعلى مشاريعها. وهي قد وجدت جوهر وفاقها او تناقضها مع عدد من الاقطار العربية، على اساس مدى رهان هذه الدولة او تلك على الامبريالية ومشاريعها بصدد مسألة احتلال الاراضي العربية في حرب ١٩٦٧ ، او هي وجدت جوهر هذا الوفاق بمدى تقبل البلاد العربية المعنية او سكوتها على هذا الرهان . وعلى الرغم من ان الجناح المتصلب من النظام ، كان بحاجة الى المساعدات العربية المقررة في مؤتمر قمة الخرطوم ، الا انها كانت على استعداد للتضحية بها ، لكون هذه الدولة او تلك تشترط بهذا القدر من الجدية او ذاك ، مسألة عدم صدامها مع المقاومة ، واشتراط نوع من التعايش معها .

وهكذا نجد ان **قاعدة النظام الاجتماعية لم تعد موحدة** ، كما كانت سابقا ، بل يسودها تناقض متوتر ومشحون بالعداء الذي رفع من حرارته جسامة احداث ايلول . وتعكس هذا الواقع تصريحات وصفي التل بعيد صعوده الى السلطة ، عندما تصدى في احاديثه وندواته الصحفية بمزيد من القسوة والتجريح لرؤساء الحكومات السابقين ، (ويعني التلهوني والرفاعي ، دون ان يحتاج الى تسميتهما) واعتبرهم مسؤولين عن الاوضاع التي سادت قبيل أيلول وآلت اليه ، جنبا الى جنب مع المقاومة . كما نجد ان عبد المنعم الرفاعي يتصدى في تصريح صحفي له ، الى النهج السائد في النظام والذي يطبعه بطابع الاقليمية البغيضة وخاصة في مؤسساته الاعلامية ، معبراً عن استيائه لصعوبة تصدي النظام الاردني للقضية الفلسطينية في المنابر الدولية بالجدارة نفسها التي كان يتمتع بها! .

[٦]

ومن هنا نلمس ان اوضاع ما بعد أيلول ، وانعكاساتها على قاعدة النظام ، ليست فقط لا تتيح المجال لترك الباب مفتوحا أمام اتجاهات أطراف النظام للتعبير عن نفسها ، بل اكثر من ذلك ، فان **البيروقراطية والاطارات العليا في الدولة والجيش فرضت نهجها على بقية اطراف النظام ولجمت اي صوت مناهض لها** . ان التعبيرات العملية للطابع التسلطي السافر الذي فرضه وصفي التل في تنفيذ نهجه ، يتمثل في احداث تغييرات واسعة في مواقع النظام ، استهدفت تطهير مؤسسات الدولة والجيش والسلك الدبلوماسي كافة من الرموز التي تعبر بهذه الدرجة او تلك عن نهج متعاكس او حتى متحفظ من برنامجه ومنظوره الخاص . ان احداث التنقلات ، والاحالة على التقاعد ، والعزل كفلت بتصفية المعاقل الرسمية لرموز الاطراف الاخرى من النظام . كما ان اعادة تشكيل مجلس الاعيان واستبعاد بهجت التلهوني ، وعبد المنعم الرفاعي وسليمان النابلسي منه ، واحلال عناصر جديدة تعزز النهج السائد كان العنوان البارز للتحول داخل النظام باتجاه **انفراد طرف واحد في السلطة** . ولكون الاتحاد الوطني الاردني ، الاطار التنظيمي والايديولوجي ، لفئة واحدة من قاعدة النظام الاجتماعية، وتعبيرا عن احتكارها للسلطة في جميع مواقعها ، فان اللجنة التحضيرية والاطارات القيادية للاتحاد قد خلت من اسماء الرموز السابقة ومن يمثلها . مما يعني عمليا ، عزلهم السياسي عن ممارسة اي دور . وهكذا نلاحظ ان مصطفى دودين الامين العام المؤقت للاتحاد ، صرح بقوله « ان الحكومة ستكون جزءا من الاتحاد ، وكذلك المؤسسات الوطنية ، للقضاء على كل تعارض وخروج على مبادىء الميثاق » . وتابع دودين فقال : « ان الذين لا ينضمون للاتحاد لن يكون لهم نصيب في قيادة هذا الشعب »(٨).

ان جملة التشريعات والقوانين التي سنت بعيد أيلول ، تظهر رغبة السلطة في احداث تحولات جوهرية تمس اوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنقابية كافة . وهذه التشريعات ، ليست فقط موجهة لمزيد من الكبح للحركة الجماهيرية ، والعمال والبرجوازية الصغيرة والمتوسطة (المهنيين) وانما ايضا للبرجوازية الكبيرة ، والملاك العقاريين اذ ان التشريعات الجديدة رفعت بعض التسهيلات والامتيازات السابقة ، كما زادت من الالتزامات الضريبية على هذه الفئات لصالح ميزانية الدولة ، وحملتها جزءا هاما من اعباء الازمة الاقتصادية (مثل اجبارها على شراء السندات الحكومية ، تقديم قروض خاصة للدولة . . الخ)(٩) . ومن جهة اخرى فان عددا من المنابر والاطارات شبه السياسية مثل « التجمع الوطني الاردني، لجنة انقاذ القدس » تعرضت لضايقات قاسية شلتها عن العمل . كما ان « المجمع المهني » تعرض للحل بهدف اخضاعه للاتحاد الوطني اما النقابات العمالية ، فقد آلت الى نقابات بيضاء ، ومنابر رجعية للسلطة .

[٧]

ان مراجعة سياسية لاسماء اعضاء اللجنة التحضيرية والكوادر القيادية النشطة في الاتحاد الوطني ، تشير بجلاء الى طبيعة انفراد فئة واحدة من قاعدة النظام في السلطة ، وبغض النظر عن بعض العناصر الهامشية في الاتحاد ، فان غالبية الاسماء تنتمي الى مواقع برجوازية في أجهزة الدولة او في قطاعات رديفة ، تعكس اقتصاديا وايديولوجيا ، مصالح هذه الفئة(١٠) . كما ترتبط بها اطارات وسيطة ودنيا من الموظفين والمحافظين ، ورؤساء البلديات والمخاتير والمعلمين ، وبعض المهنيين(١١) . كما ينشط عدد من النواب والاعيان (وغالبيتهم من الشمال) في النشاطات والندوات التي ينظمها الاتحاد ، وهم في الغالب يمثلون تيار وصفي التل في مواقعهم التشريعية(١٢) . وبحكم طبيعة الاتحاد هذه ، عبر احد اعضاء اللجنة التحضيرية في حديث له أمام الموظفين ، عن طبيعة الاتحاد الاجتماعية فقال « ان جهاز الموظفين كان في الماضي قطاعا **مشلولا** ، والمطلوب الان هو ان

يكون جهازا قادرا على العمل والتحرك وأداة نشاط في جسم الاتحاد »(١٢). وفي رسالة صحفية من عمان ، كتب احد المراسلين يصف الجهود الرامية لضم الموطنين في جهاز الدولة الى الاتحاد الوطني فقال ملخصا الوضع « **انت موظف ، اذن انت عضو في الاتحاد الوطني الاردني** »(١٤).

[٨]

قبل أن يعلن الملك تبنيه الرسمي للاتحاد ، كانت انباؤه قد تسربت من أوساط النظام الى الشارع ، ونقل مراسل « النهار » في عمان حديث « مسؤول كبير » في الاتحاد حول طبيعة التنظيم الجديد « يتولى الاتحاد الوطني الاردني تحديد الخط العام للحياة الاردنية ، وقد تعلمنا من الاخطاء التي وقعت في بلدان عربية ، وسنتلافى كل ما يؤخر تقدم هذا الاتحاد ونجاحه . هذا الحزب الاردني الوحيد سيتيح وجود معارضة داخلية تكون اختلافا في أساليب العمل ، من أجل الحفاظ على الخط العام الذي سيكوّن الهياكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وكل ما له علاقة بالاردن داخلا وخارجا »(١٥).

وخلافا لهذا التصريح ، فقد حرص النظام على أن يقدم الاتحاد الوطني ، لا على أساس انه حزب ، وانما على انه « اطار عام » كما قال الملك في كلمة الاعلان عن الاتحاد في ٧ أيلول ١٩٧١ . وكذلك في جميع تصريحات اركان الاتحاد الوطني واحاديثهم . ان مصطفى دودين الامين العام المؤقت يكرر « ان الاتحاد ليس حزبا ، بدليل ان التعريف العلمي للحزب هو انه يجمع طلائع طبقية اجتماعية معينة تعمل على خدمة هذه الطبقة، والسعي لايصالها الى كراسي الحكم على حساب الطبقات الاخرى من المجتمع ، الامر الذي يخلق صراعا طبقيا في المجتمع ، وبالتالي يؤدي الى ايقاعه فريسة للعدو وفق آرائه » .

ويضيف قائلا « اننا نعيش مرحلة تحرر وطني ، وجزء من وطننا محتل ، والجزء الآخر معرض للخطر ، فمن هنا لا بد من قيام اتحاد وطني من أجل أن يقاتل هذا الشعب تحت شعار الجبهة الوطنية التي تنصهر فيها كافة قوى الشعب »(١٦). ويتحدث ابراهيم الحباشنة عضو اللجنة التنفيذية المؤقتة للاتحاد الوطني في الخط ذاته ، ويضيف « ان الاتحاد الوطني ليس تجمع أحزاب ، وانما هو اطار عام للمبادىء السياسية والوطنية والثقافية والتربوية والاقتصادية ضمن خط متواز لصالح جميع أبناء الشعب ، وليس لصالح طبقة واحدة »(١٧). وعلى الرغم من هذه التأكيدات المتتالية ، فان جميع الفئات الاجتماعية الخارجة عن اطار الاتحاد الوطني تعتبره حزبا . وكذلك الحال الصحفيون والمراقبون ، الذين يقدمونه على انه « حزب حكومي ، حزب الملك المدني ... الخ » ولكن طريقة تكوينه ونهجه العام يقدمانه على حقيقته ، كحزب الفئة المهيمنة على السلطة الان في الاردن .

لقد شكل الملك لجنة تحضيرية ضمت قرابة المئتين من الشخصيات الاردنية ـ الفلسطينية ، المعينين منه(١٨). وقد تولت هذه اللجنة انتخاب لجان مكاتب عمل المحافظات في الضفتين ، وذلك لتولي الاعداد والتنظيم والدعوة للمؤتمر العام للاتحاد . وقد تشكلت هذه اللجان الفرعية على اساس التمثيل الجغرافي للضفتين ، كما تشكلت لجنتان أخريان ، احداهما للنساء والاخرى للبدو(١٩). وقد تولت هيئة مكاتب العمل المنبثقة عن اللجنة التحضيرية تنظيم سلسلة من الاجتماعات الشعبية في المحافظات ، كما جندت وسائل الاعلام الحكومية ، وعقدت ندوات تلفزيونية، نقلت الصحف المحلية بدورها تفاصيل مناقشاتها . وكانت مهمة هذه الاجتماعات والندوات ، الدعوة للاتحاد وشرح أهداف الميثاق . ومن جهة ثانية شكلت هيئة مكاتب العمل ، لجانا قطاعية ، للتنسيق والاعلام ، ولجانا أخرى للصناعة والتجارة ، والموظفين والمعلمين والطلبة(٢٠). وشهدت الشهور الاولى للاعلان عن الاتحاد حملة تعبوية كبيرة ، تمثلت في سلسلة الاجتماعات والندوات على امتداد المحافظات ، لعبت فيها مكاتب العمل واللجان القطاعية دور

التحضير ، وقدمت لها تسهيلات حكومية ، من المحافظين ورؤساء المجالس البلدية والقروية ، والامن العام ، واستخدمت المدارس والمرافق العامة لهذه الاحتشادات ، وغطيت اعلاميا على نطاق واسع . لقد كانت مهمة هذه الاجتماعات ، الدعوة للانتساب للاتحاد ، وشرح أهدافه والرد على تساؤلات المواطنين ، وكانت مثل هذه الاجتماعات تتوج بارسال برقيات الولاء للملك والنظام والاتحاد الوطني . وليس من المبالغة في شيء، أن نشير الى الطابع القسري والزجري الذي تتم فيه هذه الاحتشادات ، اذ عوضا عن أساليب القسر المادي في تجميع المواطنين وحشرها في هذه الاجتماعات ، فان الارهاب المعنوي والسياسي كان يلعب تأثيره الخطير ، كما ان اليأس وروح التملق للسلطة منعا لشرورها ، كانا يدفعان المواطنين الى ندوات الاتحاد الوطني التي لم يكن لهم فيها من دور سوى تلقي الركام اللفظي الرسمي ، والقمع الايديولوجي الجديد . وفي أحد هذه الاجتماعات يقول مصطفى دودين صراحة « ان الانتساب اختياري ، وليس اجباريا ، ولكن لا مجال للانعزال عن مسيرة هذا البلد ، والذين يبقون خارج تنظيمات الاتحاد سيظلون بمعزل عن أبناء البلد »(٢١).

ان نشاط الاتحاد الوطني التعبوي باتجاه دفع المواطنين للانتساب للاتحاد الوطني ، قد توج بالدعوة الى المؤتمر العام للاتحاد الوطني في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٧١ . وقد دعي الى هذا الاجتماع ٢٤٠٠ شخص يمثلون المحافظات في الضفتين . وكان التمثيل موزعا بنسبة النواب عن كل محافظة مضروبا بأربعين ، وكانت كل محافظة تختار ممثليها الى المؤتمر العام(٢٢). وكما ينص النظام الاساسي المؤقت للاتحاد الوطني ، فانه ينبثق عن المؤتمر العام مجلس للاتحاد يتألف من ٣٦٠ عضوا ، بينهم ٢٤٠ عضوا يتم انتخابهم من اعضاء المؤتمر العام ، فيما يتم تعيين ١٢٠ عضوا من قبل الملك ، على أن يكونوا من اعضاء المؤتمر العام . ويظل مبدأ التعيين قائما « الى أن تزول آثار العدوان »(٢٣). وكذلك الحال مع اللجنة التنفيذية العليا ، اذ ينص النظام الاساسي المؤقت للاتحاد على انتخاب ٢٤ عضوا من أعضاء مجلس الاتحاد للجنة التنفيذية العليا ، وعلى تعيين الملك للاعضاء الاثني عشر الآخرين في اللجنة(٢٤). وفي المؤتمر العام الاول ، الذي عقد في الموعد المقرر ، جرى عرض الميثاق وتم اقراره ، كما اختير الملك رئيسا أعلى للاتحاد والامير حسن نائبا للرئيس . وخلافا لمواد النظام الاساسي السالفة ، فقد كلف المؤتمر العام الملك اختيار لجنة تنفيذية عليا مؤقتة للاتحاد ، الى حين انعقاد المؤتمر العام الثاني في شهر آب ١٩٧٢ ، وفي مطلع كانون الاول ١٩٧١ أصدر الملك قرارا بتشكيل اللجنة التنفيذية ، وكانت تتألف من ٣٦ عضوا ، بينهم ستة وزراء ، وعدد من الاعيان والنواب ، وثلاث سيدات(٢٥).

مما مر يتبين دون اي لبس ، انه رغم التصفية الرجعية التي تطبع تكوين الاتحاد ، والتي تكفل وصول ممثلي البيروقراطية الاكثر امتثالا الى المؤتمر العام ، فان الاطارات العليا في الاتحاد ، تخضع لمبدأ التعيين ، الذي يكفل خضوع الاتحاد لكوادر قيادية منتقاة ، ومضمونة الولاء . ان الاتحاد الوطني والحال كذلك، ليس اكثر من مؤسسة بيروقراطية، تفتقر الى الحد الادنى من الديمقراطية ، حتى عندما تتعامل الفئة المهيمنة على السلطة مع قاعدتها الاجتماعية .

[٩]

سبق أن أشرنا ، ان الاتحاد الوطني يطرح نفسه ، ليس على انه حزب طبقة أو فئة من هذه الطبقة ، وانما على اساس تنظيم عام لكل المجتمع ، فلماذا يصر على هذا ، في الوقت الذي تعامله الغالبية الساحقة من الجماهير على انه حزب الفئة المسيطرة على السلطة ، ويبدو ذلك جليا في استفسارات المواطنين التي تنصب على علاقة الاتحاد بالحكومة القائمة (آنذاك : حكومة وصفي التل) وما هو مصير الاتحاد في حال مجيء

لحكومة جديدة ، وما موقف الاتحاد منها . . الخ . ان الاتحاد الوطني ، شأنه شأن التنظيمات الطبقية كافة التي اقيمت بقرار رسمي من فوق ، وتشكلت باذعاء تمثيلها جميع فئات المجتمع وطبقاته ، بدون استشارة هذه الفئات والطبقات ، وبدون اعطائها حق ارسال ممثليها بالطرق ، التي قدمها التاريخ الانساني : اي احزابها الخاصة ، لتكون في النهاية اتحادا وطنيا او جبهة وطنية . ان الاتحاد الوطني ، يرفض ذلك ، انه يرفض ان يطرح نفسه كحزب ولا يريد نفسه تجمع احزاب ، انه يريد ان يكون اطارا وطنيا عريضا، انه ، كغيره من التنظيمات المشابهة في عدد من الاقطار المتخلفة ، يريد ان يضع نفسه فوق الطبقات وخارج الصراع الطبقي . وبحكم ملامح التنور الديماغوجي والانتقائية المبتذلة التي قدمتها العناصر المرتدة على ماضيها الحزبي ، الى الاتحاد الوطني ، فانه يعترف **بواقع انقسام المجتمع الى طبقات ويعترف بالاستغلال الطبقي** ، ولكنه، ولاغراض توطيد سلطة هذه الفئة على الحكم ، يريد ان يحل **هذا الانقسام وهذا الصراع وفاقيا وحبيا** . ويضع الاتحاد الوطني نفسه — وفقا للفهم البونابرتي الذي يطرحونه — **حكما** بين الطبقات ، ويقول **باذابة الفوارق الطبقية وفقا لمبادىء التضامن الاجتماعي ، التي تعني في شروط الاردن ، اشراف الدولة وتوجيهها لحدود الاستغلال الطبقي ، اي تهذيب هذا الاستغلال وتقنينه من أعلى** . ان الاتحاد الوطني ، بحكم ادعائه السياسي بأنه « اطار عام » للمجتمع ، وبكونه « جبهة وطنية تنصهر فيها كافة قوى الشعب » ، **لا يطرح مسالة العلاقات بين الاطراف المشكلة لهذه الجبهة او لهذا الاطار** ، كما تبنى عادة الجبهات الوطنية في العالم . وانما يطرح مفهوما **طبقيا** ، يبرر فيها **احتكاره للسلطة « باسم المجتمع »** ، وهذا المفهوم يعبر عنه في ميثاق الاتحاد الوطني بتعبير « **الديموقراطية الهادفة** » الذي يهذب بصفات اخلاقية مثل « الديمقراطية يجب ان تكون متفتحة ، تقوي أواصر المحبة والاخاء ، تزيل آثار الهدم وتعزز أفكار البناء ، بعيدة عن الارهاب الفكري ، ايجابية ، هادئة ، موضوعية . . الخ » . بيد ان الهدف الحقيقي ، الكامن وراء مثل هذا التعبير الديماغوجي ، هو احكام سيطرة الاتحاد الوطني واركانه ضمن النظام ، على السلطة ، وقمع الأفكار والتيارات الاخرى التي تتباين بهذه الدرجة او تلك عن افكار الاتحاد ونهجه . اذ يرى الميثاق ان حرية التعبير عن الافكار والمعتقدات في البلاد ، تتم « وفق **روح** الميثاق وفي النطاق المحدد للديمقراطية الهادفة » . ومن اجل هذا الغرض ينص الميثاق على « **رعاية** الديمقراطية الهادفة **وخلق مدارسها ومؤسساتها** بصبر وعزم وايمان »(٢٦).

ان هذه الفئة الاجتماعية ، المعبر عنها تنظيميا وسياسيا في الاتحاد الوطني ، بحكم طرحها لنفسها كاطار للمجتمع ، ولكل الطبقات والفئات ، كانت مضطرة لان تطرح نمطا معينا من الدعاوة الايديولوجية ، وبرنامجا مختلفا ، **يمس جميع الفئات والشرائح الطبقية في المجتمع** ، اي انها اقامت تعديلا نوعيا على نمط علاقة النظام بالجماهير وبالطبقات كافة. فالنظام مارس تاريخيا ، سلطته استنادا **لحق مطلق أخلاقي وديني** ، وثبت هذه السلطة وعززها **بالقمع** ، وخاصة تجاه الطبقات الدنيا والمتوسطة من المجتمع . وكانت سلطته تستند غالبا الى تحالف الشرائح الطبقية العليا مدعومة ومسنودة من البرجوازية والقوى التقليدية . ولم تكن ثمة ارضية للتعايش مع الطبقات الادنى ، **التي لم يكن بوسع النظام بحكم نمط العلاقات السائدة والنظام الاجتماعي والاقتصادي السائد ان يلبي اي مطلب شعبي ديمقراطي** . لذلك فان **القمع المباشر والسلطة البوليسية** كانت الاداة الرئيسية لغل الجماهير والقضاء على مؤسساتها . أما اليوم ، فان البرجوازية البيروقراطية وشرائح عصرية اخرى حولها ، تريد ان **تقيم صلاتها مع الطبقات والفئات المختلفة في المجتمع ، على اساس ايديولوجي** ، عوضا عن ارتكازها الى السلطة القمعية . وتريد ان تنشر مناخا ايديولوجيا ، يعزز **دور الدولة** ، ليس بوصفها اداة قمع بيد طبقة ، وانما

بوصفها جهازا فوق الطبقات ، ومنزهة عن التناقضات الطبقية والاستغلال الطبقي ، وأداة اصلاح وحكما عادلا يسترشد « بمبادىء التضامن الاجتماعي » . كما انها تطرح الاتحاد الوطني ، على انه الاطار السياسي **لجميع الطبقات والفئات الاجتماعية** ، ومن خلال مشاركة الجماهير ، في الاتحاد ، فانها تشارك في السلطة في توجيه الحكم ومراقبته. ومن هنا ، فان البرجوازية البيروقراطية والشرائح المحيطة بها ، تريد ان تقيم حكما استبداديا مستنيرا ، يعقلن النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، عبر النخبة البيروقراطية العصرية المتنورة ، التي تضع نفسها خارج العراك ، وخارج حلبة الصراع الاجتماعي . وهي بصدد ذلك ، بمقدار الترميمات التي تجريها على النظام السياسي وعلى نظام الانتاج ، التي تعزز سلطة الدولة في الاشراف والتوجيه والتخطيط المركزي ، فانها تسعى الى **احداث تعديل على قاعدة النظام الاجتماعية ، يطمح الى ادخال فئات جديدة** ، وحصر الفئات المنافسة (البرجوازية التجارية والملاك العقاريين) . ان خرق الاتحاد لقاعدة النظام التقليدية والتوجه نحو فئات متوسطة ودنيا ، لا يمكن ان يتم دون تبني اصلاحات معينة تساعد على تحرير أوهام هذه الفئات حول امكان تحقيق النظام لمطالبها . بيد ان هذه الاصلاحات انما تتم وتجير لصالح تعزيز السلطة السياسية للبيروقراطية وحلفائها ولا تصاحبها حريات سياسية وديمقراطية وانما على العكس ، وبالتالي فانه ليست هناك ضمانات لتحقيق هذه الاصلاحات . ان قطاعات مهمة ، **في الريف الاردني ، وفئات اخرى من البرجوازية المتوسطة والصغيرة الشرق ــ اردنية في اجهزة الدولة والقطاعات المرتبطة بها** ، جرى تعزيز مخاوفها بعيد قتال أيلول انها كانت مستهدفة من المقاومة ، باستهدافها للدولة ، وقد جاء الاتحاد الوطني ورموزه القيادية في الحكم ، لتعزز هذه المخاوف ، **بدعوتها لان تلعب دورا سياسيا في دعم النظام الراهن** ، الذي هو حامي مصالحها . لذلك فان الاتحاد كان نشطا للغاية في مناطق **شمال الاردن** على نحو بارز ، كما منحته **الانتلجنسيا الاردنية** ، العصرية في المدن دماء جديدة ، واعطت الحكومة طابعها المتقدم عن الحكومات السابقة .

[١٠]

في الفترات التي يزداد الصراع الاجتماعي ، في بلد من البلدان ، وعندما تصبح الازمة الثورية ناضجة ، فان الرجعية لا تستطيع ، عشية انتصار الثورة ، ان تعيد تقديم نفسها ، كما عرفتها الجماهير سابقا . ذلك ان المد الثوري ، وتطور الوعي والنضج الموضوعي ، تخلق ثقافة وتقاليد متقدمة بين صفوف الجماهير ، وتقدم الشواهد التاريخية ، على ان عودة الرجعية للسلطة يتخذ طابعا جديدا ، اي انها تميل الى تغيير ثوبها ، وتسعى لمحو ذاكرة الجماهير واعادة اعتبارها لذاتها أمامهم . وفي مثل هذه الظروف يتقدم المرتدون ، الذين كانوا في يوم من الايام في صفوف الحركة الجماهيرية ، ثم تجاوزتهم الحقبة ، ليقدموا للرجعية اثمن الخدمات . فهم الذين يأخذون على عاتقهم تبرئة النظام وتحديثه ، ويمنحون النظام غطاء ايديولوجيا ، يستر عريه الرجعي البشع ، بانتقائية مبتذلة وديماغوجية ، مركبة من ثقافات ومنابع ايديولوجية مختلفة ، توطد للنظام استقرارا وتؤمن له الاستمرار . وبالطبع فان هؤلاء المرتدين(٢٧) لا يقدمون على ذلك تطوعا ، كما ان القوى التقليدية تقبل بهم بطوع ارادتها وبرضاها . ان ما يجعل مثل هذا اللقاء المقيت ممكنا ، هو الحقبة والظرف الموضوعي الحرج لكلا الطرفين . وهذا ما فعله الحزبيون المرتدون ، عبر الاتحاد الوطني ، حينما قدموا للنظام « نظريته الجديدة » عن **الطريق الثالث** . يقول ابراهيم الحباشنة « لقد تبنى ميثاق الاتحاد الوطني **نظرية جديدة** ، هي نظرية الطريق الثالث في البناء الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي ، وكان من الجراة حقا ان يتبنى الاردن **نظرية خاصة** به في هذا العالم الذي تتقاذفه نظريتان ، تتبناهما دول عظمى تؤثر في مصير الشعوب تأثيرا مباشرا . وما زالت دول عديدة في

بلدان آسيا وافريقيا ، التي تحررت حديثا ، تتلمس الطريق الثالث ، لكنها لم تستطع الوقوف على قدميها امام النظريات العالمية كالماركسية والراسمالية . والطريق الثالث في مفهومنا يرتبط بتراثنا العربي المادي والروحي ويستند الى اعماق فلسفة هذا التراث، ويشتمل على نظرية التوازن الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الفردي والجماعي » . اما نظرية التوازن فيوضحها الحباشنة على النحو التالي : « مفهوم التوازن في تراثنا مفهوم أصيل وعميق (...) وتعتمد من الناحية الفيزيائية على الابعاد المتساوية في حركة الفرد ضد المجتمع ، وحركة المجتمع ضمن المجموعة الانسانية ، وتعتمد على محصلة القوى المتصارعة في مختلف المجالات ، وعلى نقيض النقيضين في الصراع الاجتماعي ، وهذا يرسم لها مسارا متوازيا بفضل تدخل الانسان الذي لا يقف متفرجا على حركة التطور الحتمية والعفوية (...) لذلك من هنا يبدو اختلاف الاتحاد بمفهومه عن الحزب السياسي ، لان موضوعه هو الشعب بأسره ، وليس فئة من فئاته او طبقة من طبقاته »(٢٨). ان ما مر ، يوضح طبيعة التحول في لغة النظام ونهجه وطبيعة الغطاء الايديولوجي الذي يقدمه المرتدون . وفي افتتاحية لصحيفة النظام الرسمية « الراي » قالت : « ان الميثاق الاردني الذي استقى مبادءه ونظراته ، من الواقع المرير الذي تعيشه شعوب العالم الثالث ، أوضح الطريق الثالث لهذه الشعوب في مواجهة **الطغيان الرأسمالي أو الديكتاتورية الشيوعية** » . وعادت ذات الصحيفة في عرضها لندوة خصصت لشرح مبادىء الاتحاد الوطني لتكرر انه « يطرح نظرية جديدة للعمل الاجتماعي والاقتصادي والتنظيمي بصورة عامة ، **معتمدا على تجربة الدول النامية** ، وتطلع هذه الدول الى بناء **مجتمعات خالية من التناقضات الطبقية** » .

[١١]

ان اطروحة الطريق الثالث ، التي يقدمها منظرو الاتحاد الوطني ، على انها نظرية خاصة وجديدة ، وكتجربة رائدة وفريدة للتطور ، تعبر عن نفسها في الميثاق الوطني ، كبرنامج للنظام وكغطاء ايديولوجي على النحو التالي : **على الصعيد السياسي العربي** ، يحدد الميثاق التناقض الاساسي في المنطقة العربية ، على انه التناقض مع العدو (الصهيوني) ، ويراه **التناقض الاساسي الوحيد** . « ومن هنا فان جميع الاقطار العربية مدعوة للوقوف صفا واحدا ضد الخطر المشترك ، وهذا يستلزم بالضرورة حشد جميع الطاقات العربية وحل الخلافات بالحوار الهادىء ، والتزام المواقف المسؤولة والتعاون الاخوي الايجابي »(٢٩). ويستتبع هذا الفهم للتناقض في المنطقة الدعوة لحشد القوى العربية وتنسيقها وتوحيدها في خط المجابهة مع العدو ، منعا لانفراده بضرب كل منها على حدة . ويدعو الميثاق الى وحدة خط المجابهة السياسية ، ووضع سياسة خارجية موحدة للدول العربية و « نبذ المعارك الجانبية بين الدول العربية ، بسبب تباين انظمة الحكم ، او اية خلافات اخرى » . ووفقا للمنظور المار ذكره ، فانه لا وجود لتناقض اساسي اخر في المنطقة ، كالتناقض مع الامبريالية واستنزافها للثروات العربية . واغفال العدو الامبريالي ، كعدو اساسي ، يضع كل دعاوات الاتحاد الوطني ، عن التقدم والتحرر الوطني ، في موضعها كديماغوجية سافرة . وبصدد وحدة القوى العربية ، فانها في الميثاق تؤسس وتستند الى ارضية النظام الاردني ، ويضعها خاضعة لاشتراطات الرجعية ، التي تتحدث عن الوحدة والتضامن ، وتمارس سياسة انقسامية واقليمية وانفرادية ، وتدعو الى نبذ المعارك الجانبية ، وهي تعني دعوة القوى العربية لغض النظر وتمرير التجاوزات الوطنية والتنازلات المقدمة للعدو مقابل مصالحها الذاتية الضيقة . ان الميثاق يذهب الى حد وضع نموذج سياسي جديد للوحدة العربية فيقول : « **ولما كان العديد من الاقطار العربية الشقيقة تمر في المرحلة نفسها التي يمر بها الاردن، وتجابه مشاكل داخلية وخارجية متماثلة ، ونظرا لان المرحلة التي تجتازها تتطلب**

بالضرورة قيام اتحادات وطنية تنطلـق من واقع يماثل واقعنـا ، فان الاتحاد الوطني الاردني سيعمل على توثيق العلاقات مع تلك التنظيمات على اختلاف تسمياتها ، بمختلف الوسائل لاعتقادنا بان هذا هو المنطق السليم نحو اتحاد الدول العربيـة ووحدة الامة العربية » . ان المنظور الاردني للوحدة بين الدول العربية ينطلق مـن الدعوة لتعميم التجربة الاردنية ، والتجارب الاخرى المشابهة في عدد من الاقطار ، اي قيام اتحـادات وطنية ، لا تستند الى تقاليد التحالفـات الطبقية في جبهات وطنية ، تسودهـا علاقات ديمقراطية ، وقوانين التضامن مع النقد . وهو اذ يجد في التحولات الرجعية واليمينية في المنطقة العربية تغطية لـه ، فانه يجد الشجـاعة الكافية لدعوة هذه الاتحـادات على **اختلاف تسمياتها** لتوثيق صلاتها . باتجـاه تعميم القمـع الرجعي ، واخضاع جميع الطبقات لسلطة الطبقة السائدة ، اي طبقة برجوازية الدولة والبيروقراطية .

وعلى صعيد السياسة الخارجية ، فان الميثاق يروج لمفهـوم برجماتي نفعي في الموقف السياسي ، يعبر في الشروط الموضوعية الراهنة ، عن تبرير لسياسة الارتماء في احضان الامبريالية ، تحت شعارات وتسميات مختلفة . فالميثاق يـدعو الى « **تفهم السياسة الدولية والتناقضات الدولية الاقتصادية والسياسية** ، وفي ضوء ذلـك اتخـاذ المواقف المناسبة لمصلحة القضية ، والابتعاد ما امكن عن التشنجـات العقائدية والجمود خلف الشعارات ومواقف المزايدة السياسية » . ويستتبع الميثاق ذلك بالقول « ان المصلحة الاقتصادية الوطنية تحدد الاولويات في تعاملنا مع الدول الاجنبية بغض النظر عن انظمتها الاجتماعية » . وفي الفقرة الاخيرة نجد كمية مذهلـة من الابتـذال الديماغوجي ، فمن الواضح ، وخاصة في شروط الاردن العيانية ، ان ما يحدد اولويات التعامل مع الدول الاجنبية ، ليس المصلحة الاقتصادية الوطنية فقط ، وانما بالتحديد ، مدى استقلال هذا القطر او ذاك او تبعته الاقتصادية (ومن ثم السياسة) الامبريالية ، ومن هنا ففي حالة الاردن ، فان الامبريالية هي تقرر ، ذلك ان اعتماد ميزانية الدولة ، في قسمها الاعظم ، على المساعدات الاميركية والامبريالية عموما ، لا يترك لايديولوجي الاتحاد الوطني فرصة تمرير هذه الترهات . ومـا من شك ، في ان مرتدي الاتحـاد الوطني ، لو رجعوا الى محفوظاتهم بامانة ، لاعادوا صياغة الفقرة السابقة عـلى النحو التالي « **ان المصلحـة الاقتصادية للشرائح والفئات الطبقية السائدة تحدد الاولويـات في التعامل مع الـدول الاجنبية بغض النظر عن انظمتها الاجتماعية** » ، ذلك ان مصالحها ، وليس المصلحـة الاقتضادية الوطنية هي التي تبرر ارتماءها في احضان الولايات المتحدة والمانيا الغربية وبريطانيا » . بالاضافة الى ما مر ، هنـاك بنود حول الموقف من القضايـا الدولية ، تتحدث عن احترام السيادة الوطنية لسائر الشعوب وحقها في تقرير مصيرها واختيـار انظمتها بحرية ، وشجب التدخل الخـارجي لغرض نظام معين بالقوة . ودعـم تحرر الشعوب في صراعها ضد الاستعمـار ، رفض سياسة التبعية والاشتـراك في احلاف وتكتلات ومحاور سياسية عدوانية .. الخ .. ان البنود السابقة لا تحتاج الى تعليق ، فكل بند منها قد أسهم النظام بخرقه عمليا ، وبطرق مختلفة . ان خدمات النظام ، وعلى رأسه رموز الاتحاد الوطني ، للثورة المضادة في الخليج وعمـان ، من تسليح وتدريب وخبراء ، نموذج راهن للموقف الاردني الواقعي .

وعلى صعيد السياسة الداخلية ، سبق ان اشرنا الى موقف الاتحاد الوطني من الحكم ونموذجه الديموقراطية . ونضيف فقرة من الميثاق : « **عـلاقة الاتحاد بالحكم تنطلق من الايجابية ، يتعاون مع الحكم بقدر ما يتحرك الى الامام ، وفق مبادىء الاتحـاد ، دون التأثر بتبدل الاشخاص والاسماء** » . ويدعو الميثاق الى تنسيق جهود جميع قوى الشعب العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وفق مبادىء الميثاق للعمل والكفاح في سبيل تحرير الوطن المحتل ومجابهة تحديات التنمية والتقدم ..

اما على الصعيد الاقتصادي ، فان الميثاق يبحث في برنامجه الاقتصادي عن البعد التالي « العمل على اقامة **بنيان اقتصادي** في ميادين الصناعة والزراعة والتجارة والقطاعات المصرفية ، والاجتماعية والخدمات العامة **ضمن أطار الاقتصاد الموجه** . **ووفق برامج انماء** زمنية محكمة في سبيل اقامة مجتمع اقتصادي متوازن ومستقل مزدهر يستهدف : **تحقيق حد ادنى من الدخل** للمواطن يكفل له الحياة الحرة الكريمة ، **وحد اعلى من الدخل للمواطن يعالجه مسار الاقتصاد الموجه وقوانينه** » . ويقسم اشكال الملكية والاطار القانوني للمؤسسات في جميع القطاعات السالفة الى اربعة اشكال : القطاع الحكومي ، المختلط ، الخاص ، التعاوني . ويرى الميثاق انه من اجل توازن الاقتصاد الوطني ووحدته وانفتاحه ومرونته ، فانه يتطلب ايجاد اقنية دائمة تتصل بين مختلف قطاعاته كوسيلة لتحريك **وحدات اقتصادية من قطاع الى آخر** في ضوء التجربة العملية، وهذه المهمة تمارسها الدولة » . وينص من جهة اخرى على المركزية في التخطيط والبرمجة من اجل وحدة الاقتصاد الوطني ، وعلى اللامركزية في الادارة والتشغيل .

وبصدد القضية الزراعية ، فان الميثاق يضع ضمن اهدافه العمل على تحقيق اصلاح زراعي مرحلي ، تلعب **الدولة** فيه دورا رئيسيا في التخطيط والتوجيه لاستصلاح الاراضي وحماية الاراضي المستصلحة ، على اسس عادلة ومراقبة استغلالها . واعتماد **التعاونيات الفلاحية في الانتاج والتسويق** ، والتوسع في اقامة **المزارع الحكومية النموذجية** ، واعتماد احدث اساليب الاستثمار الزراعي لتخفيض كلفة الانتاج وزيادة انتاجية الارض . من الاهداف الاخرى ، **توجيه** الانتاج الزراعي **وتنويعه وفقا لحاجات الاستهلاك الداخلي والتصدير ، وبرمجة** هذا الانتاج **وفقا لخطة التنمية العامة** . كما يدعو الميثاق الى تطوير الثروة الحيوانية والانتاج الحيواني ، والتصنيع الزراعي ، واقامة الصناعات الريفية . ويحرص الميثاق على تأكيد **تشجيعه للجهد الفردي والمبادرات الفردية في ميدان** الاستثمار الزراعي ، كما يعمل على **تفويض** اراضي الدولة الزراعية لمن يعملون في الارض .

وكما يلاحظ ، فان حدود البرنامج الزراعي في الميثاق ، ودلالاته العملية ، ليست في مستوى شعار الاصلاح الزراعي ، الذي يعني في شروط الريف الاردني ، تحويلا في علاقات الانتاج ، بالاضافة الى تطوير الانتاجية تقنيا . ان ما يسمى الاصلاح الزراعي ، يعبر في الحقيقة عن الرغبة في ان تلعب الدولة دورا في التخطيط والتوجيه ، لقيام زراعة رأسمالية قائمة على الجهد والمبادرة الفردية ، وعلى دور للقطاع الخاص بمفرده او بالمشاركة مع الدولة .. كما ان التعاونيات في ميادين الانتاج والتسويق ، هي خطة لتجميع الملكيات الزراعية في وحدات اكبر ، والتجربة تعلمنا ان هذه التعاونيات ، بدون وجود تشريع يحمي الفلاحين الصغار ، تعنى هيمنة الملاك الزراعيين الكبار على التعاونية . ومن جهة ثانية ، فان توجيه الانتاج الزراعي وبرمجته على الرغم من انهما شعاران متقدمان على الصعيد الاقتصادي ، من حيث انهما يؤديان الى زيادة الانتاجية ، وتحسين التربة واستصلاحها ، واخضاعها لضرورات التسويق المحلي والخارجي ، الا انهما يعنيان عمليا ، الحاق الدمار الاقتصادي في الفلاحين الصغار الذين سوف يواجهون اختيارا صعبا ومؤلما بين ان يخضعوا زراعاتهم لتوجيه الدولة ولحظة التنمية ، واما ان يعمدوا الى بيع الارض ، ويتحولوا الى بروليتاريا ريفية وعمال زراعيين بدون ضمانات وتسهيلات .

ان الاطار العام للبرنامج الزراعي في الميثاق ، هو **اطار تقني محض ، لا يستهدف تحسين اوضاع الفلاحين بقدر ما يستهدف تحسين الانتاجية الزراعية** ، ومن ثم لا حديث عن تحديد السقف الاعلى للملكية ، فيما يعنى البرنامج بتجميع الملكيات الصغيرة ، اما في تعاونيات تؤول حتما ، الى سلطة الملاك الزراعيين الاكبار ، او بدفع الفلاحين الصغار

والمتوسطين الى بيع اراضيهم ، لانهم ، وبحكم اعتماد غالبيتهم على الزراعات التقليدية او زراعات الاكتفاء الذاتي ، غير مؤهلين لاخضاع نمط زراعاتهم للخطة او تمويل هذه الزراعات . ومن ثم فان المحصلة الرئيسية للبرنامج هو خلق استثمارات رأسمالية في الريف ، وتطوير الزراعات التصديرية ، واقامة المزارع الحديثة ، وصناعات زراعية وريفية بالمبادرات الخاصة . ومن جهة ثانية ، فان الدولة تتحدث عن « تفويض » اراضيها للمزارعين . وفي حديث لابراهيم الحباشنة يقول « **ان هناك بعض الملكيات الكبيرة ، التي سيعمل الاتحاد على توزيعها على المزارعين ، والذين يتوجب عليهم استغلال الارض على الوجه المطلوب ، والا فستنزع ملكيتها منهم ويعاقبون ..** » . ان مبدأ التفويض هو مبدأ تقني واقتصادي محض ، وله طابع المشروع الاقتصادي الخاص ، وان كان في اطار الخطة والتوجيه ، وفي مثل هذه الحالات ، فان التفويض يكون موجها لاشخاص تثق الدولة بقدرتهم الاستثمارية ، اي انه سينتهي الى صالح الملاك الزراعيين الكبار .

وفي القطاع الصناعي ، كما في القطاع المصرفي والبنكي ، فان الدولة تمارس مبدأ التوجيه ، وتحدد شكل الملكية للمؤسسات في هذين القطاعين على النحو التالي : مؤسسات حكومية ومؤممة(٣٠) ، ومختلطة وخاصة وتعاونية . ويخضع الميثاق المؤسسات الصناعية لضرورة مراعاتها الامور التالية : الخطة السياسية الاقتصادية للدولة ، المنفعة العامة ، الكفاءة والجدوى الاقتصادية تحقيق الحد الاعلى من الانتاجية ، مراعاة تقسيم العمل في مختلف اجزاء الاردن ... الخ . وبكلمة اخرى فان الميثاق يخضع الانتاج الصناعي لمواصفات الترشيد الاقتصادي من حيث الكفاءة الانتاجية بمراقبة الدولة واشرافها ، لكن الميثاق لا يتحدث عن **استثمارات الخامات والمعادن في البلاد ، ولا عن تحويل نوعي للصناعة من صناعة استهلاكية ، يغلب عليها حصة ضئيلة من التصنيع المحلي وتعتمد على مواد وسيطة ونصف مصنعة .**

وبصدد **حقوق العاملين** في المؤسسات الصناعية ، فان الميثاق يتحدث عن **تحديد اجور العاملين** وفقا لحد ادنى معاشي ولمدى انتاجية العامل . وينص على **تعديل الاجور** حسب مؤشرات غلاء المعيشة وارتفاع مداخيل المؤسسات الصناعية . كما يشير الميثاق الى اعطاء العمال في المؤسسات الصناعية **فرص ملكية الاسهم** في المؤسسات من مقتطعات ادخارهم ، **وفرص المشاركة في الادارة والتوجيه** . ويلاحظ ان الميثاق ، يقدم تعديلات اساسية لصالح العمال معيشيا واقتصاديا ، كتحديد الحد الادنى للاجور ، وتعديلها مع ارتفاع تكاليف المعيشة او ارباح المؤسسات . وهذا ينسجم مع خطة النظام لاحداث تحسينات معيشية ومادية ، بهدف امتصاص مطاليب العمال وتدجينهم وتحويل جوهر علاقتهم بالسلطة لتقوم على اساس مطاليب مادية ومعيشية محضة ، وبذات الوقت يجري سحب المزيد من الحقوق السياسية وتقييد الحقوق السابقة للعمال ونقاباتهم ، مثل حق الاضراب ، وطمس اية مكاسب اتاحتها المرحلة الماضية لهم ، وخاصة على الصعيد السياسي(٣١) . اما عن فرص تملك الاسهم في المؤسسات ، فان هذا الشعار الديماغوجي ، يذهب الى انعاش اوهام مغلوطة حول امكان امتلاك العمال حصصا من ملكية المؤسسة الصناعية ، وتهدف الى تمييع التناقض الطبقي ، وجعل العمال ينظرون الى المؤسسة الصناعية كمؤسسة « لهم » ، والضرب على وتر التقاليد والثقافة الحرفية التي ما زالت منتشرة بين العمال ، واشعارهم ان تحولهم الى ارباب عمل ، ممكن . وبديهي انه ، حتى في البلدان الرأسمالية المتقدمة ، لم يحدث ان تمكن العمال من الحصول على حصص مهمة من اسهم المؤسسات الصناعية ، من اجورهم . اما عن فرص المشاركة في الادارة والتوجيه في المؤسسات الصناعية ، فقد حسم المسألة رئيس غرفة الصناعة الاردنية بقوله ، ان الادارة والتوجيه هي من حق مالكي اسهم

الشركة ، وترك للعمال ، هامش مشاركة في توجيه العمليات الانتاجية داخل المصانع(٣٢) . واعلن الميثاق عن سعيه لوضع تشريعات خاصة تعالج مسائل الخدمات الاجتماعية للعمال ، بتمويل مشترك بين الدولة والمؤسسة الصناعية والعمال انفسهم . كما دعا الميثاق الى تشجيع الرساميل الاجنبية والعربية للاسهام في الاستثمار الصناعي ضمن مبدأ السيادة الاقتصادية للدولة . وتشجيع الصناعات الوطنية لا على اساس **الحماية** فحسب ، وانما على اساس **مقاييس الجودة والدقة** .

وبصدد القطاع المصرفي ، فان الميثاق يدعو الدولة الى الاشراف على عدد من البنوك القائمة ــ وهي عمليا تحت اشراف الدولة ــ والى اقامة عدد من البنوك مثل **مصرف للتنمية المهنية ، مصرف الادخار والتسليف الشعبي** بالاضافة الى المصارف الاخرى مثل البنك المركزي ، مصرف زراعي حكومي ، مصرف صناعي حكومي ، مصرف عقاري . ويردد الميثاق دعوة الحكومة الى الاشراف على اي بنك تقتضي مصلحة الاقتصاد الوطني الاشراف عليه . وانشاء **بنوك مختلطة** ، تسهم فيها الحكومة والقطاع الخاص .

يضع ميثاق الاتحاد الوطني عددا من المبادىء في اشراف الدولة وتوجيهها **للتجارة الخارجية** ، مثل منع التبذير في الاستيراد والاستهلاك ، تشجيع تصدير المنتجات المحلية وايجاد اسواق مستقرة لها ، **كذلك توجيه التجارة الخارجية وفق خطط الانماء الاقتصادي** ، مراعاة سياسة الدولة الخارجية ، **والتبادل التجاري وفقا لمبدأ تبادل المنافع بين الدول وعلى اسس المساواة في التعامل** . ان البند الاخير وبنودا اخرى سالفة ، ليس فيه من الواقعية شيء ، ان التبادل التجاري بين الاردن والبلدان الغربية وخاصة الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية راجح لصالح هذه الاخيرة ، واسس المساواة في التعامل مجرد شعار للتعمية لطابع الخضوع والتبعية التي يعبر عنها بوضوح الميزان التجاري الراجح بصورة مستديمة للبلدان المصدرة للاردن . وبصدد التجارة الداخلية ، فان الميثاق يضع عددا من الاسس لها ، بهدف تطويرها وعصرنة اساليبها وتقاليدها ، كما تكفل تطور التجارة في الريف .

يحدد الميثاق **واجبات الدولة في ميدان الخدمات والضمانات الاجتماعية** ، فهو يرى ان تؤمن الدولة الخدمات العامة (ماء ، كهرباء ، مواصلات ، ووسائط النقل والسدود وشبكات الري) دون استهداف الربح ، ولقاء بدل مالي مناسب . والعمل على تحقيق مبدأ التأمين الصحي العام ، والتأمين على جميع المواطنين في حالات العجز والشيخوخة والمرض والبطالة بموارد من المال وبقدر من الخدمات ، ويتم ذلك من خلال تنظيم العمل للجميع ، وتنظيم الاقتطاعات من المواطنين لتحقيق ذلك . كما يدعو الميثاق الى تأمين السكن للمواطنين ورعاية الطفولة والامومة .

يفرد الميثاق فصلاً خاصا **للبنيان الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية** . يتحدث عن « **الثورة الاجتماعية الهادئة** » ، **التي هي ــ بنظر الميثاق ــ تطور دائم وتراكم للايجابيات واقتلاع للسلبيات** . وبصدد التنظيم النقابي كحق عمالي يضع الاهداف التالية : رفع المستوى المعيشي والثقافي والمهني للعمال ، وضع القواعد السليمة لاخلاقية العمل والعمال ، **التعاون البناء بين فئات العمال والمسؤولين في الادارات** والمؤسسات الانتاجية ، الاسهام في معركة التحرير تحت شعار (يد تبنى ويد تقاتل !) ، خلق المناخ المناسب لممارسة النشاطات وتنمية العمال ذهنيا وجسديا . ويشير الميثاق الى ان العمال الزراعيين **جزء من القطاع العمالي** تجب رعايته ، ويدعو الى ضرورة تطوير الريف ، لمنع هجرة الايدي العاملة الفلاحية ، ودعم الانتاج الزراعي بتعميم الصناعات اليدوية والريفية . كما يدعو الى **تطوير قطاع البدو الرحل وتوطينهم وتامين الخدمات لهم وتامين العمل لابنائهم وفق الخطة العامة للدولة** . ولعل ابرز بنود هذا الفصل ، هو البند المتعلق بالفوارق بين فئات المجتمع ، حيث يحدد الميثاق عددا من المواقف . فيقول : « ١ ــ **لا ينكر وجود تناقض**

بين فئات المجتمع وفي جميع مراحل التطور الاجتماعي . ٢ ــ لا ينكر وجود اشكال من الاستغلال الطبقي في مختلف المجتمعات . ٣ ــ استغلال المواطن لاخيه غير مقبول ولا يجوز تبريره . الا ان هذا التناقض لا يبرر بأية حال الدعوة الى اباحة الدم ، والقتل الفردي او الجماعي . ٤ ــ ازالة الفوارق بين فئات المجتمع يتحقق بالتعاون وفق مبادىء التضامن الاجتماعي ، والقواعد السليمة في تقييم انتاجية العمل ، وتكافؤ الفرص ٥ ــ التمادي في تقسيم مجتمعنا يقودنا الى المزيد من التجزئة والتمزيق » . ان فهم الميثاق للفوارق الطبقية في المجتمع وطرق معالجتها ، يشير الى اعتراف ضمني ، بتأثير الثقافة المتقدمة بين صفوف الجماهير خلال سنوات ما بعد الحرب ، وبالتالي فانه يقر بواقع وجود تناقضات اجتماعية واستغلال طبقي ، بيد ان الميثاق يحل هذه المسألة على طريقته ، اي حلا برجوازيا ، « مبادىء التضامن الاجتماعي » ، ونجد في الفقرة التالية المتصلة بالسياسة الضريبية استكمالا لحلول الميثاق للفوارق الاجتماعية ، اذ يرى ان الضريبة موجهة **لمعالجة التناقضات الاجتماعية والاقتصادية بصورة هادئة ، ولمنع التمركز الاستغلالي لرأس المال ، واتباع سياسة تطورية لتوزيع الثروات توزيعا عادلا ومثمرا ، يحمي المبادرة الفردية وحق التملك الفردي من جهة ، ويراعي مصلحة الدولة والجماعة من جهة ثانية ، كما تمد الدولة وميزانيتها بالايرادات التي تساعدها على مجابهة خدماتها التضامنية وحاجاتها المتزايدة .**

تحظى **الادارة والاصلاح الاداري** باهتمام من الميثاق ، فيفرد لها فصلا خاصا ، وينصرف القسم الاول منه في الحديث عن امراض الادارة في الاردن ويبسطها على النحو التالي : نقص الانتاج وضعف الشعور بالمسؤولية ، الرشوة والفساد ، انعدام المبادرات ، والروتين ، تضخم الاجهزة باستمرار ودون حدود ، عدم وضوح الصلاحيات والاختصاصات ، فوضى توزيع الدوائر الحكومية ، تخلف ادوات الادارة ، وخلل القواعد المطبقة في تقييم الموظف وعرقيته ، وانعدام التأهيل والتثقيف لدى اغلبية الموظفين . اما القسم الثاني فهو يتضمن عددا من الاسس التي يراها الميثاق كفيلة بمعالجة هذه الامراض منها : وضوح برامج التطور الاقتصادي والاجتماعي ، توجيه التعليم وفقا لحاجات التطور في مختلف مجالات العمل ، الاستخدام في دوائر الدولة ومؤسساتها وفقا لحاجاتها ، وليس للاعاشة او لحل مشكلة بطالة ، توزيع الابنية الحكومية تسهيلا لسير المعاملات ، تطعيم ادوات الادارة بالالات لتوفير السرعة والدقة والرقابة .

بالاضافة الى ما مر ، هناك بنود اخرى في الميثاق ، تعالج مسائل تفصيلية مثل التعليم واللغة ، الالتزام بالنهج العلمي ، المرأة في المجتمع ، الجريمة ، الخ لا يمكن تغطيتها هنا . كما ان هناك فصولا في الميثاق ، لا تتضمن اية اهمية ، مثل الفصلين الاول والثاني ، المغرقين في الرجعية ، انهما بمثابة خلفية تاريخية ومقدمة تتناول التاريخ الحديث للمشرق العربي ومن ضمنه الاردن ، يلخصان تاريخ حركة التحرر الوطني على انها سلسلة من الاخطاء والانحرافات عن الخط القومي القديم الذي مثله الشريف حسين وحركته ، لاتجاهها لتبني **فلسفات ونظريات سياسية واجتماعية غريبة ومستوردة** . ان هذين الفصلين ، وفصولا اخرى ذات صبغة ايديولوجية وتحليلية ، تنطلق من مواقع النقد اليميني والرجعي الصرف ، يتجه لادانة ما هو متقدم في حركة التحرر العربية ، ومتجدد في بنيتها وايديولوجيتها . ان استخدام المقولات الرجعية (الافكار المستوردة ، الابتعاد عن التراث القومي والروحي . . الخ) واستخدام التراجعات والهزائم وكل ما هو سلبي حقا في النضال التحرري العربي ، لصالح النقد الرجعي ولصالح منطق القوى « الواعية المجربة » ، اي اركان النظام والاتحاد الوطني واضرابهم . ان الفصول ذات الصبغة الايديولوجية والنظرية تقدم دون اية موارية الطبيعة الرجعية للاتحاد الوطني وموقفه المعادي من الحركة الجماهيرية العربية .

ان الاستعراض المسهب لميثاق الاتحاد الوطني ، كبرنامج وكتعبير ايديولوجي عن نهج البرجوازية البيروقراطية في النظام ، قد قدم تفصيليا ، ماذا يعني منظرو الاتحاد الوطني باطروحة « الطريق الثالث » وما هي دلالته السياسية والاقتصادية والاجتماعية في شروط الاردن الراهنة . وما من شك ان مقارنة الميثاق الاردني بالنماذج العربية والعالمية التي تقدم نفسها « كطريق ثالث » ، سوف تظهر الحدود المتواضعة للنموذج الاردني ، انه كاريكاتور بال ، للنماذج الاخرى التي تبحث لنفسها عن مكان وسط ما بين الاشتراكية والرأسمالية . وما يقدمه الاتحاد الوطني ، على انه نظرية خاصة ، وطريق خاص ، ليس الا ابتذالا لمحاولات انجح تمويها ، وان كانت جميعها تعبر عن طبيعة واحدة . ولذلك فان بؤس النموذج الاردني للطريق الثالث ، هو ان تجارب اخرى متقدمة بدرجات لم تفلح في ان تصمد امام معطيات التاريخ الواقعي الذي لم يقدم مثل هذا الطريق الثالث ، وهذه التجارب ، على الرغم من انها تسلحت بسلاح التأميم ، وتملك وسائل الانتاج بهذا القدر او ذاك ، وعلى الرغم من انها اقامت الاقتصاد الوطني على التخطيط المركزي ، فانها لم تقدم سوى نموذج لرأسمالية الدولة . وما يعبر عنه الميثاق الاردني ، ليس **الا محاولة لاخفاء مزيد من العقلنة والتحديث على اساليب الانتاج ، ولا يغير من جوهر علاقات الانتاج الرأسمالية ، بل يعززها وينميها برقابة الدولة واشرافها** ، وبالتالي فان مثل هذا الدور للدولة ، يقوي نفوذ البرجوازية البيروقراطية ، بحكم ان تطور القطاعات كافة ، لم يعد متروكا وفقا للنموذج الليبرالي القديم ، الذي اثبت انه لا يرجى منه شيء (برنامج السنوات السبع) ، والذي عزز قناعة البرجوازية البيروقراطية ان البرجوازية الوطنية ، بفئاتها كافة ، ليست مؤهلة لان تلعب دورا فعالا في تنمية الاقتصاد الوطني وتطوره . ومن ثم فان جوهر التحول يكمن في ان البرجوازية الوطنية ، باتت تحت رقابة البيروقراطية في استثماراتها وهي خاضعة بهذه الدرجة من الصرامة او تلك للخطة العامة ، كما ان البيروقراطية طورت نمط علاقتها بالانتاج ، بأن لم تكتف بالدخول مع القطاع الخاص في مشاريع مشتركة فقط ، وانما باتت تتطلب دخولا مباشرا ، وبمؤسسات حكومية صرفة في عدد من القطاعات ، كما اخذت الدولة تشجع انماطا اخرى من الاستثمار (التعاونيات الزراعية والاستهلاكية والتسويقية ، مصرف التنمية المهنية ، مصرف للادخار والتسليف ... الخ) ، كل هذا مع استمرار قدسية المبادرة الفردية والمشروع الحر ، وعدم الاعتداء عليها . ان البرنامج الذي يقدمه الميثاق ، رغم كل الديماغوجية الانبهارية ، لا يغير من جوهر علاقات الانتاج ، وانما يتوجه نحو استدامتها على اسس اكثر عقلانية ، **انه يبحث عن انتاجية نامية ، وعن ادارة حديثة ، وزيادة في المردود الحكومي** . وبتعبير اخر انه يقدم **حلا فنيا وتنظيميا جديدا** لبث الروح في نظام الانتاج السائد . ويمكن اختصار عناصر هذا التحول فيما يلي :

١ ـ تطوير الريف رأسماليا وتخليصه من الطابع الانتاجي السابق ، الذي يتميز بتفتيت الملكيات الزراعية ، وفوضى انماط الزراعات ، وتوجه حصة كبيرة منها للاكتفاء الذاتي ، قلة الكفاية الانتاجية للارض والمزارعين . ويتم ذلك من خلال : أ ـ اصلاح زراعي يتمثل في توفير تسهيلات تقنية وشبكات ري وسدود وحماية التربة ، ومسح للارض الزراعية . ب ـ تجميع الملكيات الزراعية الصغيرة على شكل تعاونيات فلاحية ، واغراء الفلاحين بالتجميع عن طريق اقامة مزارع نموذجية حكومية ، وهذا يعني ان الفلاحين سيواجهون اختيارات محددة مثل التجميع او بيع الارض ، وهذه تعني تحويل الفلاحين الصغار الى عمال زراعيين واقامة مزارع رأسمالية كبيرة . جـ ـ التعاونيات على مستوى التسويق تتطلب التجميع على مستوى الانتاج (في الملكيات الزراعية) ، وهذا الاتجاه يدفع لازدياد سيطرة التسويق الرأسمالي . د ـ برمجة الانتاج الزراعي

وفق خطة التنمية العامة ، تعني ان الملاك الصغير لا يعود بوسعه ان يختار الزراعة التي يريدها ، وهو مبرر لسياسة التجميع، بالرضى او الاكراه او بحكم قوانين السوق. هـ ـ التوسع في الصناعات الزراعية وتوجيه الانتاج الزراعي والصناعات الريفية وتشجيع المبادرات الفردية في ميدان الاستثمار الزراعي،هي عناوين لاغراء الاستثمارات الرأسمالية للعمل في الزراعة ، ولزيادة تدخل الدولة معا . ٢ ـ تدخل الدولة في الصناعة ، يتجاوز مجرد الاسهام الحكومي في رأسمال المؤسسات الصناعية ، لاغراء القطاع الخاص ولطمئنته على نجاح المشروع الصناعي . ان الميثاق ينص على اقامة مؤسسات صناعية حكومية صرفة ، واخرى تعاونية . وفي الوقت نفسه يتيح المجال للاستثمارات الاجنبية والعربية ويضع التشريعات التي تكفل باغراءها . ٣ ـ تنظيم التجارة الداخلية على اسس السوق الرأسمالي وقوانينها ، وازاحة قيم التبادل السائدة والتي يحكمها الكثير من القوانين والاعراف القديمة ، وزيادة صلة الريف بالمدن عن طريق التجارة والتقليل من طابع الاكتفاء الذاتي الذي يسود في اجزاء من البلاد . ٤ ـ توطين البدو ، وتقديم الخدمات الكفيلة باستقرارهم ، وربطهم بوسائل انتاج جديدة وخاصة الزراعة . ٥ ـ اقامة نظام خدمات عامة واجتماعية وصحية وضمانات ضد المرض والعجز والبطالة ، وتحسين الاجور وضبطها بالنسبة للعمال ، بمشاريع الدولة والقطاع الخاص والعمال . ٦ ـ زيادة التحصيلات الضريبية ، وتعزيز واردات الدولة من هذه التحصيلات . ٧ ـ زيادة فعالية اجهزة الدولة وتطوير انتاجية الكادر الحكومي .

ان هذه الترميمات والاصلاحات ، التي تعبر عن ازدياد سلطة الدولة في التخطيط والتوجيه والاشراف ، والدخول المتزايد في العمليات الانتاجية بصورة مختلطة مع القطاع الخاص ، وبصورة تدخل حكومي صرف في الانتاج ، ترافقها سياسة داخلية متشددة ، تعبر عن رغبة اركان الاتحاد الوطني في النظام باحكام القبضة على الجماهير ، من خلال التنظيم الموحد ، وتقنين الحقوق السياسية في اطار الاتحاد الوطني ، وعزل القوى الاخرى ، كما يترافق مع هذا الاتجاه ، سحب كلي لجميع التشريعات التي كانت تتضمن لمسات ليبرالية ، وذلك على الصعيد النقابي العمالي ، وعلى الصعيد النقابي المهني ، وفي الصحافة ، وبين الطلبة وفي السياسة العربية للاتحاد الوطني ، فان الميثاق ازاء حالة الحصار العربية ، يقرر مبادىء مثل نبذ المعارك الجانبية ، وحصر التناقض في المنطقة مع العدو الصهيوني ، وهي بنود ، تعبر عن مصلحة النظام في اطلاق يده داخليا وعربيا، بدون كوابح تحد من حركته . كما تؤسس السياسة الخارجية في الميثاق ، على قاعدة براجماتية نفعية ، تؤدي الى تعزيز الصلات مع الامبريالية واستمرار الاعتماد عليها .

[١٣]

ان النموذج ، الذي يقدمه الاتحاد الوطني عبر ميثاقه ، للطريق الثالث ، يقارب الى درجة كبيرة النموذج التونسي الذي عبر عنه احمد بن صالح بوجه خاص ، في وضعه برنامج يكفل تدخل الدولة ، والحزب الدستوري المكيف « اشتراكيا » . ان ملامح كثيرة مشتركة بين البرنامجين الاردني والتونسي ، وخاصة في البرنامج الزراعي وسياسة التجميع واقامة التعاونيات الزراعية ، التي كان عمادها البيروقراطية . ان الفارق الوحيد ، هو ان البيروقراطية الاردنية ما زالت في طور الشروع في برنامجها ، فيما اعطت التجربة التاريخية حكمها الحاسم بحق النموذج التونسي . والذي عبر عنه السقوط المريع لسياسة التعاونيات ورمزها احمد بن صالح . اما وصفي التل ، فانه لم يعط قط فرصة انتظار فشله المحتوم ، كما اخذها احمد بن صالح ، فقد سقط صريعا مع التأسيس الرسمي للاتحاد الوطني في مؤتمره الاول . وترك لورثة برنامجه مثل هذا المصير . ذلك ان رهان اركان الاتحاد الوطني ، على البيروقراطية الادارية والجهاز اللجب من الموظفين ، لمزيد من التحديث في الانتاج ، ولمزيد من المردود في جميع

القطاعات ، امر مشكوك فيه . ان خيبة امل البيروقراطية في البرجوازية الوطنية وفي الليبرالية الاقتصادية ، **يماثل خيبة املنا في البيروقراطية نفسها** . ان التجربة التونسية والمعرفة العيانية بطبيعة البيروقراطية جهاز الموظفين الحكوميين في الاردن ، تقدم لنا صورة المستقبل . فالميثاق عندما يعترف بامراض الجهاز الاداري ، فانه انما يتحدث عن **امراض بنيوية** ، وليس عن عيوب فنية ، ومثل هذا الجهاز ، الذي يتعرض موضوعيا وبشكل مفتوح الى مزيد من التعفن والفساد والرشاوي ، لن يكون قادرا على زيادة الانتاجية وتطويرها ، ما دام هو نفسه — اي الجهاز الاداري — محكوما بذات الداء (ضعف الشعور بالمسؤولية وضعف الانتاجية ، باعتراف الميثاق) . ان مثل هذا الجهاز ، مع اطلاق يده ، واعطائه مزيدا من الصلاحيات ، لن يفعل اكثر مما ينتظر منه ، فسوف تنمو امتيازاته ، وستنتفخ اكثر فأكثر ، وستضاف الى هذه الامتيازات المرتبطة بالوظيفة الادارية امكانات النهب المفتوحة امام كل بيروقراطي بعيد عن الرقابة الفعالة .

[١٤]

ان مقتل وصفي التل ، قبل ان تقطع البرجوازية البيروقراطية الشوط الضروري لتثبيت سلطتها ، يفتح الباب امام رياح الفئات والشرائح الاخرى ، التي كانت مكبوحة وصامتة على مضض ، كما ان رهبة البيروقراطية والعسكر الذين ، اخذوا على عاتقهم مهمة تثبيت السلطة للنظام ، في مواجهة المقاومة ، لم تعد كافية لالجام الفئات الاخرى من قاعدة النظام ، ذلك ان مقتل وصفي التل ، الذي له تأثيره الذاتي الهام ، وازدياد الازمة الاقتصادية تفاقما ، والقطيعة العربية ، ومسألة استعادة الضفة الغربية ، وكسب ثقة الفلسطينيين ، ما هي الا منافذ تطل منها الاطراف الاخرى في النظام بحثا عن دور تضطلع فيه ، رغبة في استعادة نفوذها السياسي ، خطوة بعد اخرى . ان خطة التنمية للسنوات الثلاث ، هي الرهان الاقتصادي للبرجوازية البيروقراطية من اجل تثبيت دعائمها في السلطة ، وهي وان كانت مهددة باعادة اقتسام السلطة مع رموز البرجوازية التجارية ، الا انها تبقى قوة اساسية من قوى النظام لم يعد ممكنا تجاهلها . وستبقى هاجسا مزعجا لبقية فئات النظام ، اذا ما عادت مجددا « بارادة ملكية سامية » الى السلطة .

---

١ — جريدة « **الرأي** » الاردنية ١٩٧١/٩/٨ .

٢ — **المصدر نفسه** .

٣ — اشار الملك في احدى خطبه في تلك الفترة الى اهتمام النظام بفكرة السماح بتكوين الاحزاب . ونجد اشارة مقتضبة عن توجه وصفي التل لبناء حزب ، في رسالة مراسل « **النهار** » في عمان ، تحت عنوان « حزب حكومي في الاردن : اوصى بفكرته وصفي التل » العدد الصادر في ١٩٧١/٩/١ .

٤ — اوحت تسمية وصفي التل لحكومته الاولى بـ « حكومة الشباب » بوجود صلة ما مع حركة القوميين العرب ، وخاصة مع وجود اسماء ارتبطت بالحركة في وقت من الاوقات « عبد الوهاب المجالي مثلا » ومن اسماء الوزراء « الشباب » الذين جذبهم وصفي التل : الشيخ ابراهيم القطان ، د. حازم نسيبة ، د. قاسم الريماوي .

٥ — جاء البرنامج المذكور « للسنوات السبع » وجملة من التشريعات الاقتصادية ، مثل قانون تشجيع الاستثمار ، وقانون الشركات بمثابة اقرار لتوصيات خبراء البنك الدولي .

٦ — راجع رسالة وفيق رمضان عن قيام الاتحاد الوطني في الاردن في **النهار** ، عدد ١٩٧١/٩/١٥ .

٧ — يعبر عن كل من النهجين الرموز التالية ، بهجت التلهوني ، عبد المنعم الرفاعي ، (ورشح حكمت المصري ليلعب دورا رئيسيا لفترة من الفترات) وسليمان النابلسي عن الجناح الداعي للاستناد الى الموقف العربي (وبالذات القاهرة) في اي موقف من المقاومة ، بينما مثل الجناح الثاني وصفي التل ، والزمر العسكرية البارزة ، وفيما بعد برز رياض المفلح ، احمد الطراونة ، من « المتشددين » .

٨ — راجع **الرأي** في ١٩٧١/١٠/٣١ .

٩ — في العدد ٢٣٥٧ من الجريدة الرسمية

الاردنية (١٩٧٢/٥/٦) نشر ٢٣ قانونا جديدا، وابرزها تشيل العمل والعمال ، نقابة المحامين، نقابة الاطباء ، نقابة المهندسين ، الاطباء البيطريين ، اطباء الاسنان ، الممرضين والممرضات ، اي شمل عددا من النقابات العمالية والمهنية .

١٠ — من ابرز هذه الاسماء واكثرها تحركا وتنظيرا للاتحاد الوطني : مصطفى دودين (وزير الشؤون الاجتماعية انذاك) ، ابراهيم الحباشنة (وزير الداخلية انذاك) ، عدنان ابو عودة (وزير الثقافة والاعلام) ، محمد الدباس (موظف حكومي كبير) ، سليمان رتيمة (عضو مجلس الاعيان) ، د. سعيد التل (استاذ جامعة) ، نجاح الخياط (تربوية) ، وعدد من الوزراء الاخرين : اميل الغوري (ويتجه عادة الى المخيمات وتجمعات الفلسطينيين) اسحق الفرحان (للمعلمين والتربويين) ، محمد البشير (للصحة) د. خليل السالم (مدير البنك المركزي) ، وهناك عدد من التقنيين والاكاديميين مثل : د. سفيان التل، د. وديع شرايحة ، د. كامل ابو جابر ونواب واعيان اخرون مثل محي الدين الحسين ، جمعة حماد .

١١ — من ابرز هؤلاء : جمال عبيدات (مدير مكتب الاتحاد في محافظة اربد انذاك) ، عبد الله العابد مياس (الرمثا) منى الريض (تربوية) ، فايز جابر (ضابط متقاعد) عصام عريضة ، فايز محمود ، (موظفون حكوميون منتدبون للاتحاد الوطني) .

١٢ — ومن نواب الشمال الناشطين انذاك : عبد الله الشريدة ، رزق البطاينة ، فضل الدلقموني ، سليمان القضاة ، (والوزير السابق حسن الكايد) .

١٣ — راجع « الرأي » ١٩٧١/١١/١١ .

١٤ — راجع **الاسبوع العربي** عدد ١٩٧١/١٠/٢٩

١٥ — « **النهار** » ، ١٩٧١/٩/١ .

١٦ — « **الدستور** » الاردنية ، ١٩٧٢/٢/١٠ .

١٧ — راجع كلمة الحباشنة في احدى الندوات المنشورة في «الرأي» الاردنية عدد ١٩٧٢/١١/٣

١٨ — « **النهار** » ١٩٧١/٩/١ .

١٩ — « **الانوار** » ، ١٩٧١/٩/١٥ .

٢٠ — « **الحياة** » ١٩٧١/١٠/٥ .

٢١ — « **الدستور** » الاردنية ، ١٩٧٢/٣/١٠ .

٢٢ — « **الدستور** » ١٩٧١/١١/١٥ .

٢٣ — « **الدستور** » ١٩٧١/٩/٩ .

٢٤ — **المصدر نفسه ، العدد نفسه .**

٢٥ — « **الحياة** » اللبنانية ، ١٩٧٢/١/٣ .

٢٦ — راجع الفصل الثالث من الميثاق المقترح . . « **الدستور** » ١٩٧١/٩/٩ .

٢٧ — كان مصطفى دودين وابراهيم الحباشنة في صفوف الحركة الوطنية في الخمسينات ، والاخير كان على صلة وطيدة بالحزب الشيوعي الاردني.

٢٨ — راجع حديثا مع إبراهيم الحباشنة في جريدة « **الرأي** » الاردنية ، ١٩٧٢/٦/٢١ .

٢٩ — الاقتباس المذكور ، وكافة الاقتباسات الاخرى من نصوص الميثاق معتمدة على النص الكامل للميثاق المقترح المنشور في جريدة « **الدستور** » الاردنية عدد ١٩٧١/٩/٩ ، لذلك لا داعي لتكرار الاشارة الى المصدر .

٣٠ — ورد تعبير مؤسسات حكومية ومؤممة في القطاع الصناعي في الميثاق . وبغض النظر عن مدى جدية النظام بصدد التأميم ، فلم ترد اشارات واضحة حول ذلك . وان كان قد ورد تعبير « تحريك وحدات اقتصادية من قطاع الى اخر في ضوء التجربة العملية ، وهذه المهمة تمارسها الدولة » .

٣١ — يراجع في هذا العدد قانون رقم (٢٥) لسنة ١٩٧٢ ، قانون معدل لقانون العمل ، الجريدة الرسمية (العدد ٢٣٥٧ ، ١٩٧٢/٥/٦) ص ٨٦٨ — ٨٧٣ .

٣٢ — راجع حديث رئيس الغرفة الصناعية في عمان الى جريدة **الدستور** الاردنية ١٩٧٢/٦/٣٠

سميرة عزام في ذكراها الخامسة
دراسة في فنها القصصي *

الدكتورة نادرة جميل السراج

ما بين الثالث عشر من ايلول (سبتمبر) ١٩٢٧ والثامن من آب (اغسطس) سنة ١٩٦٧ اقل قليلا من اربعة عقود، هي عمر المرحومة القاصة الفلسطينية السيدة سميرة عزام . لكن الاديب والفنان الحق لا يقاس عمره بعدد السنوات التي عاشها يأكل ويشرب وينام كغيره من بني البشر ؛ وانما الذي يمنحه الخلود ويثري عمره ويستديم ذكراه هو الانتاج الذي خطه قلمه والاراء التي سجلت عليه ومنحت حياته قيمة وغنى وذكراه طيبا وشذى ؛ وبالاخص ما كان مطبوعا او منشورا من ذلك الانتاج وتلك الاعمال . وسميرة عزام خلفت بعد رحيلها خمس مجموعات قصصية واكثر من اثني عشر كتابا مترجما من الانجليزية الى العربية ، عدا ما أشرفت على ترجمته او راجعته من أعمال غيرها من الادباء والمترجمين..

انها لحياة خصبة خيرة معطاء ، لا نستغربها على فتاة خالدة طموحة بدأت كفاحها العملي وهي في السادسة عشرة من عمرها ، عندما مارست مهنة التدريس في بلدتها التي ولدت فيها ، مدينة « عكا » في شمال فلسطين . ورغم انها لم تكن مهيئة تهيئة تربوية كاملة — من حيث الشهادات العلمية والخبرة العملية — الا انها اثبتت جدارة ومقدرة كاملتين ، ودرست بالمراسلة وطالعت بنهم فرقيت بعد عامين الى وظيفة ناظرة للمدرسة التي بدأت بالتدريس فيها . واستمرت تعمل في مهنتها تلك الى عام الهجرة الفلسطينية أو عام النكبة ١٩٤٨ حين اضطرت الى النزوح مع عائلتها وأهل بلدتها وبقية مدن فلسطين .

لا شك ان الفترة التي ترعرعت فيها الفتاة الصغيرة البريئة « سميرة عزام » كانت متميزة بالحركة والغليان والقلق القومي والوطني على مصير البلاد الذي أصبح في خطر منذ أعطي ذلك الوعد المشئوم في الثاني من نوفمبر عام ١٩١٧ ، واجتاحت فلسطين الثورات المشهورة في الثلاثينات خاصة ، ثم الاربعينات على المستعمر البريطاني والطامع اليهودي ، وانتشرت أعمال العنف في ارجاء البلاد . أحست سميرة بما كان يدور حولها وما تنشره الصحف وتذيعه الانباء ، وتفكرت في كل ذلك بما لها من ذكاء وحدة ذهن وقوة ملاحظة تفوق سنوات عمرها ، فأخذت تعبر عما تحس به وما تفكر فيه وبدأت تعالج كتابة القطع الوجدانية والشعرية والقصص القصيرة ، وسرعان ما ظهرت في جريدة « فلسطين » بعض تلك القصص بتوقيع « فتاة الساحل » التي لم يكن الكثيرون يعرفون

* تود كاتبة البحث ان تشكر الاستاذ اديب يوسف حسن — زوج الفقيدة — على المعلومات القيمة التي بعث بها من بيروت ، وكذلك السيدة عبلا عزام — شقيقتها في القاهرة — على حديثها عن طفولة الفقيدة وبعض الذكريات .

انها بقت عكا « سميرة عزام » . ولست في موقف الحكم على تلك القصص المبكرة من انتاج سميرة لاني لم اقراها ، ولكنها دون شك بادرة تنبىء عما جاء بعدها ، وتبشر بمولد قصاصة وفنانة من نوع رفيع ظهرت في سماء الادب الفلسطيني ، ويا ليتها عمرت طويلا .

تفرق الفلسطينيون ايدي سبأ ، واتجهت الهجرة شمالا وجنوبا وشرقا ، وربما الى الغرب ايضا .. ولم تكن هجرة مؤقتة كما خيل للفلسطينيين وقتها ، أو كما أوحى لهم أولو الامر حينئذ ، بل كان واقع الحال ان مرحلة جديدة من حياتهم قد بدأت ، ولا يعلم أحد متى تنتهي أو متى تكون العودة الى الديار . انها مرحلة اتسمت من اولها بالعمل والكفاح والصبر على المشاق ، والتنقل والترحال ، وما يصحب كل ذلك من قلق واضطراب ، وشعور بالغربة والحنين . واتيح لسميرة أن تعمل في مجال التدريس في مدرسة الاناث بمدينة « الحلة » في العراق ، حيث مكثت عامين عادت بعدها الى لبنان. وهناك باشرت الكتابة لبعض المجلات والترجمة لبعض دور النشر الى أن التحقت عام ١٩٥٢ باذاعة الشرق الادنى مذيعة وكاتبة لبرامج ركن المراة واقامت في قبرص مقر الاذاعة في ذلك الوقت ، وبعد عامين انتقلت الاذاعة الى بيروت وأصبحت سميرة مسئولة عن ركن المراة ، واتيح لها وقت أكثر للتفرغ الى هوايتها المفضلة وهي كتابة القصص والترجمة من الانجليزية الى العربية . والى جانب شهرتها كاذاعية معروفة ، ازداد الناس والقراء معرفة بها وبنشاطها حين أصدرت لها مطابع « دار العلم للملايين » مجموعتها القصصية الاولى « اشياء صغيرة » سنة ١٩٥٤ ، ثم تبعتها المجموعة الثانية التي أعطتها عنوان « الظل الكبير » سنة ١٩٥٦ .

وكما هو مقدر للافراد الفلسطينيين الرحل في هذا العصر الحديث ، قدر لسميرة عزام أن تعود الى البلد الذي عرفته أول هجرتها وعملت فيه ، فقبل الثورة العراقية بعام واحد حصلت على عقد للعمل في الاذاعة العراقية ومعها فريق من زملائها في اذاعة الشرق الادنى . لكن الفريق كله وجد نفسه مضطرا الى الاستقالة والعودة الى بيروت قبل مضي ثمانية أشهر من بدء العمل . أما سميرة ففي هذه الفترة تعرفت على شريك حياتها وارتبطت به وتم الزواج في بيروت ثم عادت معه الى بغداد للاقامة والاستقرار . ورحبت سميرة بالعمل مع اذاعة الثورة ، وكان صوتها يحيي المستمعين كل صباح في برنامج يومي ، بالاضافة الى ادارة برامج ركن المراة . وقبل الثورة بقليل كانت قد شاركت في تحرير صحيفة « الشعب » العراقية حيث كان من زملائها الشاعر الكبير المرحوم بدر شاكر السياب . لكن الاحداث التي تلت عام ١٩٥٩ في العراق ادت الى ابعاد سميرة وزوجها من بغداد وتم السفر في وقت قصير ، وكانت الوجهة الى لبنان من جديد . في تلك الاثناء اتمت سميرة كتابة مجموعتها القصصية التي اعتبرها زوجها تتمة لمجموعة « الظل الكبير » السابقة ، فاقترح عليها أن تسميها « .. وقصص اخرى». وفي بيروت صدرت المجموعة بالعنوان المقترح . ومنذ ذلك الوقت اخذت تضاعف نشاطها ، خاصة بعد التحاقها بالعمل في مؤسسة فرانكلين للترجمة والنشر ، فقامت بترجمة عدد من الكتب القيمة لمؤلفين امريكيين ، نذكر منها كتابي المؤلفة الامريكية المشهورة « بيرل باك » وهما : « جناح النساء » ، و« ريح الشرق وريح الغرب » ، ثم كتاب « اميركي في اوربا » لدودزورث ، و« القصة القصيرة » لراي وست و« حين فقدنا الرضا » لجون شتاينبك ، و« حكايات الابطال » جمع اليس هزلتون ، وكتاب « فن التليفزيون ــ كيف تكتب وكيف تخرج » لوليم كوفمان .

أما في مجال القصة ، فقد أخرجت المطبعة مجموعتها الرابعة « الساعة والانسان » في نهاية صيف ١٩٦٣ ، وهي المجموعة التي نالت على أساسها جائزة أصدقاء الكتاب للقصة القصيرة . وقد أحسنت « دار العودة » صنعا اذ أصدرت بعد وفاة سميرة

مجموعة خامسة من قصصها خلال صيف ١٩٧١ وصدرتها بعنوان « العيد من النافذة الغربية » وهو عنوان احدى قصص المجموعة ، التي تحوي بعض الخواطر الفلسطينية والصور العائلية والانثوية الحية الى جانبها ما تحويه من قصص قصيرة بالمعنى المعروف . وفي النية اصدار مجموعة وافية من خواطرها الفلسطينية واحاديثها الاذاعية التي كانت تسجل وتذاع بصوتها من اذاعة صوت فلسطين في القاهرة .

اما عن ظروف وفاة الكاتبة « سميرة عزام » فقد كانت مفاجأة لجميع أصدقائها وعارفيها وقرائها والمعجبين بكتابتها ، ومع ذلك لم يستغرب منهم أحد أن تموت سميرة في تلك الظروف بالذات وقبل انقضاء اكثر من ستين يوما على نكسة حزيران « يونيه » ١٩٦٧ ، لم يستغرب ذلك خاصة الذين رأوها تحرق طاقتها وتشعل كل دقيقة من وقتها بالعمل مع لجان السيدات التي تشكلت في بيروت لتلقي التبرعات الواردة للاجئين « الجدد » من ملابس واحذية واغطية وخيام واغذية . حتى لكأنها تكفر عما حدث وما تعتبر نفسها وكل فلسطيني وفلسطينية مسئولين عنه وعما جر من ويلات بعده ، وكانت بنظرتها المتشائمة وفكرها القلق تقابل الوضع مع وضع الامارات العربية في الاندلس في اواخر عهودها ، اذ كان الاسبان يصبرون بضع سنوات ثم يغزون احدى تلك الدول المتناحرة فيحتلونها ويطردون او يقتلون اصحابها العرب او يضطرونهم الى التنصر ، وهكذا الى أن قضوا على غرناطة آخر تلك الدول . وكانت تتساءل عما اذا كان التاريخ الآن يعيد نفسه على أيدي اليهود هذه المرة .

هذه كانت حالها وهذا كان فكرها عندما عزمت على السفر من بيروت الى عمان صبيحة اليوم الثامن من آب « اغسطس » ١٩٦٧ ، بقصد مقابلة بعض اللاجئين الجدد ومحاولة التسلل الى فلسطين (ولم يكن اليهود قد استطاعوا ايقاف تيار التسلل الذي تلا النكسة حتى ذلك الوقت) علها تبلغ مسقط رأسها عكا وتزور حيفا وتشبع حنينها الى الربوع . وسارت بها السيارة برفقة صديقيها ، طبيب وزوجته ، وعند مشارف جرش في شرق الاردن ، ولدى سماعها اول اخبار الظهيرة من المذياع بناء على طلبها ، التفت اليها الطبيب وزوجته فوجداها قد فارقت الحياة ، لم تفلح الاسعافات الاولية في ايقاظ القلب الذي غفا ، أو بعث الروح الى الجسد الذي تهاوى من وطأة العذاب والارهاق واعياء الغربة والحنين . أحضر جثمان الفقيدة من عمان ودفنت في بيروت في التاسع من آب « اغسطس » ١٩٦٧ . الى جانب نشاطها في العمل والكتابة والاذاعة كانت سميرة تهوى السفر والرحلات فزارت من بلدان المغرب العربي كلا من تونس وليبيا والمغرب ، بالاضافة الى زياراتها لمصر والاردن وسوريا والعراق حتى بعد تركها . وفي اوروبا قامت برحلة او اثنتين الى كل من : ايطاليا واسبانيا وانجلترا وفرنسا والمانيا . وأكثر ما يؤسف عليه ان رواياتها التي وصفت فيها التيه الفلسطيني وسنوات النفي والتشرد وسمتها « سيناء بلا حدود » لن تكون بين ايدي القراء ، اذ أنها مزقتها بانفعال شديد اثر حوادث نكسة ١٩٦٧ ، بعد أن قطعت في كتابتها شوطا بعيدا ، قائلة : « ان كل ما كتبته قد فقد معناه » .

أرجو أن يجد القارىء في الصفحات القليلة السابقة عن نشأة الكاتبة سميرة عزام وظروف حياتها وتنقلاتها مدخلا طيبا ومناسبا للحديث عن مجموعات قصصها الخمسة التي نريد عرضها وتحليلها في الصفحات التالية ، اذ من المعروف ان شخصية الكاتب وانفعالاته مؤثرة في فنه ومنطبعة في انتاجه بصورة عامة . كما أن مشاهداته ولقاءاته وتجارب حياته المختلفة لا بد ان تسهم في اخصاب فنه بالقدر اللازم ، واعطائه القيمة التي يحسها المتلقي ويقدرها بقدر ما تؤثر فيه تلك المشاهد والتجارب والانفعالات . ولقد اتفق النقاد والدارسون على أن مجال المعرفة لدى القاص هي كما يلي :

(١) التجربة المباشرة التي تعطي ابعادا متنوعة وتوسع أفق الكاتب . (٢) القراءة

والاطلاع ، ففي الكتب انواع مختلفة من الخبرة ، (٣) الاتصال بالناس والتحدث اليهم وسماع مشاكلهم .

وقد اجتمعت لكاتبتنا المجالات الثلاثة المذكورة وتوفرت لها اسباب كتابة القصة الجيدة منذ البداية ، بالاضافة الى ما أخذت به نفسها من تنمية موهبتها وصقل معارفها والاستفادة من كل الظروف التي يمكن ان ترتقي بفنها وتمنحه القيمة الحقيقية . وقصص سميرة عزام بصورة علمية تميزت بالواقعية ووصف المشاهد الحية والبعد عن الرمزية ما أمكن ، وعدم الاستغراق في الخيال ، مع شيء من الرومانسية المحببة والاناقة اللفظية والبراعة في الوصف والتحليل ، ولنبدأ بمجموعتها الاولى « اشياء صغيرة » التي صدرت عام ١٩٥٤ .

تحتوي المجموعة على ثلاث عشرة قصة قصيرة او « اقصوصة » كما يحلو لبعض النقاد أن يسميها . تحمل القصة الاولى عنوان « الاشياء الصغيرة » وتحكي قصة فتاة رصينة متزنة ، تعتقد انها من نسيج خاص ، لها مبادئها واخلاقها ومثالياتها ، بالاضافة الى نشأتها المحافظة وتربيتها البيتية التي يغلفها الكبت الشديد والانضباط التام . ويميزها هذا السلوك الجاد بين رفيقاتها واترابها ، اللاتي كثيرا ما يتحدثن عنها في مزاح قائلات: « انها تعيش بعقلية أبيها وامها وعمتها العانس ! » ، هؤلاء الثلاثة الذين ما يزالون يرددون على مسامعها عبارة : « لا تكوني كالاخريات الرعناوات فأنت غير اولئك أصلا ونبتا ، أنت ، وأنت . . » . ولكنها الان انسانة متجددة الاحساس ، وستبني وجودها بعد اليوم بحسها وارادتها . . فقد بدأ عنادها يتزحزح « منذ طالعها وجهه الاسمر للمرة الاولى في السيارة العامة » . وتمضي الكاتبة في قص الاحداث وترتيب اللقاءات بين البطل والبطلة بصورة عفوية وطبيعية لا مبالغة فيها ولا تهويل ، ولا يفوتها ان تحلل عواطف الفتاة المراهقة وتشرح نفسيتها بعد ما استسلمت لهذه العاطفة الجديدة الغامضة والمشاعر الغضة الناشئة ، وكل ما يعتري الفتاة الرصينة ازاء تلك العواطف والمشاعر من قلق وصراع ، وهواجس ومخاوف حتى لتكاد ان تحتقر نفسها وتثور على ضعفها ، ولكنها في الوقت نفسه تشعر أن هذه العاطفة الجديدة المتبادلة قد منحتها ثقة كبيرة بنفسها واحساسا جديدا بالحياة . . أما اسلوب القصة فقد سارت فيه الكاتبة على طريقة السرد المباشر ، وهو أول وسائل الكاتبة القصصية ، ولكنها نثرت بين الفقرات بعض العبارات والتساؤلات الموحية والتي وجهتها ببراعة ، بحيث بدت وكأنها حديث مع النفس أو نوع من المونولوج الداخلي الذي أوحت به هذه المشاعر الدقيقة التي تطغى وتفور مع الاشياء الصغيرة .

لم يكن اسلوب السرد المباشر هو الاسلوب الوحيد الذي اتخذته سميرة عزام في كتابة قصصها فالقصة الثانية في هذه المجموعة يمكن ان نطلق عليها « قصة في رسالة » تروي فيها حكاية فتاة مظلومة مهيضة الجناح تبرر لشقيقها اسباب سقوطها حين راته قادما وبيده المسدس ، يذرع الحي بخطوات مضطربة ، يريد أن ينتقم لشرفه من اخته التي كانت في الرابعة عشرة وكان هو في الخامسة حين مات ابواهما ، واضطرت الاخت للعمل في مصنع حياكة ، ولكن صاحب المصنع النذل استغل سذاجتها وجمالها البريء واغراها بالهدايا والعطور حتى وقعت الفريسة ، ثم خرجت مذللة بالخزي والعار ، فلم تتمكن من العودة الى اخيها ولا الى الحي خشية افتضاح أمرها ، وقادتها الحياة الى سلوك الساقطات ، وتطوع من الوشاة من اوصل خبرها الى شقيقها فجاءها يطلب الثأر بعد أن كبر واصبح رجلا . أما هي فقد ظلت تحن الى اخيها رغم خشية اللقاء : « . . وعذبني شوقي مرة فعزمت على أن اراك وحملت بعض الهدايا ، وما أن بلغت المكان حتى وقفت حائرة امام الباب المغلق ، ولم ادر كيف ادخل ، وماذا اقول ، ومن اطلب . فألقيت باللفافة التي أحملها من النافذة ثم عدت لا الوي على شيء . . » . ان

الكاتبة تفرق هنا بين رقة قلب المرأة وعطفها واحسانها وبين قسوة الرجل وأنانيته وسيطرته . ولكنها تبالغ قليلا في هذا التفريق بحيث تعطي العذر للفتاة في العودة الى طريق المصنع الذي جر عليها الويلات ، بدل العودة الى الخدمة في البيوت رغم ما فيها من تعنت ربة الدار وصفعاتها أحيانا . واسلوب الرسالة خطابي وعظي كأنما قصدت به البطلة تبرير سقوطها في سبيل لقمة العيش .

بقية قصص المجموعة يتراوح اسلوبها بين السرد والحوار ، والخواطر والسيرة الذاتية احيانا . أما موضوعاتها فكثير منها يؤكد ما صورته في القصة السابقة من قسوة الظروف التي تضطر الفرد او الافراد الى تصرف معين قد يضر فاعله والاخرين حوله. فعلت ذلك في قصتها « نافخ الدواليب » حين ضاقت الحياة ببطل القصة ، وسدت امامه سبل العيش النظيف ، فاضطر الى الغش في عمله والعبث بدواليب الدراجات المصفوفة خارج دار السينما ، حتى اذا خرج أصحابها كان لا بد لهم من أن يقصدوا المحل لاصلاحها ، فينال قروشا من أقرب طريق. وهو يحاول تبرير عمله بأن وراءه أما وأخا واختا يعيشون من ابرة امهم . وهنا يغلب على الكاتبة تشاؤمها وتجنح الى السخرية حين تقرر ان بطل القصة يتردد على المدرسة الليلية ويسمع دروسا تحث على الامانة ، ثم يشعر بالخجل لعدم استطاعته تطبيقها في سلوكه .

وتعاود سميرة سوداويتها مرة اخرى حين تصور احلام فتاة فقيرة عاملة في مصنع لتعبئة الزجاجات ، مخطوبة لسائق سيارة المصنع الذي يوصلها الى بيتها بالسيارة كل يوم ، ولكن بدل أن يتما سيرهما معا « على الدرب » وهو عنوان القصة ، فجأة يتخلى خطيبها عنها ويترك عمله على سيارة المصنع الكبيرة ، ويصبح سائقا خاصا لمدير المصنع نفسه، ومن يومها فهو لا يقف لها على الدرب ولا يوصلها ولا يعترف بها ! كذلك يبدو التشاؤم واضحا في قصتي « عقب سيجارة » و« بائع الصحف » ففي الاولى تصوير لمظاهر الفقر والحاجة مع كثرة الاولاد ، واضطرار احد الابناء الى تجميع اعقاب السجائر بدل أن يحاول اي عمل نافع ، ودخوله السجن من اجل هذه الهواية غير المشروعة ، ولكن الدنيا ما زالت بخير فيما يبدو ، فالضابط المسئول « صفوان » جار قديم لمحمود ، والد الابن السجين ، يتعرف عليه ويخدمه باخراج ابنه من السجن . أما الصورة الاخيرة في القصة فساخرة مرة ، اذ يدخل الاب والابن البيت على صوت واغد جديد وضعته الام في تلك اللحظة « ونظر الولد الى أبيه وقد امسك بيده علبة ثقاب وراحت يده الثانية تبحث بعصبية في جيوب سرواله وسترته عن شيء .. هنا دس حسين يده في جيبه واخرج عقبا من بين الاعقاب القابعة فيها ، ودفعه الى ابيه ليستقر في لحظة بين شفتي والده اليابستين المرتعشتين .. » !

و« بائع الصحف » صورة رومانسية مؤثرة رغم واقعية احداثها وصورها اليومية المتكررة ، فعبود صبي صغير بريء ، تعلم سر المهنة من والده واخذ يقفز ما بين الحافلة والرصيف مناديا على ما في رزمته من صحف وما في الصحف من أخبار تهم مختلف الفئات ، فصحيفته « للموظفين تبشر بالكادر والعلاوات... وللتجار بالتسوية للمشكلة الاقتصادية القائمة بين سوريا ولبنان .. الخ » عدا الطبقة التي يتفنن « عبود » في ابتداع العناوين الخيالية من اجلها : « الرجل الذي ذبح ابنه، المجرم الذي دوخ القوات، الفلاح الذي وجد كنزا مطمورا ، وهكذا » . ولكن هذه الحركة السريعة في القصة سرعان ما تنتهي الى سكون ، والكائن النابض بالحياة يلاقي مصيره القاسي تحت عجلات القافلة ، ويتناثر رشاش من دمه على الصحف الملقاة بجانب الجثة . ويسخر القدر من الناس وحركتهم واعمالهم ، فبائع الصحف النشيط « عبود » أصبح خبرا صغيرا في صحيفة ينادي عليها بائع آخر « رقيع » تجرأ بالتدليل على صحيفته في اليوم التالي بذكر تفاصيل حادث عبود الذي مات تحت عجلات الحافلة .

الموضوع الثاني الذي شغل بال الكاتبة في هذه المجموعة هو موضوع الزواج والامومة والبنوة وما تستوجبه هذه العلاقات الاسرية والانسانية من تضحيات في كثير من الاحيان. وليس غريبا أن نجدها تعطي الفكرة وعكسها والصورة ونقيضها ، فالحياة مليئة بالصور المتناقضة والمواقف المتباينة والمتنافرة . هناك قصتان ، عنونت احداهما بكلمتي « امومة خيرة » والثانية بكلمتي « مات أبوه » سردت في اولاهما حكاية زوجة خيرة وفية، توفي زوجها تاركا لها طفلين يؤنسان وحدتها ويخففان من أحزانها ، ولكنها ما تزال شابة جميلة رغم قسوة الحزن، ومع هذا فهي ترفض الخاطبين وترد برفق جميع المتقربين. أما هذا الرجل الذي جاءها بعد ثمانية أعوام من الجفاف والوحدة والمعاناة ، فلم تدر كيف ترده وهو لا يأتي الا « وفي يمينه باقة زهر وفي يساره حلوى وغيره للصغيرين وقد لمست فيه حنانا وتفهما ومشاركة . ولكن بماذا تجيب على الاستفهام الذي يطل من عيون الصغيرتين وكأنهما يتساءلان : اماه من يكون هذا الرجل ؟ . وتذكرت طفولتها وما ذاقت هي نفسها من مرارة اليتم ، وكيف تضاعفت هذه المرارة حين تزوجت امها ، وتفنن الزوج الكريه بالقسوة عليها وعلى أخويها الصغيرين». تقول القاصة: «وتطلق صاحبتنا آهة .. وتعود تمسح على شعر صغيريها في حنان وتقول : يا لي من انانية ! كيف سمحت لشبابي ان يطالب ولوجودي ان يحاسب وانا لست لنفسي بقدر ما أنا لهذين الصغيرين ؟ انني امهما وابوهما » . هكذا قررت وانتهى الامر .. فما لها وللتفكير الان. انها أم .. وستبقى .

أما في القصة الثانية ، فتبدأ الاحداث من أول يوم في المأساة ، عندما نظر الصغير الى جدته بعينين قلقتين وهي تلوك كلماتها مولولة منتحبة « مات ابوك يا ممدوح .. مات أبوك » . وتمضي الكاتبة في تحليل نفسية الصغير حين راى والده مسجى على الفراش بلا حراك وحوله النسوة في ندب وعويل : « انسل فزعا مرتجف الاوصال . وجلس في العراء على حجر خشن .. لذعته الشمس فلم يشعر ، وعضه الجوع فلم يبال .. وظل يتلفت يمنة ويسرة خشية ان يرى أحدا جاء يطلبه .. فهو يخشى العودة ولا يريد ان يموت كأبيه .. وظل هكذا الى المساء حتى لم يعد بوسعه ان يحتمل جوعه وقلقه وصبره وفزعه من أشباح المساء التي خالها مختبئة وراء الاحجار .. » . وعند عودته الى البيت لاقته امه باكية منتحبة وشدته الى صدرها ولذعت وجهه دموعها وهي تقول : « مات .. مات أبوك .. يا ممدوح » . ويختلف موقف الام هنا عن موقف الام الوفية المضحية في القصة السابقة ، فما يكاد يمر عام حتى تسعى امها في تزويجها من جديد . وتم الامر وانتقلت الام الى بيت الزوج الجديد تاركة ممدوح في بيت جدته . ولم يكن الامر هينا على الصغير ، لقد تعلم البغض ، وكان كلما كبر يكبر معه نفوره من امه ، حتى اذا شب عن الطوق واصبح يعول نفسه من عمله كنجار بعد وفاة جدته وانتقلت امه وزوجها الى بلدة اخرى ، لم يعد لها في قلبه مكان ، واصبح لا يرد على رسائلها ويسخر من دعوته لزيارتها . وهنا تحلل الكاتبة نفسيته وهو كبير كما سبق أن حللت نفسيته وهو صغير : « لقد نظر الى الامر من ناحية انانية صرفة . لقد دعته يجر حياة جافة لا تدفئها انفاس انثى ، وخلاء رحيلها يحيا في جو «مات ابوك» اعواما من الجدب العاطفي، اذن فهي ليست مستحقة أن تكون له اما . ولكنها كانت امه .. وكلمة غضب تلفظها شفتان في سورة حنق لا تخنق نداء الدم . ولذا كان عطوفا حانيا عندما فوجىء بوالدته ذات مساء تصحب صغيرا جديدا .. هو أخوه .. ابن الرجل الاخر .. الذي مات » .

وفي قصتي « الى حين » و« زواج العمة » حاولت الكاتبة أن تصور صورتين من صور سلوك الانتهازيين من الاقارب ، فالعمتان في القصة الاولى تريدان اقتناص زوج شاب غني لابنة اخيهما « سعاد » ويقع اختيارهما على « فهمي » ابن الجيران ، وتتصرفان بطريقة تحرج الفتي والفتاة وتحرجهما معا ، وتبالغان في تدليل « سعاد » والاهتمام

بمظهرها وهندامها وزينتها . ولعب الصوف دورا في احلام العمتين ، والفتاة حادسة الشعور ، ولكنها ايضا تحلم وتبني القصور في الاحلام . اما في ذلك الصباح ، فقد استيقظت من حلمها على صوت عمتها القديم يصيح : « الم تستيقظ بنت الباشا ؟ تراها ستظل نائمة الى الظهيرة ؟ ومن يكنس الشرفة ويسقي اصص الزرع ؟ انا ؟ ذلك لان العمتين استيقظتا على صوت الجيران يودعون فتاهم « فهمي » المسافر الى امريكا للدراسة » .

والقصة الثانية تصور طمع الاخ وزوجته في مال شقيقته الارملة الحزينة ، واستغلال هذا المال بالمعيشة عندها والصرف منه على اولادهما ، ولضمان نجاح اهدافهما لا يفتئان يترحمان على زوجها الراحل ويملآن البيت بصوره ويصورانه لها سيد الرجال ، حتى لا تفكر في الزواج من احد بعده : أما العمة فتصغي اليهما وتسمع كلامهما ، حتى يجيء يوم زواج ابنة اخيها الشابة ، فتستفيق لحالها وتصغي الى نصائح أم يوسف الخاطبة التي تبدأ السعي في سبيل « زواج العمة » رغم انف زوجة اخيها «أم شوقي» . والقصتان لا تخلوان من فكاهة وخفة في السرد والحوار .

يقول الدكتور محمد يوسف نجم في كلمته التأبينية المنشورة في عدد يناير من مجلة الاداب عام ١٩٦٨ : « كانت اقاصيص الاشياء الصغيرة صراعا بين الروح العذب والنفس البريئة الطاهرة من ناحية، والمحيط الجديد الذي لم تستطع ان تهضمه وتتمثله وتمتصه في كيانها لتتلبس به كيانا آخر . ومن خلال الملاحظة والوعي الاخلاقي الذي لا ترتخي قبضته ، اخذت شخصيتها تتحرك وتنمو ، ومواقفها تتطور وتتبلور ، كان همها آنذاك ان تتذكر وان تلاحظ وان تحس . أما التأمل والتفكر ، والشك والايمان ، والنقد والمحاسبة ، فطورها لم يحن بعد » .

وبالفعل بدأت مرحلة التأمل والتفكر مع مجموعتها الجديدة « الظل الكبير » واخذت الكاتبة نفسها في هذه الفترة بشيء من الاطلاع والثقافة العامة ، وغدت اكثر انفتاحا على العالم حولها واكثر اختلاطا ومجالسة ومراقبة ، خاصة عندما لاحظت ان هذا الاختلاط والانفتاح يثري فنها القصصي ويمنحه معينا لا ينضب من الموضوعات والاحداث والاشخاص . ولكنها ما زالت ، من ناحية اخرى ، تطل على الاخرين من مكان عال لا يستطيعون أن يرقوا اليها فيه ، فكما بدت في « الاشياء الصغيرة » فتاة مترفعة متميزة، ومن نسيج خاص، بدت كذلك في اول مجموعتها الجديدة شابة متحمسة متفتحة طموحة، ولكنها ما زالت تحبس نفسها في قوقعة لا يريد عقلها ولا حسها ان يخرجاها منها ، انها ما فتئت مختلفة عن الاخريات: «وفي هذه المرة يجدر بها الا تكون عادية، ان تمسك قلبها باليمين وبمعادلة رياضية باليسار . انها لا تريد ان تسخو فتمنح انسانا جد عادي حبا كبيرا ، بل ولا حاجة بها لان تحب ، يكفيها أن تملأ عقلها ونفسها اعجابا ببطل » . كانت في اعماق نفسها تتوق الى شيء من الانطلاق ، وتتطلع الى مستقبل مشرق مضيء، ينسيها بضخامته ضآلة ماضيها باحداثه الصغيرة التافهة : « وكانت في رأسها خطوط مختلفة لمشروع ، كانت تعاني فيه فراغا لا يملؤه الا جبار، جبار يبدو معه ماضيها شيئا ممسوخا ، شيئا لا يجرؤ حتى ان يهز في نفسها مكامن الحنين ، او أن يقول انه منها » . ولكنها عندما وجدت فارس الاحلام هذا ، صدمت حين وجدته ينظر اليها كأنثى قبل أي شيء آخر . انه لم يلحظ تميزها ولا تفردها ولا اخذ بما حشدت به رأسها الصغير من فلسفة وتفكير . اذن هو كالاخرين ، واذن هي كالاخريات ! وعضت بها حيرة ، جعلت تسأل نفسها اكانت مغرورة حين اصرت على جبار ؟ قد يكون ! لقد علمها رد الفعل القديم أن ترى لنفسها ظلا كبيرا ، حيث تضيع نسبة الاشياء ، أتكون هذه نقطة ضعفها ؟ » .

يبدو أن تلك كانت نقطة ضعف بطلة القصة ، كما كانت نقطة ضعف الكاتبة نفسها ، بل

لعلها كانت نقطة الضعف لدى فئة من بنات فلسطين اللاتي نشأن في نفس الفترة ونفس الظروف التي عاشتها الكاتبة ، فتاة غضة يانعة في ارضها الحبيبة ، ثم مهاجرة غريبة — غربة الروح والنفس — تكد وتعمل في سبيل العيش الكريم ، وتسعى وتناضل من اجل العودة الظافرة مع جموع اللاجئين ، حيث تأمل ان تنعم بحياة طبيعية سعيدة في مستقبل الايام . ولكن الأيام طالت والسنوات أخذت تكر ، واضطرتها الحياة الى التنازل على المستوى الشخصي ، والرضا والاقتناع بما هو موجود وما هو كائن ، وعاشت حياتها كغيرها من بنات حواء .

وفي الفترة التي شهدت تجربة الوحدة العربية وثورة العراق ثم انتكاسة هذه الثورة ، خرجت الى النور مجموعتها القصصية الثالثة التي اعتبرت تتمة للمجموعة الثانية ، سواء في موضوعاتها التي استقتها من الواقع المحيط بها والذكريات المخزونة في عقلها الباطن من أيام الطفولة ، او في أسلوب السرد والحوار المحكمين والبناء الفني المتقن . وحملت السنوات الثلاث التالية مزيدا من التجارب والاحداث في حياة الكاتبة ومن حولها في بيروت ، وعاشت سميرة حياة ثقافية خصبة كان لثرائها أثر في تطور فنها القصصي خاصة انها عكفت على دراسة اسس هذا الفن ، وترجمت كتابين هامين في القصة القصيرة والقصة القصيرة الامريكية، بالاضافة الى عدد من القصص القصيرة والروايات الامريكية المعروفة والهامة . وكان نتاج هذه الفترة مجموعتها الرابعة « الساعة والانسان » ثم الخامسة التي طبعت بعد وفاتها « العيد من النافذة الغربية » .

يطول بنا الحديث لو اخذنا بتحليل قصص المجموعات الاربع الباقية قصة قصة كما حاولنا في المجموعة الاولى اعلاه . ولذلك يحسن بنا ان نحدد الموضوعات التي طرقتها الكاتبة والاحداث والشخوص التي صورتها ، وكيف استطاعت التعبير عن تلك الاحداث والشخوص والموضوعات في مختلف القصص المتناثرة بين مجموعاتها الاربع ، خاصة ان هناك دائما خيطا رفيعا يجمع بين القصص ، ويعطيها — بصورة عامة — ميزة في سميرة عزام .

سميرة عزام فتاة فلسطينية ، حملت قضية بلدها وعاشت بها متنقلة بين الاقطار . فلسطين كانت حياتها ، وفلسطين كانت مقتلها ومماتها — اذا صح التعبير — وبالرغم من أن القصص الفلسطينية في مجموعتها ليست غزيرة الكم والعدد ، الا انها من حيث الكيف تعتبر قمة في التعبير عن المأساة منذ أول وقوعها ، واحداث التشرد واللجوء ونفسية الفلسطيني وما تعرض له من ضغوط وظروف قاسية ومريرة ، قابلها جميعا بالصبر والعمل والصمود تارة ، والحقد والثورة والتمرد تارة اخرى . هناك قصتان تصوران كفاح ابناء فلسطين ونضالهم ضد قوى الشر والطغيان ، الاولى منهما تحكي قصة معلم شاب من ابناء قرية « بتير » في ضواحي القدس ، كان يحمل البندقية في الليل ، يحرس القرية مع رفاقه ويدافع عنها امام خطر الاعتداءات الصهيونية عام ١٩٤٨ . وفجأة نفدت ذخيرته ، ولم يكن امامه الا ان يموت مكانه هو وزوجه وطفله البريء ، او يرحل مع فلول النازحين « في الطريق الى برك سليمان » ، وانتصرت ارادة الحياة ، وفي رقعة متناهية تصف القاصة مشاعره ومشاعر زوجه ساعة الرحيل ، مودعين بيتا صغيرا عرف حبهما وكفاحهما المبكر معا ، وحديقة غرساها شجرة شجرة .. ولعلع رصاص الاعداء ، واصاب صغيره الذي يحمله بين يديه ، وركض بالجسد الميت خشية ان تراه زوجه فتصعق . وتحت شجرة لوز سخية حفر حفرة صغيرة اراحه فيها ثم أهال عليها التراب برفق ، حفنة حفنة « ولم يقرأ صلاة ما ، فقد أخرسه الحقد » .

صورة مؤلمة من صور الهجرة الفلسطينية تكررت كثيرا في تلك الايام . أما قصتها « خبز

الفداء) فيصور جانبا آخر من جوانب النضال الفلسطيني . وقد بدت فيها الكاتبة اكثر حنكة ، ودراية بالفن القصصي ، واعتمدت في تسلسل الحوادث على الواقع الذي عاشته ورفيقاتها في آخر ايام النضال قبل سقوط عكا وحيفا في أيدي الاعداء . كانت سميرة نفسها قد ساهمت مع سيدات عكا في حياكة القمصان الصوفية لاهدائها إلى افراد الحرس القومي وكتابة عبارات مشجعة على بطاقات يضعنها في جيوب القمصان ، وهكذا كانت بطلة القصة المرضة « سعاد » التي التقت صدفة بحارس المستشفى الليلي الذي كان قميصها من نصيبه وفي جيبه عبارتها التي تقول : « أرجو ان تكون من نصيب بطل » . (وسميرة معروفة بخلق الصدف الحلوة وتدبير المناسبات الموحية في قصصها بصورة عامة) . ويتكرر لقاؤهما ، في طابور التدريب والتأهب وفي اوقات الراحة القليلة ، ونما الحب بينهما . وهنا تعاود الكاتبة ذكرياتها عن طبيعة بلادها الجميلة فتكتب : « كان الوقت ربيعا ، وربيع فلسطين بحر أزرق تتهادى عليه أشرعة المراكب البيضاء نهارا ، وترصعه فوانيس قوارب الصيد ليلا ، وبساتين برتقال يكثف عبقها الهواء . . وفي ربيعه ذاك عرف شيئين . . الحب والحرب » . الحب هو الذي يعطي المعنى للحرب ، وما الحرب في نظره الا حق حياة للارض التي يحب ، والفتاة التي يحب : « ومع كل اطلالة صباح . . كان يستقبل خيالها . . جنبا الى جنب مع أنباء المعارك في صحف الصباح . . معركة القسطل ، هجوم قومه من مثلث الرعب على قرى الاعداء . . غاراته وأخواته على المصفحات اليهودية المتسللة على طريق حيفا — عكا نهاريا ، بطولة قومه في سلمة وفي كل مكان » . وكانت الحرب اقوى من الحب ! فوقعت كارثة حيفا وخرج النازحون يتلمسون طريقهم الى الميناء وأخذ الاعداء يمطرون الطرقات والشعاب بالرصاص . أما هي فقد رفضت النزوح مع اهلها ، وأما هو فقد بقي ليؤدي ما وكل اليه من جمع الذخيرة من القرى نهارا والقيام بالحراسة مع رفاقه ليلا . وعرفت « سعاد » طريقهم واخذت تحضر لهم كل يوم صرة ملأى بالخبز والسجائر والحلوى. وتبلغ المأساة ذروتها على يدي الكاتبة عندما تلاقي « سعاد » البطلة مصيرها المحتوم وتصيبها رصاصة وهي تمرق من باب الحديقة الى حيث قبع ورفاقه وراء المتاريس . وبشيء كثير من رقة الشعور ورهافة الحس تصف الصراع العنيف في نفسه ونفس رفاقه بين ان يطووا ضلوعهم على الجوع او يمدوا أيديهم الى الصرة الممزقة والارغفة الملوثة بدمها الزكي ، ومرة اخرى تنتصر ارادة الحياة ، فما زال امامهم شوط طويل ، وعيونهم لن تنام عن الثأر ، فليكن الخبز هو « خبز الفداء » .

في مجموعة « الظل الكبير » صورتان فلسطينيتان غاية في الروعة والانسانية ، اوحت بأولاهما اليها عبارة وردت على لسان مذيع اذاعة الشرق الادنى ، ضمن « رسائل اللاجئين الى ذويهم » تقول كلمات الرسالة: « من جميل عبدالله في بيروت الى والده كريم عبدالله ووالدته سلمى واخته وداد في يافا : انا بخير كذلك خطيبتي ناديا . سننزوج في الساعة الثالثة من بعد ظهر الثامن من ايار في كنيسة « السيدة » ، ثم نسافر لاعمل في الكويت . مشتاقون ، طمئنونا بواسطة الاذاعة » . ولكن ، ماذا بيد « سلمى الصواف » وزوجها أن يفعلا في يوم فرحة ولدهما «جميل» سوى ان يذيع المذيع ردهما على الرسالة فيقول : « من كريم عبدالله وزوجته سلمى وابنته وداد وزوجها . . نبارك زواجك وندعو لك بالخير » . تصور سميرة قمة الفاجعة حين تقول : « وبيروت ليست في السند او الهند. بيروت لا تحتمل اكثر من ساعات ست في مشوار سيارة.. ولا تحتمل اكثر من نصف ساعة في طائرة .. ومع ذلك فمستحيل المستحيلات لديها (سلمى) ان تذوق فرحة العمر وتكحل عينيها بمرأى جميل عريسا . . » وتتساءل سميرة : « أية قسوة في الحياة تشتط فلا تشفق على قلب أم ولا تفرح قلب أب . . » وتتحدث عن مشاعر الأم حين بلغت الساعة الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم ، وتستعرض الشريط الجميل الذي مر بخيالها لولدها الصغير

الذي كبر وتعلم ، وهـا هو يتزوج بعيدا عنهـا ، وتتخيل حفل الزفاف والكنيسة وطلعة العروس ، يا ليت كل ذلك كان امامها ! « ما أعظم شوق يافا لان ترى عرسا لاحد ابنائها » ! ولكن الكابوس ما زال ثقيلا وقد مات طعم الفرح في افواه الناس . ثم من يزغرد للعريس ؟ ام العروس ؟ ولم لا وقد خلا لها الجو ! وتختلط الافكار في رأس سلمى ، وتشعل الشموع في أيدي ابناء بنتها الذاهلين ، وتمسح دموعها وتطلق زغاريدها المخنوقة .

الصورة الفلسطينية الثانية طالما وصفتها اقلام الصحفيين العرب وطالما صورتها كاميرات مصوري وكالات الانباء العربية والاجنبية ، اذ لم يعرف العالم صورة في طرافتها ولا في غرابتها ولا في شذوذها ، صورة بوابة « مندلبوم » عشية عيد الميلاد من كل عام بعد عام ١٩٤٨ ، حيث يحتشد ابناء فلسطين الذين يعيشون في الداخل ، ليلتقوا خارج البوابة المشئومة بالوافدين للقائهم من الاهل والاقارب والابناء والازواج ، وربما الاحفاد ايضا . وفي ذلك العام بالذات حملت احدى السيارات القادمة عن طريق درعا والرمثا عجوزا مشوقة للقاء ابنتها التي ستحضر من « الناصرة » وقد حملت لها ولاولادها بعض المأكولات والملابس . وعبر الطريق تسلي نفسها والسائق بالثرثرة عن « ماري » واولاد ماري ، وتروي بعض احداث الهجرة ومآسي الفراق : « سبع سنوات مرت على فرقتنا ، تركتها عروسا فصار لديها كريم والياس وعبد النور ، سبع سنوات ، عمر يا بني عمر ، وما استطاعت ان تترك الناصرة الى القدس لترانا فهي اما حامل او نفساء » . ورغم تعب الطريق ووعثاء السفر الا ان العجوز متماسكة قوية ، تصبر وتتحمل وستأتي ماشية على قدميها لو اقتضى الامر ، حتى تحظى برؤية مارى : « ساقبل ماري فلا اشبع واشمها فلا اكتفي واسألها حتى يجف ريقي .. » ستسألها عن يافا ، فربما تكون زارتها ، عن البيت والجيران ، عن البيارة والكنيسة .. وتحمل نهاية القصة مفاجأة قاسية ، لقد مرض زوج ماري فلم تتمكن من الحضور .. والى العام القادم ! اية عبارة درامية تختم بها سميرة قصتها حين تفيق العجوز من غشيتها وتعطي السل لناقل الخبز وتقول له : « خذه وقبل رأسها عني ، وقل لها على لساني . بعد السلام انني اذا عشت عاما اخر فسآتي اليها زاحفة على قدمي .. واذا عاجلتني رحمة الله ، فلن أموت الا بحسرتين حسرة بلدي ، وحسرة ماري ، وقبلة على خدها ! » . وقد عبرت الكاتبة نفسها عن اهتمامها بالمطالع والخواتيم حين قالت : « المطالع والخواتيم عندي اوليها عناية خاصة ، فقد تقتل العبارة الاخيرة ان لم تكن زخمة وموفقة كل الموحيات والتأثيرات التي احب ان أتركها مع القارىء »(١) .

وتجيء مجموعة « الساعة والانسان » بقصصها المتقنة الحبك ، باحداثها الدرامية ، ومواقفها الساخرة ، ونهاياتها المأساوية اليائسة ، ويحظى الفلسطينيون من كل ذلك بنصيب ، فالقصة الاولى من قصص المجموعة تمة في السخرية والمرارة والالم القومي الممض . ولذلك لم يكن غريبا أن صدرتها مجلة الاداب حين نشرت فيها عام ١٩٦١ بالابيات التالية للشاعر العراقي المرحوم بدر شاكر السياب من قصيدته « قافلة الضياع » :

« قابيل أين اخوك ؟ »
— « يرقد في خيام اللاجئين
السل يوهن ساعديه ، وجثته انا بالدواء
والجوع لعنة آدم الاول وارث الهالكين
ساواه والحيوان ثم رماه أسفل سافلين

---

١ — ملحق صحيفة « الانوار » اغسطس ١٩٦٧ ، لقاء صحفي قبيل وفاتها .

ورفعته أنا بالرغيف ، من الحضيض الى العلاء »(٢) .

حادث اختلاس في مركز توزيع وكالة غوث اللاجئين يدان فيه « وصفي » ويطلب من صديقه وزميله المثول امام المحقق ، ولكنه لا يستطيع ان يدلي بأية معلومات عن زميله رغم علمه بها « فصداقتهما صداقة رصاص ودم . . جوع وتشرد . انه ليس نذلا . . وليس لصا . . ولكن » . والاجابة الوحيدة التي تفوه بها امام المحقق هي : « انني اعرف وصفي مذ كان طفلا ، زاملته تلميذا وموظفا ، وليس سهلا علي أن اتصور ان ينحط الى هذا الدرك » . ويجيء التعليق القاسي على لسان الرجل الاجنبي : « في مثل ظروفكم يا صاحبي لا يدري المرء في أية لحظة يمكن أن يصبح لصا . . » وتكون هذه المقولة بداية للقصة كلها ، يقوم الصديق الى قوائم التوزيع المنتظرة على مكتبه فيمزقها ويلقي بها في سلة المهملات . . ويمسك قلما وورقة بيضاء ، يسطر عليها ثلاث حكايات : « فياض الحاج علي » المزارع الطيب الذي كانت مواسم بلاده خضراء دائما « فسماؤنا سخية ، وتربتنا سمحاء ، ولم تكن سواعدنا بالمتخاذلة الرخوة » . ولكن ظروف اللجوء الذليل ، وأفواه الزوجة والاطفال الخمسة المطالبة قلبت حياته راسا على عقب ، ولما جاءت زوجته الى مكتب التوزيع تطالب بتسليم الاعاشة لها ، لا له ، لانه يبيعها ويسكر بثمنها ، أخذ يكيل لها الكلمات والركلات دون وعي حتى فارقت الحياة في الطريق الى المستشفى . وغدا فياض مجرما وقضي عليه بالاشغال الشاقة خمسة عشر عاما ! وأخت الشهيد أحمد ، مدربهم في الحرس ، تصبح بغيا بعد موت امها « اذ لم يبق أمامها الا هذا الطريق »! . وأبو سليم جاسوس المخيم الذي يسجل على اللاجئين تحركاتهم ويقف في طريق بناء مدرسة جديدة في المخيم ، في حين يشتري هو جهاز تلفزيون ويفرض رسم دخول على من يريد الفرجة من اخوانه اللاجئين « كل هذه صور من آثار النكبة على الفرد الفلسطيني ، شوهته وأذلته وغلفت حياته بالخزي والعار » . ولذلك لم يكن غريبا ان يذهب الراوي فور انتهائه من كتابة هذه الحكايات وقد بيت في نفسه امرا « القضاء على مصدر الذل نفسه — مكتب التوزيع — وعندما تلتهم النار اكياس الفول والدقيق وكتل الدهن واكوام التمر والزبيب ، يشعر بزهو غريب ، فكل الناس سيعرفون » كل اللاجئين ، كل من في الوكالة ، وسيعرف المحقق بالذات ، انه شيء اكبر من لص ، وارفع من وغد ، وان قومه لن يلعنوه اذا جاءوا . . فما حرق قوتهم ، وما سلك ناره على غنائم اللصوص والفئران الا لانه . . « لانه يحبهم » ! .

صورة اخرى من صور الذل والهوان اللذين مر بهما « الفلسطيني » خاصة أول الهجرة ، تسجلها الكاتبة في القصة التي تحمل ذلك الاسم ، فقد أصبح « الفلسطيني » البقال كالارمني الاسكافي الذي لم يعرف له اسم على مدى ثلاثين عاما في الحي ، هذا مع ان مصائب الفلسطينيين اصبحت فوائد لدى بعض الانتهازيين من أهل البلاد الذين تعاملوا بتزوير بطاقات الجنسية وابتزاز اموال الفلسطينيين الكادحين .

لا شك ان سميرة كانت متعاطفة مع ابطال قصصها من الفلسطينيين ، الذين عرفت حياتهم عن قرب ، وزارتهم كثيرا في المخيمات وفي المدارس وفي معسكرات التدريب . وكانت هي نفسها تأخذ على الكتاب والشعراء العرب الذين تحدثوا عن اللاجئين عدم زيارتهم لمخيماتهم ومعرفتهم كيفية معيشتهم وما يتعرضون له ، وتطلب من الاديب ان ينظر الى القضية الفلسطينية كقضية معايشة يومية ، وتضيف : « ان تجاوبه يجب أن يتم أبدا على نطاق الاحساس الشامل لا بمشكلة فلسطين فحسب — وان قدمت في نظرنا على غيرها من المشكلات — وانما بجميع قضايا التحرر في العالم »(٣) .

---

٢ — مجلة **الآداب** ، عدد فبراير ١٩٦١ ، ص ١٨ .

٣ — مجلة **الآداب** ، عدد مارس ١٩٦٥ ، مقالة لسميرة عزام بعنوان : « دور الادب في معركة فلسطين » .

وهذه النظرة الانسانية الشاملة ليست غريبة على سميرة عزام ، فالى جانب النماذج الفلسطينية البائسة والمهيضة الجناح ، تمتلىء قصصها بالشخصيات الضعيفة والبسيطة والمظلومة ، وهي دائما تتعاطف مع تلك الشخصيات وتحنو عليها وتبرر لهـا المواقف وتوجد لها الاعذار . كما ان ابطال قصصها في الغالب من الطبقة العاملة والبسـيطة : صبي الكواء ، بائع الصحف ، عاملة الكوافير ، سكرتيرة المدير ، عاملة في مصنع ، بائعة .. الخ . وهي في تصويرها لتلك الشخصيات ، تحللها ، كلا على حدة ، وترسم ملامحها ببساطة وعمق وبصدق بالغ ، وكأني بها تعتنق مذهب تشيكوف حين قال : « ان على المؤلف ان يكون انسانيا الى اطراف اصابعه » . ونجدها من الناحية الوصفية تعتنـي بالتفاصيل وتصف لنا الجزئيات لكي تعطينا صورة متكاملة واضحة عن المنظر او الحالة التي تريد شرحها . وهي في هذا أيضا من مذهب تشيكوف الذي يقول : « ان اقـدس القداسات عندي هو الانسان ، صحته ، ذكاؤه ، موهبته ، وحيه ، حبه ، وحريتـه المطلقة » . وليس هذا غريبا على كاتب كان اصله طبيبا بشريا .

ومن أعذب الصور الانسانية في قصصها صورة الوداع في المطـار عندما نودي على ركاب طائرة البرازيل ، وهب « فرحات » وهب مودعوه من نساء العائلة ورجالهـا يلتقطون معه الصور التذكارية ويزودنه بكلمات الوداع ووصاياه . وتحلـل الكاتبة مشاعر المودعين وخاصة امه التي « يبدأ التاريخ عندها وينتهي بشيء مـن فرحات ولفرحات » . كما تحلل مشاعر المهاجرين في ديار غربتهم وآلام الوحدة وقسوة الحياة في البداية ، ولا تبخل القاصة على فرحات ، الذي انساها وداعه انها في انتظار حضور شقيقتها من القاهرة ، بأجمل التعبيرات التي اعتادت ان تختم بها قصصها او تنثرها بين الفقرات : « ولما ركب الطائرة ووقف على سلمها ، فرشت القرية عواطفها على المدرج ، والقت أم بقلبها على الطائرة .. » .

وفي قصتها « هل كان رمزي » صورة انسانية مؤلمة للام التي ضاع طفلها وهو في الرابعة من عمره ، واعادوه لها بعد اربع سنوات ، وقد كبر واستطالت قامته وتغير شكله الى حد ما ، فأنكرته ، من فرط وجومها وشرود عقلها . واحس هو بذلك ففر من البيت ، واستمرت الأم في وقوفها بمداخل المدينة تتشبث بسترات المارة وتسأل : « هل فيكم من رأى ولدا في الرابعة يلبس بنطالا أزرق ؟ » .

أما قصة « فردة حذاء » فتفاجئنا بالنهاية المأساوية المؤثرة عندما عثر أهل البيت علـى مجموعة من فردات الاحذية « الشمال » في غرفة التخزين على السطح ، وزال عجبهم عندما رأوا ابنة الخادمة تتأبط عكازا خشبيا اذ كانت برجل واحدة .

وتعاطف سميرة ليس فقط مع الآدميين وبني الانسان ، بل أن رقة قلبها واحساساتهـا المشاركة دائما تمتد الى كل أليف وانيس وضعيف من الحيوان ، وقصتها العراقيـة المحلية « سعد والديك » مثل على ذلك . كما ان الفة المكان والتعود عليه عند الكلاب واضحة في قصتها « الحب والمكان » .

أما أكثر الموضوعات التي طرقتها سميرة عزام في قصصها ، فهي الموضوعات النسائية والانثوية ومشاعر الامومة وروابط الزواج والخطبة واحداث الميلاد احيانا . وقد عرضنا لمجموعة من تلك القصص في الصفحات السابقة ، ونضيف هنا أن مجموعة من قصص « الظل الكبير » تدور حول هذه المعاني ، مثل قصة « نصيب » التي تسلط فيها الكاتبة الضوء على الطريقة التقليدية في الخطبة والزواج عند العرب ، وأن « السكوت علامة الرضا » بالرغم مما يدور في رأس العروس من صراع وتردد احيانا ، اذ ان الاحلام لا تتحقق كلها في واقع الحياة . وقصة « ستائر وردية » من النوع الشعبي المحلي ، تحمل من روح التهكم الشيء الكثير ، تاجر عطارة مزواج مطلاق ، وزوجات له متعاقبات ،

وجارات يتلقفن الاخبار في فضول وهمس . وصف ساخر لهذا الجو الحريمي العتيق . وسميرة موهوبة في السخرية والتهكم ، مما يوحي بأنها متأثرة بأسلوب برنارد شو الذي قرأت له كثيرا دون ريب .

وفي حوار ذكي طريف بين فتاة شابة وخطيبها ، أعطته عنوان « القارة البكر » تحلل الكاتبة نفسية الرجل الشرقي وتحصي متطلباته في الفتاة التي يريد ان يتزوجها ، واول هذه المتطلبات الا تكون قد عرفت رجلا قبله « لئلا تحرمه من شعور كولومبس » . ويصف الفتاة بالجراة المتناهية لانها حكت له عن مشاعر سابقة حملتها لشاب قبل سبع سنوات . وعندما يثور ويسألها عما دفع بها الى هذا الاعلان تجيبه بقولها : « لا أدري ، كان يتآكلني الغيظ احيانا حين أسمعك تتحدث الي عن تجارب الحياة وقد أخذك الزهو وكأنما أنت تحادث انسانة لا حق لها في ان تمارس تجربة ، وان تذوق انتصارات الحياة وانكساراتها ، انسانة لم تولد الا منذ عرفتها » . وتجري الكاتبة على لسان الفتاة الاسباب التي تجعلها تبحث عن أي زوج او تقبل خطبة غير مقنعة : « امي ، أبي ، اخوتي ، شعوري بالضعف ، اسئلة الناس لي لماذا لم تتزوجي بعد .. الحاح اهلي علي في أن افعل .. لقد بت أشعر بأنهم يضيقون بي .. » .

وقصة « أطفال الاخرين » تروي ظروفا دقيقة حساسة في حياة زوجين شابين لا ينجبان ، يطل بيتهما على روضة أطفال ، وهي مليئة بالعواطف الغزيرة التي تغدقها الزوجة على أطفال المدرسة حين تطل عليهم من نافذتها اكثر من مرة في اليوم ، تلك النافذة التي بدأت تضايق الزوج حين صارحه طبيبه بأنه هو الذي لا ينجب ، ولكن « شهادة الطبيب فيه لا يمكن ان تبدل حقيقة احساسه فيما بينه وبين نفسه على الاقل .. ان هؤلاء الصغار يعطونه الفرصة لان يحب .. » والاطباء يتركون شيئا للعلاج وشيئا للامل ، ليظل للحياة ما تستحق ان تعاش من أجله ، فلتظل النافذة مفتوحة للصغار ، وليظل الامل نبراسا ينير الظلمة الحالكة . وتتميز القصة بالتحليل النفسي الدقيق لكل من الزوجة المرحة المتفائلة والزوج الحساس المتشائم ، والكبرياء الخاص بكل منهما . .

لكن نهايات قصص سميرة عزام ليست كلها مشرقة متفائلة كالقصة السابقة ، وقد لمسنا بعض الخواتيم الدرامية في قصص فائتة ، ونلمس ذلك اكثر فأكثر في قصة من مثل « الساعة والانسان » التي توحي بأنها قصة واقعية من ذكريات بعض اهلها او معارفها في الوطن . وعقدة القصة تدور حول « فؤاد » موظف السكة الحديد الذي بلغ المحطة متأخرا ، وكان القطار قد أخذ بالتحرك ، فتعلق بباب العربة محاولا الصعود ، ولكن يده خذلته فأفلت الحاجز وسقط تحت العجلات ، ومن يومها ووالده الكهل يدور على بيوت القرية يوقظ الموظفين قبل الفجر حتى لا يلاقوا المصير نفسه . ولكن الولد نفسه يموت نتيجة برد اصابه وهو يلهث راكضا في الصباح الباكر تحت المطر المنهمر . ان عنوان القصة نفسه يحمل من السخرية المرة ما يفجع ، هذه الالة الدقيقة التي اخترعها الانسان لتضبط له أوقاته وتنظم حياته تكون هي السبب في مماته ! ولكن الشاعر العربي قديما قال : « تعددت الاسباب والموت واحد » . وهذا القول المشهور اوحى للكاتبة بأن تزودنا ببعض الاسباب الجديدة للموت في القصة التالية لسابقتها ، فأحمد ، شاب طموح كان يعمل صبيا عند البقال ، وانتقل الى ورشة اصلاحات ميكانيكية ، ثم ساقه طموحه الى المانيا حيث تعلم هندسة التليفزيون وتركيب الهوائي واصلاح الاجهزة ، وتزوج وانجب ، ولكن القدر كان له بالمرصاد ، ونقلت الشاشة الصغيرة صورته وهو يسقط من فوق سطح احدى العمارات الشاهقة .. « كومة رابضة تمثل قصة الطموح في فصلها الختامي » .

ليست القصتان السابقتان الوحيدتين اللتين تحدثنا عن الموت في مجموعات سميرة

عزام . فمن الواضح ان هذا المصير لبني البشر قد أخذ من تفكيرها الشيء الكثير ، فهناك قصتاها « هواجس » و«لا ليس لشكور» والأخيرة منهما غاية في الرقة ودقة الاحساس، تصور والد « شكور » الذي عمل طيلة حياته بصناعة التوابيت وبيعها يتشاءم اليوم من عمله ويرغب في تغييره حين مرض ولده الصغير وخشي أن يصبح ذلك التابوت القصير من نصيبه . وعاف تجارة الموت « وراح يهوي بالفأس على النعش الصغير في ضربات عصبية مجنونة متلاحقة ، فما خلاه الا حطاما وراح يبعثرها بقدميه » .

الواقع ان فكرة الموت كثيراً ما كانت تسيطر على الكاتبة ، وتوحي لها بتأملات وخواطر عديدة ، وتتردد اوصاف الميتين اكثر من مرة في قصصها « فالوجه شمعي شاحب ، والفم محشو قطنا ، والعينان زجاجيتان نصف مفتوحتين » . ومع هذا فلم تخفها فكرة الموت ولم تفزعها النهاية المحتومة . انها هنا تذكرنا بالكاتب الساخر الواقعي ارنست همنجواي الذي ترجمت له هي نفسها مقالة نشرتها في مجلة الاداب عام ١٩٦١ بعنوان « ارنست همنجواي ، حي وسط الموت » تقول احدى فقراتها :

« كانت الحياة بالنسبة لهمنغواي شيئا لا ينفصل عن الموت ، بل هي صراع متقابل يتغلب فيه ابطاله لا على الخوف من الموت فحسب ، بل على الخوف من تعقدات الحياة والتفكك الذي يهدد الفرد . ان الحياة هي الحياة الحقة ، وهي العمل والقوة الخلاقة التي تمد البطل بالقوة للصراع » .

كانت المرة الوحيدة التي ذكرت فيها سميرة الموت صراحة وباحساس شامل غامض يوم فاجأت صديقتها وزميلتها الاديبة السورية السيدة الفة ادلبي بقولها : « ذات ليلة ستفاجأين بنعيي » ولم يكن ذلك قبل وقت طويل من حادث وفاتها رحمها الله »(٤) .

وبعد ، فقد كانت سميرة عزام كاتبة ملتزمة ، لم تخرج عن نطاق مجتمعها وبيئتها بما فيهما من آفات وأمراض اجتماعية ، ولم تكف عن النقد والتحليل لمختلف الاوضاع والاوساط ، موحية بالحل والاصلاح احيانا ، كما تميز اسلوبها وتناولها للقصص بالقيم الثلاث التي تميز القصة الناجحة وهي : الصدق والاخلاص والانسانية . اما تعبيراتها الجميلة الموحية ، والكلمات التي كثيراً ما تتحول في قلمها الى انغام ، فيكفينا دليلا عليها، الى جانب ما مر من نصوص ، الجمل والعبارات القصيرة التالية :

« وفي تلك الليلة انكرت مخدتها راسها القلق » .
« واجتمع الرجال على واجب الاموات ، ثم انفضوا عن رحمة الاحياء » .
« والتفت حسن الى بيته ، كان ما يزال مشدودا بكرامة ، جدرانه البيضاء تشرب فضة القمر ، ويغسله عطر زهر اللوز بسخاء ربيعي .. » .
« ولم يكن ثمة صوت يخدش صمت الليل الا صوت ديك ارعن لا يبالي ان يصيح حتى في ليل مات قمره » .

لم يكن كثيرا على سميرة عزام ان ينعتها الناقد العربي الاستاذ رجاء النقاش بأفضل كاتبات القصة القصيرة في أدبنا المعاصر(٥) . اما فلسطين فقد خسرتها كاتبة أدبية ناجحة، وخسرتها مناضلة حرة مجاهدة ، ولا يعوض عن فقدها سوى عنايتنا بما خلفت من قصص ، وما أبقت من آثار جميلة تحمل المثل والمبادىء التي عاشت لها وماتت من أجلها ، وأولها : حب الوطن والتضحية في سبيله بالروح والنفس والمال .

---

٤ ــ الاداب ، يناير ١٩٦٨ .
٥ ــ المصدر نفسه .

المطامع الاسرائيلية في الاراضي اللبنانية

خليل أبو رجيلي

اجمل الجنرال دافيد اليعازر ، رئيس الاركان الاسرائيلي ، اهداف الحملة الاسرائيلية على الجنوب اللبناني في يومي ١٦ و١٧ أيلول ١٩٧٢ بقوله « لقد حددنا لانفسنا مهمتين : تدمير قواعد المخربين ، وتصفية رجالهم الموجودين في المنطقة ، وقد تم تحقيق هاتين المهمتين في شكل كامل »(١). واذا كان هذا هو الهدف **المعلن** من الحملة ، فالى أي مدى يتطابق هو مع هدفها **الحقيقي** ؟ وهل حقا ان المهمتين اللتين حددهما اليعازر هما المهمتان **المباشرتان** للغزو الاسرائيلي الاخير ، وبالتالي لكل اعتداء سبقه ، ولكل اعتداء قادم متوقع ؟ في اليوم الاول من الحملة الاخيرة ، اي قبل ان يعلن اليعازر هدف الحملة ، اكد العميد أول احتياط يهوشفاط هركابي ان « القصف الجوي ضد المخربين ما هو الا اجراء مؤقت ، والشيء نفسه ينطبق على العمليات العسكرية المنفذة بواسطة المشاة والمدرعات »(٢). اذن فان العسكرية الاسرائيلية تدرك ان تحقيق مثل هذه الاهداف **المباشرة المعلنة** غير قابلة للانجاز عن طريق الاعمال العسكرية التي تقوم بهـا القوات الاسرائيلية في الجنوب اللبناني . ومن هنا فان هركابي نفسه في حديثه المشار اليه يضع تصورا آخر للحرب من « خلال جبهة واسعة جدا ، ومن خلال عمليات متعددة الاتجاهات ومتنوعة الاساليب » تهدف ، بقدر ما يتعلق الامر بموضوعنا ، الى « العمل على تحويل النزاع الى عبء على تلك الدول التي لم تتحمل اعباءه مما جعلها تمنع تأييدها لاستمراره، وهدفنا سيكون **اجبار** هذه الدول على تقليص حجم تأييدها للحرب التي يقوم بهـا الفدائيون » . بعد هذا الخط الاستراتيجي العريض الذي يحدده هركابي تكشف وسائط الاعلام الاسرائيلي عن تفصيلاته فتكتب صحيفة « دافار » (٧٢/٩/١٧) ان « امـام الحكومة اللبنانية الخيار بين طرد المخربين من اراضيها او الاستمرار في التفرج على اسرائيل وهي تقوم بذلك بنفسها »(٣). كما تكتب صحيفة « عل همشمار » في اليوم نفسه « ان المحافظة على الهدوء يتعلق بالحكومة اللبنانية وحدها وعليها ان تتخلص من اعمال المخربين »(٤). وهكذا ، تكشف هذه « الدعوة » للحكومة اللبنانيـة الهدف **الحقيقي والمباشر** للاعتداء الاسرائيلي على الجنوب اللبناني ، هي « دعوة » لان تتولى الحكومة اللبنانية نفسها المهمتين اللتين حددهما اليعازر هدفا للحملة بعد ان ادركت العسكرية الاسرائيلية عقم « القصف الجوي ضد المخربين والعمليات العسكرية المنفذة بواسطة المشاة والمدرعات » . وهذه « الدعوة » الاسرائيلية ليست حديثة ، ولا هي موجهة فقط للحكومة اللبنانية وانما شعب لبنان ، في قراه ومناطقه الجنوبية ، مقصود بها ايضا . فمنذ ان ابتدأت اسرائيل بتكرار اعتداءاتها على الارض اللبنانية ، كان كل اعتداء يحمل في طياته مثل هذه « الدعوة » التي كانت اسرائيل تؤكدها علانية في تصريحات قادتها او من خلال وسائطها الاعلامية . فعشية الاعتداء على بلدة حاصبيا وقرية دير العشائر في حزيران ١٩٧٢ حرص ابا ايبان ، وزير خارجية اسرائيل ، على « افهام » اللبنانيين في الجنوب الهدف من هذا الاعتداء بأنه « القضاء على المخربين والمتعاونين معهم فمتى **خرج المخربون من القرية وكف الاهالي عن التعاون معهم** تركهم جيش الدفاع الاسرائيلـي

يعيشون في أمان »(٥). والدعاوة الاسرائيلية توجه « الدعوة » الى اللبنانيين « للسخط » على الفدائيين حرصا منها على استقرار الشعب اللبناني فيذيع راديو اسرائيل (٢٣/ ٧٢/٦) ان « وكالات الانباء تتحدث عن التوتر المتزايد في أوساط الشعب اللبناني تجاه منظمات التخريب ، فالسخط الذي ساد سكان قرى الحدود موجه الى المخربين والسلطات اللبنانية التي لا تتخذ الاجراءات اللازمة لوقف نشاطات المخربين التي لا تقتصر على القيام بعمليات ضد اسرائيل بل **تسيء ايضا الى الامن الداخلي في لبنان والى راحة واستقرار الشعب اللبناني** . فمنظمات التخريب تعتبر نفسها دولة داخل دولة **ولا تحترم الحقوق الاساسية للشعب اللبناني** ». هذا الحرص المزعوم على استقرار الشعب اللبناني ، يكشف الاهداف ويعريها : استعداء السلطة في لبنان على المقاومة ، خلق التناقض بين الشعب في لبنان والمقاومة ، وتصعيد هذين الهدفين الى مرحلة الصدام المسلح الذي يكون فيه طرفا الصدام خاسرين لا محالة . وازاء هذا الخسران الذي يحيق بالطرفين ، المقاومة ولبنان ، تستطيع اسرائيل من ثم ان تخطو خطوات اخرى في تحقيق أهدافها الحقيقية في لبنان والتي هي ، هذه المرة ، غير معلنة ، اعلانا صريحا . ونعني بذلك* :

تقويض الاقتصاد اللبناني

لا يزال الاقتصاد اللبناني يرتكز بصورة رئيسية على قطاع الخدمات الذي يشكل حاليا ٦٧ ٪ من الناتج الوطني بينما تساهم الصناعة بنسبة ١٧ ٪ والزراعة ١١ ٪ والبناء ٥ ٪(٦) وتطور اقتصاد الخدمات هذا يتطلب استقرارا سياسيا حتى ينمو ويزدهر ، ففترات الاضطراب بالنسبة له هي فترات انكماش وتراجع بينما فترات الاستقرار هي فترات نمو كبير وازدهار .

ومن مقومات قطاع الخدمات في لبنان التجارة والسياحة وهذه الاخيرة تشكل دعامة قوية من دعائم الاقتصاد اللبناني وتبلغ نسبة مساهمتها في الناتج الوطني ١٥ ٪ وقد ارتفعت قيمة المقبوضات من السياحة من ٦٧،٣ مليون ليرة لبنانية سنة ١٩٦٠(٧) الى ٥٨٠ مليون ليرة لبنانية سنة ١٩٧١ وكان متوقعا ان تصل الى ٦٤٥ مليون ليرة لبنانية سنة ١٩٧٢ أي بمعدل زيادة قدره ١١ ٪(٨). لكن حالة عدم الاستقرار التي ولدتها الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان وموجة الانفجارات والاغتيالات السياسية التي تقف وراءها الاستخبارات الاسرائيلية قد أثرت على هذا القطاع تأثيرا مباشرا ولن يتوقع له هذه السنة نمو كبير كما كان منتظرا ودليل ذلك انخفاض عدد المصطافين العرب في المصايف اللبنانية هذه السنة(٩) والغاء الرحلات المقررة لبعض السياح الاوروبيين والامريكيين الى لبنان وبالتالي الغاء الحجوزات في فنادق بيروت والجبل التي تنتظر موسم الصيف حتى تعوض عن خسارتها في بقية فصول السنة .

ولا تكتفي اسرائيل بالاعتداءات على لبنان حتى تقوض اقتصاده بل تستغل وسائل اعلامها في الخارج ، ودالتها على بعض وسائل الاعلام في العالم الغربي ، لتشوش على لبنان وتمنع السياح من زيارته . وانشأت لهذا الغرض مكتبا خاصا في اوروبا الغربية لقراءة الصحف اللبنانية يوميا وجمع المعلومات عن حوادث السير والسرقة والقتل وانباء غلاء المعيشة ومن ثم ترجمة هذه المعلومات الى عدة لغات اجنبية وتوزيعها على مكاتب ووكالات السفر في مختلف انحاء العالم تحت عنوان: لبنان كما يراه أهله . . . فتأملوه(١٠). هذا نموذج عن رغبة اسرائيل في تقويض اقتصاد لبنان لتركيعه حتى يرضخ لجميع شروطها فيقيد تحركات المقاومة الفلسطينية على اراضيه تمهيدا لتصفيتها معنويا

---

* أعدت هذه المقدمة من قبل هيئة التحرير حيث ان المقال كتب أصلا قبل شهرين من تاريخ النشر .

وجنوبيا لكن يقظة الشعب اللبناني حالت حتى الان دون الرضوخ للشروط الاسرائيلية المهينة للكرامة الوطنية .

الاهداف البعيدة

ان الهدف البعيد للاعتداءات الاسرائيلية على لبنان هو الاستيلاء على جنوبي لبنان وجزء من منطقة البقاع الواقع على السفح الشرقي لجبل الشيخ وذلك لعدة اسباب اهمها :

ـ وجود كميات وافرة من المياه (منابع الاردن ، نهر الليطاني ، نهر الزهراني وينابيع أخرى) تقدر بـ ٥٠٠ مليون متر مكعب في السنة تحتاج اليها اسرائيل لتحقيق مشاريع الاستيطان في جنوبي فلسطين .

ـ وجود اراض زراعية خصبة (سهل مرجعيون ، السهل الساحلي ...) تحتاج اليها اسرائيل لتوسيع الرقعة الزراعية لاراضيها .

ـ وجود أماكن أثرية غنية تمثل عدة حضارات تبغي اسرائيل الاستيلاء عليها لتنشيط السياحة الى اراضيها .

ـ أهمية هذه المناطق من الناحية العسكرية والاستراتيجية لامن الدولة الصهيونية .

وقضية مطامع اسرائيل هذه بالاستيلاء على بعض المناطق اللبنانية ، هي قضية طويلة ، يرتبط تاريخها مباشرة بتاريخ الحركة الصهيونية . وقد اتخذت هذه المطامع منذ ولادتها اتجاهين مختلفين ، سياسي واستيطاني . وسنعرض فيما يلي لخطة العمل التي اتبعها قادة الحركة الصهيونية في كل اتجاه كي يصلوا الى غايتهم .

الاتجاه السياسي

تؤكد جميع المقالات والبيانات والمذكرات الصادرة عن قادة الحركة الصهيونية في الفترة التي سبقت مباشرة الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان والانتداب البريطاني على فلسطين وشرق الاردن ، تؤكد جميعها رغبة الحركة الصهيونية في الاستيلاء على جنوبي لبنان وجبل الشيخ وسفوحه الشرقية الواقعة في لبنان وذلك استنادا الى العوامل التاريخية والاقتصادية والجغرافية والاستراتيجية . وسارت مطالبة الصهاينة وفق الخطة التالية :

أ ـ بتاريخ ٥ أيار سنة ١٩١٧ احتجت الحركة الصهيونية في نشرة فلسطين ، الناطقة باسمها ، على معاهدة سايكس ـ بيكو السرية التي اتفقت بموجبها بريطانيا وفرنسا على تقسيم المشرق العربي فكتبت تقول :

« ما من اتفاق ينص على تقسيم ارض فلسطين « القديمة » يمكنه ان يحوز على موافقة اليهود أو أن ينسجم مع أمانيهم القومية » .

وشددت النشرة على ضرورة توفر العوامل التالية في الارض التي ستمنح لليهود :

ـ سهولة الدفاع

ـ مساحة كافية للتوسع الاقتصادي

ـ شمول جميع المناطق التي قد تشكل مصدرا للمتاعب في المستقبل(١١).

ب ـ بعد حصول اليهود على وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ بدأت اللجنة الاستشارية لفلسطين ، (لجنة بريطانية تضم معظم الشخصيات الصهيونية) ، عملها لوضع مقترحات لحدود فلسطين في ٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ . وقدمت هذه اللجنة مقترحاتها استنادا الى العوامل التاريخية والاقتصادية والجغرافية وأصرت على ان تشمل الحدود الشمالية ، نهر الليطاني وجبل الشيخ(١٢).

ج — في المذكرة الرسمية التي قدمتها الحركة الصهيونية الى مؤتمر السلام اصرت على شمول الحدود الشمالية على جنوبي لبنان وجبل الشيخ . تقول المذكرة :

ان حدود فلسطين سوف تتبع الخطوط العامة الموضوعة كما يلي : تبدأ من الشمال عند نقطة على البحر الابيض المتوسط بالقرب من صيدا وتتبع منابع المياه التي تنبع من سفوح سلسلة جبال لبنان حتى جسر القرعون ثم الى البير وتتبع الخط الفاصل بين حوض وادي القرن ووادي التيم ثم الى اتجاه جنوبي يتبع الخط الفاصل بين المنحدرات الغربية والشرقية لجبل الشيخ . . . (١٣) .

تعيد المذكرة الى الاذهان ما صرح به مرارا قادة الحركة الصهيونية في تلك الفترة وتوضح اصرارهم على شمول جنوبي لبنان وجبل الشيخ ضمن الحدود القومية للوطن اليهودي في فلسطين . واعقبت المذكرة عدة ايضاحات من قادة الحركة الصهيونية تثبت جميعها اطماع الحركة بجنوبي لبنان وجبل الشيخ :

— في ٦ كانون الاول سنة ١٩١٩ حددت الحركة الصهيونية رغبتها في الاستيلاء على جنوبي لبنان وجبل الشيخ بقولها : « ان الحقيقة الاساسية فيما يتعلق بحدود فلسطين هي انه لا بد من ادخال المياه الضرورية للري والقوة الكهربائية ضمن هذه الحدود ، وذلك يشمل مجرى نهر الليطاني ومنابع مياه الاردن وثلوج جبل الشيخ »(١٤) .

وارسل هيربرت صموئيل(١٥) رسالة الى احد اعضاء الوفد البريطاني في محادثات السلام في باريس يشرح فيها اهمية مستقبل فلسطين ويحدد عوامل النجاح لها فيقول : « ان نجاح مخطط مستقبل فلسطين بأسره يعتمد على مدى قدرة البلاد على استيعاب المهاجرين اليهود وهذا بدوره يعتمد على تطوير الصناعة والزراعة ، ويعتمد تحقيق ذلك على توفر المياه والقوة المائية ومن هنا كانت الحدود الشمالية المقترحة (من قبل مذكرة الحركة الصهيونية) حيوية للغاية »(١٦) .

وفي اجتماع ضم القاضي برنديس واللورد بلفور واللورد برسي والقاضي فرانكفورتر ، صديق الرئيس الاميركي نلسون ، المعروف بميوله الصهيونية ، اتفق المجتمعون على ان تحقيق الوطن القومي لليهود لا يتم الا بتوفير مساحة كافية لاستيعاب المهاجرين ، وتأمين مصادر المياه الواقعة في شمال البلاد(١٧) .

وفي اثناء انعقاد مؤتمر الصلح اتصل دافيد بن غوريون ووايزمن ، اول رئيس دولة لاسرائيل ، اللذان كانا في باريس لملاحقة مطالب الحركة الصهيونية ، بالبطريرك الماروني والذي كان بدوره في باريس للمطالبة بضم الجليل الاعلى ووادي النصارى الى دولة لبنان ، اتصلا به لاقناعه بالتخلي عن الجليل الاعلى وجنوبي لبنان لقاء وعد بمده بالمساعدات المالية والفنية كافة لتطوير لبنان الذي سيصبح دولة ذات اكثرية مسيحية فرفض البطريرك طلبهم واصر على مطالبه(١٨) . فهذه الحادثة تثبت وسائل الترغيب التي اعتمدتها الحركة الصهيونية لسلخ جزء من لبنان من سيطرة الانتداب الفرنسي وضمه لسلطة الانتداب البريطاني حتى يسهل عليها انشاء المستوطنات الصهيونية فيه والاستيلاء عليه عند قيام الدولة الصهيونية في الاراضي العربية المغتصبة .

الا ان فرنسا اصرت على ان تكون الحدود الجنوبية والجنوبية الشرقية الفاصلة بين النفوذ الفرنسي والبريطاني خطا يمتد من رأس الناقورة على البحر الابيض المتوسط مرورا ببانياس حتى مدينة درعا السورية . وهكذا قطعت الطريق على مطامع الحركة الصهيونية في الاراضي اللبنانية والسورية معا . فأعلن قادة الحركة الصهيونية سخطهم على رضوخ الحكومة البريطانية الى المطالب الفرنسية ونددوا بهذا الاتفاق الذي افقدهم نهر الاردن ونهر الليطاني وجبل الشيخ وسهل حوران .

لكن قادة الحركة لم ييأسوا من امكانية تغيير الحدود بطريقة سلمية محاولوا خلال الحربين العالميتين اقامة جاليات يهودية في الاراضي اللبنانية والسورية ، الا ان محاولتهم لاقت معارضة شديدة من السلطات الفرنسية التي رفضت رفضا باتا السماح للجاليات اليهودية بالاستيطان في الاماكن المحيطة بالحدود الفلسطينية تخوفا من المطامع التوسعية الصهيونية(١٩) .

رغم هذه النكسات لم تتخل اسرائيل عن محاولاتها للاستيلاء على منابع المياه ، فقد حاولت قبيل قيام دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ شراء الاراضي المحيطة بمنابع الاردن ونهر الليطاني وذلك عن طريق سماسرة ماهرين الا ان محاولتها هذه باءت بالفشل(٢٠)، وفي سنة ١٩٤٨ احتلت اسرائيل جزءا من قضاء مرجعيون وبنت جبيل واصبحت على مشارف الليطاني لكنها تراجعت عنها بعد ان قامت الحكومة الفرنسية بالضغط عليها . وفي اتفاق الهدنة المعقود سنة ١٩٤٩ بين لبنان واسرائيل احتفظت اسرائيل بأجود الاراضي الزراعية التابعة للعديد من القرى الواقعة على الحدود اللبنانية الاسرائيلية منها اراضي قرى يارون ورميش وعيترون وبليدا وحولا والعديسه وكفركلا وميس الجبل . . .

ومنذ ذلك الحين لا ينفك المسؤولون الاسرائيليون عن كشف نواياهم التوسعية بالاستيلاء على جزء من أراضي لبنان . ففي مطلع ايار سنة ١٩٥١ يصرح ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل الان بما يلي : « لسنا من المهتمين بالنيل او بالفرات ولكننا نولي الاردن ومنابعه كل اهتمام »(٢١) وهذا يعني الاستيلاء على قضاء حاصبيا وراشيا ومرجعيون وجزء من البقاع الغربي . وفي مطلع سنة ١٩٥٥ نشرت مجلة ميدل ايسترن افيرز الامريكية الصهيونية مقالا جاء فيه : « كان من الواضح للاسرائيليين ان احلام تطوير النقب لا يمكن أن تتحقق بدون مياه الليطاني »(٢٢) . وفي ٧ تموز سنة ١٩٦٧ بعد حرب الخامس من حزيران مباشرة صرح ليفي اشكول ، رئيس الوزراء آنذاك ، لمندوب جريدة الموند الفرنسية معلنا نواياه بالاستيلاء على مياه لبنان فيقول : « لا يمكننا ونحن بأمس الحاجة الى المياه ان نرى مياه نهر الليطاني تذهب هدرا الى البحر ، لقد اصبحت القنوات جاهزة في اسرائيل لاستقبال هذه المياه واستعمالها »(٢٣) . ويجيب بن غوريون رئيس وزراء اسرائيل الاسبق على رسالة الجنرال ديغول الذي بعث يسأله عن نوايا اسرائيل بالنسبة للبنان فيقول : « ان امنيتي في المستقبل جعل الليطاني حدود اسرائيل الشمالية » . واثر حرب الخامس من حزيران يصرح وزير الدفاع موشي دايان : « ان حدود اسرائيل اصبحت طبيعية على جميع الجبهات باستثناء لبنان » . ويضيف في تصريح آخر امام اتحاد شباب الكيبوتز في هضبة الجولان السورية المحتلة فيقول : « ان الضفة الشرقية للاردن ولبنان وسوريا ستكون الفريسة التالية لاسرائيل » .

تصريحات المسؤولين الاسرائيليين في هذا الصدد عديدة وكلها تثبت نوايا اسرائيل بالاستيلاء على جنوبي لبنان لتأمين كميات المياه التي تحتاج اليها لتحقيق سياسة الاستيطان في النقب واستيعاب موجات الهجرة التي ترد اليها في السبعينات . وستشتد ازمة المياه في اسرائيل ابتداء من سنة ١٩٧٥ لان الطلب على المياه سيزيد على الكميات المتوفرة في البلاد(٢٤) . فلا بد اذن لاسرائيل ان تحسم الموقف قبل ذلك التاريخ . وتشير تطورات الاحداث على الجبهة اللبنانية بعد حرب الخامس من حزيران الى رغبة اسرائيل الملحة في الاستيلاء على جنوبي لبنان . لانها منذ ذلك التاريخ قامت باحتلال مزارع شبعا وشردت نحو ٥٠٠ شخص واقفلت ابواب الرزق امام اهالي شبعا كما احتلت مشارف جبل الشيخ المطلة على شبعا ، ومشارف كفرشوبا وانشأت مراكز مراقبة لها في الاراضي اللبنانية على طول الحدود وشقت اليها الطرقات .

لكن المسؤولين الاسرائيليين لا يفصحون عن كل الاسباب التي تدفعهم الى احتلال الاراضي اللبنانية فبالاضافة الى المياه التي تحتاج اليها اسرائيل هناك اهداف اخرى تدفع

باسرائيل الى الاسراع بالاستيلاء على الاراضي اللبنانية منها :

ـ الاستيلاء على الاراضي الزراعية الخصبة لا سيما السهل الساحلي حيث تزدهر بساتين الحمضيات التي تشتهيها اسرائيل لتقضي من جهة على دعامة قوية من دعائم الزراعة وتزيل من جهة اخرى منافسا قويا لها في اسواق اوروبا الشرقية والاسواق العربية ايضا حيث تطمع اسرائيل بتسريب حمضياتها اليها عن طريق سياسة « الجسور المفتوحة » بينها وبين الاردن وذلك تحت ستار « منتجات الاراضي العربية المحتلة »(٢٥).

ـ التمركز في الجنوب لاهميته العسكرية والاستراتيجية لحماية أمن الدولة الاسرائيلية كي تمنع المقاومة والجيوش العربية من التمركز فيه وتهديدها تهديدا مباشرا .

ـ تفتيت كيان لبنان تمهيدا لانشاء اول دولة من سلسلة الدول الطائفية التي فضحها كتاب « خنجر اسرائيل » حين نشر مضمون الوثيقة السرية التي كانت تنوي اسرائيل تحقيقه في المشرق العربي بالتعاون مع حلف بغداد سابقا كي تخلق حولها حزام أمن مركبا من دويلات طائفية صغيرة تدور في فلكها. يشكل هذا الهدف اخطر تحد تقوم بتنفيذه اسرائيل لضرب أماني الشعوب العربية في تحقيق الوحدة وذلك عن طريق اثارة النعرات الطائفية لدى الاقليات حتى تسلخها عن وحدة المصير مع الشعوب العربية . وقد يتجاوب معها بعض غلاة الطائفية الانعزاليين الذين يطمحون منذ زمن الى انشاء مثل هذه الدويلات .

٢ ـ الاتجاه الاستيطاني

هذا الاتجاه ملازم للاتجاه السياسي ويرمي الى انشاء مستوطنات صهيونية في الاراضي التي يطمع قادة الحركة الصهيونية بالاستيلاء عليها لفرض سياسة الامر الواقع ، وتجلت هذه السياسة بالاحداث التالية :

أ ـ اقام المستوطنون الصهيونيون بين سنتي ١٨٨٢ و١٨٩٦ خمس مستوطنات في الجليل الاعلى المتاخم للحدود اللبنانية قرب حوض نهر الحاصباني والليطاني . بلغت مساحة هذه المستوطنات في عام ١٩١٥ ٨٤٥٣٠ دونما(٢٦) منها ما يقارب الثلث كان واقعا ضمن الاراضي اللبنانية في سهل مرجعيون وخراج قرية دير ميماس اللبنانية المشرفة على حوض الليطاني قرب قلعة الشقيف .

ب ـ اشترى السماسرة اليهود بين سنتي ١٩١٦ و١٩٢١ القرى اللبنانية التالية : صلحا ، هونين ، طربيخا ، الصالحة ، واستطاعت المنظمات الصهيونية بما لديها من نفوذ ان تضم هذه القرى الى فلسطين بعد تعديل للحدود جرى بين بريطانيا وفرنسا في سنة ١٩٢٣ . وقد شمل هذا التعديل طول الحدود اللبنانية وتم بموجبه سلخ بعض الاراضي الزراعية الخصبة التي كانت تابعة للبنان(٢٧).

ج ـ نجح اليهود بين الحربين العالميتين في ان يبتاعوا قرية المنارة التي تقع على مرتفع يشرف على الجزء الجنوبي من جبل عامل والتي كان يملكها اقطاعي لبناني ، وامتياز تجفيف بحيرة الحولة والمستنقعات المجاورة لها والذي كان يملكه اثنان من تجار بيروت حصلا عليه في حزيران سنة ١٩١٤ من الدولة العثمانية وقبضا ثمنه ١٩٢٠٠٠ ليرة فلسطينية من شركة ترقية الاراضي في فلسطين(٢٨)، وهي شركة يهودية لعبت دورا بارزا في الاستيلاء على الاراضي العربية في فلسطين التي كان يملكها اقطاعيون كبار وذلك باغرائهم بمبالغ ضخمة من المال . وكان الغرض من شراء قرية المنارة وامتياز الحولة السيطرة على حوض الاردن والليطاني معا .

د ـ عام ١٩٤١ تقدمت احدى الشركات الصهيونية بطلب الى الحكومة اللبنانية لاعطائها امتيازا لاستغلال مياه لبنان وتزويد القرى اللبنانية بالماء والكهرباء(٢٩) على غرار

الامتيازات التي حصلت عليها بعض الشركات الصهيونية من الحكومة البريطانية المنتدبة على فلسطين . الا ان الحكومة اللبنانية تنبهت الى نوايا الصهيونيين ورفضت اعطاء الامتياز حفاظا على الثروة المائية اللبنانية .

لكن الحركة الصهيونية لم تيأس من فشلها في الحصول على امتيازات لاستغلال مياه لبنان وقد مارست ضغوطا غير مباشرة منذ ذلك الحين على الحكومة اللبنانية لمنعها من تنفيذ مشاريع الري المقررة في حوض الحاصباني والليطاني . ويلمس هذه الحقائق كل من رافق قضايا الري في الجنوب ويدرك مدى الضغوط التي مارسها البنك الدولي ولا يزال لعرقلة تنفيذ مشاريع الري في الجنوب من الليطاني والحاصباني وذلك عن طريق المماطلة بطلب دروس جانبية عن المشروع قبل المباشرة به . ومنذ ذلك التاريخ اشبع المشروع درسا وما يزال البنك الدولي متمنعا عن اعطاء القروض لتمويل تنفيذ اشغال الري لكنه كان سخيا باعطاء القروض لتمويل محطات توليد الكهرباء من الليطاني . ما هي الغاية اذن من تأخير ري الجنوب من الليطاني لولا الضغوط الاسرائيلية لمنع لبنان من الاستفادة من مياه هذا النهر كي تستولي عليه وتجر مياهه الى النقب ؟

تدل هذه الاحداث وغيرها من الاحداث المشابهة التي جرت قبيل انشاء دولة اسرائيل على مطامع الحركة الصهيونية الجدية بالاستيلاء على الاراضي اللبنانية بواسطة فرض سياسة الامر الواقع التي لا يزال يتبعها المسؤولون الاسرائيليون في الاراضي العربية التي احتلوها في حرب الخامس من حزيران عن طريق انشاء المستوطنات الصهيونية فيهـا .

خاتمة

من الواجب اذن ان يدرك اللبنانيون جميعا ان الاطماع الاسرائيلية بالاستيلاء على جنوبي لبنان والجزء الجنوبي الشرقي من البقاع ليست وهما بل حقيقة واقعة تأتي في طليعة اهتماماتها في المستقبل القريب كما صرح بذلك وزير الدفاع الاسرائيلي موشي دايان ، امام اتحاد شباب الكيبوتز في هضبة الجولان المحتلة : « ... سيكون لبنان الفريسة التالية لاسرائيل » . ومن المهازل ان اسرائيل تجهر بنيتها هذه امام الملأ دون خوف او حياء بينما لا تزال فئة من الشعب اللبناني ، أعماها التعصب ، تصر بأن اسرائيل لا تطمع بأي شبر من الاراضي اللبنانية ولا تريد للبنان الا الخير والازدهار الاقتصادي شرط ان يطرد الفدائيون من اراضيه . وتصر هذه الفئة ايضا على الاعتقاد بأن الخطر الحقيقي الذي يهدد كيان لبنان واستقراره كامن في الدول العربية « ذات الانظمة التقدمية » وفي الفدائيين الفلسطينيين الذين جلبوا الويل والدمار الى لبنان منذ ان وطئت اقدامهم اراضيه . لقد وقعت هذه الفئة في فخاخ الدعاية الصهيونية لكن قد آن لهذه الفئة ان تفيق من غفلتها على صدى تصريحات المسؤولين الاسرائيليين بالاستيلاء على جنوبي لبنان . آن لها ان تعي ان الخطر الحقيقي والوحيد على لبنان هو التهديد الاسرائيلي لانها تطمع بأرضنا ومياهنا وخيراتنا ، وان الدول العربيـة والفدائيين هم حلفاؤنـا الطبيعيون لاننا مرتبطون معهم بوحدة الحياة والمصير وتقضي الظروف التي نعيشها بأن نتعاون معا لردع العدو المشترك قبل ان يشردنا من ارضنا ونصبح لاجئين في الخيام .

---

١ ــ حديث الى الاذاعة الاسرائيلية يـــوم ١٧/٩/٧٢ ، نشرة رصد اذاعة اسرائيـــل الصادرة عن مركز الابحاث ، العدد ٤٢ .

٢ ــ المصدر نفسه .

٣ ــ المصدر نفسه .

٤ ــ المصدر نفسه .

٥ ــ تصريح نقلته الاذاعة الاسرائيليـــة في ٢٧/٦/٧٢ .

٦ ــ Henri Durane, *Options pour une polotique de développement au Liban*, 1971, p. 4.

٧ ــ ميزان المدفوعات اللبناني ١٩٦٠ــ١٩٦٩ ،

منشورات مديرية الاحصاء المركزي في وزارة التصميم العام ١٩٧١ ، ص ٨٦ .

٨ — *Le Commerce du Levant*, Edition Mensuelle,, Juillet 1972.

٩ — جريدة **النهار** عدد ٧/٨ و١٩٧٢/٧/١٥ .

١٠ — جريدة **الجريدة** في ١٩٧٢/٦/٢٤ .

١١ — مجلة **فلسطين** ، الجزء الاول ، العدد ١٥ ، ٥ ايار ١٩١٧ .

١٢ — فريسكو سر رعنان ، **حدود وطن** ، لندن ١٩٥٥ ، ص ١٠١ .

١٣ — **المصدر نفسه** ، ص ١٠٥ .

١٤ — **فلسطين** ، الجزء السادس ، عدد ١٧ .

١٥ — هربرت صموئيل ، أحد أقطاب السياسة البريطانيين ، يهودي صهيوني عين اول مندوب سام بريطاني على فلسطين .

١٦ — **وثائق الحكومة البريطانية عام ١٩١٩** ، الجزء الرابع عدد ١٩٧ ، المادة الثالثة ، ص ٢٨٥ .

١٧ — **المصدر نفسه** ، ص ١٢٧٦ .

١٨ — ذكر الحادثة النائب ريمون اده في بيانه سنة ١٩٦٨ ، وقال انه اطلع عليها في وثائق البطريركية المارونية في بكركي .

١٩ — رعنان ، **المصدر السابق** ، ص ١٣٩ .

٢٠ — جريدة **النهار** ، ١٣ ايلول ١٩٤٥ .

٢١ — **جيروزاليم بوست** ، ٢ ايار ١٩٥١ .

٢٢ — **ميدل ايستزن افيرز** ، المجلد السادس ، العدد الاول ، كانون الثاني ١٩٥٥ .

٢٣ — **الموند** ، ٧ تموز ١٩٦٧ .

٢٤ — *Quaterly Economic Reviews*, Israel 1969, No. 1 , p. 13.

٢٥ — لمعرفة المزيد عن هذا الموضوع راجع الدراسة التي صدرت لنا عن مركز الابحاث الفلسطينية في سلسلة دراسات فلسطينية عن الحمضيات في الاراضي المحتلة .

٢٦ — Dr. A. Rupin, *Syrien Als Wirschafsgebiet*, traduit en Français par Georges Shaïb, Beyrouth, p. 108.

٢٧ — عبدالله عاصي ، **صراعنا مع اسرائيل** ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٩٤ .

٢٨ — سعيد حماده ، **النظام الاقتصادي في فلسطين** ، جامعة بيروت الاميركية ، بيروت ١٩٣٩ ، ص ١٤٥ .

٢٩ — عبدالله عاصي ، **المصدر السابق**، ص ٩٧.

أصدر مركز الابحاث لخليل ابو رجيلي الكتب الثلاثة التالية باللغة العربية

— **الزراعة اليهودية في فلسطين المحتلة .**

— **الثروة الحيوانية في فلسطين المحتلة .**

— **الحمضيات في فلسطين المحتلة .**

سعر كل كتاب ليرتان لبنانيتان (تضاف اليها اجور البريد :

٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١٠٠ ق.ل. في اوروبه ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول).

ترسل الطلبات الى : مركز الابحاث ، ص.ب ١٦٩١ ، بيروت .

مرحلة الركود القادمة في الاقتصاد الاسرائيلي

كين ميركورد

ما زالت اسرائيل تتلقى ، منذ قيامها ، سيلا من رؤوس الاموال . فقد حصلت على ما يزيد عن احد عشر بليون دولار مكنتها من تغطية فائض الاستيراد الدائم لديها ، ذلك ان فائض الاستيراد على التصدير يعطي الاسرائيليين مستوى معيشة مرتفعا بصورة « اصطناعية » فمن غير الطبيعي ان تستهلك اي دولة اكثر مما تنتج ، وحين يتوقف هذا السيل من التمويل الخارجي ، عاجلا او آجلا ، ستضطر اسرائيل الى تخفيض مشترياتها من البضائع الاجنبية بحيث يتساوى الاستيراد مع التصدير وهذا يؤدي الى تقلص في الاستهلاك المحلي ، اي الى هبوط في مستوى المعيشة . وعلى حد تعبير احد كبار الاقتصاديين الاسرائيليين بانه اذا كان استيراد رأس المال بمثابة « القوة الدافعة في الاقتصاد الاسرائيلي »(١) ، فان الحصيلة النهائية للتوقف التام لهذا الاستيراد قد تكون أشد اثارة من مجرد تدني مستوى المعيشة . فبما ان الصناعة الاسرائيلية تتوجه ، بالدرجة الاولى لتلبية احتياجات السوق المحلية خاصة في مجالات السكن والنقل والملابس معتمدة على سيل رؤوس الاموال المتدفق نحوها من الخارج ، فان الركود الذي سيسببه توقف اجتذاب رؤوس الاموال ، سيؤدي الى البطالة وبالتالي الى تخفيض القوة الشرائية للمستهلك ، الامر الذي سيزيد من ضغط الركود . وهذا بدوره سيؤدي الى مزيد من البطالة والى تدن اكبر في مستوى البحبوحة العامة ، والى تغليب الهجرة من اسرائيل على الهجرة اليها .

لقد تنبه الاقتصاديون الصهيونيون لهذا الخطر منذ ان بدأ الصندوق القومي اليهودي في تمويل الكيبوتزات في الايام الاولى للانتداب . وما برح الاقتصاديون يحذرون من انه « لا توجد ضمانة لاستمرار تدفق رأس المال الخارجي الوحيد الجانب الى ما لا نهاية . وبالتالي فان على اسرائيل ان تكيف نفسها بالتدريج ، والشروط الضرورية لتحقيق الاستقلال الاقتصادي حتى لا تجد نفسها في مواجهة هذا الوضع الصعب »(٢) . وقد جرت اول محاولة اسرائيلية في اتجاه الوصول الى الاستقلال الاقتصادي عام ١٩٦٥ . أحست الحكومة الاسرائيلية حينئذ بالقلق بسبب حدوث زيادة بلغت ١٣٥ مليون دولار على فائض الاستيراد ، فقررت ان لا مفر من احداث تحول جذري في سياستها الاقتصادية « لتفادي انهيار اكبر ، وخطر اشد بعد سنوات قليلة »(٣) . وأصبحت الحالة حادة ، بصورة خاصة ، عندما كانت الزيادة في الواردات تؤدي الى ارتفاع حاد في ديون اسرائيل الخارجية لان فائض الاستيراد كان يغطى كليا ، الى حد ما ، من خلال زيادة القروض الخارجية والاستثمارات . ولهذا ، وبقصد تخفيض العجز في ميزان المدفوعات ، أقرت الحكومة الاسرائيلية عام ١٩٦٥ قيودا على سياستها المالية والنقدية فوضعت حدا لنمو الاعتمادات المالية والمشاريع الانشائية العامة الجديدة . كان لهذا التحول أثر ايجابي فوري على العجز في الميزان التجاري اذ انخفض فائض الواردات من ٥٧٠ مليون دولار عام ١٩٦٤ الى ٤٥٢ مليون دولار عام ١٩٦٦ . لكنه أدى ، من ناحية اخرى ، الى اول

ركود في الاقتصاد الاسرائيلي . ومع ان الناتج القومي الاجمالي لاسرائيل استمر في النمو ، الا ان نموه كان اقل بكثير منه في السابق . ففي عام ١٩٦٦ ازداد باقل من ١ ٪ . وبسبب النمو في السكان فقد كان هذا يمثل انخفاضا يبلغ ١،٩ ٪ اذا قيس على اساس الدخل الفردي . اما الانتاج الصناعي فلم يشعر بوقع السياسة الجديدة فورا فبلغ ذروته في شباط ١٩٦٦ . لكنه انخفض باستمرار بعدئذ الى ان بلغ انخفاضه اكثر من ١١ ٪ في نهاية السنة . غير ان عماد الصناعة الاسرائيلية ، وهي صناعة البناء ، التي تتأثر خاصة بتدفق الرساميل الخارجية ، فقد عانت من نكسة اشد اذ انخفضت نشاطات البناء بنسبة ٢٣ ٪ عام ١٩٦٦(٤). ومنذ ذلك الوقت وبعض الاقتصاديين الاسرائيليين يعزون هذا البطء الاقتصادي الى انخفاض الهجرة التي تطابقت واياه . الا ان السبب الحقيقي كان قرار الحكومة في الاقلال من اعتماد البلاد على استيراد الرساميل . اما الانخفاض في الهجرة من ٥٢،٠٠٠ عام ١٩٦٤ الى ١٤،٠٠٠ عام ١٩٦٦ فقد كان نتيجة الفتور الاقتصادي بقدر ما كان سببه . ففي عام ١٩٥٨ عندما انخفض عدد المهاجرين بشكل اشد دون ان يرافق ذلك فتور اقتصادي يثبت ان تدفق الرساميل وليس المهاجرين هو عماد البحبوحة الاسرائيلية . ومع نهاية ١٩٦٦ خشي زعماء الحكومة نتائج سياسة القيود اكثر من خشيتهم الاغراق في المعضلات المالية واعادوا اقرار سياسة توسعية . ورغم ذلك فقد ازداد الركود ، فانخفضت نشاطات البناء الى نصف ما كانت عليه قبل الركود . وفي ربيع ١٩٦٧ بلغت نسبة البطالة ١٠ ٪ من القوى العاملة واضطرت الحكومة الى استئناف اعالة العاطلين عن العمل(٥) رغم كدر الاسرائيليين الواعين لاهمية الدعاية ولأثر مثل هذه الخطوة على الصورة التي تحاول اسرائيل ان تنسجها لنفسها في الخارج .

واثر حرب حزيران ، انصبت اعانات يهود العالم بشكل لم يسبق له مثيل . فقفزت التحويلات الصافية ، وهو حساب ميزان المدفوعات الذي تدخل في عداده الهبات التي تتلقاها اسرائيل من مصادر مختلفة ، الى ٥١١ مليون دولار عام ١٩٦٧ ، اي ما يقرب من ضعف ما تلقته اسرائيل عام ١٩٦٦ . وقد حفز هذا الدفق من الرساميل الصناعة الاسرائيلية الى استرداد نشاطها فورا . وفي نهاية ١٩٦٧ انخفضت البطالة الى نسبة مقبولة . وفي منتصف ١٩٦٨ ارتفعت نسبة الهجرة الى اسرائيل للمرة الاولى في ثلاث سنوات . وسرعان ما نسي الاسرائيليون الايام السوداء لما قبل الحرب وعمت موجة من التفاؤل الجديد توقعات الاقتصاديين الاسرائيليين بشأن المستقبل . وكانعكاس للنشاط الذي ولده انتصار اسرائيل في ساحة المعركة ، وضعت هيئة التخطيط الاقتصادي برنامج انماء رباعي في عام ١٩٦٨ يدعو الى تخفيض مستمر في العجز التجاري الى ٣٩٥ مليون دولار بحلول عام ١٩٧١(٦). اما النتيجة فقد كانت ارتفاعا حادا في العجز التجاري بدلا من انخفاضه منذ حرب حزيران . وفي عام ١٩٧١ بلغ العجز ١٢٠٤ مليون دولار وينتظر ان يزداد ١٣٠ مليون دولار هذه السنة(٧). ان التباعد ما بين التوقعات في خطة ١٩٦٨ وواقع التجربة الاسرائيلية ، يظهر ان حرب حزيران ، بدلا من ان تكون خلاص اسرائيل الاقتصادي فانها اغرقتها في مشكلات اقتصادية اعمق . وتحت الحاح الضغط لتلبية مدفوعات دفاعية اكبر وتحقيق مستوى معيشة اعلى من اي وقت مضى ، ازداد ارتباط اسرائيل ، بدلا من ان يقل ، باستيراد الرساميل منذ ١٩٦٧ . اما ازدهار اسرائيل الظاهري فما هو الا واجهة تخفي وراءها نفس المشكلات التي سببت ركود الـ ٦٥ ــ ٦٧ واعتمادها على استيراد الرساميل . والى ان تصحح اسرائيل ما دعاه احد الاقتصاديين بـ « الفشل الرئيسي في سياسة اسرائيل الاقتصادية »(٨) اي العجز التجاري الدائم ، فسوف تبقى مدعومة اقتصاديا .

ان الوسيلة التي تفضل اسرائيل ، بواسطتها ، تخفيض فائض الاستيراد وبالتالي تبعيتها

للدعم الخارجي ، هي زيادة صادراتها . وبسبب الامكانيات المحدودة لزيادة صادراتها الزراعية ، ركزت على تطوير صناعتها . وبالنظر الى امتلاكها موارد طبيعية قليلة ، اتجهت الى الامعان في تكثيف استغلال اسرائيل لتفوقها النسبي خاصة في ميدان الصناعات ذات القاعدة العلمية وتلك التي تتطلب مستوى عاليا في مهارة الاختصاص والدراية »(٩). ووضع نظام حوافز لصناعات مثل الصناعات الكيمائية والكهربائية وصناعة الطائرات يقصد زيادة صادراتها . ويدخل في عداد الحوافز معونات مالية ضخمة من قبل الحكومة الاسرائيلية . وبالرغم من المقالات البراقة في الصحافة الاسرائيلية والغربية لمنجزات معهد التخنيون وصناعات الطائرات الاسرائيلية ، وشركة سور فان للطاقة الاشعاعية ومؤسسات مماثلة ، فان تكنولوجيا اسرائيل المتقدمة وصناعاتها المتوجهة للتصدير ، ما عدا استثناء واحدا ، لم تستطع ان تحقق مساهمة كبيرة في دخل اسرائيل من المدفوعات الخارجية . فصناعات الطائرات الاسرائيلية تقدم نموذجا عن مثل هذه الصناعات . فبعد انفاق مبلغ ٦٥ مليون ليرة اسرائيلية لتطوير الـ عرفا Arava ، وهي طائرة تجارية معدة للتصدير ، لم تستطع صناعات الطائرات الاسرائيلية ان تحرز طلبا واحدا من الخارج لهذه الطائرة وطلبت لجنة الكنيست المالية من هذه الشركة التوقف عن انتاجها(١٠). ويبدو من الطبيعي أن تلاقي اسرائيل صعوبة في منافسة غيرها في السوق العالمية في ميدان المنتجات المعقدة عندما تكون دولة كالولايات المتحدة التي تملك اضعاف ما لاسرائيل من طاقات بشرية وثروات طبيعية وتخصص بلايين الدولارات للابحاث العلمية ، تواجه صعوبات في منافسة دول متقدمة تكنولوجيا .

اما النجاح الوحيد في صناعات اسرائيل التصديرية فقد تمثل في صناعة صقل الالماس التي نمت من حجم متواضع قبل الحرب العالمية الثانية لتحتل المركز الاول في قائمة صادرات اسرائيل . الا ان مساهمة صناعة صقل الالماس في الدخل القومي الاسرائيلي ليست بقدر قيمة تصدير الالماس . فالقيمة المضافة بفضل الصقل في اسرائيل هي فقط ١٦ ٪ من قيمة التصدير . فقد تم في عام ١٩٧٠ تصدير الماس بمبلغ ٢٠٢ مليون دولار ، لكن القيمة المضافة بسبب الصقل في اسرائيل كانت ٣٩ مليون دولار فقط(١١). ولما كان متوسط القيمة المضافة في صناعات اسرائيل التصديرية الاخرى يبلغ ٥٦ ٪ فقد الح الاقتصاديون مرارا ، لكن دون جدوى ، على ضرورة التنويع في الصناعة الاسرائيلية . فصناعات اسرائيل التصديرية ما زالت تحتفظ بطبيعة « الغلة الواحدة » اذ يشكل الالماس ما يزيد على ٥٠ ٪ من مجموع صادراتها الصناعية(١٢). فالنسبة العالية المستمرة للالماس من مجموع الصادرات دليل فشل الصناعات التصديرية الاخرى اكثر منه اشارة الى نجاح صناعة صقل الالماس . اذا بقيت اسرائيل عاجزة عن تخفيض فائض وارداتها عن طريق زيادة صادراتها فان البديل الوحيد هو تخفيض وارداتها ويمكن تحقيق هذا بدون نسف مستوى معيشة الاسرائيليين اذا أمكن تخفيض استيراد المعدات الحربية . ولكن طالما ان اسرائيل عاجزة عن انتاج الاسلحة المعقدة التي تحتاجها فان تخفيض الواردات العسكرية لا يمكن الا ان يتبع تخفيضا في مجمل المصروفات الدفاعية . الا انه لا يحتمل حدوث تغيير في ميزانية الدفاع حتى في ظروف وقف اطلاق النار الراهنة اذ حذر الاسرائيليون زعماءهم من ذلك مرارا . وهناك تقدير يتميز بالتفاؤل اذ تتوقع خطة التنمية للفترة ١٩٧٢ ــ ١٩٧٦ ، الصادرة عن سلطة التخطيط الاقتصادي ، حدا ادنى من الهبوط السنوي بنسبة ١٠ بالمئة في نفقات الدفاع في فترة خمس السنوات القادمة . وهكذا فان تخفيض اسرائيل لوارداتها يتضمن تخفيض او على الاقل «تسوية» مستوى معيشة الاسرائيليين لان الواردات الوحيدة التي يمكن تخفيضها هي الاستثمار والبضائع الاستهلاكية . الا ان هذه طريقة مؤلمة كما تبين من المحاولة التي جرت في

العام ١٩٦٥ لتخفيض اعتماد اسرائيل على استيراد رؤوس الاموال بهذه الطريقة . وعلى حد قول محافظ بنك اسرائيل السابق فانه « على اساس الايصالات غير المدفوعة يتشكل مستوى معين من المعيشة (والعمالة) والاستثمار ويبرز شكل جامد من اشكال الاستثمار . هذا وان اصعب مهمة اليوم امام اي بلد هي تعديل هذا الشكل الجامد علما ان اية محاولة للقيام بذلك تثير حتما مضاعفات اجتماعية واقتصادية خطيرة على مستوى الانتاج واليد العاملة المستخدمة »(١٣) .

فقد ابتدأت الحكومة الاسرائيلية مؤخرا سياسة نقدية ومالية تعاقدية مماثلة لتلك لسنة ١٩٦٥ بالرغم من مخاطرها على الاستقرار الداخلي . وبعد نقاش لاذع حول مخصصات الدفاع اقرت الحكومة الاسرائيلية للمرة الاولى في تاريخ اسرائيل ، ميزانية في شباط ، تقل في قيمتها الحقيقية عن سابقتها ، « الامر الذي لم يكن قبلا جوهريا »(١٤) على حد تعبير الوزير سابير . فقد خفضت مخصصات الدفاع من ٦٠٠٠ مليون ليرة اسرائيلية الى ٥٣٠٠ مليون ليرة اسرائيلية . اما مخصصات وزارة الاسكان فقد خفضت بمقدار الثلث كما اعلن عن تجميد قطاع المواصلات . ولدفع سياسة مقاومة التضخم ، اقرت اللجنة الوزارية الاقتصادية مؤخرا تجميد جميع المشاريع العامة للانشاء والانماء وزيادة ٣٪ في السلفيات الموجهة(١٥) .

لقد اظهر الاقتصاديون الاسرائيليون من جديد تكتمهم حيال السبب الحقيقي لمشاكل اسرائيل الاقتصادية عندما عزوا ضرورة سياسة الانكماش الحالية الى الزيادة السريعة في الاجور والاسعار . لكن التضخم الحالي ، شأن الانخفاض في عدد المهاجرين الى اسرائيل عام ١٩٦٥ — ١٩٦٧ ، هو مظهر لمشكلات اسرائيل الاقتصادية اكثر منه سببا لها . انه نتيجة طبيعة لجهود الاسرائيليين للحفاظ على مستوى معيشتهم في وجه جهود الحكومة الرامية الى تقليص الاستهلاك الداخلي وخفض كلفة الانتاج الاسرائيلي بقصد انقاص فائض الاستيراد . اما المسؤول الحقيقي فهو تدفق الرساميل الذي مكن الاسرائيليين من بلوغ هذا المستوى المتضخم للمعيشة الذي يترددون كثيرا في تركه .

ان التغير في تركيب الرساميل المستوردة الى اسرائيل بالاضافة الى ٢٥٠ ٪ من الزيادة في الاستيراد منذ ١٩٦٧ هو الذي حتم التحول في سياسة اسرائيل . فقبل حرب حزيران كان ٧٠٪ من المبالغ التي وصلت اسرائيل مدفوعات محولة دون اي عبء على الاقتصاد بما انها لا تتضمن موجبات ايفاء . اما اليوم فان حساب القروض يبلغ ٥٠٪ من استيراد الرساميل(١٦) . اذ ان قدرة يهود العالم قد استنزفت فاضطرت اسرائيل الى التوجه الى حكومة الولايات المتحدة لتغطية نسبة متزايدة باستمرار من اعباء ديونها . لقد ابتدأ التحول نحو المساندة المباشرة من الحكومة الاميركية عام ١٩٧٠ عندما قفزت قروض الولايات المتحدة الى اسرائيل من ٩٢ مليون دولار عام ١٩٦٩ الى اكثر من ٣٠٠ مليون . فالقرض الضخم الاول ، ٥٠٠ مليون دولار الذي اقر في خريف ١٩٧٠ اتى في وقت صعب جدا عندما انخفض احتياطي العملات الاجنبية اكثر من ٥٠٪ عن رقم ١٩٦٧ ولم يكن كافيا حتى لتغطية واردات شهرين . اما وزير المالية الاسرائيلي بنحاس سابير فاشار فيما بعد الى انه لم يستطع ان يرى كيف « يمكن لاسرائيل ان تواجه المصاريف الخارجية الضخمة من دون قرض الـ ٥٠٠ مليون دولار »(١٧) . وهذا يؤكد ان الاعتماد على المساعدة الاميركية ما زال من المتطلبات المستمرة . فقد تلقت اسرائيل ١١٠٠ مليون دولار من حكومة الولايات المتحدة في السنتين الاخيرتين(١٨) . والمساعدة الاميركية المستمرة لاسرائيل تقدر بنحو نصف بليون دولار في السنة .

ادت تغطية القروض الاميركية لفائض الاستيراد المتزايد الى ارتفاع ديون اسرائيل الخارجية الى ما يزيد على ٣،٥ بليون دولار ، اي اكثر من ضعف رقم ١٩٦٧ . ومعظم هذه الزيادة تمت في السنتين الاخيرتين عندما ارتفعت الديون بمقدار ٧٠٠ مليون دولار

في العام ، وهي ترتفع بالقدر نفسه، وينتظر ان تبلغ ٢٠٠ بليون دولار في نهاية هذا العام. وبازدياد الديون ، يتوجب على اسرائيل ان تحول المزيد من مواردها من الاستثمارات والاستهلاك الى ابقاء ما استحق من ديونها . فقد خصص ٢٢ ٪ من الميزانية المقرة في شباط الماضي لتسديد القروض ، اي انها حلت في المرتبة الثانية بعد مخصصات الدفاع واكثر مما رصد للاسكان والتعليم والخدمات الاجتماعية مجتمعة(١٩). واذا توخت اسرائيل تجنب ايفاءات اكبر في المستقبل فما عليها الا ان تقلل من اعتمادها على القروض الخارجية بتخفيض فائض استيرادها .

وقد تنبه الزعماء الاسرائيليون الى هذا الواقع منذ زمن طويل . اما الذي حدا بهم الى اعتماد سياسة شد الحزام في هذا الوقت بالذات فربما كان الضغط من الولايات المتحدة. وبازدياد ديون اسرائيل تجاه الولايات المتحدة ، اشتد قلق الاخيرة على قدرة الاقتصاد الاسرائيلي على البقاء .

الا انهم يحبون ان يروا الاتجاه مقلوبا . ومن جهة اخرى ، فان الدافع قد يأتي من الاسرائيليين انفسهم الذين يدركون ان الاتكالية الاقتصادية تستتبع فقدان الاستقلال السياسي . ان اسرائيل ليست راغبة في أن ترى ارادتها مكبلة باتكالها على الدعم المالي الاميركي مهما كانت ثقتها في حليفتها المخلصة . ومهما كان سبب سياسة التحفظ الجديدة فان الشهور الستة القادمة لا بد ان تكشف ما اذا كانت هذه المحاولة للتقليل من اعتماد اسرائيل على رؤوس الاموال المستوردة ستؤدي ، مثلما حدث من جراء المحاولة الاولى في العام ١٩٦٥ ، الى الركود . وهناك الان بعض الدلائل على هذا الاتجاه . ففي النصف الاول من هذا العام انخفض نمو الانتاج الصناعي الاسرائيلي قليلا(٢٠)، ولقد انخفضت عمليات انشاء الابنية انخفاضا حادا مثلما حصل لعدد من عرب المناطق المحتلة العاملين في اسرائيل(٢١) . وقد ارتفع هذه السنة مجمل عدد المهاجرين . الا ان الهجرة من البلدان غير الشيوعية ، وهي الاهم من وجهة النظر الاقتصادية لان المهاجرين من هذه البلدان يحملون معهم رؤوس اموال ، انخفضت بمعدل ١٠ بالمئة(٢٢). وقد حذر بنحاس سابير ، وزير المالية الاسرائيلي ، من انه كلما بقيت الضغوطات التضخيمية قوية فان « اجراءات مؤلمة » اضافية قد تدعو الحاجة لاتخاذها .

من الممكن ان تنقذ اسرائيل من حالة الركود الماثلة في الافق اما بحرب اخرى او معونة اميركية جديدة او اكتشاف نفط في النقب . لكن من شأن كل هذا ان يؤجل اليوم الذي يتوجب على اسرائيل فيه ان تصبح مستقلة اقتصاديا . فكلما سمحت اسرائيل لنفسها بتحويل فائض استيرادها باستيراد الرساميل ، كلما ازدادت مشقة تكيف الاسرائيليين مع الوضع عندما يتوقف استيراد الرساميل . ففي ذلك اليوم المصيري قد يظهر ان هذا الدفق من الرساميل ليس فقط سبب بحبوحة اسرائيل ولكنه مسؤول عن وجودها ايضا.

---

١ — دانيد هورونيتز، **ملحق جيروسالم بوست**، ١٩٦٧/١/٢٠ ص ٤ .

٢ — دانيد هورونيتز ، **اقتصاد اسرائيل** ، اوكسفورد بيركامون بريس ، ١٩٦٧ ص ٤ .

٣ — **ملحق جيروسالم بوست** ، ١٩٦٧/١/٢٠ ص ٤ .

٤ — **التقرير السنوي ١٩٦٦** ، بنك اسرائيل ، القدس ١٩٧١ ، ص ١٣ .

٥ — **يو اس نيوز اندورلد ريبورت**١٩٦٧/٤/١٧، ص ٧٣ .

٦ — **انماء اسرائيل الاقتصادي** ، وزارة التصميم ، القدس ١٩٦٨ ، ص ٥ .

٧ — **جيروسالم بوست الاسبوعية** ، ٢/٢٩/ ١٩٧٢ ، ص ٧ .

٨ — دون باتنكين ، **اقتصاد اسرائيل : المعتد الاول** ، القدس ، مشروع فولك للابحاث الاقتصادية في اسرائيل ، ١٩٦٠ ، ص ١٠٦ .

٩ — **الانماء الاقتصادي الاسرائيلي** ، ص ١٥٢.

١٠ — **جيروسالم بوست الاسبوعية** ، ٣/٢١/ ١٩٧٢ ص ٤ ، و ١٩٧٢/٣/٢٨ ص ٥ .

١١ ــ **التقرير السنوي** ، ١٩٧٠ ، بنك اسرائيل، ص ٢٣٧ .
١٢ ــ انظر **ذي اسرايل ايكونومست** ، كانون الثاني ١٩٧٢ ص ١٤ .
١٣ ــ **هورويتز اقتصاد اسرائيل** ، ص ١٠٦ .
١٤ ــ **جيروسالم بوست الاسبوعية** ، ٢/٢٩/ ١٩٧٢ ص ٦ .
١٥ ــ **المصدر نفسه** ، ١٩٧٢/٥/٩ ، ص ٥ .
١٦ ــ **المصدر نفسه** ، ١٩٧١/٢/٢ ، ص ١٣ .
١٧ ــ **المصدر نفسه** ، ١٩٧١/١/١١ ، ص ١٢ .
١٨ ــ **المصدر نفسه** ، ١٩٧٢/٢/٢٩ ، ص ٧ .
١٩ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٦ .
٢٠ ــ **ذي اسرائيل ايكونومست** ، كانون الثاني ١٩٧٢ ، ص ١٣ .
٢١ ــ **الدايلي ستار** (بيروت) ١٩٧٢/٧/٩ ص ٣ .
٢٢ ــ **جيروسالم بوست ويكلي** ، ١٩٧٢/٧/٤ ، ص ٥ .
٢٣ ــ **المصدر نفسه** ، ١٩٧٢/٦/١٣ ، ص ٢ .

صدر عن مركز الابحاث

كتـــاب

العلاقات الاقتصادية الخارجية لاسرائيل

بقـــلم

يحيى عزودكي

٣٠٩ صفحات

٤ ل.ل.

تضاف اليها اجور البريد : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي
١٠٠ ق.ل. في أوروبه ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول

اليابان ... و « اسرائيل » ... والعرب

ا. ق.

« اليابان اليوم ، وبعد ربع قرن من الحرب العالمية الثانية ، اصبحت تحتل المركز الثالث في العالم على سلم الاقتصاد »(١)، وبذلك تأتي بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي مباشرة . واليابان ، وهذا وضعها ، تتميز عن باقي دول آسيا ، ولا شك افريقيا التي لا تزال من الدول النامية .. لذا كانت تطلعات ونظرة اسرائيل اليها تختلف عن تطلعاتها ونظرتها الى باقي دول هاتين القارتين ، « خصوصا وان اليابان وحدها تصدر خمسة اضعاف ما تصدره الدول الاسيوية مجتمعة ، كما تزيد قدرتها عن قدرة الكثير من دول اوروبا الغربية التي تعتمد عليها اسرائيل في مشاريعها »(٢).

اسرائيل تتطلع الى آسيا وافريقيا باستثناء اليابان على انهما « المجال الطبيعي » لتصريف منتجاتها الصناعية ، واستثمار خبرات مواطنيها التقنية الفائضة ، وحتى ولو لم تفض عن الحاجة المحلية في بعض المجالات ، يستغنى عنها لاعادتها الى حيث تمس الحاجة لها للاستثمار الدعائي ذي الاهداف السياسية والاقتصادية البعيدة المدى . اما تطلعات اسرائيل الى اليابان ، وكما قلنا هي الدولة الثالثة اقتصاديا في العالم ، هي عكس مجرى تطلعاتها الى باقي آسيا وافريقيا اي عكس تطلعات ومطامع اسرائيل في الدول النامية . وقد ورد في مذكرة سرية سلمت الى الامانة العامة لجامعة الدول العربية عن مطامع اسرائيل الافرو — آسيوية كما ظهرت في مؤتمر (اليونيدو) منظمة الامم المتحدة للتطوير الصناعي الذي انعقد في طوكيو في اواخر ١٩٧٠ ، « اتضح خلال انعقاد المؤتمر اهتمام اليابان بزيادة استثماراتها في الدول النامية ولهذا فان اسرائيل تسعى الان الى الحصول على قروض واستثمارات يابانية لتمويل مشاريع التنمية الاسرائيلية »(٣). فاسرائيل اذن تأخذ من اليابان «لتساعد» دول آسيه النامية. وقد توسلت اسرائيل مختلف السبل والاساليب لبلوغ غايتها للافادة من التقدم الاقتصادي الياباني شأنها في ذلك تومل مختلف السبل للافادة من تخلف دول العالم الثالث، فأوفدت الوفود على مختلف المستويات ومن كافة الاختصاصات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية لزيارة اليابان محاولة الوصول الى مآربها السياسية والاقتصادية ، وكالعادة قام افراد الطائفة اليهودية في اليابان بدورهم لخدمة الحركة الصهيونية ومن ثم اسرائيل ، ولا ننسى الضغوط الاميركية على اليابان لمصلحة اسرائيل وقد كان لها الدور الاكثر فعالية على توسيع نطاق التعاون الياباني الاسرائيلي بالرغم من المصالح اليابانية الواسعة وذات الاهمية القصوى على الصعيد الاقتصادي في الوطن العربي .

خرجت اليابان من الحرب العالمية الثانية مدحورة وقد وقعت وثيقة استسلام مع قيادة قوات الولايات المتحدة في الشرق الاقصى ، وبذا « فقدت اليابان كل ما كانت تملكه في الخارج ، وكان عدد سكانها يفوق الثمانين مليون نسمة فضلا عن ستة ملايين عادوا من الخارج . وكانت امكاناتها الغذائية في الدرجة الادنى ، وفي بعض الحالات اقل من الحاجات الضرورية . اما الصناعة فكانت متوقفة تقريبا كما ان المخزون الاقتصادي الذي كان قد تحقق منذ الانبعاث في الربع الاخير من القرن الماضي فقد اكثر من ثلثه .

« لذلك بات على اليابان ان تفعل عجزها ذلك بأي ثمن ومع اية مساعدة قد تأتيها لتنقذ شعبها من المجاعة التي باتت تهددها ، ولتمهد السبيل امام الاستثمارات الاجنبية — **وخاصة الاميركية** — عليها بذلك تعيد النشاط الى الصناعة »(٤). وكان من جملة الثمن الذي كان على اليابان ان تدفعه مقابل المساعدات الاميركية الى جانب مصلحة الولايات

المتحدة الاقتصادية في هذا الاستثمار وخدمة المصالح الاميركية المباشرة ، فتح مجال التعاون بينها وبين اسرائيل ، وهذا معروف وطبيعي بالنسبة الى متطلبات الولايات المتحدة من الدول التي تقدم لها المعونة الاقتصادية والاستثمارات المالية . فقد نقلت وكالة الصحافة الفرنسية في ٢٨ تموز ١٩٧٢ ما يلي : « صرح الرئيس نيكسون في مؤتمر صحافي بأن المساعدة التي تقدمها الولايات المتحدة لكل من تركيا واليونان ضرورية لحماية اسرائيل » . واضاف « ومن دون تقديم المساعدة لليونان وتركيا لا توجد سياسة متماسكة لحماية اسرائيل »(٥). ولم لا تكون اكثر تماسكا اذا ادخلت اليابان في برنامج المساعدة منذ ٢٥ سنة ؟

وسنحاول عن طريق المقارنة بين المصالح اليابانية مع العرب والمصالح اليابانية مع اسرائيل ان نبين مدى تأثير الولايات المتحدة على اليابان لتوسيع علاقاتها الاقتصادية مع اسرائيل واتخاذ موقف سياسي اقرب الى صفها .

المعروف ان اليابان تتبع نظام الاقتصاد الحر اي غير الموجه من قبل السلطات الحكومية الرسمية . فاكثر المؤسسات الاقتصادية والتجارية مؤسسات تتبع في ملكيتها للقطاع الخاص ، ولكن مع ذلك فقد خططت علاقات الشركات اليابانية مع العرب واسرائيل بحيث خصصت شركات لتتعامل مع العرب واخرى لتتعامل مع اسرائيل . وفيما لو قارنا عدد الشركات اليابانية الموضوعة على اللائحة السوداء لمكاتب المقاطعة العربية مع عدد الشركات من الدول الصناعية الكبرى حتى تلك التي تأتي بعد اليابان في حجم الصادرات كبريطانيا والمانيا وايطاليا ولا نتكلم عن عدد الشركات الاميركية الموضوعة على اللائحة السوداء ، لتبين لنا ضآلة عدد الشركات اليابانية المحظور التعامل معها . هذا مع العلم بأن اكثر هذه الشركات يمكن تصنيفها على الشكل التالي :

١ ــ فروع لشركات اجنبية وبشكل خاص امريكية محظور التعامل معها مثل شركة آر.سي.آي وشركة زنيث الامريكيتين ، او شركات يملك اكثر من ٥٠ ٪ من اسهمها شركات اجنبية موضوعة على اللائحة السوداء للمقاطعة . ٢ ــ شركات يملكها او يساهم فيها اشخاص او شركات اسرائيلية الجنسية . ٣ ــ فروع الشركة اليابانية « شركة متسوبيشي للصناعات الكيماوية» اذ ان المستوردات الاسرائيلية من المواد الكيماوية ذات حجم لا بأس به وقد خصصت هذه الشركة للتعامل مع اسرائيل بشكل يسري عليه قانون المقاطعة . ٤ ــ شركات يابانية تتعامل بصناعة وتجارة الالماس مع اسرائيل . والالماس يشكل ٨٢ ٪ من مستوردات اليابان من اسرائيل . ٥ ــ شركات مصنفة على انها ذات ميول صهيونية . ٦ ــ فروع الشركة اليابانية المحظور التعامل معها « شركة ميزورير للصناعات الثقيلة » لصنع وصيانة السفن ، ولليابان هنا مصالح كبيرة اذ ان الاسطول البحري التجاري الاسرائيلي كبير وطلبات اسرائيل من هذه الشركة وفروعها كبيرة . وهناك غيرها شركتان لصناعة السفن في اليابان لهما الوضع نفسه .

٧ ــ نسبة كبيرة من الشركات اليابانية المحظور التعامل معها تتعامل في الاستيراد والتصدير من والى اسرائيل ولها مكاتب فيها . هذا وقد بلغ عدد الشركات اليابانية الموضوعة ولا تزال على اللائحة السوداء في لبنان حتى تموز ١٩٧٢ ، ٩٤ شركة وقد رفع الحظر عن ثماني شركات فقط هي :

١ ــ « شركة أ.و.ي. المحدودة » عام ١٩٧٠ .
٢ ــ بنك اليابان للاستيراد والتصدير عام ١٩٧٠ .
٣ ــ « شركة نيبوفيكور كبوشيكي رايشا » عام ١٩٧٠ . ٤ ــ « الشركة الدولية للنسيج » عام ١٩٦٧ . ٥ ــ « لوسيانو برافيلي ــ سانشين » مصنع الساعات عام ١٩٦٧ . ٦ ــ « شركة بلاتو المحدودة » عام ١٩٦٤ . ٧ ــ « شركة اولافاو للصناعات الثقيلة » قامت ببناء خمس سفن لشركتي زيم وسومر فين الاسرائيليتين عام ١٩٧٠ . ٨ ــ « هينو موتورز المحدودة » عام ١٩٦٨ التي كانت تنتج في اسرائيل بالتعاون مع شركة « الين » سيارة « كونتسا » فهذه الشركة كانت قبل الامتثال الى اوامر مكاتب المقاطعة العربية « قررت استثمار ثلاثة ملايين ليرة اسرائيلية في صناعات « الين » الاسرائيلية لعام ١٩٦٥ وكذلك استثمار مبلغ مماثل قبل نهاية عام ١٩٦٦ ، وذلك من اجل زيادة المقدرة الانتاجية لسيارة « كونتسا » الى ١٥٠٠٠ سيارة في السنة . وتبلغ قيمة برنامج الاستثمار الذي خططت له شركة « الين » ١٦ مليون ليرة اسرائيلية ، وشارك مساهمو الشركة في بريطانيا والولايات المتحدة بالملايين العشرة الاخرى . وكان من المفروض ان

ولا بد من الاشارة هنا الى ان هذه الشركات والمؤسسات اليابانية الاربع والتسعين ، ليست جميع المؤسسات اليابانية التي لها علاقات مع اسرائيل وتنطبق عليها قوانين المقاطعة العربية ، ذلك انه لا توضع مؤسسة اجنبية ما على اللائحة السوداء الا اذا كانت منتجاتها تسوق في بلد عربي او خدماتها تؤدى لبلد عربي ، ومن ثم قامت بنشاطات في اسرائيل تحظرها قوانين المقاطعة العربية . او من ناحية اخرى كانت تقوم بنشاطات في اسرائيل تحظرها قوانين المقاطعة ، وطلبت جهة عربية ما التعامل معها ، فعندئذ فقط تقوم الاجهزة المختصة بالاستفسار عنها ودراسة وضعها وتوضع على اللائحة السوداء اذا ثبت خرقها لقوانين المقاطعة . وهناك عدد من المؤسسات اليابانية التي تساهم في تنمية الاقتصاد الاسرائيلي عن طريق اقامة صناعات فيها ولم توضع اسماء هذه المؤسسات على اللائحة السوداء . فكما قلنا ان السلطات اليابانية تحاول جهدها لتوزيع نشاطاتها الاقتصادية بين العرب واسرائيل وهي في سبيل ذلك تتبع جميع وسائل التعمية تساعدها في ذلك السلطات الاسرائيلية . هذا ، ومن ناحية اخرى تمتنع الشركات اليابانية ذات المصالح الكبرى في الوطن العربي عن ادنى مجالات التعامل الاقتصادي والتجاري مع اسرائيل حتى تلك التي لا تنطبق عليها قوانين المقاطعة العربية . مثال على ذلك رفض الشركة اليابانية التي تنتج سيارات « تويوتا » ذات السوق الكبير في الوطن العربي بيع اي عدد من هذه السيارات الى اسرائيل ، وذلك كما قلنا لحماية مصالحها الاقتصادية في الوطن العربي وخوفا على سوقها الكبير فيه .

وكان من نتائج التزام معظم المؤسسات اليابانية بقوانين المقاطعة العربية ، أن نشطت الاجهزة الصهيونية في اليابان في مجال التجارة والاعلام ، وقامت هذه الاجهزة في الولايات المتحدة بحملة مجاصرة ضد الشركات اليابانية الملتزمة بقوانين المقاطعة لضربها وزحزحتها عن التزامها كي تخسر سوقها الاميركية *.

وللمقارنة بين مصالح اليابان الاقتصادية مع اسرائيل والوطن العربي نبين بانه علاوة على ان اليابان تصدر الى الوطن العربي اضعافا مضاعفة لما تصدره الى اسرائيل ، واكثر ما تصدره الى العرب بضائع كاملة التصنيع (اي استهلاكية) وما تصدره الى اسرائيل بضائع للاستثمار ومواد خام (انظر جدول واردات اسرائيل وفق نوعية السلعة واستعمالها) ، علاوة على هذا فان واردات اليابان من اسرائيل في اكثرها بضائع نصف مصنعة ، بينما وارداتها من الوطن العربي مواد خام مثل البترول والقطن وغيره من المنتوجات الزراعية المستعملة كمواد اولية في الصناعة اليابانية (انظر جدول صادرات اسرائيل من مجموعات منتقاة من البضائع) . علاوة على كل ذلك لليابان مصالح نفطية (امتيازات تنقيب واستثمار) في الوطن العربي سنأتي على ذكرها بالتفصيل فيما بعد .

واهم واردات اسرائيل من اليابان ما يلي :

— المطاط الصناعي ، لا يشتمل على اطارات وسائل النقل التي تصنع اسرائيل منها كل حاجتها — الغزل من الصوف الطبيعي والغزل الاصطناعي — المواد الكيماوية المركبة والعضوية والبلاستيكية — المعادن الخام والمصنعة ومنها الحديد والصلب — الادوات — الالات الكهربائية وبشكل خاص اللازمة للصناعة وآلات الاتصالات السلكية واللاسلكية — بعض وسائل المواصلات الارضية والبحرية (السفن وناقلات النفط) — الساعات الصغيرة والكبيرة — آلات القياس والضبط — الالات والمعدات البصرية والبصرية المتنوعة كالعدسات وآلات التصوير والتصوير السينمائي ومعداتها وآلات التسجيل والفونوغرافات والراديوات وقطعها(٧).

اما صادرات اليابان الى الوطن العربي فتشمل تشكيلة اوسع بكثير من تلك التي تصدر الى اسرائيل ومنها المواد الغذائية ، والمشروبات واطارات السيارات والملبوسات ، اي بشكل خاص المواد الاستهلاكية بينما سبق وقلنا ان اسرائيل قلما تستورد من اليابان وبقية العالم بضائع استهلاكية ، بل تستورد بضائع تساعد على زيادة انتاجها هي . وعلاوة على ذلك فان مستوردات الدول العربية الشرق اوسطية من بعض البضائع التي تستوردها اسرائيل من اليابان تزيد عنها اضعافا عديدة وعلى سبيل المثال هذا الجدول عن المستوردات من اليابان :

---

* الاسبوع العربي ١٩٧٢/٦/٥ .

	الدول العربية الشرق اوسطية	اسرائيل
مصنوعات اساسية	٦٣٫٣٨٢ مليون	٢٫٢٢٤ مليون دولار
كيماويات	٣٫٨١٢ مليون	٠٫٧٢٠ مليون دولار
معدات نقل	١٨٫٦٢٥ مليون	١٫٨٧٦ مليون دولار

وذلك خلال النصف الاول من عام ١٩٦٩(٨).

صادرات اسرائيل من مجموعات منتقاة من البضائع الى اليابان وبقية العالم بالمليون دولار

	الى اليابان		الى العالم	
	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٦٩	١٩٧٠
صادرات زراعية				
حمضيات	—	—	٩٠٫٩	٨٢٫٨
المجموع	—	—	١١٧٫٨	١٢٦٫٤
صادرات صناعية				
كيماويات ، ادوية ودهانات	٠٫١	٠٫٤	٤٤٫٤	٥٢٫٩
منتجات زراعية ومأكولات	٠٫١	٠٫٤	٥٥٫٢	٦٢٫٨
منسوجات ، ألبسة وجلود	٠٫٢	٢٫٨	٨٤٫٥	٩٩٫٧
مماس	٢٤٫٥	٢٥٫٢	٢٥٣٫٥	٢٤٤٫٦
المجموع ـ منتجات صناعية	٣٠٫٤	٣٢٫٣	٦١١٫٥	٦٤٩٫٢
المجموع العام لصادرات اسرائيل	٣٠٫٤	٣٢٫٣	٧٢٩٫٣	٧٧٥٫٦

واردات اسرائيل وفق نوعية السلعة واستعمالها من اليابان وبقية العالم ـ بالمليون دولار

	من اليابان		من العالم		تأتي اليابان الدولة ... من أصل ٢٣ دولة	
	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٦٩	١٩٧٠
بضائع للاستثمار	٣٫٣	٣٩٫١	٢٨٦٫٧	٣٥٠٫٣	التاسعة	الرابعة
بضائع انتاجية/مواد خام	١١٫٨	١٨٫٤	٩٠٢٫٥	٩٦١٫٤	العاشرة	التاسعة
بضائع استهلاكية						
للاستعمال الطويل الامد	٢٫٧	٢٫٥	٦١٫٦	٥٠٫٥	السابعة	الخامسة
سريعة الاستهلاك	١٫٤	٢٫٤	٧٩٫٨	٨٩٫٥	الحادية عشر	السادسة
مجموع الواردات	١٩٫٢	٦٢٫١	١٤٣٣٫٠٦	١٤٥١٫٢	العاشرة	السادسة

اما فيما يتعلق بسياسة اليابان الاقتصادية ومتطلباتها التي تغطيها الواردات فتقول المصادر الرسمية اليابانية : « **وفي الواردات اهم ما يطالعنا نوع الاصناف التي تزايدت والتي انخفضت فالمأكولات والاليات مثلا عرفت انخفاضا عظيما في الاستيراد فيما تركزت الواردات اليابانية على المواد الاولية للتصنيع التي تقدر حاليا بـ ٧٠ ٪ من مجموع الواردات . فاليابان اليوم تعتبر احدى الدول الاولى في العالم في مجال استيراد المواد الاولية** »(٩). ولا شك ان هذا التطور في متطلبات الاستيراد الياباني اكثر ما انعكست نتائجه على الوطن العربي بشكل خاص والشرق الاوسط (باستثناء اسرائيل) بشكل عام . فقد وجدت اليابان في الوطن العربي المكان الذي تتسوق فيه المواد الخام والمحروقات اللازمة لتنمية واستمرارية صناعاتها . واصبحت الخامات العربية تشكل نسبة كبيرة من مجمل واردات اليابان التي استوردتها في النصف الاول من عام ١٩٦٩ بلغت ٨٫٢ ٪ من مجمل وارداتها . وبلغ مجمل واردات اليابان في النصف الاول من ١٩٦٩ سبعة بلايين وأثنين وعشرين مليون دولار (٧٫٠٢٢٫١٣٨٫٠٠٠) كان نصيب الوطن العربي باستثناء تونس والجزائر

والمغرب منها ٥٧٢،٨٦٠ مليون دولار اما حصة اسرائيل فكانت ٩،٥٠٧ ملايين دولار أي اقل من ١ ٪ من مجمل صادرات الشرق الاوسط إلى اليابان او ١،٣٥ بالالف من مجمل واردات اليابان من العالم(١٠).

اما حجر الاساس في صادرات اسرائيل الى العالم - وكذلك الى اليابان فهو الماس المصقول الذي تستورده اسرائيل خاما من جنوب افريقيا ، بشكل خاص ، وتصقله وتعيد تصدير اكثره . وشكل الماس المصقول ٨٢،٣ ٪ من مجمل صادرات اسرائيل الى اليابان في النصف الاول من عام ١٩٦٩ . وفي عام ١٩٧٠ صدرت اسرائيل الى اليابان ماسا مصقولا قيمته ٢٥،٢ مليون دولار وفي عام ١٩٦٩ بما قيمته ٢٤،٥ مليون دولار ، اي ان اليابان تستوعب اكثر من ١٠ ٪ من صادرات اسرائيل من هذه السلعة التي صدرت منها عام ١٩٧٠ ما قيمته ٢٤٤،٦ مليون دولار . واليابان هي بذلك الدولة الرابعة بعد الولايات المتحدة وهونج كونج وبلجيكا/لوكسمبورغ في سلم استيراد الماس المصقول من اسرائيل(١١).

والى جانب الماس المصقول صدرت اسرائيل الى اليابان خلال النصف الاول من ١٩٦٩ مواد كيماوية بقيمة ١،١٩١،٠٠٠ دولار ومنتجات صناعية بـ ١٢٠،٠٠٠ دولار ومسمدة بـ ٢٧٦،٠٠٠ دولار ومعادن خام بـ ٣٩٧،٠٠٠ دولار (بوتاس ونوسفات ونحاس) .

وفي مقابل ذلك صدرت الدول العربية الشرق اوسطية خلال هذه الفترة :

نفط ومنتجاته ٥١٣،٢٣١،٠٠٠ دولار ، منتجات زراعية ٨٩٩،٠٠٠ دولار ، معادن خام للسماد ٢،٧٠٠،٠٠٠ دولار ، قطن ومنتجات زراعية اخرى للصناعة ٣٠،٩١٩،٠٠٠ دولار ، معادن خام ٢٩،٩١٧،٠٠٠ دولار ، مواد غذائية وحيوانات حية ٣،٧٠٥،٠٠٠ دولار(١٢). ولا بد من الاشارة في هذا المجال الى ان اليابان تستورد ٤٧ ٪ من النفط ومنتجاته و٥٪ من المنتجات الزراعية الصالحة للاكل من دول الشرق الاوسط العربية .

وقد ورد في الموسوعة النفطية العالمية لعام ١٩٧٠ بعد تعدادها للامتيازات النفطية اليابانية في الوطن العربي قولها : « وفي هذا الوقت تخطط مؤسستان يابانيتان هما « بريدجستون » و« ماتسووي » لشراء كميات كبيرة من الغاز الطبيعي السائل من ابو ظبي وذلك في اوائل عام ١٩٧٢ » .

لا تقتصر المصالح اليابانية في الوطن العربي على تصدير منتجاتها الصناعية اليه واستيراد نسبة عالية من المواد الخام اللازم لصناعاتها منه ، بل كما سبق وذكرنا اعلاه فانه اصبح لليابان منذ حوالي عقد ونصف مصالح استثمارية في الوطن العربي . وهي بذلك حديثة نسبيا فيما لو قورنت بالمصالح النفطية الغربية في الوطن العربي . هذا وان كانت لا تزال محدودة من الناحية الانتاجية نسبيا نظرا لحداثة عهدها فان الامكانات قد تأتي في المستقبل بنتائج ممتازة . هذا كما ان لليابان بعض الاستثمارات في المجالات الصناعية في بعض انحاء الوطن العربي ، مثال على ذلك مصنع شركة متسوبيشي جنوب بيروت . ويلاحظ اتساع القاعدة الشعبية وكثرة عدد المؤسسات اليابانية ذات المصلحة المباشرة في الاستثمارات في الشركات اليابانية صاحبة الامتيازات النفطية في الارض العربية . فكل من الشركات الخمس اليابانية اللواتي تملك امتيازات نفطية في الارض العربية يساهم فيها عدد من المؤسسات اليابانية وفي بعض الحالات افراد يتوزعون قسما من اسهمها . ولا بد كما سنبين في ختام هذه الدراسة من الافادة من هذه القاعدة ذات المصلحة الاقتصادية المباشرة في زحزحة اليابان عن حيادها السياسي المزعوم في اطار القضية الفلسطينية . تتوزع الامتيازات النفطية اليابانية حاليا في الارض العربية في المنطقة المحايدة الكويتية/السعودية وهي الان الاهم ، وفي ابو ظبي وقطر وجمهورية مصر العربية وجميع الشركات الاربع الاخيرة لم تباشر نشاطها الا فيما بين اواخر الستينات واوائل السبعينات ، واكثرها لا يزال في طور الدرس والاستكشاف والتنقيب .

المنطقة المحايدة : وصاحبة الامتياز شركة الزيت العربية المحدودة التي تملك شركة تجارة البترول اليابانية المحدودة ٨٠ ٪ من اسهمها و١٠ ٪ لكل من الكويت والسعودية . وقد بدأت هذه الشركة بالانتاج في كانون الثاني ١٩٦٠ وصدرت اول دفعة من انتاجها في آذار ١٩٦١ .

ومن الارقام التالية يتبين لنا سرعة تطور انتاج هذه الشركة والامكانيات التي يتمتع بها امتيازها ، فمعدل الانتاج بالاف البراميل كان كما يلي :

٩٢،٢١٠ و١٠١،٢٠٠ و١٠٩،٢٠٠ و١١٧،٦٨٦ .

١٢٥،٢٧٥ في السنوات ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ تباعا(١٣).

اي ان الزيادة السنوية في الانتاج هي نحو ثمانية ملايين برميل . وقد وزعت الشركة عام ١٩٦٦ ١٤٪ من قيمة رأسمالها ارباحا على مساهميها و١٦ ٪ سنويا في الاعوام ١٩٦٧ الى ١٩٧٠(١٤)، اي ان المساهم الياباني يسترجع قيمة الاسهم التي دفعها خلال ست سنوات تقريبا هذا علاوة عن المبالغ التي تقتطعها الشركة من الارباح لاعادة الاستثمار.

ابو ظبي : تعمل في ابو ظبي شركتان يابانيتان للتنقيب عن النفط :

١ — شركة زيت ابو ظبي ، وتعمل في المناطق المغمورة ، كما تم الاتفاق على ان تساهم في تنمية حقل البندق في الجرف القاري بين ابو ظبي وقطر .

وتملك هذه الشركة خمس شركات يابانية يساهم في بعض منها رأسمال امريكي وهي : ١ — شركة زيت دايكو المحدودة ١/٣ ٢٣ ٪ ، ٢ — شركة زيت ماروزين المحدودة ١/٣ ٢٣ ٪ (وتملك ٢٠ ٪ من اسهمها شركة كاليفورنيا للزيت) ، ٣ — شركة التعدين اليابانية ١/٣ ٢٣ ٪ ، ٤ — مؤسسة اليابان لتنمية النفط ٢٠ ٪ ، ٥ — شركة زيت قطر ١٠ ٪ (شركة تساهم فيها ست شركات يابانية) .

« وينتظر ان تباشر هذه الشركة بالانتاج في اواخر عام ١٩٧٢ »(١٦) ، فقد اتمت في اوائل ١٩٧١ حفر بئرين منتجتين واكتشفت النفط في قسيمة (أ) في المناطق المغمورة(١٧) كذلك « تم الحفر بنجاح لبئرين استكشافيتين في القسيمة (ب) »(١٨).

٢ — « شركة زيت الشرق الاوسط » وتعمل على اليابسة وتتوزع اسهمها اربع شركات يابانية اكبرها مجموعة متسوبيشي التي تملك ٥٤،٣ ٪ من الاسهم وتليها « جابان بتروليوم ديفالوبمانت كوربوريشن ٤٢،١ ٪ وتملك شركتين اولاهما للشحن البحري ٢،٢ ٪ والاخرى للتأمين ١،٤(١٩) وتشمل منطقة امتيازها ٩،٦٦ كم٢ على البر وقد باشرت عمليات التنقيب في اوائل عام ١٩٧٠ واستمرت في البحث طوال العام ولكن لم تكن قد عثرت على نفط حتى ذلك التاريخ(٢٠).

قطر : شركة زيت قطر ، وتعمل في المناطق المغمورة ، وتملكها خمس مجموعات يابانية :

١ — مجموعة شركات النفط ، وتساهم فيها ست شركات نفط ٣٥،٣ ٪ ، ٢ — مجموعة شركات الكهرباء ، وتساهم فيها ثلاث شركات كهرباء ٢٦،٥ ٪ ، ٣ — مجموعة شركات ساميتومو الثلاثية ١٥،٩ ٪ ، ٤ — مجموعات شركات الحديد والصلب الثنائية ٥،٩ ٪ ، ٥ — ثلاث شركات هي : شركة هيتاشي لبناء السفن ، نيسشو — ابواي ، صناعات اوهي ١٦،٤٪(٢١) ، وقد حصلت هذه الشركة على حق التنقيب عن النفط في المنطقة الجنوبية الشرقية المغمورة عام ١٩٦٩ وباشرت التنقيب عن النفط عام ١٩٧٠(٢٢) وكان من المنتظر ان تبدأ بالحفر للمرة الاولى عام ١٩٧١(٢٣).

جمهورية مصر العربية : حصلت « مؤسسة شمال سومطرة لتنمية مصادر النفط » اليابانية على حق التنقيب عن النفط في جمهورية مصر العربية وقامت بحفر ثلاث آبار ولكنها كانت جميعها جافة .

ان اسرائيل وهي ترى نمو المصالح اليابانية في الوطن العربي وتضخمها بهذا الشكل تنبؤها حاستها بانه لا بد ان يأتي يوم يعمل فيه العرب وترضخ فيه اليابان لمصلحتها الاقتصادية في الوطن العربي وتتقيد على الاقل بحيادها السياسي المزعوم بالنسبة للقضية الفلسطينية ، هذا اذا لم تع موطن مصلحتها الاقتصادية . ان اسرائيل وهي ترى ذلك تحاول وقف انطلاق وزحف هذا الوعي المصلحي الاقتصادي في اليابان كما حدث في سيلان مثلا عندما وعت مصلحتها الاقتصادية واهمية السوق العربية بالنسبة لصادراتها الرئيسية — الشاي — فبعد ان كانت سيلان تقيم علاقات وثيقة مع اسرائيل انقلبت لتماشي مصلحتها الاقتصادية هذا اذا لم يأت دعمها لقضية الحق العربي في فلسطين . وقد نقلت وكالة الاسوشيتدبرس بانه « طالب احد المسؤولين الاسرائيليين تدعيم العلاقات الاقتصادية مع اليابان لمواجهة النفوذ العربي في طوكيو » . واضافت « وقال بهوشوا فيشري المستشار الاقتصادي السابق في سفارة اسرائيل في طوكيو في حديث الى جمعية الصداقة الاسرائيلية اليابانية ان اسرائيل يجب ان تتولى انشاء خط ملاحي لنقل المعادن من اسرائيل الى اليابان عن طريق البحر الاحمر »(٢٤). وتقوم السلطات في فلسطين المحتلة باستمرار بارسال البعثات الاقتصادية الى اليابان وبقية دول آسيا التي تقبل استقبال وفودها ، ويخطط لهذه البعثات قبل شهور

من انطلاقها في جولاتها فقد نقلت رويتر في ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٠ « اعلنت وزارة التجارة والصناعة الاسرائيلية بأن بعثة اسرائيلية ستقوم بزيارة الشرق الاقصى في شباط المقبل لدراسة امكانات زيادة صادراتها الى هذه المنطقة . وستزور هذه البعثة كلا من اليابان وتايلاند وسنغافوره وهونج كونج وكوريا الجنوبية . وستتكون البعثة من (١٥) مندوبا لمؤسسات تنتج بضائع معدنية وكهربائية وغذائية ومعدات الري ومواد تجميل ومؤسسات متخصصة بالتخطيط لتنمية وتوسيع المرافيء . وستقابل البعثة رجال اعمال ورسميين حكوميين خلال جولتها التي ستستمر شهرا كاملا . وهذه الرحلة ستكون اول حلقة من سلسلة خططت لها وزارة التجارة والصناعة لتنمية الصادرات الاسرائيلية الى هذه المنطقة »(٢٥). والى جانب البعثات الاقتصادية تحاول سلطات الاحتلال في فلسطين مد الجسور في مختلف مجالات الحياة مع اليابان ودول الشرق الاقصى الاخرى وذلك بتبادل البعثات والزيارات الثقافية والرياضية والعسكرية والسياسية على الصعيد الرسمي والحزبي وعلى مختلف المستويات والانتماءات .

واسرائيل مع انها دعامة الامبريالية الغربية وقلعتها في الوطن العربي حاولت وبشكل خاص في الخمسينات استقطاب اليسار العالمي ، معتمدة على تجربتها في الحياة الجماعية في الكيبوتزات على انها التطبيق الاشتراكي . وقد قبل هذا الادعاء في اكثر من بلد اسيوي كبورما وسيلان واليابان . وقد ذكر في الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل « ... ان فريقا من الشبان اليابانيين قدموا الى اسرائيل لدراسة نظام الحياة في الكيبوتزات ... »(٢٦). وعن طريق الادعاء الاشتراكي تمكنت اسرائيل ان تلعب دورا كبيرا في المؤتمر الاشتراكي الاسيوي الاول الذي عقد في رانجون في كانون الثاني ١٩٥٣ وحضره ١٧٧ مندوبا ومراقبا . وقد كانت الدعوات قد وجهت الى احزاب في الهند واندونيسيا وبورما والملايو والباكستان ولبنان وسوريا والعراق ومصر والى كل من الجناحين اليميني واليساري من الاشتراكيين اليابانيين وحزب المباي الاسرائيلي الحاكم المصنف كاحد احزاب الوسط ، ولم توجه الدعوة لحزم المابام المصنف مع « اليسار » . وخلال المؤتمر تأزرت جهود اسرائيل ، كعضو في المؤتمر مع الجناح اليميني الياباني وممثلي الملايو على ان يصبح المؤتمر الاشتراكي الاسيوي كعضو اقليمي في الاتحاد الدولي للاحزاب الاشتراكية الذي تسيطر عليه الاحزاب الاوروبية الغربية التي تحمل اسماء اشتراكية وبعضها كان في الحكم او لا يزال ، وقد عارض ذلك بقوة اشتراكيو الهند ولبنان ومصر وبشكل اقل قوة من قبل الممثلون الباكستانيون والاندونيسيون والبورميون ، ودافعهم كان شعورا اسيويا مقترنا بالراي القائل بأن الاتحاد الدولي لم يتخذ موقفا حازما بما فيه الكفاية في الخط المناوىء للاستعمار والحياد(٢٧). وقد حاول المعسكر الذي يمكن تصنيفه بالامريكي في المؤتمر اي الاسرائيليون واليابانيون والملاويون معارضة الحياد واخذوا في المساومة بواسطة اقتراح يدعو الدول الاسيوية «الى عدم الارتباط بحركة السلم » لكون هذه الاخيرة مدعومة من قبل المعسكر الاشتراكي ، ولكن يجب ان تقوي الدول الاسيوية نفسها وتحدد موقفها بشأن قضايا السلم العالمي(٢٨). ومن المفيد ان نذكر بأن موقف المعسكر الامريكي (الاسرائيلي/ الياباني) في المؤتمر الاشتراكي الاسيوي هو الذي اطلق رصاصة الرحمة على هذا المختصر .

« لقد كان من الطبيعي ان يسيطر موضوع العدوان الثلاثي (١٩٥٦) على جو الدورة الرابعة من المؤتمر . ولكن بينما كانت الحكومات الاسيوية الافريقية في هيئة الامم المتحدة ، والشعوب تتظاهر في الشوارع منددة بالعدوان، لم يتمكن الاشتراكيون الاسيويون من مجاراة هذه الرغبة الشعبية. اذ انه لما جرت المحاولة لاقرار مشروع قرار يندد بالعدوان لم توافق عليه اسرائيل ، لذا خفف من لهجة التنديد واقنعت اسرائيل بان تتغيب عن الجلسة . والسبب بان هذه « المنظمة الاشتراكية » اصبحت تعتمد كليا على اسرائيل ماديا ... فقد ابرزت اسرائيل مخططا تنظيميا وقدمت ميزانية لتنمية العلاقات بين الاحزاب « الاشتراكية » . وقد اكد الوفد الاسرائيلي ، الذي كان يرأسه رئيس وزراء سابق ، بان هذه المخصصات ستصل ولكنه رفض ان يبين مصدرها ، ولكن بعض الاحزاب الاشتراكية التقدمية رفضت ان تسيرها اسرائيل وفضلت ان ينفرط عقد الاتحاد على ذلك »(٢٩).

وتغتنم اسرائيل كل فرصة مناسبة لارسال البعثات الى الشرق الاقصى ومنها اليابان ، « ففي عام ١٩٦٦ اوفد الجنرال اسحق رابين ، رئيس اركان الجيش حينئذ لزيارة اليابان وبعض دول الشرق الاقصى ، وقد رافقه رئيس دائرة العلاقات

والمساعدات الخارجية وقد قام خلال زيارته هذه بزيارة المعاهد والمنشآت العسكرية ، كما القى سلسلة محاضرات في الكليات الحربية . كما وانه عقد محادثات مع القادة العسكريين والسياسيين . وحل رابين ضيفا على حكومات الدول التي قام بزيارتها ، باستثناء اليابان حيث حل ضيفا على رئيس الاركان الياباني »(٣٠). وفي عام ١٩٦٧ « قام وزير خارجية اسرائيل برحلة شملت خمس دول شرق آسيوية هي تايلند وكمبوديه وبورمه والفلبين واليابان . وكانت هذه الجولة واحدة من سلسلة جولات قام بها زعماء اسرائيليون مختلفون للشرق الاقصى . واثناء اقامته في اليابان في الفترة بين ١٤ و ١٨ اذار قابل ايبان الامبراطور والامبراطورة. كما اجتمع الى الزعماء السياسيين الاخرين الذين شدد امامهم على اهمية الدور الذي تلعبه اليابان في العالم النامي ، واشار الى الاهتمام الذي أظهره الشباب الياباني في حركة « كيشكيو بسورج » الاسرائيلية . وقد ركز ايبان في تصريحاته على موضوع اخر له معنى خاص بالنسبة لليابان . الا وهو استخدام الطاقة النووية والشائعات القائلة ان اسرائيل تقوم بصنع قنبلة ذرية . « وفي اجتماعين منفصلين مع الصحافة في غضون ثلاثة ايام ، بذل مجهودا ضخما لكي يشير الى ان اسرائيل مهتمة بالاستخدام السلمي للطاقة النووية وبصورة خاصة في تحلية مياه البحر . وقال ان اسرائيل ايدت مبدئيا فكرة عقد معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية ، لكننا لم نتخذ المبادرة لاقامة مناطق مجردة من الاسلحة النووية في الشرق الاوسط ، لان الدول العربية ترفض التفاوض معنا حول اي شيء .. وابدى ايبان بملاحظة جانبية لا تخلو من الاهمية عندما قال ، اننا لا نستطيع العيش تحت تهديد حرب عصابات مستمرة »(٣١).

واسرائيل بعلاقاتها مع اليابان تضرب على اوتار حساسة معينة ، كما تصنع مع غيرها ، فهي حسب القول الشائع تلبس لكل حالة لباسها . اسرائيل عندما تخاطب اليابان تعرف حساسيتها ضد استعمال الطاقة النووية في المجال العربي ، لذا فهي تداور وتتحايل بحيث تظهر انها توجه جهودها الى الاستعمال السلمي البناء للطاقة النووية واذا ما اضطرت للاقرار باستعمالها في المجهود الحربي لتضع بذلك اللوم على العرب . وهي هنا تدعي الدفاع عن النفس وان العرب يضطرونها للانحراف عن جهودها السلمية الانسانية ...

وبذلك تحاول جر اليابان الى ابعد مما هي عن حيادها المزعوم بالنسبة للقضية الفلسطينية . وهي بذلك تحاول وضع اللوم على الدول العربية وبشكل خاص على المقاومة العربية . هذا بينما لا يزال النشاط الاسرائيلي الذري محاطا بالسرية التامة ولم يعلن عنه شيء . ولكن صحيفة الجروزالم بوست الناطقة باسم الخارجية الاسرائيلية اوردت في عددها الصادر في ١٤ شباط ١٩٦٧ قولها : « ان رئيس الوزراء ليفي اشكول (وهو في الوقت نفسه رئيس لجنة الطاقة الذرية الاسرائيلية) اعلن في الكنيست في ١٣ شباط ان نزع السلاح التقليدي يجب ان يسبق اي ارتباط متبادل بعدم ادخال الاسلحة الذرية الى منطقة الشرق الاوسط . وكان يرد في ذلك على سؤال وجهه اليه عضو الكنيست شموئيل ميكونس (شيوعي) ؛ عما اذا كان مستعدا لاخذ اي مبادرة في نزع السلاح الذري»(٣٢).

ومن ناحية اخرى تحاول اسرائيل ان تقارن امام اليابانيين بان وضعها مشابه لوضع اليابان جغرافيا وتقنيا ، فكل منهما تقع على طرف من طرفي القارة الاسيوية وفي معزل ، فاليابان جزر على طرف القارة الشرقي تحيط بها البحار اما اسرائيل فجزيرة يحيط بها بحر العداء العربي . وكل منهما متقدم تقنيا عن جيرانه . وكتب يهودي عاش حياته كلها في اليابان ويحمل الجنسية اليابانية في كتابه « اليابانيون واليهود » قائلا : « ان الياباني واليهودي يلتقيان في انهما تفوقا على العنصر القوقازي وبعد ان كان الياباني يعمل في خدمة القوقازي فقد تفوق عليه ، وقد كان الياباني أشبه برئيس نقابة العمال ، اي انه الاول بين اقرانه الملونين في العالم الثالث . ولكنهم حققوا تقدمهم الاقتصادي واصبحوا — هم واليهود — محلا للشك والكراهية والحقد»(٣٣). ولا شك ان اسرائيل لا تود ان تذكر اليابان بانها بنهجها منذ كانت فكرة الى ان توصلت الى مرحلة التكوين الى ان اصبحت كما هي الان ، تقتفي اساليب ومبادىء العسكريتاريا الاستعمارية اليابانية قبل انكسارها في الحرب العالمية الثانية وذلك لمعرفتهم بان الياباني اليوم حتى الذي لا يزال يحن الى التوسع العسكري لا يريد ان يذكر بتلك الايام وبالاندحار العسكري الذي ادت اليه . اليابان اليوم تحاول ان تقنع العالم بانها تكتفي بالتوسع الصناعي والتجاري ، واثارة تلك الذكريات القديمة قد تعوق هذا التوسع ،

نظر الحضانة الدول النامية ضدها وهي التركات ضحيتها . هذا بينما اسرائيل لا تزال عاجزة عن تحقيق التوسع الصناعي والتجاري لعجزها عن مضاربة القوى الدولية الكبرى في هذا المجال ولا تزال مطامعها الاقليمية لا تعرف حدودا .

وتحاول اسرائيل كذلك ان تقيم علاقات صداقة مع اليابان ذات ركائز ثقافية ، لذا اوجدت اكثر من جمعية او اتحاد لتسهيل التغلغل الاسرائيلي في الشرق الاقصى ومنه اليابان . وقد اوجدت مجموعة من جمعيات الصداقة الاسرائيلية طرفها الآخر كان مع من تمكنت من دول آسيا وأوجدت مجلسا جديدا للصداقة الاسرائيلية الإسيوية هدفه تنسيق التعاون بين جمعيات الصداقة مع الدول الاسيوية المنفردة . في الاجتماع التأسيسي لمجلس الصداقة الاسيوية/الافريقية قال وزير خارجية اسرائيل ، « ان على المجلس ان يقوم بمهمة مزدوجة الهدف : اولا ان يسعى الى تخليص الدول الاسيوية من غربتها عن الثقافة اليهودية ـ العبرية ، وثانيا ان يزرع معرفة الحضارة الآسيوية بين جماهير الاسرائيليين على نطاق جماعي ، وخاصة باعطاء مناهج التربية الاسرائيلية بعدا اسيويا»(٣٣). هذا علما بان اسرائيل من ناحية عملية تتبرأ من اسيويتها وتعلن انها امتداد لاوروبا في الشرق الاوسط ، ولكن دافعها في انشاء جمعيات الصداقة واعطاء مناهج التربية الاسرائيلية « بعدا اسيويا » هو خدمة مصالح اسرائيل التوسعية والتغلغلية في اسيا وهي بذلك تشكل اجهزة مساعدة لوزارة الخارجية والوكالة اليهودية . كذلك ان اعطاء مناهج التعليم ذلك « البعد الاسيوي » يعد الناشئين ويدربهم منذ الصغر لاكتساب العقلية التوسعية .

ولهذا الهدف قامت الطوائف اليهودية في الشرق الاقصى واوقيانوسيا في مطلع ١٩٧٢ بتشكيل «اتحاد الطوائف اليهودية » وقد وصفت مهمة هذا الاتحاد بانها « لحماية الطوائف اليهودية من التفتت » وتضم الطوائف اليهودية الموجودة في هونج كونج والهند واستراليا ونيوزيلندا وسنغافورة وتايلاند واليابان . وتتمتع بعض الاسر اليهودية في اليابان وبقية المنطقة وخصوصا استراليا بنفوذ كبير ومصالح واسعة .

« وقد اصدر الاتحاد الجديد بيانا اعلن فيه ان الهدف هو دعم واحياء اليهودية في منطقة جنوب واضاف البيان الذي صدر عقب اول اجتماع عقده الاتحاد الجديد في الشهر الماضي ان الاتحاد سيسعى للانضمام الى المؤتمر اليهودي العالمي وهو اكبر منظمة صهيونية»(٣٤). ولا شك ان هذا الاتحاد كغيره من المنظمات الصهيونية في العالم هو بالفعل دعم واحياء للحركة الصهيونية الاستعمارية ، وهو بذلك يشكل امتدادا للمؤسسات الاسرائيلية الرسمية في فلسطين المحتلة ويعمل على دعم اسرائيل اقتصاديا ومعنويا ويشكل جبهة ضاغطة على الحكومات التي تقيم في اراضيها لصالح اسرائيل ، لتدعمها سياسيا وماديا . وكثيرا ما تمكنت الطوائف اليهودية في بعض الدول من التأثير على مجرى تصويتها في هيئة الامم المتحدة بما يختص بالقضية الفلسطينية نظرا لنفوذها المالي وحسن تنظيمها .

الموقف السياسي الياباني الرسمي والقضية الفلسطينية :

تقيم اليابان علاقات دبلوماسية كاملة مع اسرائيل ، وتتبادل معها التمثيل الدبلوماسي على مستوى السفارة ومركز سفارتها في تل ابيب ، اي ان اليابان لا تعترف بالقدس عاصمة لاسرائيل . واليابان تدعي كما سبق وذكرنا انها تتخذ موقف الحياد التام ، وبهذا الخصوص صرح « ايزاكو ساتو » رئيس وزرائها في ٩ حزيران ١٩٦٧ قائلا : **« انا اعتقد بان على اليابان ان تحافظ على موقف الحياد التام**(٣٥). كنا نقبل الحياد التام فيما لو جاز الحياد في قضايا الحق ومصائر الشعوب . ولكن اليابان ، فيما لو جاز حيادها ، حسب مفهومها الرسمي ، لم تكن منضبطة كليا مع حيادها ، وسنحاول استعراض موقف اليابان في هيئة الامم وخارجها بالنسبة للقضية الفلسطينية في ما يلي :

لم تقبل عضوية اليابان في هيئة الامم المتحدة الا بعد اكثر من احد عشر عاما من اندحارها في الحرب العالمية الثانية وزوال الصبغة الاستعمارية المباشرة عنها ، فقد قبلت في هيئة الامم في ١٨ كانون الاول ١٩٥٦ ، لذا لم تعاصر احد اهم مراحل القضية الفلسطينية في هيئة الامم المتحدة الا وهي بحث قضية التقسيم ، هذا واعتقادنا انه لو كان لها حق التصويت حينئذ على تقسيم فلسطين لكانت وقعت تحت الضغط الامريكي . ونحن بقولنا هذا لا نندفع الى القاء التهم جزافا فالوقائع التي سنسرد هي

التي تثبت ذلك . وسنورد بعض الامثلة المتفرقة ولكن الشاملة عن مواقف اليابان في هيئة الامم المتحدة لاعطاء فكرة واضحة عن سياستها . هذا علما بان اليابان قلما شاركت في النقاش عند طرح القضية على بساط البحث . وهي وان تكلم مندوبوها فبمواضيع هامشية لا تعبر عن موقف او ارتباط .

الاعتداء الاسرائيلي على سورية — في مجلس الامن: على اثر الهجوم الاسرائيلي الجوي على سبعة مواقع تقع جميعا ضمن مشروع تنمية نهر الاردن والذي ادى الى تعطيل بعض الجرارات وخسائر اخرى في الممتلكات والارواح،تقدمت سوريه بشكوى الى مجلس الامن ضد اسرائيل . وفي الوقت الذي كانت الطائرات الاسرائيلية تغير فيه على الاراضي السورية تقدم المندوب الاسرائيلي الدائم في هيئة الامم المتحدة بكتاب يدعي فيه انه « في ١٣ و ١٤ تموز قامت وحدات من الجيش السوري وبعض الجماعات الاخرى المسلحة باحداث اعمال تخريبية ضمن الاراضي الاسرائيلية ، وان الحكومة الاسرائيلية قد امرت قواتها لتقوم بعمل ثاري محدود النطاق ضد سورية ، وذلك ردا على الاعتداءات السورية المتكررة على اسرائيل»(٣٦). وعند البدء ببحث القضية في المجلس عارضت اليابان واكثرية المجلس ادراج الشكوى السورية وحدها على جدول الاعمال ، علما بان ادراج الشكوى الاسرائيلية يشكل تجاوبا مع خطة اسرائيل الرامية الى التقليل من اهمية الشكوى السورية . هذا وقد امتنعت اليابان والولايات المتحدة والدول الدائرة في فلكها عن التصويت على مشروع قرار الاردن/مالي الذي يطلب من كل من اسرائيل وسوريه التعاون مع كبير المراقبين لتنفيذ اتفاقية الهدنة كذلك ادانة الهجوم الاسرائيلي المبيت على الجمهورية العربية السورية(٣٧). بعد فشل مشروع القرار الاردن/مالي تقدمت الولايات المتحدة وبريطانيا بمشروع قرار جديد(٣٨) اضطرتا الى سحبه نظرا لعدم منطقيته ولتاكدهما انه سينال صوتيهما فقط عند طرحه على التصويت . عند ذلك تحركت اليابان علنا في احدى تحركاتها النادرة في هيئة الامم عند بحث القضية الفلسطينية وتقدمت بصحبة الارجنتين وهولندا ونيوزيلندا ونيجيريا وبوغندا بمشروع قرار جديد اقل تحيزا من مشروع القرار الانجلو/أمريكي فالمشروع السداسي « **يدعو الحكومة السورية الى تقوية اجراءاتها ضد الحوادث التي تشكل خرقا لاتفاقية الهدنة** » . وهذا يعني بانهما اتخذت اجراءات في السابق والفرق واضح بين مشروعي القرارين فالاول يدعو سوريا لاتخاذ الاجراءات التي تؤدي الى عدم اتخاذ اراضيها كقاعدة لعمليات خرق لاتفاقية الهدنة . وقد فشل مشروع القرار السداسي نتيجة للفيتو السوفياتي لكونه لا يدين اسرائيل . وهذا يعني ان اليابان احدى الدول المتقدمة بمشروع القرار لا تود ادانة اسرائيل ، او من الممكن انها لا تجرؤ على ذلك .

الاعتداء الاسرائيلي على قرية السموع الاردنية : في الثالث عشر من تشرين الثاني ١٩٦٦ شن الجيش الاسرائيلي هجوما واسعا مدبرا بالطائرات والاليات البرية سقط على اثره عدد كبير من الضحايا من المدنيين والعسكريين ونتج عنه دمار واسع . ناقش مجلس الامن الاعتداء لاكثر من اسبوع واتخذ على اثر ذلك قرارا يلوم اسرائيل « وبهدها باضطراره اذا ما عادت وتكررت مثل هذه الاعمال الحربية الثارية » الى اتخاذ خطوات حاسمة يجيزها ميثاق الامم المتحدة لمنع تكرار مثل هذه الاعمال . اتخذ القرار باكثرية ١٤ صوتا بدون معارض واستنكاف نيوزيلندا . ولم تأخذ اليابان موقف الحياد فحتى الولايات المتحدة لم تتمكن من الوقوف في وجه « اللوم » و « التهديد » باتخاذ اجراءات في المستقبل ضد العدوان الاسرائيلي .

في الجمعية العمومية واللجنة السياسية الخاصة : وفيما يلي بعض الامثلة على موقف اليابان عند مناقشة بعض الامور المتعلقة بالقضية الفلسطينية. أيدت اليابان حث الحكومات بالتبرع لوكالة الغوث، كما أيدت تصحيح قوائم الاعاشة ... لتحقيق أقصى توزيع عادل للاعاشة على اساس الحاجة . اما عند طرح موضوع تطبيق الفقرة ١١ (اي العودة لمن اراد العودة من اللاجئين والتعويض لمن لا يريد العودة) وعدم تطبيق هذه الفقرة يرجع الى امتناع اسرائيل عن ذلك ، رأى مندوبو اليابان التغيب عن الجلسة ! اما بما يختص بمشروع القرار الذي يطالب بتعيين قيم على املاك العرب الموجودة في اسرائيل استنادا الى ان حق العرب في املاكهم ، حق تقره شرعة حقوق الانسان وقواعد القانون الدولي العام ، وكون الريع السنوي ولا نقول المتراكم يزيد عما تنفقه وكالة الغوث على النازحين الفلسطينيين ويدفع عنهم مذلة استجداء المعونات الخارجية . ومع ان مشروع القرار هذا

يبين بوضوح بان ليس في تعيين القيم انتقاص لسيادة اسرائيل ، كما وانه لا يشكل سابقة تسري على دول اخرى ، ذلك لان وضع اسرائيل يختلف عن غيرها من الدول ، مع ذلك فان اليابان تمسكت « بحيادها » واستنكفت عن التصويت مما ساهم في فشل مشروع القرار وابقى اسرائيل المحتلة بالقوة ارض فلسطين العربية ، تستغل ممتلكات شعب فلسطين وتحرمهم من انتاجها(٣٩). ان استعمال حق الحياد في عدم تأييد الحق لهو معارضة للحق . وفي العام السابق (١٩٦٥) امتنعت اليابان عن التصويت على ثلاثة مشاريع قرارات منها ما ايده العرب ومنها ما عارضه، ونخص بالذكر الى جانب تعيين قيم على املاك النازحين قضية دعوة مندوبي منظمة التحرير الفلسطينية لتمثيل عرب فلسطين امام اللجنة السياسية الخاصة ومجلس الوصاية ومجلس الامن . اما في عام ١٩٦٧ فقد كان موقف اليابان من قضية حرب حزيران منحطا خارج اروقة الامم المتحدة ، ففي التاسع من حزيران صرح « ايزاكو ساتو » رئيس وزرائها ، انذاك ، قائلا « اني اعتقد بان على اليابان ان تحافظ على موقف الحياد التام»(٤٠). اما وزير خارجيته فقد شارك في اصدار بلاغ مشترك على اثر انتهاء زيارته الى بولونيا في ٢٢ تموز ١٩٦٧ يعلن انه « من الضروري ان تنسحب القوات الاسرائيلية الى مواقع ما قبل الخامس من حزيران »(٤١). اما في اروقة الامم المتحدة فلم تكن اليابان أقل منها تخبطا عنها في خارجها ، وان كان موقفها أكثر التزاما بالموقف الاميركي الكلي الانحياز منه الى موقف الحياد كما سنرى في الجدول التالي الذي يبين مواقف كل من اليابان والعرب واسرائيل والولايات المتحدة بالنسبة لمشاريع القرارات التي طرحت على التصويت خلال بحث العدوان في الجمعية العمومية .

	موقف إليابان	موقف العرب بالاجمال	موقف اسرائيل	موقف الولايات المتحدة
مشروع القرار السوفياتي	معارضة	تأييد	معارضة	معارضة
مقدمة مشروع القرار	معارضة	تأييد	معارضة	معارضة
البند الاول	امتناع	تأييد	معارضة	معارضة
البند الثاني	معارضة	تأييد	معارضة	معارضة
البند الثالث	معارضة	تأييد	معارضة	معارضة
البند الرابع	معارضة	تأييد	معارضة	معارضة
مشروع القرار الالباني	معارضة	تأييد	معارضة	معارضة
مشروع القرار اليوغوسلافي	تأييد	تأييد	معارضة	معارضة
مشروع القرار الاميركي اللاتيني	تأييد	معارضة	امتناع	تأييد
مشروع القرار الخاص بالقدس	تأييد	تأييد	غياب	استكاف
مشروع القرار الانساني	تأييد	تأييد	تأييد	تأييد(٤٢)

(يمكن الرجوع الى الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٧ او للكتاب السنوي لهيئة الامم المتحدة للاطلاع على تفاصيل المناقشات ونصوص مشاريع القرارات الواردة اعلاه).

ويلاحظ من الجدول اعلاه ان اليابان قد حرصت على مسايرة الولايات المتحدة في معارضتها لمشاريع القرارات المقدمة من قبل دول شيوعية ، ولكنها ايدت مشروع القرار اليوغسلافي (او مشروع قرار دول عدم الانحياز) لانه اتى في صيغة غير حادة . وهذه هي الحالة الوحيدة خلال هذه الدورة التي عارضت فيها اليابان راي الولايات المتحدة بصورة مباشرة وعن طريق التصويت . هذا علما بانها صوتت مع قرار عدم تعديل وضع القدس بينما استنكفت الولايات المتحدة عن التصويت . اما مشروع القرار الاميركي اللاتيني فقد ايدته الولايات المتحدة نفسها وفي الحقيقة هي التي دفعت دول امريكا اللاتينية للتقدم به ، فهو صورة مخففة لمشروعها ويربط الانسحاب بتصفية القضية الفلسطينية . وكانت المرة الوحيدة التي تكلم فيها مندوب اليابان ابان مناقشة العدوان الاسرائيلي عندما « عبر عن جزعه واهتمامه بالتقارير الواردة عن النزوح الجماعي الاجباري للعرب من بيوتهم ، واردف قائلا انه يتوجب على المجلس اتخاذ الاجراءات لمنع مأساة اخرى نتيجة لضرب الضحايا في النزاع بين العرب والاسرائيليين»(٤٣). ويلاحظ هنا أن اليابان لم تهزها سوى النتائج الانسانية لما

حدث ويقول مندوبها « ماتسوي » ، « الضحايا الابرياء في النزاع بين العرب والاسرائيليين » مع انه يعترف بالنزوح الجماعي الاجباري للعرب من بيوتهم الا انه لا يدين الاسرائيليين ادانة واضحة بالعدوان وهذه نتائجه ماثلة بين يديه تثير اهتمامه ليتحدث عنها « مجزوءا » ويصنف محرروا الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية عام ١٩٦٧ **اليابان** نتيجة لموقفها من هذه الدورة على « **انها من الدول غير المساعدة للعرب** » وذلك الى جانب بورما وكمبوديا وايران وتركية ونايجيريا وسيراليون والكاميرون والكونجو كينشاسا . بينما يصنف الكتاب بقية الدول الافرو/آسيوية في اربع فئات اخرى هي : **دول صديقة** وهي التي صوتت الى جانب العرب و **دول غير صديقة** و **دول غير صديقة ابدا ودول معادية بصورة ايجابية** .

هذا بالاجمال هو الموقف الياباني الرسمي الذي وان حاولت السلطات اليابانية وصفه بالحياد التام ، فهو في رأينا ليس بالتام ولا بالجزئي . انه يعبر عن المصلحة الخاصة لدولة تسيء فهم مصلحتها الخاصة في الوطن العربي . ان هذا الموقف يساير ارادة الولايات المتحدة ، ولا نعتقد باننا نكون مغالين لو فسرنا هذا الموقف على انه انتظار من اليابان ذات المصالح الضخمة والنامية في الوطن العربي ، لان يكون لاسرائيل في المستقبل اليد العليا في تسيير شؤون الوطن العربي !!

الموقف الشعبي الياباني : اما الموقف الشعبي الياباني او بصورة ادق الموقف غير **الرسمي اليابانى** بالنسبة للقضية الفلسطينية فمن الطبيعي ان يكون أقل تحديدا لتعدد الفئات التي تناولتها وعبرت عن رأيها فيها . بالنسبة لرأي المواطن الياباني العادي اللامنتمي او غير الملتزم بحزب او جماعة منظمة وليس له علاقة مباشرة من اي نوع — اقتصادية كانت او اجتماعية — فليس من السهل تحديده . المواطن العادي في بلد بعيد مثل اليابان حيث لا توجد جالية عربية كبيرة ولا يقيم الى جانبه طائفة يهودية كبيرة ، فاليهود المقيمون في اليابان بصورة دائمة لا يتعدون المئات بينما يزيد عدد اليابانيين على المئة مليون نسمة ، وان حاول هؤلاء المئات من اليهود الاتصال المباشر مع المواطنين اليابانيين فتكون النتيجة ذات فعالية محدودة ، مثل هذا المواطن من الطبيعي ان يتصف بالجهل بقضيتنا تاريخا وواقعا ، الا اذا كان ملتزما برأي سياسي او له مصلحة اقتصادية مباشرة ففي الحالة هذه لا يبقى بالنسبة لنا مواطنا عاديا ، فهو مواطن مصنف . لقد بينا أعلاه موقف الجناح اليميني من الاشتراكيين اليابانيين ومدى انغماسه وتورطه مع الصهيونية خلال المؤتمر الاشتراكي الاسيوي الاول ، شأنه في ذلك شأن « اشتراكيي » الاحزاب الحاكمة في اوروبا الغربية التي تتورط قياداتها ومعظم قواعدها مع الصهيونية وتدعم اسرائيل في مختلف المجالات الى ابعد الحدود . اما اليسار الياباني الحقيقي فقد ظهر موقفه الفلسطيني العلني وبشكل واسع بعد حادث مطار اللد في ٣١ ايار ١٩٧٢ عندما قام ثلاثة شبان من اعضاء منظمة الجيش الاحمر الياباني الذين وصلوا على متن احدى الطائرات الى مطار اللد في فلسطين المحتلة وقاموا بمهاجمة الموجودين في قاعة الركاب في المطار وبشكل خاص ممثلي سلطة الاحتلال ، كذلك الطائرات الموجودة في باحة المطار آنذاك . وقد وقع نتيجة للحادث اصابات مميتة وجرحى من الاسرائيليين ومن السياح الذين صدف وجودهم في المطار في تلك اللحظة . لقد قام اعضاء منظمة الجيش الاحمر الياباني بتنفيذ هذه العملية التي دعيت بعملية دير ياسين الاكثر عنفا من عملية مطار اللد ، وذلك بالاشتراك مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ... وقد عبر الفدائي الياباني الوحيد الذي بقي حيا بعد الحادث عن دوافعه بقوله ، « ان المشاركة في نضال العرب جزء من الثورة العالمية ... ذلك ان الاسرائيليين جزء من حركة الامبرياليين في العالم »(٤٤).

منظمة الجيش الاحمر الياباني او « **سيكي غون** » منظمة يسارية اممية اعتنقت شعار ماوتسي تونغ « بالسلاح فقط يمكن تغيير العالم » والعالم الذي يعنيه الجيش الاحمر هو عالم الامبريالية ، انطلاقا من اليابان الى الولايات المتحدة ، فاوروبا الغربية وغيرها من مواقع الامبريالية ففلسطين المحتلة حيث اسرائيل الصهيونية هي الامتداد الطبيعي للامبريالية ويدها الضاربة في الوطن العربي وافريقيا وآسيا . بدأ الجيش الاحمر نشاطه بجناحيه السياسي والعسكري سنة ١٩٦٥ . ولكن تعرف اليابانيين والعالم على منظمة الجيش الاحمر الياباني بشكل واسع كان في اول انطلاقة كبيرة لها في تشرين الثاني ١٩٦٩ ، حين نظم اليسار الياباني خمسة ايام عنف لمنع « ايزاكو ساتو » رئيس وزراء اليابان من

معها . لقد ارادوا بذلك الحد من الاتصال والتعاون بين اركان الامبريالية في الولايات المتحدة واليابان زيادة عن الانغماس العميق الجاري بينها ، وذلك بمنع توقيع المعاهدة . وفي ٣١ اذار ١٩٧٠ خطف فريق من طلاب هذه المنظمة ، بينهم شقيق الباقي الوحيد في عملية مطار اللد ، طائرة يابانية الى بان مونجوم في كوريا الشعبية تعبيرا عن وحدة اليسار العالمي — ومنها وحدة اليسار الثائر على البورجوازية الامبريالية الحاكمة في اليابان — مع الحكم الثوري في كوريا الشعبية . واحتج اليسار الياباني الذي تمثل به منظمة الجيش الاحمر بعنف شديد على استمرار احتلال الامبريالية الاميركية لجزيرة «اوكيناوا» حتى عام ١٩٧٢، وقد حاولوا اقتحام القواعد العسكرية الاميركية والقوا القنابل على المركز الثقافي الاميركي . وقد اعتقل في اليوم الاول من التظاهرات ١٨٥٧ شخصا . ثم نظموا اضرابا عماليا وتظاهرة اشترك فيهما نحو اربعة ملايين شخص . « وكانت العناصر الاكثر تطرفا خلال هذه التظاهرات هي منظمة الطلبة اليساريين انها تضم ١٣ الف عضو عامل وتستطيع تجنيد ٤٢ الفا من أصل ٤٤٠ الف طالب منتسبين الى روابط الطلبة المنضمة الى التكتل اليساري المتطرف»(٤٥). وفي كانون الثاني ١٩٧٠ عقدت المنظمة مؤتمرا سريا اقرت فيه سياستها وبرامج عملها بعد اندماج منظمة الجيش الاحمر الطلابية مع منظمة ثورية عمالية باسم الجيش الاحمر المتحد . ومنذ ذلك الحين بدأ طابع المنظمة الامني بالبروز فقد ارسلت فرقا للتدريب في كوبا وبدأت اتصالاتها بمنظمة الفهود السود الاميركية ومختلف المنظمات الثورية في العالم بما في ذلك المقاومة الفلسطينية بواسطة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وفي عام ١٩٧١ صدرت دراسة مشتركة حول « حرب الفدائيين العرب والجيش الاحمر الياباني » أعدها الجيش الاحمر بالتعاون مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ولكن اول اتصال جرى بينهما كان في عام ١٩٦٨ بمبادرة من الجيش الاحمر الذي رأى في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تنظيما ثوريا ذا ايديولوجية مطابقة لايديولوجيته ، وتشترك معه بذات الاسلوب في مقاومة الامبريالية والاستغلال .

والى جانب الجيش الاحمر هناك عدد من الاطباء والممرضات اليابانيين الذين يعملون متطوعين في مستشفيات الهلال الاحمر الفلسطيني ، وذلك لا شك أن أكثر ما يهمنا في هذه الدراسة عن الموقف الياباني من حادث مطار اللد هو رد الفعل الياباني الرسمي وشبه الرسمي والى حد ما الشعبي الذي نتج عنه .

رد الفعل الرسمي : قامت الحكومة اليابانية بارسال بعثتين الاولى سياسية وعلى مستوى عال والاخرى من كبار رجال الشرطة ، وقالت صحيفة «هيرالد تريبيون» الاميركية في رسالة لها من طوكيو، « اعلن اليوم هنا (طوكيو) ان مندوبين من الحكومة اليابانية سافرا بطريق الجو الى اسرائيل ليعبرا عن اسف حكومتهما عن حادث مطار اللد . المبعوثان هما كنجي فوكوناجا نائب قديم في الدايت (مجلس النواب الياباني) والسكرتير الاول السابق في وزارة ايزاكو ساتو ، رئيس قسم الشرق الاوسط في وزارة الخارجية اليابانية ، مينابو باماموتو»(٤٦). ونقلت الاهرام عن وكالات الانباء ، « وقد ادلى المبعوث الياباني كنجي فوكوناجا ببيان في مؤتمر صحفي بعد ان اجتمع بجولدا مئير رئيسة الوزراء وزالمان شازار رئيس اسرائيل ليطلب منهما الصفح عما فعله اليابانيون الثلاثة ، واضاف ، ان المبالغ التي يتدفعها اليابان على سبيل التعويض عن نتائج عملية اللد سوف يذهب جزء منها الى اسر القتلى والجرحى والباقي لما وصفه الى **المشروعات الانسانية في اسرائيل** . وقال ان الصليب الاحمر الياباني سيقدم مبلغا كبيرا الى هيئة موجن دافيد ادوم ، (جمعية نجمة داوود الحمراء)» . وزادت الصحيفة : « وأكد فوكوناجا ان عددا من رجال الشرطة اليابانية بينهم رئيس ادارة التحقيقات الدولية واسمه تسوكادا ، قد وصلوا الى تل ابيب لمساعدة الشرطة الاسرائيلية في التحقيق مع الفدائي المعتقل اوكاموتو»(٤٧).

وقال سياسي ياباني كبير ، « ان هؤلاء الشبان الثلاثة عار على الشعب الياباني»(٤٨). اما صحيفة كريستشن ساينس مونيتر فكتبت « وصم وزير خارجية اليابان ، تايو فوكودا ، علنا امته بانها ثرية ماديا ولكنها فقيرة اخلاقيا » . وزادت الصحيفة قائلة : « وتساءلت الصحف اليابانية في افتتاحياتها ، هل سيظن الاجانب بان الشخصية اليابانية تعاني نقصا مميتا ؟»(٤٩).

رد الفعل الصحفي : وكتبت صحيفة« مينيشي »

اليابانية تقول : « ان شعورا بالخزي والعار يغمرنا بان يقترف مواطنون لنا مثل هذه الاعمال(٥٠). ومن طوكيو ارسل الاخ انور عبد الرحمن تقريرا خاصا الى مركز الابحاث الفلسطينية قال فيه « وعقبت صحيفة « جابان تايمز » في مقال لها ، ان جميع المقالات المكتوبة في الصحف اليابانية تميزت بالخجل والاسى العميق وخيبة الامل والشعور بالخوف من ان تسوء العلاقات بين البلدين . كما اضاف ان الصحف أبرزت الحدث بعناوين ضخمة وعبرت عن ارتياحها لتصريح جولدا مئير ، بأن الحادث لن يؤثر على العلاقات الودية بين البلدين . كما ان معلقي الصحف قد اجمعوا على ان السلام الذي حققته اليابان بعد الحرب الكونية الثانية قد دمر تدميرا كاملا » !!. واضاف التقرير : « قالت صحيفة بوميوري الواسعة الانتشار (٥ ملايين نسخة) بان البنك الصناعي الياباني لبناء السفن قدم شيكا للسفارة الاسرائيلية بـ ١٥ الف دولار هدية لاسر الضحايا » . وزاد التقرير ، « ذكرت صحيفة « بوميوري » بان المكالمات تنهال على السفارة الاسرائيلية من مختلف طبقات الشعب معربة عن اسفها ، وكذلك مقدمة تبرعات لاسر الضحايا ، وقد طلبت السفارة ان تحول المساعدات الى جمعية نجمة داوود الحمراء»(٥١). اما رد الفعل الشعبي النزيه الواعي فهو بايجاز كلي ، مكموم سيغتال حتما لو عبر عنه بالعلن .

وقد يقف البعض متأملا باستغراب ودهشة مثل رد الفعل هذا، يصدر عن شعب مثل الشعب الياباني، ولا شك ان كل الساسة واكثر الصحافيين كانوا موجودين وواعين، ان لم يشتركوا في حرب اليابان، لاستعمار الشعوب قبل وخلال الحرب العالمية الثانية . فالزمن غير بعيد . ان أمة حاولت استعمار قسم كبير من آسيا وسيطرت فعليا على جزء واسع منها لا يمكن ان تكون قد استعملت الوسائل السلمية والاسلوب الانساني للوصول الى اغراضها الاستعمارية . ان سقوط ملايين الضحايا في سبيل استعباد الشعوب واستعمار اراضيها ، لكون الجزر اليابانية تضيق باهلها ولاجل الحصول على الخامات اللازمة للصناعة اليابانية وايجاد الاسواق اللازمة لمنتجاتها ، مسالة كان فيها نظر ! اما ان يساهم ثلاثة شبان يابانيين هالهم تورط ساستهم مع الامبريالية الامريكية وانعدام المناقبية بين هؤلاء الحكام بتعاملهم مع اسرائيل الصهيونية الامبريالية ، في ثورة شعب لتحرير وطنه ، وان يسقط نتيجة ذلك عدد من الرسميين الاسرائيليين وبضعة سياح كان يجب ان يعرفوا بان زيارة بلد في حالة حرب معناه تعريض انفسهم للخطر ، فان مثل هذا العمل « يندى له جبين الساسة والصحافيين اليابانيين ويغمرهم بشعور الخزي والعار !! » وبستوجب ارسال رسميين كبار لطلب الصفح من جولدا مئير وطبعا موشي دايان ولن ننسى مناحيم بيجن !

ولا شك ان في ما كتبه سمير كرم في الاهرام ، ردا واضحا شبه كامل على استغراب البعض على ردة الفعل اليابانية على عملية مطار اللد اذ قال ، « ان فدائية اليابانيين الثلاثة اليساريين ابطال عملية مطار اللد هي النقيض الموضوعي لانتحارية اليمين الياباني كما تمثلت في انتحار الكاتب اليميني الياباني يوكيو ميتشيما ، اليسار يتجه نحو الفداء من اجل قضية عادلة يؤمن بها وبارتباطها بالضمير وبالمثل الانسانية العامة ، واليمين يتجه نحو الانتحار محكوما بالعبث ورفض النضال . اليسار يتجه للفداء رفضا للواقع الراهن وتطلعا الى واقع متقدم ، واليمين يتجه للانتحار رفضا للواقع الراهن ، ولكن منطلقا الى واقع مضى ويأسا من استعادته . « في حين اعطى اليساريون اليابانيون دمهم من اجل واقع اكثر انسانية يعترفون أن الوجود الاسرائيلي يقف في طريقه ، فان المنتحرين من مفكري اليمين اليابانيين — واشهرهم ميتشيما — اهدروا دمهم من اجل ان تعود في اليابان قوة العنصرية والنزعة العسكرية المسيطرة (اي من اجل ان يعود في اليابان كيان شبيه بالكيان الاسرائيلي في الشرق الاوسط) »(٥٢).

ونزيد ان ردة الفعل اليابانية فيها الكثير من الخوف من ان تنفجر ضدها الملاحقات الصهيونية . فمثلا ما ان انتشرت اخبار الحادث حتى قامت قيامة الصهيونية اذ « أعلن في طوكيو ان السفارات والمكاتب الحكومية اليابانية في الولايات المتحدة واوروبا ، تلقت عددا من المكالمات الهاتفية تهدد بالقاء القنابل عليها»(٥٣). لا شك ان هذه التهديدات سوف لا تنفذ، بل الهدف من ورائها هو زيادة في « تركيع » اليابان ولحصرها اكثر من قبل داخل المعسكر الامبريالي الامريكي/الصهيوني وزيادة رضوخها لعملية الابتزاز الاسرائيلية للاموال اليابانية ، وقد دفعت التعويضات مباشرة من غير الحاجة الى المفاوضات ، وزيادة الاستثمارات

خلاصة

كما فصلنا لليابان مصالح ضخمة متشعبة ونامية في الوطن العربي لا تتمتع بمثلها الا دول قليلة في العالم . والمستفيدون من هذه المصالح يشكلون قاعدة شعبية واقتصادية واسعة جدا يمكن اذا وجدت خطة عربية متكاملة توجيهها بحيث تعي وحدة مصالحها مع المصلحة العربية ، ومن ثم تصبح قوة ضاغطة تعمل لتوجيه السياسة اليابانية الخارجية في خط موازٍ مع المصلحة العربية القومية، وطبعا ذات العلاقة المباشرة مع القضية الفلسطينية التي هي الجوهر والمحور الرئيسي للسياسة العربية الخارجية .

اليابان كانت ولا تزال تدعي سياسة الحياد بالنسبة للقضية الفلسطينية ، وكما رأينا انه مجرد ادعاء ، ولكنها والحق يقال لا تزال أقل انحيازا الى الصهيونية من معظم الدول الغربية . لذا لما كانت هي تدعي الحياد ، ولما كانت أقل انحيازا من معظم الدول الغربية ، ولما كانت مصالحها في الوطن العربي ضخمة ونامية فيجب ان يعمل العرب تجاهها وفق خطة متكاملة موحدة ، **وأشد موحدة** .

العرب أقل حاجة الى اليابان من حاجة اليابان الى العرب ، وازيد انه بامكان العرب الاستغناء ، عند الضرورة ، عن حاجة اليابان لهم من غير ان يخسروا شيئا في المدى الطويل والمتوسط وقليلا في المدى القريب . بامكان العرب تصريف خاماتهم وسد الحاجة الآنية لسوقهم بعيدا عن اليابان ، أما اليابان فستكون هي الخاسرة ، والخاسرة كثيرا في المدين القريب والمتوسط والى حد ما في المدى البعيد . ان اليابان اذا شاءت معاداة العرب وكانوا هم اسياد انفسهم فستخسر العرب كسوق لتصريف منتجاتها وكمنجم وحقل يمدانها بالخامات ذات الضرورة الاساسية لصناعاتها . ان اليابان كما تدل الوقائع ما هي الا مصنع مجهز بالآلات والخبرة التقنية واليد العاملة . وكل هذا غير ذي فائدة لو انقطعت عنه امدادات الوقود والخامات التي لا يؤمن منها محليا سوى ٣٠٪ من هذه الخامات والوقود تشكل عنصرا اساسيا بالنسبة لحاجات المصنع الياباني . وهي نسبة عالية ذات تكاليف متدنية .

الياباني اكتسب التفكير المصلحي الاقتصادي واصبح ذلك الآن بالنسبة اليه تراثا عميق الجذور. لذا أفضل أسلوب يمكننا التوجه بواسطته الى العقلية اليابانية هو اسلوب المعادلة الحسابية . ويتوجب على من له مثل هذه العقلية ، ولا يصعب عليه ، ان يعي مصلحته الاقتصادية على المدى البعيد . وانه يجب ان يفهم انه على هذا المدى سوف يكون الوطن العربي هو سيد نفسه . ومن يعتقد اننا سنقع في المستقبل كليا تحت قبضة الصهيونية وهي التي سوف تسير امورنا فهو مخطىء . الشعوب ، كما يجب ان يعلم اليابانيون ، قد وعت وسارت في طريق التقدم والتحرر ، ولن يعيد التاريخ نفسه، فلن تنطمس حضارة في المستقبل تلقائيا ولوحدها . فالشعب الذي انطلق وتحرر سيبقى حرا وسيزيد من انطلاقه في سبيل التقدم . ولعلاقاتنا مع اليابان نواح أخرى ... اننا واليابانيين آسيويون في الاصل والواقع ، وهكذا يريد كل منا ان يكون وان يبقى ، بينما اسرائيل تتبرأ من آسيويتها التي ما كانتها ولن تكونها . واليابان تختلف في تراثها الحضاري والديني عن الغرب كونها لا تعتمد أصولا دينية يهودية ، أحسنت الصهيونية العالمية استغلالها بالنسبة للغرب المتدين . واليابان حرة كليا من عقدة شعب الله المختار وما يلفها وما يتبعها من اعتقادات خاطئة توجد لدى الغرب ارتباطات وواجبات وهمية للحفاظ على اسرائيل ودعم كيانها . وهذا مما يسهل علينا مخاطبة العقلية اليابانية . كل هذا يسهل لنا الوصول الى العقلية اليابانية ومخاطبتها والوصول بذلك الى نتائج ايجابية ... فيما لو أحسن التصرف على اساس خطة عربية متكاملة واحدة . ولا موجب للتأكيد او التنبيه انه من مصلحتنا ان لا نتعادى مع اليابان سياسيا فنضطر الى الحد من تعاملنا معها .

---

١ ــ **الاسبوع العربي** ، ملحق العدد ٦٧٩ ، ١٢ حزيران ١٩٧٢ ، عدد خاص عن اليابان ١٩٧٢، مقال « الاقتصاد والتجارة » .

٢ ــ مجلة **روز اليوسف** ، ٢٨ ك١ ١٩٧٠ ، مقال اسرائيل تضع خطة لغزو آسيا اقتصاديا.

٣ ــ **المصدر نفسه** .

٤ — **ملحق الاسبوع العربي** ، اليابان ١٩٧٢ ، ومن الواضح ان هذا الملحق الدعائي لليابان يدفوع ثمن كل صفحة جزء من الغلاف الى الغلاف وجميع مقالاته معدة من قبل مؤسسات حكومية واقتصادية خاصة يابانية مثل المكتب التجاري الياباني ووزارة التجارة اليابانية ووزارة الخارجية وغيرها ... وهي بذلك تعبر عن وجهة نظرها فقط .

٥ — **النهار** البيروتية ١٩٧٢/٧/٢٩ .

٦ — **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٥** ، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٧ .

٧ — U. N. Statistical Papers - Commodity Trade Statistics, Series D, Vol. XIX, No. 1-5.

٨ — **المصدر نفسه** .

٩ — **ملحق الاسبوع العربي** ، اليابان ١٩٧٢ ، ص ٢٩ و٣١ .

١٠ — U. N. Statistical Papers - Commodity Trade, 1969,

١١ — Statistical Abstract of Israel 1971.

١٢ — U. N. Statistical Papers - Commodity Trade 1969.

١٣ — Organization of the Petroleum Exporting Countries, Statistics Unit, June 1971, Annual Statistical Bulletin.

١٤ — **المصدر نفسه** .

١٥ — Facts & Figures 1970, ARAMCO.

١٦ — Walter R. Skinner, *Oil and Petroleum International Yearbook* 1971-72, London.

١٧ — World Oil - International Edition, Aug. 15, 1971.

١٨ — The American Association of Petroleum Geologists Bulletin, Vol. 55/9, Sept. 1971, p. 1618.

١٩ — Facts & Figures 1970, ARAMCO.

٢٠ — The American Association of Petroleum Geologists Bulletin, vol. 55/9,Sept. 1971, p. 1618.

٢١ — Facts & Figures 1970, ARAMCO.

٢٢ — A. A. P. G. Bulletin, Vol. 5519, Sept. 1971, pp. 1617-1618.

٢٣ — World Oil, Aug. 15, 1971, p. 116.

٢٤ — وكالة انباء اسوشيتدبرس ١٩٦٨/١٢/٢٧ .

٢٥ — *Daily Star*, 18 Nov. 1970, (Beirut)

٢٦ — **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٦** ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٥٦٧ .

٢٧ — G. H. Jansen, *Afro-Asian and Non-Alignment*, Faber and Faber, London 1966, p. 265.

٢٨ — **المصدر نفسه** ، ص ٢٦٥ .

٢٩ — **المصدر نفسه** ، ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .

٣٠ — **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٦** ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٥٦٧ .

٣١ — **المصدر نفسه** ، ص ٩٨٧ — ٩٨٨ .

٣٢ — **المصدر نفسه** ، ص ٦٨٤ .

٣٣ — صحيفة **الاهرام** ، ١٥ نيسان ١٩٧٢ .

٣٣ — **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٦** ، ص ٩٨٥ — ٩٨٦ .

٣٤ — **الاهرام** ، ١٩٧٢/١/١٢ .

٣٥ — **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٧** ، ص ٩٩٥ .

٣٦ — **المصدر نفسه** .

٣٧ — **المصدر نفسه** ، ص ٥٩٧ .

٣٨ — يرجى الرجوع الى **المصدر نفسه** اعلاه ، ص ٦٠١ — ٦٠٢ للوقوف على تفاصيله .

٣٩ — United Nations Yearbook, pp. 184-185.

٤٠ — **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٧** ، ص ٩٦٥ .

٤١ — **المصدر نفسه** ، ص ١٠٠٤ .

٤٢ — U. N. Monthly Chronicle, July 1967, p. 25.

٤٣ — **المصدر نفسه** .

٤٤ — **الاهرام** ، ٧٢/٦/٣ .

٤٥ — مجلة **البلاغ** البيروتية ، ٦٢/٦/٥ .

٤٦ — *International Herald Tribune*, 2/6/72.

٤٧ — **الاهرام** ، ٧٢/٦/٥ .

٤٨ — مجلة **الهدف** البيروتية ، ٧٢/٦/٣ .

٤٩ — *Christian Science Monitor*, 2/6/72.

٥٠ — *International Herald Tribune*, 2/6/72.

٥١ — انور عبد الرحمن ، تقرير غير منشور الى مركز الابحاث الفلسطينية ومحفوظ في ملفات المركز .

٥٢ — **الاهرام** ، ٧٢/٦/٣ .

٥٣ — *The Guardian*, 3/6/72.

التعليم في قطاع غزة

شحاده موسى

ينقسم الفلسطينيون في قطاع غزة الى فئتين : السكان الاصليون ، واللاجئون . ويتولى الاشراف على السكان الاصليين وبالتالي على التعليم لديهم السلطات المصرية (حتى عدوان اسرائيل واحتلالها للقطاع عام ١٩٦٧) ، وتشرف وكالة الغوث الدولية على اللاجئين وبالتالي تؤمن لهم الخدمات التعليمية. ومن المعروف ان وكالة الغوث الدولية تشكلت بقرار من الجمعية العمومية للامم المتحدة في ٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٩ ، حدد مهماتها بـ : أ ـ تقديم الغوث للاجئين الفلسطينيين على اساس الحاجة . ب ـ تنفيذ برامج تهدف الى مساعدة اللاجئين الفلسطينيين وتأهيلهم لاعالة انفسهم . وباشرت الوكالة اعمالها في شهر ايار (مايو) ١٩٥٠[1]. وبالطبع فان التعليم يعتبر وجها اساسيا من اوجه المهمة الثانية للوكالة اي انه وسيلة لتمكين اللاجئين من اعالة انفسهم .

يتالف النظام التعليمي في قطاع غزة من ثلاث مراحل مدتها ١٢ سنة : ٦ سنوات في المرحلة الابتدائية و٣ سنوات في كل من المرحلتين الاعدادية والثانوية. ويخضع الانتقال من مرحلة الى اخرى لاجتياز امتحانات رسمية .

توفر الحكومة في المدارس الرسمية (السكان الاصليون) التعليم في المراحل الثلاث ، كما توفر التدريب المهني على المستوى الثانوي ، وتدريب المعلمين في معهدين واحد للشبان وآخر للشابات . اما الانروا فتوفر التعليم في المرحلتين الابتدائية والاعدادية فقط. وتدفع مبلغا مقطوعا مقداره ١٥٠ الف دولار للحكومة لقاء تأمين التعليم الثانوي لابناء اللاجئين في مدارسها . كما كانت الانروا تدفع مبالغ عن الطلبة اللاجئين الذين يتلقون تدريبهم في معهدي تدريب المعلمين . وقد ادخلت الانروا التدريب اليدوي للذكور في مدارسها الاعدادية ، كما ادخلت في قطاع غزة منذ عام ١٩٦٥ مادة اقتصاديات المنزل في المدارس الاعدادية للبنات . وللانروا مركز للتدريب المهني في غزة يدرب فيه الطلاب على عدد من الحرف لمدة تتراوح بين سنة وسنتين . كما تقدم الانروا عددا محدودا من المنح الجامعية للطلبة المتفوقين سنويا .

وفي غزة كانت الانروا تسير وفق المنهج المصري وتستعمل في مدارسها الكتب ذاتها ، الا ان السلطات الاسرائيلية قامت بعد الاحتلال بمنع استعمال هذه الكتب بحجة انها تحتوي على مادة تسمم عقول الاطفال وتنمي الكراهية لاسرائيل .

ومع انه ليس من مهمة هذا البحث استعراض المراحل التعليمية بشكل تفصيلي ، الا ان ذلك يرد ضمن استعراض القضايا او النقاط الاساسية التي سنركز عليها مثل : ١ ـ **التعليم والسكان** : في محاولة للتأكيد على ضرورة ربط الاغراض التعليمية بالحاجات الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالقطاع. ٢ ـ **الطلاب والمدارس** : في محاولة لاستكشاف ما اذا كان التعليم الذي تؤمنه الانروا ـ العام والمهني ـ يتناسب مع الحاجات الاقتصادية والاجتماعية للسكان . والتركيز هنا على المرحلة الثانوية والتدريب المهني ، لان انهاء المرحلة الابتدائية او الاعدادية لا يمكن الفرد ، بهذه المعرفة الاولية ، من تأمين عمل يعتاش منه. ٣ ـ **التسرب**: بهدف تكوين صورة عن عدد الطلبة الذين يتركون دراستهم . ولهذه المسألة اهميتها في غزة حيث نسبة البطالة مرتفعة جدا ، والتعليم هو السلاح الوحيد الذي يمكن من تأمين العمل في مثل ظروف القطاع . ٤ ـ **تطور تعليم الفتيات** : لمعرفة تطور التعليم في القطاع النسائي من المجتمع ، لما لذلك من ارتباط بعدد من العوامل الاجتماعية والاقتصادية .

لم يتعرض البحث لدراسة المناهج المطبقة في مدارس الانروا . وتجدر الملاحظة هنا الى ان مناهج التربية في مجتمع ما لا بد ان تكون لها اصول واهداف مستمدة من فلسفة ذلك المجتمع واهدافه . والانروا لا تطبق في مدارسها منهجا واحدا بل تطبق المناهج المتبعة في البلدان المضيفة والتي هي بدورها ليست موحدة . وبالتالي فالاجيال الفلسطينية تفتقد الى المنهج الموحد والثقافة الموحدة التي تعمل من أجل هدف تربوي — سياسي وثقافي واحد .

الوضع السكاني والاقتصادي

عند مناقشة الاوضاع التعليمية في مجتمع ما لا بد ان ترتسم في الذهن بعض الاسئلة حول علاقة التعليم بالمجتمع ، بكفايته لحاجات السكان مثلا ، او دوره في تقدم المجتمع بشكل عام ، والى اي مدى تتوفر فرص التعليم لمن هم في سن الدراسة ؟ وهل يؤمن التعليم المتبع الكفاءات المطلوبة للنهوض بالحياة في المجتمع ؟ وهل تتوفر فرص العمل للخريجين... الخ. وتكتسب هذه الاسئلة أهمية خاصة بالنسبة للمسئولين من السياسة التعليمية وكذلك للمسئولين عن التخطيط الاقتصادي والاجتماعي او تنمية المجتمع . لذلك سنتعرض في البداية — وبقدر ما تمكننا المعلومات المتوفرة عن القطاع — صورة موجزة للوضع السكاني والاقتصادي حتى يصبح للارقام الخاصة بالتعليم صلة حية باوضاعه العامة وتكون لها دلالة عملية .

قطاع غزة كما هو معروف بعد نكبة عام ١٩٤٨ هو الاراضي الفلسطينية التي ظلت تحت سلطة الحكومة المصرية بموجب اتفاقية الهدنة المصرية — الاسرائيلية في ٢٤ شباط ١٩٤٩ . وهو عبارة عن شريط ساحلي تغطي الرمال ثلثي مساحته التي تبلغ حوالي ٣٠٠ كلم٢، اي ١٤٣٪ من مساحة فلسطين . ونتيجة لحرب ١٩٤٨ لجأ الى القطاع حوالي ٢٠٠ الف فلسطيني وكان سكانه الاصليون يقدرون بحوالي ٩٠ الف نسمة فاصبح سكان القطاع انذاك حوالي ٢٩٠ الفا تؤمن الخدمات والاغاثة لهم جهتان : الحكومة المصرية ، للسكان الاصليين ، وجمعية الاصدقاء الامريكية (كويكرز) للسكان اللاجئين.ثم جلت وكالة الغوث الدولية — الانروا — مكان الاخيرة بعد ان قررت الجمعية العمومية للامم المتحدة تشكيلها بهدف تأمين الاغاثة المباشرة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين(٢).

بلغ عدد سكان القطاع عام ١٩٥١ ، بحسب تقديرات الانروا ، ٢٩١،١٧٠ نسمة موزعين حسب الفئات التالية ، ٩٠،٣٥٦ نسمة من السكان الاصليين ، و ١٩٦،٧٨٩ نسمة مسجلين لاجئين لدى الانروا ، و ١٠٢٥ نسمة من اللاجئين غير المسجلين لدى الانروا(٣) وفي نهاية شهر ايار (مايو) ١٩٦٧ ، اي قبيل عدوان حزيران كان عدد اللاجئين المسجلين في القطاع ٣١٦،٧٧٦ نسمة(٤) ، اما عدد السكان الاصليين فكانوا حسب تقديرات الانروا ١٤٨ الفا وذلك في منتصف عام ١٩٦٦(٥). ولذلك يمكن القول ، اذا اخذنا بعين الاعتبار الزيادة السنوية للسكان الاصليين لمدة سنة ، اي من منتصف ٦٦ حتى العدوان الاسرائيلي ، وكذلك اللاجئين غير المسجلين ، ان سكان القطاع وبحسب تقديرات الانروا كانوا عند الاحتلال الاسرائيلي حوالي ٤٧٠ الفا . وبعد عام ٦٧ لم يعد تقرير المندوب العام للوكالة يتضمن الارقام التفصيلية المعتادة حول اللاجئين في كل من المناطق الاربع بل اصبح يكتفي بذكر الرقم العام لعدد اللاجئين ككل . ولذلك فاننا اذا اردنا معرفة عدد سكان القطاع بعد عام ٦٧ ، ومن ثم معرفة عدد الذين غادروا القطاع نتيجة الاحتلال، فاننا لا نملك غير مصدرين: الاول يتمثل بالتقارير الاحصائية التي تعدها دائرة التعليم في الانروا ، والارقام التي تعطيها هذه التقارير عبارة عن تقديرات لا تمثل بالضرورة العدد الحقيقي للاجئين(٦)، بالاضافة الى انها تقتصر على اللاجئين المسجلين لدى الوكالة . وبحسب هذه التقارير كان عدد اللاجئين المسجلين في القطاع ٣٠٦،٩٣٨ نسمة في شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩(٧). أما المصدر الثاني فهو الاحصاءات الاسرائيلية . وبحسب هذه الاحصاءات كان عدد سكان القطاع باكمله — بعيد الاحتلال — ٣٥٦،٢٦١ نسمة . وفي عام ٦٨ كان عددهم ٣٥٥،٨٨٠ نسمة وسكان العريش — مصريون — ٣٣،٨٢٢ نسمة . وفي عامي ٦٩ و ٧٠ لم تذكر هذه الاحصاءات القطاع منفصلا عن العريش بل ذكرت عدد السكان الاجمالي في قطاع غزة وشمال سيناء وكان في العامين المذكورين ٣٦٥،٥ و ٣٧٢،٤ الفا على التوالي . واذا ما اعتبرنا سكان العريش حوالي ٣٥ الفا في هذين العامين لكان عدد الفلسطينيين هو ٣٣٠ و ٣٤٠ الفا على التوالي(٨). وقد من معنا ان عدد سكان القطاع قبيل الاحتلال كان حوالي ٤٧٠ الفا ، اي ان هناك ١٥٠ الفا على الاقل قد غادروا القطاع حتى عام ١٩٧٠ . ولكن

المندوب العام للانروا يذكر في تقريره الى الجمعية العامة عام ١٩٦٨ ان ما بين ٤٠ ـ ٤٥ الفا من اللاجئين المسجلين في القطاع قد غادروه بعد الاحتلال(٩). كما ان السجلات الاردنية الخاصة بالاشخاص الذين غادروا القطاع الى الضفة الشرقية تشير الى انه حتى منتصف عام ٦٨ كان حوالي ٨٫٥٠٠ شخص فقط من غير المسجلين لاجئين قد غادروا القطاع(١٠). ويذكر تقرير المندوب العام لعام ٦٩ ان النزوح من القطاع قد توقف تقريبا بعد ذلك التاريخ ، اي بعد منتصف عام ٦٨ . اي ان الذين غادروا القطاع كانوا بحدود ٥٠ الفا وان من بقي فيه يزيد عددهم على ٤٠٠ الف وذلك يتعارض مع الارقام الاسرائيلية كما هو واضح . وبسبب هذه الاعتبارات فاننا لا نستطيع ان نجزم او ان نعطي رقما تقريبيا لعدد سكان القطاع او لعدد الذين غادروه بعد الاحتلال.

فئات العمر : اذا نظرنا الى السكان بحسب فئات العمر نجد ان حوالي نصف سكان القطاع تقريبا هم دون سن الخامسة عشر وهي الفئة التي تعتبر عادة غير منتجة في المجتمع . ففي الفترة الواقعة بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٦٠ كانت نسبة من هم دون الخامسة عشر بين السكان الاصليين ٤٣٪ وبين اللاجئين ٤٦٪ ، مع ملاحظة ان مجلس الانتاج القومي المصري قام عام ١٩٥٥ بالاشتراك مع الانروا ببحث حول السكان جاء في نتيجته ان نسبة من تقل اعمارهم عن ١٥ سنة بين اللاجئين في القطاع تصل الى ٥١٪ تقريبا(١١). اما في الوقت الحالي فان الاحصاءات المنشورة حول السكان في القطاع تظهر ما يلي : بالنسبة للاجئين تظهر ارقام الانروا للعام ٦٩ ان هذه النسبة هي في حدود ٤٠٪ غير ان الانروا ترفق بهذه الارقام تعليقا يؤكد ان العدد بالنسبة لمن هم دون السادسة (سن دخول المدرسة) عدد غير دقيق « لان الانروا لا تقدم التشجيع الكافي للاجئين لكي يسجلوا اطفالهم قبل بلوغهم السادسة »(١٢). اما الاحصاءات الاسرائيلية للعام ٦٨ فتظهر ان نسبة من هم دون الخامسة عشر في القطاع كله وشمال سيناء هي ٥٠٫٦٪(١٣). وعلى اي حال يمكن القول ان هذه النسبة ليست اقل من ٤٥٪ ، وهي نسبة عالية اذا قورنت بمصر مثلا ، وهي دولة تتميز بنسبة مرتفعة لتزايد السكان حيث ان نسبة من هم دون الخامسة عشرة فيها كانت ٣٨٪ خلال الفترة من عام ٤٨ الى عام ٥٧(١٤). ويبرز عند الحديث عن توزيع السكان بحسب فئات الاعمار امران يتعلقان بالتعليم هما : ما هي نسبة عدد التلاميذ الاجمالي الى عدد السكان ، وما هي نسبة هؤلاء التلاميذ الى من هم في سن الدراسة فعلا وفي مختلف المراحل التعليمية . ولكن قبل التعرض لهذين السؤالين لا بد من اعطاء صورة عن الوضع الاقتصادي في القطاع ، اذ بدون هذه الصورة قد تعطي الارقام التي ذكرناها انطباعا خاطئا بل ومضللا . فعندما نقول ان حوالي نصف السكان هم دون سن الخامسة عشر ، اي فئة غير منتجة فلا بد ان نضيف اليهم فئة الكبار في السن والعجزة، وكذلك فان ضعف اقبال النساء في مجتمعنا على العمل ، لاسباب عدة ، ومن ثم قلة عدد النساء العاملات نسبيا ، يجعل عدد من هم خارج قطاع الانتاج كبيرا ، مما قد يوحي خطأ ، بأن القطاع بحاجة الى الايدي العاملة ، وبأن فرص العمل بالتالي متوفرة . وقد يستنتج ايضا ان الدافع الاقتصادي ، اي تأمين الفرد لحياته وحياة اسرته، لا يرتبط بالتعليم ، بينما يظهر الواقع عكس ذلك .

الوضع الاقتصادي : لم يكن القطاع بحدوده الحالية منطقة انتاج قبل عام ٤٨ بل كان يستكمل معظم حاجاته من انتاج باقي اجزاء فلسطين ، كما لم تنشأ فيه صناعات تذكر . اما الانتاج الزراعي فلم يكن يكفي حاجات السكان من المواد الاساسية . وبعد عام ٤٨ فقد القطاع معظم موارده الاقتصادية الطبيعية داخل المنطقة المحتلة من فلسطين ، ذلك ان خطوط الهدنة جعلت ٨٠ بالمئة من سكان القطاع الاصليين يصبحون بدون مورد حيث اقتطعت اراضيهم واصبحت في الجهة الاخرى من الحدود ، اي تحت السيطرة الاسرائيلية . وبالتالي اصبح على القطاع ان يتحمل بموارده المحدودة هذه ، سكانه الاصليين الذين بلغ عددهم انذاك ٩٠ الف نسمة(١٥)، واللاجئين الجدد اليه . وليس هنا مجال البحث في انواع العمل او التوزيع المهني للسكان في القطاع ، الا انه لا بد من التأكيد ان البطالة تعتبر من ابرز المشاكل التي يواجهها اهالي القطاع ، ذلك ان القوة البشرية الموجودة في القطاع ، تفوق من حيث العدد كثيرا كمية العمل الموجودة ، او التي يمكن توفرها في المستقبل نظرا لضيق الموارد الطبيعية من جهة وعدم توافر الخبرة الفنية التي يمكن الاستفادة منها في مشاريع صناعية ، او في ايجاد فرص عمل

مناسبة لها خارج القطاع. وفي دراسة أجرتها الانروا عام ٥٤ جاء ان مشكلة السكان الاصليين في القطاع تعتبر أسوأ من مشكلة اللاجئين ، وذلك لان هؤلاء السكان يعيشون في اماكنهم الاصلية ، ومن ثم لا تشملهم المساعدات التي تقدمها الامم المتحدة . فالمزارعون منهم فقدوا معظم اراضيهم ، وغير المزارعين لا يكادون يجدون شيئا يعيشون منه . كما ان تدفق اللاجئين ، والتنافس على فرص العمل المحدودة أثرا كثيرا على الاجور ، فانخفض مثلا أجر العامل اليومي من حوالي ٣٠ قرشا الى ثمانية قروش . كذلك فان مستوى الدخل منخفض جدا بالنسبة لفئتي السكان ، الاصليين واللاجئين حيث تبين بنتيجة الدراسة ان ٤٣٪ من السكان الاصليين و ٥١٪ من اللاجئين لا يزيد دخلهم الشهري عن جنيهين فقط(١٦). ورغم الجهود التي بذلتها الحكومة المصرية للتخفيف من حدة المشاكل الناجمة عن انتشار البطالة الا ان مشكلة الفقر ظلت مشكلة حادة ، اذ نجد انه حتى عام ١٩٦٠ كان ٣٥ الفا من السكان الاصليين ما زالوا يعتمدون على المساعدات العينية التي تقدمها الحكومة المصرية ، وان كان هذا العدد هو ٧٠ الفا عام ١٩٤٩(١٧). ولذا فان البطالة مرتفعة جدا في القطاع وخاصة في اوساط اللاجئين . ففي عام ١٩٦٠ كانت نسبة البطالة بين السكان الاصليين ٣٥،٥٪ ، وبين اللاجئين ٨٣٪ ممن هم في سن العمل(١٨). وعلى ذلك يمكن القول ان الدافع الى التعليم دافع قوي عند الفلسطينيين في قطاع غزة لكونه يشكل ، او يعتبر على الاقل بانه يشكل ، ضمانة نسبية لايجاد عمل في القطاع او في خارجه . كذلك فان اوضاع القطاع هذه تؤكد ان الخطة التعليمية التي تتوخى النهوض بمجتمع القطاع لا بد وان تهدف الى توفير كفاءات فنية قادرة على استغلال موارده واستثمارها الى اقصى مدى ، وتأمين مستوى من التعليم يمكن المتخرجين من ايجاد اعمال تسهم في رفع مستوى الحياة وتخفيف حدة المشاكل المختلفة. ولكننا سنرى عندما نتكلم عن التعليم الذي تؤمنه الانروا لابناء اللاجئين انها لا تستوحي سياستها التعليمية ولا مستوى التعليم الذي تؤمنه ، من مثل هذا الهدف .

الطلاب والسكان : من المعروف ان هناك جهتين تشرفان على التعليم في قطاع غزة : الانروا التي تتولى تأمين التعليم لابناء اللاجئين ، والحكومة المصرية — حتى عدوان ٦٧ — والتي تتولى تأمين التعليم لابناء السكان الاصليين . وتنشر الانروا منذ فترة تقارير احصائية سنوية عن الطلاب ونسبة الطلاب الى السكان . اما بالنسبة للتعليم في المدارس الحكومية فلا تتوفر لدينا ارقام تفصيلية عن الطلبة في مراحل التعليم المختلفة ، أو حسب فئات الاعمار ، كما لا تتوفر مثل هذه المعلومات عن السكان الاصليين(١٩). لذا سنقتصر في تحديد نسبة الطلاب الى السكان ، على السنوات التي تتوفر عنها معلومات حول الطلبة اللاجئين وغير اللاجئين. ويبين الجدول رقم ١ الاعداد الاجمالية للسكان والطلاب في المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية ونسبة الطلاب الى السكان.

جدول رقم ١

الطلاب والسكان في القطاع

السنة	اللاجئون	الاصليون(٢٠)	مجموع السكان	مجموع الطلاب	النسبة المئوية لدى مجموع السكان	الطلاب اللاجئون(٢١)	النسبة المئوية لدى اللاجئين
١٩٥٠	١٩٩،٥٨٧	٨٨،٥٢٠	٢٨٨،١٠٧	٢٤،٧٧٣	٨،٥	٢٤،٤٧٦ (للعام ٥١)	١٨
١٩٥٥	٢١٦،١٩٦	١٠٢،٤٧٥	٣١٨،٦٧١	٥٦،٧٥٢	١٧،٦	٤٠،٨٩٦	١٨
١٩٦٠	٢٥٥،٥٤٢	١١٨،٧٥٠	٣٧٤،٢٩٢	٧٥،١٠٠	٢٠	٥٠،٤٦٤	٢٠

واذا نظرنا الى نسبة الطلاب للسكان عام ١٩٦٠ نجد انها نسبة مرتفعة نسبيا ، (٢٠ ٪) ، وخاصة عند مقارنتها بالنسبة المماثلة في بعض دول المنطقة. ففي عام ١٩٦٠ كانت هذه النسبة في مصر حوالي ١١٪(٢٢)، وفي سوريا ١٠٪(٢٣) وفي لبنان ٢٢٪(٢٤). اما اذا اردنا مقارنة هذه النسبة عند كل من اللاجئين والسكان الاصليين في القطاع فاننا نلاحظ ان هذه النسبة كانت في البداية اعلى عند

اللاجئين ، اذ كانت نسبة الطلاب اللاجئين الى السكان عام ١٩٥٠ هي ١٨٪ بينما كانت حوالي ١٥٪ عند السكان الاصليين . اما في السنوات اللاحقة فقد أصبحت هذه النسبة متساوية تقريبا ، اذ كانت حوالي ٢٠٪ عام ١٩٦٠ عند الجهتين . ولا بد في هذا المجال من معرفة نسبة الطلاب الثانويين الى مجموع الطلاب ، وكذلك الى السكان في القطاع عند الطرفين ، نظرا لاهمية التعليم الثانوي ، خاصة اذا اعدنا للذهن مشكلة القطاع الاقتصادية الاساسية . ومن اجل هذه المقارنة سنعتمد على عدد محدود من السنوات ولكنها تفي باعطاء صورة عن الموضوع اذ هي تغطي الفترة السابقة حتى عام ٦٧ . ويبين الجدول رقم ٢ عدد الطلبة الثانويين في القطاع ، وعدد السكان الاصليين وعدد السكان اللاجئين ، ونسبة الطلاب الى كل قطاع ، وكذلك نسبة الطلاب الثانويين الى مجموع الطلاب ، ثم الى عدد السكان .

جدول رقم ٢

عدد ونسبة الطلاب الثانويين الى مجموع الطلاب

السنة	مجموع طلبة القطاع	الطلبة اللاجئون	الطلبة الاصليون	جميع الثانويين في القطاع	الثانويون اللاجئون	الثانويون الاصليون	الثانويون الى الطلاب اللاجئين ٪	الثانويون الى الطلاب الاصليين ٪	النسبة المئوية العامة للثانويين الى طلاب القطاع
٥٥—٥٦	٥٨٨٣٩ (٢٥)	٤٣٥٢٣ (٢٦)	١٥٣١٦	٣٦٢٤ (٢٥)	١٦٤٦ (٢٦)	١٩٧٨	٣٤٧	١٣	٨٤٣
٥٨—٥٩	٦٨٩٢٢	٤٦٤٥٠	٢٢٤٧٢	٨٩٠٧	٣٤٠٠	٥٥٠٧	٧٠٣	٢٤	١٥٤٦
٦٦—٦٧	٩٦٧٨٩	٦٧١٨٩	٢٩٦٠٠	١٢٦٩٧	٣٨٠٠ (٢٧)	٨٨٩٧	١٣	١٣	١٣

يتبين من الجدول ان نسبة الطلاب الثانويين الى مجموع الطلاب هي حوالي ١٣٪ في العام ٦٧/٦٦ وهي نسبة مرتفعة نسبيا . ففي سوريا مثلا كانت هذه النسبة حوالي ٥٪ عام ٦٨ — ٦٩ وترتفع الى حوالي ٦٪ اذا اضفنا طلاب الفرع المهني واعداد المعلمين الى مجموع الطلبة في المرحلة الثانوية . وفي مصر كانت نسبة جميع طلبة المرحلة الثانوية وفي مختلف الفروع الى مجموع الطلبة حوالي ٨٪ عام ٦٥ — ٦٦(٢٨) . وهذه النسبة مرتفعة ايضا بالنسبة الى الفلسطينيين في المناطق الاخرى . اذ ان معدل نسبة الطلاب الفلسطينيين في المرحلة الثانوية الى مجموع الطلاب في المدارس ، في الدول الاربعة المضيفة ، كانت حوالي ٧٪ عام ٦٦ — ٦٧(٢٩) . اما نسبة الطلبة الثانويين الى مجموع السكان فكانت ١٪ عام ١٩٥٦ ، ارتفعت الى ٢٤٧ عام ١٩٦٦ وذلك في القطاع ككل . اما بالنسبة للاجئين فكانت هذه النسبة ٠٤٧ عام ٥٦ ارتفعت الى ٢٤٧ عام ١٩٦٦ ، أي النسبة ذاتها لدى السكان الاصليين ، وكما يتبين من الجدول رقم ٣ ، مع ملاحظة ان عدد الطلاب ذكر في الجدول السابق . وهي نسبة مرتفعة نسبيا . ففي مصر مثلا كانت نسبة الطلاب الثانويين العامة الى مجموع السكان اقل من ١٪ عام ٦٦ — ٦٧ وترتفع الى ١٤٦٪ اذ اضفنا لذلك طلبة القسم الفني في المرحلة الثانوية(٣٠). تبقى نقطة اخرى لا بد من معرفتها في هذا المجال وهي نسبة الطلبة الثانويين الى من هم في سن الدراسة الثانوية من السكان . ان مدة الدراسة في المرحلة الثانوية في القطاع هي ثلاث سنوات ، والسن النموذجي لهذه الفترة هو بين ١٥ — ١٧ سنة . وبالتالي فان المقارنة

جدول رقم ٣

نسبة الطلاب الثانويين الى السكان

السنة	سكان القطاع	اللاجئون	الاصليون	نسبة الثانويين المئوية الى السكان	عند اللاجئين	عند الاصليين
١٩٥٦	٣٣٦٠٥٥ (٣١)	٢٢٧٠٣١٧	١٠٨٠٧٣٨	٠٤١	٠٤٧	١٤٢
١٩٦٦	٤٥٥ (٣٢)	٣٠٧٠٢٤٥	١٤٧٠٧٥٥	٢٤٧	٢٤٧	٢٤٧

النموذجية تكون بين من هم من المدرسة ومن هم خارج المدرسة في هذه الفئة من العمر . وفيما يتعلق باللاجئين (لا تتوفر ارقام حول توزع السكان الاصليين بحسب فئات العمر) كان ٤٠٪ ممن هم في هذه الفئة من العمر في المدرسة عام ٦٦ — ٦٧ . ولكن ذلك لا يعني ان هؤلاء جميعا هم في المرحلة الثانوية اذ ان قسما من الطلبة الثانويين تزيد اعمارهم عن ١٧ سنة وتصل احيانا الى سن العشرين ، كما ان هناك قسما من طلبة المرحلة الاعدادية في فئة العمر المذكورة ، ١٥ — ١٧ . ومع أخذ الملاحظة السابقة بعين الاعتبار ، يمكن القول ان الفترة العملية للدراسة الثانوية هي بين سن ١٥ — ١٩ سنة ، وعلى هذا الاساس يشكل الطلبة الثانويون ٢١٪ فقط ممن هم في فئة العمر ١٥ — ١٩ من السكان . اما نسبة مجموع الطلبة في هذه الفئة الى ما يقابلهم من السكان فتزيد على ٣٠٪(٣٣). وهي نسبة مرتفعة اذا قورنت بها في الدول العربية ، كما يتبين من الجدول رقم ٤ :

جدول رقم ٤

طلاب المرحلة الثانوية ونسبتهم الى السكان في سن الدراسة

السنة	البلد	فئة العمر	السكان	الطلبة الثانويون	نسبة الثانويين المئوية الى فئة العمر	مجموع الطلبة في فئة العمر	نسبة الطلاب المئوية الى فئة العمر
٦٦—٦٧	غزة (لاجئين)	١٥—١٩	٤١٬٥٧٤	٨٬٩٦٨	٢١٬٢	١٣٬١٥٠	٣١٬٥(٣٤)
٦٥—٦٦	مصر	١٥—١٩	٢٬٤٢٠٬٠٠٠	٣٦٠٬٧١١	١٥٬٥	٢٧٤٬٨٣٠	١١٬٣(٣٥)
٦٦—٦٧	الاردن	١٥—١٨	١٧٩٬٧٠٠	٣٢٬٧٢١	١٨٬٢(٣٦)		—
٦٥—٦٦	سوريا	١٥—١٩	٥٠٦٬١٩٥	٥٨٬٨٠١	١١٬٦(٣٧)		
	لبنان	١١—١٨	٣٦٧٬٨٠٠	—	—	٩٦٬٣٤٣	٢٦(٣٨)

ان الطلبة الثانويين في الجدول هم جميع طلبة المرحلة الثانوية بمختلف فروعها ، غير ان الوضع يختلف بالنسبة للبنان حيث يشمل الرقم طلبة المرحلة الاعدادية والثانوية . ويتبين من الجدول ان النسبة في القطاع (اللاجئون) هي أعلى منها في الدول الاخرى سواء بالنسبة لطلبة المرحلة الثانوية الى من هم في فئة العمر من السكان ام بالنسبة لجميع الطلبة في هذه الفئة من العمر مقارنة بما يقابلها من عدد السكان . ولكن يجب ان نلاحظ هنا ايضا ، ان التعليم في الريف العربي متخلف نسبيا في حين ان الريف متقدم تقريبا في اوساط اللاجئين حيث يعيشون بدون ارض ، في المدن او في جوارها . وفي الوقت نفسه لا بد ان نعرف توزيع التعليم الثانوي بحسب فروعه اي التعليم العام والتعليم الفني ودور المعلمين ، خاصة اذا اعدنا للذهن اهمية توفر كفاءات فنية في قطاع غزة لاكثر من سبب من جهة ، ونمو هذه الفروع في المرحلة الثانوية في الدول العربية من جهة اخرى . وبتعبير اخر لا يجوز في المقارنة بين الوضع التعليمي في الانروا — خاصة في المرحلة الثانوية — وبين الوضع التعليمي في الدول العربية ، ان نكتفي بالارقام التي تشير الى ارتفاع نسبة الطلبة الثانويين الى مجموع الطلبة او الى السكان ، في اوساط اللاجئين .

التعليم المهني : قبل الاحتلال الاسرائيلي كان التدريب المهني على المستوى الثانوي يتم في مركز تدريب حكومي واحد للشبان ، وكان عدد الطلاب المسجلين فيه ١٩١ طالبا عام ٦٦/٦٧ . كما كان يتم في مدرسة تجارية واحدة بلغ عدد طلابها ٣٠ طالبا في ذلك العام . وكذلك كان تدريب المعلمين يجري في معهدين حكوميين ، واحد للشبان واخر للشابات ، يوفران دورة مدتها خمس سنوات تلي المرحلة الاعدادية ، وتهدف الى تخريج معلمين للمدارس الابتدائية . وفي عامي ٦٥/٦٦ و ٦٦/٦٧ كانت الانروا تدفع نفقات ٢٨٩ و ٢٥٠ طالبا على التوالي بمعدل ١١٠ دولارات للشخص الواحد في السنة(٣٩). ومنذ العام ٦٧ — ٦٨ بدأت الانروا تحويل الطلاب الجدد الراغبين بالانتساب الى دور المعلمين والمعلمات في غزة ، الى مركزي التدريب التابعين للانروا في الضفة الغربية(٤٠)، حيث التحق في ذلك العام ٤٠٧ طلاب من غزة بمركزي التدريب في رام الله ، منهم ١٥٠ طالبا و ٢٥٧ طالبة(٤١). اما التدريب المهني الذي توفره الانروا فيتم اجمالا في مركز التدريب المهني للشبان في غزة ، كما ان بامكان الشباب او الشابات الالتحاق بمركزي

الانروا في الضفة الغربية . وتدرس في هذه المراكز مواد البناء والميكانيك والكهرباء ، والمهن النسوية — في رام الله — حيث يشترط اتمام الدراسة الاعدادية(٤٢). غير انه يشترط ان يكون الطالب حائزا على الشهادة الثانوية العامة للالتحاق بمراكز تدريب المعلمين . وقبل ان نعقد مقارنة بين التدريب المهني وتدريب المعلمين الذي توفره الانروا والدول العربية الاخرى ، يجب ان نلاحظ ان الانروا لا توفر التدريب المهني على مستوى ما بعد الثانوي ، على غرار الدول العربية . وهو لا يتم — كما لاحظنا — في القطاع ، بل في مركز رام الله التابع للانروا . وكذلك بالنسبة للتدريب المهني حيث يوجد في القطاع مركز واحد للذكور يؤمن التدريب في عدد محدود من الحرف ولمدة سنتين في حين ان هذا التدريب يتم في مصر مثلا في مدارس متخصصة — زراعية، تجارية، صناعية ، ولمدة ثلاث سنوات(٤٣).

ويقودنا هذا الى نقطة اخرى هي قول الانروا انها تطبق في مدارسها مناهج الدول المضيفة ، ويكفي في هذا المجال ان نوضح بأن الناحية المهنية التي توفرها الوكالة تختلف من حيث النوع والحجم عما هو مطبق في مصر . ومن الدلائل على عدم كفاية مركز التدريب المهني التابع للانروا في غزة ، ان الحكومة المصرية هي التي اقترحت على الانروا توسيع المركز بدءا من العام الدراسي ٦٧/٦٦ بهدف زيادة طاقة المركز من ٣٦٨ الى ٥٦٨ طالبا وفتح فروع جديدة ، وعرضت تمويل انشاء الابنية الاضافية اللازمة (الورش/وغرف المنامة وغيرها) وتغطية النفقات المتكررة للطلاب الاضافيين الذين سيدخلون المركز على اساس دفع اعانة عن كل طالب(٤٤). وعلى اي حال ستقوم الان بمقارنة التدريب المهني واعداد المعلمين على المستوى الثانوي في مصر مع قطاع غزة مع العلم ان الارقام الخاصة بالانروا لا تنحصر في المستوى الثانوي لان مراكز الانروا تضم طلابا انهوا المرحلة الاعدادية وطلابا انهوا المرحلة الثانوية وذلك بحسب المهن المختارة بينما تقتصر الارقام الخاصة بمصر على الطلبة في مستوى المرحلة الثانوية .

جدول رقم ٥

الطلبة اللاجئون في غزة في دور المعلمين (غزة والضفة الغربية)(٤٥)
ونسبتهم الى الطلاب الثانويين

الطلبة الثانويون	طلبة دور المعلمين في غزة		في الضفة الغربية		المجموع		النسبة المئوية
	ذ	ا	ذ	ا	ذ	ا	
١٩٦٧ ٨٩٦٨	١٤١	١٠٩	—	—	١٤١	١٠٩	٢،٦
١٩٧٠ ٧٥٦٨(٤٦)	٣٠	٣٩	١٨٨	١٥٩	٢١٨	١٩٨	٥،٥

ونلاحظ من الجدول رقم ٥ ان نسبة من هم في دور المعلمين ، الى مجموع الطلبة في المرحلة الثانوية (العدد هنا يشمل طلبة المدارس وطلبة دور المعلمين) كانت ٢،٦٪ عام ٦٧ ارتفعت الى ٥،٥٪ عام ١٩٧٠ ، ولكن يجب ان نلاحظ قبل ان نحكم على هذا الارتفاع ان انخفاضا ملموسا طرأ على عدد الطلبة في المرحلة الثانوية بين عامي ٦٧ و ٧٠ (١٤٠٠ طالب) بسبب الظروف الناجمة عن الاحتلال . بينما ارتفع عدد الطلبة في دور المعلمين وبالتحديد في مركزي الانروا بالضفة الغربية بعد توقف ادخال الطلبة الى المعهدين الحكوميين في غزة . كذلك فان من بين طلبة دور المعلمين عام ١٩٧٠ كان ٦٩ طالبا وطالبة ما زالوا في المعهدين الحكوميين في غزة ، في السنة الرابعة والخامسة من دراستهم ، وبعد تخرج هؤلاء عام ١٩٧١ اقتصر وجود طلبة دور المعلمين على مركزي الانروا في الضفة الغربية . لذا ، فمن المتوقع ان تنخفض نسبة من هم في دور المعلمين الى مجموع طلبة المرحلة الثانوية ، لان عدد الطلبة الثانويين سيزداد بينما طاقة مركزي الانروا محدودة بحد ذاتها .

وفيما يتعلق بالتدريب المهني فان هذا التدريب كان يتم في مركز التدريب المهني التابع للانروا والذي كانت طاقته تتسع لـ ٣٦٨ مندوبا حتى عام ٦٧ وكذلك في المعهد الزراعي في بيت حانون والذي انتقل في عام ٦٧ الى الحكومة المصرية لتحويله الى معهد لتدريب مدربين ريفيين للمدارس الابتدائية ،

وذلك بموجب اتفاقية خاصة بين الانروا والحكومة المصرية ، وقد اقفل المركز نهائيا بعد الاحتلال الاسرائيلي عام ٦٧ واستيلاء القوات الاسرائيلية عليه(٤٧). ويبين الجدول رقم ٦ اعداد المتدربين في العامين ٦٦ — ٦٧ و ٦٩ — ٧٠ بغض النظر على المستوى الاكاديمي للمتدربين .

جدول رقم ٦

طلبة التدريب المهني في غزة (اللاجئون)

السنة	دور المعلمين	تدريب مهني(٤٨)	المجموع	٪ للتدريب المهني	النسبة المئوية للتدريب المهني
١٩٦٧	٨٩٦٨	٢٤٩	٤٢٥	٩٦٤٢	٤٤٤
١٩٧٠	٧٥٦٨	٤١٦	٥٧٨	٨٥٦٢	٦٤٧

نلاحظ من الجدول ان نسبة طلبة التدريب المهني الى الطلبة الذين يتلقون تعليما او تدريبا في المرحلة فوق الاعدادي ودون الجامعي ، كانت ٤٤٤٪ عام ٦٧ ارتفعت الى ٦٤٧٪ عام ١٩٧٠ ، وفيما يلي جدول باعداد الطلبة في التعليم الثانوي الفني في بعض الدول العربية مع ملاحظة ان هناك معاهد فنية عليا لمستوى ما بعد الثانوي ، كما ان مدة الدراسة الفنية في المرحلة الثانوية هي ثلاث سنوات في مصر في حين ان مدة الدراسة في مراكز التدريب التابعة للانروا لا تزيد عن سنتين باستثناء بعض المهن النسوية .

جدول رقم ٧

طلبة التعليم الثانوي الفني في بعض الدول العربية

السنة	البلد	الثانوي العام	الثانوي الفني ذ	الثانوي الفني ا	الثانوي الفني المجموع	نسبة الفني الى الثانوي ٪	نسبة الاناث في التعليم الفني ٪
٦٦—١٩٦٧	مصر	٢٤٣٨٧٥	٦٠٩٤٩	٢٩٠٠٦	١١٩٦٥٥	٣٣	٢٤(٤٩)
٦٩—١٩٧٠	مصر	٢٩٣١٤٤	١٦٨٤٥٣	٧٣١٣٧	٢٤١٥٩٠	٤٥	٣٠
٦٥—١٩٦٦	سوريا	٢٩٧٢٨	٣٨٨٢	٧١٤	٤٥٩٦	١٥،٥	١٥،٦(٥٠)
٦٦—١٩٦٧	الاردن	٢٣١١٧	١٩٨٠	٦٨	٢٠٤٨	٩	٣،٤ (٥١)

وبمقارنة هذا الجدول مع الجدول السابق نلاحظ أن نسبة طلبة التدريب المهني الى مجموع طلبة المرحلة الثانوية هي في قطاع غزة (اللاجئون — اي ما توفره الانروا) اقل منها بكثير في الدول العربية . ففي حين ان هذه النسبة تبلغ لدى الانروا ٥٪ نجد انها تبلغ ٤٥٪ في مصر ، كما كانت تبلغ ١٥٪ في سوريا و ٩٪ في الاردن منذ اكثر من ثلاث سنوات . ومن ناحية اخرى نلاحظ ان نسبة الفتيات من طلبة التعليم المهني كانت ٣٠٪ في مصر عام ١٩٧٠ وحوالي ١٦٪ في سوريا عام ٦٦ و ٣،٤٪ في الاردن عام ٦٧ . بينما لا نجد فتاة واحدة من قطاع غزة تتلقى تدريبا فنيا في مراكز الانروا ، كما انه لا يوجد مركز للتدريب المهني النسوي في القطاع . وتعكس المقارنة مفارقة كبيرة اذ اعدنا للذهن ان التعليم بكل فروعه هو الرأسمال الوحيد ، والحرفة الوحيدة تقريبا بالنسبة لشباب اللاجئين بينما لا ينطبق هذا الوضع على الدول العربية حيث للمواطن موارد اخرى للحياة . ولذلك نكرر القول بأنه ليس مهما ان تطبق الانروا في مدارسها الابتدائية والاعدادية المنهاج الدراسي المطبق في الدولة المضيفة بقدر ما هو مهم ان تسير الانروا في سياستها التعليمية وفق السياسات المتبعة في الدول المضيفة على الاقل ، وان تتوجه هذه الخطة الى تأمين التعليم والتدريب الفني المتنوع للشباب الفلسطيني لان انهاء الطالب للتعليم الاعدادي فقط لا يؤهله عمليا لاي شيء .

المدارس والطلاب

بلغ عدد مدارس الانروا في القطاع عام ١٩٦٧، ١٠١ مدرسة ابتدائية واعدادية ، يعمل فيها ١٥٠٢ معلم ومعلمة ، وتضم ٥٨ الف طالب وطالبة . ولقد

تعرضت معظم هذه المدارس للخطر اثناء العدوان الاسرائيلي فتعرضت ٩٠ مدرسة الى التدمير او النهب ، وقدرت الخسارة التي نجمت عن ذلك بـ ٢٢٠ الف دولار . ثم اعادت الانروا اصلاح هذه المدارس وتجهيزها قبل نهاية العام المذكور باستثناء مدرسة واحدة في رفح كانت قد دمرت تدميرا كاملا[٥٢]. وفي عام ١٩٧٠ اصبح عدد مدارس الانروا ١٠٨ مدارس، تضم حوالي ٥٩ الف طالب وطالبة ويعمل فيها ١٥٣١ معلما ومعلمة . أما بالنسبة للمدارس الرسمية والخاصة فقد كان عددها في القطاع في العام الدراسي ٧٠ — ٧١ ، ٥٤ مدرسة رسمية لمختلف المراحل تضم ٣٩٢٣٤ طالبا ويعمل فيها ٩٥٩ معلما ومعلمة . وكذلك كان في القطاع في العام المذكور ١٩ مدرسة خاصة تضم ١٧١٣ طالبا وطالبة ويعمل فيها ٥٨ معلما ومعلمة[٥٣]. ولا تتوفر لدينا معلومات عن سعة المدارس او حجمها ومواقعها بالنسبة للمدارس الرسمية والخاصة ولذلك سنقتصر في الحديث عن هذه الناحية على مدارس الانروا . قلنا انه كان لدى الانروا ١٠٨ مدارس عام ٧٠ ، منها ٧٢ مدرسة ابتدائية و ٣٦ مدرسة اعدادية ، بالاضافة الى ١٩ وحدة تدريب يدوي ، و ٢٧ وحدة لتدريب اقتصاديات المنزل تابعة للمدارس الاعدادية . غير ان الارقام التي تقدمها الانروا لا تبين تفصيليا عدد المكتبات المدرسية والمختبرات واوضاعها خاصة في المدارس الاعدادية ، ولا تذكر في بنود توزيع النفقات المالية اي شيء عن ذلك . لذلك يقتصر حديثنا بالدرجة الأولى على حجم هذه المدارس ومواقعها ونوعها وسعتها .

يوجد في غزة (عام ٧٠) ١٠٨ مدارس او وحدة مدرسية قائمة في ٩٥ بناء مدرسيا ، حيث يوجد ١٣ مبنى مدرسيا يضم كل منها مدرستين بادارتين منفصلتين . وتحتوي هذه المباني المدرسية على ١١٥٣ غرفة تدريس من ضمنها ٧ غرف للتدريب اليدوي ، وتستعمل معظمها نظام الدوام الواحد ، اذ يوجد نظام الدوام المزدوج في ٢٧ مدرسة ابتدائية فقط . كذلك فان غرف التدريس في هذه المدارس كبيرة نسبيا اذ ان هناك ٤٧١ غرفة تزيد مساحة الواحدة منها على ٤٠ مترا مربعا ، و ٦١٤ غرفة تزيد مساحتها على ٤٥ مترا مربعا ، ولا يوجد في مدارس الانروا ، في المناطق الاخرى ، غرف بهذا الحجم[٥٤]. واذا قارنا عدد الطلبة بعدد المباني المدرسية وغرف التدريس (باستثناء ٧ غرف مخصصة للتدريب) نجد ان معدل عدد الطلبة في البناء الواحد هو ٦٢٥ طالبا وطالبة ومعدل عدد الطلبة في غرفة التدريس هو ٥١ طالبا (كان عدد الطلبة عام ٦٩ — ٧٠ ، ٥٩٠١٧٣) . ولكن اذا اردنا معرفة العدد الفعلي للطلبة الذين يستعملون الغرفة الواحدة فلا بد من مقارنة عدد الطلبة بعدد الفصول او الشعب حيث هناك ٢٧ مدرسة تستخدم النظام المزدوج . والجدول رقم ٨ يبين عدد الوحدات المدرسية (المدارس) وعدد الشعب ومعدل الطلبة في الفصل الواحد :

جدول رقم ٨

مدارس الانروا : عددها ونوعها وسعتها عام ١٩٧٠ [٥٥]

المدارس ذ	ا	مختلطة	دوام واحد	دوام مزدوج	دوام مخيم	دوام مدينة	دوام قرية	الفصول	الطلاب	سعة الفصل	سعة المدرسة
ابتدائي	٧٢	٣٣	٣٢	٧	٤٥	٢٧	٥٦	٦	٧	٨٧٥	٤٢١٤٧	٤٨٠٢	٥٨٥
اعدادي	٣٦	١٩	١٧	—	٣٦	—	٢٤	٨	٤	٣٥٥	١٧٠٢٦	٤٨٠٠	٤٧٣
المجموع	١٠٨	٥٢	٤٩	٧	٨١	٢٧	٨٠	١٧	١١	١٢٣٠	٥٩٠١٧٣		

نلاحظ من الجدول ان هناك ٧ مدارس مختلطة في غزة، جميعها في المرحلة الابتدائية، اي ثمن المدارس المختلطة الابتدائية لدى الانروا في المناطق الاربع ، حيث يبلغ عدد هذه المدارس ٥٦ مدرسة منها ٢١ في الاردن و٢٣ في لبنان و٥ مدارس في سوريا[٥٦]. اما في المرحلة الاعدادية فالمدارس المختلطة التابعة للانروا قليلة هي ايضا ، اذ يبلغ عددها ١٥ مدرسة منها ٣ مدارس في الضفة الغربية و ١٢ مدرسة في لبنان[٥٧]. اما في سوريا والضفة الشرقية وغزة فلا توجد مدارس اعدادية مختلطة . وفيما يتعلق بنظام الدوام فان المدارس التي تتبع نظام الدوام المزدوج قليلة في غزة قياسا بمدارس الانروا في

المناطق الاخرى ، مما يعني زيادة الطاقة الاستيعابية لمدارس غزة بالنسبة لغيرها . ففي المرحلة الابتدائية يوجد ١٣٣ مدرسة تتبع نظام الدوام المزدوج الكامل ، منها ٢٧ مدرسة في غزة و ٦٨ في الضفة الشرقية و ٨ في لبنان و ٣٠ مدرسة في سوريا(٥٨). وفي المرحلة الاعدادية يوجد ٤٠ مدرسة تتبع هذا النظام منها ٢٩ في الضفة الشرقية ومدرسة واحدة في الضفة الغربية ومدرسة في لبنان و ٩ في سوريا ولا يوجد اية مدرسة اعدادية تتبع نظام الدوام المزدوج في غزة(٥٩). وتمتاز المدارس في غزة بكبرهـا وارتفاع عدد الطلبة في المدرسة الواحدة . ففي المرحلة الابتدائية يوجد في غزة ١٥ مدرسة تحتوي الواحدة على ١٥ فصلا ، وذلك من اصل ٣١ مدرسة للانروا بهـذا الحجم في المناطق الاربع ، اي نصف هذه المدارس . وفي المرحلة الاعدادية يوجد في غزة ١٤ مدرسة تحتوي الواحدة على ١٢ فصلا من اصل ٢٤ مدرسة تابعة للانروا في المناطق الاربع ، اي نصف هذه المدارس ايضا(٦٠). ومن ناحية اخرى يوجد في غزة ٤٢ مدرسة ابتدائية تضم الواحدة منها بين ٥٠٠ ـ ٧٠٠ طالب وذلك من اصل ٩٨ مدرسة منها ٣٦ في الضفة الشرقية و ١٠ في لبنان و ٧ في سوريا و ٣ في الضفة الغربية اي ان العدد الاكبر لهذا النوع من المدارس هـو في غزة . وكذلك الامر في المرحلة الاعدادية حيث يوجد في غزة ٢٦ مدرسة من الحجم المذكور ، وذلك من اصل ٥٢ مدرسة ، منهـا ١٩ في الضفتين و ٥ في لبنان ومدرستان في سوريا . من جهة اخرى ، تشهد مدارس غزة ارتفاعا ملحوظا في معدل عدد الطلبة في الفصل الواحد . ومن المعروف ان عدد الطلبة في الفصل الواحد يؤثر مباشرة على مستوى الدراسة اذ كلما كان العدد أقل كانت الفـائدة اكبر . ويبلغ معدل عدد الطلبة في الفصل الواحد في المرحلة الابتدائية في غزة ٤٨،٢ بينما هو في الضفة الشرقية ٤٤،٨ وفي الضفة الغربية ٣٨،١ وفي لبنان ٣٩،٢ وفي سوريا ٣٩،٨(٦١). وفي المرحلة الاعدادية يبلغ هذا المعـدل ٤٨ في غزة بينما هو ٤٢،٩ في الضفة الشرقية و ٣٥،٢ في الضفة الغربية و ٣٤،٩ في لبنان و ٣٨،٦ في سوريا(٦٢). ويبدو من الارقام المذكورة ان الصفوف في مدارس الانروا اجمـالا مزدحمة تماما وخاصة في غزة . وتقول الانروا في احد تقاريرها ان هذه الارقام تنطبق على المدارس التي تمتلكها الوكالة والمدارس التي تستأجرهـا ـ « وهذه عادة بيوت لا يمكن ان تستوعب اكثر من٣٥ طالبا في غرفها الصغيرة»(٦٣). ويذكر التقرير ذاته ان معدل عدد الطلبة في الفصل الواحـد في الدول العربية المضيفة هو بين ٤٠ ـ ٤٥ في المرحلة الابتدائية و ٣٥ في المرحلة الاعدادية . ثم يذكـر التقرير المتطلبات المالية التي يتوجب على الانـروا تامينهـا اذا كانت ستتبع مـا هو قائم في الدول العربية من اجل حل مشكلة الازدحام بحيث تبلغ النفقات المتكررة للمرحلة الابتدائية ٤٩٧ الف دولار سنويا وللمرحلة الاعدادية مليون و ٤١٢ الف دولار سنويا بالاضافة الى النفقات الثابتة ، مما يعني ضمنا ان الانروا غير قادرة عـلى اتباع مثل هذا النظام(٦٤). وبالفعل فان مقارنة الارقام المذكـورة سابقا والخاصة بالعام ١٩٧٠ مع الارقام الخـاصة بالعام ٦٦ ـ ٦٧ والتي يشير اليها تقرير الانـروا المذكور ، تبين انه لم يطرأ اي انخفاض على معدل عدد الطلاب في الفصل الواحد . ففي العام ٦٦/٦٧ كان المعدل في المرحلة الابتدائية هو ٤٣ في الاردن و ٤٨ في غزة و ٤٠ في سوريا و ٣٨ في لبنان ، وهي الارقام ذاتها تقريبا للعام ١٩٧٠ ، بينما طرأ ارتفاع على هذا المعدل في المرحلة الاعدادية . اذ كـان المعدل ٣٥ في الاردن (اصبح ٣٩ عام ١٩٧٠) وفي غزة ٤٧ (اصبح ٤٨) وفي سوريا ٣٨ اصبح ٣٩ وفي لبنان كان ٣٠ اصبح ٣٥(٦٥). وسنلاحظ هذا الامر عموما وبالنسبة لغزة عندما نتكلم عن معـدل الطلبة بالنسبة للمعلم الواحد .

سبق وذكرنا ان تقارير الانروا السنوية تخلو من تفاصيل احصائية حول المكتبات المدرسية (عددها، اماكنها ، عدد الكتب فيها ، نفقاتها) والمختبرات ، غير ان ما تذكره الانروا حول هذه الامور يمكن ان يعطي بشكل عام صورة عن الواقع المتدني في هذه الناحية . تقول الانروا في تقريرها عن سير العمل في العام الدراسي ٦٦ ـ ٦٧ ان معدل ما خصصته الوكالة لمدارسها الابتدائية حتى ذلك الوقت لتزويد مكتباتها بالكتب بلغ ٣٠ دولارا فقط للمدرسة في العام الواحد ، وان ذلك المبلغ المتواضع لم يتح في اكثر الحالات توفير اكثر من نواة لمكتبة ، وانه يستحسن ان تزاد الاعتمـادات المخصصة لتزويد مكتبـات المدارس بالكتب الى معدل ١٠٠ دولار لكل مدرسة في العام الواحد وان يعين لكل مدرسة معلم يعمل نصف الوقت للاشراف على المكتبة وتشجيع تطوير عادة المطالعة بين الطـلاب . ويضيف التقرير ان اعتماد ذلك في المدارس الابتدائية والاعدادية يتطلب نفقات متكررة سنويا تقدر بـ ٣٠٧ الاف دولار(٦٧)،

وكان الانروا تريد ان تقول ان مواردها المالية المحدودة ، لا تمكنها من اجراء التحسينات وسد الثغرات التي يعاني منها التعليم الذي توفره . ومن خلال ملاحظة بعض مدارس الانروا في لبنان ، فان المكتبات المدرسية تكاد تكون معدومة وهي تقوم في حال وجودها على اكتاف الطلبة من الناحية المالية ، ولا يوجد معلم متفرغ لشؤون المكتبة ، كما لا توجد غرف خاصة بالمكتبات او المطالعة .

اما بالنسبة للمختبرات فتقول الانروا في التقرير المذكور انها لم تقم بتوفير المختبرات لاستعمال الطلاب الذين يدرسون العلوم العامة ، وانما حاولت معالجة هذا النقص بتوفير مجموعات من الادوات الخاصة بايضاح العلوم ، وانه لو توفرت الاموال اللازمة لاعتبرت الوكالة انه من المستحسن انشاء غرف لمختبرات العلوم للنصف الاعلى من السنوات التسع — الابتدائي والاعدادي — بمعدل مختبر واحد لكل ١٨ شعبة صف ، وذلك يتطلب ١٥٣ مختبرا علميا تبلغ تكاليفها حوالي مليون دولار[٦٨]. ويذكر تقرير الانروا عن العام الدراسي ٦٩ — ٧٠ ان الانروا قامت منذ عام ٦٥ بانشاء ٢٣ مختبرا علميا ، وان ٩ مختبرات اخرى كانت قيد الانشاء في شهر تموز (يوليو) ١٩٧٠[٦٩]. ومن الواضح ان ذلك هو دون الحاجة بكثير ، فلو اخذنا ما تعتبره الوكالة مقياسا ، اي مختبرا لكل ١٨ شعبة صف ، لكان مطلوبا ان يتوفر ٧٢ مختبرا للصفوف الاعدادية فقط عام ١٩٧٠ حيث كان عدد الصفوف الاعدادية في جميع مدارس الانروا ١٣٠٠ صف في ذلك العام . اما عدد المختبرات في مدارس الانروا في غزة ، فلا يذكر عنه شيء في تقاريرها .

الطلاب : سنستعرض الان عددا من النقاط المتعلقة بالطلاب مثل : تطور عدد الطلاب — ذكورا واناثا — ومعدل عدد الطلبة بالنسبة للمعلم الواحد ، وعدد الطلبة بالنسبة للسكان الذين في سن الدراسة ، بالاضافة الى قضايا التسرب والرسوب والنجاح . وسيتركز الاستعراض على الطلبة في مدارس الانروا وذلك بسبب عدم توفر ارقام تفصيلية حول الطلبة في المدارس الرسمية باستثناء الفترة حتى عام ٥٨/٥٩ كما ان هذه الارقام لا تبين عدد الطلبة في كل صف على حدة ولا معدلات الرسوب او التسرب ، كما اننا لا نملك ارقاما حول توزيع السكان والطلبة الاصليين بحسب فئات الاعمار . لذلك سنكتفي بالاشارة الى ما هو متوفر لدينا من ارقام عند الضرورة . ويبين الجدول رقم ٩ عدد الطلبة والمعلمين والسكان حتى عام ١٩٥٩ في القطاع اجمالا ، ونسبة الطلاب الى السكان وكذلك نسبة الطالبات الى مجموع عدد الطلاب .

جدول رقم ٩

تطور اعداد الطلبة والمعلمين في قطاع غزة

السنة	السكان	عدد الطلاب	عدد المعلمين	الابتدائي ذ	الابتدائي ا	الاعدادي ذ	الاعدادي ا	الثانوي ذ	الثانوي ا	المجموع ذ	المجموع ا
١٩٥٣	٣٠٦٢٧٢	٤٩٠٦٨	١٠٢٢	٢٣٧٦٣	١٠٣٦٦	١١٣٠١	١٥٨١	١٩٦٠	٩٧	٣٧٠٢٤	١٢٠٤٤[٧٠]
١٩٥٦	٣٣٦٠٥٥	٥٨٨٣٩	١٦١١	٢٢٢٩٣	١٢٣٩٧	١٤٧٤٠	٣٢٥٣	٢٥٩٩	٢٠٨	٣٩٦٣٢	١٥٨٥٨[٧١]
١٩٥٩	٣٦٧٠٢٠	٦٨٩٢٢	١٨٠٦	٢٨٥٢٧	١٩٠٣٣	٩١٠٢	٢٤٨٥	٧٥٥٨	١٣٤٩	٤٥١٨٧	٢٢٨٦٧[٧٢]
١٩٦٦	٤٥٥٠٠٠	٩٥٩٣٦[٧٣]									

ان نسبة مجموع الطلبة الى السكان كما يستنتج من الجدول كانت ١٦ ٪ عام ٥٣ ، ارتفعت الى ١٧٫٥ ٪ عام ٥٦ ، ثم الى ١٨ ٪ عام ١٩٥٩ . وهي نسبة مرتفعة تماما اذا قورنت بما هو قائم في الدول العربية المشيقة . ففي عام ١٩٦٠ كانت هذه النسبة ١٣ ٪ في كل من لبنان وسوريا وحوالي ١١ ٪ في مصر[٧٤]. وتبدو هذه النسبة اكثر ارتفاعا لدى اللاجئين في القطاع حيث كانت هذه النسبة ١٩ ٪[٧٥] عام ٥٥ وحوالي ٢٠ ٪ عام ١٩٦٠[٧٦]، وارتفعت الى ٢٢ ٪ عام ٦٥[٧٧]. ويبين الجدول رقم ١٠ نسبة الطلاب الى السكان في الدول العربية وغزة لعام ١٩٦٥ .

وواضح من الجدول رقم ١٠ ان نسبة الطلاب الى السكان لدى لاجئي غزة اعلى منها في الدول العربية . ومن ناحية اخرى فان هذه النسبة لدى لاجئي غزة هي اعلى منها لدى السكان الاصليين ، اذ ان

جدول رقم ١٠

نسبة الطلاب الى السكان في بعض الدول العربية عام ١٩٦٥(٧٨)

البلد	السكان	الطلاب	النسبة المئوية
مصر	٢٩١٩٠٠٠٠	٤٤٤٢٦٨٠	١٥
سوريا	٥٦٢٤٢٦٣	٩٠٠٠٠٠	١٦
لبنان	٢٣٦٧١٤١	٤٥٤٥١٠	١٩
غزة	٢٩٦٩٤١	٦٤٨١٦	٢٢

هذه النسبة كانت لديهم ٢٠ ٪ عام ١٩٦٦ . اما على الصعيد الفلسطيني فالجدول رقم ١١ يبين عدد السكان والطلاب ونسبة الطلاب الى السكان اللاجئين في الدول المضيفة الاربع .

جدول رقم ١١

السكان والطلاب اللاجئين في الدول العربية المضيفة عام ١٩٦٥

البلد	السكان(٧٩)	الطلاب(٨٠)	النسبة المئوية
غزة	٢٩٦٩٤١	٦٤٨١٦	٢٢
الاردن	٦٨٨٣٢٧	٩٩٢٥٩	١٤
لبنان	١٥٩٧٨٣	٣١٨٤١	٢٠
سوريا	١٣٥٧٧٢	٣٢٠٥٩	٢٣

ويتضح من الارقام المبينة اعلاه أن غزة تأتي في المرتبة الثانية بعد سوريا من حيث نسبة الطلاب الى السكان في المراحل الثلاث ، الابتدائية والاعدادية والثانوية . وعدد السكان المبين في الجدول هو عدد اللاجئين المسجلين لدى الانروا ، سواء من يتلقى اعاشة او لا ، كذلك فان اعداد الطلبة تشمل الطلبة اللاجئين ، ابناء اللاجئين المسجلين لدى الانروا ، سواء كانوا في مدارس الانروا او الطلبة الذين يتلقون تعليمهم في المدارس الرسمية والخاصة وتدفع الانروا اعانات مالية ، وكذلك الطلبة اللاجئين في هذه المدارس والذين لا يتلقون أية اعانات مالية من الانروا . غير ان ذلك لا يعني ان هذه الاعداد تشمل جميع الفلسطينيين اذ ان ارقام الانروا تنحصر في اللاجئين بحسب تعريفها للاجيء ولاتشمل الفلسطينيين غير المسجلين كلاجئين . واذا قارنا بين الجدولين السابقين نلاحظ ان نسبة الطلبة الى السكان هي لدى اللاجئين أعلى منها في الدول العربية المضيفة . ولكن لا بد من تكرار الملاحظة هنا وهي اننا سنلاحظ هذا الفارق في التعليم لدى اللاجئين والدول العربية ما دام الامر يتعلق بنسبة الطلاب الى السكان وهو موضوع يعكس مدى اقبال الطلاب على التعلم ، او مدى توفر المدارس ، ولا شك ان الحافز الى التعلم لدى اللاجئين قوي للغاية لان التعلم هو الرأسمال الوحيد او جواز مرور اللاجيء الى الحياة ، كذلك فان انعدام الملكية الصناعية او الزراعية ، وتركز اللاجئين حول المدن في مقابل وجود قطاع ريفي في الدول العربية وما يعانيه هذا القطاع من تخلف وما يسوده من علاقات ، نقول ان تلك عوامل لها اثرها في زيادة اقبال اللاجيء على التعلم ، وارتفاع نسبة الطلاب اجمالا في مجتمع اللاجئين قياسا بالطلاب في الدول العربية . غير ان هذا الفارق يتغير لصالح الدول العربية عندما يتعلق الامر بالنواحي الفنية التي تتناول نوعية التعليم ومستواه وتوفير الشروط الضرورية لتحسينه مثل المكتبات المدرسية والمختبرات ومعدل عدد الطلاب في الفصل الواحد ... الخ .

واذا عدنا الى الجدول رقم ٩ نستخلص ان سكان القطاع قد ازدادوا بنسبة ٢٢ ٪ من عام ٥٣ حتى عام ٥٩ ثم ازدادوا بنسبة ٢٤ ٪ من العام ٥٩ حتى العام ٦٦ . اما عدد الطلاب في المراحل الثلاث فقد ازداد بنسبة ٢٠ ٪ حتى عام ٥٩ ثم ازداد خلال سبع سنوات ، اي حتى عام ٦٦ بنسبة ١٧ ٪ فقط . اي ان الزيادة في عدد الطلاب كانت اقل من نسبة الزيادة في عدد السكان بينما يختلف الوضع بالنسبة للدول العربية . فخلال سبع سنوات اي من عام ١٩٦٠ حتى ١٩٦٧ ازداد عدد السكان في الدول العربية بنسبة ٢٢٪ بينما ازداد عدد الطلاب في الفترة ذاتها بنسبة ٦٠ ٪ اي ثلاثة اضعاف نسبة الزيادة في السكان . وبالنسبة للزيادة في كل مرحلة على حدة ، كانت الزيادة الكبرى في المرحلة الثانوية حيث ازدادت بنسبة ١١٩ ٪ وبلغت الزيادة في المرحلة الابتدائية ٥٠ ٪(٨١) . اما في مدارس الانروا فكانت الزيادة في هذه الفترة اقل مما هي في الدول العربية . وفي غزة تحديدا بلغت الزيادة في الفترة المذكورة ١٢،٨ ٪ في المرحلة الابتدائية و٨٠ ٪ في المرحلة الاعدادية(٨٢) . غير ان المقارنة بين الارقام على هذا النحو لا تكفي بل المهم ان نعرف مدى استيعاب المدارس الموجودة لمن هم في سن الدراسة . ويستحسن قبل ذلك ان نلاحظ ان الزيادة في عدد الطلاب يرافقها عادة زيادة مماثلة في عدد المعلمين . وهنا نلاحظ من جديد فرقا في

عدد الزيادة بين معلمي الانروا ومعلمي الدول العربية . ففي الدول العربية ازداد عدد المعلمين في الفترة المذكورة بنسبة ١٤٣ ٪ مقابل ٥٩٫٥ ٪ زيادة في عدد الطلاب . اما في مدارس الانروا فقد كانت نسبة الزيادة في عدد المعلمين اقل منها في عدد الطلاب ، وفي غزة مثلا ازداد عدد الطلاب في مدارس الانروا بنسبة ٢٥ ٪ بينما ازداد عدد المعلمين بنسبة ٢٢٫٥ ٪ وتتضح الزيادة في المناطق الاخرى من الجدول رقم ١٢ .

جدول رقم ١٢

عدد المعلمين في مدارس الاونروا والدول العربية

البلد	المعلمون (٨٢) ١٩٦١/٦٠	(٨٤) ١٩٦٧/٦٦	الزيادة ٪	الطلاب في المرحلة الابتدائية والاعدادية ١٩٦١/٦٠	١٩٦٧/٦٦	الزيادة ٪
غزة	١٢٢٥	١٥٠٢	٢٢٫٥	٤٦٤٣٢	٥٨٠٧٢	٢٥(٨٥)
الاردن	١٤١٦	٢١٢٤	٥٠	٤٦٣٤٤	٧٨٦٨٧	٦٩٫٨
لبنان	٦١٦	٧١٧	١٦٫٤	١٨٤٥١	٢٤١٩٥	٣١
سوريا	٥٠٧	٧٩٦	٥١٫٦	١٧٢٧٤	٢٦٠١٣	٥٠٫٦
الدول العربية	١٨٠ (الفا)	٤٣٨ (الفا)	١٤٣ (٨٦)	٨٠٤٢٥٫٤	١٣٤٤١٫٨	٥٩٫٥

تجدر الملاحظة الى ان الارقام الخاصة بالانروا تقتصر على المرحلتين الابتدائية والاعدادية ، اما الارقام الخاصة بالدول العربية سواء بالنسبة للطلاب او المعلمين فهي تشمل المراحل الثلاث ، ابتدائية ، تكميلية وثانوية . كذلك فان الزيادة في مدارس الانروا متفاوتة سواء بالنسبة للطلاب ام للمعلمين . ففي الاردن مثلا ازداد عدد الطلاب بنسبة ٦٩٫٨ ٪ بينما ازداد عدد المعلمين بنسبة ٥٠ ٪ ، وفي لبنان كانت الزيادة في عدد الطلاب حوالي ضعف الزيادة في عدد المعلمين ، اما في سوريا فقد كانت نسبة الزيادة في عدد المعلمين تزيد قليلا عنها في عدد الطلاب . واذا كان لهذا الامر من دلالة فهي انه يعكس معدل عدد الطلاب بالنسبة للمعلم الواحد والذي يرتبط بدوره بفعالية التعليم ، اذ من المعروف ان السياسات التعليمية الحديثة تميل الى تخفيض هذا المعدل قدر الامكان حتى تسهل امكانية التفاعل بين المعلم والطالب ، فينال كل طالب الاهتمام الكافي من المعلم ، وتزداد الفائدة من مادة التدريس . وفي الفترة المذكورة (٦٠ — ١٩٦٧) انخفض معدل عدد الطلبة للمعلم الواحد في المرحلة الابتدائية في الدول العربية من ٣٨ الى ٣٥ طالبا(٨٧) ، اما في مدارس الانروا فقد ازداد هذا المعدل . وفي الجدول رقم ١٣ تبيان لمعدل عدد الطلبة للمعلم الواحد في المرحلتين الابتدائية والاعدادية معا ، ذلك ان الانروا لم تكن عام ١٩٦٠ تفرق بين المعلم الابتدائي والمعلم الاعدادي بل تذكر الرقم الاجمالي للمعلمين في مدارسها .

جدول رقم ١٣

معدل عدد الطلبة للمعلم الواحد في مدارس الانروا (الابتدائية والاعدادية)(٨٨)

السنة	غزة	الاردن	لبنان	سوريا
٦٠ — ٦٠	٣٧٫٨	٣٢٫٧	٣٠	٣٤
٦٦ — ٦٧	٣٨٫٩	٣٧٫٦	٣٤٫٣	٣٤٫٤

ومن الواضح ان معدل عدد الطلبة للمعلم الواحد قد ارتفع في المناطق الاربع ، وبشكل خاص في الاردن ولبنان حيث ارتفع في الاولى من ٣٢ الى ٣٧ طالبا وفي الثانية من ٣٠ الى ٣٤ طالبا . ويتضح من الجدول كذلك ان معدل عدد الطلبة للمعلم الواحد في المرحلتين الابتدائية والاعدادية معا في مدارس الانروا يساوي تقريبا معدل عدد الطلبة للمعلم الواحد في المرحلة الابتدائية في الدول العربية . اما معدل عدد الطلبة للمعلم في المرحلة الابتدائية وحدها في مدارس الانروا فهو أعلى من ذلك بكثير وخاصة في غزة حيث كان المعدل ٤٦٫٧ عام ٦٦ — ٦٧ . وهذا المعدل هو من ناحية اخرى أعلى منه في مدارس الانروا في باقي المناطق . ففي الاردن كان هذا المعدل في العام ذاته ٤١٫٥ وفي لبنان ٣٨٫١ وفي سوريا ٣٧٫٢(٨٩).

يمكن القول ، تلخيصا لما سبق ، ان التعليم في

غزة يتصف بأمرين ، مقارنة بالمناطق الاخرى : فمدارس غزة تشهد زيادة نسبية في عدد الطلاب وعدد المعلمين اقل منها في المناطق الاخرى ، وبالمقابل فان معدل عدد الطلبة للمعلم الواحد ، او في الفصل الواحد هو في مدارس غزة اعلى مما هو في المدارس الاخرى .

الاستيعاب : فيما يتعلق بالاستيعاب سنتعرض لنقطتين : الاولى تتعلق بطاقة المدارس القائمة على استيعاب من هم في سن الدراسة ، والثانية تتعلق بنسبة من هم في المدرسة ومن هم خارجها ممن هم في سن الدراسة .

أ — **سعة المدارس** : عندما نتكلم عن طاقة استيعاب المدارس للطلاب فاننا نفترض ضمنا اتباع المدارس لنظام الدوام الواحد ، اي ان يستعمل الفصل الواحد الغرفة الواحدة طيلة النهار . والسبب في هذا الافتراض هو ان وقت الفراغ ، الناجم عن نظام الدوام المزدوج ، في مجتمع كمجتمع اللاجئين ، حيث لا تتوفر وسائل للنشاط او مراكز للثقافة (مكتبات ، اندية ، برامج نشاط مختلفة ... الخ) قد يصبح سببا في وجود عدد من المشكلات الاجتماعية المختلفة .

ذكرنا انه كان في ١٩٧٠ بمدارس الانروا في غزة ٥٩٬١٧٣ طالبا وطالبة ، و١١٥٣ غرفة للتدريس ، وان معدل عدد الطلاب في الفصل الواحد في المرحلتين الابتدائية والاعدادية هو ٤٨ طالبا(٩٠) . وفي حال اتباع نظام الدوام الواحد يصبح الطلاب بحاجة الى ١٢٣٥ غرفة تدريس . ولكن اذا سارت الوكالة بحسب ما هو حاصل في الدول العربية ، اي جعلت معدل عدد الطلاب في الفصل الواحد لا يزيد على ٤٠ طالبا (كان معدل عدد الطلبة في الفصل الواحد في مصر عام ٦٨ — ٦٩ كما يلي : ٤٢ في المرحلة الابتدائية و٣٧ في المرحلة الاعدادية) ، لاحتاج الطلاب في غزة الى ١٤٨٠ غرفة تدريس ، اي الى ما يزيد على ٤٠٠ غرفة عما هو موجود بالفعل .

ب — **الاطفال خارج المدرسة** : تستغرق فترة الدراسة في المرحلتين الابتدائية والاعدادية في غزة ٩ سنوات ، اي من سن ٦— ١٤ سنة . ولكن لا بد ونحن بصدد معرفة من هم خارج المدرسة في هذه الفئة من العمر ، ان نعرف اولا عدد الاطفال الذين هم في سن الدخول الى المدرسة (٦ سنوات)، ويدخلونها فعلا . ويبين الجدول رقم ١٤ هذه النسبة في المناطق الاربع ، في عام ٦٦ — ٦٧ (قبل الاحتلال) ، وكذلك في عام ٦٩ — ٧٠ (بعد الاحتلال) .

جدول رقم ١٤

نسبة الاطفال داخل مدارس
الانروا الى من هم في سن السادسة(٩١)

	غزة	الاردن	سوريا	لبنان
٦٦ — ٦٧	٨٣٬٨	٥٤٬٨	٩٢٬١	٧٠٬٧
٦٩ — ٧٠	٨٢٬٢	٦٥	٩٥٬٨	٨٦٬٨

ويظهر من الجدول رقم ١٤ ان غزة تاتي في المرتبة الثالثة عام ١٩٧٠ ، اي ان نسبة من هم في المدرسة من الاطفال الى من هم في سن السادسة، هي في غزة أقل منها في كل من سوريا ولبنان . وان ١٨ ٪ من هؤلاء الاطفال هم خارج المدرسة في غزة بينما تنخفض النسبة الى حوالي ٤ ٪ في سوريا و١٣ ٪ في لبنان . اما بالنسبة لعدد من هم خارج المدرسة في سن الدراسة من ٦ — ١٤ ، فالجدول رقم ١٥ يبين ذلك في غزة مقارنة مع الدول العربية ، حيث كان المركز الاقليمي للتخطيط التربوي والادارة في الدول العربية قد قام بدراسة حول هذا الموضوع في عشر دول عربية (العراق ، الاردن ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ، المغرب ، سوريا ، السودان ، تونس ، مصر) . والجدول خاص بالعام ٦٦ — ٦٧ وهو العام الذي تنطبق عليه نتائج الدراسة العربية المذكورة .

يلاحظ من الجدول رقم١٥ ان نسبة من هم في المدرسة الى من هم في سن الدراسة في غزة اعلى بكثير مما هي في الدول العربية . ففي السنة الاولى نجد ان حوالي نصف الاطفال في الدول العربية هم خارج المدرسة بينما تبلغ هذه النسبة لدى اللاجئين في غزة ١٦ ٪ ، وكذلك اذا اخذنا المرحلة الابتدائية اي فئة العمر من ٦ — ١١ نجد ان ١٣٬٥ ٪ فقط هم خارج المدرسة في غزة بينما تصل هذه النسبة في الدول العربية الى ٤٥ ٪ اي اكثر من نصف الاطفال الذين هم في سن الدراسة الابتدائية . وكذلك الامر بالنسبة للمرحلة الاعدادية (من ١٢ — ١٤ سنة) ، ففي غزة نلاحظ من الجدول ان ربع من هم في سن الدراسة هم عمليا خارج المدرسة بينما تزيد هذه النسبة في الدول العربية على الثلثين . غير ان الجدول يبين من جهة اخرى فيما يتعلق بمدارس الانروا في غزة ، ان نسبة من هم

جدول رقم ١٥

نسبة الطلبة الى من هم في سن الدراسة (٦ــ١٤) في غزة عام ١٩٦٧/٦٦

فئة العمر	السكان	الطلاب	النسبة المئوية للطلاب في فئة العمر	النسبة المئوية لمن هم خارج المدرسة(٩٢)	النسبة المئوية لمن هم خارج المدرسة(٩٢) في الدول العربية
٦	٨٣٢٨	٦٩٧٩	٨٣٫٨	١٦٫٢	٤٧٫٧
٧	٧٦٧٢	٦٨١٢	٨٨٫٨	١١٫٢	٤٧٫٧
٨	٨٢١٠	٧٢٨٥	٨٨٫٧	١١٫٣	
٩	٦٦٤٦	٦٠٤٦	٩١٫٠	٩	٤٠٫٠
١٠	٦٧٨٦	٥٨٣١	٨٥٫٩	١٤٫١	
١١	٦٤١١	٥٢٢٥	٨١٫١	١٨٫٩	
مجموع	٤٤٠٨٣	٣٨١٧٨	٨٦٫٥	١٣٫٥	(المرحلة الابتدائية) ٥٠٫٠
١٢	٧٠٧٩	٥٤٨٣	٧٧٫٥	٢٢٫٥	
١٤	٦٥٩٦	٤٤٩٣	٦٨٫١	٣١٫٩	
١٣	٧٢٣٧	٥٤٣١	٧٥٫٠	٢٥	
مجموع	٢٠٩١٢	١٥٤٠٧	٧٤	٢٦	(المرحلة الاعدادية) ٦٩٫٦

خارج المدرسة في فئة العمر ٦ ــ ١١ عالية في سن السادسة والحادية عشرة ، اي في السنة الاولى والنهائية من هذه المرحلة ، فبالنسبة لمن هم في سن السادسة نجد ان ١٣٥٠ طفلا اي ١٦ ٪ منهم خارج المدرسة وكذلك الامر بالنسبة لمن هم في سن الحادية عشرة ، اي في السنة النهائية الابتدائية ، حيث نجد ان ١٩ ٪ من هؤلاء الاطفال هم خارج المدرسة . وتزداد نسبة من هم خارج المدرسة في المرحلة الاعدادية وبحسب السنوات تدريجيا . فمن بين الذين هم في سن الثانية عشرة ، اي الاول اعدادي ، نجد ان ٢٢٫٥ ٪ هم خارج المدرسة ، وفي السنة الثانية ٢٥ ٪ وفي السنة الثالثة تصل النسبة الى ٣٢ ٪ ، اي حوالي الثلث . ولسنا هنا بصدد مناقشة اسباب ذلك ، ولكننا نعتقد ان هذه نسبة عالية خاصة في قطاع غزة حيث مجالات العمل محدودة ، خاصة وان من لم ينه المرحلة الاعدادية لا يستطيع عمليا ممارسة عمل فني او اداري بل ان فرصته الوحيدة هي في العمل اليدوي . وبامكاننا لذلك ان نتصور ان قسما كبيرا من هؤلاء يصبحون عاطلين عن العمل . وعلى كل يستحسن ان نقارن هذه الناحية في غزة بمناطق تجمع اللاجئين الاخرى ، اي في الدول العربية المضيفة . ويبين الجدول رقم ١٦ نسبة من هم خارج المدرسة الى من هم في سن الدراسة في هذه المناطق .

جدول رقم ١٦

نسبة الطلاب الى من هم في سن الدراسة(٩٤)

عام ١٩٦٧/٦٦

العمر	غزة	الاردن	لبنان	سوريا
٦	٨٣٫٨	٥٤٫٨	٧٠٫٧	٩٢٫١
٧	٨٨٫٨	٧٧٫٠	٩٢٫٧	٩٥٫٤
٨	٨٨٫٧	٧٩٫٥	٩٥٫٦	٩٧٫٣
١١	٨١٫١	٦٢٫٩	٨٣٫٤	٨٦٫٠
١٢	٧٧٫٥	٦٣٫٣	٧٥٫٥	٨٠٫٥
١٤	٦٨٫١	٥٠٫٣	٤٩٫٠	٦٦٫١

نلاحظ من الجدول ان نسبة من هم في المدرسة الى من هم في سن السادسة من الاطفال مرتفعة نسبيا في غزة ، اذ هي أعلى منها في الاردن ولبنان، اما بالنسبة لمن هم في سن الحادية عشرة اي السنة النهائية في المرحلة الابتدائية فتأتي غزة هي المرتبة الثالثة بعد سوريا ولبنان ويختلف الوضع في المرحلة الاعدادية اذ نلاحظ ان نسبة من هم في المدرسة في سن ١٢ ــ ١٤ رغم انخفاضها افضل منها في المناطق الاخرى ، وخاصة اذا قارنا من هم في السنة الاولى الاعدادية اي في سن ١٢ الى من يفترض انهم في السنة النهائية الاعدادية اي في سن ١٤ . ففي غزة انخفضت النسبة من ٧٧ ٪

في سن ١٢ الى ٦٨ ٪ في سن ١٤ ولكن النسبة ذاتها انخفضت في الاردن من ٦٣ ٪ الى ٥٠ ٪ وفي لبنان من ٧٥ الى ٤٩ بالمئة وفي سوريا من ٨٠ الى ٦٦ بالمئة . اي ان نسبة من يتابعون تعليمهم الاعدادي في غزة وخاصة من يصلون الى السنة النهائية من هذه المرحلة منخفضة لدى الفلسطينيين عموما وان كانت في غزة أفضل منها في المناطق الاخرى ، يؤكد ذلك ان الوضع عام ٧٠/٦٩ كان تقريبا على الصورة ذاتها حيث كانت هذه النسب كما يلي :

جدول رقم ١٧

نسبة الطلاب الى من هم في سن الدراسة ١٩٧٠ (٩٥)

فئة العمر	غزة	الاردن	لبنان	سوريا	المجموع
٦ — ١١	٨٢،٧	٧٥	٩١،٣	٩٦،٣	٨١،٣
١٢—١٤	٧٤،٤	٦١،٦	٦٩،٥	٧٠،٦	٦٦،٣

ويتبين من الجدول رقم ١٧ ان نسبة الطلاب في فئة العمر ١٢—١٤ — اي في المرحلة الاعدادية — الى من هم في هذه الفئة من السكان ، هي في غزة أعلى منها في المناطق الاخرى بشكل واضح . كما يتبين ايضا ان نسبة من يتابعون دراستهم بعد المرحلة الابتدائية مرتفعة في غزة نسبيا . فقد انخفضت نسبة الطلاب الى من هم في سن الدراسة من ٨٢٪ في المدرسة الابتدائية (٦ — ١١) الى ٧٤ ٪ في المرحلة الاعدادية (١٢ — ١٤ سنة) اي بحوالي ٨ ٪ بينما انخفضت هذه النسبة بحوالي ١٤ ٪ في الاردن و٢١ ٪ في لبنان و٢٦ ٪ في سوريا . ويؤكد هذا ما سبق وقلناه عن ادراك الفلسطينيين لقيمة التعلم بالنسبة اليهم كمنفذ وحيد من أجل العمل والعيش ، وخاصة في قطاع غزة حيث تكاد فرص العمل تكون معدومة ، بسبب كثافة السكان ، وضيق رقعة الارض التي يعيشون عليها .

التسرب

بدأت دائرة التعليم في الانروا تصدر تقارير احصائية سنوية منذ عام ١٩٦٥ ، الا انها لم تكن تحتوي على تفاصيل وافية حول موضوع التسرب في قطاع غزة ، باستثناء التقرير الاحصائي الخاص بالعام ٧٠/٦٩ . ومن جهة اخرى لا تتوفر اي معلومات عن موضوع التسرب في المدارس الرسمية والخاصة في القطاع ، ولذلك فان الحديث عن التسرب سيقتصر على مدارس الانروا ، وفي الفترة التي تتوفر عنها الارقام فقط ، أي في الفترة من عام ٦٥ — ٧٠ ، كما هو مبين في الجدول رقم ١٨ :

جدول رقم ١٨

التسرب في مدارس الانروا في غزة

	/٦٥ ٦٦	/٦٦ ٦٧ (٩٦)	/٦٧ ٦٨	/٦٨ ٦٩ (٩٧)	/٦٩ ٧٠
١ ابتدائي	٢،٤	٠،٦	٧،١	٣،٩	٣،٥
٢ ابتدائي	١،٤	٠،٧	١٤،٤	٣،٣	٣،٢
٣ ابتدائي	١،٣	٠،٧	١٢،٤	٣،٠	١،٥
٤ ابتدائي	١،٣	٠،٨	١٨،٠	٢،٩	٢،٣
٥ ابتدائي	٢،٠	١،٠	١٦،٦	٣،٩	٢،٨
٦ ابتدائي	٧،١	٥،٧	٢٣،٢	٥،٥	٥،٢
المجموع	٢،٦	١،٦	١٥،١	٣،٨	٣،١
١ اعدادي	٥،٤	١،٥	٣٣	٣،٦	٣،٧
٢ اعدادي	٦،٩	٢،١	٢٧،٥	٤،٨	٤،٥
٣ اعدادي	—	—	٣٤،٧	٤،٦	٧،١

يتضح من الجدول رقم ١٨ ان نسبة التسرب قد ارتفعت بشكل كبير اثر الاحتلال الاسرائيلي للقطاع، وتؤكد ذلك الوكالة حيث تقول في تقريرها الاحصائي للعام ٦٧ — ٦٨ ان هذا الارتفاع في نسبة التسرب يعود الى نزوح اهالي القطاع بسبب الاحتلال . من جهة اخرى ، يظهر الجدول ان نسبة التسرب الكبرى تحدث في نهاية المرحلة أي في الصف السادس الابتدائي والثالث الاعدادي . ففي عام ٦٧/٦٦ كانت نسبة التسرب في السادس الابتدائي ٥،٧٪ دون ان تزيد هذه النسبة على ١٪ في أي من الصفوف الاخرى . وفي عام ١٩٧٠ كانت نسبة التسرب في السادس الابتدائي ٥،٢٪ وفي الصفوف الاخرى في حدود ٣٪ . وبمراجعة الارقام الخاصة بالعامين ٦٦ و ٧٠ — حيث يذكر التقريران الاحصائيان التسرب بين الاناث والذكور — نلاحظ ان نسبة التسرب بين الذكور والاناث تكاد تكون متساوية ، وخاصة في المرحلة الابتدائية . ففي عام ٦٦ كانت نسبة التسرب في المرحلة الابتدائية ٢،٦٪ للذكور و ٢،٧٪ للاناث(٩٨). وفي عام ٧٠ كانت نسبة التسرب بين الذكور ٢،٨٪ وبين الاناث ٣،٥٪(٩٩). اما في المرحلة الاعدادية فقد حدث تغير ملفت للنظر . فلقد كانت نسبة التسرب بين الاناث عام ٦٦ اضعافها بين الذكور بينما اصبحت النسبة بين الاناث اقل منها بين الذكور في عام ١٩٧٠ . فمثلا كانت نسبة التسرب بين الاناث ٩،٧٪ في الاول اعدادي عام ٦٦ و ١،٢٪ فقط

بين الذكور . وفي الثاني اعدادي كانت نسبة التسرب بين الاناث ١١٫٧٪ بين الذكور ٢٫٣٪ فقط(١٠٠). اما في عام ١٩٧٠ فكانت نسبة التسرب في الاول اعدادي ٣٫٣٪ للاناث و ٤٫١٪ للذكور وفي الثاني اعدادي ٣٫٧٪ للاناث و ٥٫٢٪ للذكور وفي الثالث اعدادي ٦٫٦٪ للاناث و ٧٫٧٪ للذكور(١٠١). قد يكون للاوضاع الناجمة عن الاحتلال الاسرائيلي علاقة بذلك بمعنى ان الاعتقالات من جهة والانخراط في صفوف المقاومة من جهة اخرى ، من قبل الشباب ، هي التي تجعل الشباب يتركون الدراسة . الا ان انخفاض نسبة التسرب بين الاناث في المرحلة الاعدادية ، على هذا النحو ، يؤكد حقيقة اجتماعية تتعلق بدور المرأة ومكانها في المجتمع ، أي ان العلم والعمل أصبحا هدفا للفتاة ايضا . وتتعزز هذه الحقيقة عندما نلاحظ ايضا ان نسبة الطالبات في المرحلة الثانوية تصل الى حوالي ٥٠٪ من مجموع طلاب المرحلة .

واذا اردنا معرفة عدد الذين ينهون المرحلة التعليمية بالنسبة لمن يدخلونها في بدايتها فلا بد ان تتوفر لدينا ارقام تشمل ست سنوات للمرحلة الابتدائية وثلاث سنوات للمرحلة الاعدادية . ولكن الارقام المتوفرة لدينا لا تغطي سوى الفترة بين عامي ٦٦/٦٥ فقط ، حيث بدأت دائرة التعليم في الانروا تنشر تقارير احصائية سنوية منذ عام ١٩٦٥ . ومعظم هذه التقارير لا يتضمن النواحي التفصيلية في التسرب مثل تبيان التسرب لدى الذكور والاناث ، والتسرب اثناء العطلة الصيفية واثناء السنة الدراسية . يضاف الى ذلك ان التسرب لم يكن طبيعيا في عامي ٦٧ و ٦٨ ، على الاقل بسبب ظروف النزوح والاعتقال الناجمة عن الاحتلال الاسرائيلي . لذلك لا نستطيع اعتماد الارقام الواردة كمقياس حقيقي لواقع التسرب ، كما اننا لا نستطيع اعتمادها لمقارنة التسرب في غزة مع غيرها من المناطق ، ولذا يمكننا بالنسبة لهذه الناحية ان نقارن بين غزة وغيرها في العامين اللذين سبقا الاحتلال فقط ، ويمكن عقد مقارنة للعام ١٩٧٠ على اعتبار ان عملية النزوح قد توقفت تقريبا وان كانت اوضاع القطاع ما زالت غير طبيعية(١٠٢). والجدول التالي يبين نسبة التسرب في مدارس الانروا في مناطق عملها الاربع :

جدول رقم ١٩

التسرب في مدارس الاونروا في الدول المضيفة (١٠٣)

	٦٦/٦٥				٦٧/٦٦				٧٠/٦٩			
	غزة	الاردن	لبنان	سوريا (١٠٤)	غزة	الاردن	لبنان	سوريا	غزة	ضفة شرقية	ضفة غربية	لبنان	سوريا
١ ابتدائي	٧٫١	٤٫٦	٢٫٠	٢٫٤	٠٫٦	٢٫٤	—	٠٫٤	٣٫٥	٥٫٤	٢٫٨	٦	٢٫٣
٢ ابتدائي	٢٫٠	٢٫٢	١٫٢	١٫٦	٠٫٧	٢٫٦	١٫٠	٠٫٩	٣٫٢	٥٫٣	٤	٥	٤
٣ ابتدائي	١٫٣	٣٫٠	١٫٦	١٫٩	٠٫٧	٣٫١	١٫٠	٠٫٧	١٫٥	٤٫٠	٤٫٣	٥٫٧	٣٫٤
٤ ابتدائي	١٫٣	٣٫٣	٣٫٠	٢٫٥	٠٫٨	٢٫٨	١٫٧	٢٫٣	٢٫٣	٤٫٥	٣٫٦	٩٫٩	٦٫٨
٥ ابتدائي	١٫٤	٣٫٠	٤٫٩	٣٫٦	١٫٠	٤٫٤	٤٫٥	٣٫٢	٢٫٨	٤٫٢	٤	٦	٥٫١
٦ ابتدائي	٢٫٤	٩٫٣	٣٠٫٧	١٦٫٣	٥٫٧	١٠٫٨	٤٠٫٣	١٩٫٨	٥٫٢	٨	٧٫٦	١٠	١٠
المجموع	٢٫٦	٣٫٩	٧٫٦	٤٫٢	١٫٦	٣٫٩	٩٫٩	٤٫١	٣٫١	٥٫٢	٤٫٣	٦٫٨	٩
١ اعدادي	٥٫٤	٩٫٥	٩٫٣	٦٫٠	١٫٥	٩٫٠	٦٫٧	٨٫٣	٣٫٧	١٢	١٥	٣٠٫٦	١٧٫٥
٢ اعدادي	٦٫٩	١٤٫١	١٣٫٠	٥٫٨	٢٫١	١٠٫٦	٨٫٧	٥٫٢	٤٫٥	١٧	١٤	٢١٫٦	١٤
٣ اعدادي	٨٥٫٢	١٠٠	٨٫٥	٦٢٫٠	—	—	٩٫٢	—	٧٫١	٢٧	١١٫٥	٤٠٫٨	١٧
المجموع	٣١٫٥	٢٩		٢٥٫٣	١٫٢	٧٫٧	٦٫٩	٤٫٨	٥٫١	١٦٫٧	١٣٫٥	٢٦٫٨	١٦٫٢

يبين الجدول ان نسبة التسرب في غزة اقل منها في مدارس الانروا في الدول العربية الاخرى ، سواء في المرحلة الابتدائية او الاعدادية وفي السنوات الثلاث الواردة في الجدول . في المرحلة الابتدائية كانت نسبة التسرب ٢٫٦٪ عام ١٩٦٦ في غزة و ٤٪ في الاردن واكثر من ذلك في سوريا ولبنان . وفي عام ٦٧ كانت النسبة في غزة ١٫٦٪ وفي كل من الاردن وسوريا حوالي ٤٪ بينما وصلت الى ١٠٪ في لبنان . وفي عام ٧٠ كانت النسبة في غزة ٣٫١٪ وفي الاردن ٥٪ وفي لبنان ٧٪ وفي سوريا ٩٪

واذا نظرنا الى بعض الفصول في المرحلة الإبتدائية كلا على حدة نلاحظ الفرق بشكل واضح . ففي الصف السادس الابتدائي كانت نسبة التسرب في كل من المناطق الثلاث تصل الى عدة اضعاف النسبة في غزة وذلك في عامي ٦٦ و ٦٧ اما في عام ٧٠ فقد انخفض الفارق في النسبة بين غزة وغيرها ولكنه ظل مرتفعا اذ كانت هذه النسبة ٥٫٢٪ في غزة و ٧٫٥٪ في الاردن و ١٠٪ في كل من سوريا ولبنان . اما في المرحلة الاعدادية فان الفارق في نسبة التسرب بين غزة وغيرها كبير جدا . فاذا نظرنا الى هذه النسبة في عام ٧٠ مثلا نجدها في غزة ٥٪ بالنسبة لمجموع المرحلة بينما هي ١٥٪ في الاردن وحوالي ٢٧٪ في لبنان و ١٦٪ في سوريا . واذا نظرنا الى نسبة التسرب في الصف الثاني الاعدادي في العام نفسه نجد ان النسبة في غزة هي ٤٫٥٪ وفي الاردن ١٥٫٥٪ وفي لبنان ٢١٫٦٪ وفي سوريا ١٤٪ اي ان نسبة التسرب في غزة في هذا الصف اقل من ثلثها في المناطق الاخرى ، شأنها في ذلك شأن نسبة التسرب بالنسبة لمجموع المرحلة كما لاحظنا .

ظننا انه لا يمكننا ، بسبب طبيعة الفترة التي تتوفر حولها ارقام التسرب ، ان نعرف بالضبط نسبة الذين ينهون المرحلة الى الذين يدخلونها في قطاع غزة . ولكن بالامكان وضع جدول افتراضي استنادا الى ارقام التسرب المعروفة لدينا للعام ١٩٧٠ في كافة الصفوف الابتدائية (الجدول رقم ١٩) ، ولنفترض ان لدينا ١٠٠٠ طالب دخلوا الصف الاول ابتدائي في العام ١٩٧٠ ، خاضعين لبرنامج الترفيع التلقائي ، ولنسبة التسرب نفسها في العام المذكور، فتكون النتائج الافتراضية لمن ينهي المرحلة الابتدائية منهم ، كما هو مبين في الجدول رقم ٢٠ :

جدول رقم ٢٠

نسبة الطلبة الذين ينقطعون عن الدراسة قبل نهاية المرحلة اعتمادا على نسبة التسرب في عام ٦٩—٧٠

الصف	عدد الطلبة لعام ٧٠/٦٩	نسبة التسرب المئوية	عدد المتسربين	عدد المترفعين
١ ابتدائي	١٠٠٠	٣٫٥	٣٥	٩٦٥
٢ ابتدائي	٩٦٥	٣٫٢	٣١	٩٣٤
٣ ابتدائي	٩٣٤	١٫٥	١٤	٩٢٠
٤ ابتدائي	٩٢٠	٢٫٣	٢١	٨٩٩
٥ ابتدائي	٨٩٩	٢٫٨	٢٥	٨٧٤
٦ ابتدائي	٨٧٤	٥٫٢	٤٥	٨٢٩
المجموع	١٠٠٠	١٧٫١	١٧١	٨٢٩

ويمكن ان نستنتج من هذا الجدول الافتراضي انه من أصل ١٠٠٠ طالب يدخلون المرحلة الابتدائية يترك ١٧١ طالبا وطالبة دراستهم قبل انهاء المرحلة ، وان معظم هؤلاء يتركون دراستهم في الصف السادس والصفين الاول والثاني . وبالتالي فان ٨٣٪ يبدأون هذه المرحلة يتمكنون من متابعة الدراسة حتى نهايتها وهي نسبة لا بأس بها اذا قورنت مع مثيلاتها في الدول العربية . ففي الجزائر كانت نسبة من ينهون المرحلة الابتدائية الى من يدخلونها هي ٤٥٫٨٪ في عامي ٦٤ و ٦٧ . وفي الكويت كانت النسبة ٩٠٫٦٪ في اعوام ٦١ ، ٦٤، ٦٧ . وفي مصر كانت النسبة ٧٥٪ بدءا من الاعوام ٦١ ، ٦٢ ، و ٦٣ (١٠٥).

كلفة الطالب : تقدر كلفة الطالب بمعدل ما تنفقه الاقروا بالنسبة للطالب الواحد . وهذه النفقات اما رأسمالية او ثابتة ، واما نفقات متكررة ، تنفق سنويا ، مثل رواتب الموظفين وثمن الكتب والقرطاسية وغيرها . وفي عام ٦٧/٦٦ بلغت النفقات المتكررة للتعليم في غزة ٢٫٣٦٢٫٢٩٠ دولارا موزعة كما هو مبين في الجدول رقم ٢١ . (أنظر الصفحة التالية).

يلاحظ من الجدول ان النسبة الكبرى من النفقات تذهب لمرتبات الموظفين اذ تبلغ نسبة المرتبات الى مجموع النفقات ٨٨٫٦٪ في المرحلة الابتدائية و ٨٥٪ في المرحلة الاعدادية . وفيما يتعلق بالدول العربية كانت نسبة الرواتب الى مجموع النفقات المتكررة عام ٦٧ في بعض البلدان كما يلي : ٨٠٪ في سوريا ، ٦٧٫٦٪ في مصر ، ٧٥٫٥٪ في الاردن، ٧٠٫٦٪ في لبنان(١٠٦). غير ان هذه تشمل الرواتب الى مجموع النفقات في مختلف مراحل التعليم ولذلك فان المقارنة غير دقيقة . اما بالنسبة لمدارس الاقروا في الدول الاخرى فالجدول رقم ٢٢ يبين النفقات الدورية ورواتب المعلمين وكلفة الطالب .

يلاحظ من الجدول رقم ٢٢ ان نسبة الرواتب الى مجموع النفقات متقاربة في المناطق الاربع لكن الوضع يختلف بالنسبة لكلفة الطالب. فكلفة الطالب في غزة أقل من غيرها في المناطق الاخرى وفي مختلف المراحل

جدول رقم ٢١

نفقات التعليم المتكررة في غزة لعام ٦٦ـ٦٧ (بالدولار)(١٠٧)

المرحلة	رواتب الموظفين	المعدات: الكتب واللوازم	المعدات: نفقات اخرى	المجموع	عدد الطلاب	كلفة الطالب من النفقات	نسبة الرواتب المئوية للرواتب
الابتدائية	١٤٠٤١٠١١٩	٣١٠٧٨١	٤٩٠١٤٥	١٤١٧٤٠٥٦٤	٤١٠٦١٢	٢٨٠٢	٨٨٠٦
الاعدادية	٦٧١٠٥٨٤	٢٢٠١٤٣	٦٠٣٩٣	٧٨٨٠٧٣٩	١٦٠٨١١	٤٧٠٥	٨٥
الثانوية				١٥٠٠٠٠٠	٨٠٢٦٤	١٨٠١	
تدريب المعلمين				٤١٠١٨٣	٢٧٩	١٤٤	
	رواتب المدربين	رواتب الادارة	نفقات ادارية اخرى				
تدريب مهني	٢٥٠٨٦٥	٢٦٠٤١١	٢٦٠٠٢٧	٦٢٠٠٨٣	١٧٦٠٢٨٦	٣٦٤	٤٨٤٠٢	٢٩٠٥
الادارة	٤٠٠٥١٨							
				٢٠٣٦٢٠٢٩٠				

جدول رقم ٢٢

النفقات الدورية في مدارس الاونروا للعام ٦٦ـ٦٧ (بالدولار)(١٠٨)

	الابتدائية: النفقات	الابتدائية: الرواتب	الابتدائية: نسبة الرواتب المئوية	الابتدائية: كلفة الطالب	الاعدادية: النفقات	الاعدادية: الرواتب	الاعدادية: نسبة الرواتب المئوية	الاعدادية: كلفة الطالب	الثانوية: الاعانات	الثانوية: كلفة الطالب
غزة	١٤١٧٤٠٥٦٤ (٤١٠٦١٢)	١٤٠٤١٠١١٩	٨٨٠٦	٢٨٠٢	٧٨٨٠٧٣٩ (١٦٠٨١١)	٦٧١٠٥٨٤	٨٥	٤٧٠٥	١٥٠٠٠٠٠ (٨٠٢٦٤)	١٨٠١
الاردن	٢٠٥٨٧٠٢١٣ (٦٦٠٧٩٩)	٢٠٣٤٣٠٨٠٨	٩٠٠٦	٣٨	٨٦٥٠٧٥٨ (١٣٠٠٧٥)	٧٧٧٠٢٧٠	٨٩٠٨	٦٦	١٧٥٠٠٠٠ (٧٠٢٩٦)	٢٤
لبنان	١٠١٠١٠٤٨١ (٢١٠١٨٧)	٩٦٦٠٣٠٩	٨٨	٥٢	٣٥٢٠٢٧٢ (٣٠٥٠٥)	٣٠٣٠٢٥٦	٨٧	١٠٠	٦٥٠٧٦٠ (١٠٢٢١)	٥٤
سوريا	٧٩٢٠٨٦٤ (١٩٠٧٩٦)	٦٩٨٠٣١٤	٨٨	٤٠	٤٠٣٠٨٠٨ (٦٠٦٢٤)	٣٣٤٠٧٢٥	٨٣	٦١	٧٩٠٤٨٧ (٢٠٢٠٥)	٣٦

التعليمية . اذ بينما تبلغ كلفة الطالب في المرحلة الابتدائية في غزة ٢٨ دولارا ، تصل الى ٥٢ دولارا في لبنان و ٤٠ دولارا في سوريا . وفي المرحلة الاعدادية تبلغ كلفة الطالب في غزة ٤٧٠٥ دولارا بينما تصل الى ١٠٠ دولار في لبنان وتزيد عن ٦٠ دولارا في كل من سوريا والاردن . وفي المرحلة الثانوية تبلغ كلفة الطالب ، اي معدل الاعانة المالية التي تدفعها الاونروا عن الطالب ، ١٨ دولارا في غزة بينما هي ٥٤ دولارا في لبنان و ٣٦ دولارا في سوريا . ان كلفة الطالب كما هو واضح في الجدول مقتصرة على كلفته من النفقات الدورية ، التي تتكرر كل عام ، والتي تتكون اساسا من الرواتب التي تدفع للجهاز التعليمي . وبما ان نسبة الرواتب المستخلصة من مجموع هذه النفقات متقاربة في المناطق الاربع ، (٨٨٪ في المرحلة الابتدائية باستثناء الاردن حيث تبلغ النسبة ٩٠٪ و ٨٢ ـ ٨٩٪ في المرحلة الاعدادية) فان هذا الفارق في كلفة الطالب يعود بالدرجة الاولى الى الفوارق في معدل الراتب الشهري الذي يدفع للمعلم في كل من المناطق الاربع . ففي غزة كان نصيب الطالب الابتدائي من المرتبات في العام المذكور (٦٧/٦٦) ٢٥ دولارا وفي المرحلة الاعدادية ٤٦ دولارا . ويبدو الفارق واضحا اذا قورن نصيب الطالب الفلسطيني من المرتبات في غزة ، مع نصيب الطالب في المدارس العربية . ففي مصر مثلا بلغ نصيب الطالب الابتدائي في العام نفسه ٩٤٦ جنيهات مصريا اي حوالي ٢٣ دولارا ، وفي المرحلة الاعدادية ٢٦٠٥ جنيها اي حوالي ٦٣ دولارا(١٠٩).

وفي لبنان يبلغ نصيب الطالب في المرحلة الابتدائية ٤٥ دولارا وفي المرحلة الاعدادية ٨٦ دولارا . وفي سوريا يبلغ نصيب الطالب الابتدائي ٣٥ دولارا وفي المرحلة الاعدادية ٥٢ دولارا . وفي الاردن يبلغ نصيب الطالب الابتدائي ٣٦ دولارا وفي المرحلة الاعدادية ٥٩ دولارا(١١٠).

تعليم الفتاة

ان ملاحظة الارقام الخاصة بالتعليم تبين ان تطورا كبيرا قد طرأ على اقبال الفتاة الفلسطينية على التعليم في المراحل الثلاث على الاقل — الابتدائية والاعدادية ، والثانوية — ولا تتوفر لدينا ارقام حول عدد الطالبات الفلسطينيات في الجامعات . ولكن اذا اخذنا المنح الجامعية التي تقدمها الانروا للطلبة الجامعيين مقياسا او انعكاسا للوضع الطلابي في الجامعة — وهو امر افتراضي — لاستنتجنا ان نسبة الطالبات قليلة في الجامعة . وفي هذه الحالة سنعتمد الارقام الخاصة بالعام ٦٩ — ٧٠ حيث ترد لاول مرة ارقام تفصيلية بحسب جنس الحاصلين على المنحة .

ففي العام المذكور قدمت الانروا ٢٨٨ منحة جامعية لطلبة من غزة منها ١٤٠ منحة للطالبات اي ٥٪ فقط من مجموع المنح . وينطبق الوضع نفسه على الاقطار الاخرى . ففي العام المذكور قدمت الانروا ١٠٨٨ منحة جامعية للطلبة الفلسطينيين في المناطق الاربع المضيفة ، كان منها ٨٧ منحة للطالبات اي بنسبة ٨٪ فقط(١١١). اما بالنسبة لعدد الطالبات في مراحل التعليم الثلاث فلا تتوفر لدينا معلومات حول قطاع السكان الاصليين الا لفترة محدودة وهي تنحصر بين عامي ٥٣ و ٥٩ . ففي عام ٥٦ كان في المدارس الرسمية ٨٣٨٤ طالبا وطالبة في المرحلة الابتدائية منهم ٢٣١٧ طالبة اي ٢٧٪ من مجموع طلاب المرحلة . وفي المرحلة الاعدادية كان هناك ٩٧٧ طالبة من اصل ٤٧٤٦ طالبا وطالبة اي بنسبة ٢٠٫٦٪ من مجموع طلاب المرحلة . وفي المرحلة الثانوية كان هناك ٢٠٨ طالبات من اصل ٢٨٠٧ طلاب وطالبات أي بنسبة ٧٫٥٪(١١٢) فقط ، مع ملاحظة ان الطالبات في المدارس الحكومية لسن بالضرورة من السكان الاصليين بل ان بينهن طالبات لاجئات . وفي عام ٥٩ كانت نسبة الطالبات الى مجموع الطلبة كالاتي : ٣٠٪ في المرحلة الابتدائية و ٢٤٪ في المرحلة الاعدادية وفي المرحلة الثانوية ١٥٪ . اما في مدارس الانروا فالجدول رقم ٢٣ يبين تطور عدد الطالبات في المراحل الثلاث:

جدول رقم ٢٣

اعداد ونسبة الطالبات الى الطلاب في غزة(١١٣)

	ابتدائي			اعدادي			ثانوي			المجموع		
السنة	المجموع	اناث	٪	المجموع	اناث	٪	المجموع	اناث	٪	المجموع	اناث	٪
٥٥—٥٦	٣٤٥٠٦	١٠٥٤٥	٢٩	٣٣٤٠	٢٠٥	٦	٥٦٤	١٢	٢	٣٨٤١٠	١٠٧٦٢	٢٨
٦٠—٦١	٣٧١٤٧	١٦٧١١	٤٥	٨٦٧٢	٢٢٨٢	٢٥	٥٧٧٠	٩٧٧	١٣٫٥	٥١٥٨٩	١٩٦٧٠	٣٨
٦٤—٦٥	٤١٩٢٢	٢٠٠٤١	٤٧	١٥٣١٥	٧٠٧٤	٤٦	٨٦٢٠	٣٢٦٠	٣٧	٦٥٨٥٧	٣٠٣٧٥	٤٦
٦٩—٧٠	٤٢١٤٧	١٩٧٦٢	٤٦	١٧٠٢٦	٨١٢٧	٤٧٫٦	٧٥٦٨	٣٧١٤	٤٨	٦٦٧٤١	٣١٦٠٣	٤٧٫٣

وهكذا نلاحظ الزيادة المطردة في عدد الطالبات حتى أصبحت نسبة الطالبات الى مجموع الطلبة تكاد تصل الى النصف في السنوات الاخيرة. فقد ارتفعت هذه النسبة من ٢٨٪ عام ٥٦ الى ما يزيد على ٤٧٪ عام ١٩٧٠ . وهذه الزيادة الملاحظة هي انعكاس لازدياد عدد الطالبات في المراحل التعليمية الثلاث . ففي المرحلة الابتدائية ارتفعت نسبة الطالبات الى مجموع طلاب المرحلة من ٢٩٪ عام ٥٦ الى ٤٦٪ عام ١٩٧٠ . وفي المرحلة الاعدادية ارتفعت هذه النسبة من ٦٪ فقط عام ٥٦ الى حوالي ٤٨٪ عام ٧٠ . اما في المرحلة الثانوية فقد كانت نسبة الطالبات الى مجموع الطلاب مجرد ٢٪ عام ٥٦ وارتفعت الى ٤٨٪ عام ٧٠ ، أي ان الزيادة في المرحلة الثانوية كانت اعلى من الزيادة في المرحلتين الاعدادية والابتدائية . وهذا يدل على مدى اقبال الفتاة على التعلم ، وتخطي العديد من العوامل الاجتماعية التي كانت تدفع الاهل لاخراج بناتهم من المدارس في سن معينة هي في العادة دون المرحلة الثانوية ، خاصة وان ٣٠٪ من طلاب المرحلة الثانوية في غزة تتراوح أعمارهم بين ١٨ — ٢٠ سنة(١١٤). واذا ما نظرنا الى نسبة الطالبات الى من هن في سن

التعليم من الاناث الزيادة في هذه السنة لا تحدث كثيرا عن نسبة الطلاب الى من هم في سن التعليم من الذكور . ففي عام ٦٩ ــ ٧٠ كانت نسبة الطالبات الى من هن في سن الخامسة عشرة تساوي ٥٧٫٨٪ وهي اعلى من نسبة الطلاب الى الذكور في هذه السن حيث كانت ٥٣٪ . وفي سن السادسة عشرة كانت نسبة الطالبات الى الاناث تساوي نسبة الطلاب الى الذكور . وفي سن السابعة عشرة كانت نسبة الطالبات تساوي ٤٩٪ من الاناث ونسبة الطلاب ٥٢٫٧٪ من الذكور . وفي سن الثامنة عشرة كانت نسبة الطالبات ١٩٫٥٪ ونسبة الطلاب ٢٦٫٨٪ الى من هم في سن التعليم . وفي سن العشرين كانت نسبة الطالبات ٢٫٥٪ ونسبة الطلاب ٤٫١٪(١١٥). وهذه نسبة عالية اذا قورنت بغيرها في مدارس المناطق الاخرى التابعة للانروا كما يتبين من الجدول رقم ٢٤ :

جدول رقم ٢٤

نسبة الطالبات في مدارس الاونروا الى من هن في سن الدراسة(١١٦)
في عام ٦٩/٧٠

العمر	غزة ٪ الى الاناث	غزة الطالبات	الضفة الشرقية ٪ الى الاناث	الضفة الشرقية الطالبات	الضفة الغربية ٪ الى الاناث	الضفة الغربية الطالبات	لبنان ٪ الى الاناث	لبنان الطالبات	سوريا ٪ الى الاناث	سوريا الطالبات
١٥	٥٧٫٨	١٦٩١	٣٦٫٦	٩٠٦	٣٥٫٢	٩٠٦	٤٣٫٢	٧٠٥	٥٥٫٣	٩٢٠
١٦	٥٣٫٤	١٠٠٨	٢٣٫٤	٦٨٢	٢٨٫٥	٦٨٢	٢٨٫٧	٤٨٥	٤٤٫٩	٧٠٨
١٧	٤٩٫٣	٦٨١	١٥٫٦	٤٧٧	١٩٫٥	٤٧٧	١٨٫٠	٢٨٩	٣٠٫٩	٤٩٣
١٨	١٩٫٥	٢٤٨	٥٫٥	٢٣٧	٩٫٤	٢٣٧	٩٫٢	١٥١	١٥٫٤	٢٠٦
١٩	٦٫٤	٧٦	١٫٢	١١٢	٣٫١	١١٢	٦٫٢	٨٤	٥٫٣	٨١
٢٠	٢٫٥	٣٠	٠٫٦	٤٠	١٫٢	٤٠	٣٫١	٣٩	٢٫٣	٢٤

ويلاحظ من الجدول ان نسبة الطالبات الى من هن في سن الدراسة من الاناث ، هي في غزة اعلى منها في المناطق الاخرى ما عدا النسبة في سن العشرين اذ تزيد نسبة الطالبات في لبنان عنها في غزة . ففي سن السادسة عشرة مثلا تبلغ النسبة في غزة ٥٣٪ وفي سوريا ٤٤٪ اما في الاردن ولبنان فهي اقل من ٣٠٪ . وفي سن ١٨ تبلغ النسبة في غزة ١٩٫٥٪ وفي سوريا ١٥٫٤٪ وفي كل من الاردن ولبنان اقل من ١٠٪ . وبمقارنة نسبة الطالبات الى الطلاب في غزة بواقع الحال في الدول العربية نلاحظ الفرق لصالح غزة كما يتبين من الجدول رقم ٢٥ :

جدول رقم ٢٥

نسبة الطالبات الى الطلاب في مدارس الاونروا والدول العربية(١١٧)
في عام ١٩٦٧

المرحلة	الدول العربية مصر	الاردن	سوريا	لبنان	الاونروا غزة	الاردن	سوريا	لبنان
الابتدائية	٣٩	٤٣	٣٣	٤٥٪	٤٧	٤٥	٤٤	٤٥
الاعدادية	٢١	٣١	٢٣	٣٨	٤٨	٣٤	٣٦	٣٣
الثانوية*					٤٦	٢٢	٣١	٢٢

* تجدر الملاحظة اولا ان نسبة الطالبات الى مجموع طلاب المرحلة ــ المقابلة للمرحلة الاعدادية ــ في الدول العربية في الجدول ، هي نسبة الطالبات في المرحلتين الاعدادية والثانوية معا اذ يقسم التقرير الصادر عن المركز الاقليمي والذي اعده مكتب اليونيسكو في باريس ، التعليم ما قبل الجامعي الى مرحلتين : الاولى وهي الابتدائية ، والثانية وهي الاعدادية والثانوية . كما تجدر الملاحظة الى ان هذه النسبة تشمل فقط التعليم العام ، ولا تشمل التعليم المهني وتدريب المعلمين . ونلاحظ

من الجدول ان نسبة الطالبات الى مجموع الطلبة هي في غزة اعلى منها في مدارس الدول العربية ، وفي مدارس الانروا في البلاد العربية الاخرى على حد سواء . ويبدو الفرق واضحا تماما في المرحلتين الاعدادية والثانوية . ففي غزة تبلغ النسبة ٤٨٪ في المرحلة الاعدادية وفي مدارس الانروا الاخرى أقل من ٣٥ ٪ . وفي المرحلة الثانوية تبلغ النسبة في غزة ٤٦٪ وفي مدارس الانروا الاخرى اقل من ٣٠٪ . بينما نلاحظ في الدول العربية ان أعلى النسب كانت في لبنان ، حيث بلغت نسبة الطالبات الى مجموع الطلبة من الذكور والاناث ، في المرحلتين الاعدادية والثانوية ٣٨٪ ، واقلها في سوريا حيث كانت ٢٣٪ ، اما في كل من مصر والاردن فكانت ٣١٪ ، وهي اجمالا اقل منها في غزة بكثير .

بعض المشاكل الناجمة عن الاحتلال

يهمنا في هذا المجال ان نشير الى بعض المشكلات المتعلقة بالتعليم مباشرة والتي نجمت عن الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٦٧ . ويمكن ايجاز هذه المشاكل بما يلي : أ ــ النزوح ، ب ــ الاجراءات العسكرية ، ج ــ الامتحانات ، د ــ الكتب المدرسية :

أ ــ النزوح : يقول المدير العام للانروا في تقريره الى الجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٦٨ ان نتيجة الاعمال العدائية في غزة كانت مؤلمة ومتواصلة ، وتأثرت خدمات الوكالة بنتائج الحوادث واجراءات «الامن» مثل منع التجول والاستجوابات والتوقيف وهدم البيوت . ويقدر التقرير نفسه ان بين ٤٠ ــ ٤٥ الف لاجيء مسجل لدى وكالة الغوث قد غادروا القطاع(١١٨). ان الاثر المباشر والاولي لمثل هذا النزوح هو انخفاض عدد الطلبة في المدارس كما يتبين من الجدول رقم ٢٦ :

جدول رقم ٢٦

اعداد الطلبة اللاجئين منذ الاحتلال الاسرائيلي(١١٩)

سنة	ابتدائي	اعدادي	ثانوي	المجموع
٦٦ــ٦٧	٤١٩٦٩	١٦٩٥٦	٨٢٦٤	٦٧١٨٩
٦٧ــ٦٨	٣٨٨٠٠	١٣٥٩٩	٤٣١٥	٥٦٧١٤
٦٨ــ٦٩	٣٩٨٥٨	١٥٩٣٦	٨٠٣٨	٦٣٨٣٢
٦٩ــ٧٠	٤٢١٤٧	١٧٠٢٦	٧٥٦٨	٦٦٧٤١

ويلاحظ من الجدول ان مجموع عدد الطلبة عام ٦٩ ــ ٧٠ كان ٦٦،٧٤١ طالبا ، اي انه ما زال دون ما كان عليه قبل الاحتلال في عام ٦٦ ــ ٦٧ . كما يلاحظ ان عدد الطلبة انخفض في العام التالي للاحتلال بحوالي عشرة الاف طالب وطالبة . وهذا الرقم يتناسب مع عدد الذين غادروا القطاع نتيجة الاحتلال . ففي عام ٦٧ كان عدد السكان اللاجئين ٣١٦ الفا وعدد الطلبة ٦٧ الفا اي بمعدل ٢١٢ بالالف . واذا ما اعتمدنا هذه النسبة نجد ان الـ ٤٥ الف لاجيء الذين غادروا القطاع يجب ان يكون من ضمنهم حوالي عشرة الاف طالب .

ب ــ الاجراءات العسكرية التي اتخذتها وتتخذها سلطات الاحتلال عديدة وكذلك تأثيراتها . فعلى صعيد المدارس تعرضت مئة المدرسة التابعة للانروا الى الدمار والسرقة بدرجات متفاوتة . وقدرت الخسائر بـ ٢٢٠ الف دولار ، كما دمرت مدرسة في رفح تدميرا كاملا(١٢٠). كذلك اقفل معهد بيت حانون لتدريب المعلمين بعد استيلاء قوات الاحتلال عليه . وعلى صعيد المعلمين واجهت المدارس مشكلة خاصة . فعند بدء العدوان الاسرائيلي كانت المدارس مقفلة، وكان حوالي ١٨٠ معلما قد غادروا القطاع لتأدية امتحاناتهم الجامعية في مصر بالدرجة الاولى . وقامت سلطات الاحتلال بابعاد ٤٨ معلما وقتل ستة معلمين اثناء العدوان ، كما ترك العمل بعد العدوان مباشرة او اثناء السنة الدراسية ٤٠ معلما اخر ، فاصبح بذلك ٢٧٤ معلما خارج المدارس(١٢١). وقد بذلت الوكالة جهودا أدت في النهاية الى السماح لمعظم المعلمين الذين كانوا في القاهرة بالعودة الى القطاع(١٢٢). ويقول تقرير المندوب العام للانروا لعام ٦٩ ان الاضطرابات بدأت في غزة في اكتوبر ٦٨ اي بعد افتتاح المدارس مباشرة واستمرت طوال العام . وهذه الاضطرابات تمثلت في التظاهرات والاضطرابات ومنع التجول واغلاق المدارس واعتقال افراد الهيئة التعليمية والطلاب(١٢٣). ويذكر التقرير انه بين شهر تموز ٦٨ واخر تموز ١٩٦٩ اعتقل ٥٤ موظفا من موظفي الانروا وأودع ٤٠ منهم السجن لفترات مختلفة بدون محاكمة(١٢٤). ويذكر تقرير المندوب العام للانروا لعام ١٩٧٠ انه خلال سنة بدءا من تموز ٦٩ اعتقل ٥٧ موظفا من موظفي الوكالة دون ان توجه اليهم اية تهمة . وفي ١٧ كانون الاول ٦٩ اخذ اثنان من موظفي الوكالة هما مدير التعليم العام ومدير احدى المدارس ، الى صحراء سيناء ، ورغم مراجعة الوكالة

بشأنها الا انها لم تتلق معلومات كاملة عن سير هذا الاجراء(١٢٥)، وبالطبع ما زالت هذه الاعمال مستمرة حتى الان . ويقول المندوب العام للوكالة في تقريره للعام ٧١ انه جرى خلال العام عدة انتهاكات لحرمة مراكز الوكالة ، وقامت السلطات الاسرائيلية مرات عديدة باستخدام مدارس الوكالة مراكز لتفتيش اللاجئين ، كما قامت بمداهمة انشاءات الوكالة بدون ترخيص(١٢٦).

جـ ـ **الامتحانات** : ان مشكلة الامتحانات التي نجمت بعد الاحتلال الاسرائيلي عام ٦٧ تتعلق بطلبة الشهادة الثانوية العامة . فقد وقع العدوان قبل بدء امتحانات هذه الشهادة . والمشكلة التي نشأت هي أن الطلاب الذين ينهون المرحلة الثانوية لا يستطيعون متابعة دراستهم الجامعية ما لم يحصلوا على الشهادة الثانوية العامة ، كما ان الحكومات العربية لا تعترف بالشهادة المحلية في ظل الاحتلال. وكانت السلطات المحلية قد اجرت امتحانا عاما في يناير (كانون ثاني) ٦٨ الا انه لم يعترف به(١٢٧). وقد استطاع حوالي ٥٠٠ طالب الوصول الى الاردن في حزيران ١٩٦٨، وتقدموا لامتحان الشهادة الثانوية العامة (التوجيهية المصرية) ، الا ان المشكلة ظلت قائمة حتى صيف ١٩٦٩ ، اذ نجحت اليونسكو في تنظيم هذه الامتحانات في غزة في شهر اب من ذلك العام . ومنذ ذلك الحين تشرف اليونسكو على الامتحانات بالتشاور مع حكومتي مصر واسرائيل ، وتسلم السلطات المصرية اوراق الاسئلة واوراق الاجابة الى اليونسكو ، كما تعيد اليونسكو اوراق الامتحانات الى السلطات المصرية للتصحيح . ويشرف على الامتحانات مباشرة معلمون من مدارس الوكالة والمدارس الرسمية تحت امرة فريق من الخبراء الدوليين من اليونسكو والانروا (بلغ عددهم في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ١٠٠٠ معلم و ٢٨ خبيرا دوليا معينين من قبل المدير العام)(١٢٨). وتقدم وزارة التعليم العالي المصرية في كل عام ١٠٣٠ منحة جامعية لافضل الطلبة الناجحين في الامتحانات ، ويقوم الصليب الاحمر بنقل هؤلاء عبر قناة السويس ، كما تتعهد وزارة الدفاع الاسرائيلية بالسماح لهم بالعودة في اثناء العطلة الصيفية(١٢٩).

د ـ **الكتب المدرسية** : بعد العدوان الاسرائيلي اعترضت السلطات الاسرائيلية على الكتب المدرسية التي تدرس في مدارس الانروا بحجة ان هذه الكتب تحتوي صورة مشوهة عن التطورات التي ادت الى قيام اسرائيل ومن الوضع الذي تلا قيامها ، كما انها تعمل على غرس كراهية اسرائيل في اذهان الاطفال الذين يستعملونها . ثم قامت هذه السلطات بمنع معظم الكتب المستعملة في مدارس غزة(١٣٠). وقد رفعت الانروا الامر الى اليونسكو ، المسؤولة عن النواحي الفنية للتعليم في مدارس الانروا . وفي ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ٦٧ اجتمع المجلس التنفيذي لليونسكو في باريس واصدر بالاجماع قرارا حول بموجبه المدير العام لليونسكو ان يتعاون مع الانروا لمتابعة تامين التعليم للاجئين في المناطق المحتلة وخارجها ، على اساس مبادىء القانون الدولي المتعلق بالاراضي المحتلة ، وعلى اساس مبادىء معينة تتضمن المثل الاخلاقية الواردة في دستور اليونسكو ، واعلان حقوق الانسان ، والحق الاولي للاهل في اختيار نوع الثقافة التي تعطى لابنائهم ، واحترام التقاليد الوطنية والدينية واللغوية ... الخ(١٣١). وتم الاتفاق بعد ذلك بين المدير العام لليونسكو ، والمندوب العام للانروا على ان تستمر الانروا ، كاجراء مؤقت ، في استعمال الكتب المدرسية ، التي كانت مستعملة انذاك ، باستثناء الكتب، التي حظرتها سلطات الاحتلال في المناطق المحتلة ، ولكن على ان تؤجل الوكالة استعمال اية كتب جديدة قد تبدو متعارضة مع القرار الى ان يتم التدقيق في محتواها على ضوء المبادىء الواردة في القرار . ولقد اثار ذلك احتجاج الحكومات العربية ، وعاد المجلس التنفيذي لليونسكو في شهر أيار ـ حزيران ٦٨ واصدر قرارا جديدا اكد على المبادىء الواردة في القرار السابق ، ووافق على الخطوات التي اتخذها المدير العام ، وخوله متابعة جهوده لتشكيل بعثة من الخبراء تقوم بمراجعة الكتب المدرسية المستعملة في مدارس الانروا ـ يونسكو ، ومن ثم ترفع توصياتها للمدير العام ، من اجل الحصول على موافقة الحكومات المعنية وتعاونها . وقامت الانروا باصدار مذكرات خاصة للتدريس في المناطق المحتلة ، اعدها في معهد التربية التابع للانروا ـ يونسكو خبراء في دائرة التعليم في الانروا في بيروت ، على اساس الكتب التي كانت تستعمل في السابق(١٣٢). لكن المشكلة استمرت ، وبحث المجلس التنفيذي لليونسكو الامر مرة اخرى في تشرين الاول (اكتوبر) ٦٩ ، واتخذ قرارا (بموافقة ٢٧ صوتا ضد صوت واحد وامتناع ٤) دعا حكومة

اسرائيل الى القيام فورا بازالة اية عقبات تعترض استيراد الكتب المدرسية التي وافق عليها المدير العام واستعمالها . وبعد ذلك قدم المدير العام لليونسكو تقريرا الى المجلس التنفيذي في دورته التالية افاد بان الاردن وافق على التغييرات المقترحة في بعض كتبه المدرسية ، وعلى ادخال هذه التغييرات في الكتب المقررة لعام ١٩٧١/٧٠ . وان الجمهورية المتحدة أعطت تأكيدات مماثلة ، مع استمرار سوريه على موقفها ، حيث رفضت في السابق تشكيل لجنة « الخبراء المحايدين » على اعتبار ان ذلك يشكل تجاوزا لسيادتها الوطنية(١٣٣). وفي شهر ايار (مايو) ١٩٧١ ابلغ المدير العام لليونسكو المجلس التنفيذي ، ان اسرائيل قد سمحت بادخال ٥١ كتابا الى قطاع غزة وذلك من اصل ٥٨ كتابا اوصى بها(١٣٤). وهكذا يتضح ان المشكلة ما زالت قائمة .

خلاصة

أكد هذا الاستعراض لبعض قضايا التعليم في غزة عددا من النقاط اهمها :

١) ضيق المجال الاقتصادي في القطاع اساسا ، اي قبل نكبة عام ٤٨ . وازدادت هذه المشكلة بشكل حاد اثر النكبة حيث فقدت معظم اراضي القطاع الزراعية ، كما شكل تدفق اللاجئين اليه ضغطا سكانيا هائلا على موارده الذاتية المحدودة. وتؤكد نسبة البطالة المرتفعة (بين السكان الاصليين واللاجئين) هذه الازمة .

٢) وأمام هذا الوضع ، يبرز التعليم — بشقيه الفني والعام — كحل اساسي للمشكلة . فالتدريب الفني المتخصص والمتقدم يمكن ان يساهم في ايجاد مشاريع وورش صناعية متخصصة ، تستوعب اليد العاملة من جهة ، وتصدر انتاجها للخارج ، مما يساعد على تنمية الوضع الاقتصادي في القطاع . كما ان مثل هذا التدريب يمكن ان يساهم في تطوير ورفع الانتاجية الزراعية على الرغم من صغر ومحدودية الرقعة الزراعية في القطاع . كذلك فان التعليم العالي ، وخاصة الجامعي ، يمكن ان يوفر للشباب سلاحا للمنافسة وتأمين العمل في الخارج ومن ثم رفع مستوى المعيشة لديهم .

٣) وهناك عدد من الظواهر تعكس ادراك اهالي القطاع لاهمية التعليم وضرورته كحل لمشاكلهم مثل: ارتفاع نسبة الاقبال على التعلم في مختلف المراحل، والارتفاع الملحوظ في اقبال الفتيات على التعلم في شكل خاص ، مما يعكس بالاضافة الى ذلك تغيرا في المفهوم الاجتماعي لدور المرأة في المجتمع . وكذلك انخفاض نسبة التسرب بين الطلاب ، اي الذين ينقطعون عن متابعة دراستهم ، قياسا بمن ينقطعون عن متابعة الدراسة في مناطق تجمع الفلسطينيين الاخرى .

٤) ومع ذلك فواقع التعليم في غزة هو دون المستوى المطلوب بكثير ، وعاجز عن تادية دور ملموس في تنمية القطاع وحل مشكلاته . فالتدريب المهني محدود بحجمه ومستواه ، وهو على سبيل المثال اقل مستوى منه في الدول العربية المضيفة ، في حين يفترض العكس ، كذلك لا يوجد مركز للتدريب المهني النسوي ، برغم اقبال الفتاة على التعلم وارتفاع نسبة الطالبات في المرحلة الثانوية. والتعليم الذي تؤمنه وكالة الغوث لابناء اللاجئين لا يتعدى المرحلة الاعدادية ، وقد يكون ذلك سببا في انخفاض نسبة الطلاب في المرحلة الثانوية الى من هم في سن الدراسة ، كما لاحظنا في البحث .

٥) ان وضع القطاع الخاص يفترض ان ينال التعليم بشقيه — الفني والعام — اهتماما خاصا ، وان يؤمن لابناء القطاع مستوى من التعليم والتدريب، لا يقل ، ان لم يفق ، المستوى المتوفر في الدول العربية . هذا اذا اريد للتعليم في القطاع ان يكون موضوعا رئيسيا في خطة تنمية القطاع وتوفير فرص العمل لابنائه ورفع مستوى المعيشة لديهم .

---

١ — المركز الاقليمي لتدريب كبار موظفي التعليم في الدول العربية ، **بحوث الوافدين** ، رقم ٣ ، ١٩٦٣ — ٦٤ ، ص ٩ .

٢ — لم تعط الجمعية العامة تعريفا « للاجيء الفلسطيني » ولكن تعريفا عمليا من قبل مدير الانروا عمل به آنذاك ، وخضع التعريف نفسه لتطويرات فيما بعد ، وكان التعريف العملي الذي وضع عام ١٩٥٠ والذي يحدد الشخص الجدير بالمساعدة ينص على ما يلي : « اللاجيء هو الشخص الذي كانت فلسطين موطنه الطبيعي لاكثر من عامين سبقا مباشرة نشوب النزاع في سنة ١٩٤٨ ، والذي نتيجة هذا النزاع فقد بيته وسبب معاشه » . وقد استثنى هذا التعريف الضيق اكثر من ٢٠٠ الف شخص معوز من بين

المقيمين الدائمين في قطاع غزة وبئر الحدود في الأردن وبعض القبائل البدوية وهم المحتاجون فقدوا اسباب معاشهم دون ان يفقدوا بيوتهم .
راجع : جون ديفز ، **السلام المراوغ** ، ترجمة محمود فلاحة ، مكتبة اطلس ، دمشق ، ص ٦٧ .

٣ — U.N.R.W.A. P.R. *Statistical Bulletin*, May - June 1951, p. 19.

٤ — الانروا ، **تقرير المندوب العام** ، ١٩٦٧ ، ص ٦٠ .

٥ — الانروا ، دائرة التعليم ، **تقرير عن سير العمل للعام الدراسي ٦٦ — ٦٧** ، ص ٤٨ .

٦ — راجع **كتاب الاحصاء السنوي** ، الانروا ، دائرة التعليم ، ٦٨ — ٦٩ ، ص ٩ .

٧ — الانروا ، دائرة التعليم ، **الموجز الاحصائي ٦٩ — ٧٠** ، ص ١٦ .

٨ — راجع **الموجز الاحصائي الاسرائيلي للاعوام ٦٧ — ٧١** .

٩ — **الانروا ، تقرير المندوب العام** ، ١٩٦٨ ، ص ٧ .

١٠ — **المصدر نفسه** ، ص ٥ .

١١ — محمد علي خلوصي ، **التنمية الاقتصادية في قطاع غزة ١٩٤٨ — ١٩٦٦** ، القاهرة ، ١٩٦٧ ،

١٢ — الانروا ، دائرة التعليم ، **الموجز الاحصائي للعام ٦٩/٧٠** ، ص ١٦ .

١٣ — **الموجز الاحصائي السنوي لاسرائيل** ، ١٩٦٩ ، ص ٦٣٣ .

١٤ — محمد علي خلوصي ، **المصدر نفسه** ، ص ٥٧ .

١٥ — محمد علي خلوصي ، **المرجع السابق** ، ص ٤٣ — ٤٤ .

١٦ — B. Todd, *Human Resources, Beirut*, Nov. 1954, pp. 7-8.

١٧ — محمد علي خلوصي ، **المصدر السابق** ، ص ٦٥ .

١٨ — **المصدر السابق** ، ص ٦٢ — ٦٤ .

١٩ — من اجل ذلك كتبنا ، في مركز الابحاث ، الى مكتب ادارة الحاكم الاداري العام لقطاع غزة في القاهرة اكثر من مرة نطلب تزويدنا بهذه الاحصاءات الا اننا للاسف لم نتلق اي جواب .

٢٠ — محمد علي خلوصي ، **المصدر السابق** ، ص ٥١ — ٥٣ . وبالنسبة للطلاب : **المصدر ذاته** ، ص ٢٩٤ .

٢١ — ارقام الطلاب الخاصة باللاجئين مأخوذة من التقارير السنوية للمندوب العام في السنوات المذكورة .

٢٢ — النسبة مستخرجة من **الكتاب السنوي للاحصاءات العامة** ، ج. ع. م ، ١٩٧٠ ، ص ١٩ و١٨٠ — ١٨٣ .

٢٣ — النسبة مستخرجة من **المجموعة الاحصائية لعام ١٩٦١** ، وزارة التخطيط ، سوريا ، ص ٢٢ و٧١ .

٢٤ — المركز الاقليمي لتخطيط التربية وادارتها في البلاد العربية ، **بحوث** رقم ٢ ، ١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ٦ و١١ .

٢٥ — هذه الارقام الخاصة بمجموع عدد الطلاب في مختلف المراحل مأخوذة من **نشرة الاحصائيات الرسمية** الصادرة عن ادارة الحاكم الاداري العام للقطاع ١٩٥٥ — ١٩٥٨ .

٢٦ — الارقام الخاصة بالطلبة اللاجئين مأخوذة من **التقارير السنوية للمندوب العام للانروا** .

٢٧ — الارقام الخاصة بالعام ٦٧ مأخوذة من **تقرير دائرة التعليم عن سير العمل للعام ٦٧/٦٦** ، الانروا ، ص ٤٨ و٥٩ . اما الارقام الخاصة بطلبة السكان الاصليين فهل حاصل طرح الطلبة اللاجئين من عدد مجموع الطلاب .

٢٨ — المركز الاقليمي ، **المصدر السابق** ، بحوث رقم ٢ ، الدورة الطويلة الثامنة ١٩٦٨ — ١٩٦٩ .

٢٩ — الانروا ، دائرة التعليم ، **التقرير الاحصائي للعام الدراسي ٦٦ — ٦٧** ، ص ١٤ .

٣٠ — النسبة مستخرجة من كتاب **المؤشرات الاحصائية** ، ل. ج. ع. م. ٥٢—٦٩ ، و١٩٧٠ ، ص ١٠ و١٥٥ .

٣١ — عدد السكان عام ٥٦ مأخوذ من **النشرة الاحصائية الرسمية** ، الحاكم الاداري العام للقطاع ، المصدر السابق .

٣٢ — سكان القطاع الاجمالي مأخوذ من **تقرير عن سير العمل** للعام ٦٧/٦٦ — الانروا — ص ٤٨ . اما عدد اللاجئين ضمن **تقرير المندوب العام** وكما كان هذا العدد في منتصف ١٩٦٦ . **تقرير المندوب عام ٦٦** ، ص ٦١ .

٣٣ — **المصدر السابق** .

٣٤ — اعداد السكان والطلاب بحسب السن ، الانروا ، **المصدر السابق** . اما عدد الطلاب الثانويين فيشمل ايضا طلاب مركز التدريب المهني ومعهد المعلمين — **تقرير عن سير العمل ٦٦—٦٧** ، دائرة التعليم ، ص ٥٩ .

٣٥ — المركز الاقليمي ، **المصدر السابق** ، دورة ٦٨ — ٦٩ رقم ١٤٢١ ، ص ١ ، ٦ ، ٧ .

٣٦ — **المصدر نفسه** ، بحوث ٢ ، رقم ١٤٢٢ ، ص ٦ .

٣٧ — **المصدر نفسه** ، بحوث ، رقم ١٤٣٤ ، ص ٣ ، ١٦ .

٣٨ — **المصدر نفسه** ، بحوث ، رقم ١٣٩٥ ، ص ١٣ .

٣٩ — الانروا ، دائرة التعليم ، **تقرير عن سير العمل** ٦٧/٦٦ ، ص ٤٧ — ٤٨ .

٤٠ — الانروا ، دائرة التعليم ، **الموجز الاحصائي** ٦٩ — ٧٠ ، ص ٩ .

٤١ — U.N.R.W.A., *Progress Report*, 67-78, p. 63.

٤٢ — الانروا ، دائرة التعليم ، **الموجز الاحصائي** ٦٩ — ٧٠ ، ص ١٠ .

٤٣ — المركز الاقليمي ، **بحوث** ، الدورة الطويلة ، المصدر السابق ، ص ٣ .

٤٤ — الانروا ، دائرة التعليم ، **تقرير عن سير العمل** للعام ٦٦ — ٦٧ ، ص ٥٥ — ٥٦ .

٤٥ — الانروا ، دائرة التعليم ، **الموجز الاحصائي** ٦٩ — ٧٠ ، ص ١٢٢ .

٤٦ — الانروا ، **تقرير المندوب لعام ١٩٧٠** ، ص ٨٣ .

٤٧ — الانروا ، دائرة التعليم ، **تقرير عن سير العمل** ٦٧ — ٦٨ ، ص ٦٣ .

٤٨ — الانروا ، دائرة التعليم ، **الموجز الاحصائي** ٦٩ — ٧٠ ، ص ١٣٩ .

٤٩ — الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء ، **المؤشرات الاحصائية لـ ج. ع. م.** ٥٢ — ٦٩ ، ١٩٧٠ ، ص ١٥٥ — ١٥٧ .

٥٠ — المركز الاقليمي ، **بحوث** ، الدورة الطويلة ، ص ١١ . وهذه الارقام مقتصرة على طلبة المدارس الرسمية فقط .

٥١ — **المصدر السابق** ، من رقم ١٤٣٤ ص ١٠ — التعليم الرسمي فقط .

٥٢ — الانروا ، **تقرير المندوب العام** ، ١٩٦٨ ، ص ٣١ .

٥٣ — رسالة من غزة . تذكر الارقام الاسرائيلية أن المدارس الرسمية في القطاع وشمال سيناء كانت عام ٦٩ ، ٧٥ مدرسة تضم ٤٤،١٨٦ طالبا وطالبة بالاضافة الى ١١ مدرسة اخرى فيها ١٢٤٢ طالبا وطالبة . راجع : **الموجز الاحصائي الاسرائيلي** ، ١٩٧٠ ، ص ٦٤١ .

٥٤ — الانروا ، **الموجز الاحصائي** ٦٩ — ١٩٧٠ ، ص ٢٩ — ٣٠ .

٥٥ — الانروا ، **الموجز الاحصائي** للعام الدراسي ٦٩ — ٧٠ .

٥٦ — **المصدر السابق** ، ص ٣٦ .

٥٧ — **المصدر السابق** ، ص ٧٤ .

٥٨ — **المصدر السابق** ، ص ٣٩ .

٥٩ — **المصدر السابق** ، ص ٧٧ .

٦٠ — **المصدر السابق** ، ص ٣٨ و٧٦ .

٦١ — **المصدر السابق** ، ص ٣٧ و٧٥ .

٦٢ — **المصدر السابق** ، ص ٤٥ .

٦٣ — **المصدر السابق** ، ص ٨٣ .

٦٤ — الانروا ، **تقرير عن سير العمل** للعام ٦٦ — ٦٧ ، ص ١٦ .

٦٥ — **المصدر السابق** ، ص ١٦ — ١٧ .

٦٦ — بالنسبة للارقام الخاصة بالعام ٦٧/٦٦ ، انظر تقرير عن سير العمل للعام المذكور ، **المصدر السابق** ، ص ١٦ .

٦٧ — **المصدر السابق** ، ص ١٨ .

٦٨ — **المصدر السابق** ، ص ١٩ .

٦٩ — الانروا ، دائرة التعليم ، **تقرير عن العام الدراسي ٦٩ — ٧٠** ، ص ٩ .

٧٠ — ادارة الحاكم الاداري العام بفلسطين ، **نشرة الاحصائيات الرسمية** ، ١٩٥٣ ، ص ١٩.

٧١ و٧٢ — **المصدر السابق** ، ١٩٥٥ — ١٩٥٨ ، ص ٢٢—٢٣ . ويلاحظ ان هناك فرقا بسيطا بين مجموع عدد الطلاب ومجموع عدد الذكور والاناث والسبب هو عدم تقسيم طلاب المدارس الخاصة الى ذكور واناث . كذلك يلاحظ انخفاض في عدد الطلبة في المرحلة الاعدادية وارتفاع عدد طلبة المرحلة الثانوية وذلك ناجم عن تصنيف مراحل التعليم حيث كان طلبة ما فوق الابتدائي وخاصة لدى الانروا يعبرون في المرحلة الثانوية .

٧٣ — عدد السكان اخذ من **تقرير الانروا عن سير العمل** ، دائرة التعليم ، للعام ٦٦ — ٦٧ وكذلك الطلاب غير اللاجئين في المدارس الرسمية ومعنى ذلك ان العدد المذكور في الجدول لا يشمل طلاب المدارس الخاصة . اما عدد الطلاب اللاجئين فاخذ من **تقرير المندوب العام للانروا** ٦٦ — ٦٧ ، ص ٧٤ .

٧٤ — مؤتمر وزراء التربية والتخطيط الاقتصادي في الدول العربية ، مراكش ١٩٧٠ ، **احصاءات حول التعليم في الدول العربية** ، مكتب الاحصاء

التابع لليونسكو ، باريس ، ص ٤٨ و٥٢ ـ ٥٣ .

٧٥ ـ الانروا ، **تقرير المندوب العام** ، ١٩٥٥ ، ص ٢٩ .

٧٦ ـ **المصدر السابق** ، ١٩٦٠ ، ص ١٣ و١٨ .

٧٧ ـ **المصدر السابق** ، ١٩٦٥ ، ص ٢٣ و٣٢ .

٧٨ ـ المركز الاقليمي ، **الدورة الطويلة** ، المصدر السابق .

٧٩ ـ الانروا ، **تقرير المندوب العام** ، ١٩٦٥ ، ص ٢٢ ـ ٢٣ .

٨٠ ـ **المصدر نفسه** ، ص ٣٢ .

٨١ ـ المركز الاقليمي للتخطيط التربوي والادارة ، مكتب اليونسكو ، ١٩٧٠ ، ص ١٣ .

٨٢ ـ راجع **تقرير المندوب العام للانروا** للعام ١٩٦٠ ، ص ١٧ ـ ١٨ . وهو لا يميز بين المرحلة الاعدادية والثانوية . وكذلك **تقرير المندوب** للعام ٦٧ ، ص ٧١ ـ ٧٤ .

٨٣ ـ المركز الاقليمي لتدريب كبار موظفي التعليم في الدول العربية ، **بحوث الموفدين** رقم ١ للعام ٦١/٦٢ ، ص ٢٥ .

٨٤ ـ الانروا ، دائرة التربية ، **الموجز الاحصائي** ٦٩ ـ ٧٠ ، ص ١٩ .

٨٥ ـ اعداد الطلاب . راجع **تقرير المندوب** للعام ٦٧ ، ص ٧١ .

٨٦ ـ الارقام الخاصة بالدول العربية مأخوذة من **«احصاءات مقارنة عن التعليم في الدول العربية»** المركز الاقليمي للتحقيق التربوي والادارة ، مؤتمر مراكش ، ص ١٤ . اما عدد الطلاب فهو في المراحل الثلاث وليس في الابتدائي والاعدادي فقط .

٨٧ ـ المركز الاقليمي للتخطيط التربوي والادارة ، اعداد مكتب الاونيسكو في باريس ، ١٩٧٠ ، ص ١٧ .

٨٨ ـ المعدلات مستخرجة من الجدول السابق .

٨٩ ـ الانروا ، دائرة التعليم ، **الموجز الاحصائي** للعام ٦٩ ـ ٧٠ ، ص ١٩ .

٩٠ ـ الانروا ، دائرة التعليم ، **الموجز الاحصائي** ، ٦٩ ـ ٧٠ ، ص ٢٠ .

٩١ ـ الانروا ، دائرة التعليم ، **التقرير الاحصائي** لعام ٦٦ ـ ٦٧ ، ص ١١ و**التقرير الاحصائي** لعام ٦٩ ـ ٧٠ ، ص ٢٦ .

٩٢ ـ الانروا ، دائرة التعليم ، **التقرير الاحصائي** للعام الدراسي ٦٦ ـ ٦٧ ، ص ١١ .

٩٣ ـ المركز الاقليمي للتخطيط التربوي والادارة ، اعداد مكتب الاونيسكو في باريس ، **المصدر السابق** ، ص ١١ .

٩٤ ـ الانروا ، **التقرير الاحصائي** ٦٦ ـ ٦٧ ، **المصدر السابق** ، ص ١١ .

٩٥ ـ الانروا ، **تقرير عن العام الدراسي** ٦٩ ـ ٧٠ ، ص ٦٤ .

٩٦ ـ الانروا ، دائرة التعليم ، **التقرير الاحصائي** للعام ٦٦ ـ ٦٧ ، ص ٤٧ .

٩٧ ـ الانروا ، دائرة التعليم ، **التقرير الاحصائي** للعام ٦٧ ـ ٦٨ ، ص ٨٩ .

٩٨ ـ الانروا ، دائرة التعليم ، **الموجز الاحصائي** للعام ٦٥ـ٦٦ ، ص ٣٣ .

٩٩ ـ الانروا ، دائرة التعليم ، **الموجز الاحصائي** للعام ٦٩ ـ ٧٠ ، ص ٥٧ ـ ٥٨ .

١٠٠ ـ الانروا ، **الموجز الاحصائي** للعام ٦٥ ـ ٦٦ ، المصدر السابق ، ص ٣٦ .

١٠١ ـ الانروا ، **الموجز الاحصائي** للعام ٦٩ ـ ٧٠ ، المصدر السابق ، ص ٩٥ ـ ٩٦ .

١٠٢ ـ بدءاً من نهاية هذا الوضع وضع مخطط اسرائيلي جديد للتهجير في القطاع ، ستظهر نتائجه بدون شك على موضوع التعليم بشكل عام ، وموضوع التسرب بشكل خاص في الفترة القادمة .

١٠٣ ـ **المصدر السابق** ، اي التقارير الإحصائية الصادرة عن دائرة التعليم في الانروا للسنوات المذكورة .

١٠٤ ـ المرحلة الاعدادية في لبنان اربع سنوات .

١٠٥ ـ المركز الاقليمي للتخطيط التربوي والادارة ، **المصدر السابق** ، ص : ٢٣ ، ٢٦ ، ٢٩ .

١٠٦ ـ مكتب الاونسكو ، **المصدر السابق** ، ص ٦٥ .

١٠٧ ـ تقرير عن **سير العمل** للعام الدراسي ٦٧ ـ ٦٨ والميزانية المقترحة للعام ٦٨/٦٩ ، ص ٥٩ ـ ٦٧ .

١٠٨ ـ الانروا ، دائرة التعليم ، **تقرير عن سير العمل** للعام ٦٧ ـ ٦٨ وبرنامج الميزانية المقترحة للعام ٦٨ ـ ٦٩ .

الارقام بين قوسين تشير الى عدد الطلاب في مدارس الانروا . اما الطلبة الثانويون فيوجدون في المدارس الرسمية والخاصة .

١٠٩ ـ المركز الاقليمي ، صحيفة **التخطيط التربوي في البلاد العربية** ، عدد خاص ، العدد ١٨ السنة السادسة ، ايلول ـ كانون الاول

١٩٦٨ ، ص ٣٨ .

١١٠ — النسب مستخرجة من الجدول السابق .

١١١ — الانروا، دائرة التعليم ، **الموجز الاحصائي** للعام ٦٩ — ٧٠ ، ص ١٣١ .

١١٢ — ادارة الحاكم الاداري العام لقطاع غزة ، **نشرة الاحصائيات الرسمية ٥٥** — ١٩٥٨ ، ص ٢٢ — ٢٣ .

١١٣ — **المصدر السابق**. والانروا، دائرة التعليم، **الموجز الاحصائي** للعام ٦٩ — ٧٠ ، ص : ٤٧، ٨٥ ، ١١٤ .

١١٤ — **المصدر السابق** ، ص ٢٤ .

١١٥ — **المصدر السابق** ، ص ٢٦ .

١١٦ — **المصدر نفسه** .

١١٧ — النسب الخاصة بالدول العربية مأخوذة من تقرير المركز الاقليمي للتخطيط التربوي والادارة ، **المصدر السابق** ، ص ٥٢ — ٥٣ .
اما الارقام الخاصة بالانروا فقد استخرجت من التقرير الاحصائي للعام الدراسي ٦٦ — ٦٧ الصادر عن دائرة التعليم .

١١٨ — الانروا ، **تقرير المندوب العام** ، ١٩٦٨ ، ص ٧ — ٨ .

١١٩ — الانروا ، دائرة التعليم، **الموجز الاحصائي** ٦٩ — ٧٠ .

١٢٠ — الانروا ، **تقرير المندوب العام** ، المصدر السابق ، ص ٣١ .

١٢١ — الانروا ، **تقرير المندوب العام** ، ١٩٦٨ ، ص ٣٢ .

١٢٢ — **المصدر نفسه** .

١٢٣ — **المصدر السابق** ، تقرير ١٩٦٩ ، ص ٢٧.

١٢٤ — **المصدر السابق** ، تقرير ١٩٦٩ ، ص ٤ .

١٢٥ — الانروا، **تقرير المندوب العام** لعام ١٩٧٠، ص ٥٥ — ٥٧ .

١٢٦ — الانروا، **تقرير المندوب العام** لعام ١٩٧٠، ص ٩ .

١٢٧ — **تقرير المندوب العام** ، ١٩٦٨ ، ص ٣٢ .

١٢٨ — الانروا ، **تقرير المندوب العام** ، ١٩٧١ ، ص ٣٣ .

١٢٩ — **تقرير المندوب العام** ، ١٩٧٠ ، ١٩٧١ .

١٣٠ — **تقرير المندوب العام** ، ١٩٦٨ ، ص ٩ .

١٣١ — **تقرير المندوب العام** ، ١٩٦٨ ، ص ٩ .

١٣٢ — **المصدر السابق** ، ص ١٠ .

١٣٣ — **تقرير المندوب العام** ، (عربي) ١٩٧٠ ، ص ٤١ .

١٣٤ — **تقرير المندوب العام** ، ١٩٧١ ، ص ٣٢ .

علاقات اسرائيل مع دول العالم

١٩٦٧ — ١٩٧٠

بقلم

شحادة موسى

٥١٧ صفحة ١٠ ل.ل.

تضاف اليها اجور البريد : ١٥٠ ق.ل. في العالم العربي
٣٠٠ ق.ل. في اوروبه ، ٦٠٠ ق.ل. في سائر الدول

من منشورات مركز الابحاث في م. ت. ف.
ص.ب ١٦٩١ — بيروت

مراجعـــات

The New Left and the Jews, edited by Mordecai S. Chertoff. (Pitman Publishing Corporation, New York, 1971).

لقد كان ظهور حركة اليسار الجديد ونموهـا في الولايات المتحدة الامريكية في النصف الثاني من الستينات ، ومن ثم التزامهـا نهجا مناوئـا للصهيونية ومؤيدا للقضية الفلسطينية بمثابة أول تحد ذي شأن للتأييد والدعم شبه التام الذي كانت تتمتع به اسرائيل ، حتى ذلك الحين ، في الولايات المتحدة الامريكية . وقد خلقت هذه الظاهرة وضعا دقيقا للصهيونية لان حركة اليسار الجديد توجهت الى قطاع الشباب والطلاب في المجتمع الامريكي وجذبت نحوها جانبا كبيرا منه . وازاء ذلك عمد الصهيونيون ، في سبيل مقاومة هذه الظاهرة ، الى اصدار العديد من الكتب والمقالات ، ونظموا المؤتمرات والندوات الموجهة لقطاع الشباب والطلاب ، لا سيما اليهود منهم ، لانقاذ سمعة اسرائيل وصورتها في اذهانهم . والكتاب الذين نحن بصدد الحديث عنه هنا هو احدى هذه المحاولات الصهيونية . فهو اذ يشتمل على تحليل لمواقف اليسار الجديد من وجهة نظر صهيونية ، يبادر لاعطاء « وصفات » متعددة لكيفية النيل منه والتشهير به ، ويقدم لقطاع الشباب والطلاب بديلا له يتوافق مع اغراض الصهيونية واهدافها .

وهذا الكتاب هو عبارة عن مجموعة من ١٦ مقالا ، استخلصت عدة مقالات منها من مادة مؤتمر نظمه في الولايات المتحدة في عام ١٩٧٠ « معهد الهستدروت الامريكي للتبادل الثقافي » . ولا ينتمي أي من كاتبي مقالات هذا الكتاب الى حركة اليسار الجديد ، رغم ان عددا منهم يصفون انفسهم بانهم يساريون . وقد قام موردخاي شيرتوف ، محرر هذا الكتاب وواضع احدى مقالاته ، بتصنيفه الى قسمين ، يتناول احدهما بالبحث اليسار الجديد وحركات الشباب بصورة عامة ، اما القسم الثاني فيتناول بصورة خاصة موقف اليسار الجديد من الصهيونية واليهود .

والقسم الاول من هذا الكتاب ، ويتكون من مقالات كتبهـا خمسة من اساتذة الجامعات والكتاب البارزين في الدوائر الاكاديمية في الولايات المتحدة الامريكية ، لا يقدم محاولة اصيلة في دراسة حركة اليسار الجديد وعلاقتها بواقع المجتمع الامريكي ولا يعالجها معالجة موضوعية ، بل يشتمل في ثناياه على ادانة مغرضة لليسار الجديد ، مشهرا بما يدعوه كاتبوه روحه الهدامة ، وجنوحه الى الايمان بدور النخبة وحكمها ، ورفضه للمجتمع الديموقراطي .

وتجدر الاشارة هنا الى مقالة والتر لاكير الاستاذ المعروف لدى الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة بدراساته حول الشيوعية ، ومن بينها دراسة حول الشيوعية في الشرق الاوسط ، وهي مقالة سبق ان نشرت عام ١٩٦١ ، قبل تبلور حركة اليسار الجديد . ورغم ان مقالته هذه ، وهي بعنوان : « تأملات حول حركات الشباب » لا تتناول بالبحث حركة اليسار الجديد ، فانها ليست بعيدة عن موضوع الكتاب بسبب ما عقده فيها من مقارنة بين مزاج الشباب الامريكي وتوجهاته الفكرية في الستينات، وبما كان يسود اوساط الشباب في المانيا قبل شيوع النازية . فهذه المقارنة التي لم يثبت والتر لاكير من خلالها اوجه الشبه بين الحالتين ببراهين ثابتة او وثائق اكيدة ، سرعان ما التقطها العديد من السياسيين الامريكيين ، ومن بينهم هنري كيسنجر ، ليتخذوا منها ذريعة للتشهير باليسار الجديد .

وفي واقع الامر ، نجد صدى لهذه الفكرة في مقالة اخرى في هذا القسم من الكتاب ، وضعها كاتبها روبرت نسبت في الفترة ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ، وتتناول بصورة اكثر تحديدا وتخصيصا ، حركة اليسار الجديد وتتهمه بخلق ظروف تشابه تلك التي سادت

المانيا قبل شيوع النازية مما قد يؤدي الى ظهور حالة مشابهة في الولايات المتحدة اليوم . ونستطيع القول اجمالا ، ان هذا القسم من الكتاب حول اليسار الجديد بصورة عامة لا يعدو كونه محاولة للتشهير باليسار الجديد بمقارنته وربطه بأحداث ووضعيات لا تمت له بصلة .

اما القسم الثاني من الكتاب ، ويتكون من مقالات بقلم احد عشر كاتبا ، اثنان منهما (تشومسكي وعرنوني) هما على صلة ما باليسار الجديد ، فهو ينضح أيضا بنبرة الادانة لليسار الجديد لا سيما موقفه من الصهيونية واسرائيل . وقد تشذ عن ذلك مقالة « نعوم تشومسكي » بعنوان : « اسرائيل واليسار الجديد » ، والتي تبرىء اليسار الجديد من تهمة اللاسامية التي يصمه بها الصهيونيون . وهو يبين ان اليسار الجديد ، ليس بكامله ، مناوئا للصهيونية ومناهضا لاسرائيل ، ويستطرد تشومسكي قائلا ان ذكرى المجازر النازية ، التي يثيرها الصهيونيون دائما ، لم تعد حافزا حقيقيا للسياسة ، بل ان مأساة الفلسطينيين الحية غدت اكثر أهمية منها . وازاء هذه الوضعية ، يرى تشومسكي أن اليسار الجديد مضطرب وغير سعيد وتسود صفوفه بلبلة فكرية حول هذه القضية . ويخصص تشومسكي الشطر الاكبر من مقالته لاثبات آرائه هذه وذلك من خلال استعراض ما يعده كتابات اليسار الجديد . ويخلص تشومسكي في مقالته الى اقتراح تشجيع ودعم حركات اليسار والسلام في اسرائيل ، والا أصبحت اسرائيل مهددة بالارتباط ارتباطا اوثق بالاوساط العسكرية والشوفينية والامريكية .

أما مقالة البروفسور الاسرائيلي ناثان روتينستراييخ فتنطوي على محاولة لدحض افكار تشومسكي هذه (وكانت قد وردت في مقال سابق له في عام ١٩٦٩) ويهاجمه لاعترافه ، جزئيا ، بحقوق الفلسطينيين ، كما يهاجمه لانتقاده قانون العودة الاسرائيلي معطيا الاولوية في التأكيد على الجرائم النازية باعتبارها أهم من المظالم التي لحقت بالفلسطينيين والتي يثيرها تشومسكي .

وتتناول ثلاث مقالات من القسم الثاني ، بصورة محددة، تأثير اليسار الجديد على اليهود الامريكيين. وتقدم حلولا متعددة للتصدي له بينهم . فكاتب احدى هذه المقالات الثلاث ناثان غليزر يدحض ما يدعوه نظرية اليسار الجديد الاشتراكية ، ويصر على ان هنالك مصالح يهودية معينة تتجسد ، في نظره ، في « دور اليهود التاريخي » والذي يتمثل في الذاب على استمرار انحسار الاتجاهات المناهضة للسامية ، وفي الالتزام باستمرار وجود اسرائيل . وهو يقول دون ادنى مواربة بما ان اليسار الجديد يعارض جميع هذه المصالح ، فان من مصلحة اليهود وجميع الناس العقلاء ان « يعملوا على اضعاف اليسار الجديد وحصر قوته » (الصفحة ١٥٨) .

وهنالك مقالة اخرى في هذا القسم تعالج الموضوع ذاته ، وان كانت تنحو منحى اكثر ليبرالية من سابقتها وهي بقلم توم ميلشتاين الذي يزعم ان اليسار الجديد قد لا يكون بحد ذاته مناهضا للسامية (باستثناء جماعات سوداء معينة داخلة)، بيد انه جعل مناهضة السامية امرا شرعيا في الحياة السياسية الامريكية بصورة بات يخشى معها ان تلتقط قطاعات اليمين الواسعة حملة مناهضة السامية هذه مما يعرض الحياة اليهودية في اميركا للمخاطر . أما الوصفة التي يصفها للتصدي لليسار الجديد فهي اعادة احياء ائتلاف الاقليات والحركة العمالية الليبرالي الذي كان قائما في الستينات .

ويقدم محرر الكتاب موردخاي تشيرتوف وصفة ثالثة للتصدي لمد اليسار الجديد ، فهو بعد ان يتناول في مقالته ما يدعوه مناهضة السامية في اميركا في اطار تاريخي ثم لدى اليسار الجديد اليوم يؤكد على النمو المتزايد لما يدعوه الجماعات « الصهيونية الراديكالية » التي يعدد كثيرا منها ، معتبرا ان في تشجيع هذه الجماعات ارضاء لنوازع اولئك الذين يودون ان يكونوا صهيونيين وراديكاليين في آن واحد .

أما مقالة مناحيم عرنوني في هذا الكتاب فهي بعنوان : « لماذا يحتاج اليسار الجديد اسرائيل ؟» التي يؤكد فيها يساريته اذ يروي كيف انه بصفته محررا لمجلة « اقلية مكونة من واحد » (مينوريتي أوف ون) ، حمل ، خلال الستينات ، لواء الدفاع عن الثورة والتحرير في كل مكان من كوبا الى فيتنام ولكن في عام ١٩٦٧ بعد ان دافع عن موقف اسرائيل وجد ان اليسار الجديد قد انفض من حوله فانهارت مجلته ، وهو يخلص في مقالته الى نوع من التبرير الذاتي بزعمه أن اليسار يحتاج اسرائيل مثالا يحتذى « للتقدمية بالافعال والاعمال لا بالاقوال »،

لعل من الامثلة النموذجية على الكتابات الصهيونية اليمينية مقالة ماري سيركن في هذا الكتاب . فهي تهاجم اليسار الجديد لدعمه للفلسطينيين وتركز الاهتمام على الحركة السوداء زاعمة ان مناوأة اليهود السود للصهيونية هي من اعراض مناهضة السامية . وتخلص « ماري سيركن » في مقالتها الحافلة بالاحكام الديماغوغية والمغالطات في وقائع تاريخ القضية الفلسطينية الى تأييد فكرة انشاء كيان فلسطيني على ضفتي الاردن الغربية والشرقية .

وختاما لا بد من الاشارة الى مقالة سيمور ليبسيت التي اختار عنوانا لها « اشتراكية البلهاء » مستعيرا بذلك تشخيص اوغست بيبل لمناهضي السامية ، ومسبغا اياه على مناهضي الصهيونية . ويرى سيمور ليبسيت ان معارضة اليسار الجديد الدولية لاسرائيل ، ومناوأة الحركات السوداء في الولايات المتحدة للصهيونية تدفعان اليهود اكثر فاكثر الى مواقع محافظة بل ويمينية ، ولتجنب ذلك يشير بضرورة احياء صورة اسرائيل الاشتراكية بالتأكيد على طبيعة نظام الكيبوتزات فيها ، وذلك لنقض تلك الصورة التي تقرن اسرائيل بالاتجاهات اليمينية . وتتردد هذه الفكرة الاخيرة اي فكرة اعادة احياء صورة اسرائيل الاشتراكية ، في كثير من المقالات في القسم الثاني ، وهي مؤكدة بصورة خاصة بوضع مقالة سعدية غلب بعنوان : « الكيبوتز كمجتمع ثوري » في موقع استراتيجي في نهاية الكتاب . ولا تتناول سعدية غلب في مقالتها ، بأية صورة من الصور ، اليسار الجديد وعلاقته بالصهيونية ، بل هي تصف خبرات الحياة في الكيبوتز مؤكدة على ما تعتبره « طبيعته الثورية الاساسية » ، وتخلص من ذلك الى ان الكيبوتز يمكن ان يكون قوام انسجام ووفاق مع اليسار الجديد في الولايات المتحدة والعناصر التقدمية في شتى الاتجاه .

ولعل اشد ما يستحق الملاحظة والتنويه في مجموعة المقالات هذه ما اشتملت عليه من اقتراحات بشأن التصدي للاتجاهات المناهضة للصهيونية في اليسار الجديد . فمن الاقتراحات الموجهة للولايات المتحدة بصورة عامة اعادة احياء الائتلاف الليبرالي بين الاقليات والحركة العمالية ، اما بالنسبة للشباب اليهودي بصفة خاصة « فالوصفة » هي تشجيع « الصهيونية الراديكالية » على نمط اليسار الصهيوني . أما على الصعيد العالمي فتؤكد الاقتراحات على ضرورة احياء صورة اسرائيل الاشتراكية ومحورها الكيبوتز . وتجدر الاشارة الى ان الصهيونيين قد اخذوا بهذه الاقتراحات ويطبقونها فعلا ، فلا يتوانى الصهيونيون عن اغتنام اية فرصة للاتصال بالجماعات السوداء الليبرالية ، فعلى سبيل المثال وجهت دعوات لاساتذة الكليات السوداء لزيارة اسرائيل ، وتتكاثر كالفطر الجرائد والجماعات الصهيونية الراديكالية سواء داخل الجامعات او خارجها وتمولها مصادر صهيونية ، كما ظهر هنالك فيض من الكتابات حول بوروخوف وغير ذلك من كتابات اليسار الصهيوني ، وكذلك حول الكيبوتز باعتباره « نموذجا ثوريا » . وقد افلح الصهيونيون بفضل هذه المطبوعات الكثيرة وبواسطة عقد المؤتمرات واقامة الندوات وتأسيس الجرائد والجماعات الصهيونية الراديكالية في استعادة موطىء قدم لهم في الساحة الجامعية ، وليس بوسع الامكانات المحدودة المتوفرة للمقاومة الفلسطينية ان تتصدى لكل هذا الطوفان الدعائي الصهيوني في اوساط الشباب الجامعيين في الولايات المتحدة ، هذا في حين ان الدول العربية ومكاتب اعلامها التي تتوفر لها امكانات جمة توجه جهودها الاعلامية نحو الاوساط الحكومية حيث تقع على آذان صماء .

جوليانا سعد

امتثال جويدي : شجرة الصبير
(دار الاتحاد : توزيع دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٢)

« إنا شجرة الصبير ، لا يميتني جوع او عطش ، ولا تحرقني شمس او يبللني مطر . وكل عزيمة مغامرة تنتحر فوق اشواكي . من احب الله والوطن حمدهما على وجودي ، ومن بهما كفر عانقني بمكر فانتحر !!» بهذه الكلمات تختتم امتثال جويدي روايتها الفلسطينية الاولى « شجرة الصبير » . وامتثال جويدي هي ابنة القضية المتعثرة قبل اي شيء ، ابنة فلسطين ، انها وداد، ابنة يافا التي لا تنسى رمال شواطئها الاسيرة ، ولا تغيب عن بالها ظلال اشجار البرتقال (اليافاوي) الاصفر . ووداد ، ابنة القضية ايضا ، رحلت مع عائلتها عن يافا خلال الهجرة الاولى الى لبنان ، وحملت معها القضية لتزرع « شجرة صبير » اخرى على امتداد الساحة العربية . ويلاحظ ان الرواية تندر — في قسم كبير منها — سيرة المؤلفة الذاتية باسماء مستعارة ، ودون تحديد للزمان . وتلجأ المؤلفة الى الرمز والتجريد في عرضها القصصي لتاريخ القضية الفلسطينية السياسي ، خاصة عند حديثها عن مواقف الانظمة العربية المختلفة ازاء القضية الفلسطينية .

ساق الجنود الانكليز والد وداد الى السجن ، وهي لا تزال في الثامنة من عمرها ، وكانت وصيته قبل ان يقبل الصغيرة ويرحل مكبلا بالحديد : « وداد ، وطنك ، امك نفسك » . وبقيت وداد مستيقظة حتى الصباح الذي اطل مع دوي صوت انفجار شديد وقع في خمارة غولدا القريبة . دخان الانفجار الذي تعالى كان اول اكتشاف في حياة وداد . وتصور المؤلفة هنا سذاجة الطفلة التي اكتشفت ان « النار في الخارج غير نار الموقدة التي تطبخ فوقها الجدة طعام الاسرة » . وتبرز المؤلفة سذاجة الطفلة وداد في مكان اخر من الرواية ، وذلك عندما بدأت وداد في تحديد فهم جديد لمعنى الخوف . « فالخوف من الصرصار غير الخوف من العقرب » . والاسرائيلي ليس كالغول ، لان الغول على الاقل « يسكن بعيدا في اعالي الجبال ولا يحضر الا بدعوة من اهلها ، وهم لا يدعونه الا لان عزمها منه يجبرها على تنفيذ الاوامر » . ويرد تصوير الطفلة وداد ، الساذجة البريئة في مكان آخر ايضا ، فهي لا تعرف من القانون غير تقبيل يد من هم اكبر منها سنا . فالاجوبة التي كانت تتلقاها على اسئلتها ، صفعات متلاحقة دفعت الصغيرة الى الاستسلام لانه « اقرب طريق الى السلامة » . الطفلة الساذجة ، كانت تضيق بكلمات « يا لطيف » ، و « هذه ارادة الله » ، مثلما كان يردد المتفرجون وهم يجرجرون تنهدات عميقة للتعليق عما يحدث من « خراب ودمار » . امتثال جويدي هي التي تضيق بمثل هذه الكلمات، أم وداد ؟ ان المؤلفة هنا تدفع وداد خارج الصورة لتحل محلها ، ولكنها تعود من بعد ذلك ، وتعيد المكان الى وداد حين لم تدرك هذه ان الخطر بات يحيق بالجميع من كل جانب ، الا عندما رأت والدها بعد قنابل مولوتوف من « كحل العين » . فهي رأته وهو « يضع عددا كبيرا من الزجاجات الضخمة الفارغة امامه ويحشوها بقطن مبلل وفي ثغر كل واحدة من الزجاجات مسحوق يشبه كحل العين الذي تتزين النساء به وبالمسامير المقطوعة الرأس » .

اذا كان الفن الروائي ليس المهم ، وهذا واضح في رواية « شجرة الصبير » ، فالاهم عند امتثال جويدي هو فضح المؤامرات التي كانت تدبر ضد فلسطين في الظلام ، وضد المقاومة التي حاولت استعادة فلسطين المسروقة . فقد سردت احاديث الكبار المجتمعين في منزل جد وداد ، وكيف كان حزب « اللحية » ، لحية الشيخ أعسر ، يخدم الانكليز واليهود معا . فجد وداد هو الذي قال ان « بعض رجال الدين ، وفي كل الظروف ، يلعب ليعبثهم الخطرة القذرة ناسين الله في قلوبهم طمعا بالسلطة والتاليه » . وأوضحت امتثال جويدي ان الخطر لم يكن مصدره ، رصاص اليهود ومؤامرات الانكليز وحسب ، بل « حملات الاعلام الكاذبة من صحفنا ومنشوراتنا » كانت اكثر خطرا واشد فتكا . ماذا كانت تمثل السلطة حينئذ ؟ كانت توهم الشباب العرب بأنهم الشجعان الاقوياء ليركب الغرور انفسهم فلا يخيفهم الخطر المحدق بهم لان عدوهم ضعيف جبان . وكانت تضع الشباب في جو المقاومة الشكلية لاستقطاب العناصر الوطنية المخلصة ، والهائها عن المقاومة الفعالة .

بعد المؤامرات ، وعمليات البيع والشراء التي قام

بها الاعلام العربي ، ماذا حدث ؟ « حضن الوطن يا صغيرتي كحضن الأم لا بديل عنه مهما تدفق الخير والحنان من سواه » . سمعت وداد هذه الكلمات من امها وهم يغادرون شاطىء يافا على مركب النزوح ، وتبرز صورة تقطر الما للفراق ، اذ قالت وداد في سرها : « كم بيت بنيت على رمالك الناعمة !!.. لقد تهدمت كلها وانهارت .. كما تهدمت احلامي » . واخذت يافا وراء الافق ، واحست وداد ان كيانها ينفصل عن ذاتها ، وخاطبت نفسها : « سيكون العقاب مؤلما بقدر الالم الذي أعيش ، فالجريمة كبيرة ، والجزاء سيكون أكبر» . وهنا نسمع مرة اخرى صوت الكاتبة لا صوت وداد . فالطفلة الساذجة لا يمكن تحميلها عنف محبة الارض ، ولا لغة السياسة الناضجة .

تسكن العائلة في احد مخيمات بيروت ، وتتابع وداد دراستها ، وتحصل على شهادة البريفيه وتعمل معلمة في « مدرسة صبرا » التابعة للاونروا . البؤس الشديد الذي كان يعاني منه سكان المخيم دفعها دائما الى التأمل والجلوس على باب المخيم ، وتترك لمخيلتها القيام بالدور . اين ذلك الاسمر على جواده الابيض ، « ذلك الرجل العظيم الذي لا يزال يعيش في خاطري .. سيكمل تعليمي وتخصصي .. سانتظره هنا على باب المخيم ، سيمر بي يوما ويأخذني على صهوة جواده الابيض » . وتعود الكاتبة الى فضح التآمر وسرده في روايتها مرة اخرى . الا ان التآمر هذه المرة مختلف عما ذكرته في القسم الاول من الرواية . انه تآمر اللجنة التي اشرفت على وضع كتب التدريس في المدارس التابعة لهيئة الامم المتحدة . مدير المدرسة التي تعمل بها وداد اختلف معها وطردها من العمل لانها خطرة . « خطرة لانك تحشين رؤوس الاولاد بالقضية فتصرفيهم عن دروسهم وتشوهين افكارهم البكر » . لقد ادركت وداد ان الكتب المقررة التي وضعتها لجنة سياسية خاصة ، لا يمكن ان تخلق ثورة ، ولا يمكن ان تحرك عنفوان القضية .

المشوق في رواية « شجرة الصبر » ، اسلوب الكاتبة اثناء معالجتها لصلة الانسان بالارض والوطن ، وبصلته بالاخرين . ويبدو ذلك من ألم وداد الشديد « لانتشار الجوع والمرض في كل مكان » . فسكان المخيم يتحركون « ليثبتوا انهم احياء فقط » ، و « حتى ان طلاب المدارس الحفاة اكثر عددا من المتعلمين » . بالرغم من كل ذلك لم تستسلم وداد لليأس ان يثبط من عزيمتها ، وقالت « ان استسلم واعلن ولائي لواقع فرضته علي ظروف الحياة القاهرة فهذا امر لا افكر فيه اطلاقا لن اكون زقبتي لك ايتها البقعة السوداء المحتلة من جانبنا » . وعن صلة الانسان بالارض ، تعبر — دون ان تتمكن من اخفاء الاعجاب — فتاة فلسطينية تقول للبرة الاولى : « ليت اغتصبت الاعراض كلها ، وبقيت الارض » . وتقرأ ايضا « ليت ابي غاص بي ، بأمي ، بأخي . ليته غامر بنا جميعا ولم يغامر بالارض » . استطاعت المؤلفة أن تعبر عن التصاق الانسان بالارض ، عبر هذه المقاطع ، بعمق محبته لها ، وبحرارة صلته بها .

القسم الثالث من الرواية ، وهو « الجريمة والعقاب » ، يظهر في معظمه الهدوء ، ويروي باسلوب رمزي ذكي . ويعالج علاقة القضية الفلسطينية بالانظمة العربية . ولجأت المؤلفة الى اعتماد الرمز الذكي والحذر في رسم ابعاد هذه اللوحة ، فوداد هي القضية ، وجاسر بك واخوته من أم اخرى هم الانظمة . هناك العديد من المقاطع في هذا القسم تحرك اعماق القارىء لدرجة كبيرة ، من شدة هذا التحرك ننسى احيانا اننا نقرأ رواية فلسطينية . فحين ذهبت وداد الى مكتب جاسر بك ، المحسن الكبير ، لطلب مساعدته المادية لاجراء عملية جراحية لاخيها الضرير .. « فتحت عينيها اللتين اغرورقتا بالدموع ونظرت في عينيه .. كان الحنان يتدفق من نظراته الحادة كنظرات صقر حتى ، وتدهرجت بنظرها لتلتقي ابتسامته الصافية المشعة تلمع فوق شفتيه » . وننسى ايضا اننا أمام رواية فلسطينية حين نقرأ كلامات جاسر بك التي قالها لوداد . « احبك ، وحبي طاهر كنفسك التي عرفت ، صدقيني ، وامنحيني ثقتك » .

حاولت الكاتبة ان تظهر تمرد المرأة وغضبها عبر وداد . فوالدة وداد « لا تعرف سوى كلمة نعم » ، ولم تتمكن وداد من دفعها الى التمرد « على الذليل من الكلام » . الا ان التمرد بدا واضحا في نفس وداد التي جاء على لسانها : « انا انسانة احب التمرد على كل شيء . احب معاندة العبد شرط ان يكون هذا العبد قويا ، أما الضعفاء فلا يعنيني من امرهم شيء . اكرههم ، احتقرهم ، احقد عليهم » . جميل ان نقرأ تمرد امرأة ، واجمل من ذلك ان تكون امرأة فلسطينية .

الرمزية الذكية واضحة تماما في اسلوب المؤلفة ، وهي تعبر — عبر وداد — عن العلاقة بينها وبين جاسر بك واخوته من الام الاخرى ، وعن الشك الذي سيطر على وداد منذ بداية هذه العلاقة . وقد يكون طرح امتثال جويدي لهذه العلاقة ، اول طرح جريء للعلاقة بين القضية الفلسطينية وبين الانظمة العربية . وتصور المؤلفة هذه العلاقة على انها « كلعبة قمار .. مع مقامر لا يجيد اللعب ولكنه يحبه » . واوضح جاسر بك ذلك في سره حين قال : « انا هو ذلك المقامر ، العب حبا بالربح وانتقاما من الخسارة . ولكنها هذه المرة لعبة مع مقامر ماهر .. شحذته مرارة الخسارات التي مني بها » . المقامر الماهر ، الذي « شحذته مرارة الخسارات » هو القضية الفلسطينية بعد ان تبنتها المقاومة ، وحمل ابناؤها السلاح وبدأوا حرب التحرير الشعبية . وتتوالى الصور الرمزية الذكية، الواحدة تلو الاخرى ، حتى تصبح عملية فك الرموز سهلة للغاية . فحين كان يلجأ جاسر بك الى البحر كلما ضاق به الحال طلبا للمساعدة ، كان يقول : « اريد المساعدة يا بحر ، اريد وداد ، اريد ان تنتصر قضيتها . انتصارها هو انتصار لكل ما قمت به من اعمال في شتى الميادين ، ولكل ما انبتت افكاري ومشاعري الوطنية من مبادىء جديدة .. الهمني ايها البحر العميق كنفسي ، الهمني المخرج المشرف » . لنحاول فك رموز هذا المقطع . انتصار وداد هو انتصار القضية ، وانتصار القضية هو انتصار لكل ما قام به جاسر بك من اعمال في شتى الميادين . اذن ، اليس هو الذي امم القناة وفي عهده قامت اول وحدة عربية بين دولتين عربيتين ، واجرى تحولات اشتراكية في نظام بلاده، ورفع عن كاهل العامل استغلال الاثرياء وعن ظهر الفلاح سوط الاقطاعي ، وبنى السد ، وزود جيش بلاده باحدث الاسلحة ، وقاد مؤتمرات الحياد وعدم الانحياز الدولية !.. هذه هي اعمال جاسر بك ، وهو يريد ان يتوج انجازاته هذه بانتصار القضية الفلسطينية . ومن اكثر الصور الرمزية ذكاء ، تلك التي شحنتها المؤلفة باسلوب ، هادىء وواضح الالوان ، حين عبرت عن موقف المقاومة الفلسطينية بعد قبول الرئيس الراحل عبد الناصر لمبادرة روجرز في صيف ١٩٧٠ . اذ جاءت وداد تخاطب جاسر بك بعد خلاف حاد نشب بينهما ، لانها لا تقدر ظروفه من جهة ، ولانها لا توافقه على مواقفه السياسية من جهة ثانية . لقد قالت وداد: « تريدون مني ان اصبح نظاما ، اتصرف وفق بروتوكولات معينة ، واسير على نمط دولي وعربي معين ... واشياء كثيرة تجعلني ابدو وكأنني بطلة لمسرحية من الدمى المتحركة » .

وتوفق المؤلفة في عرضها لمجزرة ايلول ١٩٧٠ في عمان وما تلا ذلك من مواقف سياسية عربية ، في صور رمزية ، اكثر وضوحا ، واشد ذكاء . ولنحاول مرة ثانية فك بعض رموز هذه الصور . حسن ، وهو أخ جاسر بك من أم اخرى ، يقتل اخوي وداد ، حين يأمر الملك حسين قوات البادية في شن هجمات وحشية على بيوت اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات . ووداد تذهب الى منزل جاسر بك ، مثلما ذهب وفد المقاومة الى القاهرة بعد المجزرة . وبعد موت عبد الناصر ، استأسد اخوته على المقاومة ، ووضعوا وداد في قفص الاتهام ، لانها قتلت جاسر بك كما ادعوا . وفي المحكمة هتفت : « لا تطلبوا لي البراءة .. فانا يا سادة ، شجرة الصبر .. اشواكي تنطح عواصف الدنيا باسرها . كلما هبت علي عاصفة من الرياح ، رددتها بصلابتي ، فتخاذلت تلهث كما يلهث الاسد المهزوم » .

كلمة اخيرة لا بد من قولها . امتثال جويدي ، المؤلفة ، لا تدعي انها كاتبة رواية محترفة ، وهذا واضح من خلال سطور الرواية نفسها . وهي لا تدعي انها تدخل عالم الرواية ، لان روايتها خلت من فن الرواية المتكامل . ولذلك تأتي رواية « شجرة الصبر » ، كشريط اخباري ، مدعم بالصور ، يعرض الاحداث . ومما لا شك فيه ان الكاتبة استطاعت ان تستفيد من اوقات فراغها بشكل جيد ، وتقدم لنا — لاول مرة — رواية المرغت في سطورها — بشجاعة — قضية فلسطين من عشية النزوح الى عشية التصفية . والجديد في الرواية ، اسلوبها البسيط الذي يعتمد على الرمز . انها المرة الاولى التي تترجم بها القضية الفلسطينية السياسية الى رواية ، سجلت المؤلفة عبرها « مسيرة العذاب » الطويلة والدموية ، بالرغم من عدم مرافقة المؤلفة لهذه المسيرة .

مصطفى كركوتي

Moché Catane, Qui est juif ?
(Éditions R. Laffont, Paris 1972).

مؤلف الكتاب يهودي من أصل فرنسي يمارس مهنة التعليم الجامعي في اسرائيل . وهو — كما يصف نفسه — يهودي مؤمن متدين ، يناضل داخل حركة تعمل « من أجل يهودية تستوحي التوراة » . والكتاب استعراض وتحليل للحكم الصادر في ١٩٧٠/١/٢٣ عن المحكمة العليا في اسرائيل حول قضية شاليت التي اثارت الرأي العام اليهودي وطرحت من جديد مسألة تعريف « اليهودي » . وشاليت ضابط يهودي في البحرية الاسرائيلية متزوج بمسيحية وله منها ولدان ، توجه يوما الى دائرة النفوس وطلب تسجيل ولديه في سجلات الحالة المدنية وفي بطاقات الهوية على انهما يهوديان ، فرفض الموظف المسؤول طلبه ، واعتمد القاعدة الدينية ، وسجل الولدين على انهما غير يهوديين . ورفع الامر الى المحكمة العليا فحكمت بامكان تسجيل الولدين كاشخاص « ذوي انتماء الى العرق اليهودي » . ولكنها اشارت الى عدم امكان اعتبارهما يهوديين بالنسبة الى أية معاملة تخضع للقضاء الشرعي اليهودي . ورأت المحكمة ان على موظف الحالة المدنية ان يكتفي — طالما ان المشرع لم يغير بعد القوانين المعمول بها — بتسجيل تصريحات المواطنين كما هي ، دون تعديلها او التشكيك فيها ، الا اذا بدا له انها مغلوطة بشكل سافر وشاذ .

ان بطاقات الهوية في اسرائيل تتضمن خانة كتب عليها « ليوم » . والغريب ان مضمون هذه الكلمة ما زال موضع جدل بين اليهود أنفسهم . وربما كان تعبير « الانتماء العرقي » أقرب التفسيرات او المعاني اليها . وقد نصحت المحكمة العليا حكومة اسرائيل بالاقلاع عن وضع هذه الخانة في بطاقات الهوية ، فرفضت . ولعلها فعلت ذلك لسببين : للحفاظ على علاقات اسرائيل بيهود الخارج ، وللاستمرار في تطبيق القانون الاسرائيلي الذي يميز بين « اليهود » و « العرب » و « الاجانب » .

وابان احتدام الجدل حول قضية شاليت قال البعض : ان الامر لا يستحق كل هذه الضجة ، فكل ولد متحدر من أم غير يهودية يستطيع اعتناق اليهودية فيما بعد ، وخصوصا عندما يقرر الزواج بيهودية . ولكن القضية أعمق من ذلك وابعد .

ان المعركة التي ربحها شاليت على صعيد القضاء (وخسرها فيما بعد على الصعيد السياسي ، لان الكنيست تبنى ، بضغط من الاحزاب الدينية ، تشريعا مغايرا لقرار المحكمة) تتجاوز بكثير حدود القرارات الادارية . فخلف الواجهة الادارية التي ارتكبت « خطأ اداريا » عندما رفضت تسجيل تصريح شاليت ، تكمن مسألة مهمة تؤرق الجنون وتتعلق بكيفية تعريف او معرفة « من هو اليهودي » .

ولليهود ، بشكل عام ، من هذه القضية موقفان متباعدان : موقف المتدينين المتزمتين وموقف العلمانيين المتحررين . ويتمسك انصار الموقف الاول باحكام « الهالخا » (او الشريعة الدينية التي تستمد احكامها من التلمود) . و « الهالخا » تعرف اليهودي بانه الشخص المولود من ام يهودية او المعتنق لليهودية . واذا كان رجال الدين من اليهود يعارضون كل تعريف غير ديني للشعب اليهودي فلخوفهم من أن يؤدي ذلك الى الاعتراف بوجود فئة من اليهود لا تخضع للشريعة اليهودية . أما أنصار الموقف الثاني فيرون ان كون الانسان يهوديا لا يعني بالضرورة كونه متدينا ، فالانسان يمكن أن يكون يهوديا بثقافته ، أو تقاليده ، أو نشأته ، او ميوله ، او بالاضطهاد الذي عاناه . والصراع بين الموقفين قديم في اليهودية ، وهو الذي دفع بطابعه وحدته الخلافات التي ذرت قرنها ، منذ بداية هذا القرن ، بين اليهود الصهيونيين واليهود الاشتراكيين . ولهذا اكتسبت قضية شاليت اهمية خاصة ومغزى كبيرا . ولهذا كذلك سارعت الشخصيات الدينية ، المتزمتة والمرموقة ، الى تجريد حملة قاسية على حكم المحكمة العليا . فصرح كبير الحاخامين الاشكنار انترمان بأن الحكم ينم عن وجود « اتجاه هدام » داخل المحكمة ، غرضه « استئصال حجر من أحجار القاعدة التي يرتكز عليها بناء اليهودية » ، ونعني به ذلك الحجر الذي حافظ على نقاوة الاسرة اليهودية ضد تسرب الثقافات الاجنبية وضد اي شكل من اشكال التهجين » . وقال كبير الحاخامين السفراديم نسيم ان « البلاد ستقذف هذا الحكم بيديها الاثنتين » ، لانه سيؤدي الى انشقاق بين « يهود اسرائيل ويهود المنفى » .

واعلن وزير الشؤون الدينية ان القضية تمس « جذور وجودنا » ، واننا لن نخضع لاوامر المحكمة حول هذا الموضوع » .

ولو عدنا الى الماضي القريب لوجدنا ان اول مشكلة من هذا النوع اندلعت في اسرائيل وشغلت الرأي العام فيها هي مشكلة الطفل ستينبرغ . ففي اواخر عام ١٩٥٧ ، توفي هذا الطفل المتحدر من أب يهودي وام مسيحية ، فرفضت السلطات الروحية اليهودية السماح بدفنه داخل المقبرة اليهودية . وكان اسرائيل بار يهودا (العضو في الحزب الاشتراكي أحدوت هاعفودا) وزيرا للداخلية آنذاك ، فانتهز هذه الفرصة ووجه الى ادارات الحالة المدنية بعض التعليمات التي تتلخص بالسماح بتسجيل الطفل المتحدر من زواج مختلط كيهودي اذا رغب والداه في ذلك ، وباعتبار اليهودي « من يصرح بحسن نية انه يهودي » (واضافت الحكومة الى ذلك فيما بعد : « ولا ينتمي الى أية طائفة دينية اخرى ») .

واثارت هذه التعليمات ضجة كبرى في البلاد لانها حاولت ادخال تعديل على التعريف الديني التقليدي لليهودي . وانسحب يومذاك « الحزب الديني القومي » من الائتلاف الحكومي ، فاضطر رئيس الوزراء الى تعليق العمل بهذه التعليمات . وتألفت لجنة من الوزراء لدراسة مسألة « من هو اليهودي ؟ » ، وقررت طلب المشورة والرأي من الشخصيات اليهودية المرموقة . وفي ٣٠ نوفمبر ١٩٥٨ وجهت رسالة شرحت فيها المشكلة الى خمسين شخصية تقريبا . وكانت الرسالة تحمل توقيع بن غوريون . وتلقت اللجنة ٤٥ اجابة (٢٠ من اسرائيل و ٢٥ من الخارج) . وقبل أن تنتهي الحكومة من الاطلاع على الاجوبة وطبعها ، في نهاية عام ١٩٥٩ ، كانت حدة المشكلة قد خفت بسبب اجراء انتخابات نيابية جديدة ، وعودة الحزب الديني الى التعاون مع الحكومة ، وتبديل وزير الداخلية . ولهذا قررت الحكومة الغاء تعليمات الوزير السابق . ومن اطلاعنا على الردود نجد أن الجميع تقريبا يعارضون فكرة ادخال اي تعديل على العادات والتقاليد اليهودية المتبعة .

وبعد هذه الحادثة عرفت اسرائيل ، عام ١٩٦٢ ، حادثة اخرى كان بطلها راهب اسمه دانيال . وهو يهودي من بولونيا اضطر اثناء الحرب العالمية الثانية الى اعتناق الكاثوليكية والدخول في سلك الرهبنة . وعاد يوما الى إسرائيل وطالب بمنحه الجنسية الاسرائيلية فورا ، عملا بقانون العودة الذي ينص على حق كل يهودي « عائد الى أرض اسرائيل » في اكتساب هذه الجنسية كاملة . وعندما رفضت الادارة طلبه ونصحته بطلب التجنس رفع الامر الى المحكمة العليا التي وجدت نفسها مضطرة الى حسم الامر وتحديد مفهوم «اليهودي» الوارد في قانون العودة . وادلى الراهب بعدة حجج لدعم طلبه ، أهمها ان القانون اليهودي التقليدي يعتبر « ان كل اعتناق لدين اخر من قبل اليهودي باطل وكأنه لم يكن » ، وان اليهودي يبقى ، على الرغم من ذلك ، عضوا في الاسرة اليهودية . ورفضت المحكمة طلبه وأصدرت حكما غريبا يمكن ان يوصف بالبهلوانية القانونية . لقد اعتبرته يهوديا في نظر « الهالخا » ، وغير يهودي في نظر الشعب اليهودي ، لان هذا الشعب لا يرضى باعتبار المارق او المرتد عن الدين يهوديا . ونصحت الراهب بطلب التجنس اذا اراد ان يصبح اسرائيليا .

وجاء حكم شاليت يزيد الامر تعقيدا ويشجع بعض الشخصيات اليهودية المناهضة للتقاليد الدينية السائدة على الاحتكام الى المحكمة العليا . وأشهر الدعاوى واحدثها هي دعوى العالم النفسي تامارين الذي طالب بتضمين بطاقة هويته نصا يؤكد انتماءه الى القومية الاسرائيلية ، لا الى القومية اليهودية . وفي ١٩٧٢/١/٢٠ ، أكدت المحكمة على ان القوميتين اليهودية والاسرائيلية مفهومان متلازمان لا ينفصلان . وعلقت غولدا مائير على الحكم ، امام المؤتمر الصهيوني العالمي ، فأكدت على أن الجنسية والدين أمران متلاحمان مندمجان ، وان الزواج المختلط هو العدو الاول للدولة اليهودية . وكانت قد أعلنت في عام ١٩٧٠ ، على أثر صدور حكم شاليت : « ان الحفاظ على بقاء الشعب اليهودي أهم من وجود دولة اسرائيل والصهيونية ... ولن تتخلى في القرن العشرين عن خمار الصلاة ولا عن التماويذ » .

ويبدو ان الغرض البعيد للمؤلف من وضع الكتاب ليس التعليق على قضية شاليت فقط ، بل التأكيد كذلك على وجوب التمسك بالطابع الديني لاسرائيل فهو يعتقد ان الصفة الدينية لهذه الدولة هي التي درأت عنها حتى الان خطر الانزلاق نحو العدم . ولهذا نراه ، في أكثر من موضع ، يعمد

الى تفنيد « المزاعم » القائلة بأن هذه الصفة أمر مؤقت وعارض تحتمه ظروف اسرائيل الراهنة. انه يجهد ليبرهن على أن النزعة الدينية ما زالت سائدة ومسيطرة على جميع اليهود ، على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم ، وبما فيهم الفئات الاشتراكية المنادية بالعلمانية . ان اليهود المطالبين بفصل الدين عن الدولة لا يشكلون — في رأيه — الا اقلية ضئيلة لا وزن لها ، وان الاوضاع الراهنة في اسرائيل لا تنبىء ابدا باقتراب ساعة العمل بنظام علماني ، وان أكبر خطر يهدد تلاحم اليهود ووجودهم ، حتى خارج اسرائيل ، هو تلك النسبة، التي أخذت ترتفع تدريجيا ، من الشبان اليهود الذين يتزوجون بغير اليهوديات فيبتعدون بذلك عن روح اليهودية .

وآراء المؤلف تفضح الاتجاه الديني التيوقراطي السائد في اسرائيل . وهذا الاتجاه يتعارض كليا مع الشعارات العلمانية التي رفعها ، او يرفعها ، زعماء الصهيونية . فهرتزل كان يدعي انه يريد رؤية التيوقراطيين ، في الدولة اليهودية المقبلة ، قابعين في معابدهم كما يقبع الجنود في ثكناتهم . وبن غوريون رفض — حفاظا على مبدأ العلمانية — ان يتزوج حسب المراسم الدينية . وحاييم كوهن، القاضي في المحكمة العليا ، تزوج بمطلقة حينما كان يمثل اسرائيل في لجنة حقوق الانسان في الامم المتحدة . وهو القائل : « اليهودي هو الذي يعتبر نفسه يهوديا » . وهذه المواقف العلمانية لا تخدع احدا ، او لا تقنع احدا ، اما لانها ليست صادقة ، واما لانها معدومة الاثر والتأثير . لقد قال كاتب يهودي اخر ، هو عاموس الون في كتابه « الاسرائيليون » (الصادر في نيويورك عام ١٩٧١) : ان القوة الفعلية للمتدينين في اسرائيل تفوق بكثير قوتهم الانتخابية المتمثلة بالـ ١٥ ٪ من الاصوات . ان لدى القيادة الاسرائيلية نوعا من التدين الخاطىء ، الوراثي، الاسطوري ، الذي يأتي لتعزيز هذه القوة . وتدين النخبة السياسية (مضافا الى القوة السياسية المباشرة التي تتمتع بها الاحزاب الدينية) يتجه اليوم نحو احداث انقلاب في المبادىء العلمانية التي كان يدين بها قسم كبير من الرعيل الصهيوني الاول .

وبقيت نقطة نود الاشارة اليها . ان المقدمة التي وضعها الناشر لكتاب « **من هو اليهودي ؟** » تختلف باتجاهها مع اغراض المؤلف وافكاره . ان الناشر يعجب لاجتماع تسعة قضاة من الحكماء المسلحين بالعلم والتجربة ، ولمدة عام او اكثر ، من اجل ايجاد حل لقضية تجد حلا يوميا خارج غرفة المحكمة العليا : في المناقشات التي تدور في المقاهي ، ومن خلال حملات التضامن التي ينظمها يهود العالم ، وعبر كل تصرف انتهازي يصدر عن الساسة ، « فليس ثمة احد يطالب بتعريف اليهودي : ان اللاسامية تعرفه كل يوم ... وليس في مناقشة المحكمة العليا اية غرابة . اننا نجد فيها التقليد الكبير للدعاية اليهودية . لقد قيل غالبا ان الدعاية الاكثر لاسامية هي الدعاية اليهودية . ومن المحتمل ان يكون ذلك قد قيل للدلالة على ان الدعاية اليهودية تتميز بمناخ فكري يستدعي البحث المستمر عن النقائص ، والاستمرار في المعارضة ، وقطع الشعرة الى اربعة ، بغية تغيير اللعبة العالمية » .

والخلاصة ان هذا الكتاب جاء يؤكد ، مرة اخرى، نظرة الصهيونيين الى الدين والقومية ، ورفضهم الشديد للفصل بين الاثنين ، وادعاءهم الدائم بأن اليهودية قومية ودين معا ، وان كل فصل بينهما يفقد اسرائيل الاساس الذي تقوم عليه .

الدكتور محمد المجذوب

محمود اسماعيل نصيف ، لماذا هو غير ممكن اللقاء مع اليسار في اسرائيل ؟
(النجف الاشرف : مطبعة العربي الحديثة ، بمساعدة نقابة المعلمين العراقية ، ١٩٧١)

ما يقودنا الى مراجعة هذا الكتيب الصغير (١٠٠ صفحة من الحجم الصغير باحرف متوسطة) ليس بالضرورة اهمية الاراء التي اوردها بل اهمية المسألة التي طرحها وحاول معالجتها . فمنذ تعالي كفاح المقاومة الفلسطينية خلال العقد الماضي، وخاصة بعد اطلاق شعار الدولة الديموقراطية في المستقبل ، أصبح موضوع امكانيات التلاقي بين مجموعتي السكان الذين سيشكلون مواطني الدولة الفلسطينية الديموقراطية في المستقبل (اي المستوطنين اليهود بما في ذلك المهاجرين من اليهود العرب والسكان الاصليين من عرب فلسطين) مسألة مطروحة في مجال البحث خاصة وان عليها يعتمد الى حد بعيد مستقبل الكفاح العربي ضد الصهيونية . ومجرد رفع هذا الشعار (هذا ان لم يكن على سبيل الدعاية فقط وهو امر مرفوض) يفترض امكانية قيام التقاء بين الجماهير الفلسطينية والجماهير اليهودية ان آجلا او عاجلا خلال تطور الكفاح الطويل . والواقع فسان لم تكن امكانية الالتقاء قائمة على اسس في المصلحة المشتركة طويلة الامد ، فان المسألة تعود بنا الى ما كانت عليه في السابق — اي صراع مرير بين جموع اليهود والعرب تنتهي بالتصفية الجسدية او الازاحة الميكانية لاحد الطرفين او الاخر . وتصريحات معظم اطراف المقاومة الفلسطينية وتحليلاتهم ومنطلقات نواة اليسار الاسرائيلي تنم عن القبول بافتراض وجود هذه المصلحة المشتركة طويلة الامد مما يفسر اعادة طرح مسألة التحرير على هذه الاسس . الا ان دراسة لواقع المجتمع الاسرائيلي ببنياته الطبقية ومصالحها مثل الدراسة الماثلة للشعب الفلسطيني بالنظر الى هذه المسألة ، غير متوفرة رغم كثرة الكتابات السطحية حولها والتي لم تتمكن ، بطبيعة اهتماماتها بتفاصيل التركيبات السياسية الانية ، من حسمها . والواقع ان هذه حالة الكتيب الذي نحن بصدده ، اذ لم يعالج فيه المؤلف اطلاقا الاصول الطبقية والمجتمعية التي يمكن ان تقوم عليها اسس الالتقاء بل اكتفى بطرح امكانيات الالتقاء مع المنظمات اليسارية كما هي قائمة في اسرائيل الان . وبرغم مما اوصله ذلك الى استنتاجات سطحية ، فلم يخل الكتيب من بعض الامور التي يجدر النظر فيها ان لشيء فلملاقاة الحوار الذي يدعو اليه حول المسألة في مقدمة الكتيب ولابداء بعض الملاحظات حولها .

لا بد من الاشارة هنا الى ان المؤلف لم يوضح بأي شكل من الاشكال ما عناة بكلمة « اللقاء » فجاء بحثه بمثابة نقد (ذاتي الطابع في بعض الاحيان) لما اعتبره اليسار الاسرائيلي، اكثر مما كان معالجة لامكانية اللقاء معه او مع عناصر مجموعة او فردية منه او ، واهم من ذلك ، مع التحركات المجتمعية التي قد يمثل انعكاسها . ولكن عرضه لليسار الصهيوني يشير الى اضطلاع بالموضوع وذلك على ما يبدو من ايراده للمصادر والكتابات المعنية .

قسم المؤلف اليسار الاسرائيلي الى قسمين : (١) **اليسار الصهيوني** بما في ذلك احزاب مباي وراقي واحدوت هعفودا ومابام والتي اعتبرها كتلة واحدة نظرا لانعدام الفروق الاساسية فيما بينها واضاف اليها فئات اليسار الصهيوني الجديد مثل فئة ماكي المنشقة عن الحزب الشيوعي وجماعة اوري افنيري . (٢) **واليسار غير الصهيوني** الذي الذي يتشكل برأيه من فئة ترفض الصهيونية واسرائيل ايديولوجيا وتتمسك بها جغرافيا وتتمثل بالحزب الشيوعي ، راكح ، وفئة اخرى تناهض الصهيونية واسرائيل ايديولوجيا وجغرافيا وتتمثل في المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، ماتسبن . وراح المؤلف يعالج منطلقات هذه الفئات الواحدة تلو الاخرى ومواقفها العملية ليستخلص ما اذا كانت هناك امكانية للقاء معها .

من الملاحظ والمستغرب ان معالجة المؤلف في القسم الاول من الكتيب لاحزاب اليسار الصهيوني — وهي الاحزاب الحاكمة والتي لا تعترف اي من الفئات العربية التقدمية بيساريتها ولا يفكر احد من قريب او بعيد باللقاء معها كما يدرك المؤلف ويقول لنا — قد شغلت القسم الاكبر من البحث . ويعلل المؤلف معالجته هذه لليسار الصهيوني في مجال بحثه في امكانية اللقاء بالقول : « ان بحث هذا اليسار ضروري جدا لعاملين اساسيين هما العلاقة الجدلية القائمة بين هذا « اليسار » واليسار غير الصهيوني ... وبالتالي نظرا لسيطرة خرافة اسرائيل الاشتراكية التقدمية ... » . وقام المؤلف فعلا بتفنيد الادعاءات القائلة باشتراكية اسرائيل

والاجزاء التي تؤودها بتحليل جنبه ، ربما عفويا ، بذلك الذي تقدمت به المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية في المقالة التي اصدرتها عام ١٩٦٧ تحت عنوان **ملاحظات حول اليسار الصهيوني** ، هذا بالإضافة الى ايراده الادلة عن مصادر اخرى مختلفة بما فيها بعض الدراسات التي اصدرها مركز الابحاث. الا ان المؤلف لم يقم بأي شكل من الاشكال باظهار او حتى معالجة « العلاقة الجدلية » بين اليسار الصهيوني واليسار غير الصهيوني مما جعل معالجته الطويلة لليسار الصهيوني والتي انتهت بالاستنتاج بعدم امكانية اللقاء معه ساذجة وغير ضرورية من الاساس .

ثم يتناول المؤلف الاحزاب غير الصهيونية التي بقوله تعترف باسرائيل جغرافيا وليس ايديولوجيا فعالج مواقف الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، ركاح واعترف بايجابياتها ورفض سلبياتها . اما عن حزب ركاح فقد طرح المؤلف ايجابيات معاداته للصهيونية على انها اداة للاستعمار وتأييده لحق اللاجئين الفلسطينيين في تقرير المصير من حيث العودة او التعويض وشجبه لعدوان ١٩٦٧ وتأييده حق المقاومة في المناطق المحتلة في الاردن ومصر وسورية . واخذ المؤلف على حزب ركاح اعترافه بالكيان الاسرائيلي وعدم تأييده للكفاح المسلح لحركة التحرير الفلسطينية . فحلل الاول على ضوء نظرة ماركس للمسألة اليهودية وتنكر لينين للصهيونية ليثبت ان موقف الحزب من الاعتراف بالكيان الصهيوني يتعارض مع المبادىء الماركسية — اللينينية التي يرفعها. ويعيد المؤلف تناقضات موقف الحزب الى الظروف الخاصة التي يعيش فيها داخل المجتمع الاسرائيلي — بما في ذلك ما يتطلبه انضواء العرب في عضويته من مناهضة للصهيونية وما تتطلبه العضوية اليهودية من تجنب اثارة مسألة وجود الكيان الاسرائيلي — والاهم من ذلك الى ارتباطه بموقف الدول الاشتراكية المعترفة بالكيان الاسرائيلي . ويستنتج المؤلف من هذا ، ورغم المواقف الشجاعة التي يتعرض في سبيلها الحزب لمضايقات السلطة وارهابها ، « ان امكانية اللقاء والتفاهم بين اليسار العربي الذي تمثل قوى الثورة العربية الفلسطينية احدى طلائعه وبين هذا الحزب اليوم تبقى بعيدة وغير واردة ، وان اي فرصة للقاء غير ممكنة الان وذلك الى ان يقوم حزب ركاح باعادة تصوره للمشكلة الفلسطينية ... » . وبهذا فان امكانية اللقاء لم تستبعد كليا بالنسبة للمستقبل رغم انها لم تعالج باي شكل من الاشكال .

وفي الجزء الاخير يتناول المؤلف ما سماه اليسار غير الصهيوني الرافض للصهيونية واسرائيل ايديولوجيا وجغرافيا والذي تمثله برأيه المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية — ماتزبن . وطرح المؤلف منظمة ماتزبن على انها الوحيدة في اسرائيل التي تبنت موقفا ثوريا صحيحا من القضية الفلسطينية كما قال انها اول من طرح تحليلا علميا موضوعيا للصهيونية والوجود الاسرائيلي ، مما ادى بها الى طرح الصهيونية على انها حركة استعمارية استيطانية وان اسرائيل نتاج استعمار الحركة الصهيونية لفلسطين تحت رعاية الامبريالية على حساب الشعب الفلسطيني العربي . ثم عرض برنامج ماتزبن لحل المسألة الفلسطينية بحيث لا يؤتى على معاقبة العمال والجماهير الاسرائيلية تكفيرا لذنوب الصهيونية وبحيث يعمل على الغاء صهيونية اسرائيل من خلال تغيير ثوري عميق يؤدي الى قيام دولة اشتراكية تمثل مصالح جماهير سكانها بما في ذلك الغاء «قانون العودة» الصهيوني وتمكين عودة كل من يريد من الفلسطينيين العرب الى البلاد . كما اورد المؤلف قول ماتزبن ان تشكيل الشعب اليهودي في فلسطين ، وان كان مصطنعا تاريخيا وعلى حساب السكان العرب المحليين فان ذلك لا يغير من حقيقة وجود الشعب اليهودي الان. ولم يتطرق المؤلف الى معنى هذا القول الاخير فاكتفى بايراده دون تعليق عليه ، هذا مع العلم انه قد فسر بطرق مختلفة ودارت حوله مناقشات بين مؤيدي المقاومة الفلسطينية ومؤيدي ماتزبن في الغرب لا يسعنا الاسترسال حولها في هذه المراجعة . وراح المؤلف يستنتج ان واقع كون ماتزبن المنظمة الوحيدة التي استطاعت طرح تحليل ماركسي صحيح لواقع اسرائيل والصهيونية وتقديم حل ثوري للمشكلة ، قد « يفسح المجال للقول بامكانية اللقاء مع هذه المنظمة » على الصعيد النظري . الا ان المؤلف يستطرد فيقول ان المسألة المطروحة اليوم « ليست مسألة نظرية ابدا » بل مسألة صراع مسلح مما يغير الصورة برأيه ويستوجب النظر فيما اذا سيفيد هذا اللقاء بالنسبة لقضية الكفاح المسلح الفلسطيني ضد الوجود الصهيوني . والاجابة على هذا السؤال بزعمه يستلزم النظر في حجم المنظمة وتأثيرها . وهنا يذهب المؤلف في القول ان ماتزبن حركة صغيرة (مئة عضو بزعم المصادر التي اعتمدها) ولا تشكل

مؤثرا مهما في المجتمع الاسرائيلي رغم اتساع اثرها الاعلامي في الخارج . كما يزعم المؤلف ، دون الاستناد الى اي ادلة او تحليل ، ان ماتزبن لا تشكل سوى انعكاس لتيار اليسار الجديد في اوروبة ومن ثمة فلا تمثل تيارا نابعا من داخل المجتمع الاسرائيلي قادرا على التاثير عليه . وهنا يخلص المؤلف الى القول ان هذه المنظمة لا تملك قيمة حقيقية مؤثرة في الصراع العربي الاسرائيلي مما يحتم اسقاط اي حساب للتعاون معها . وهنا ينهي هذا الباحث كتيبه بالقول : « ان الدعوة الان للقاء مع اليساريين والتقدميين في اسرائيل هي دعوة مرفوضة موضوعيا وعلميا بسبب انعدام وجود المؤثر لليسار الحقيقي في اسرائيل وان على قوى المقاومة الثورية العربية في الوقت الحاضر مواجهة المجتمع الصهيوني بكامله المعبأ عسكريا لا قيادته المتمثلة في السلطة الحاكمة فحسب » .

لو حاولنا استخلاص اطروحة البحث بكامله في عبارة واحدة ، ولن يكون في ذلك مبالغة كبيرة ، لستظهر بوضوح سذاجة المنطلق الذي اتبعه المؤلف . والاطروحة هي انه لا يمكن اللقاء مع اليسار الصهيوني لانه صهيوني المنطلق ، ولا يمكن اللقاء مع حزب ركاح لان مواقفه — وهي التي تملي عليه نتيجة ظروف وجوده في المجتمع الاسرائيلي والكيان الصهيوني ونظرا لارتباطه بموقف الدول الاشتراكية المعترفة بهذا الكيان — لا تتفق مع التحليل الماركسي اللينيني الصحيح للمسألة ، ولا يمكن اللقاء مع ماتسبن اذ انها حركة صغيرة لا تؤثر على المجتمع الاسرائيلي كثيرا اذ ليست نابعة عن ظروفه الداخلية . اما عدا ما تحتويه هذه العبارة ، فليس في البحث اي طرح اضافي يعالج مسألة اللقاء في حد ذاتها ، هذا رغم ان في البحث عرضا لليسار في اسرائيل قد يفيد قارئه . ولا مجال للنظر في هذا العرض طالما نحن في صدد الاطروحة الاساسية للبحث . كما انه لا حاجة للنظر في مسألة اللقاء مع اليسار الصهيوني الحاكم في اسرائيل . . . لاسباب من التفاهة ذكرها .

أما عن الحزب الشيوعي ركاح ، واعتمادا على ما قد يعني بكلمة لقاء ، فرغم سلبيات موقفه من الكفاح المسلح الفلسطيني والكيان الصهيوني ، ثمة امور تتعلق بمواقفه وتركيبه التنظيمي يجب التطرق اليها خاصة وان المؤلف اهملها . لقد قام هذا الحزب بدور لا يمكن حصره في الدفاع عن المواطن العربي تحت الاحتلال الصهيوني طوال اربعة وعشرين عاما . وتاريخيا قبل عام ١٩٤٨ ، كان هذا الحزب الجهاز التنظيمي السياسي الوحيد الذي ضم في عضويته العرب واليهود بسواء تجسد في صفوفه عمليا ما نم عن المطاليب التي طالما رفعتها الجماهير العربية الفلسطينية — أي الاستقلال للبلاد على ان تضم جميع مواطنيها الحاليين من يهود وعرب . اما بعد اقامة دولة اسرائيل فقد مارس الحزب باستمرار وبشجاعة فائقة الدفاع اليومي عن حقوق العرب ممن تبقوا تحت الحكم العسكري . وفيما تخلت كافة الانظمة العربية آنذاك عن الاهتمام بامر الاقلية العربية الباقية ، وفي حين غابوا عن ادراك معظم الاحزاب والحركات الوطنية التي نشأت في البلدان العربية بعد ذلك ، كان الحزب الشيوعي المخرج الوحيد الذي اتجهت اعداد الاقلية العربية اليه فخرج معظم رواد المقاومة ومفكريها وشعرائها من عداد اعضائه . ويستمد هذا الحزب الذي أصبحت تتشكل أغلبية عضويته من العرب بعد انشقاق المساومين من بعض اليهود في عضويته السابقة ، بالدفاع اليومي عن حقوق الاقلية العربية في اسرائيل وتأييد حقوق سكان الاراضي التي وقعت تحت الاحتلال منذ ١٩٦٧ . في هذه المجالات يمكن « اللقاء » مع الحزب الشيوعي راكاح .

أما المنظمة الاشتراكية ماتسبن ، فقد قامت هذه الحركة عام ١٩٦٢ قبل ظهور اليسار الجديد في الغرب بانشقاق مناضليها عن الحزب الشيوعي بعد ممارسة لهم فيه وتضم في قيادتها (وفق مصدر شخصي) عددا من الفلسطينيين اليهود الاصليين ممن أقام آباؤهم واجدادهم في البلاد قبل قدوم موجة الهجرة الصهيونية الاولى في القرن الماضي ، ولا يمكن القول انها لا تشكل سوى انعكاس سطحي لحركة اليسار الجديد في الغرب غير نابع عن ظروف فلسطين التاريخية والحالية . والتحليل الذي قدمته ماتسبن للصهيونية ولليسار الصهيوني بشكل خاص ، والذي يقدر المؤلف صحته كما يقول ويستقي منه شأنه شأن اخرين من الباحثين العرب ، لا يمكن ان يكون قد استخلص الا من وعي دقيق لظروف المجتمع الاسرائيلي وللحركة التي طبعت معالمه . واستلقاف اليسار الجديد في الغرب لاخبار وتحليلات ماتسبن مما وسع الاعلام عنها بشكل يفوق حجمها الحقيقي كما يقول المؤلف ، لم يأت الا بعد حرب حزيران وتصاعد

حركة المقاومة العربية مما وجه انظار العالم التقدمي الى داخل المجتمع الاسرائيلي لتقصي ما اذا كانت هناك تناقضات « مؤثرة » قد تكمن فيه . وبغياب اي تحد تحليلي جدي لمزاعم اليسار الصهيوني الحاكم من ادعاءات حول المساواة والاشتراكية في اسرائيل ، برزت هذه المجموعة الصغيرة نسبيا من اعضاء حركة ماتسبن وطرحت تحليلاتها واظهرت واقعا كانت قد فشلت الحركة الوطنية العربية من شرحه واظهاره : وهو انه لا يمكن التوجه الى مسالة الحل التقدمي للمشكلة الصهيونية والمشكلة الفلسطينية الناجمة عنه دون تناول التناقضات التي يحويها المجتمع الاسرائيلي شأنه شأن اي مجتمع رأسمالي آخر بما في ذلك تناقضات الحركة الاسرائيلية مع الهستدروت الذي يدعي النقابية في مظهره الخارجي هذا بالاضافة الى تناقضات اخرى لم تتصد لها تحليلات ماتسبن من حيث البنيان الاثني للمجتمع الاسرائيلي بما في ذلك من تمييز ضد الاكثرية من اليهود الشرقيين الذين جاءوا بأغلبيتهم الساحقة من البلدان العربية ولا شك ان اتساع الاعلام عن تحليلات ماتسبن هو ما دفع المؤسسة اليهودية داخليا وخارجيا للتضييق على هذه الحركة وعزلها بما في ذلك من الاتهامات التي ارسلت ضد عناصرها مثل القول بالعمالة لفتح . ولم يكن ذلك للحؤول دون تسرب تحليلاتهم للمجتمع الاسرائيلي الى الغرب مما يسيء الى سمعة ليبرالية اسرائيل واشتراكيتها فحسب بل ، واهم من ذلك ، للحؤول دون تسرب تحليلاتهم واتصالهم بالجماهير المسحوقة من الطبقة العاملة الاسرائيلية لئلا يثير ذلك شكوكها وتساؤلاتها حول حقيقة المزاعم والمؤسسات الاشتراكية التي يعيشون في ظلالها الفارغة . واتخذت الحملة ضد ماتسبن شكل ادعاءات تقول انهم ليسوا سوى جماعة صغيرة معزولة من المثقفين يرددون العبارات المستوردة من اليسار الجديد في الغرب . وسرعان ما باشرت عناصر مبرري الصهيونية ترديد هذه المزاعم في اسرائيل اصلا ثم في اوساط الشباب اليهود في الغرب الى ان باتت تلوكها السنة بعض الاطراف العربية محليا — مما ساهمت هذه العوامل جميعها بالواقع في عزل ماتسبن والحد من انطلاق نشاطها وتحليلها .

ان حجم حركة ماتسبن ، او اي حركة ثورية اشتراكية اخرى ، ونظرا للقمع والتضييق والعزل الذي لا بد وان تواجهه ، لا يمكن ان يشكل اساسا لتحديد امكانية اللقاء في صراع طويل الامد لا تحدد معالمه سوى الوقائع المجتمعية ، التي ينطلق عنها النضال في صراع مثل الذي تواجهه منطقة شرقي المتوسط . ولا يعني هذا ان ماتسبن ستكسون بالضرورة الحركة التي تمثل تحرك الجماهير العاملة للتحرر من براثن الصهيونية مع ما يمثله ذلك من زجها في صراع مرير لا يخدم مصالحها الحتمية في البقاء والتعايش والتقدم الى الاشتراكية . وقد تنمو هذه الحركة من حيث تأثيرها في الجماهير المسحوقة المقيمة حاليا في فلسطين كما قد تنشأ تنظيمات تعبئة وتسييس جديدة قد تعكس بصدق افضل الظروف المجتمعية القائمة في البلاد ولكن في كل حال فلا بد ان يكون لتحليلات ماتسبن وتحركها أثر في هذه المسألة في طول أمد الصراع القائم . تظاهرة الفهود السود مثلا وربما سبق وضع الكتيب موعد انطلاقتها ، والتي تشكل انعكاسا لواقع مجتمعي هام ، نشأت على أساس مطالب أساسية للمساواة الاثنية بين غربيين وشرقيين في اسرائيل ، ونظرا لعدم امكانية التركيب المؤسسي الاسرائيلي الذي يهيمن عليه الغربيون من احتوائها لا بد وان تنمو عنها ابعاد سياسية طبقية ، خاصة وان الشرقيين يشكلون اكثرية عمال الانتاج في البلاد . وهكذا فان النظر في مسألة اللقاء ضمن ظروف حداثة حركة نضالية طويلة الامد ، لم تتبلور فيها بعد المواقع الايديولوجية ، لا ينطبق على اليسار في اسرائيل وحسب بل وعلى حركة التحرر العربي التي لم تتمكن حتى الان من بلورة تحليلها للظروف المجتمعية العربية البالية التي فشلت في التصدي للامبريالية ووليدتها الحركة الصهيونية في الماضي والتي ما زالت ضعيفة حتى الان في التصدي لاسرائيل حاليا .

قد يبدو ان المسألة تعتمد على تحديد ما يعني بكلمة اللقاء . وظروف اللقاء في منطلق الدفاع عن الحريات الاساسية متوفرة ليس بالنسبة لركاح وماتسبن فقط بل وحتى بالنسبة للمنظمات غير اليسارية مثل لجنة حقوق الانسان الاسرائيلية التي تدافع باستمرار ضد التعسف الاسرائيلي في المناطق المحتلة . كما ان الالتقاء الايديولوجي، وهو المتوفر نسبيا في راكاح وماتسبن رغم وجود نقاط تتطلب الحوار وانتظار التبلور ، لا يمكن القول بامكانية تحوله الى التقاء في الكفاح المسلح واللقاء التنظيمي بالشكل العفوي الذي طرحه المؤلف بدون الاستناد الى الوقائع المجتمعية التي يقوم

على اسسها . ولكن المسألة قد تتعدى مسألة اللقاء الى المنطلق الاساسي الذي بدأ منه المؤلف بحثه .

ان النظر التبسيطي في تنظيمات اليسار القائمة في اسرائيل للاستنتاج النهائي بعدم امكانية اللقاء، دون تحديد معنى اللقاء ، ودون تحديد الاطراف العربية التي يمكن ان يتم اللقاء معها ، قد ينم عن منطلق سلبي كذلك الذي اتبعته الاوساط العربية عامة من تغميض عيونها خلال العقدين الماضيين عن وقائع الظروف الداخلية الاسرائيلية والقول بوحدة الصفوف الطبقية فيها مما خدم في خنق امكانية المبادرة للتفاعل مع تناقضات المجتمع الصهيوني والمساهمة في تطويرها ومن ثم اعطى مبررا للتقاعس عن اي عمل تجاه مسألة التحرير.

ولا يمكن بالواقع الصاق هذه القصة بالمؤلف الحالي دون تردد ، فلك ان مجرد اثارته لمسألة اللقاء في كتيبه الصغير ابدى منه اهتماما بالمسألة . الا ان الاهتمام لا يكفي ان لم يستند الى منطلق في تقص كامل للامور الاساسية المتعلقة بالمسألة بشكل جدي دون البت فيها بهذا الشكل العفوي الذاتي الذي ينطوي عليه عنوان البحث . ولو كان منطلق المؤلف اكثر ايجابية وقام بالبحث **لماذا يتوجب التوجه الى الطبقات المسحوقة في اسرائيل ؟** ، وعالج المسألة بنفس الاستناد الى تحليلات ماركس ولينين لكانت نتيجة عمله اكثر وضوحا وفائدة .

أ. ن. سعد

الطوفان واعادة التكوين ، شعر مريد البرغوثي
(دار العودة ، بيروت ١٩٧٢)

بعد هزيمة ٥ حزيران ، وبعد تفجر القصيدة العربية داخل الارض المحتلة على يد الشعراء الذين اطلق النقاد على تجاهم اسم « شعر المقاومة » ، بدأ الشباب من الشعراء الفلسطينيين في « المنفى » يبحثون عن سماتهم ، والبحث عن السمة والهوية يعني — شعريا — البحث عن الاصالة ، ولقد عرف من هؤلاء ، بنسب متفاوتة من القدرة الشعرية واصالتها ، عدد غير قليل ، موزع هنا وهناك ، على امتداد الارض العربية واتساع المنفى . ولقد سبق «الشؤون فلسطينية» ان استعرضت اصواتهم في « مراجعاتها » العاجلة ، على ضوء صدور مجموعاتهم الشعرية مثل احمد دحبور ووليد سيف ومحمد عز الدين المناصرة ومحمد القيسي وخالد أبو خالد ، وبقي منهم عدد اخر ، ما انفك موزعا في الصحف والمجلات الادبية ، ولم يتح له بعد فرصة اصدار مجموعة شعرية كاملة . ومريد البرغوثي ، احد اولئك الشباب ، ولقد اتيح له ان يقدم مجموعته الاولى دون اعتماد شكلي على اصداء سابقة ، فمعظم قراء الشعر سيتعرفون عليه اول مرة ، ربما ، وسيفاجأون ، دون شك ، بموهبة شابة ، كما فوجئت . وكتابه يعد نموذجا طبيعيا لما تقوم به « المجموعة الشعرية » التي تصدر بين دفتي كتاب ، من لم شتات الشاعر الموزعة هنا وهناك ، واعادة تكوينه ، لا كخلق ابداعي ، وانما كرؤيا ذات حدود واضحة .

يتقاسم المجموعة — زمنيا — صوتان ، او طرفان لصوت الشاعر ان صح التعبير . اذ جمع الشاعر في « الطوفان واعادة التكوين » قصائده التي كتبها بعد هزيمة ١٩٦٧ حتى اواخر العام ١٩٧١. تشكل الطرف الاول قصائده الاولى في ٦٧ — ١٩٦٨ مع بعض المتفرقات من سنوات سابقة ، في حين تشكل الطرف الاخر قصائده المتأخرة . وموازاة لهذا التقسيم الزمني، تتبين مرحلتين شعريتين واضحتين بعض الوضوح ، في الاولى يختلط صوت الشاعر وصوت خطواته الخاصة ، بصوت شعراء اخرين، يقف على رأسهم صلاح عبد الصبور فتأثيره على مريد البرغوثي واضح ، في حين ينفرد ، في الثانية، صوتا فيه من الخصوصية غير المفتعلة والحادة الشيء الكثير .

أما ما يتصل بالرؤيا العامة لقصيدة البرغوثي وفق هذين الطرفين ، فتتشكل ، عبر تجربة الشاعر ، من « المنفى » في الاولى — الى « الثورة » او « فلسطين » في الثانية . وعلى هذا الضوء سنحاول ان نتلمس مجموعة « الطوفان واعادة التكوين » دون ان نغفل ان الطرفين لا يعنيان انفصالا في تجربتين لا علاقة بين بعضهما بعضا ، على العكس من ذلك ، فان نمو « مريد » يبدو

ـ إبداعنا ـ نموا طبيعيا ، كما كان نماؤه من الشعراء الشباب . كما ان وضوح تجربته ـ فلسطينيا ـ لا تقل مستوى ، ولا تنفرد بنزعة اغترابية ، عن الشعراء الشباب الفلسطينيين .

من « المنفى » الى « فلسطين » ، هذان هما طرفا الامتداد التي تشتمل عليه مجموعة « الطوفان واعادة التكوين » ـ كما اشرت . ونستطيع ان نتطلع الى القصائد « المنافي » و « الحضيض » و « ميجانا » كنماذج نتلمس فيها حدود الطرف الاول من رؤيا الشاعر. فها هو يتطلع في «الخليج» وكأنه يستعيد دون ان يلتفت ، اغتراب الشاعر بدر شاكر السياب ، ليرى الموج يقذف بالمحار من البحار الى الرمال . وليرى الارض وقد هرمت « لا ظل يداعبها ولا قمر يسامرها ولا حاد يغنيها » ص ٣٤ . وليرى نفسه غريبا مقطع القدمين يستنزفه المشي ، فلا قدرة له عليه ، أمام دروب الشوك والمسامير المدببة ، « والوصول ، جرح من الاحباط ينزف : مستحيل » .. هكذا الى ان « تغيب قافلة النهار » .

ان هذا الاحساس بالنفي ، يتحول في الرؤيا المبسطة والعابرة لهذه القصيدة الى « اغتراب » مجرد ، فالشاعر يحدثك مباشرة ، ولكنه لا يكتفي بذلك في قصيدة « الحضيض » . انه هنا يضعك داخل مدينة « اليباب » أو « مدوم » ، وفيها يبرز بشكل واضح صوت الشاعر صلاح عبد الصبور لا في تركيبة الصورة ، او المعادل الموضوعي المستخدم كبديل لتجربة الشاعر الخاصة ، بل في الرؤيا العامة بكل تفاصيلها ، ان القصيدة حديث مرير مع « الخريف » القابع في « المدينة الميتة » الخريف بكل ما يحمل من دلالة « الجدب » ، والخواء والجفاف ، ولكن الشاعر يعقد في القصيدة بين معنى « الجدب » ومعنى « المنفى » والبعد عن « الاهل » او الوطن .

مددت راحتي للسماء اطلب المطر
ومدت بالغبار في الكفين والعطش !
فلا تسلني أن أبش في وجوه الزائرين
ما دمت عاجزا عن سقيهم في بيتنا
وبيتنا بعيد
تترصت جدرانه بألسن الفئران
وأمي العطشى تريدني ، تتوق لي كالماء
لكنني كبيتنا بعيد (ص ٣٩) .

فالجدب والمنفى هما وجهان لرؤيا واحدة ، ولكن « الحضيض » ان يواجه المدينة ـ منفاه لتكون معادلا كفؤا لغربته ، هي وحدها بشعاريها الآمرين لا تفتح الشباك !
لا تقفل الشباك !

قادرة على احباطه في ذروة نشوته الانسانية حين تدفع بأفعاها السامة لتشد على « نخلة » جسده وشهوته لتميتها ، كما تدفع بفئرانها كي تلعق .. منه نطفة الاخصاب

وتلك المدينة ، ايضا ، وحدها بشعاريها الآمرين ، انما تمثل الوجه البشع للخداع والكذب والتشويه ، حيث تعقد من وراء « حجاب الاحتشام » أبشع الصفقات الرذيلة . ولكن الشاعر في اخر القصيدة يعقد الامل ـ من اجل سادوم ـ على الآتين من الاطفال ...

في قصيدة « ميجانا » تتضح بعض ملامح المرحلة الثانية لتجربة مريد البرغوثي . فها هو « بطل » يطل في عالم الشاعر ، بين انقاض المدينة الميتة ، وركام الكذب والرصاص والافق المليء بالزور ، ولكنه يظل « بطلا » ، بمعنى الشهادة ـ الانبعاث ، وهذه الصورة لجدل الثورة سوف تتضح في قصائد المرحلة الثانية ، وهي سمة بارزة في شعر الثورة الفلسطيني بخاصة والعربي بعامة .

فالبطل ـ بالرغم من جهد الصحاب الذين يزرعون ولا يحصدون غير « سنابل من الاقاعي السود » ـ يضيع رسمه الغريب في الجبال ، يحمله الزيتون والتلال ، وعند موسم الزيتون والجنى سيهطل الغنا .. » وبهذا تعود الحياة ثانية ، ولكنها تظل في الطرف من القصائد أملا يداعب المخيلة ، وتوقا حارا للخلاص .

ان ثمة عثرة أساسية في قصائد البرغوثي ، وان شئنا الدقة ففي معاملته للغته الشعرية ، فالصورة الشعرية التي تعرفنا عليها في القصيدة الجديدة انما هي صورة حسية في الاساس ، وهذا ما لم يتناسه الشاعر ، ولكن الذي يغفل عنه بعض الاحيان انما هو التجاؤه او انتقاله المفاجئة الى الصورة التجريدية السائبة ، وهي عثرة ستزاحم معظم قصائد المجموعة ولكن دون ان تشكل عورة جوهرية . ومن السهولة ان نتسقط نماذج من هذه الصور المقتطعة السائبة كقولة : « ليل مقتول العينين ، والريح بيادر محصودة » ! أو « الموج

.. يمد فوق خرائب الصحراء اغطية الزمن » أو « وفي مناقير الطيور العابرات البحر أغصان الترقب » و « أستبد بك التداخل في الحياة » و « وما زال الغد الآتي حصانا في حقول الظن » و « ورؤى التخطي والرغاب اللاهثات وراء كثبان الازل » !! و « عيونهم كحجارة الشط المديد » ... الخ . ان هذه الصور لا تمتحن قدرة القارىء على التخيل او الاستيعاب او المتابعة ، ولكنها فحسب ، تنفر من القصيدة ، عابرة ، سهلة ، لا تعني شيئا .

في المجموعة الثانية من القصائد التي تلي قصائد « المنفى » ، تتضح امامنا صورة البطل الجديد ، فهو لم يعد يحدق في اليباب المحيط ، ولا يجادل المدينة الميتة ، بل هو يبدأ خطوته الاولى مسافرا ، انها نقطة البداية ، في قصيدة « اسفار معاصرة » ، نواجه « بطلا » لا يعرف التعلات ، ولا الامال الباطلة ، او العابرة ، ان خيله تستدير الى الوراء ، نافرة مما ترى ، يبلل العرق اعرافها الغبراء ، والغمد المدلى دون سيف ، وان مترقبيه مضوا ، وهيمن في المكان « ظل الغيوم كمضرب لخيام قوم هاجروا غربا وما حملوا الخيام » انها صورة آسرة لمعنى العطش الى الخلاص ، الخلاص الذي تجسده ارادة بطل يصرخ رغم كل شيء بانه سيواصل الدنيا .. ويمشي لكي يصل — عبر حياته الحمراء الصلبة — الى المدينة المنتظرة ، حيث يسمع من خلف بيوتها البيضاء التي لا نوافذ فيها ولا ابواب أغنية بشرية :

تفتحي ، تفتحي !
يا زهرة البيوت يا مداخل الاسوار
وقدمي لهذا الفارس المسكون بالاسفار
وردة حمراء
أو أغنية عن الوصول .. (ص ٢٨) .

ولكنه البطل — المخلص ، يخطو رغم كل شيء ، فينزع ما اصابه من سهام ويمر ، عابرا ، يحمل في يديه حياته الحمراء ، ليسكبها على سور المدينة ، وصورة البطل المخلص ترتبط بصورة البطل الغاوي . ولعل هذه الميزة هي من أبرز ميزات الشعر الفلسطيني الجديد ، انه الفدائي الذي يخرج « مرتديا ازار الموت » كما ورد في قصيدة « الفلسطينيون » (ص ٢٠) ، الى الارض ليفجر منها الماء بكفيه ، « ولا يقف انتظارا لانهمار الغيث ذات نهار » ، وهو الشهيد الذي يعرف ان في موته انبعاثه ، والنذر الذي يخصب منه المستقبل . في قصيدة « موت وراء النهر » (ص ٦٠) تتضح هذه المعادلة اذ تبدأ القصيدة بصوت منفرد :

مت فيها مرتين
مزقوا صدري ووجهي واليدين
ووراء النهر آتيكم بصدري وبوجهي واليدين ..

ان الموت في الارض ، ومن اجلها هو الطريق والجسر الى الضفة الثانية . لذلك فان الفدائي — المخلص ، هو الاكتشاف الاعمق لمعنى جدل الثورة ،

كنت يا محبوبتي اغمر خديك بقبلاتي ، فجاءوا
هجموا مثل الضباب ،
قتلوني مرتين ،
فنمت في حياتي
عندما هم قتلوني !
واليهم أذهب اليوم وزنداي عقاب .

وفي الحركة الرابعة من القصيدة ، يسجل الشاعر هذه المعادلة التي اشار اليها سابقا في صورة الفدائي الذي يخرج الى الارض « مرتديا ازار الموت » ، يسجلها ثانية بحكمة شعرية اعمق ،

انني والموت جاران وكم يسمعني
دورة المفتاح في الباب المجاور
نتلاقى كل يوم ونسافر
في دروب كلما امتدت بعيدا
أرجعتنا في النهاية
تحت سقفين نعيش الانتظار المتجاور .

ان تجربة مريد البرغوثي الشعرية ، تجربة أصيلة دون شك ، وأخص منها تجربته المتأخرة الناضجة . فهو فيها غير مستلب ، شعريا ، وغير متشتت او خاضع لاصوات سابقة . وما علي اخيرا الا ان الفت نظر الشاعر ، ثانية ، لما اخذته عليه في التجاءاته المتعددة للصورة المجردة غير الملائمة ، وفي الامثلة التي أوردتها كفاية ، فيما أظن .

فوزي كريم

اسحق شيلاف ، تحت شجرة التوت
(تل ابيب ، لفين افشتين) .

كاتب هذه الرواية هو أصلا شاعر ، يجرب من حين لاخر حظه في الكتابة النثرية . ومن الجدير بالذكر انه من أعضاء « حركة اسرائيل الكاملة » العنصرية الصهيونية ، ويعمل مدرسا . والنثر عند اسحق شيلاف ، كما تجلى من القصص الثلاث التي نشرها حتى الان ، يتميز بالطبيعة ، والبطولة وقسوة القدر . والطبيعة عنده هي طبيعة فلسطين في فترة الانتداب البريطاني ، جو تبادل طلقات الرصاص ، والاحداث الدموية بين اليهود والعرب وجو الحركات الارهابية السرية الصهيونية في فلسطين بشتى انتماءاتها . والبطل عنده شاب ، في فترات مختلفة من حياته ، في محطات مختلفة في طريقه نحو نفسه ، فتى حساس ، يمكن ان يكون في شاعريته انعكاسا لمبدعه . وقسوة القدر تتجلى دائما عنده في الموت ، موت المحبين والاعزاء ، الاعزاء والمقربين . وكما حدث في قضية جبريئيل تروش(روايته الاولى) حيث ماتت اية ــ فان شيلاف يستجلب الموت كذلك لمرفه ، الشخصية النسائية الرئيسية في روايته الجديدة « تحت شجرة التوت » ، وكذلك لهامبور، الصديق المخلص للفتى الشاعر ، والضلع الثالث لمثلث الابطال الذي يرتكز عليه بناء الرواية كلها .

ان الموت هو حل القاص لعقد الحياة التي يخلقها. وفي حالة عدم وجود حل احسن يقوم بارسال أبطاله الى الموت ، كل شخص وفق طريقته الخاصة ، وكل شخص في حينه (أو في غير أوانه احيانا) . وهو بهذه الطريقة يترك القارىء فزعا في مواجهة قسوة القدر وازاء عجز القاص عن ان يدفع أبطاله في طرق اخرى ، ربما كانت تحتاج الى جهد أكبر ، ولكن منطقها يكون اوضح ويكون اقترابها من الواقع ملموسا ومقبولا اكثر . ولكن اسحق شيلاف يصر دائما على اتباع طريقة المبالغة في ردود فعل شخصياته على امتداد الرواية كلها .

و « تحت شجرة التوت » هي قصة بلوغ وخروج فتى مريض ، يعتبر المرض من العلل الوراثية في عائلته التي تصر على ان يكون لها من حين لاخر ضحية من بين اعضاء الاسرة ، اذ توفيت اخته في البداية ، وبعد ذلك والده . والى جانب بطل القصة تظهر شخصيتان تمثلان بالنسبة له علامات الطريق الاولى نحو تجاوزه فتوة الارتباط السن البلوغ والحرية . وهاتان الشخصيتان هما مرفه وهامبور . والاولى امرأة شابة ، أم لطفلين ، تحمل في قلبها جرحين لم يندملا هما مقتل أبيها على يد العرب ، وعملية اغتصاب حدثت معها وهي في السادسة عشرة من عمرها ، على يد شابين من العرب من الرعاة . وقد ولد فيها هذان الجرحان كراهية لا حد لها تجاه العرب وزرعا في شخصيتها كذلك بذور المرارة والعنف . وعند التقائها بالشاب الشاعر، وهي ما زالت بعد تنعم بالحياة في أحضان اسرتها كانت ما زالت علائم العنف واضحة فيها وكانت توجه طريقها في البداية نحو احضان الفتى الشاعر واخيرا الى اغتيال حياتها بالغرق في بحيرة طبرية . والثاني ــ هامبور ــ هو شخصية مختلفة تماما . انه انسان في احسن سنواته ، متعلق بحياة البلاد ، ويعرف كنهها وطبيعة سكانها، ويستمتع بحياته ، ويقوم بفلاحة ارضه . وهو ــ صديق الاب ، الذي كان أيضا مديقا ومعلما للابن ــ يوجه الفتى الى طريق ميول قلبه . وتحت خشونته وفظاظته تخفى نفس حساسة ، ومحبة للجمال ، وحكمة الحياة العميقة . ولدى كشفه لنفسه للفتى ، يكتسب الفتى بذلك بعدا جديدا ، هو بعد التأمل ، وامكانية حساب النفس ، والتخلص من العمى . وموت هامبور في سريره ، ذلك الموت المناجىء ، هو نهاية جازمة للحياة المليئة لانسان كان يعرف كيف يستمتع بحياته .

وعلى هذه القواعد الثلاث الصلبة ، التي هي أساس قوي لقصة كبيرة، بنى شيلاف حبكة قصصية هزيلة ، ترتكز على الطبقة العليا ، وليس على العمق . ان دوافع البطل الشاب ، الذي ينفر من المهن الدقيقة ويشتاق الى العلوم الانسانية ، هي دوافع واضحة ومفسرة . كذلك فان علاقاته مع صديقه في الحجرة ، والذي يشكل تناقضا شبه كامل بالنسبة له ، قد جاءت من اجل الاستنفاد الفني . ولكن قضية علاقاته مع مرفه والعاصفة التي جاءت في أعقابها وجرته الى اثبات رجولته على عذرية كل من نورة وسارة ــ كل هذه القضايا محاكة بخيوط بيضاء ولم يتم استنفادها للنهاية .

ويمكن الافتراض بأن مرفه ، تلك الانسانة المنسحقة

والتي تسعى للانتقام من العرب ، قد انفعلت من بطولة الفتى ، وذلك حينما هاجم بمسدسه اوتوبيسا عربيا بناء على مهمة مكلف بها من الخلية السرية التي يعمل معها ، ونتيجة لهذا الاحساس ترضخ له وتتورط معه في مغامرة عاطفية . ولكن من هنا وحتى الحب اليائس ، وللانتحار عن طريق اغراق نفسها — المسافة كبيرة . ان مرفه تظهر على الرغم من سمات الرغبة الانتقامية والعدوانية المتأصلة في نفسها تجاه العرب كانسانة لا تقدر على عمل شيء . انها لا تبذل اي محاولة من اجل تغيير حالتها الاسرية ، او لاستقطاب الفتى اليها حينما قرر قطع العلاقات بينهما . ان تصرفاتها غير متسقة ، وغير منطقية ، كما ان اخطاءها ايضا غير منطقية . ان شيلاف قد صور شخصيتها بشكل بدت معه وهي محاطة بالكثير من علامات الاستفهام .

وضمير الفتى — ضمير ذلك الشاعر عضو الحركة الارهابية الصهيونية — الى اين يتجه ؟ ان الناص يشير في اماكن كثيرة من الرواية ، الى ان الفتى كان حائرا في البداية وكان يخشى من زوج مرفه ، عامل الرافعة ، وكان يحلم بانه يلقي به من فوق الرافعة الى اسفل — ولكنه سرعان ما يتخلص من هذه المخاوف ويقيم معهما في بيتهما ، ويأكل على مائدته ويتجاهل النقطة الضميرية على الاطلاق . وفيما عدا ذلك : ما الداعي الى دفع الفتى الى تخبطات الحب مع ثورة وسارة . ان الاولى كانت بمثابة حدث عرضي ، والثانية — تزوجها اخيرا واحتفظ بها لعدة سنوات ، حسبما يدرك القارىء ذلك من الفلاش باك الذي يحدث حينما يتحدث الفتى بعد ان يبلغ الخمسين من عمره عن تلك الفترة من حياته . واذا كان الناص قد قصد بهذا أن يشير الى ان بطله الضعيف النحيل قد استبد به حبه المحرم ومغامراته مع مرفه ، لدرجة انه أصبح اسدا مفترسا ، ينقض على كل فتاة ، اذن فلماذا اورد على لسان الفتى نفسه كلمات مليئة بالدهشة عن طريقة حياته وعن اعماله هذه ؟ واذا كان قد اراد ان يرمز بذلك الى محاولته التخلص من سيطرة مرفة عليه وذلك باقامته علاقات مع اخريات ، فان الاشارة كانت واهية ، وغير مقنعة.

والجدير بالذكر بين سطور تلك الرواية ، هو شحنة العنصرية والكراهية التي يكنها الكاتب باعتباره من غلاة الصهاينة المتطرفين ، من خلال شخصية مرفة، التي جعلها ضحية للروح العدوانية العربية : قتلوا اباها ، واغتصبوها ، ولذا فهي تريد الانتقام ، وهي لا تنتقم ولكنها تستخدم عشيقها وسيلة للانتقام من العرب ويكون هذا الانتقام هو بمثابة المدخل الذي يتمكن عن طريقه من الولوج الى حياتها وقلبها .

رشاد الشامي

ثلاثة تقارير
عن الولايات المتحدة واسرائيل

وصلت « شؤون فلسطينية » في الاشهر الاخيرة ثلاثة تقارير تتحدث عن جوانب معينة من موضوع اسرائيل والولايات المتحدة . وننشرها في هذا العدد ، والمعركة الانتخابية للرئاسة في اميركه على اشدها . وقد نشر التقريران الاولان بالانكليزية (الاول في ناشيونال جيرنال ٧٢/١/٨ ، والثاني في واشنطن بوست ١٩٧١/٢/٢٠) ، قبل تاييد زعماء الهيئات اليهودية الاميركية مؤخرا لنكسون ، الذي عبر عن مرحلة جديدة في التحالف الاميركي ـ الاسرائيلي .

التقرير الاول

نيكسون يغدق العون لاسرائيل دون أن يجني حصادا سياسيا من اليهود الامريكيين

أندرو غـــلاس

يعتقد ماير فيلدمان ، وهو محام يهودي في واشنطن، أن السفارة الاسرائيلية في واشنطن تختلف عن أية سفارة أخرى في العاصمة الامريكية من حيث أن لها رعيتها الخاصة بها من الامريكيين . وقد سبق لماير فيلدمان هذا أن قام في عهد الرئيس كنيدي بـدور حلقة الوصل بين الرئيس كنيدي واليهود الامريكيين، وهو يقول في هـذا الصدد : « تجـد الحكومـة الامريكية نفسها ملزمة بأن تأخذ في الحسبان وجهة نظر اليهود الامريكيين الذين تربطهم بالدولة اليهودية [اسرائيل] روابط عاطفية . فعندما تتحدث الحكومة الامريكية الى السفارة الاسرائيلية تدرك أنها تتحدث كذلك الى قوة سياسية في داخل الولايات المتحدة ». ويتفق مع هذا الرأي آي. ال. كينين الذي يتولى منذ الحرب العالمية الثانيـة تنسيق الاتصـالات بالمسؤولين والسياسيـين الامريكيـين واجـراء « التطبيقات » السياسية وممارسة التأثير والنفوذ عليهم لصالح اسرائيل . ويعبر كينين عن واقع هذه العلاقة قائلا : « ان السفير الاسرائيلي في واشنطن ليس مبعوثا الى الحكومة الامريكية فحسب ، بل هو مبعوث كذلـك ، بصورة ما ، الى اليهـود الامريكيين » . وتعزى الى كينين الحملة السياسية التي ادت في الخريف الماضي الى توقيع ٧٨ مـن اعضاء مجلس الشيوخ الاميركي و ٢٥١ من أعضاء مجلس النواب قرارات تحث الحكومة الامريكية على بيع المزيد من طائرات الفانتوم الى اسرائيل . ورغم أن كينين ينسق خطواته مع المسؤولين الاسرائيليين فانه مستقل عن السفارة الاسرائيليـة وطليق في تصريف شؤون مهمته اليومية وفي جمع التبرعات . ويفضل كل من كينين والسفير الاسرائيلي ان يحافظ كل منهما علـى شيء من الاستقلالية عن الاخر في تصريف شؤون مهمته . ويـرى كينين ان علـى الاسرائيليين ان يحجمـوا عن القيام بأي عمـل سياسي داخل الصراع الحزبي الاميركي ويوافقه الاسرائيليون في ذلك ، اذ يسمون ، عندما تقـوم منافسة بين اطراف سياسية محلية ، الى الاحتفاظ بعلاقات حسنة مع جميع الاطراف ودون تحيز مع طرف ضد اخر . فعندمـا زارت رئيسة الوزراء غولدا مائير الولايات المتحدة في شهر كانون الاول الماضي تعمدت اجراء محادثات مع جميع المتنافسين الرئيسيين على الفوز بترشيح الحزب الديمقراطي لمعركة الرئاسة الامريكية . ويقول كينين انه عندما تظهر هنالك مشكلة حيوية ، يبادر الى الاتصال

بحوالي ٧٠٠ من اليهود الامريكيين البارزين ، كما أنه قد يتصل بحوالي نصف دزينة من الاشخاص المتواجدين في واشنطن كممثلين لبعض المنظمات اليهودية لمتابعة نشاطات مجلسي الشيوخ والنواب ، فيدعوهم الى مكتبه « لاحيطهم علما بمجريات الامور ، ولاحثهم على القيام بما في وسعهم القيام به بهذا الصدد » .

وتوجد داخل مجلس الشيوخ الامريكي ذاته مجموعة مؤلفة من ١٢ عضوا من الحزبين ، الديمقراطي والجمهوري ، تشكل نواة ائتلاف مهمته السعي لجعل السياسة الامريكية اكثر توافقا مع مصالح اسرائيل . ولكن روابط الرئيس نيكسون بالهيئات والمنظمات اليهودية الامريكية تبقى واهية غير متينة رغم أن حكومته (وهذا ما يقر به سرا السفير الاسرائيلي رابين) كانت اكثر كرما من اية حكومة اميركية اخرى في تزويد اسرائيل بالاسلحة والمعدات الحربية . وخلال حملة انتخابات الرئاسة الاميركية في عام ١٩٦٨ ابلغ نيكسون مجموعة من اليهود الامريكيين البارزين انه يعتزم ، في حالة فوزه بالانتخابات ، أن يعين في ادارته كثيرا من اليهود « ليس لمجرد كونهم يهودا بل لانهم يتمتعون بالحصافة » . ولكن بعد انقضاء قرابة اربع سنوات على هذا الكلام يقول وارين أدلر [يهودي] المستشار السابق للشؤون اليهودية في لجنة الحزب الجمهوري القومية انه يشعر بخيبة امل من جراء سلوك الرئيس نيكسون تجاه اليهود الامريكيين ، اذ يقول : « لقد تجاهلت الدوائر المقربة الى نيكسون القوة السياسية لليهود الامريكيين .... واصبحنا نجد انفسنا في موقف ازاء الطبقة العليا من المسؤولين وأولي النفوذ رواد النوادي الريفية الخاصة ، وجميعهم لهم اصدقاء من اليهود الامريكيين ولكنهم لا يتبنون قضية الشعب اليهودي» . ورغم ذلك ، يسعى نيكسون لتمتين صلاته وروابطه باليهود الامريكيين أملا في الحصول على تأييدهم له في انتخابات الرئاسة الامريكية القادمة . ويشرف على تنسيق هذه الجهود ماكس فيشر احد كبار الممولين في ديترويت [يهودي] .

ويبقى هنالك سؤال : الى اي مدى سيذهب نيكسون في وعوده التي يطلقها في حملته الانتخابية ليجتذب الاصوات اليهودية الى صفه ، وهي أصوات ذهب جلها في انتخابات عام ١٩٦٨ الى خصمه الديموقراطي هيوبرت همفري بنسبة ٥ الى ١ . ان بعض المسؤولين في البيت الابيض قد استطوا ، بينهم وبين انفسهم ، اصوات اليهود من الحساب، كما يخشى بعض الزعماء اليهود ان تكون قوة اليهود الامريكيين السياسية هي في هبوط . ويبدو ان الرئيس نيكسون يتخذ موقفا متوازنا ازاء هذا الوضع ، اذ يروى عنه انه ابلغ حاكم احدى الولايات الكبرى قائلا : « انني لست مدينا بشيء لليهود الامريكيين ، ولكنني لن أدع ذلك يؤثر في دعمي لاسرائيل » .

ان موقف اليهود الامريكيين ازاء الرئيس نيكسون يظل يشوبه الفتور رغم أنه زود اسرائيل بمساعدات عسكرية هائلة فاقت في السنة الماضية وحدها سبعة أضعاف ما زودها به الرئيس جونسون في اكثر سنة من سنوات حكمه . ففي عام ١٩٧١ ، بلغت قيمة مبيعات الاسلحة الامريكية لاسرائيل ٦٠٠ مليون دولار بما فيها الاعداد الاخيرة من ٨٦ طائرة فانتوم كان قد اتفق على بيعها في سنة سابقة ، هذا في حين ان قيمة اكبر قدر من السلاح الامريكي تلقته اسرائيل في سنة واحدة خلال عهد جونسون لم تتجاوز ٨٠ مليون دولار .

وقد تحدث الرئيس نيكسون في ٢ كانون الثاني ١٩٧٢ في مقابلة مع شبكة اذاعة وتلفزيون كولومبيا [الامريكية] حول « التزام مبدئي » بارسال المزيد من طائرات الفانتوم لاسرائيل للمحافظة على « ميزان القوى في الشرق الاوسط » ، بيد ان نيكسون لم يبذل جهدا شخصيا ليجعل من هذه السياسات دعما سياسيا له من جانب المصوتين اليهود الذين صوتوا ضده في عام ١٩٦٨ بنسبة ٥ الى ١ . والواقع ان الغربة السياسية بين الرئيس نيكسون والهيئات اليهودية الامريكية المنظمة لا علاقة لها باسرائيل . ويعزى هذا الصدع ، جزئيا ، الى واقع ان معظم الاصوات اليهودية تذهب عادة للحزب الديموقراطي لا للجمهوري . ولكن هذا الصدع قد تعاظم نظرا لعدم تعيين الرئيس نيكسون قاضيا يهوديا بين قضاة المحكمة العليا ، وبصورة عامة نتيجة اخفاق البيت الابيض في مضمار العلاقات العامة .

لقد كسر الرئيس نيكسون التقليد الطويل المتبع في البيت الابيض ، وهو ان يعطي الرئيس الامريكي لاحد مساعديه ما يدعى في الدوائر اليهودية الامريكية « الحقيبة » ، فالرجل الذي يتولى « الحقيبة اليهودية » يكون بمثابة صلة وصل مباشرة

بين الرئيس الاميركي وزعماء اليهود الاميركيين .

وقد سارت الحكومات الاميركية السابقة على هذا النهج على افتراض أن وزارة الخارجية الاميركية تزخر « بالعروبيين بحكم المهنة » !!! فهي بالتالي متحيزة ، بصورة وراثية ، ضد الموقف الاسرائيلي في سياستها في الشرق الاوسط !!! كما انها لا تقدر حق التقدير الدور الهام الذي يلعبه اليهود الاميركيون في السياسة الاميركية ومساهمتهم الهامة في تمويل الحملات الانتخابية . [لا يوجد في وزارة الخارجية الاميركية ما يدعى « صهيونيون بحكم المهنة »] . وقبل فوز نيكسون بالرئاسة الاميركية أسر الى نفر قليل من اصدقائه اليهود انه اذا ما فاز في الانتخابات فسيأخذ في الاعتبار عند رسمه سياسة الحكومة الاميركية تحيز وزارة الخارجية(!!) وقد سار على هذا النهج بالفعل ، اذ عندما تنشأ أزمة في الشرق الاوسط يتولى بنفسه متابعة تطوراتها والبت فيها . بيد أنه اثار القلق لدى اليهود الاميركيين بالغائه منصب « الحقيبة اليهودية » ، وبالتالي حرمهم من وسيلة الاتصال المباشر بالبيت الابيض .

ولاقت سياسة نيكسون الجديدة الترحيب ، ضمنا ، من جانب السفارة الاسرائيلية التي تفضل التعامل مع البيت الابيض مباشرة على التعامل مع ضابط ارتباط للشؤون اليهودية في البيت الابيض . وتعد السفارة الاسرائيلية الان ، حسب الوضعية الراهنة ، هي المرجع اليهودي الاول في واشنطن — اسرائيليا كان أو اميركيا — الذي له حظوة لدى الهيئات الحكومية العليا . فقد وجد الاسرائيليون ، خلال عهد الرئيس نيكسون اصدقاء جددا يعتد بهم في البيت الابيض لا سيما بين المسؤولين المحافظين من غير اليهود . فاسرائيل تدرك ان الليبراليين من اليهود الاميركيين كان لهم دور كبير في الحملة الشعبية المناوئة للتدخل الاميركي في الحرب الفيتنامية ، فهي بالتالي لا تريد أن تستند دبلوماسيتها على دعم اليهود الاميركيين . يقول رولاند ايفانز الابن المعلق الصحفي في واشنطن والذي كثيرا ما يتناول في تعليقاته قضايا الشرق الاوسط : « لم أجد هناك مؤامرة صهيونية ، بل علاقات عامة صهيونية جيدة . فان للاسرائيليين أهدافا محددة وثابتة جدا هي ان يجعلوا السياسة الاميركية في الشرق الاوسط متوافقة مع السياسة الاسرائيلية في الشرق الاوسط » . ومن جهة اخرى قال احد المسؤولين السابقين في البيت الابيض :

« ان السياسة الاميركية لم ولن تتوافق اتفاقا تاما مع السياسة الاسرائيلية . فالمسألة فقط هي الى أي مدى تكون السياستان متقاربتين وهنالك قدر طائل من الاخذ والعطاء من الجانبين في هذا الصدد » .

في الثالث والعشرين من شهر تشرين الثاني الماضي ذهب وفد قوامه ثمانية من اعضاء مجلس الشيوخ لمقابلة وزير الخارجية وليم روجرز ليحثه على استئناف بيع المزيد من طائرات الفانتوم لاسرائيل . فقال وليم روجرز للوفد ان بيع المزيد من هذه الطائرات سيترك آثارا سلبية على المساعي القائمة لاقرار تسوية سلمية والتي تجتاز بدورها مرحلة حرجة ودقيقة ، وانهم اسرائيل باتخاذ موقف متصلب من مساعي التسوية . وقد جعلت ملاحظات وليم روجرز احد اعضاء الوفد المؤلف بالتساوي من شيوخ من الحزبين الديموقراطي والجمهوري يتميز غيظا حتى انه هدد روجرز بأن يتجاوزه وان يرفع قضية بيع طائرات الفانتوم الى الرئيس نيكسون مباشرة . فأجابه روجرز : « لا ريب أن بوسعك ان تفعل ذلك ، غير انني واثق بأن الرئيس سيؤيدني في موقفي » . وفي الثلاثين من شهر كانون الاول تسربت اخبار من المصادر الحكومية الاميركية مفادها ان قرارا من حيث المبدأ قد اتخذ باستئناف بيع طائرات الفانتوم لاسرائيل ، وان التفاوض على اعداد الطائرات التي سيسمح ببيعها ومواعيد تسليمها سيتم قبل محادثات الرئيس نيكسون مع الزعماء السوفييت في موسكو في شهر أيار ١٩٧٢ ، وقد اكدت التطورات التي انتهت اليها قضية بيع طائرات الفانتوم واقع المسار المتشابك والملتوي الذي تجتازه عملية اتخاذ القرارات حول قضايا الشرق الاوسط لدى المراجع العليا المسؤولة في حكومة نيكسون .

يكشف ماير فيلدمان [اليهودي] ، وهو محام في واشنطن وخبير في الشؤون اليهودية ، وعمل مدة من الزمن كمساعد مستشار خاص لكل من الرئيسين كينيدي وجونسون ، يكشف النقاب عن ثلاثة مراكز قوى رئيسية داخل الحكومة الاميركية لها نفوذ على الرئيس الاميركي في رسم السياسة الاميركية حول الشرق الاوسط . ويقول ان « وزارة الخارجية تحدد المواقف . ويوقع ما لا يقل عن سبعة عشر من المسؤولين في الخارجية الاميركية على التقرير المبين للسياسة المقترحة قبل ان يرفع الى البيت الابيض . وكنا ندعو هذا التقرير : « العاصفة الثلجية من وزارة الخارجية » » .

وثاني مراكز القوى الرئيسية هذه هو « مجلس الامن القومي » الذي يتلقى تقارير السياسات المقترحة من وزارة الخارجية . وقلما يعمد « مجلس الامن القومي » الى اجراء دراسات خاصة به حول المواقف السياسية ، بل يكتفي ، عادة ، بتعديل التحليل السياسي الذي تنتهي اليه وزارة الخارجية وفق مرئيات المجلس للصورة الدولية الشاملة .

اما « البيت الابيض » فهو اهم مراكز القوى الثلاثة هذه . وكان يمين بالقرب من كل رئيس اميركي ابتداء من فرانكلين روزفلت الى ليندون جونسون شخص ذو وزن سياسي ملموس [يهودي عادة] مهمته ان يتصدى للخط السياسي الذي يتبناه « العروبيون » (!!!!) في وزارة الخارجية الاميركية وان يقارع حججهم لاتخاذ موقف سياسي متوازن .

وفي عهد ادارة الرئيس نيكسون ظل هذا البنيان السياسي الثلاثي القوي والذي بيده مقاليد الامور وتنتهي اليه سلطة اتخاذ القرارات على حاله كما كان عليه في عهود الرؤساء الاميركيين الاخرين ، ولكن مع بعض الاستثناءات الهامة ، مثل : ١) ان وزير الخارجية وليم روجرز يلعب دورا اكثر نشاطا ويمارس نفوذا اقوى في رسم السياسة الاميركية في الشرق الاوسط من اي وزير خارجية اميركي آخر جاء بعد جون فوستر دالس (١٩٥٣ — ١٩٥٩) . فقد قدم في شهر كانون الاول عام ١٩٦٩ خطته الخاصة بالسلام لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي ، وغالبا ما ظل ، بعد ذلك ، يولي الشرق الاوسط الاولوية في عمله . ٢) كذلك ، ان جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الاميركية لشؤون الشرق الادنى وجنوب آسيا يقوم ، هو الاخر ، بدور نشيط سواء من حيث مفهومه لما ينبغي ان تكون عليه سياسة الولايات المتحدة في المنطقة او من حيث دوره الخاص في صياغة هذه السياسة . ولكنه ، بعكس روجرز ، أفلح في الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع زعماء اليهود الاميركيين الاقوياء النفوذ . ٣) اما هنري كيسنجر مساعد الرئيس الاميركي لشؤون الامن القومي ومدير ادارة مجلس الامن القومي فيلعب دورا هامشيا في مداولات مجلس الامن القومي حول الشرق الاوسط وذلك على النقيض من سلفه والت روستو . وتحفظ كيسنجر في القيام بدور نشيط حول قضايا الشرق الاوسط لا يتسق مع — وبعض المسؤولين يقولون انه بسبب — مبادراته النشيطة في معظم قضايا السياسة الخارجية الحاسمة الاخرى (مع العلم ان كلا من كيسنجر وروستو هما يهوديان) . ٤) لم يستسغ نيكسون فكرة تكليف احد مستشاريه الشخصيين القيام بمهمة تنسيق العلاقات السياسية ازاء الشرق الاوسط مع الهيئات اليهودية الاميركية، وهي المهمة التي تولاها فيلدمان في عهد الرئيس كينيدي ، ومن ثم اضطلع بها هاري ماكبيرسون الابن في عهد الرئيس جونسون . [وفيلدمان يهودي ، اما ماكبيرسون ، وهو ايضا محام في واشنطن ، فليس يهوديا] . وكان ماكبيرسون يتابع الاطلاع على مجريات التفكير في وزارة الخارجية ازاء الشرق الاوسط ليس من خلال الطرق الرسمية المعتادة فحسب ، بل كذلك بواسطة نسيبه مايكل شتيرنر الموظف المحترف في وزارة الخارجية ، والذي يعمل حاليا رئيسا لقسم الشؤون المصرية في الوزارة .

يعمد نيكسون ، بخلاف ما درجت عليه التقاليد الماضية المتبعة ، الى متابعة شؤون الشرق الاوسط ويتولى الاشراف على ملاحقتها بنفسه ، اي انه يقوم بدور الموظف والرئيس معا بهذا الشأن . ولذلك لم يكن مع الرئيس نيكسون اي شخص آخر من الجانب الاميركي في ٢ كانون الاول الماضي عندما تباحث لمدة ساعتين في مكتبه البيضوي مع غولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل . وفي بعض المناسبات ، يعهد نيكسون الى مستشاره الخاص ليونارد غارمنت [يهودي] معالجة احدى القضايا اليهودية . فعلى سبيل المثال ، حاول غارمنت (دون جدوى) خلال زيارة الرئيس الفرنسي بومبيدو الرسمية في عام ١٩٧٠ ان يمنع أعضاء جمعية المحاربين القدامى اليهودية من تنظيم تظاهرة احتجاج امام فندق « والدورف استوريا » في نيويورك حيث كان من المقرر ان يلقي بومبيدو خطابا وذلك تعبيرا عن استنكارهم لموافقة بومبيدو على بيع ١١٠ طائرات ميراج الى ليبيا . وازاء اصرار هؤلاء على التظاهر طار نيكسون الى نيويورك ، دون سابق ترتيب ، ليكون الى جانب بومبيدو تعبيرا عن المشاعر الودية تجاه الرئيس الفرنسي . وقد غضب نيكسون غضبا شديدا لعدم استجابة الهيئات اليهودية لمساعي غارمنت بصدد زيارة بومبيدو هذه حتى انه اوقف لبعض الوقت ارسال جميع الرسائل الرئاسية الى المنظمات اليهودية ، وهي رسائل

تتعلق من المجلات المعادة التي درج عليها البيت الابيض . وقد قال فيلدمان عن دور غارمنت في البيت الابيض : « ليس من مهماته ان يؤثر في اتخاذ القرارات أو أن يمارس نفوذا ، فهو يتلقى التعليمات من الرئيس نيكسون ويسعى لاقناع الهيئات اليهودية بقبول ذلك الموقف » .

ان الموظف المعاون لكيسنجر حول شؤون الشرق الاوسط في مجلس الامن القومي هو هارولد ساندرز ، وعمره ٤١ عاما ، وهو من الموظفين الذين ظلوا في المجلس من ايام روستو . ويعمل ساندرز بمثابة ضابط ارتباط بين مجلس الامن القومي وسيسكو ، بيد أن دوره في وضع السياسة وصياغتها مقيد ومحصور . وقد شاب علاقة ساندرز مع الاسرائيليين ، وفي بعض الاوقات مع كيسنجر ، شيء من التوتر . وقد التحق ساندرز بمجلس الامن القومي في عام ١٩٦١ ، اذ حول اليه من وكالة الاستخبارات المركزية . ويقول أحد المعاونين السابقين في البيت الابيض « لقد كفت يدا ساندرز عن كل مسؤولية الان ، اذ كان دوره أعظم بكثير في عهد الادارة السابقة [ادارة جونسون] » . ويضيف هذا المسؤول السابق في البيت الابيض ان السياسة الامريكية تجاه اسرائيل توضع في مجملها في البيت الابيض لا في وزارة الخارجية ، ويستطرد هذا المسؤول السابق قائلا : « يتمتع سيسكو بنفوذ عظيم في صياغة الموقف السياسي الامريكي اليومي . بيد انني لست على يقين اطلاقا ان صوت سيسكو حاسم في التفكير الاستراتيجي الشامل . وعلى أية حال ، ان السياسات الصادرة عن الرئيس الامريكي ومساعديه المقربين هي السياسات الحاسمة حول اسرائيل في جميع الامور المهمة » . من بين حلقات الوصل المهمة بين الرئيس الامريكي والسفارة الاسرائيلية الجنرال الكسندر هيغ الابن نائب كيسنجر الاول ، وضابط الارتباط بينه وبين وزارة الدفاع الامريكية . ويتباحث السفير الاسرائيلي اسحق رابين رئيس الاركان الاسرائيلي السابق مع هيغ هذا حول مدى قوة القوات الاسرائيلية ، وحول نوايا السوفييت العسكرية والدبلوماسية في المنطقة . وهنالك شخصية عسكرية اخرى تقوم مقام صلة وصل عسكرية مباشرة بالاسرائيليين ، وان كان موقع مسؤولية هذه الشخصية خارج البيت الابيض ، ذلكم هو الجنرال جون فوغت وهو من ضباط سلاح الطيران ويعمل كمدير للاركان المشتركة في رئاسة الاركان المشتركة .

وقد قال أحد المسؤولين في ادارة نيكسون ، وقد آثر كتمان اسمه ، بصدد تحليل عملية رسم وصياغة السياسة الامريكية في الشرق الاوسط : « لقد شعرنا دائما بأن كيسنغر كان يتحاشى الخوض في شؤون الشرق الاوسط ، على الاقل بصورة علنية ومكشوفة . وقد يعزى ذلك الى ان تدخله في هذه الشؤون ، منذ البداية ، سيكون مثار نقد ، بيد انه مما لا يقل عن هذا العامل أهمية واقع ان جوزيف سيسكو رجل يملأ مركزه تماما وقادر على تحمل المسؤوليات . ولو ان جميع المسؤولين في وزارة الخارجية الامريكية يتمتعون بما يتمتع به جوزيف سيسكو من شجاعة وقدرة لما كانت وزارة الخارجية تقبع راكدة في مؤخرة المسرح السياسي . ان سيسكو مسؤول تتوفر لديه الإرادة لاتخاذ القرارات ، ولا ادري كيف أفلح في تسلق سلم النظام والصعود الى هذه المرتبة فيه ! » . وتشتمل وزارة الخارجية الامريكية على شبكة معقدة من الاقسام ومئاة من المكاتب المختصة بشؤون الشرق الاوسط ، بيد ان صلاحية رسم السياسة الخارجية وصياغتها تتركز في قمة الهرم ، فزمام الامور هو بيدي روجرز وسيسكو . (وهنالك واحد من مساعدي سيسكو واسمه الفريد اثرتون الابن اكتسب شهرة في أوساط البيت الابيض والكونغرس (مجلسا الشيوخ والنواب) بأن تحليلاته لقضايا الشرق الاوسط تتصف بالعمق ورجاحة العقل) .

لقد شهدت السنوات التي انقضت من ولاية نيكسون عدة تغيرات وتبدلات في التكتيك لما تبين ، مع الزمن ، انه مسعى سرابي لاقرار تسوية سلمية في الشرق الاوسط . فسارت تكتيكات هذه المساعي خطوة بعد اخرى ، من اسلوب المباحثات الرباعية بين الدول الاربع الكبرى والتي بادر الى اقتراحها الفرنسيون ، فاسلوب المباحثات الثنائية الامريكية — الروسية ، ثم محاولة روجرز وسيسكو القيام بدور الوسيط وراء الكواليس ، وجهود وسيط الامم المتحدة الدكتور غونار يارينغ سفير السويد في الاتحاد السوفييتي للوصول الى اتفاق نهائي او محدود ، ثم اخر هذه المساعي وهي محاولة الوصول الى اتفاق مؤقت لفتح قناة السويس ينطوي على تحقيق انسحاب محدود للقوات الاسرائيلية عن القناة . وخلال هذه المساعي

جميعها وفي خضم هذه التطورات وافق البيت الابيض ، برضى روجرز ومباركته القلبية ، على ما ذهاه احد المسؤولين الامريكيين انه « مد خط انابيب متدفق بالاسلحة لاسرائيل » ، فباستثناء التزدد الذي اظهرته الحكومة الاميركية حيال شحن طائرات الفانتوم وهو ما أصبح رمز نقاش بين الحكومتين الاسرائيلية والاميركية ، زودت الولايات المتحدة اسرائيل بشحنات متنوعة وكبيرة من اجهزة الكشف والمراقبة الالكترونية المتطورة كما انها زودتها حتى بمصانع لصنع اسلحة اميركية ، من بينها طائرات الفانتوم ، وذلك كله بقروض اميركية بشروط متنوعة .

ورغم هذه المساعدات العسكرية السخية ، فان روجرز لم يفلح في الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع اي من غولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل او أبا ايبان وزير خارجيتها . ويقول أحد أعضاء مجلس الشيوخ الاميركي ، وكان صديقا لوليم روجرز يوم ان كان هذا محاميا في واشنطن : « يعرف وليم روجرز في الوسط الاجتماعي في واشنطن بأنه وليم الوديع ، بيد انه نمر مع اليهود [؟؟] ان عقد تسوية في الشرق الاوسط هي المسألة الوحيدة التي ازخي له الحبل في معالجتها . واعتقد انه يتوخى ان يزاود على السوفييت في العلاقات مع العرب . وعلى كل حال ، أيا كانت نوازعه ، فأظن انه سيستقيل من منصبه اذا واجهت سياسته في الشرق الاوسط تحديا سافرا من البيت الابيض » . وقد جعلت تكتيكات روجرز السياسية بعض الزعماء اليهود يؤكدون قناعتهم الدائمة بأن وزارة الخارجية الأميركية تنطوي في صميم كيانها على تحيز للموقف العربي [!!!] . وبهذا الصدد يقول آي. ال. كينين نائب الرئيس التنفيذي للجنة الشؤون العامة الاميركية الاسرائيلية ، وهي الهيئة التي تعد بمثابة مظلة تتستر في ظلها المنظمات اليهودية الاميركية في ممارسة دعاياتها وضغوطها على الهيئات والشخصيات السياسية الاميركية لصالح اسرائيل ، يقول كينين هذا : « لقد شعرنا منذ البداية بأن وزارة الخارجية الاميركية ستتجه بعيدا عن الهدف الذي ننشده ، اذ كان يشغل بال المسؤولين فيها الاهتمام دائما بردود فعل السياسة الاميركية داخل العالم العربي ، فكانوا يشعرون ، منذ البداية ، أنه اذا ما ظهرت الدولة اليهودية الى حيز الوجود فسيؤدي ذلك الى حدوث استقطاب وتحالف عربي ـ سوفياتي ... ولم يطرأ ، في واقع الامر ، أي تبدل ، منذ ذلك الحين ، في نظيرة وزارة الخارجية تلك » . ويقول احد اعضاء مجلس الشيوخ ، وهو من الحزب الجمهوري ، وقد اثار عدم الافصاح عن اسمه « ان وليم روجرز يريد تطبيق مبادرة روجرز ، انه يريدها ان تحمل اسمه . فقد نذر روجرز كل نفوذه ومكانته في التاريخ على نجاح مساعيه لاقرار السلام في الشرق الاوسط [؟؟] ولذلك يظن روجرز بأنه يجب ان يتوفر له قدر كبير من حرية الحركة والقدرة على التصرف ـ ولكنهم (اي الاسرائيليين) لا يقرون له بذلك اطلاقا » .

وبالمقارنة مع روجرز ، نجح سيسكو في المحافظة على روابط وثيقة نوعا ما بالاسرائيليين ، رغم أنه شاب العلاقات بينهما شيء من الفتور في بعض الاحيان . مثال ذلك ، عندما ذهب الى موسكو في تموز ١٩٦٩ ، وسط دهشة الاسرائيليين وغضبهم ، ليتباحث مع اندريه غروميكو وزير الخارجية السوفييتي حول الوضع في الشرق الاوسط .

ويوجد في وزارة الخارجية من يحطون من قدر سيسكو ، رغم انه ما من أحد منهم يرغب في أن تنقل عن لسانه اية انتقادات لسيسكو . ويقول أحد المسؤولين في وزارة الخارجية ، وقد عمل مع سيسكو في الماضي : « انه ذو وجهين . فهو يروي لكل جانب ما يحب ان يسمعه . ولذلك يدعونه في وزارة الخارجية « جو النطاط » ، وانني افضل ان اقول أن أفضل وصف لسيسكو هو « تسيير السياسة بالادرينالين » [أي التنشيط الاصطناعي المفتعل والمخدر] . وقد ابلغ سيسكو احد مراسلي مجلة « النيويوركر » مؤخرا قائلا : « بصراحة ، لقد كان دوري خلال هذه المدة اشبه ما يكون بدور « مدير الازمة » ، دائم التنقل بين العرب والاسرائيليين . ويعود الى معظم الفضل في انني أجريت ، بمفردي ، المفاوضات بين الاسرائيليين والمصريين لتحقيق وقف اطلاق النار الذي نفذ ابتداء من ٧ اب ١٩٧٠ . ومن النادر في مجال السياسة الخارجية ان يكون بوسع المرء ان يعزو لنفسه انجازا معينا ، بيد انني اشعر ان بوسعني ان أدعي ذلك لنفسي في هذا الشأن » .

وقد قال أحد أعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريين مدافعا عن سيسكو : « ان سيسكو يود ان يكون خط سيره منسجما مع رغبات الرئيس نيكسون ، فمهمته هي أن يبقي المساعي والاتصالات مستمرة.

وقد احتفظ بمكتبه في وزارة الخارجية لتيسير سيطرته كبديل عن جهودهم لتعزيز الحالة الاسرائيلية وشرحها لاعضاء الكونغرس الاميركي بمجلسيه الشيوخ والنواب . ويميل المحاورون الصهيونيون الى تركيز جهودهم الدعائية ومناورات «تطبيقاتهم» السياسية على اعضاء الكونغرس الاميركي ومن يعمل في خدمتهم من موظفين واجهزة لان سبل الاتصال بهؤلاء هي أيسر للمحاورين من الاتصال مباشرة بكبار المسؤولين في البيت الابيض وفي وزارة الخارجية ، وكذلك لان المحاورين الصهيونيين يأملون ان يقوم من « يطبقونهم » من اعضاء الكونغرس ، بدورهم ، بمحاورة المسؤولين المختصين والدفاع عن القضايا الاسرائيلية والصهيونية لديهم نيابة عن المحاورين الصهيونيين هؤلاء .

يقول احد الشيوخ الجمهوريين : « عندما كنا نثير في الكونغرس احدى القضايا (لصالح اسرائيل) لم الحظ أبدا استجابة فورية من البيت الابيض » . ويضيف قائلا : « بيد أن من الانصاف القول انه في كل مرة اثيرت في الكونغرس قضية تزويد اسرائيل بالمزيد من طائرات الفانتوم كانت اسرائيل تحصل عليها بعد ستة شهور ، اذ يكون هناك ابطاء في الاستجابة الى ان يتعاظم الضغط السياسي » .

وفي اكتوبر الماضي تبنى ٧٨ شيخا من اعضاء مجلس الشيوخ (من أصل مائة) قرارا يحث الحكومة الاميركية على استئناف شحن طائرات الفانتوم لاسرائيل . ويعدد كينين ، الذي نسق الحملة في اوساط الكونغرس بصدد طائرات الفانتوم ، ثلاثة اسباب رئيسية جعل طلبات اسرائيل وقضاياها تحظى بتأييد واسع في اوساط الكونغرس : اولا ، توجد في الدوائر الانتخابية لكثير من أعضاء الكونغرس جاليات يهودية ذات صوت مسموع ، حتى وان كانت قليلة العدد في بعض الاحيان . ثانيا ، يؤيد كثير من اعضاء الكونغرس الليبراليين اسرائيل بصفتها « منارة للديموقراطية في محيط من الحكومات العربية الرجعية » . ثالثا ، يؤيد كثير من اعضاء الكونغرس المحافظين اسرائيل بصفتها حصنا ضد الشيوعية السوفييتية وسط الحكومات العربية الراديكالية .

وعندما أثيرت قضية استئناف شحن طائرات الفانتوم لاسرائيل في مجلس النواب الاميركي جرى قرار مماثل لذلك الذي اتخذه مجلس الشيوخ بتوقيع ٢٥١ نائبا . ومن اعظم اعضاء مجلس النواب الاميركي نفوذا في تبني القضايا الاسرائيلية ودعمها عمانويل سيلر وهو ديموقراطي من الفئة ، رغم ان نيكسون يعلم بأنه صوت لهوبرت همفري» [أن سيسكو وهمفري صديقان منذ سنوات كثيرة] .

- يقول نيلدمان ، من واقع تجربته السابقة في البيت الابيض : « كثيرا ما تعمل وزارة الدفاع [وبضمنها هيئة رئاسة الاركان المشتركة] بصورة مشتركة مع وزارة الخارجية التي تقيم لجان عمل مشتركة عديدة حول الشرق الاوسط . ونادرا ما تسمع شيئا من المسؤولين المرتبطين مباشرة بالبيت الابيض . ويوجد هنالك تحيز لاسرائيل في البنتاغون [وزارة الدفاع الاميركية] بيد ان البنتاغون يعارض معظم الاحيان تزويد اسرائيل باشكال أرقى من المعونات العسكرية لان جنرالات البنتاغون يشعرون دائما بأن لدى الاسرائيليين قوة كافية » .

وهنالك هيئة اخرى تتمتع بخبرة فائقة في اوضاع الشرق الاوسط وتلك هي وكالة الاستخبارات المركزية . وهي تعمل بارتباط وثيق مع الاستخبارات الاسرائيلية حول معظم شؤون الشرق الاوسط لا سيما ما يتعلق منها بانتقال الرجال السوفييت والسلاح السوفييتي الى المنطقة . (قبيل اندلاع حرب حزيران ١٩٦٧ ابلغ احد كبار المسؤولين في وكالة الاستخبارات المركزية السناتور الجمهوري شارلز بيرسي انه اذا ما اشتعل القتال فستنتصر اسرائيل فيه خلال اسبوع . هذا بينما كانت وزارة الخارجية الاميركية شديدة التحفظ والخشية في تقديراتها لنتائج اندلاع الحرب) .

يقول احد المحامين الذين تربطهم علاقة بكل من الحزب الديموقراطي والهيئات اليهودية الاميركية بصدد تلخيص مجموعة العوامل والقوى التي تؤثر في رسم السياسة الاميركية تجاه اسرائيل في حكومة نيكسون : « لعبت وزارة الخارجية في عهد نيكسون دورا اكبر في وضع السياسة الاميركية تجاه الشرق الاوسط مما لعبته في عهود الرؤساء السابقين . بيد ان قراراتها في القضايا الحاسمة مثل قضية تزويد اسرائيل بطائرات الفانتوم تتعرض للنقض من البيت الابيض . ولذلك بوسعي ان اقول ان الرئيس نيكسون قد قدم لاسرائيل وخدم مصالحها اكثر من اي من اسلافه » .

وفي حين تتركز في البيت الابيض الاميركي سلطة اتخاذ القرارات حول شؤون الشرق الاوسط وقضاياه ، نجد ان المحاورين الصهيونيين يوجهون

نيويورك ، وهو رئيس مجلس النواب ورئيس اللجنة التشريعية فيه ، ثم النائب توماس مورغان وهو ديموقراطي من ولاية بنسلفانيا ، ورئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب . والنائب عمانويل سيلر يهودي أما توماس مورغان فليس يهوديا . (ذكر السفير الاسرائيلي رابين ، مرة ، في أن يبيع مقر سكن اعضاء السفارة الاسرائيلية، وهو يقع في منطقة تلال الى الغرب من « منتزه روك كريك » لان عمانويل سيلر هذا ، وعمره ٨٣ عاما ، لا يستطيع تسلق الدرج المؤدي الى ذلك المسكن ولا يستطيع بالتالي ان يحضر حفلات العشاء التي يقيمها رابين فيه) .

أما في المجلس الاخر من مجلسي الكونغرس الاميركي ، وهو مجلس الشيوخ الذي يلعب دورا أهم من مجلس النواب في تقرير امور السياسة الخارجية الامريكية ، فتوجد فيه ، ضمن حلقة واسعة من الشيوخ المؤيدين لاسرائيل ، مجموعة مؤلفة من ١٢ شيخا تؤلف نواة صلبة لدعم اسرائيل وتأييد قضاياها ، اذ يقود هؤلاء عادة التحركات والمبادرات المؤيدة لاسرائيل ويتبنون مطالبها في مجلس الشيوخ ، فهم الذين تبنوا قرار استئناف شحن طائرات الفانتوم لاسرائيل وجندوا له تأييد الاغلبية الساحقة من الشيوخ (٧٨ من أصل ١٠٠). وأعضاء هذه النواة الصلبة هم : ادوارد بروك وهو جمهوري من ولاية ماساتشوتس ، وروبرت دول وهو جمهوري من كنساس ، وادوارد غيرني وهو جمهوري من فلوريدا ، وهنري جاكسون وهو ديمقراطي من ولاية واشنطن ، وجاكوب جافيتس وهو جمهوري من ولاية نيويورك ، وادوارد كنيدي وهو ديموقراطي من ماساتشوتس ، وغال ماكفي وهو ديمقراطي من ولاية وايومينغ ، وابراهام ريبيكوف وهو ديموقراطي من ولاية كونيكتيكوت ، وهيو سكوت وهو جمهوري من ولاية بنسلفانيا ، وستيوات سايمنغتون وهو ديموقراطي من مونتانا، وهيرمان تالمدج وهو ديموقراطي من ولاية جورجيا، وشارلز بيرسي وهو جمهوري من ولاية الينوي . وتتكون مجموعة الشيوخ الاثني عشر هؤلاء من ستة ديموقراطيين وستة جمهوريين ، واثنان منهما وهما جاكوب جافيتس وابراهام ريبيكوف يهوديان واثنان هما روبرت كيندي وهنري جاكسون كانا في عام ١٩٧٢ من الساعين للفوز بترشيح الحزب الديموقراطي لانتخابات رئاسة الجمهورية التي ستجري في اواخر هذا العام . كما أن اثنين من مجموعة الشيوخ الاثني عشر هؤلاء يحتلان مراكز قيادية في الحزب الجمهوري وهما روبرت دول وهيو سكوت ، اذ أن روبرت دول هو رئيس اللجنة القومية في الحزب الجمهوري ، واما هيو سكوت فزعيم كتلة الاقلية في مجلس الشيوخ (اي رئيس الشيوخ الجمهوريين) . ويعد كل من هيو سكوت وهو عضو في لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ ، وستيوارت سايمنغتون وهو رئيس اللجنة الفرعية لشؤون الشرق الادنى وجنوب شرق اسيا التابعة للجنة الشؤون الخارجية يعدان كبير أعضاء مجموعة الشيوخ الاثني عشر والناطقين بلسانها في معظم الاحيان . وقد اشترك ثمانية من مجموعة الشيوخ الاثني عشر في المقابلة الحادة التي جرت مع وليم روجرز وزير الخارجية في الثالث والعشرين من تشرين الثاني ١٩٧١ والتي رتبها جاكوب جافيتس وابراهام ريبيكوف . وقد قال أحد المشاركين في هذه المقابلة ، بعد انتهائها ، ان حضور كل من روبرت دول وهيو سكوت هذه المقابلة في مكتب روجرز كان في غاية الاهمية اذ كان بوسع الرئيس نيكسون ان يطلب منهما عدم الضغط على روجرز في هذا الوقت فيستجيبان لطلبه » . ومن جهة اخرى ، يتباحث بعض مساعدي هؤلاء الشيوخ الاثني عشر مع بعضهم البعض من حين لاخر حول قضايا الشرق الاوسط . ويقود هذا الائتلاف غير الرسمي على مستوى مساعدي مجموعة الشيوخ هؤلاء وموظفيهم موريس أميتي وهو مساعد ابراهام ريبيكوف التشريعي واحد الموظفين السابقين في وزارة الخارجية الامريكية . ان ستيوارت سيمنغتون بصفته ابرز الديموقراطيين في مجموعة الشيوخ الاثني عشر يثابر على دعم مبدأ تزويد اسرائيل بالمزيد من السلاح رغم معارضته ما يدعوه الميزانيات الكبيرة الفضفاضة لوزارة الدفاع . [يذكر كيفن أنه عندما كان سيمنغتون هذا وزيرا لسلاح الطيران (١٩٤٧ — ١٩٥٠) كان يشير الى اسرائيل بأنها « حاملة الطائرات التي لا تغرق »] . ومما هو جدير بالذكر ان طائرات الفانتوم (اف — ٤) التي تطلبها اسرائيل من الولايات المتحدة تجمع وتركب في مصنع شركة ماكدونيل دوغلاس كوربوريشن الذي يوجد في ضواحي مدينة سانت لويس في الولاية التي يمثلها سيمنغتون في مجلس الشيوخ . وكان هذا المصنع سيغلق أبوابه لولا الطلبات الاضافية التي تلقاها من اسرائيل (وربما من المانيا الغربية كذلك) لان

سلاح الطيران الامريكي توقف عن شراء هذه الطائرات وتحول الى شراء طراز جديد من مقاتلات الفانتوم هو (اف ـ ١٥) .

اما جاكسوب جافيتس فهو أحد اعضاء مجلس الشيوخ الامريكيين الذين تشعر الحكومة الاميركية بضرورة استشارتهم حول اية مبادرة تعتزم القيام بها في الشرق الاوسط وذلك لانه يمثل ولاية نيويورك (حيث يعيش معظم اليهود الامريكيين) ، ونظرا لنشاطه الشخصي ودرايته العميقة بشؤون السياسة الخارجية . وكذلك مضى حين من الدهر، كانت السفارة الاسرائيلية لا تأتي على اية حركة ، صغيرة كانت او كبيرة ، دون ان تستشير أولا جاكوب جافيتس هذا ، أما الان فلا تستشير السفارة الاسرائيلية جاكوب جافيتس الا حول القضايا السياسية الكبرى . ومن المعروف عن جافيتس انه عندما يتأزم الوضع في الشرق الاوسط يلغي جميع مواعيده وارتباطاته ويتباحث مدة ساعات متواصلة مع اسحق رابين السفير الاسرائيلي ومع المسؤولين الاميركيين . وقد دام أحد هذه الاجتماعات ثلاث ساعات ، وقد عقد يوم ان كشف لأول مرة ان الطيارين السوفييت يقومون بطلعات قتالية على امتداد قناة السويس .

ويقول جافيتس عن نفسه « أعتقد أنني اتمتع بمكانة طيبة لدى كل من الطرفين ، فأنا مقبول لديهما كصاحب راي مستقل » . [تعبير « كلا الطرفين » عند جافيتس يعني الاميركيين والاسرائيليين ، بينما في موسكو تدعو صحيفة « الازفستيا » ، الناطقة رسميا بلسان الحكومة السوفييتية ، جافيتس بأنه السناتور الذي من تل ابيب] .

وفي شهر كانون الاول الماضي قام جافيتس وبصحبته السناتور جون شيرمان كوبر ، وهو جمهوري من ولاية كنتكي ، بجولة في اسرائيل وتباحثا مع غولدا مائير ، وبعد ذلك طار كوبر الى القاهرة للاجتماع بالرئيس انور السادات ، أما جافيتس فلم يصحبه في زيارته هذه . (وجدير بالذكر انه في ٢٣ تشرين الثاني ، كان السناتور جون شيرمان كوبر هذا من بين ١٤ شيخا ـ امريكيا صوتوا ضد منح اسرائيل قروضا عسكرية قيمتها ٥٠٠ مليون دولار ، منها ٢٥٠ مليون دولار مخصصة لشراء طائرات الفانتوم) .

اما السناتور هنري جاكسون فان محاميا تربطه وشائج بالسفارة الاسرائيلية قال عنه : « ان جاكسون هو اكثر الاشخاص المقاومين من اسرائيل نفوذا . فجافيتس مستبعد من هذا السياق لاسباب متنوعة ، أما ابراهام ريبيكوف فيتمتع بنفوذ ولكن ضمن حدود ، اذ لا يحتل مكانة قوية لدى الاوساط النافذة ، بينما جاكسون يتمتع بمثل هذه المكانة » . وقد أيد جاكسون مسألة انشاء دولة يهودية في فلسطين منذ عام ١٩٤٤ يوم ان كان نائبا لا يتجاوز عدد اليهود في دائرته الانتخابية ٤٠٠٠ شخص . ويقول ريتشارد بيرل وهو من موظفي اللجنة الفرعية للامن القومي والعمليات الدولية المتفرعة من لجنة العمليات التابعة للحكومة الاميركية ، ان جاكسون يرى تشابها بين التنشئة اليهودية وبين التنشئة النرويجية التي ينحدر منها ، كما انه يستهويه ما يرى انه احساس قوي بالتقاليد العائلية بين اليهود . (والسناتور جاكسون هو رئيس اللجنة الفرعية المذكورة آنفا ، أما بيرل فهو مستشاره الرئيسي حول قضايا الشرق الاوسط) . وبفضل جهود جاكسون سواء في لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ أم من على منبر مجلس الشيوخ نفسه ، وافق مجلس الشيوخ في عام ١٩٧٠ على رصد مبلغ ٥٠٠ مليون دولار كمساعدة لتسليح اسرائيل . وقد افلح جاكسون في حمل مجلس الشيوخ على رصد هذا المبلغ لاسرائيل رغم معارضة كل من رئيس لجنة القوات المسلحة السناتور جون ستينس وهو ديموقراطي من ولاية ميسوري ، والسناتور فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية وهو ديموقراطي من ولاية أركنساس . (اعترض السيناتور جون ستينس حول بعض الامور الاجرائية المتعلقة بأصول الاجراءات والقواعد الشكلية اما السناتور فولبرايت فيعتبره الدبلوماسيون الاسرائيليون منذ عام ١٩٥٠ المناوىء الرئيسي لهم ، وخصمهم الذي لا تلين له قناة في مجلس الشيوخ) .

وقد افلح جاكسون في ربط المساعدات المطلوبة لاسرائيل بقانون المستلزمات العسكرية لعام ١٩٧٠ لان المنفذ الاعتيادي لرصد مثل هذه المساعدات وهو برنامج المساعدات الخارجية قد سد بحملة خطابية اشعلها تعديل قانوني مناوىء للحرب تقدم به كل من السناتور جون شيرمان كوبر والسناتور فرانك تشرش وهو ديموقراطي من ايداهو . وما أن وقع الرئيس نيكسون توصية مجلس الشيوخ برصد مبلغ ٥٠٠ مليون دولار مساعدة لاسرائيل لتصبح نافذة قانونيا ، حتى بادر جاكسون الى

استخدام نفوذه بصفته عضوا ذا مكانة بارزة في لجنة القوات المسلحة لكي يحمل وزارة الدفاع على أن تسمح لاسرائيل بتسديد قيمة المساعدة بشروط أكثر تساهلا بكثير مما هو متبع عادة . (ان الشروط المعتادة لتسديد ثمن المبيعات من المعدات العسكرية تقضي بالتسديد في غضون عشر سنوات بفائدة معادلة لسعر الفائدة التجارية السائد في الولايات المتحدة) .

وفي اواخر تشرين الثاني ١٩٧١ تحرك جاكسون من جديد لرصد مبلغ ٥٠٠ مليون دولار كمساعدة عسكرية جديدة لاسرائيل ، فأمن موافقة مجلس الشيوخ على هذا القرض بأغلبية ٨٢ ضد ١٤ . وقد تحرك جاكسون في هذا الاتجاه عندما بدا له ان برنامج المعونات الخارجية الذي كان في طور المناقشة لن يحظى بموافقة مجلس الشيوخ . ولكن التطورات سارت فيما بعد بصورة مغايرة لما توقع جاكسون اذ أقر مجلس الشيوخ التقرير حول برنامج المعونات الخارجية عشية انفضاض دورة انعقاده في ١٧ كانون الاول . وقد اشتمل برنامج المعونات هذا على تخصيص ٤٠٠ مليون دولار كقروض لتسديد المبيعات من المعدات الحربية خصص مبلغ ٣٠٠ مليون دولار منها لاسرائيل وحدها . وتحرك الاسرائيليون على جبهة اخرى من برنامج المعونات الخارجية ، فطلبوا ٢،٠ مليون دولار اخرى من « مساعدات الدعم » متعللين بان النفقات الباهظة على اغراض الدفاع قد سببت ضائقة شديدة في موجوداتهم من العملات الاجنبية . وكانت الحكومة الاميركية قد استحدثت ، خلال السنوات القليلة الماضية ، ما يسمى « بمساعدات الدعم » كوسيلة لدعم ميزانية كل من فيتنام الجنوبية ، وفي نطاق أضيق ، ميزانية كمبوديا . ولذلك واجه الطلب معارضة من مختلف الجهات الحكومية المختصة . ورغم ذلك ، أفلح السناتور جاكوب جافيتس في تضمين برنامج المعونات الخارجية اثناء مناقشته في لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ مبلغ ٨٥ مليون دولار كمساعدة لاسرائيل .

وفي وقت سابق لهذا عندما كان برنامج المعونات الخارجية ما زال تحت المناقشة في مجلس النواب أبلغ جون حنا مدير وكالة الانباء الدولية ، بصورة سرية ، النائب أوتو باسمان وهو ديموقراطي من لويزيانا ، ورئيس اللجنة الفرعية للعمليات الخارجية المتفرعة من لجنة الاعتمادات في مجلس النواب بأن وكالة الانباء الدولية ستحجز اعتماد مساعدات الدعم لاسرائيل ولن تصرفه اذا ما أقر الكونغرس مثل هذا الاعتماد . وفي ١١ تشرين الثاني ، عندما كان برنامج المعونة الخارجية ما زال في طور المناقشة في مجلس الشيوخ تحرك جاكسون لمواجهة هذا التهديد بعدم صرف الاعتماد لاسرائيل فكتب الى وزير الخارجية وليم روجرز : « انني أطلب ضمانا منك بأن الاعتمادات التي سيتم اقرارها ستنفق كاملة وفق الاغراض التي أقرت لها » . وقد طلب جاكسون من روجرز تعهدا كتابيا بذلك ، غير ان روجرز استنكف عن ذلك في مكالمة هاتفية ، ولكن عندما اصبح برنامج المعونة يواجه خطر عدم الاقرار في مجلس الشيوخ ، شعر روجرز ان عليه ان يعطي الضوء الاخضر بالاستجابة لطلبات جاكسون ، وبناء عليه اتفق كل من روجرز وجاكسون وهيو سكوت على ان يعلن سكوت في قاعة مجلس الشيوخ ان الحكومة ملتزمة بالافراج عن الاعتمادات المرصودة في برنامج المعونة وصرفها وفق ما يقره الكونغرس . (وفي نهاية المطاف تقرر في جلسة مشتركة لمجلسي النواب والشيوخ ، بناء على توصية من السناتور فولبرايت ، تخفيض حصة اسرائيل الى خمسين مليون دولار بدلا من ٨٥ مليون) .

يقول جون ريتشاردسون المدير التنفيذي والسكرتير للهيئة الامريكية لاعانة اللاجئين في الشرق الادنى وأحد انصار القضية العربية في الشرق الاوسط : « ان معظم أعضاء مجلس الشيوخ يصيبهم نوع من ارتجاف الركب تجاه اسرائيل » . ويضيف ريتشاردسون قائلا : « خذ همفري مثلا ، انه يرفض مناقشة قضايا الشرق الاوسط حتى مع موظفيه ومساعديه ، فهو منغلق تماما ازاء أية وجهة نظر أخرى عدا وجهة النظر الاسرائيلية » . ورغم ذلك ، هنالك أقلية من أعضاء مجلس الشيوخ يتحفظون في التأييد التام لوجهة النظر الاسرائيلية . ومن هؤلاء السناتور فولبرايت ، والسناتور الين الندر وهو ديموقراطي من ولاية لويزيانا ورئيس لجنة الاعتمادات في مجلس الشيوخ ، والسناتور مارك هاتفيلد وهو جمهوري من ولاية اوريغون ، والسناتور هنري بلمون وهو ديموقراطي من ولاية أوكلاهوما ، ويطلق عليه رجال الدعاية الاسرائيلية لقب « سناتور النفط » . ويقول ريتشاردسون : « ان السناتور هاتفيلد هو الشواذ الذي يثبت

القاعدة » . أما ليبند بروذي وهو أحد المحاورين السياسيين لمنظمة « بناي بريت » الصهيونية الامريكية لدى الكونغرس فيقول : « ان هاتفيلد يحرص على أن تتضمن سجلات الكونغرس كل اسبوع موقفا له مؤيدا لوجهة النظر العربية ، ولكن حماسته خبت جذوتها ، بصورة ملموسة ، خلال عام ١٩٧١ » . تنتهي فترة ولاية السناتور هاتفيلد في عام ١٩٧٣ ، وهو يتوقع ان يواجه منافسة شديدة من مرشح الحزب الديموقراطي) . وقد اجتمع عدد من الطامحين الى الفوز بترشيح الحزب الديمقراطي لمعركة انتخابات رئاسة الجمهورية الامريكية ، ومعظمهم من أعضاء مجلس الشيوخ الحالي ، بصورة منفردة ، بغولدا مائير خلال زيارتها للولايات المتحدة في شهر كانون الاول الماضي والتي دامت عشرة ايام . وقد اعترف كل من جاكسون ، وهمفري ، وجون ليندسي رئيس بلدية نيويورك الديموقراطي باجتماعهم الى غولدا مائير ، وان لم يكشفوا النقاب عما بحثه كل منهم معها ، أما السناتور ادموند موسكي وهو ديموقراطي من ولاية « ماين » فلم يعترف باجتماعه الى غولدا مائير . وجدير بالذكر أن غولدا مائير وافقت على أن تتباحث مع السناتور جورج ماكغفرن وهو ديموقراطي من ولاية داكوتا الجنوبية، بيد ان حدوث تعارض في مواعيد كل منهما وارتباطاته حال دون حدوث هذا اللقاء .

ان مستشار همفري الرئيسي حول الشؤون الاسرائيلية وكذلك حول العديد من الشؤون السياسية غير اليهودية هو ماكس كامبلمان أحد الشركاء في مكتب للاستشارات القانونية في واشنطن وهو مكتب فرايد ، وفرانك ، وهاريس ، وشرايفر، وكامبلمان . ومن جهة اخرى ، يقول بيتر روزينبلات الذي اجرى الترتيبات للرحلة الوحيدة التي قام بها السناتور ادموند موسكي لاسرائيل وذلك في كانون الثاني ١٩٧١ « ان هنالك عددا هائلا من الناس يتحدثون لموسكي عن اسرائيل ، ولكن لمن من هؤلاء تراه يصغي ويستجيب فذلك أمر اخر !! » . ان مستشاري السناتور ادموند موسكي الرئيسيين حول شؤون الشرق الاوسط ، علاوة على معاونيه وموظفيه ، هم كل من : أفريل هاريمان الذي كان في اخر مهمة حكومية قام بها ممثلا للولايات المتحدة في محادثات السلام للحرب الفيتنامية في باريس (١٩٦٨ — ١٩٦٩) ، وبول ورنكي احد الوكلاء السابقين لوزارة الدفاع لشؤون الامن الدولي (١٩٦٧ — ١٩٦٩) ، ولوسيوس باتل الوكيل السابق لوزارة الخارجية الامريكية لشؤون الشرق الادنى وجنوب اسيا (١٩٦٧ — ١٩٦٨) . وبول وارنكي شريك في مكتب الاستشارات القانونية في واشنطن المسمى مكتب كليفورد ، ووارنكسن ، وغلاس ، وماكلوين ، وفيني ، وكان شريكه الرئيسي في مكتب الاستشارات القانونية هذا كلارك كليفورد وزيرا للدفاع (١٩٦٨ — ١٩٦٩) في عهد الرئيس جونسون . وكلارك كليفورد هو الذي اجرى في عام ١٩٤٨ مفاوضات الاعتراف باسرائيل، رغم الاعتراضات التي اثارتها وزارة الخارجية الامريكية آنذاك ، اذ كان يومها مستشارا للرئيس ترومان . كذلك فان كليفورد احد اصدقاء العمر للسناتور ستيوارت سايمنغتون ، وهو حاليا احد المستشارين الرئيسيين للسناتور ادموند موسكي . أما لوسيوس باتل فهو نائب رئيس شركة الاتصالات بواسطة الاقمار الاصطناعية « كومزات » ، وهو بحكم منصبه هذا يتولى اجراء الاتصالات والمحاورة مع اعضاء الكونغرس لصالح شركته . وقد قال لوسيوس باتل في مقابلة صحفية انه رغم قيامه باطلاع السناتور ادموند موسكي على طبيعة الاوضاع في الشرق الاوسط ومجريات الامور فيه فانه لم يقرر حتى الان من سيدعم من المرشحين لحملة انتخابات رئاسة الجمهورية للعام ١٩٧٢ . ومن جهة اخرى يقول فيلدمان عن أفريل هاريمان الذي يبلغ من العمر الان ٨٠ عاما : « من حيث موقفه من اسرائيل كان دائما بين بين . وهو سياسي بطبعه ، وكان حاكما لولاية نيويورك ، ولكنه متأثر كذلك بآراء رجال وزارة الخارجية ، وهو يتطلع الى تحقيق انفراج في العلاقات مع السوفييت » .

منذ ان تولى الجنرال المتقاعد اسحق رابين مقاليد السفارة الاسرائيليةفي واشنطن سعى الاسرائيليون، لاول مرة ، الى توسيع القاعدة التي تدعمهم في الولايات المتحدة مع المحافظة على الروابط بين السفارة الاسرائيلية والهيئات اليهودية الامريكية متينة وراسخة كما كانت دائما . واحد الاسباب التي تجعل السفارة الاسرائيلية حريصة على متانة الروابط مع اليهود الامريكيين هي أسباب مالية ؛ فالتبرعات التي تتلقاها اسرائيل من اليهود خارج اسرائيل هي عنصر حاسم في الاقتصاد الاسرائيلي . ويسهم كل من غولدا مائير ووزير الخارجية ابا ايبان والسفير إسحق رابين في جمع التبرعات ويلبون الدعوات لالقاء الخطب في حفلات جمع

التبرعات التي ينظمها كل من « النداء اليهودي الموحد » ومنظمة سندات اسرائيل . وجدير بالذكر أن التبرعات التي يجمعها «النداء اليهودي الموحد» معفاة من الضرائب لانها لا تذهب للحكومة الاسرائيلية مباشرة ، وانما ترسل لاسرائيل بواسطة الوكالة اليهودية وهي هيئة شبه رسمية وهي تلبي معظم نفقات خدمات الاسكان والصحة والتعليم والرعاية الاجتماعية في اسرائيل .

ويقول الجنرال اسحق رابين انه لا يحبذ الاسلوب الحالي المتبع في العلاقات بين اسرائيل واليهود الامريكيين وهو « اسلوب الوكالة اليهودية » ، ولهذا يعتبره قادة اليهود الامريكيين يمثل جيلا جديدا من الاسرائيليين الذين اخذوا في الابتعاد عن المفاهيم الصهيونية التقليدية . وبدلا من الاقتصار على توثيق العلاقات بين السفارة الاسرائيلية واليهود الامريكيين سعى رابين من خلال جولاته في الولايات المتحدة الى العثور على خلفاء جدد لبلاده ، لا سيما بين الامريكيين غير اليهود في جنوب الولايات المتحدة ووسطها . ويقول احد المحامين في واشنطن وهو يعرف اسحق رابين معرفة جيدة : « انني أجد اسحق رابين شديد الحيطة في الا ينغمس بالرأي العام اليهودي الامريكي » .

وعلى كل حال ، تحافظ السفارة الاسرائيلية على علاقات وطيدة مع المنظمات اليهودية الامريكية لحمتها التكافل وسداها التضامن . ويقول محام آخر ذو روابط بالسفارة الاسرائيلية : « لا توجد أية سفارة اخرى في واشنطن تجد لها حلفاء جاهزين داخل الولايات المتحدة . وربما كان لوضع السفارة الاسرائيلية هذا نظير في وضع السفارة البريطانية قبل الحرب العالمية الثانية ، ولكن المواطنين الامريكيين الذين ينحدرون من أصل انكليزي غير منظمين مثل اليهود لانهم يشكلون اغلبية السكان ، بينما اليهود بما تشهده من انتظام صفوفهم في منظمات متماسكة قادرون على الاستفادة من كامل عددهم ، ولهذا شاهدت خلال السنوات المتتالية أن الاراء التي كان يعبر عنها بدهاء اعضاء السفارة الاسرائيلية تنتقل بسرعة البرق الى كافة اعضاء الجسم اليهودي الامريكي » . وقد لاحظ فيلدمان قائلا: « ان السفارة الاسرائيلية تختلف عن أية سفارة اخرى في العاصمة الامريكية لان لها رعايا في الولايات المتحدة كما في اسرائيل سواء بسواء . ولذلك تجد الحكومة الامريكية نفسها ملزمة بأن تأخذ في الحسبان وجهة نظر اليهود الامريكيين الذين تربطهم بالدولة اليهودية [اسرائيل] روابط عاطفية ، فعندما تتحدث الحكومة الامريكية الى السفارة الاسرائيلية تدرك انها تتحدث كذلك الى قوة سياسية داخل الولايات المتحدة » . ويقول كينين معبرا عن الفكرة ذاتها : « ان السفير الاسرائيلي في واشنطن ليس مبعوثا الى الحكومة الامريكية فحسب ، بل هو مبعوث ، بصورة ما كذلك ، الى اليهود الامريكيين » .

ويستخدم البيت الابيض واقع الروابط المتينة بين السفارة الاسرائيلية واليهود الامريكيين لاغراضه الخاصة ، فخلال زيارة الرئيس بومبيدو للولايات المتحدة ، اتصل غارمنت ، الموكل اليه اجراء الاتصالات بين البيت الابيض والهيئات اليهودية الامريكية ، بالسفارة الاسرائيلية وطلب منها ان تمارس نفوذها لدى زعماء اليهود الامريكيين للاحجام عن تنظيم مظاهرات الاحتجاج في وجه الرئيس الفرنسي . فاتصل غارمنت هاتفيا لهذا الغرض بشلومو أرغوف ، الذي كان يومئذ قائما بالاعمال والرجل الثاني في السفارة الاسرائيلية في واشنطن وأصبح الان سفير اسرائيل في مكسيكو ، فاتصل أرغوف هذا ، بدوره ، بالقنصلية الاسرائيلية في نيويورك التي اتصلت من جهتها بأولي الامر من اليهود الامريكيين . (ورغم ذلك نظمت التظاهرات امام والدورف استوريا ، حيث كان من المقرر ان يلقي المسيو بومبيدو خطابا) وقد يتساءل المرء : هل محظور على السفارة الاسرائيلية التدخل في امور السياسة الداخلية الامريكية ؟ والجواب هو: هنالك معاهدة امريكية اسرائيلية وقعت في عام ١٩٥٢ تحظر على الحكومة الاسرائيلية ، بنوع خاص ، الانغماس في أية نشاطات سياسية داخل الولايات المتحدة . وبهذا الصدد يقول كينين الذي يحرص على أن يظل هو نفسه والهيئة التي يديرها بعيدين ، نوعا ما ، عن السفارة الاسرائيلية رغم انه اكبر الدعاة والمحاورين الاسرائيليين في واشنطن : « ان من الخير للحكومة الاسرائيلية ان تمتنع عن القيام بأي نشاط سياسي ، وأظن انه في اللحظة التي تنغمس فيها في نشاطات سياسية ستجد انها اوقعت نفسها في ورطة » . ومن جهة أخرى يقول شاؤول بن حاييم المستشار الصحفي في السفارة الاسرائيلية في واشنطن : « اننا لا نرفض أبدا أية دعوة نتلقاها من اي جمهور يهودي لالقاء الخطابات . ولكن ، هل نحن نمثلهم ؟ بالتأكيد

يبوح اسحق رابين في احاديثه الخاصة لمجموعات محدودة مقتلة من معارفه من اليهود وغير اليهود بانه ما من رئيس امريكي خدم اسرائيل وساعدها بالقدر الذي بدر عن نيكسون . ورغم ان الدبلوماسيين الاسرائيليين لا يتدخلون علنا في أمور انتخابات الرئاسة الامريكية فانهم لا يمانعون في التحدث عنها ولو بصورة شديدة التحفظ . وقد قال احدهم : « ان المعلومات التي وردتنا من القدس تفيد انهم يحبذون فوز جاكسون بالرئاسة الامريكية ، ولكن ان لم تتيسر لجاكسون فرصة الفوز فلا ضير في نيكسون » .

ويقول أحد اصدقاء اسحق رابين القدامى « ان السفير رابين يتصرف بصلاحيات واسعة ويأخذ الكثير من الامور على عاتقه الشخصي ، ففي اسرائيل يعد من المبررين للمواقف والسياسات الامريكية ، بينما في واشنطن يعتبره المسؤولون الامريكيون ناطقا صلبا ، ولا يلين ، باسم اسرائيل. ان هذا الدور الذي يضطلع به يشكل معضلة سياسية صعبة بالنسبة له شخصيا » . ويقول صديق آخر من اصدقاء رابين : « ان رابين شخص لامع ، ولكنه ما زال يفكر كجنرال ، فقد سمعته مرة يقول في احدى حفلات العشاء بانه كان ينبغي على الولايات المتحدة ان تكون اكثر تشددا مع الروس يوم ان كانت تحتكر وحدها السلاح النووي » .

واقامة مآدب العشاء هي من الاساليب الاساسية التي يعتمدها رابين في تحركاته واتصالاته ، ويقتصر عدد المدعوين على مائدته عادة على ١٥ الى ٢٠ شخصا بعكس السفارات العربية في واشنطن التي تقيم حفلات كبيرة تدعو اليها عددا كبيرا من الضيوف ، وتتميز غالبا بالبذخ والترف . وهوية المدعوين الى مائدة رابين غير محددة بصنف معين من الناس او محصورة في نطاق ضيق من الاتجاهات ، ففي بعض الأحيان يكون بين المدعوين الى مائدته أحد غير المرضي عنهم صهيونيا من رجالات وزارة الخارجية الامريكية ، والذي يعرف عنه انه يعارض عادة خلال عمله اليومي في الوزارة المواقف والسياسات التي في مصلحة اسرائيل . وقد اقامت السفارة الاسرائيلية خلال عام ١٩٧١ ثلاث حفلات كوكتيل ، واحدة منها فقط كانت في بيت السفير رابين . ووفق الخطط الحالية ، سيكمل

وكان ديفيد غنزبرغ ، وهو شريك فيلدمان في مكتب الاستشارات القانونية في واشنطن المدعو مكتب « غنزبرغ وفيلدمان وبيس » يقوم بتمثيل السفارة الاسرائيلية في واشنطن كمستشار قانوني لها منذ تأسيس اسرائيل في عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٩ . ويقول غنزبرغ : « اننا ما زلنا نؤدي لهم بعض الخدمات القانونية ، ولكنهم اصبحوا يقومون بأنفسهم بعمل جيد ، ومن جهة اخرى خف معدل الاعمال بصورة ملحوظة ». لقد اصبح الاسرائيليون اليوم يتولون أمورهم بأنفسهم ، ولم يعودوا يعتمدون على المستشارين من الولايات المتحدة مثل غنزبرغ وروبرت ناثان الخبير في اقتصاديات البلدان النامية ، والذي خدم السفارة الاسرائيلية طيلة سنوات كثيرة بمنصب كبير مستشاريها الاقتصاديين. وقد نمت هيئة موظفي السفارة الاسرائيلية بحيث أصبحت تشتمل على ٢٦ ممثلا دبلوماسيا (يبلغ اجمالي الموظفين ٧٥) يعملون في مقر السفارة المبني من الطوب الاصفر والكائن في حي السفارات في واشنطن . وكذلك توجد لاسرائيل الان قنصليات في كل من : نيويورك ، وشيكاغو ، ولوس انجيلوس ، وفيلادلفيا ، وهيوستن ، وسان فرانسيسكو ، وبوسطن ، وأتلانتا .

ولا تصدر السفارة الاسرائيلية في واشنطن تحقيقات وبيانات صحفية رسميا ، ولكنها مع ذلك شديدة الاهتمام بأمور الاعلام ووسائله . (من حين لآخر تصدر السفارة الاسرائيلية « نشرة زهرية اللون » تعبر عن وجهة نظر الحكومة الاسرائيلية حول قضايا الشرق الاوسط . وتوزع هذه النشرة على ١٢٠٠٠ شخص وهيئة . وكانت آخر « نشرة زهرية اللون » أصدرتها السفارة قد عالجت شروط وبنود معاهدة الصداقة والتعاون المصرية ـ السوفييتية التي وقعت في شهر ايار ١٩٧١ .

يقول بن جاييم الذي كان لشهور خلت الناطق بلسان السفارة الاسرائيلية قبل ان يصبح مراسلا دبلوماسيا لجريدة « معاريف » الاسرائيلية : « ان افتتاحيات الصحف (الامريكية) موالية لموقفنا بما يعادل نسبة ٦ الى ١ ، ومعظم الافتتاحيات والتعليقات الموالية التي تظهر في الصحف تكتب

طواعية وغير مدفوعة الثمن ، وعندما يكون لدينا شيء نود أن نقوله للصحفيين ، نجري الترتيبات للسفير (الاسرائيلي) ليتحدث الى اعضاء « نادي الكتاب لما وراء البحار » . وجدير بالذكر ان هذا النادي يسير على قاعدة ان الخطباء الذين يدعون للتحدث في حفلات الغداء التي يقيمها يتم التكتم على أسمائهم عند عرض شيء من الآراء والاقوال التي ترد على السنتهم خلال حديثهم ، بمعنى ان المعلومات التي يوردها المتحدث في حديثه هي بمثابة معلومات خاصة للاطلاع الشخصي لاعضاء النادي لاحاطتهم بملابسات القضية موضوع الحديث ، وبوسعهم ان يعرضوا شيئا من أقوال المتحدث وآرائه ولكن دون الاشارة الى شخص قائلها او ذكر اسمه .

وخلال زيارة غولدا مائير للولايات المتحدة في شهر كانون الاول الماضي عقدت مؤتمرا صحفيا في واشنطن وظهرت في برنامج « مع الصحافة » في شبكة تلفزيون واذاعة شركة الاذاعة الوطنية « ن. ب. س » وعلاوة على ذلك ، دعت نخبة مختارة من المعلقين الصحفيين ورؤساء مكاتب الصحف في واشنطن الى حفل غداء خاص ليس للنشر (اتفق على عدم نشر ما دار خلاله من حديث بينهم وبين غولدا مائير) ، وكذلك جرى ترتيب لقاء خاص بين غولدا مائير ورؤساء تحرير جريدتي « نيويورك تايمز » و« الواشنطن بوست » ومجلتي « نيوزويك » و« التايم » . كما حضرت غولدا مائير حفل غداء خاص ليس للنشر أقامته احتفاء بها شركة الاذاعة الاميركية دعت اليه الشركة المحتفية كذلك كبار المسؤولين في شبكات التلفزيون الاميركية الاخرى وعددا آخر من كبار المسؤولين في عدد من الجرائد والمجلات والشركات الكبرى . ويقول بن جاييم انه يدير « عملية اعلامية مستمرة ومتواصلة ، نحاول خلالها ان نوضح موقفنا يوما بيوم » .

وقد يتبع المسؤولون في السفارة الاسرائيلية أساليب ووسائل أخرى غير مكشوفة واكثر دهاء مما ورد سابقا في « تطبيق » المحررين النافذين والتأثير عليهم . فمرة سئل دبلوماسي اسرائيلي ذو مستوى رفيع ما اذا كان يرغب في الاجتماع بجوزيف كرافت المعلق الصحفي الكبير في واشنطن والذي تنشر تعليقاته في شبكة واسعة من الصحف ، فاعتذر الدبلوماسي الاسرائيلي عن عدم رغبته في ذلك قائلا عن كرافت : « هنالك شخص آخر يتدبر أمره » . ويقول رولاند ايفانز الابن الذي يكتب مع شريكه روبرت نوفاك تعليقات تنشر في شبكة من الصحف الاميركية (وايفانز هو الذي أجرى مقابلة تلفزيونية مع غولدا مائير في ٥ كانون الاول الماضي خلال زيارتها للولايات المتحدة وذلك في برنامج « مع الصحافة » ، وبعد انتهاء البرنامج استمرت المناقشة بينهما في الاستديو لمدة نصف ساعة اخرى) ، يقول ايفانز هذا: « ان لدى الصهيونيين شبكة من الاشخاص للتأثير على رجال الصحافة والاعلام عامة افرادها منتشرون في جميع انحاء الولايات المتحدة ، وعندما نكتب تعليقا يعتبرونه مناوئا لاسرائيل تنهال رسائل من جميع انحاء البلاد تحتوي على النقاط ذاتها ، وصياغتها متماثلة . انها من طراز واحد » .

ورغم ان السفارة (الاسرائيلية) تبث ، في مناسبات معينة ، روايات خاصة للاخبار والاحداث لتمارس ضغطا على الحكومة (الاميركية) ، فان هذا النوع من العمليات متبادل ، اذ تقوم الحكومة بدورها ببث روايات للاخبار للتأثير على موقف السفارة . فقد أبلغ أحد المسؤولين في وزارة الدفاع ، مرة ، مراسل الشؤون العسكرية في جريدة « نيويورك تايمز » وليم بيتشر ، بأن الولايات المتحدة ستعطي اسرائيل ضمانات امن جديدة قوية جدا مقابل تعاون اسرائيل في محادثات السلام . وقال أحد المسؤولين الاسرائيليين بهذا الصدد : « ان اول مرة سمعنا بها بهذه الضمانات الجديدة هي عندما قرأنا عنها في النيويورك تايمز ». واضاف قائلا : « لقد اختارت الحكومة وليم بيتشر أداة لتبث رواياتها بواسطته » .

وتحتفظ السفارة الاسرائيلية بصلات مباشرة مع الشخصيات النافذة في الكونغرس الاميركي ، وعاموس عيران هو عضو السفارة الاسرائيلية المنوط به تنسيق المواقف وتنظيم الصلات مع اعضاء الكونغرس ، وهو دبلوماسي شاب كان يعمل سابقا في الهستدروت (اتحاد نقابات العمال الاسرائيليين). ويقوم عاموس عيران هذا بتتبع محاولات وتطورات التشريعات التي يهم أمرها السفارة الاسرائيلية ، ولكنه يحرص حرصا شديدا ان يؤدي مهمته من وراء ستار ، ومعظم نشاطاته مستقلة عن المهمات التي يتولاها كينين وغيره من المحاورين الذين يقومون « بالتطبيقات » السياسية لصالح اسرائيل .

ويحمد الاسرائيليون كذلك ان يرتبط ونتيجة حتمية لذلك ، وبهذا الصدد ، يقول كيين الذي يتولى تنسيق جميع عمليات النشر والنشر : « كثيرا ما أمضيت وقتا غير قصير وانا أحاول أن أكبح جماح بعض اعضاء مجلس الشيوخ لاثنيهم عن الاقدام على أمور قد تؤدي الى تفاقم العلاقات بين الولايات المتحدة والبلدان العربية ، اذ كثيرا ما يجنح بعض اعضاء مجلس الشيوخ الى التطرف الشديد » .

بدعوته اعمال « الدعاية العربية » في الولايات المتحدة والتصدي لها ، ونتائج مجهوداتهم في هذا الصدد ايجابية . ويقول بن حاييم الناطق السابق بلسان السفارة الاسرائيلية : « لقد خسرنا التعاطف التلقائي من جانب الاميركيين ، بيد أننا نسعى لان نعكس الآية » . ويقول بن حاييم ان « عددا ضئيلا جدا » من المسؤولين الاميركيين قد زاروا اسرائيل ضيوفا على حكومتها . وبين هؤلاء المسؤولين الذين قاموا بزيارة مدفوعة النفقات لمدة اسبوع وزير النقل الاميركي الحالي جون فولبي الذي زار اسرائيل ضيفا على الحكومة عندما كان حاكما لولاية ماساتشوستس .

يقول ديفيد برودي ممثل منظمة « بناي بريت » اليهودية الاميركية في واشنطن : « ان ردود فعل اليهود الاميركيين تجاه اسرائيل واستجابتهم لها هو أمر طبيعي للغاية ، وهم لا يحتاجون ، بهذا الصدد ، توجيها او ارشادا من المنظمات اليهودية » . وعلى أي حال ، اذا دعا الداعي ، يسعى العدد الكبير من المنظمات اليهودية الاميركية الى استنفار أعضائها وتنسيق جهودها في واشنطن، سواء على نطاق ضيق او نطاق كبير ، عندما تبدر بادرة يشعرون معها ان مصالح اسرائيل معرضة للخطر .

ولم يحدث اطلاقا ان بدا من الهيئات اليهودية الاميركية أي تلكؤ في استخدام مساعيها واستغلال حظوتها لدى اصدقائها في الكونغرس وفي الحكومة الاميركية لصالح اسرائيل ومصالحها . بيد ان المسألة هي ما اذا كانت هذه المساعي مجدية ، وفي هذا الصدد ، تتفاوت الآراء وتتباين تباينا كبيرا . وفي هذا الخصوص ، يقول سناتور جمهوري آثر عدم الافصاح عن اسمه : « اعتقد ان جهود الهيئات اليهودية فعالة، مع بعض اعضاء مجلس الشيوخ الذين قد لا يتخذون موقفا شديد التأييد لاسرائيل لولا هذه الجهود والمساعي . فعلى سبيل المثال ، هنالك عدد كبير من اعضاء مجلس الشيوخ يمثلون ولايات ليس بين سكانها عدد كبير من اليهود ، ولكن رغم ذلك ترى أنهم يتخذون مواقف شديدة التأييد لاسرائيل ، ولا يخفى عليك ان بين هذه المجموعة من الشيوخ موضوع الحديث عددا محدود الثقافة والمعرفة والتفكير ، وان لم يجدوا من ينخزهم للاقدام على أمر ما ، فلا يدور بخلدهم شيء من ذلك » .

وعلى أي حال ، تظل العلاقات بين معظم ادارات الكونغرس والهيئات اليهودية الاميركية حميمة جدا، فقلما تمر بضعة ايام دون أن ترسل احدى ادارات مجلس النواب او الشيوخ رسالة مجاملة ودية لتهنئة هذه او تلك من المنظمات اليهودية المحلية لمناسبة مرور ذكرى حدث من الاحداث او الفوز باحدى الجوائز ، وكذلك قلما تمضي بضعة ايام دون ان يتلقى أحد أعضاء الكونغرس دعوة من هذه او تلك من الهيئات اليهودية للتحدث في اجتماع تنظمه ، وكثيرا ما تنطوي مثل هذه الدعوة على نفح عضو الكونغرس المدعو مبلغا غير زهيد من المال (وجدير بالذكر ان السناتور جاكوب جافيتس يتبرع بمثل هذه المبالغ التي يتلقاها الى « النداء اليهودي الموحد ») . وقد لاحظ احد مساعدي السناتور موسكي في حملته الانتخابية قائلا : « انها (الهيئات اليهودية) تتيح للمرشحين فرصا ومناسبات كثيرة للتحدث » .

أهم الهيئات اليهودية الاميركية وتاثيرها على السياسة الاميركية : تحتفظ كل من الهيئات اليهودية الاميركية التالية : المؤتمر اليهودي الاميركي ، وجمعية المحاربين القدامى اليهود ، والمجلس الوطني للنساء اليهوديات ، والمجلس الوطني لرعاية اليهود ، بمكاتب لها في واشنطن ، بيد أن تأثيرها على رسم السياسة الاميركية في الشرق الاوسط وصياغتها لا يؤبه به . هذا في حين ان كلا من ديفيد برودي ممثل منظمة بناي بريت في واشنطن ، وهيرمان ايرلزبرغ المدير الدولي لمنظمة مناوأة التشهير المتفرعة من منظمة « بناي بريت » ينخرطان في المداخلات المتعلقة بالقضايا الاسرائيلية بصورة منتظمة ، وان كانا يفضلان ان ينسقا مجهوداتهما مع كيين وان يعملا تحت اشرافه .

اللجنة اليهودية الاميركية : ان هايمان بوكياندر ممثل اللجنة اليهودية الاميركية في واشنطن هو أيضا ينسق مجهوداته مع كيين ، غير انه ينتهج

سلوكا اكثر استقلالية عن كيفين من الاخرين ، كما يسعى ، في بعض الاحيان ، الى ان يتخذ موقفا وسطا بين وزارة الخارجية والحكومة الاسرائيلية. (لقد تفردت اللجنة اليهودية الاميركية ، منذ أمد بعيد ، باتخاذ موقف مستقل بين المنظمات اليهودية. وقد تأسست هذه اللجنة في عام ١٩٠٦ « لحماية حياة اليهود وحقوقهم » في روسيا القيصرية ، وقد رفضت اللجنة اليهودية الاميركية الانضمام الى مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الاميركية الكبرى الذي تنتمي اليه جميع الهيئات اليهودية الاخرى . ومنذ تأسيس اللجنة اليهودية الاميركية كان اركانها ودعائمها الاساسيون من اليهود الاغنياء مثل ماير سلزبرغر وسايرس أدلر وكلاهما من اسرة نيويورك تايمز للصحافة والنشر ، وكلاهما تولى رئاسة هذه اللجنة لفترات بلغ مجموعها ١٧ عاما . وحاليا ، يشغل ماكس فيشر منصب رئيس ادارة المجلس التنفيذي القومي للجنة اليهودية الاميركية ، (وهذا ثاني أعلى المناصب فيها) . وكان هايمان بوكبايندر مساعد مدير سابق لمكتب الفرص الاقتصادية (١٩٦٤ — ١٩٦٧) ، كما تولى ايضا منصب مساعد خاص لهيوبرت همفري من عام ١٩٦٥ الى عام ١٩٦٧ عندما كان همفري نائبا للرئيس جونسون . وفي شهر تشرين الثاني الماضي ذهب بوكبايندر هذا الى اسرائيل مع فيليب هوفمان رئيس اللجنة اليهودية الاميركية ، وبرترام فولد نائب الرئيس التنفيذي للجنة ، وهناك تباحثوا مع كل من غولدا مائير ووزير الخارجية أبا ايبان حيث حثوا الزعماء الاسرائيليين على تخفيف ضغوطهم على الحكومة الاميركية من اجل تأمين شحن طائرات الفانتوم الى اسرائيل . وعندما عاد هؤلاء الى واشنطن تباحثوا مع رودجر ديفيز نائب مساعد وزير الخارجية الاميركية ويعمل بامرة سيسكو ، وهو يعد أبرز « المعروبين » [٢٢] في الخارجية الاميركية .

ويقول هايمان بوكبايندر : « ليس بيننا وبين الاسرائيليين تباين رئيسي في المواقف السياسية ، بل يقتصر الامر على مجرد اختلافات حول مدى الاهمية التي يعلقها كل طرف على بعض القضايا. وعندما تحدث في اسرائيل أمور نعدها خطأ ، نبدي لهم رأينا في ذلك ، ونبلغهم ما نعتقد انه خطأ وضعيف في مواقفهم » . ومن جهة اخرى أكد زعماء اللجنة اليهودية الاميركية خلال اجتماعاتهم مع رودجر ديفيز وغيره من المسؤولين في وزارة الخارجية الاميركية انهم لم يجدوا تباينا ذا بال في الرأي حول قضايا الامن الرئيسية بين الزعماء الاسرائيليين سواء من كان منهم في الحكومة أم خارجها . والمقصود بهذه التأكيدات هو دحض الانطباعات الراسخة لدى دوائر الخارجية الاميركية بأن الاسرائيليين منقسمون فيما بينهم ، سرا ، حول فحوى شروط انسحابهم من الاراضي العربية المحتلة . (ومما تجدر الاشارة اليه انه خلال المناقشات التي جرت في أعلى الهيئات والمراجع في حكومة نيكسون حول مسألة بيع طائرات فانتوم اضافية لاسرائيل ، اكدت وزارة الخارجية في التقرير السياسي الذي قدمته لمجلس الامن القومي ان الاسرائيليين منقسمون على انفسهم حول شروط التسوية ، وبررت بذلك معارضتها لبيع المزيد من طائرات الفانتوم ، وهنالك طرفة متداولة في اوساط وزارة الخارجية الاميركية تقول انه اذا كان هنالك يهوديان فستجد بينهما ثلاثة احزاب سياسية وخمسة آراء متباينة) .

الهيئات الاميركية غير اليهودية المؤيدة لاسرائيل :

يحظى الموقف الاسرائيلي بتأييد المنظمات الشديدة العداء للشيوعية ودعمها مثل منظمة الفيلق الاميركي ومنظمة قدامى المحاربين في الحروب الاجنبية . وبصدد هذا التطور الجديد ، نسبيا ، في موقف مثل هذه الجماعات قال محام في واشنطن على علاقة وثيقة بالسفارة الاسرائيلية : « لا ريب ان من أشد مؤيدي اسرائيل تطرفا في البلاد اليوم العناصر المحافظة مثل جمهور قراء مجلة « الاحداث الانسانية » ، وهذا احد الاسباب التي جعلت حكومة نيكسون على هذا القدر من الود والوفاق مع الاسرائيليين » .

ويلعب بعض الافراد الذين يشغلون مواقع استراتيجية مهمة ، شأنهم شأن المنظمات ، دورا نافذا في التأثير على واضعي السياسة في واشنطن بصدد السياسات التي تخدم اسرائيل . ومن هؤلاء الاشخاص الذين لا يشغلون منصبا في اي من المنظمات اليهودية ماير فيلدمان ، ورغم ان فيلدمان ترك الخدمة الحكومية منذ سبع سنوات ، فانه ما زال يلعب دورا كبيرا في التأثير على السياسة الاميركية . وقد قال انه يرى الدور الذي يلعبه على الوجه التالي : ١) التباحث ، بصورة منتظمة ، مع اعضاء الحكومة الاسرائيلية حول القضايا التي تهمهم في الولايات المتحدة . ٢) القيام

يبدل متناع لدى اعضاء الكونغرس « عندما تطلب مني ذلك ، احيانا ، الجهات الاسرائيلية ، وفي معظم الاحيان زعماء اليهود الاميركيين » . ٣) ايصال الاراء ووجهات النظر المؤيدة لاسرائيل الى كبار المعلقين الصحفيين (لقد اشتهر فيلدمان ، ضمن أمور اخرى ، بأنه يشرك محرري الصحف والمعلقين الصحفيين في الامور القانونية التي يتولاها مكتب الاستشارات القانونية الذي يملكه) . ٤) تقديم الاستشارات حول قضايا الشرق الاوسط للمرشحين الديموقراطيين للرئاسة الاميركية لا سيما ماكغفرن الذي يحبه فيلدمان ، وادوار كينيدي الذي قال فيلدمان انه يود ان يراه الفائز بترشيح الحزب الديمقراطي لانتخابات رئاسة الجمهورية في عام ١٩٧٢ . ويضيف ماير فيلدمان قائلا : « انني احتل موقعا ممتازا لانني اعرف الكثير الكثير من الناس». يرى محللون متعددون ، بمن فيهم بوكباندر نفسه ، انه ما من جماعات ضاغطة او افراد نافذين يستطيعون ان يعزوا لانفسهم ولجهودهم الفضل في التأييد الجارف الذي تحظى به اسرائيل في الكونغرس الاميركي . ويقول بوكباندر في هذا الصدد : « ان السبب الذي يعلل سر الحصول ، دون عناء ، على تأييد ٧٨ من اعضاء مجلس الشيوخ لمطالب اسرائيل (كما حدث في قرار بيع طائرات الفانتوم) هو انه حدث ان كلا من مصالح اسرائيل ومصالح اميركا قد توافقتا حول هذه النقطة في الزمن ، ويبدو انهما ستظلان متوافقتين لزمن طويل قادم » .

والخلاصة : يشعر الاسرائيليون الان ، وهم الذين ظلوا منذ نشأة اسرائيل يعتمدون على الصهيونيين كدعامة وطيدة للدعم السياسي لهم في الولايات المتحدة ، ان عليهم ان يوسعوا نطاق قواعدهم بتجنيد اصدقاء جدد يدعمون اهدافهم في الشرق الاوسط . وتزايد النفوذ السوفييتي في العالم العربي وفر لهم مثل هذه الفرصة .

وقال السفير الاسرائيلي اسحق رابين مرة ، خلال مناقشة ولادة هذه التحالفات الجديدة « ان جميع هؤلاء الناس انما يؤيدون اسرائيل بفعل هاجس مناهضة الشيوعية » . وقال رابين في مناسبة أخرى ، بشيء من الدعابة : « عندما التي حديثا في احدى الجامعات الاميركية لا أواجه متاعب من أحد سوى العرب واليهود » ، وكان رابين يشير بقوله هذا الى اليهود المنتمين لليسار الجديد الذين وقد أوردت منظمة تشكلت مؤخرا في بيان اغراض تأسيسها ، وهي « لجنة العمل في سبيل بدائل جديدة في الشرق الاوسط » انها « ملتزمة بالسعي لتسوية النزاع واقرار السلام والعدالة » بين العرب واليهود ، ثم اضافت : « اننا لا نتوخى اصدار احكام دوغماطيقية (جامدة وبعيدة عن الواقع الحي) ، ولا تقديم حلول من جانب واحد للقضايا المعقدة ، والمتناقضة غالبا ، القائمة في الشرق الاوسط » . وقد جذبت هذه الجماعة الى صفوفها عددا من اساتذة الجامعات اليهود البارزين بما فيهم نعوم تشومسكي استاذ علوم اللغة في « معهد ماساتشوستش للتكنولوجيا » والكاتب المناهض للحرب .

وقد قال احد المحامين في واشنطن ، وقد ازعجته هذه التطورات والاتجاهات المستحدثة : « لا أظن ان اي مراقب بعيد النظر لا يدرك بأن مصالح اسرائيل في المدى البعيد انما تكمن في الارتباط بالقوى الليبرالية في هذه البلاد [اميركا] ، اذ ان هذه القوى تحمي مصالحها بصورة افضل ، بيد ان التحالف القائم ، للمدى القصير ، بين اسرائيل والقوى المحافظة كان له تأثيره على الحكومة الحالية » . واضاف هذا المحامي الذي يتردد كثيرا على اسرائيل : « لقد وجدت ان القوى الحاكمة في اسرائيل راغبة في التعامل مع اية جماعة سياسية في الولايات المتحدة على اساس واحد بسيط هو : الدعم لاسرائيل » . (خلال زيارة غولدا مائير الرسمية للولايات المتحدة في شهر ايلول عام ١٩٦٩ ، استأثر رونالد ريغان حاكم ولاية كاليفورنيا (الممثل السينمائي السابق والمعروف بعدائه للشيوعية) بالمشاركة شخصيا بالقسط الاوفر من برنامج زيارتها لولاية كاليفورنيا) .

هل اخذ نفوذ اليهود الاميركيين يذوي ؟ يدرك السفير الاسرائيلي اسحق رابين ، من جانبه ، ان احساس اليهود وشعورهم بكينونتهم الذاتية كعنصر عرقي ثقافي آخذ في التصاعد في الولايات المتحدة الاميركية كما هو الحال لدى الاقليات العرقية الثقافية الاخرى في البلاد ، بيد انه وغيره من الاسرائيليين ليسوا واثقين بأن هذا التصاعد في الاحساس بالكينونة الذاتية قد رافقته زيادة في نفوذ اليهود السياسي . ويبدو الامر في نظرهم كما عبر عنه بشكل فج مسؤول اسرائيلي ذو منصب رفيع :

« ان الجمهوريين قد نفضوا ايديهم منهم تماما بينما الديموقراطيون يعتبرون الفوز بدعمهم لهم وتأييدهم أمرا مضمونا ومفروغا منه » . ويعتقد الحاخام ريتشارد هيرش مدير مركز العمل الديني في اتحاد المجامع اليهودية الاميركية ، وهو فرع مقره واشنطن تابع لحركة اليهودية الاصلاحية في الولايات المتحدة ، ان اليهود الاميركيين يخسرون من قوتهم السياسية بداعي اغراض مصالحهم السياسية الثابتة . وفي ندوة عقدت لدى التئام المؤتمر المركزي للحاخامين الاميركيين في شهر حزيران عام ١٩٧١ ، قال هيرش : « لقد اكتسبت الاصوات اليهودية القسط الاوفر من قوتها من حسن الصدف التي شاءت ان يتمركز السكان اليهود في كبرى المدن في كبرى الولايات ، غير انه بتحول الناس عن السكن في المدن الى الاقامة في الضواحي ، وما رافق هذا التحول من ظواهر اقتصادية واجتماعية ، اخذ النفوذ اليهودي يذوب في هذه الضواحي ويضعف تأثيره ، كما ان التحالفات التقليدية بين اليهود والاقليات الاخرى ومع القوى العمالية اخذت بدورها تتفتت » . ويعتقد هيرش كذلك بأن المصالح اليهودية الاميركية والضغوط اليهودية الاميركية قد بلغت أدنى مستوى في التأثير على السياسة الخارجية الاميركية وفي تقرير أمورها ، ويشاركه في هذا الاعتقاد سرا ، وان لم يعلنوا ذلك جهارا ، بعض الزعماء السياسيين الاسرائيليين . وقد عبر هيرش عن هذا الاعتقاد في خطابه في ندوة حزيران المشار اليها سابقا قائلا : « ان اتخاذ قرار في الكونغرس حول اوضاع اليهود السوفييت من السهل الحصول عليه بقدر ما هو قليل الاهمية من حيث التأثير السياسي ، فمعظم اعضاء مجلس الشيوخ يبادرون الى المشاركة في اصدار بيان يعبر عن الاهتمام بمصير اليهود ليظهروا مثل هذا الاهتمام لليهود القاطنين في دائرتهم الانتخابية طالما ان مثل هذا البيان لا ينطوي على اجراءات عملية فعالة » . بيد ان مشكلة هيرش وغيره من زعماء اليهود الاميركيين هي ان يجدوا لانفسهم دورا سياسيا ذا قيمة حيث ان الوضع ، كما يقول هيرش نفسه « بالنسبة لليهود الاميركيين اسرائيل ليست من قضايا السياسة الخارجية ، بل هي من أمور السياسة المحلية » .

تأثير اليهود الاميركيين على حملة انتخابات الرئاسة الاميركية : ان اعتبار اليهود الاميركيين قضية الشرق الاوسط من أمور السياسة الداخلية أكثر منها قضية من قضايا السياسة الخارجية هو اتجاه لا وزن له لدى الرئيس نيكسون وغيره من اعضاء مجلس الامن القومي . ولكن ، طالما ان شحن الطائرات وغيرها من المعدات الحربية سيواصل التدفق على اسرائيل بغزارة ، وكل الدلائل تشير الى ان ذلك سيستمر ، فمن غير المحتمل ان يواجه الرئيس نيكسون معارضة شديدة من الهيئات اليهودية الاميركية ، وان كان معظم قادة هذه الهيئات ينتمون للحزب الديموقراطي . ولا بد وان ينعكس هذا الموقف بجلاء على تمويل الحملة الانتخابية ، وقد عبر عن ذلك ، سرا ، احد الممولين اليهود في نيويورك قائلا : « انني اعتزم التبرع لحملة الديموقراطيين الانتخابية في انتخابات رئاسة الجمهورية القادمة ، ولكنني لن اتبرع بمقدار ما كنت سأتبرع به لو ان نيكسون كان سيئا في موقفه من اسرائيل » . ومن جهة اخرى ، تغدق معظم تبرعات الشركات الكبرى للحملات الانتخابية ، بما فيها تبرعات شركات البترول العاملة في الشرق الاوسط ، على الحزب الجمهوري . وفي هذا الصدد يقول ماير فيلدمان : « ان أموال شركات النفط كانت دائما ، كما تعلم ، أهم في حملة انتخابات الرئاسة الاميركية من أموال اليهود ، بيد انني أقول ان وضع الفريقين (العرب والاسرائيليين) [؟؟] متعادل الى حد بعيد ، فكل فريق يحاول ان يجعل كفته ترجح على كفة الفريق الاخر ، وكل فريق له حججه ومبرراته القوية وعلى كل رئيس اميركي ان يزن الامر ويتخذ قراراته على ضوء ذلك » .

نيكسون وقوة اليهود الاميركيين السياسية

مداراة علاقات هشة

قال نيكسون خلال حملة انتخابات الرئاسة الاميركية في عام ١٩٦٨ اثناء اجتماع ، لم يعلن عنه ، مع ١٤ من اليهود الاميركيين البارزين في شقته السابقة في الشارع الخامس بنيويورك انه يدرك بأن في وزارة الخارجية الاميركية تحيزا للعرب (؟؟) ووعد بأن يأخذ ذلك في الحسبان عند اتخاذه قراراته في حالة

الفوز بالرئاسة . كما قال نيكسون لذلك الحبر من الزعماء اليهود في ذلك الاجتماع : « انني اعتزم أن أعين في حكومتي الكثير من اليهود ، ليس لمجرد كونهم يهودا ، بل لانهم يتمتعون بالحصافة » . وبعد انقضاء قرابة اربع سنوات على هذا الكلام ما زالت علاقة الرئيس نيكسون باليهود الاميركيين هشة وحساسة ، فأبواب البيت الابيض مشرعة امام الجماعات اليهودية ، ولكن زعماءهم يشعرون انه لا يوجد هناك من يوسعهم التحدث اليه .

ليس لدى نيكسون سوى عدد قليل من الوسطاء الشخصيين بينه وبين الجالية اليهودية الاميركية منهم جاك توركزاينر (٥٧ سنة) ، الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية في اميركا (١٩٦٥ — ١٩٧٠) ، وهو من القلائل الذين تولوا زعامة هيئة يهودية رسمية وفي نفس الوقت من الاعضاء الاقوياء في الحزب الجمهوري . ورغم العلاقة القائمة بين نيكسون وتوركزاينر فان معظم الزعماء اليهود الاميركيين يعتبرون ان موقف البيت الابيض من مصالحهم السياسية يتصف باللامبالاة .

قال أحد المحللين السياسيين في حديث سري : « ان النفوذ اليهودي في هذه البلاد مصدره الاصوات والنقود . ان حجم تبرعات اليهود للاغراض السياسية يتجاوز كثيرا نسبة عددهم وثروتهم الاجمالية ، ولهذا تأثيره على جميع المرشحين ، بيد ان نيكسون غير واقع تحت تأثير هذا العامل بالقدر الذي يجري مع اي مرشح او رئيس من الحزب الديمقراطي » .

ويقول وارين أدلر أحد رجال العلاقات العامة والاعلان في واشنطن وممثل عدة هيئات يهودية من بينها جمعية المحاربين القدامى اليهود : « ان نيكسون وحكومته يتجاهلان تماما القوة اليهودية السياسية » . وقد عمل وارين أدلر هذا في حملة نيكسون الانتخابية في عام ١٩٦٨ ، ومن ثم عمل حتى عام ١٩٧٠ براتب قدره ٢٥٠٠٠ دولار سنويا كمستشار حول الشؤون اليهودية للجنة الحزب الجمهوري القومية ، وهو يقول انه « قد صدم شخصيا » لما حدث ، واضاف : « هنالك تجارة كسدت . ان اليهود الامريكيين لم يعد لهم حصة في شيء ، فالرئيس نيكسون يولي اسرائيل اهتمامه ودعمه وتأييده لانها ركن مهم من أركان مخطط استراتيجيته الشامل لنطاق الكرة الارضية بأسرها » .

ويقول حاكم احدى الولايات الكبرى ان الرئيس نيكسون قد ابلغه مرة « انني لست مدينا بشيء لليهود الاميركيين ، ولكنني لن ادع ذلك يؤثر في دعمي لاسرائيل » .

يبلغ عدد الناخبين اليهود في الولايات المتحدة الامريكية حوالي ثلاثة ملايين ناخب ، ويعيش القسط الاوفر من الناخبين اليهود في ولايات نيويورك ، وبنسلفانيا ، وكاليفورنيا ، واللينوي ، ووفقا لتحليل اجراه الحزب الجمهوري بعد انتخابات الرئاسة في عام ١٩٦٨ ، نال الرئيس نيكسون اصوات حوالي ثلث الناخبين اليهود في ولاية كاليفورنيا التي ربح المعركة الانتخابية فيها والبالغ عددهم ٣٥٠٠٠٠ ناخب يهودي ، كما نال ما معدله حوالي ٢٠٪ من مجموع اصوات اليهود في جميع انحاء الولايات المتحدة .

مآخذ اليهود الامريكيين على نيكسون : ان المآخذ الرئيسية على نيكسون التي يجهر بها اليهود الامريكيون هي : ١) انه لم يعمد ، منذ ان تسنم الرئاسة ، الى القاء اي خطاب امام اية هيئة يهودية امريكية مع انه ، على سبيل المثال ، القى خطابا امام جمعية فرسان كولومبوس الكاثوليك . ٢) لقد خرق التقليد المتبع منذ مطلع القرن العشرين وهو تقليد « الكرسي اليهودي » في المحكمة العليا، فليس بين القضاة الستة الذين عينهم في المحكمة العليا اي يهودي . ٣) عين عددا قليلا نسبيا من اليهود في مناصب عالية في ادارته ، ولم يعين في حكومته ايا منهم .

ويرد أحد أصدقاء نيكسون ، وهو يهودي أشار كتمان اسمه ، على هذه المآخذ على النحو التالي بخصوص قرار الرئيس نيكسون الاعتذار عن تلبية دعوات الهيئات اليهودية لالقاء الخطب في مناسباتها ، يقول هذا الصديق : « لا يخفى ما هو عليه الوضع في الشرق الاوسط من حساسية ، ولا يستطيع الرئيس اذا ما تحدث الى جمهور يهودي ان يتحاشى الحديث عن هذا الموضوع ، وهذا ليس من الامور التي يوسمك الخوض فيها بصراحة من على منبر عام » . أما بخصوص قرار الرئيس نيكسون عدم التقيد بقرار « المقعد اليهودي » ضمن هيئة قضاة المحكمة العليا ، فيقول صديق الرئيس نيكسون اليهودي : « ان هيئة قضاة المحكمة العليا تتكون من تسعة اشخاص فقط ، فترى هل يتأتى على الرئيس ان يتوخى ان تشتمل

هيئة قضاة المحكمة العليا على قاض معيناتي كذلك ؟ انني لا اعرف ما اذا كان هنالك قاض معيناتي في المحكمة العليا ام لا ، المهم في الامر أن هؤلاء لا يجعلون من هذه المسالة قضية للبحث والنقاش وموضوع مطالبة . فلماذا يجعل اليهود الامريكيون من هذا الامر قضية ؟ ان مثل هذه القضايا لا يثيرها سوى اليهود « المحترفين » [زعماء الهيئات اليهودية] .

أما بخصوص تعيين اليهود في الحكومة والمناصب العليا في الادارة : « فلا اظن ان الناخب اليهودي العادي يحفل بأية صورة من الصور فيما اذا كان الرئيس قد عين شخصا يهوديا في منصب معين ام انه لم يفعل » . ويضيف هذا الصديق اليهودي للرئيس نيكسون قائلا ان اختيارا افضل من ذلك لحقيقة نوايا الرئيس هو من خلال طباعه وما يكمن في دخيلة نفسه . وقد عبر عن ذلك بقوله : « في لحظة سهو ولا مبالاة ، عندما يرخي المرء لنفسه العنان ويتحرر من التحفظ في كلامه قد يزل لسانه، ويفوه بمكنونات نفسه . لقد عرفته [الرئيس نيكسون] منذ عام ١٩٤٦ ، وما من مرة زل لسانه او تفوه عن شخص يهودي بما يتجاوز الحدود بأية صورة من الصور » .

يهود نيكسون : ان المسؤولين اليهود في ادارة نيكسون في البيت الابيض يشملون هنري كيسنجر مساعد الرئيس لشؤون الامن القومي ، وليونارد غارمنت المستشار الخاص للرئيس (لشؤون الحقوق المدنية والفنون والاداب) . ومن المسؤولين اليهود الاخرين الذين يحتلون مناصب رفيعة في الحكومة هيربرت شتاين الرئيس الجديد لمجلس المستشارين الاقتصاديين ، وآرثر بيرنز رئيس مجلس ادارة حكام صندوق الاحتياط الاتحادي ، ووالتر انينبرغ سفير الولايات المتحدة في بريطانيا ، كذلك فان موري تشوتينر المستشار السياسي لنيكسون منذ أمد بعيد ، وقد استقال من منصبه كمستشار خاص للرئيس في شهر اذار الماضي لينضم الى مكتب ريفز وهاميلتون للاستشارات القانونية في واشنطن هو يهودي ايضا .

ليونارد غارمنت : لاحظ أدلر المستشار السابق للحزب الجمهوري للشؤون اليهودية قائلا : « اذا ما كنت يهوديا واصبحت في موقع قريب من السلطة فقد تأخذ وجهة نظرك تتبدل وتتبلور لديك وجهة نظر جديدة » . « لم يعين نيكسون في ادارته اي شخص ليكون صلة وصل بينه وبين الجالية اليهودية الامريكية ، ويبدو أن الرئيس يرى ان غارمنت يقوم بهذا الدور ، ولكن غارمنت لا يرى نفسه القائم بهذا الدور » . ويضيف أدلر متحدثا عن غارمنت قائلا : « ان غارمنت خريج مدرسة دينية يهودية « يشيفاه » ، درس بعدها في كلية في بروكلين ، ومن ثم التحق بمكتب استشارات قانونية في « الوول ستريت » . وهو لا يود ان يدمغ بأنه اليهودي في البيت الابيض ، وعندما تنشأ بعض المشاكل يقول للزعماء اليهود الاخرين : « عليكم أن تتركوا هذا الامر لي لاتدبره بطريقتي الخاصة ، فأنا اعرف كيف يفكر هؤلاء الناس » . ويقول غارمنت انه لا يصرف الكثير من الوقت لحل المشاكل « اليهودية » . ويقول الناطق باسم احدى الهيئات اليهودية في واشنطن عن ليونارد غارمنت : « لقد زرته مرة او مرتين . انني لا اظن انه يود ان ينغمس في القضايا اليهودية » .

ماكس فيشر : هو ضابط الارتباط الرئيسي وصلة الوصل بين الرئيس نيكسون والجالية اليهودية الامريكية ، وماكس فيشر هذا هو مليونير يهودي من ديترويت عمره ٦٣ عاما ، وقد وصفته جريدة « ديترويت نيوز » في شهر تموز ١٩٧١ بانه واحد من عشرة رجال هم « أقوى رجالات ديترويت وأغنى أثريائها » . وفي عام ١٩٦٨ تبرع ماكس فيشر بمبلغ ١٠٧٠٠٠ دولار للجمهوريين في حملة انتخابات الرئاسة الاميركية مؤيدا نيكسون بعد ان انسحب السناتور الجمهوري جورج رومني من انتخابات الحزب الجمهوري التمهيدية في نيو هامبشير لانتقاء مرشح الحزب للرئاسة الاميركية . وفيشر هذا هو الذي رتب لقاء عام ١٩٦٨ بين نيكسون و ١٤ زعيما يهوديا اميركيا في شقة الرئيس الاميركي السابقة في الشارع الخامس في نيويورك ، وهو الذي رتب كذلك اللقاء الوحيد الذي أعلن عنه بين الرئيس نيكسون وزعماء اليهود الاميركيين منذ ان تولى نيكسون الرئاسة الاميركية . ففي ٣٠ كانون الأول عام ١٩٧٠ اجتمع نيكسون بالحاخام هيرشل شاكتر رئيس المؤتمر اليهودي الاميركي حول اليهود السوفييت ، ووليام ويكسلر رئيس مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الامريكية الكبرى والذي يضم ٢٦ هيئة ومنظمة . وقد تناول المجتمعون بالبحث أوضاع اليهود في الاتحاد السوفييتي .

وقد قال ماكس فيشر في احدى المقابلات الصحفية:

« لقد شاركت في حملته الانتخابية [حملة نيكسون] في عام ١٩٦٨ » ، واهتم الساهمة في حملته الانتخابية القادمة في عام ١٩٧٢ على كلا الصعيدين المالي والسياسي . انني احاول ان انقل للرئيس مشاعر الجالية اليهودية الامريكية ورغباتها ، كما أحب أن أكون في موقع يمكنني من الاطلاع على سياسة الحكومة ومعرفة مجرياتها ، فالعلاقة تنطوي على أخذ وعطاء والمصلحة متبادلة » .

في نيسان ١٩٦٩ عين ماكس فيشر مستشارا خاصا للرئيس للشؤون البلدية والقروية ، وفي شهر تشرين الثاني من العام نفسه أسس الرئيس نيكسون « المركز القومي لاعمال التطوع » وعين ماكس فيشر رئيسا لهذا المركز الذي مهمته تنظيم أمور التطوع ويمول من التبرعات الخاصة . وفي شباط ١٩٧٠ استقال فيشر ليتفرغ لمصالحه النفطية والعقارية والمالية .

ويقول وارين أدلر انه عندما كان ماكس فيشر في واشنطن « عومل معاملة رديئة » . ويقول محام في واشنطن عرف ماكس فيشر طوال سنوات عديدة: « لقد تجاهل الرئيس نيكسون ماكس فيشر وأهانه خلال الفترة التي تلت حملة انتخابات الرئاسة ، اما الان وقد بدأ الاعداد لحملة انتخابات الرئاسة القادمة عاد فيشر يرتب اللقاءات وحفلات الغداء بين الشخصيات اليهودية المهمة والرئيس ، انه المنسق للعلاقات بين الرئيس والجالية اليهودية الامريكية، وهو الذي يشغل « الحقيبة اليهودية » . بعبارة أخرى ، دارت الاحداث بالنسبة لماكس فيشر دورة كاملة ، اذ عاد يقول ان نيكسون هو افضل رئيس امريكي عرفته اسرائيل ، واذا لم تساهموا في حملته الانتخابية وتتبرعوا لها فقد تنفرونه من قضايا الجالية اليهودية وتبعدونه عن اسرائيل » .

أما ماكس فيشر نفسه فيتحدث عن علاقته بنيكسون قائلا : « لقد كان الرئيس منصفا غاية الانصاف في تعامله معي . فقد عرض علي منصبا في ادارته في البيت الابيض ، ولكنني عازف عن تولي اية مناصب ، انني اولا واخيرا رجل اعمال وادارة الاعمال تجري في عروقي وهي بمثابة هواية لي » .

ويقسم ماكس فيشر اوقاته التي تفيض عن حاجة أعماله بين العمل السياسي لصالح الحزب الجمهوري واعمال البر والاحسان لصالح اليهود [جمع التبرعات لاسرائيل] ، فقد كان رئيسا عاما لمجلس الادارة (١٩٦٥ — ١٩٦٧) ثم رئيسا (١٩٦٨ — ١٩٦٩) للنداء اليهودي الموحد ، وهو حاليا رئيس مجلس الاحاديث ومؤسسات الرعاية اليهودية المؤتلفة وهذا هو الهيئة المركزية التي تنسق عمليات جمع التبرعات الخيرية بين اليهود الامريكيين [جمع التبرعات لاسرائيل] .

وماكس فيشر كذلك احد الاعضاء الثمانية المؤسسين للجنة اعادة انتخاب الرئيس التي تتولى الاشراف على تخطيط واعداد ترتيبات حملة تجديد انتخاب نيكسون للرئاسة الامريكية في عام ١٩٧٢ .

لاري غولدبرغ : وقع الاختيار على لاري غولدبرغ ليتولى في جهاز حملة تجديد انتخاب نيكسون للرئاسة مهمة العمل على حشد التأييد والدعم اليهودي لنيكسون . ولاري غولدبرغ (٤٠ سنة) من اعضاء الحزب الجمهوري في ولاية رود ايلاند وقد رشحه ماكس فيشر للقيام بهذه المهمة . وقد التحق غولدبرغ هذا [وهو غير آرثر غولدبرغ مندوب الولايات المتحدة في مجلس الامن في عهد الرئيس جونسون] بجهاز حملة التجديد لنيكسون في شهر تشرين الاول الماضي ، فترك مدينة بروفيدانس في ولاية رود آيلاند حيث عمل مع شركاء اخرين من عائلته على انشاء شركة منتجات معدات التربية الامريكية التي تم بيعها . ولاري غولدبرغ حائز على شهادة في القانون من كلية الحقوق في جامعة هارفرد ، وعمل خلال فترة ١٩٥٩ — ١٩٦٠ مستشارا تشريعيا لادارة المشاريع الصغيرة ، وقد شارك بنشاط في حملات انتخابات الحزب الجمهوري منذ عام ١٩٥٦ ، وقبل ان يتولى مهمته الجديدة في جهاز حملة التجديد لنيكسون كان رئيس ادارة « عصبة مناهضة التشهير » المتفرعة من منظمة بناي بريت الصهيونية في ولاية نيو انغلند .

وقال لاري غولدبرغ في مقابلة قصيرة : « انني لست مضاربا في سوق القوة السياسية ، واحب ان أظل بعيدا عن الاضواء قدر الامكان لان مركزي حساس جدا من هذه الناحية ، فكل شيء ما زال قيد التخطيط والاعداد ، ولكنني لا اود ان اظهر بمظهر الشخص المسؤول عن اليهود ، فالامر ابسط من ذلك بكثير » . غير ان احد المنظمين لجهاز لجنة حملة تجديد انتخاب نيكسون وهو روبرت اودل الابن يقول ان غولدبرغ سيصرف اكثر من نصف وقته في العمل بين صفوف اليهود الامريكيين لحشدهم وراء نيكسون في حملة انتخابات الرئاسة القادمة .

تحليل علاقات نيكسون باليهود الامريكيين :

ماكس فيشر هو الوجه البارز في مخططات نيكسون السياسية لكسب اليهود الامريكيين الى جانبه ، وفي ظل ادارة فيشر للامور تكونت وراء الستار بوادر تشنجات وتوترات من بينها : ١) بعض مستشاري نيكسون الرئيسيين في الشؤون الانتخابية نفضوا أيديهم تماما من الامل في كسب الدعم السياسي من اليهود الامريكيين ، ولا يعتقدون ان على الرئيس نيكسون ان يضيع جهدا كبيرا فيما يعدونه قضية خاسرة . ومن بين من يميلون الى الاخذ بهذا الموقف هالدمان المساعد للرئيس ، ورئيس هيئة الاركان في البيت الابيض . ٢) بعد ترك أدلر لهيئة اللجنة القومية للحزب الجمهوري [« اذ جاءت الوجوه الجديدة واخلت البيت من ساكنيه واحتلت جميع المواقع » حسبما يقول أدلر] ، لم يبق هنالك احد ، سواء داخل البنيان الرسمي للحزب الجمهوري او بين المسؤولين في البيت الابيض ، من هو متخصص في الشؤون اليهودية . [ولكن من جهة اخرى ، السناتور روبرت دول وهو جمهوري من ولاية كنساس ، ورئيس المجلس القومي للحزب الجمهوري ، معروف عنه انه من اشد مؤيدي اسرائيل في مجلس الشيوخ] . ٣) لا يخفي بعض زعماء اليهود ، ممن تربطهم بالرئيس نيكسون علاقة ود ، امتعاضهم من الدور الكبير الذي أسند الى ماكس فيشر . وقد عبر واحد من هؤلاء ، سرا ، عن دواعي امتعاضهم من ماكس فيشر قائلا : « اذا كان ماكس فيشر لا يعتقد بانك شخصية كبيرة فقد يعاملك بفظاظة متناهية ، وعلاوة على ذلك ، فان ماكس فيشر محاب ومتحيز لجماعة النداء اليهودي الموحد ، فاذا لم تكن واحدا من جماعة ماكس في النداء اليهودي الموحد فلا جدوى من محاولتك الوصول الى الرئيس » . ٤) يبقى ليونارد غارمنت مستشار نيكسون اليهودي لشؤون الجقوق المدنية والفنون والاداب دون دور ليلعبه في حملة نيكسون الانتخابية ، وكان غارمنت هذا قد شرح الموقف لنيكسون وهيأه في حملة انتخابات الرئاسة الماضية عام ١٩٦٨ لاجتماع هام مع زعماء هيئة يهودية رئيسية تضم تحت جناحيها العدد الاوفر من المنظمات والهيئات اليهودية الامريكية وهي مؤتمر رؤساء الهيئات اليهودية الامريكية .

وليونارد غارمنت احد المتخرجين من مكتب الاستشارات القانونية الذي كان نيكسون شريكا في ملكيته ، واصبح يدعى الان مكتب مدج ، وروز ، وغثري ، والكسندر . وهنالك خريج اخر من هذا المكتب يشغل منصبا مهما في ادارة نيكسون ، وهو جون ميتشل المدعي العام والذي يحتمل ان يلعب دورا سياسيا مهما هذه السنة .

وفي حملة عام ١٩٦٨ الانتخابية ساهم شخص اخر أيضا في شرح الشؤون اليهودية لنيكسون واطلاعه على ملابساتها وذلك هو مارتن بولنر المدير الحالي لمكتب تطبيق القانون في وزارة الخزانة ، وكان بولنر شريكا في ما كان يدعى يومئذ مكتب نيكسون للاستشارات القانونية قبل ان يجنده غارمنت للعمل في حملة نيكسون الانتخابية . وقال أحد المحامين اليهود في واشنطن بصورة سرية : « ان مارتن بولنر هو من افضل الاشخاص [اليهود] الذين في خدمة نيكسون ، ولكن طالما ان ماكس فيشر يدير عمليات نيكسون [بين اليهود] فلا اظن انه ستتاح له الفرصة للظهور والبروز » .

ويقول وارين أدلر المستشار السابق للشؤون اليهودية في لجنة الحزب الجمهوري القومية : « اننا نجد انفسنا ازاء طبقة رواد النوادي الريفية الخاصة (أهل المال والسلطان) ، فجميعهم لهم أصدقاء من اليهود الامريكيين ولكنهم لا ينظرون الى الامور من وجهة نظر الشعب اليهودي ولا يتبنون قضاياه ، هذا في حين ان اليهود المقربين من نيكسون لا يعتبرون انفسهم يهودا » .

كينين العميل الصهيوني القدير في الكونغرس الامريكي :

طلب السناتور هيوسكوت وهو من الشيوخ الجمهوريين البارزين من احد مساعديه مرة ان يعد له بيانا حول الشرق الاوسط ، وبعد ان قرا السناتور مسكوت مسودة البيان قال لمساعده الذي أعده « أعتقد أن البيان ممتاز وهو ما اردت تماما، ولكن ، من قبيل الاحتياط ، حبذا لو حملته الى « سي » واطلعته عليه » . من هو « سي » هذا الذي أشار اليه السناتور هيوسكوت ؟ انه تزحيا كينين مساعد الرئيس التنفيذي للجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الامريكية ، وينادونه « سي » تصغيرا لاسمه الاول « تزحيا » ، وبمرور الزمن ازداد عدد اعضاء الكونغرس الذين يستمزجون رأي « سي » حول سياسة الولايات المتحدة تجاه اسرائيل .

دور ((سي)) كينين : يمثل احد الشخصيات الاكثر نفوذا في البيت الابيض ، وقد اثر كتمان السنة . « ان سي كينين يتمتع بنفوذ كبير بين صفوف اعضاء الكونغرس ، ويشتهر عندهم بانه متحدث شديد الاطلاع على الشؤون الاسرائيلية ، ومن المعروف ان ارتباطاته بالسفارة الاسرائيلية في واشنطن وثيقة جدا ، وهو المرجع النهائي للمحاورين الاسرائيليين والصهيونيين ، فرغم ان جميع المنظمات الصهيونية الكبرى تصر على أن يكون لها ناطق خاص بها لدى الكونغرس ، فان الجميع ينظرون الى سي كينين بانه المرجع الاخير وجميع هؤلاء الناطقين والمحاورين الصهيونيين يطلبون مشورته » .

ويقول كينين انه يشعر ان دوره كوسيط حساس ودقيق ويتطلب قدرا من الدراية والدهاء في التصرف ، ولذلك فهو يحاول ان يتجنب الظهور تحت الاضواء ، بيد ان كينين يقر بأن : « كثيرا من المسؤولين والهيئات يستوضحون رأينا ، فكثيرا ما يتصل بي هذا العضو او ذاك في مجلس الشيوخ ليطلعني على مسودة خطاب كتبه وما الى ذلك . وأظن انك لو استفسرت من اعضاء الكونغرس عن أسلوبنا في العمل لوجدت انه لا يقوم على الضغط ، فالمسألة هي مسألة تزويدهم بشروح وتفسيرات وتوضيحات ومعلومات عن الوضع وتطورات الموقف » . ويضيف قائلا : « عندما تلوح في الافق بوادر اتجاهات ومواقف لا توافق هوانا ابعث برسالة توضح الموقف لنحو ٧٠٠٠ شخص من قادة الجالية اليهودية الامريكية وزعمائها ، كما اتصل بالممثلين والمندوبين المخلين للهيئات اليهودية الامريكية هنا في واشنطن ، وقد ادعو هؤلاء الى مكتبي لاحيطهم علما بما يجري ولاحثهم على القيام بما يستطيعون من اعمال ، فابلغهم بأسماء اعضاء مجلس الشيوخ الذين يرفضون توقيع القرار المطلوب وأطلب منهم ان يفعلوا ما بوسعهم ان يفعلوه بهذا الصدد » .

نشأة كينين وخبرته : كان كينين صحفيا في كليفلاند بولاية اوهايو ، وفي عام ١٩٤٣ قدم الى مدينة واشنطن مديرا تنفيذيا للمؤتمر اليهودي الاميركي ، وهو هيئة صهيونية تضم عدة منظمات وجمعيات يهودية اميركية ، جرى تشكيلها للعمل على اقناع المراجع الحكومية الاميركية المختصة بدعم وتبني فكرة انشاء دولة يهودية في فلسطين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

وفي عام ١٩٤٧ تحدث كينين عن نشاطه في المؤتمر اليهودي الاميركي البحث ، مثلا ، مخصصات للوكالة اليهودية في نيويورك التي كانت تمثل المصالح اليهودية لدى منظمة الامم المتحدة التي كانت قد تكونت حديثا آنذاك ، وبعد ذلك اصبح كينين اول ناطق رسمي بلسان الوفد الاسرائيلي لدى منظمة الامم المتحدة . ويسترجع كينين ذكرياته حول تلك الايام قائلا : « في عام ١٩٥٠ كانت اسرائيل بحاجة الى معونة اقتصادية ، وقد بذلت مساع لادخال اسرائيل ضمن مشروع مارشال ، بيد ان الخارجية الاميركية عارضت ذلك ، فظهرت الحاجة الى العمل في صفوف اعضاء الكونغرس » . وقد تبلورت لذلك فكرة تشكيل جهاز للاتصال باعضاء الكونغرس ، ودعي في بادىء الامر « المجلس الصهيوني الاميركي » الذي اصبح يدعى في عام ١٩٥٩ « لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الاميركية » . وفي عام ١٩٥١ سجل كينين نفسه ، لفترة وجيزة ، كعميل لدولة اجنبية ، ولكنه يعمل منذ ذلك الوقت كمحاور محلي رغم حملة السناتور وليم فولبرايت عليه ، وقد قام السناتور فولبرايت في عام ١٩٦٣ بتحري نشاطات « لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الاميركية » توطئة لفتح تحقيق في مجلس الشيوخ حول سوء تطبيق قانون تسجيل عملاء الدول الاجنبية ، بيد ان الموضوع اقفل ولم يستدع كينين للادلاء بافادته كما لم يتم توجيه تهمة معينة له .

نشاطات كينين ومجهوداته من خلال لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الاميركية : تدير لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الاميركية عملياتها بميزانية سنوية مقدارها ١٧٥٠٠٠ دولار تجمع كلها من تبرعات من داخل اميركا . ومدير عملياتها كينين (٦٧ سنة) دائم السفر والتجوال ، ويدير عملياتها في بعض الاحيان من مكتبها الفرعي في نيويورك ، وكثيرا ما يلقي أحاديث في الجماعات اليهودية في شتى أنحاء الولايات المتحدة ، وغالبا ما يرافقه في جولاته هذه ارفنغ كين رئيس ادارة لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الاميركية والذي يشرف على جمع التبرعات لها . وكثيراً ما يزور كينين اسرائيل ، وخلال زيارته الاخيرة في تشرين الاول الماضي اجرى مباحثات مع غولدا مائير رئيسة الوزراء . وتتميز نشاطات كينين باستقلاليتها عن المسؤولين الاسرائيليين بما فيهم هيئة السفارة

في واشنطن . ويقول كينين : « لم اصطحب السفير الاسرائيلي معي الى الكونغرس لاجراء الاتصالات مع الشيوخ والنواب منذ سنوات » . ويفضل كل من كينين والاسرائيليين انفسهم ان يعمل كل منهما بشيء من الاستقلال عن الاخر . وفي بعض الاحيان تنشأ بينهما اختلافات حول اساليب العمل بصدد بعض التشريعات . ويصف كينين نفسه بانه « من طراز اليهود الليبراليين الكلاسيكي » ، وهو يلاحظ وجود نوع من « الهوة بين الاجيال » بينه وبين السفير الاسرائيلي اسحق رابين الجنرال المتقاعد، وعمره ٤٩ سنة ، من رئاسة اركان الجيش الاسرائيلي .

ويقول بعض اعضاء مجلس الشيوخ سرا انهم يرتاحون اكثر الى مناقشة الامور بصراحة مع كينين بصفته اميركيا مما مع الدبلوماسيين الاسرائيليين ، بينما يقول شيوخ آخرون انهم يفضلون ان يتعاملوا مع الاسرائيليين مباشرة ، ومعظم الشيوخ يشعرون ان من المفيد لهم ان يتعاملوا مع الطرفين .

ويقدر اسحق رابين قيمة عمل كينين ومجهوداته ، وان كان لا يعتمد عليه اعتمادا كليا . ولذلك وافق في ربيع عام ١٩٧١ ان يكون ضيف الشرف في مأدبتي غداء حافلتين لاعضاء مجلسي الشيوخ والنواب لمناسبة انعقاد المؤتمر السنوي الثاني عشر للجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الاميركية . ففي ٢٩ نيسان ١٩٧١ اقام رئيس مجلس النواب كارل البرت [ديموقراطي من اوكلاهوما] حفل غداء على شرف ٣٠٠ من مندوبي لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الاميركية الى المؤتمر ، وحضره كذلك ١٥٠ عضوا من اعضاء مجلس النواب من بينهم زعيم الاغلبية النيابية هال بوغز (ديموقراطي من لويزيانا) وزعيم الاقلية النيابية جيرالد فورد (جمهوري من ميتشيغان) . واقيم حفل الغداء الاخر في مبنى مكاتب مجلس الشيوخ الجديدة ، وكان خطباء الحفل السناتور هيوسكوت والسناتور هنري جاكسون .

نشرات كينين ومطبوعاته : علاوة على المهمات التي يقوم بها كينين في لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الاميركية فهو يشرف ايضا على تحرير نشرة اسبوعية من اربع صفحات (ولكنها زاخرة بالمعلومات) يدعوها « تقرير حول الشرق الادنى »، وهي توزع على ٢٧٠٠٠ مشترك ، وقيمة الاشتراك بها ٧ دولارات سنويا ، ويوزعها كينين مجانا على جميع اعضاء مجلسي الشيوخ والنواب .

ويعمل كينين ، بمساعدة ٦ موظفين متفرغين و٤ غير متفرغين ، على تنسيق سجلات وافية وتفصيلية حول جميع القضايا والامور المتعلقة باسرائيل بما فيها مواقف كل واحد من اعضاء مجلسي الشيوخ والنواب من قضايا الشرق الاوسط ، كما يحتفظ بملفات وافية وشاملة لما يدعوه كينين « جهاز الدعاية العربية » ، وفي كل عدد من اعداد « تقرير حول الشرق الادنى » يتصدى كينين لتفنيد وجهة النظر العربية ويقدم حججا مضادة تنقضها ، وقد لخص عددا كبيرا من هذه الحجج والحجج المضادة في عدد خاص من ٤٨ صفحة دعاه « اوهام ووقائع » ، وباع منه منذ عام ١٩٦٧ ، حين صدوره ، ما يزيد على ٢٥٠٠٠٠ نسخة .

« التوازن » كما يفهمه الصهيونيون : يقول كينين « قبل ان نبدأ عملنا في واشنطن كان هناك « عدم توازن » في الضغوط ، فهناك التكتل « البترولي — الدبلوماسي » ، وهؤلاء لا يحتاجون الى المحاورة واجراء الاتصالات و« التطبيقات » كما نفعل نحن ، فهم يشكلون مركز قوة حقيقي ، اذ افلحوا في شق طريقهم الى مراكز ومواقع حساسة وقوية ، وعلى اية حال ، ان رئيس شركة نفط يستطيع الاتصال بالرئيس بسهولة اكثر منا » .

نهج اسرائيلي جديد في التوجه الى مراكز القوى في الولايات المتحدة وفي العلاقات معها :

جاء تأسيس اسرائيل في ١٤ ايار عام ١٩٤٨ تتويجا لقرابة ستين سنة من المجهودات والمساعي الصهيونية . وقد اعتمدت في مطلع عهدها في تعاملها مع الولايات المتحدة الاميركية على مشورة ونصائح اعوانها من الاميركيين (جلهم من اليهود)، بيد ان الاسرائيليين اصبحوا ، في السنوات الاخيرة ، اقل اعتمادا على مشورة اليهود الاميركيين في تعاملهم مع واشنطن واخذت السفارة الاسرائيلية في واشنطن ، تنهج نهجا استقلاليا وتنزع الى الاعتماد على نفسها في تصريف الامور واجراء الاتصالات .

ويعبر هذا النهج الجديد ، الى حد كبير ، عن نظرة السفير الاسرائيلي في عهد نيكسون الجنرال اسحق رابين رئيس اركان حرب الجيش الاسرائيلي السابق (١٩٦٤ — ١٩٦٨) ، وقد قال اسحق

حائر الى حد بعيد باسلوب عمله السابق الذي يعلق قدرا كبيرا من الاهمية على التحديد الواضح والمحدد للاهداف ، اذ ينبغي ان يبنى الحكم على السياسة الخارجية قياسا على النتائج العملية الملموسة ، ولذلك سعيت الى ان احدد على وجه الدقة المهام التي يترتب علي ان اؤديها وانجزها». ونعرض ادناه تلخيصا لنظرة الاسرائيليين لسلم الاولويات في تعاملهم مع واشنطن :

السلاح والتسليح : ان اولى الوقائع التي يدركها الدبلوماسيون الاسرائيليون في واشنطن هي ان بلدهم يعتمد على الاسلحة الاميركية المتطورة في اي نزاع ينشأ مع العرب في المستقبل . ولذلك ، فان من اهدافهم الرئيسية العمل على استمرار تدفق الاسلحة الاميركية بغزارة على اسرائيل ، ويشعر الاسرائيليون انهم بحاجة الى كميات من السلاح تمكنهم من الانتصار في اي قتال لا يشترك فيه الروس . اما فرنسا التي كانت المصدر الاول للسلاح الاسرائيلي فقد استنكفت عن بيع طائرات الميراج الى اسرائيل . ومنذ عام ١٩٦٨ اصبحت طائرات الفانتوم المقاتلة القاذفة والتي تصنعها شركة ماكدونل دوغلاس هي عماد سلاح الطيران الاسرائيلي . وقد بيع الاسرائيليون (في الصفقة الاولى) ٨٦ من طائرات الفانتوم ، سلمت ٥٠ منها في عهد الرئيس جونسون ، و٣٦ في عهد نيكسون ، كما تلقى الاسرائيليون ١٢٠ من طائرات سكاي هوك القاذفة المهاجمة وهي طائرة اقل تطورا من الفانتوم وتقل سرعتها عن سرعة الصوت ، وتصنعها ايضا شركة ماكدونل دوغلاس. وستتلقى اسرائيل المزيد من طائرات سكاي هوك خلال عام ١٩٧٢ ، وكذلك وافق الرئيس نيكسون على بيع اسرائيل المزيد من طائرات الفانتوم بعد اسابيع قليلة من طلب غولدا مائير الشخصي لها في ٢ كانون الاول ١٩٧١ اثناء زيارتها للولايات المتحدة .

التمويل الاميركي لاسرائيل : يضع الاسرائيليون هدف تأمين اقصى حد ممكن من الدعم المالي من الحكومة الاميركية لبلدهم في مرتبة واحدة مع السلاح والتسليح في سلم الاولويات لتعاملهم مع الولايات المتحدة ، سواء كان هذا الدعم المالي في صورة قروض لتمويل مشترياتهم من السلاح او على هيئة اعانات اقتصادية مباشرة .

وقد بلغت قيمة القروض في السنتين المالتين ١٩٧١ و١٩٧٢ مبلغ ٨٠٠ مليون دولار ، ويعتبر الاسرائيليون هذه المبالغ كافية . وعلاوة على ذلك ربح الاسرائيليون في اواخر السنة الماضية معركتهم للحصول على « مساعدات الدعم » ، وهذه من برامج المساعدات الخارجية المخصصة لعون البلدان التي يستنزف موارد ميزانياتها الانفاق العسكري لمكافحة الشيوعية . وقد اثر الكونغرس منح اسرائيل دفعة اولى من مساعدات الدعم قيمتها ٥٠ مليون دولار .

الردع الاميركي : درع لحماية اسرائيل : ومن الاهداف الاساسية التي تتوخاها اسرائيل في علاقاتها مع الولايات المتحدة ايجاد رادع اميركي موثوق به ومضمون للحيلولة دون استخدام القوة العسكرية السوفييتية في الشرق الاوسط ، ويطلب الاسرائيليون من الولايات المتحدة ان تكون لهم بمثابة درع عسكري يقيهم من الروس دون ان يلتزموا بشروط اية معاهدة رسمية بين واشنطن وتل ابيب . ويرى الاسرائيليون ان احتمالات اقدام السوفييت على المجازفة باية اعمال عسكرية على حدود اسرائيل تتوقف بالدرجة الاولى وبصورة مباشرة على تقييم موسكو وتقديراتها لقدرات الولايات المتحدة واستعداداتها العسكرية ، وبدرجة اهم على مدى تصميمها وشدة عزمها على القتال . وبناء على ذلك يرى الاسرائيليون ان تقييم السوفييت للامور وتقديراتهم للموقف لا بد وان تتأثر بما يلمسونه من ظواهر تصميم الولايات المتحدة وعزمها على دعم اسرائيل ومساندتها على مستوى تدفق شحنات الاسلحة الاميركية على اسرائيل ، ومدى قوة الاسطول الاميركي السادس في شرق البحر المتوسط والمواقع التي يتخذها فيه. ويعتقد الاسرائيليون ان موسكو تنظر الان نظرة جادة الى تصميم الولايات المتحدة وعزمها على ردع اي تدخل سوفييتي في الشرق الاوسط . ووفقا لهذا التحليل اصبح السوفييت ينظرون بجدية اكثر الى شدة عزيمة الولايات المتحدة على الردع لان الرئيس نيكسون اقدم ، من حين الى آخر ، على مفاجآت غير متوقعة في تعامله مع مختلف كتل العالم الشيوعي مما جعل من غير اليسير حدس سياساته وتخمين الموقف الذي سيتخذه اذا ما طرأ طارىء .

ويعتقد الاسرائيليون ان الروس اصبحوا ينظرون

الى المناورات والتهديدات الاميركية نظرة جسادة نتيجة اقدام الولايات المتحدة على غزو كمبوديا في عام ١٩٧٠ ، واستئنافها الغارات الجوية على نطاق واسع ضد فيتنام الشمالية في اواخر كانون الاول ١٩٧١ ، وقد اصدر الرئيس نيكسون اوامره بالاقدام على كلتا هاتين العمليتين رغم تصاعد الشعور المعادي للحرب في الولايات المتحدة . وفي جبهة الشرق الاوسط أمر الرئيس نيكسون في شهر أيلول ١٩٧٠ الاسطول السادس بالتوجه نحو شاطىء لبنان [عندما اشتدت قوة المقاومة الفلسطينية في وجه الارهاب الاردني]. وكذلك هدد الاسرائيليون ، الذين كانوا ينسقون خطواتهم تنسيقا تاما مع واشنطن ، بالتدخل هم ايضا في القتال .

تحقيق انسجام المواقف الاميركية مع الاهداف الاسرائيلية : وآخر الاهداف الرئيسية التي تتوخاها اسرائيل في تعاملها مع واشنطن هو التملص بمهارة من مبادرات الولايات المتحدة التي تستهدف السعي لاقرار تسوية سلمية للنزاع في الشرق الاوسط . والهدف الرئيسي للدبلوماسية الاسرائيلية في هذا الصدد هو الحيلولة دون انزلاق الولايات المتحدة لان تصبح طرفا في تسوية سلمية تفرضها الدول الكبرى ومنعها من ممارسة ضغط على الاسرائيليين (بواسطة التهديد بالغاء شحنات الاسلحة مثلا) لتأمين تعاونهم في تطبيق مثل هذه التسوية .

ان الهدف الاني للدبلوماسية الاسرائيلية هو استمرار التقيد بوقف اطلاق النار على قناة السويس ، المعمول به منذ اكثر من عشرين شهرا ، والعمل على تحقيق انسحاب تدريجي خطوة بعد اخرى من خط قناة السويس .

ويعتبر الاسرائيليون ان الدعم الشعبي الواسع لاهدافهم هو عنصر اساسي في نجاح دبلوماسيتهم ، وهذا ما يجعلهم يولون أمور توجيه الصحافة ووسائل الاعلام أهمية فائقة .

ومن جهة اخرى ، يعتقد الاسرائيليون ان الرأي العام في الولايات المتحدة اصبح اشد ميلا الى تحبيذ انتهاج الولايات المتحدة سياسة العزلة في الشؤون الدولية ، ويتجلى هذا الاتجاه بأوضح صوره بين الليبراليين . ولذلك ، يقر الاسرائيليون بأن أهدافهم الدبلوماسية ، في الوقت الراهن ، هي اكثر توافقا مع مواقف الجهات والقوى المحافظة التفكير في الولايات المتحدة والتي فضلت دائما انتهاج سياسة عسكرية متشددة ، منها هي مع الليبراليين . ويعتقد الاسرائيليون ان اعتمادهم اعتمادا كليا على دعم اليهود الاميركيين لاسرائيل في المناخ السياسي الراهن سيكون خطأ سياسيا فادحا .

هل دور الهيئات اليهودية الاميركية في توجيه السياسة الاميركية مبالغ فيه ؟

أجرت مجلة « ناشيونال جورنال » في عرضها الشامل للعلاقات المتداخلة بين الهيئات اليهودية الاميركية ومراكز القوى الفعالة في رسم خط السياسة الاميركية ، وطبيعة العلاقات بين الحكومة الاميركية واسرائيل مقابلة مع احد اليهود الاميركيين الذين مارسوا مدة طويلة التأثير على الرأي العام والمسؤولين الاميركيين ، وشارك في عملية اجراء الاتصالات والضغط والمحاورة المعهودة من اجل القضايا الاسرائيلية ، وذلكم هو « ميلتون فريدمان » الذي عمل منذ عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٧٠ محررا لاخبار « وكالة البرق اليهودية » . وقد استقال من عمله هذا ليلتحق بلجنة الحزب الجمهوري القومية لحملة انتخابات الكونغرس، ومن ثم عمل مساعدا للنائب الجمهوري عن ولاية نيويورك سيمور هالبرن ، وهو في هذه المقابلة مع مجلة « ناشيونال جورنال » يعرض طبيعة التأثير الذي تمارسه الهيئات اليهودية الاميركية على المسؤولين الاميركيين ويقيم اهمية الدور الذي تلعبه هذه الهيئات ، من الداخل ، بصفته واحدا ممن شاركوا في هذه العملية مدة طويلة، [ولذلك لا غرابة في انه يجنح الى تقليل أهمية الدور الذي تلعبه هذه الهيئات اليهودية ، وان يميل الى تبسيط طبيعة العلاقات المتداخلة بين الطبقة الاحتكارية الحاكمة في الولايات المتحدة وبين المواقع القوية التي يحتلها اليهود الاميركيون في عالم المال والاحتكار وسيطرتهم على وسائل الاعلام الاساسية من صحافة واذاعة وتلفزيون وشركات الانتاج السينمائي في هوليوود .

ولكن ، من ناحية اخرى ، يلاحظ ان أوساطا عربية واسعة ، لا سيما ما يدور منها في فلك الهيئات الحاكمة في العالم العربي ما تزال تتصور، كما كانت تتصور دائما ، ان التواطؤ القائم بين قوى الاستعمار ، قديمة وجديدة ، ممثلة في الاوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الاميركية

وغيرها من البلدان العربية وبين اسرائيل ، هو الوحيد هو سيطرة اليهود والصهيونيين في هذه البلدان على وسائل الاعلام ومراكز المال مما يؤدي الى تأثيرهم على سياستها . وتغفل هذه الاوساط العربية ، او تتغافل ، عن طبيعة الارتباط العضوي المصلحي القائم بين قوى الاحتكار المسيطرة على مقاليد الامور في البلدان الاستعمارية وبين اسرائيل باعتبارها مخلب قط لهذه الاحتكارات وخط دفاع أمامي عن مصالحها الاستغلالية في الشرق العربي ، وكذلك الدور الذي تلعبه اسرائيل في خدمة هذه الاحتكارات كقاعدة قوية وموثوق بها ضد ما يدعونه التغلغل السوفييتي في المنطقة العربية . ويكشف جانبا من طبيعة هذا الارتباط العضوي بين اسرائيل وقوى الاحتكار الاستعمارية ما ورد اعلاه من معلومات يتبين فيها ان اسرائيل اخذت تتحسس مخاطر الاعتماد الكلي على دعم اليهود الاميركيين لان بين صفوفهم تيارات ليبرالية قوية ، في حين انها اخذت تتحالف الان بشكل مكشوف مع قوى اليمين المحافظ ، ومعظمها غير يهودية ، بل ان بعضها يجنح الى شيء من اللاسامية] .

وفيما يلي ملخص لآراء ميلتون فريدمان هذا حول التأثير الذي تمارسه الهيئات اليهودية الامريكية على سياسة الولايات المتحدة من حيث كونه احد المحاورين ورجال الاعلام الصهيونيين الرئيسيين في الولايات المتحدة الاميركية ، يقول فريدمان : أشعر ان هنالك مبالغة شديدة حول مدى قوة وتأثير من يدعون بالمحاورين الموالين لاسرائيل الذين يقومون « بالتطبيقات » السياسية لصالح اسرائيل . لا انكر ان هنالك شيئا من هذا القبيل ، ولكن ما هو مدى تأثير هؤلاء المحاورين وما هو مدى فعاليتهم ؟ ليس هذا بالامر الملموس الذي يمكن ان يعطي عنه المرء اجابة محددة ، اذ هو اشبه بمحاولة معرفة مدى الدعم الذي تستطيع عصابة « كوكلوكس كلان » [العنصرية البيضاء] ان توفره لمرشحي الرئيس نيكسون لهيئة قضاة المحكمة العليا . ان من يدعون محاورين لصالح اسرائيل هم ، بالدرجة الاولى ، عبارة عن رجال علاقات عامة يتقاضى الواحد منهم مبلغ اربعين الف دولار في السنة بتنصيب انفسهم « خبراء في الشؤون اليهودية » !!

لقد سادت اوهام بهذا الصدد مصدرها وزارة الخارجية الامريكية التي هندست وفشلت في اقناع البيت الابيض بتبني الخط السياسي الذي تقترحه تخترع هذا « القول الخرافي » وهو المحاورون لصالح اسرائيل ، وتسري الشائعات بأن « الماكينة اليهودية الهائلة » قد تحركت . وتمر علي اوقات أتمنى فيها لو ان هذه «الماكينة اليهودية الضخمة» كانت موجودة بالفعل . هنالك حوالي خمسة ملايين يهودي في الولايات المتحدة ، اي ما يعادل ٢ ٪ من الاصوات ، ومعظم من هم دون الخامسة والثلاثين من هؤلاء اليهود لا يكترثون البتة بأمر اسرائيل واحوالها ، بل ان بعضا منهم يقف منها موقفا معاديا . فمن يبقى من هؤلاء اليهود مع اسرائيل اذن ؟ هنالك الرجال الكبار المنتسبون للحركة الصهيونية وأعدادهم محدودة ، وهنالك « حركة الاصلاح اليهودية » المنشقة الى شطرين والدائبة النزاع مع الاسرائيليين حول احدى قضايا حرية العبادة ، ثم هنالك اخيرا «اليهود التقليديون» و« المحافظون » ، وهؤلاء لا يزجون انفسهم في الامور السياسية .

اما من حيث علاقة اليهود الاميركيين بالبيت الابيض، فليس هنالك في البيت الابيض من يحفل برغبات اليهود واهوائهم ، فمن الخطأ الافتراض بأن هنالك شخصا مهمته التعرف على آراء اليهود ومشاعرهم والعمل على الاستجابة لها وارضائها . ففي واقع الامر ، هل يبالي نيكسون حقيقة فيما اذا كانت الجالية اليهودية سعيدة او غير سعيدة ؟

انه ، بطبيعة الحال ، لا يود ان يستثير عداء أحد ، فهو يريد ان يكون ، كما تعلم ، رئيس الجميع .

اما من حيث ما يدعى سطوة « المحاورين لصالح اسرائيل » فهو أمر لا يوجد ، اساسا ، الا في عقول المسؤولين في وزارة الخارجية . ووزارة الخارجية تشعر بذلك لانها هي نفسها كبش فداء [اي أن البيت الابيض يلقي اللوم دائما على وزارة الخارجية بأنها السبب في اتخاذ موقف معين غير مرغوب فيه مثل الامتناع عن شحن طائرات الفانتوم لفترة من الزمن] . هنالك كثير من اليهود المتحمسين لاسرائيل ، ويودون ان يظهروا لانفسهم وللآخرين بأن ما يفعلونه مجد . وهنالك يهود يشعرون بأنهم عاجزون عن القيام بما ينبغي القيام به لصالح اسرائيل ، ولذلك يمنون انفسهم بأن

هنالك محاورين كثيرين لصالح اسرائيل في واشنطن، وان هؤلاء يتمتعون بنفوذ وتأثير كبيرين وهم دائبو الحركة والنشاط وينوبون عنهم في عمل ما يلزم . ومن جهة أخرى ، فان المحاورين العرب وممثلي شركات النفط ليسوا اسعد حالا ، ولا اظن ان ايا من الفريقين ، اليهودي او العربي ، له اية سطوة يعتد بها ...

ان المحاورين الحقيقيين لصالح اسرائيل ليسوا في واشنطن ، ولا تجدهم في مكتب منظمة « بناي بريث » ولا عند الباب الخلفي للسفارة الاسرائيلية، بل هم اليهود العاملون في شتى الميادين والمنتشرون في شتى أنحاء الولايات المتحدة ، فمعظم اليهود يتمتعون بنصيب وافر من المعرفة والاطلاع ، وبعضهم مشترك في جريدة « جيروسالم بوست » او بعدد نهار الاحد من جريدة « نيويورك تايمز »، وهم يتابعون الاحداث ويعرفون ، على وجه الدقة، حقيقة ما يجري في الشرق الاوسط ، فاذا كان التوجيه السياسي والاعلامي الاسرائيلي يقول : « اضغطوا من اجل استئناف شحن طائرات الفانتوم » ، فعندئذ سيتلقى السناتور الفلاني من الولاية الفلانية ، ، فجأة ، دزينة من الرسائل من بعض الشخصيات الهامة في ولايته ، دون ان يكون هناك توزيع ادوار او توجيه من احد .

وتحدث المحاور اليهودي الاميركي ميلتون فريدمان عن منطلقات السياسة الاميركية وتوجهاتها والاعتبارات التي تحكم قراراتها قائلا : « ان ما يحدث في واشنطن حول الشرق الاوسط هو نتيجة اعتبارات براغماطيقية عملية لتوزيع القوى وموازينها ، وتنطوي هذه على تقديرات وحسابات كل من « مجلس الامن القومي » ، و« رؤساء هيئة الأركان المشتركة للقوات الاميركية » ، و« وكالة الاستخبارات المركزية » حول اية تغييرات تطرأ على ميزان القوى ، ولا علاقة لها البتة بذلك النفر القليل من الرجال الذين يقومون بالحوار والاتصالات والتطبيقات لصالح اي من الطرفين ، فواقع الامر ان هذه القرارات انما تؤخذ على اساس تفكير أعلى الجهات المسؤولة وتقديراتها حول الاستراتيجية السياسية العالمية ، فالمراجع المسؤولة في الدولة لا تذهب الى محاور لصالح اسرائيل لتستوضح منه عن الغرض من وجود قوات سلاح الجو السوفييتي في مصر وتطورات هذا الامر ، كما لا تحتاج الى الاتصال باحد رجال العلاقات العامة اليهود ليقدر لها عدد المرات التي تحلق فيها طائرات ميغ — ٢٣ من القواعد المصرية.

ان العامل الحاسم في اتخاذ نيكسون قراره حول استئناف شحنات الفانتوم لاسرائيل هو ما يتلقاه من معلومات وتحليل للموقف من المراجع المختصة في وزارة الدفاع ودوائر الاستخبارات. والشعور العام في وزارة الدفاع الاميركية وبين الناس الذين يؤثرون عليها هو : « بحق الشيطان اعطوا اسرائيل الاسلحة التي تحتاج !! ، فالروس يربضون عند قناة السويس ، وهم يحلقون بطائرات ميغ — ٢٣ فوق سيناء !! » . ووجهة النظر هذه تصدر عن جهات يحترمها المفكرون العسكريون ، ولا علاقة لها من قريب او بعيد بالصهيونية او حتى بطبيعة الميول والمشاعر نحو اليهود . **ومن جهة اخرى ، حتى رجال شركات النفط العاملة في البلدان العربية يلعبون دورا مزدوجا ، فهم من جهة يودون بقاء الاسرائيليين اقوياء خوفا من استيلاء الروس على منابع النفط في الكويت والبحرين وغيرهما من امارات النفط في الخليج ، ومن ناحية اخرى يستنكرون ، لفظيا ، سياسة اسرائيل ذرا للرماد في عيون العرب ، وليحافظوا على مصالح شركاتهم وحظوتهم لدى العرب .**

اما بالنسبة للسفير الاسرائيلي اسحق رابين فهو فعلا من النوع العسكري القدير ، وهو لا يضيع شيئا من وقته في الانزعاج حول ما فناه عضو الكونغرس الفلاني في خطابه العلاني .

فهو يهتم بالذهاب مباشرة الى مصدر القوة ، وهو يود ان يعرف اي نوع من الحجج والشواهد والاستدلالات يجب ان يقدمها خلال مقابلته لوزير الخارجية او للرئيس ليغيرا موقفهما حول هذه المسالة او تلك ؟ وما هو بالضبط ما يظنان ان الروس يقومون به على وجه الدقة ؟ وهذا هو كل ما في الامر » .

سجل اقوال نيكسون حول اسرائيل
(١٩٦٨ — ١٩٧٢)

فيما يلي عرض لبعض تصريحات ريتشارد نيكسون الرسمية حول سياسته في الشرق الاوسط التي أعلنها اثناء حملة انتخابات رئاسة الجمهورية في عام ١٩٦٨ .

حول تسوية متفاوض عليها : « على الولايات المتحدة أن تقوم فورا بأخذ زمام المبادرة في وضع

« انصتوا الى الشروط : ينبغي ان تتضمن هذه الشروط ضمانات أكيدة وثابتة بأن المناطق المحتلة حاليا لن تستخدم مطلقا ، مرة اخرى ، قواعد للعدوان وملجأ للارهاب .

وينبغي ان تنطوي التسوية على الاعتراف بسيادة اسرائيل ، وبحقها في الوجود بسلام ، وانهاء حالة العداء » .

مؤتمر منظمة بناي بريث في ٨ ايلول ١٩٦٨.

حول سياسة حكومة جونسون : « لقد كان الرد الاميركي على سياسة السوفييت التوسعية والمغامرة ، دبلوماسيا وعسكريا ، يتسم بالتردد ، والمرج ، وعدم الفعالية . وفي واقع الامر ، يبدو انه ليست هناك أية سياسة اميركية على الاطلاق في منطقة من العالم حيث قدح اية شرارة عرضية قد يؤجج نار نزاع محلي يمكن ان يسوق القوى العظمى الى أوار صدام مباشر كبير » .

من مقال في نشرة « تقرير من الشرق الادنى » في ١٥ أيار ١٩٦٨ .

حول وضع اسرائيل : « من الوقائع الماثلة أمامنا ما يلي : ان بوسع اعداء اسرائيل أن يخوضوا حربا وان يخسروها ، اذ بوسعهم ان يعاودوا الكرة ، بيد انه ليس بوسع اسرائيل ان تخسر حتى مرة واحدة . ان اميركا تعلم ذلك ، وان اسرائيل تعلم ذلك ، وان العالم بأسره يعلم ذلك ، وان العرب يعلمون ذلك ، وان الاتحاد السوفياتي يعلم ذلك ، وان اسرائيل تعلم ان اميركا تعلم ان اسرائيل تعلم ان العالم بأسره يعلم ان العرب يعلمون ان الاتحاد السوفياتي يعلم ذلك ، وان اميركا حريصة على ان تبقى اسرائيل هنا في امرة الامر لتبقى .

« انني أدعم سياسة تعطي اسرائيل تفوقا تكنولوجيا عسكريا يتجاوز التفوق العددي لجيرانها المعادين لها ... واذا كان هذا التفوق يتطلب تزويدها بطائرات الفانتوم ، فسنزودها بهذه الطائرات للمحافظة على هذا التفوق » .

مؤتمر بناي بريث في ٨ أيلول ١٩٦٨ .

حول « التزامه من حيث المبدأ » : فيما يلي جواب الرئيس نيكسون حول سؤال « دان راذر » مراسل شبكة اذاعة كولومبيا في البيت الابيض ، اثناء مقابلة تلفزيونية بتاريخ ٢ كانون الثاني حول خطط الحكومة الاميركية بشأن بيع اسرائيل المزيد من طائرات الفانتوم : « لقد اتخذنا قرارا ، يا سيد راذر ، مستمدا من سياسة اعلنتها منذ أمد طويل باننا لن ندع التوازن العسكري في الشرق الاوسط يختل . وقد تبين لنا بأن الاتحاد السوفياتي قد زود مصر بشحنات هامة جدا من الاسلحة . ونتيجة لهذه الشحنات التي ما زالت تتصاعد قررنا الاستجابة الى طلبات اسرائيل من الطائرات لنضمن عدم اختلال التوازن . لقد ارتبطنا بالتزام من حيث المبدأ ، واما من حيث وضع هذا الالتزام ، موضع التنفيذ ، فهذا ، بطبيعة الحال، ليس الوقت المناسب للخوض فيه » .

التقرير الثاني

دور اليهود الامريكيين في تمويل اسرائيل وتوجيه دفة السياسة الامريكية

ستيفن كليدمان

في الاسابيع الاولى من هذه السنة (التي هي سنة انتخابات لرئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة) عبر كل من الرئيس نيكسون والزعماء الديموقراطيين المتنافسين على الفوز بترشيح الحزب الديموقراطي لمنافسة نيكسون في معركة انتخابات الرئاسة الامريكية ، عبر هؤلاء عن اهتمام شديد وملموس بما فيه خير اسرائيل وسلامتها وبمصير اليهود في الاتحاد السوفييتي . فقد وافق الرئيس نيكسون على بيع طائرات « الفانتوم » و « والسكاي هوك » لاسرائيل كما لمح الى أنه قد يبحث مع قادة الكرملين مسألة هجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل عندما يزور موسكو في شهر ايار ١٩٧٢ ، كذلك صادق نيكسون على ضمان الحكومة الامريكية لقرض قيمته ٥٠ مليون دولار للمساعدة في اسكان اليهود السوفييت المهاجرين الى اسرائيل . ومن جهة اخرى تقدم كل من السناتور ادموند مسكي ، عن ولاية « مين » ، والسناتور هنري جاكسون ، عن ولاية واشنطن ، المتنافسين على ترشيح الحزب الديموقراطي لانتخابات الرئاسة الامريكية ، تقدما الى الكونغرس ببرنامج معونات مالية لمساعدة اسرائيل في توطين المهاجرين من اليهود السوفييت اليها . أما المرشح الديموقراطي الثالث السناتور هيوبرت همفري عن ولاية مينيسوتا ، فكان على وشك التقدم بلائحة معونة مماثلة ، ولكنه قرر سحبها حتى لا تتعارض مع لائحتي المعونة للمرشحين الاخرين ، وعوضا عن ذلك اقترح همفري أن تعترف الولايات المتحدة رسميا بالقدس عاصمة لدولة اسرائيل .

ان هذا الاهتمام البالغ والحرص الشديد اللذين يبديهما كبار الزعماء السياسيين الامريكيين تجاه اسرائيل ومصالحها ليسا بمحض الصدفة ، اذ ان تأثير اليهود الامريكيين على السياسة الامريكية لا يتناسب اطلاقا مع عددهم بين مجموع الناخبين . واليهود الامريكيون هم من الممولين الرئيسيين للاحزاب السياسية (الامريكية) لا سيما الحزب الديموقراطي ، مثلما هم الممولون الرئيسيون لدولة اسرائيل ذاتها . ويظهر مدى ضخامة السلطان المالي لليهود الامريكيين في حملات جمع التبرعات لاسرائيل الجارية حاليا ، والتي تتولاها كل من مؤسستي «النداء اليهودي الموحد» و«منظمة السندات الاسرائيلية » ، وهما تهدفان هذه السنة الى جمع ٥٠٠ مليون دولار من التبرعات الخاصة لصالح اسرائيل واليهود السوفييت المهاجرين اليها. ففي حفل عشاء واحد أقامته مؤسسة « النداء اليهودي الموحد » في نيويورك ، في الاسبوع الماضي ، تم جمع ٢١ مليون دولار ، وفي حفل مماثل في « بالم بيتش » بفلوريدا تم بيع ما قيمته ٦ ملايين دولار من السندات الاسرائيلية .

ان دعم اليهود الامريكيين لاسرائيل وفضلهم عليها هائل جدا سواء كان ذلك من حيث نفوذهم وتأثيرهم على السياسة الامريكية او من حيث تبرعاتهم ومساعداتهم النقدية . فقد بلغت هذه التبرعات والمساعدات في عام ١٩٧١ فقط ما قيمته ٥٢٠ مليون دولار من مبيعات السندات الاسرائيلية والتبرعات لصندوق النداء اليهودي الموحد ، في حين أن مجموع ارقام الميزانية الاسرائيلية في تلك السنة كان أقل بقليل من ثلاثة بلايين دولار .

أما مدى تأثير النفوذ السياسي لليهود الامريكيين فحصره وقياسه اصعب من حصر قيمة المساعدات والتبرعات المالية ، بيد أن من الحقائق الظاهرة ان لجان التمويل السياسي في هذه البلاد (امريكا) مرصعة بوفرة بأسماء اليهود الامريكيين الاثرياء مثل : ارنولد بيكر ، وارثر كريم ، وليبستر أفنيت ، وآرثر جي. كوهين ، وجون لوب ، وآبي فينبرغ، وهوارد شتين ، وميشولام ريكليس ، وماكس بالينسكي ، وروبين فاركاس ، وهوارد صموئيل، وغيرهم . وهناك طرفة تروى عن ايام ولاية الرئيس جونسون في البيت الابيض تعطي فكرة عن مقدار النفوذ الذي يتمتع به هؤلاء الرجال من هذا الوزن . وتمضي هذه الطرفة على الوجه التالي : اثناء ولاية القاضي اليهودي أبي فورتاس على المحكمة العليا ارسل أحد المسؤولين في البيت الابيض صورة أبي فورتاس هذا وهو يعتمر

اليرملك * اثناء حضوره الصلاة في الكنيس اليهودي

الى هاري ماكبيرسون المسؤول عن الشؤون الدينية في حكومة جونسون ، وقد ارفق مع الصورة ملاحظة كتبها هذا المسؤول في البيت الابيض تقول: ان الحكومة لا تستفيد سياسيا بالقدر الكافي من مثل هذه الاشياء ، فأطلع هاري ماكبيرسون الرئيس جونسون على الصورة المذكورة والملاحظة المرفقة بها ، فقال له الرئيس جونسون : « اسمع يا هاري ، لقد اعتمرت بهذه القلنسوة عددا من المرات اكثر مما اعتمر بها أبي فورتاس نفسه » .

ان الاسباب التي تجعل أقل من ٣ بالمئة من السكان الامريكيين يستأثرون بهذه الاهمية الكبيرة سواء من حيث التبرعات السخية التي يجمعونها او النفوذ السياسي الفعال الذي يمارسونه هي أسباب متنوعة ومعقدة ، وهي أسباب تاريخية ، وسياسية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وهي أسباب تعود في جانب منها الى التقاليد اليهودية والامريكية ، وتتعلق بالقيم الاخلاقية والدينية ، وبآلاف السنين من الاضطهاد الذي توج بمجازر الابادة الجماعية التي نظمها النازيون ، كما تتعلق بالشعور الجماعي بالذنب وتحمل المسؤولية ازاء المجازر النازية مثلما تتعلق بالمهارة في استخدام أساليب جمع التبرعات ، وفي نهاية الامر ، يتعلق كل هذا بما عبر عنه ليو برنشتاين كبير المسؤولين عن السندات الاسرائيلية بكلمة واحدة بالغة الدقة هي « المثابرة » .

لقد بلغ مجموع ما يوصف بالتبرعات الخيرية التي جمعت في عام ١٩٧١ في جميع انحاء امريكا ١١ بليون دولار ، في حين ان الملايين الستة من اليهود الامريكيين تبرعوا لاسرائيل وحدها في تلك السنة بحوالي ٦٠٠ مليون دولار . وهذا يشمل التبرعات والمنح لبعض المعاهد الاسرائيلية مثل معهد التكنيون في حيفا ومعهد وايزمن للعلوم في روحوبوت ، أي ما معدله ١٠٠ دولار من التبرعات لاسرائيل من كل يهودي امريكي رجلا كان أو امرأة أو طفلا ، بالمقارنة مع ما معدله للفرد الامريكي نصف هذا المبلغ من التبرعات لجميع الاغراض . وهنالك اجماع بين المساهمين في عملية بيع السندات الاسرائيلية بأن الحافز الرئيسي لدى المتبرعين بقيمة هذه السندات او المشترين لها هو

وهنالك اجماع ايضا بين الاسرائيليين العارفين بالامور أنه ما كان يتأتى لدولة اسرائيل ان تقف على رجليها لولا هذه المساعدات . ان كميات المبالغ المجموعة مذهلة ، فقد بلغت المبيعات من السندات الاسرائيلية في عام ١٩٧١ بالضبط ٢٥١٤٧٦٠٠٠ دولار (٨٣٪ منها بيعت في الولايات المتحدة الامريكية) ، وقد تجاوز هذا أعلى رقم سابق سجلته مبيعات السندات الاسرائيلية وهو ٢١٧٥٤٧١٠٠ دولار وذلك في عام ١٩٦٧ بفعل حرب حزيران . أما مجموع التبرعات التي جمعها صندوق النداء اليهودي الموحد في عام ١٩٧١ والتي لم تعلن ارقامها النهائية بعد فتبلغ نحو ٢٧٥ مليون دولار ، أما المنظمة التي تدار عمليات النداء اليهودي الموحد في ظلها والتي هي بمثابة ستار لتغطية نشاطاته ، فقد جمعت مبلغ ١٠٠ مليون دولار اخرى لتُنفق ، بصورة رئيسية ، على القضايا اليهودية في الولايات المتحدة . ويقال أن نسبة المبالغ التي يتخلف المتبرعون عن الوفاء بدفعها تقل عن ١٪ . وقد قال هيربرت فريدمان نائب رئيس مجلس الادارة التنفيذي لصندوق النداء اليهودي الموحد (اسرائيل) معللا هذه الظاهرة : « ان يهود العالم ليسوا شركاء واحدهم الاخر ، بل أن واحدهم هو الاخر بالمعنى الوجودي . فما يعانيه احدهم ويشعر به يعانونه جميعهم ويشعرون به ، فنحن وحدة واحدة ، وذات واحدة غير قابلة للانقسام أو الانفصام . وفي هذا يكمن سر قوتنا » . ان هذا الحس بالانتماء اليهودي لدى اليهود ، والتقاليد التي شدت لحمة اليهود ، روحيا ، بعضهم إلى بعض طوال الفي سنة من التجوال هي ، دون شك ، العامل الاول الفاعل في سيل الاموال التي تُدفق سنويا على اسرائيل . وقد يعزى جانب من هذا السخاء في التبرع الى الشعور بالذنب لدى اليهود الامريكيين لانهم لم يقاسوا ما قاساه اخوانهم في اوروبا في ظل هتلر وكذلك لامتناعهم عن الهجرة الى اسرائيل والاستقرار فيها . بيد أن محترفي جمع التبرعات يدركون ان هذين العاملين وحدهما لا يكفيان لاعطاء الجواب على سر هذا التدفق السخي للتبرعات ، فلا بد ان تؤخذ في الحسبان كذلك أساليب جمع التبرعات ، ومنها حفلات عشاء العطايا الكبرى على سبيل المثال .

* اليرملك Yarmulke هي عبارة عن قلنسوة يعتمر بها متدينو اليهود في الكنيس وفي المنازل .

وقد أقيم حفل عشاء العطايا الكبرى الرئيسي لهذه السنة في مطلع شهر شباط من هذا العام في « فندق بيير » بدعوة من فرع صندوق النداء اليهودي الموحد لمدينة نيويورك الكبرى . وقد ضم الحفل نحو ٤٠٠ ضيف جلهم من الازواج والزوجات . وقد بلغ مجموع ما تبرعوا به في ذلك الحفل ٢١ مليون دولار وكان ضمنها سبع عطايا بلغت قيمة كل منها مليون دولار أو يزيد . وكان أصغر تبرع في ذلك الحفل ١٠٠٠٠ دولار . وقد سبق العشاء الرسمي « بوفيه » زاخر بأشهى المقبلات ، وتلألأ البهو بالمجوهرات والحلى التي ازدانت بها السيدات من حضور الحفل اللواتي كن يتبخترن بأبهى الحلل . وكان المدعوون من عموم الاعمار ، وان كان جلهم من فئة اواسط العمر أو ما زاد عن ذلك . وبعد البوفيه ، قرأ الحاخام « يهوذا كاهن » بعض الادعية والتعاويذ ثم تناول المدعوون عشاء مقبولا من اللحم المحمر والمعد حسب الشريعة اليهودية (كوشير) ، اما خطيب الحفل الرئيسي موشي دايان فقد وصل بعد انتهاء وجبة العشاء ، وبعد انتهاء المدعوين من تناول طعام العشاء نهض رئيس الحفل « تشارلز ريفسون » وهو رئيس مجلس ادارة شركة ريفلون لمواد التجميل وقدم للحضور ضيف الشرف في الحفل « صموئيل هاوزمن » رئيس مجلس ادارة شركة بيلدنغ همنغواي للمنسوجات . وقبل أن يبدأ هاوزمن القاء خطابه قدمت له زهرية زجاجية صنعها أحد الاسرائيليين الناجين من معسكرات الابادة النازية ويدعى « أريل برطل » ، وقد قبل « هاوزمن » بزهو لهذا التكريم لمناسبة عيد ميلاده الخامس والسبعين . وقد تحدث هاوزمن بايجاز عن الحضور المتألقين اناقة وجمالا والذين يطفحون بكميات كبيرة من المال ، ثم قدم دايان واصفا اياه بأنه قائد فذ ، وعالم آثار فذ ، وكذلك وزير زراعة فذ ، وهو منصب لم يعتبر دايان متفوقا فيه بصفة عامة . وبعدئذ ، بدأ دايان الذي كان يجلس الى جانبيه كل من ابنته « يائيل » والسفير الاسرائيلي لدى الامم المتحدة يوسف تكواع ، يجيب على أسئلة الحضور من مختلف الموائد ، وقد قام « ميشولام ريكليس » رئيس مجلس ادارة شركة غلين آلدن بدور الوسيط بين دايان والحضور اذ كان يعيد القاء السؤال الذي يصدر عن احدى الموائد .

وكانت معظم أسئلة الحضور لدايان تدور حول هجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل ، وقال دايان ان بوسع اسرائيل « بفضل مساهمتكم ، ان تستوعب كل من يستطيع القدوم الى اسرائيل من هؤلاء » . وبعد ذلك ، القى « ميشولام ريكليس » ، وهو من مواليد اسرائيل (فلسطين) ، الخطاب الرئيسي للحض على التبرع ، فتحدث عن ضرورة التبرع لشراء « حرية اليهود الروس » وانتهى به المطاف الى اعلان تبرعه الشخصي بمبلغ ١٤٢٥ مليون دولار ، وقد عبر عن هذا الرقم بعدد اليهود السوفييت الذين سيساهم هذا المبلغ في استيطانهم في اسرائيل . وعند بدء المناداة على الحضور لتقديم تبرعاتهم أعلن أولا استبشاره بوجود الصناعي البريطاني الكبير السير « اسحق ولفسون » بين الحضور قائلا « فلنبين له ما نستطيع ان نفعل » . ثم بدأت المناداة على الاسماء وأخذت التبرعات تتوالى مصحوبة في بعض الاحيان بخطابات قصيرة . وخلال الحفل حضر حاكم نيويورك نيلسون روكفلر ليقدم احتراماته للحضور . وقد حضر دايان حفلي عشاء مماثلين في مدينتي لوس انجيلوس وشيكاغو ، كما حضر حفل غداء اقامته منظمة سندات اسرائيل في مدينة ميامي بفلوريدا .

وفي الوقت الذي كان فيه دايان يحضر حفلات العطايا الكبرى هذه كان بنحاس سابير وزير المالية الاسرائيلي يذرع الولايات المتحدة عرضا وطولا لعقد اللقاءات مع الاثرياء اليهود ليحفزهم على السخاء في التبرع لصندوق النداء اليهودي الموحد وفي شراء سندات اسرائيل . ويشارك جميع الزعماء والقادة الاسرائيليين في نشاطات جمع التبرعات من هذا النوع بمن فيهم رئيسة الوزراء غولدا مائير نفسها . ويدقق المسؤولون الاسرائيليون بصورة متواصلة على الولايات المتحدة لهذه الغاية ، وفي كثير من الاحيان يوفق المسؤول الاسرائيلي الزائر بين مهمة جمع التبرعات والقيام بالمهام الحكومية الرسمية كما فعل كل من دايان وسابير في زيارتهما المذكورة .

وقد شرح « زكرمان » في حديثه الى المجموعة التي تتستر وراءها عمليات جمع التبرعات لاسرائيل ، فبين كيف ينبغي ان يقوم المسؤولون الاسرائيليون وزعماء الجاليات اليهودية في اميركا بجولاتهم على الافراد اليهود ، لا سيما الاثرياء منهم ، لحفزهم على التبرع بسخاء اعدادا لحفلات عشاء العطايا

الكبرى ، فقال : « من المعروف ، مثلا ، أنه يجب ان لا يذهب شخص بمفرده الى احد الاثرياء « لتطبيقه » لتقديم تبرع سخي ، اذ ليس من العسير ان يقال « لا » لشخص بمفرده ، لا سيما اذا كان صديقا او جارا . ولكن عندما يذهب لزيارته شخصان او اكثر ، فعندئذ لا يغدو الامر مسألة يهودي فرد يطلب من يهودي اخر منحة او تبرعا ، بل ان المجتمع اليهودي بأسره يطلب منه التبرع » . واضاف زكرمان قائلا : « لا تغفل عن استخدام بعض الزعماء من مدن اخرى ، فان هذا الاسلوب مجد كثيرا » ، « وكذلك من المجدي جدا في هذا الصدد استخدام جباة للتبرعات من الخارج ... مواطنين اسرائيليين مثلا او يهود روس او يهود عراقيين . فعندما يطرق الباب زعيم قومي اسرائيلي مثلا ويصحبته زعيم محلي ، فمعنى ذلك أن اليهودية العالمية بأسرها تتوجه الى ذلك الشخص وتدعوه للتبرع ، وبالتالي فلا بد أن تتناسب قيمة التبرع مع هذا المعنى الكبير للزيارة. ان هذا ليس مجرد نظريات ، بل هو حقائق ثابتة. ومن جهة اخرى ، من السخف ان تطلب من انسان ان يتبرع بمليون دولار وهو لا يقدر على التبرع بأكثر من نصف هذا المبلغ ، وكذلك ، لا يقل عن هذا سخفا ان تطلب من شخص ان يتبرع بما هو أقل من طاقته وقدرته » . « يوجد في كل مدينة رجال كانوا دائما السباقين في تبرعاتهم وفي عملهم، ولكنهم ، وهذه نقطة جوهرية ، لا يتبرعون بقدر طاقتهم . فعلينا ان نرى مدى امكانيتهم ، ثم نطلب منهم ، دون خجل ، الا يتبرعوا بما هو دون ذلك. فعندما نكرم رجلا ونضعه في موضع الزعامة ، فان عليه أن يضطلع بالاعباء والالتزامات التي تتطلبها هذه المكانة » .

ويصف زكرمان ما يدعى « بعملية الاختراق » التي يتولى ادارتها الدكتور اريه نيشر ، فيقول : « هنالك أفراد [يهود] في كل مجتمع يجمعون ثروات طائلة من المتاجرة بالسيارات المستعملة مثلا، ولكنهم لا يؤدون أية خدمة للمجتمع اليهودي ، واحد أسباب ذلك أن ثرواتهم غير منظورة . فمهمة فريق [المخبرين] الذين يقودهم الدكتور نيشر هي أن يتحروا عن امثال هؤلاء الافراد ويبحثوا عنهم بمراجعة السجلات العامة وتمحيصها . وعندما يعثرون على واحد من أصحاب الثروات المخفية يطالبونه بدفع الاتاوة المقررة ، ولكنهم يحتاجون لاداء هذه المهمة الى جاسوسكم وجاسوساتكم ».

ويقوم النداء اليهودي الموحد بنشاطه بين مجموع الجماعات من مختلف المستويات . ففي بعض حفلات العشاء التي ينظمها تتدنى قيمة « البطاقة — التبرع » الى حد ٣٥ دولارا عن شخصين . وبطبيعة الحال تتوافق أهمية خطيب الحفل مع قيمة ما يتوقع جمعه خلاله من تبرعات . ويضع النداء اليهودي الموحد تحت تصرف المتبرعين دليلا لحسم الضرائب يبين للمتبرع الكلفة الحقيقية للمبلغ الذي يتبرع به لان التبرعات الى النداء اليهودي الموحد معفاة من الضرائب لان [القانون الامريكي] يعتبرها تبرعات لاغراض انسانية ، فهي لا تذهب الى حكومة اسرائيل مباشرة ، اذ يحولها الصندوق الاسرائيلي الموحد الى الوكالة اليهودية التي تعتبر مؤسسة غير حكومية ، ومن ثم تقوم الوكالة اليهودية بانفاقها في اسرائيل .

ومن الوسائل التي يستخدمها النداء اليهودي الموحد في جمع الاموال هي تنظيم جولات سياحية الى اسرائيل غالبا ما تشتمل على لقاءات مع المسؤولين الاسرائيليين اذا كان المشتركون في الجولة من اصحاب التبرعات المحترمة . وكثيرا ما يزورون في هذه الجولات مرتفعات الجولان ، والحائط الغربي [المبكى] وموقع « قلعة مسادا »، ويلتقون بالوزراء والمسؤولين الاسرائيليين الذين يطلعونهم على الاوضاع ، وكثيرا ما يقابلون ايضا رئيسة الوزراء غولدا مائير . وقبل رجوع هؤلاء الى بلادهم غالبا ما يدعون الى تقديم تبرعاتهم السخية .

ورغم ان النداء اليهودي الموحد يجمع التبرعات من جميع الاوساط والمستويات وأيا كانت قيمة المبالغ المتبرع بها ، فان شطرا كبيرا من الاموال المجموعة هي من التبرعات الكبيرة التي تبلغ عشرة الاف دولار او يزيد . وهذا من الاسباب الرئيسية في أن نفقات عمليات النداء اليهودي الموحد هي دون ٤٪ من قيمة الاموال التي يجمعها . ومن جهة اخرى ، ان سندات دولة اسرائيل توفر لاسرائيل رأسمال بكلفة اجمالية تبلغ حوالي ٦٪ ، وهي أرخص من الاقتراض من اي سوق مالي اخر . وتعتبر سندات اسرائيل بمثابة استثمار يخضع ربحه للضريبة وهذا هو وجه الاختلاف الوحيد بينها وبين التبرعات للنداء اليهودي الموحد التي تعتبر منحا غير خاضعة للضريبة .

وقد جعلت منظمة سندات اسرائيل هدفها للعام ١٩٧٢ شأنها شأن النداء اليهودي الموحد جمع مبلغ ٤٥٠ مليون دولار أي بزيادة مئتي مليون دولار عما بيع من هذه السندات في العام ١٩٧١ . ويقول « ابراهام فينبرغ » رئيس مجلس ادارة سندات اسرائيل ان هنالك مبوقا واسعة لبيع السندات لم تستغل بعد ، وهي لدى اصحاب المداخيل المتوسطة . فمن الشائع ان تشتري عائلة من ذوي الدخل المنخفض سندات قيمتها ١٠٠ دولار ، بينما اقبال ذوي المداخيل التي تتراوح بين ٢٠٠٠٠ و ٢٥٠٠٠ دولار على شراء سندات تتراوح قيمتها بين ٥٠٠ الى ١٠٠٠ دولار هو اقل من ذلك .

وتبذل كل من منظمة سندات اسرائيل والنداء اليهودي الموحد قصارى جهدهما لجمع أكبر قدر من الاموال تستطيعان جمعه من اليهود الامريكيين، ولكن كليهما ملزمتان أن تضعا أهداف خططهما السنوية ، وفق احتياجات اسرائيل . وترصد الاموال التي يتم جمعها من بيع سندات اسرائيل لميزانية الانماء في دولة اسرائيل . ففي العام الماضي شكلت قيمة المبيعات من سندات اسرائيل حوالي ثلث ميزانية الانماء في اسرائيل والتي أجملت معها مخصصات قيمتها حوالي ٢٥٠ مليون دولار لتسديد قروض الديون ودفع فوائدها . أما باقي ميزانية الانماء فاستثمرت في مشاريع الاسكان والطرق والخدمات الهاتفية واغراض الصناعة . ويرى « ليو برنشتاين » نائب الرئيس التنفيذي لسندات اسرائيل ان منظمة سندات اسرائيل هي بمثابة « جسر يصل بين احتياجات اسرائيل وبين موارد اليهود الامريكيين » . وتباع سندات اسرائيل، كذلك ، للمصارف ، والنقابات العمالية ومؤسسات التقاعد الخ ...

ومنذ تأسيس منظمة سندات اسرائيل في عام ١٩٥١ جمعت لاسرائيل من الاموال ما مجموعه ١٨٩٠ مليون دولار ، اما النداء اليهودي الموحد فقد جمع منذ تأسيسه في عام ١٩٣٩ ما يزيد على الفي مليون دولار .

ان جمع الاموال والتبرعات ليست هي الوسيلة الوحيدة التي يساعد بها اليهود الامريكيون دولة اسرائيل ، وان كانت اكثرها وضوحا . وقد عرف عن اليهود الامريكيين منذ أمد بعيد شدة نشاطهم السياسي سواء من حيث دعمهم المالي للمرشحين او بمشاركتهم القوية في الانتخابات الاولية منها والعامة ... ويصوت اليهود وفقا لمقتضيات المصلحة اليهودية ، ويدعمون المرشحين الذين يعتقدون بأنهم سيتبنون القضايا اليهودية ويدافعون عنها . كما يبذلون جهدا كبيرا للتأثير على أعضاء مجلس الشيوخ الامريكي ويتمتعون بنفوذ قوي بين صفوفهم ، وغالبا ما يكونون على اتصال مباشر مع البيت الابيض ولهم كلمة مسموعة فيه ، وهذا هو ، بالتأكيد ، ما كان عليه الوضع في عهد الرئيس جونسون، وان كانت سطوتهم على البيت الابيض في عهد الرئيس نيكسون قد قلت عن ذلك بدرجة ملموسة .

وقد يكون هذا التأثير والنفوذ المباشر الذي يمارسه اليهود الامريكيون على اعضاء الهيئات والمؤسسات التشريعية والتنفيذية هو الوسيلة الوحيدة الفعالة المتوفرة لديهم للافادة منها واستغلالها لا سيما في الامور التي تهم اسرائيل وذلك لكونهم اقلية ضئيلة عدديا . فقد دلت دراسة اجراها « البرت هـ. كانترل » ، و « شارلز رول الابن » عنوانها « آمال الشعب الامريكي ومخاوفه » على أنه في حالة حدوث هجوم على اسرائيل تقوم به قوى يدعمها المعسكر الشيوعي فان ١١٪ فقط من الشعب الامريكي تؤيد زج القوات الامريكية في الدفاع عن اسرائيل . في حين ان نسبة هؤلاء في البرازيل هي ١٦٪ ، وفي اليابان ١٧٪ وفي المانيا الغربية ٢٨٪ .

وفي عهد الرئيس جونسون كان باب المكتب البيضاوي في البيت الابيض مفتوحا دائما للزعماء اليهود الامريكيين من امثال « آرثر كريم » ، و« آبي فينبرغ » ، وكلاهما استغلا هذه الحظوة ، في مناسبات عديدة ، لايضاح وجهة نظر اليهود الامريكيين للرئيس . ويبادر أبي فينبرغ ، وهو من أصحاب المصارف في نيويورك وكان على علاقة وطيدة كذلك مع كل من الرئيسين ترومان وكينيدي، فيقول : « ان هذه الصلات تخدم الطرفين ، فنحن بدورنا نساعد الرئيس في ايصال وجهة نظره الى الحكومة الاسرائيلية والى اليهود الامريكيين ، وان كان عرضنا المنمق لاراء الرئيس لا يحظي دائما بالترحاب » .

ان من العسير على المرء ، ان يقيم الدور الذي لعبه هؤلاء الوسطاء ومدى التأثير الذي كان لهم في طبيعة القرارات المتخذة . فمثلا ، ترى ما هو

الدور الذي لعبه اي من هؤلاء الوسطاء ، سواء كان « آرثر كريم » او « أبي فينبرغ » في التأثير على الرئيس جونسون في عام ١٩٦٨ ، ليتخذ قرار بيع طائرات الفانتوم الى اسرائيل ؟

ما من أحد بوسعه أن يجزم بدقة في هذا الشأن ، بيد أن الاشخاص الذين استوضحت منهم آراءهم لتحقيق مادة هذا المقال وينوف عددهم على العشرين يجمعون على أمرين : اولهما : أن ما من رئيس امريكي خضع « للاعتبارات اليهودية » في اتخاذ قرار لم يعتبره مستجيبا غاية الاستجابة مع مصالح الولايات المتحدة الامريكية . وثانيهما : ان المعلومات التي يضعها الافراد اليهود والمنظمات اليهودية الضاغطة على الرأي العام تحت انظار الرئيس الامريكي واعضاء مجلس الشيوخ تشكل عنصرا — وأحيانا عنصرا مهما — من العناصر التي تؤثر في بلورة قرارات الرئيس الامريكي لا سيما ما يتعلق منها بشؤون المساعدات الاقتصادية والسياسية لاسرائيل .

وقد دعا « بن واتينبرغ » وهو الذي كان يتولى مهمة كتابة خطابات الرئيس جونسون ويعمل حاليا في مكتب حملة ترشيح السناتور الديموقراطي جاكسون لرئاسة الجمهورية ، دعا نوع التأثير الذي يمارسه اليهود الامريكيون على وجهة السياسة الامريكية بأنه « تكييف » لهذه السياسة [وليس املاء لها] ... وينطبق هذا القول على سياسة الحزب الديموقراطي أكثر من انطباقه على سياسة الحزب الجمهوري لان معظم اليهود يدعمون المرشحين الديموقراطيين ، ويستخلص من هذا ان السنوات التي يعتمد الحكم الامريكي خلالها على سند ودعم نشيطين من اليهود تنطوي ، بطبيعة الحال ، على « تكييف » لتفكير اي سياسي .

يقول معظم الذين يمارسون التأثير على السياسات الامريكية لصالح اسرائيل سواء كان ذلك بصفة شخصية او بصفة رسمية بأنه في حين أن المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة قد تكون على وفاق مع مصالح اسرائيل فان اليهود مضطرون مع ذلك ان يعملوا بنشاط لاجراء الاتصالات اللازمة بالمسؤولين وأن يشرحوا الموقف على مختلف المستويات الضرورية للتغلب على ما يزعمون انه « انحراف » الاختصاصيين « العروبيين » !! في وزارة الخارجية وشركات النفط الامريكية ذات النفوذ الاقتصادي القوي . ويقول « ديفيد غنسبرغ » وهو محام في واشنطن وكان مستشارا سابقا للجنة القومية في الحزب الديموقراطي كما كان القنصل العام لاسرائيل في واشنطن ، بأن « الانحراف القائم في وزارة الخارجية جعل من الطبيعي ان يحول اليهود الامريكيون انظارهم صوب البيت الابيض ليلتمسوا العون منه » . ومضى غنسبرغ قائلا « ان اليهود قد ادركوا فائدة الاتصال بالنواب وبأعضاء مجلس الشيوخ وبكبار المسؤولين الحكوميين » . وخلال ولاية كل من كينيدي وجونسون في البيت الابيض أوكل الى شريك غنسبرغ في مكتب الاستشارات القانونية « مايير فيلدمان» ومن ثم الى « هاري ماكبيرسون » معالجة الشؤون اليهودية وذلك ضمن المسؤوليات التي أنيطت بكل منهما . أما في عهد نيكسون فلا يوجد شخص من هذا القبيل في البيت الابيض . ويعتبر غنسبرغ ان الرئيس نيكسون هو « أشد مناعة وأقل عرضة للتأثير من اي رئيس اخر عرفته خلال عملي لمدة ٣٥ عاما في واشنطن » .

ويبين غنسبرغ ، جزئيا ، دور أولئك الاشخاص الذين يتولون مهمة اجراء الاتصالات المباشرة مع الرئيس الامريكي بأنه الحث على « الاستعجال في النظر بالقضايا المعلقة ، والاستفهام عن دواعي عدم البت بمسائل معينة » ، وقال : « ان أوضح مثال على المساعي التي يقوم بها هؤلاء ، نيابة عن اسرائيل هو الجهود التي بذلت لتحقيق الاستجابة السريعة لطلب طائرات الفانتوم (عام ١٩٦٨) » . أما فينبرغ ، فرغم اعتقاده بأهمية الاتصالات المباشرة مع الرئيس الامريكي ، الا انه يعتقد ان كسب مجلس الشيوخ هو اجدى وانفع لان « لمجلس الشيوخ نفوذا على الرئيس الامريكي وتأثيرا عليه أكثر من الحظوة التي يتمتع بها لديه اثنان من اليهود الامريكيين الذين يصدف ان يكونا على معرفة شخصية به » .

ويتولى مهمة اجراء القسط الاوفر من الاتصالات بأعضاء الكونغرس « آي. ال. كينين » والمؤسسة التي يتولى امرها وهي تدعى « لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الامريكية » وهي منظمة امريكية تتولى الاتصالات [وتقوم بالتطبيقات السياسية] لصالح اسرائيل . وينشر كينين [في واشنطن] كذلك نشرة تدعى « تقرير الشرق الادنى » وهي توزع ٢٧٠٠٠ نسخة . وكينين على اتصال مع جميع المنظمات اليهودية في امريكا كما انه على

اتصال مع السفارة الاسرائيلية في واشنطن . وهو يبين المهمة التي يقوم بها على النحو التالي : « اننا ندعو الكونغرس لأن يطلب من الرئيس [الاميركي] ان يعارض السياسات التي نعتبرها ضارة ، وأن يدعم السياسات التي نراها مفيدة . كما اننا نسعى لاقرار برامج وبنود معينة في المؤتمرات السياسية » . ويبين « ماكبيرسون » دور « كينين » بانه تأليف الازاء وتوليدها حول المواقف المطروحة ، وقد ينتهي المطاف بوجهات النظر والمواقف التي يؤلفها « كينين » الى ان تصبح هي آراء الجالية اليهودية ومواقفها بأكملها. ويعمد أعضاء مجلس الشيوخ والنواب الى استشارة كينين حول الامور المتعلقة باسرائيل ، كما أنه يعد او يساهم في اعداد التقارير عن اخر تطورات الموقف . ومن العسير هنا كذلك ، تقدير مدى التأثير الذي يمارسه « كينين » وغيره ممن يقومون بمهمة الاتصالات بالمسؤولين عن رسم السياسة الامريكية ، غير أن ، من الثابت مثلا ، أن « كينين » لعب دورا ، وراء الكواليس ، في اعداد الزيارة التي قام بها ١٢ من أعضاء الكونغرس الى وزير الخارجية المستر وليم روجرز ، والتي نجم عنها تقديم عريضة وقعها ٧٨ من أعضاء الكونغرس [المائة] تحث الرئيس الامريكي على تزويد اسرائيل بالمزيد من طائرات الفانتوم .

فالى اي مدى ساهمت هذه المساعي والاتصالات والضغوط في اقرار القرار النهائي [الايجابي] ؟ ما من احد بوسعه ان يجزم القول في هذا الشأن ، بيد ان هذه المساعي كانت لا ريب احد العناصر التي بلورت القرار النهائي ، وربما كانت عنصرا مهما في ذلك .

ما هو مدى اهمية تصويت اليهود بكثافة في الولايات ذات الاصوات الانتخابية الكثيرة في الانتخابات الاولية لاختيار مرشح الحزب الديموقراطي للرئاسة الامريكية ؟ وما هو مقدار اهمية الاموال اليهودية التي تنفق على العديد من الزعماء السياسيين الامريكيين المؤهلين للترشيح للرئاسة الامريكية لتغطية مصاريف تركيز مواقع زعامتهم السياسية طوال السنوات التي لا تجري فيها انتخابات الرئاسة ؟ لا احد يعلم مدى هذه الاهمية ، بيد أن لذلك ، بكل تأكيد ، تأثيرا سياسيا ليس بقليل .

ان اليهود يشكلون ٣٪ فقط من سكان الولايات المتحدة ، ولكن من الجلي انهم يدركون ادراكا جيدا أساليب ممارسة النفوذ السياسي ومبادئه .

التقرير الثالث

ملاحظات على العلاقات الاميركية الاسرائيلية

خالد القشطيني

ما كادت حرب ١٩٦٧ تنتهي حتى اتجهت الانظار الى واشنطن ، واتجهت من العواصم العربية والغربية بل ومن موسكو نفسها . واستعادت الاذهان ذكريات ١٩٥٦ وضغط ايزنهاور على اسرائيل . ولكن التاريخ لم يعد نفسه ، فذهب البعض الى ان امريكا « زعلانة » على العرب ، ولا بد من ترضيتها بخطوات تقربهم ثانية الى العالم الرأسمالي . وبالفعل قطعت بعض الحكومات مثل هذه الخطوات بالتشديد على اليسار وتقليص التأميم والبرمجة الاشتراكية وتذويب النضال ضد الاستعمار . ولكن التاريخ ابى ان يعيد نفسه .

واشار الرئيس السادات في خطابه في اوائل ١٩٧٢ الى تزمت امريكا في هذا الشأن فذكر انها لم تمتنع فقط عن بذل جهودها لحل المشكلة سلميا ، بل قامت بالفعل ببذل هذه الجهود لمنع حلها واحبطت حتى مساعي الدول الافريقية في هذا الميدان . وكشف السادات في مقابلته مع مراسل نيوزويك عن مدى التنازلات التي قدمتها مصر ارضاء لامريكا ونشير بالقارىء الى قرائتها(١). ولعل في رد روجرز على الرئيس المصري ايجازا بليغا عندما علق قائلا « لقد بذلتم قصاراكم » . ومع ذلك فان وعود روجرز لم تتحقق وادركت القاهرة استحالة احلامها . فما سر هذا التزمت ؟ اعطانا عزيز صدقي جوابا على هذا السؤال في خطابه في ١٩٧٢/١/٢٢ عندما قال ان امريكا تساهم مع اسرائيل في مخطط يرمي مبدئيا الى ضرب النظام الاشتراكي والاماني الواسعة التي جاءت بها الثورة الى الجماهير والانجازات التعليمية التي حققتها الاشتراكية . هذا تحليل صحيح ، ولكن العرب ابدوا بالفعل ميلا الى التنكر للاشتراكية بل وضرب منجزاتها بعد فشل موسكو في لعب دور حاسم في حل المشكلة . وكان بامكان واشنطن ان تستعيد اكثر معاقلها في العالم العربي لو ضغطت بالفعل على اسرائيل واخرجتها من المناطق المحتلة.

وينسب الاخرون الموقف الامريكي الى التأثير الصهيوني على السياسة الامريكية . وقد لمح فلبرايت الى هذا عندما سأله مايكل ادمز عن مدى استعداد بلاده للتأثير على اسرائيل فاجاب السناتور بانه يشك في قابليتها ويرى ان اسرائيل هي التي تستطيع التأثير على سياسة امريكا(٢). سيطرة اليهود على وسائل الاعلام ونفوذهم المالي واصواتهم التي تقرر مصير انتخابات ولاية نيويورك ، كلها امور حيوية سبقنا في تفصيلها باحثون اخرون . وقد اكتشف ساسة الغرب ان هذا النفوذ قادر على تحطيم اي سياسي يقف امامه ، كما حدث لبيفن وفورستر وجورج براون وديغول . وتعاني السياسة الامريكية الان اعنف ازمة بسبب فيتنام وانهيار الدولار ، وما من رئيس يرغب في اضافة تعقيد اخر بتحدي القوة الصهيونية .

ويتعاظم خطر هذا العامل عندما ندرك ان الموقف كان اسهل بكثير لايزنهاور مما هو الان لنكسن . فقد كان احتياطي اسرائيل من الدولار عقب حرب ١٩٥٦ نحو ٥٠ مليون دولار مقابل عجز تجاري بمقدار ٣٠٠ م/د مما مكن ايزنهاور من لي يد بن غوريون بمجرد وقف المساعدات الامريكية . اما حالة اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ فتتلخص بنحو ٧٣٠ م/د من الاحتياطي مقابل عجز تجاري بمقدار ٤٥٠ م/د(٣). وارتفع الاحتياطي الى ٧٤٦ م/د في مايس ١٩٦٨ . وعليه فبوسع اسرائيل الان ان تتحمل الضغوط المالية الى اشهر تفتات خلالها من سمنتها وتنتظر الانتخابات الجديدة في امريكا فتقوم هي بلي ايدي المرشحين .

ويضيف المراقبون العرب الى تسلط النفوذ الصهيوني بالاشارة الى التوجيه الرسمي للسياسة الامريكية . لقد وقعت ازمة ١٩٦٧ وامريكا يمثلها في الامم المتحدة غولدبرغ ، اليهودي المؤيد للصهيونية . وعين نكسن كمستشار له كيسنغر ، اليهودي اللاجىء من المانيا النازية . والمعروف ان سياسة كيسنغر نحو الشرق الاوسط تقوم على تقاليد فرق تسد وتقوية اسرائيل . وكيسنغر نفسه غير خبير في شؤون المنطقة فعين كمستشار له الاستاذ سفران ، وهو يهودي من مصر هاجر الى اسرائيل قبل ان يستقر في امريكا . اما آراء

سفران ستقوم على عقد صلح كامل بين العرب واسرائيل تفتح فيه البلدان العربية ابوابها للخبرة والتجارة الاسرائيلية ثم تنسحب اسرائيل من المناطق المحتلة بعد ١٥ عاما . والى جانب هؤلاء يتربع الخبراء الصهاينة على كراسي معظم المؤسسات الجامعية والبحثية المسؤولة عن بلورة السياسة الامريكية نحو الشرق الاوسط .

ولكن هذا العامل ايضا ، عامل النفوذ الصهيوني، هو الاخر عامل عرضي وغير جوهري . فالى جانب الاراء الصهيونية توجد ايضا آراء معاكسة تقدم الى الرئيس الامريكي . ان من المغالاة بل والبرانويا الاعتقاد بأن اليهود هم الذين يسيرون البيت الابيض باستمرار . البيت الابيض هو نقطة بوليس للرأسمالية الامريكية ، وبالرغم من كل ثراء اليهود فان الرأسمال اليهودي لا يكون غير جزء صغير من مصالح الولايات المتحدة . وقد اظهرت الانظمة الرأسمالية استعدادها للانقضاض على الجناح اليهودي منها ، حيثما اقتضت ضروراتها ، كما حدث في المانيا بعد العشرينات ، او التنكر لضغوطه كما حدث في امريكا زمن ايزنهاور وبريطانيا زمن اتلي وفرنسا زمن ديغول .

والواقع ان الرئيس نيكسون عالج شخصيا موضوع التأثير اليهودي فاشار بحق الى انه غير مدين لليهود باي شيء وذلك لان اليهود الامريكان لا يعطون اصواتهم تقليديا للحزب الجمهوري. واشير على نيكسون بحذف الطائفة اليهودية من حساباته الانتخابية على اعتبارها قضية خاسرة . ومع ذلك فقد ظهر ان نيكسون أعطى اسرائيل من المساعدات اكثر من اي رئيس سابق . وعلق هو على الموقف قائلا « انني لست مدينا للطائفة اليهودية الامريكية باي شيء ، ولكنني لن ادع ذلك يؤثر على تأييدي لاسرائيل »(٤).

اذن فلا بد لنا ان نفتش عن سر هذا التأييد في ميدان غير ميدان التأثير الصهيوني على الغرب ، مما لمح اليه فلبرايت ، او الرغبة في تصفية الاشتراكية العربية مما ذكره صدقي . ان مواكبة السياسة الامريكية للاماني الصهيونية هي مظهر للموقف الامبريالي العالمي وليست سببا له . ان هناك تطابقا بين المصالح الامريكية والمصالح الاسرائيلية تطابقا ادى الى هذا التزمت الدبلوماسي ورضوخ البيت الابيض للضغوط الصهيونية واعتماده على مستشارين يهود وتطابقا ينفي اي احتمال للعب واشنطن دورا حاسما في جانب العرب . ولا بد لنا من دراسة الاركان التي يقوم عليها هذا التطابق .

١ ــ **الحصان الخاسر** : في مارس ١٩٤٧ دعت بريطانيا رسميا الولايات المتحدة لتسلم جزء من مسؤولياتها في الشرق الاوسط . وبدأت امريكا على ضوء هذا الانفتاح بالتخطيط للسيطرة على المنطقة . وكان مايلز كوبلند ، الدبلوماسي الامريكي وممثل الاستخبارات الامريكية في المنطقة، ممن صحبوا قصة هذا التخطيط منذ بدايتها وسرد هذه القصة في كتابه المعروف « لعبة الامم » . ويقول كوبلند ان التخطيط قام على اساس تقوية الانظمة وفتح المجال للاستثمارات الامريكية وتحاشي الاحتكاك مع السوفييت(٥). وانطوى عنصر تقوية الانظمة على الاطاحة بالانظمة المهترية واستبدالها بانظمة جمهورية اكثر جنوحا الى الدمقراطية واعظم كفاءة وتقدمية ، ومن ثم اكثر مناسبة للاستعمار الجديد القائم على تصدير الرساميل والخبرة . وبعد سلسلة من الانقلابات يروي كوبلند تفاصيلها ، استطاعت امريكا ان تقيم رؤوس جشور في معظم العواصم العربية . ويؤكد المؤلف ان واشنطن كانت تعتبر مصر المفتاح للتوغل في الشرق الاوسط وافريقيا ، وهو طبعا تفكير استراتيجي سليم . وابتسمت واشنطن ابتسامة الرضى عندما توهمت ان المفتاح قد اصبح في جيبها . بيد ان احلامها تحولت سراعا الى ركام. فرفضت مصر منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط وحلف بغداد . وفي ١٩٥٥ عقد ناصر صفقة الاسلحة الشكوسلوفاكية وبدأ بالتقرب من العالم الاشتراكي في ذلك الطريق الطويل الذي قطع مصر عن العالم الرأسمالي ونشر بذور الثورة والتأميم والتنظيم الاشتراكي في كل المنطقة . ورأى البعض مثل بول جونسن ان تسلح مصر وضع اعباء جديدة على تجارة القطن وضغطا لزيادة سعره . وبدأ الاتحاد السوفياتي بشراء قسم منه ، فثار كل ذلك حفيظة مستوردي القطن الامريكان فطالبوا دلس بمعاقبة ناصر باعادة النظر في القرض لسد اسوان(٦). وهكذا بدأت لعبة الامم بين القاهرة وواشنطن ، فجاءت الخطوة التالية من مصر بتأميم القناة . ونشط ناصر ضمن العالم العربي بالتحريض ضد امريكا فبادرت السعودية للمطالبة بمزيد من الايجار عن القواعد الامريكية . ثم مد ذراعه الى العالم الخارجي فتآزر مع تيتو ونهرو

في خلق كتلة الحياد الايجابي التي وقفت في وجه المخططات الامريكية لاحتضان العالم الثالث .

واستطاعت امريكا ان تصلح الموقف بعد حرب ١٩٥٦ واعتقدت انها بتأييدها لمصر ستستطيع ان تصلح ما اتلفته الاحداث . ولكن العرب رفضوا الاعتراف بفضلها واعتبروا خروشوف بطل القصة. وعليه فلم يدم الوئام الجديد غير اسابيع قليلة . وما ان اعلن أيزنهاور في ١٩٥٧/١/٥ خطته الجديدة المعروفة بمبدأ ايزنهاور لحماية الشرق الاوسط من العدوان والخطر الشيوعي حتى سارعت مصر لمهاجمته . واضطرت امريكا اخيرا الى تحويل نظرها من القاهرة الى بغداد . ولكنها ما كادت تقيم حلف بغداد على اقدامه حتى جاء قاسم فنسفه . ودخلت العلاقات دورة مفرغة كلما حاولت فيها امريكا التقرب من العرب كلما ازداد العرب هيجانا ضدها . وادت صدمة انهيار الوحدة السورية المصرية الى اعتقاد ناصر بأن الانظمة الثورية لا يمكن ان نسلم من كيد الرأسمالية والرجعية حتى تجهز عليهما فانهمك في برامج لا راسمالية ارعبت الموالين الامريكان .

واوفد جون كندي اخيرا الاستاذ ميسن الى مصر لدراسة الوضع ، وعاد ميسن بتقرير برر فيه تصرفات ناصر بكونها مفيدة ومهمة لمصر ولكنها مضرة بمصالح امريكا . ورأى ان الحلول الوحيدة هي اما تغيير هذه المصالح الامريكية او الاطاحة بناصر(٧) : تغيير المصالح الامريكية يقتضي نقض أسس النظام الراسمالي الغربي ، وهو خارج الصدد . الاطاحة بالانظمة الناصرية في العالم العربي تقتضي سلسلة من الانقلابات لم تعد بتلك السهولة . ويؤكد كوبلند ان امريكا كانت في ذلك الحين قد صرفت نظرها عن سياسة الانقلابات لفشلها . فكلما خططت لانقلاب وانفقت عليه الملايين ونجحت فيه جاءها انقلاب معاكس ارجعها الى البداية . ولعل تاريخها في سوريا يعطينا ما يؤيد ادعاء كوبلند . وبعد كلمات ناصر لامريكا بأن تذهب وتشرب ماء البحر ، لم يعد امام واشنطن غير ان تغسل يديها من العرب وتفتش عن زبائن جدد .

كان من اسباب اهتمام امريكا بالعالم العربي خوفها من الخطر الشيوعي في عهد مكارثي ودلس. وقد خفت حدة هذا الخوف مؤخرا نتيجة للتطورات المعروفة في العلاقات بين موسكو وبكين وواشنطن.

وتلاشى هذا الخوف بالنسبة للشرق الاوسط على الخصوص بعد انقلاب عبد الكريم قاسم . فالمعروف ان امريكا شعرت بقلق شديد ازاء نظام قاسم ويساريته ، ولكن قاسم سرعان ما قلب ظهر المجن للشيوعيين وراح يوالي سياسة مستقلة تماما عن موسكو من ناحية وامتنع عن تأميم الشركات او التعرض للمصالح الاجنبية من ناحية اخرى . ويجزم التقرير الخاص الذي نشره معهد المشاريع الامريكية ان هذه الحقائق التي تمخضت عن انقلاب ١٤ تموز كشفت لامريكا لاول مرة ان الشيوعية والناصرية والقومية العربية اشياء مختلفة وان البلاد العربية ليست تربة صالحة للشيوعية او ان العرب مطايا طيعة لموسكو(٨). وكان لهذا الاكتشاف اثر بليغ بالنسبة للدبلوماسية الامريكية ازاء الشرق الاوسط . لقد اصبح من السهل للبنتاغون والبيت الابيض ان يديرا ظهريهما للعرب وبناما قريري العين . لا خوف على الشرق الاوسط . وبعين الوقت زال ايضا كل خوف من الوول ستريت عندما اتضح بعد حرب ١٩٦٧ ان العرب غير قادرين على تأميم المصالح البترولية الامريكية او تعطيلها او مقاطعة امريكا جديا . واتضح لامريكا اكثر من ذلك . اتضح ان خراب بيت العرب وتمزقهم في الوحل انفع للغرب. فهزيمتهم امام اسرائيل وحاجتهم الى السلاح وفقدانهم عوائد قناة السويس يجعلهم في أمس الحاجة الى العملة الصعبة ويزيد من اعتمادهم على شركات النفط والبيع للغرب . ولم تحرص الحكومات على سلامة الانابيب وتدفق الزيت حرصها في الاونة الاخيرة. ولاول مرة بعد سنوات، راحت مصر تطرق ابواب الاسواق الغربية تعرض قطنها بسخاء فبينما بلغ صادرها من القطن الى الكتلة الشيوعية في ١٩٦٤/١٩٦٥ نحو ٦٦٩،٠٠٠ بالة ، اضطرت الى تخفيض ذلك في ١٩٦٧/١٩٦٨ الى ٣٦٠،٠٠٠ بالة لتبيع الباقي البالغ ٤٤٠،٠٠٠ بالة الى العالم الرأسمالي بحثا عن العملة الصعبة . وانخفضت نسبة ما صدرته الى الكتلة الشيوعية في ١٩٦٧ الى اقل لمعدل (٤٥٪) سجل منذ عام ١٩٥٦(٩).

لقد رفض العرب كل حل امريكي لمشكلة فلسطين او اسكان اللاجئين ، وكل ترتيب للمنطقة ، منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط ، مبدأ ايزنهاور ، حلف بغداد ، مشروع جونستن لنهر الاردن الخ. وبدلا من الترهيب بالشركات الاجنبية ، راح العرب

يؤمنون شركاتهم نفسها ويصفون المؤسسات الاجنبية . الخبراء والسياح الامريكان اصبحوا جواسيس في عين الجميع . وبدلا من ان تصبح مصر المفتاح الامريكي لافريقيا وآسيا اصبحت لعنة تحيق به اينما حل او ارتحل . « امريكا عدوة الشعوب » هي الكلمة التي راحت اذاعة القاهرة ترددها في عشرات اللغات . العالم العربي خصان امريكا الخاسر وآن لها ان تبحث عن حصان آخر.

٢ — **اسرائيل والاستعمار بالعمولة** : العوامل التي تجمع بين اسرائيل وامريكا لا تحتاج الى شرح . كلتاهما دولتان عرقيتان استعماريتان . اسرائيل لا تحمل حقدا ضد امريكا كما يحمل العرب نتيجة تقسيم فلسطين . وكان من المفروض لواشنطن ان تجد فيها طريقها الى العالم الثالث ولكنها نظرت اليها فوجدتها بلدا صغيرا محدود السكان والموارد ومحاصرا من كل جانب . غير انها استطاعت عبر السنين التي كان البيت الابيض خلالها يذوق المر في العالم العربي ان توسع رقعتها وتزيد قابلياتها نفوسا وتجارة وصناعة وتقيم لنفسها قواعد في افريقيا وآسيا وتضع في الاخير العالم العربي نفسه تحت رحمتها . وتلوثت استنتاجات الامريكيين هنا بالافكار التقليدية عن اليهود كتجار حاذقين . وكان من اعظم المزايا المغرية في اسرائيل الاستقرار ، ذلك العنصر الحيوي للاستثمارات الراسمالية . وتجسمت هذه الميزة بصورة خاصة بتباينها مع ضدها في العالم العربي . واسرائيل هي الدولة الوحيدة التي ما زال نفس الحزب يحكمها منذ تأسيسها .

وجاءت حرب ١٩٦٧ لتزيل اي شك في قابلية اسرائيل على الاضطلاع بمهمة العمالة على نطاق عالمي . وما ان استقر غبار الحرب حتى انهالت الرساميل الامريكية عليها . فبينما كان مجموع راس المال الخاص المنقول للتوظيف فيها طوال عام ١٩٦٦ نحو ٤٠ م/د وصل هذا المجموع ٩٣ م/د خلال الستة اشهر الاولى فقط من ١٩٦٨(١٠). وارتفع مجموع المبالغ المحولة اليها من ٢٩٢ م/د في ١٩٦٦ الى ٥٢٢ م/د في ١٩٦٧ والى ٨٠٠ م/د في ١٩٧٠ والى ١٦٠٠ م/د في ١٩٧١(١١). وبفضل هذه الرساميل الاجنبية استطاعت اسرائيل ان تزيد صادراتها بنسبة ٢٦ ضعفا من ٢٨ م/د في ١٩٤٩ الى ٧٢٨ م/د في ١٩٦٩ .

لقد انهت امريكا المدرسة الاوربية للاستعمار القديم واحلت محلها ما يعرف بالاستعمار الجديد القائم على الحكم عن طريق حكومات عميلة دعاماتها حراب الاستعمار ومهمتها حراسة رساميله الموظفة ورسالتها القومية هي الارتقاء بجماهير الشعب الى المستوى الذي يجعلهم احسن المستهلكين للبضائع الامبريالية وارخص العاملين في المؤسسات الصناعية للغرب . وتطور الاستعمار الجديد على يد امريكا من الاستغلال عبر حكومة عميلة الى الاستغلال الى عبر دولة عميلة .

وبفضل هذا الاسلوب الجديد اصبح من السهل لامريكا ان تتسرب الى كيان الدول المعادية للاستعمار كزامبيا بثياب الدولة الصديقة الاسيوية الناشئة — اسرائيل . وحيث لم يكن من المنطق او الاصول السماح للخبراء العسكريين الامريكان العمل بجانب الخبراء السوفييت ، جيء بالمدربين الاسرائيليين ليأخذوا مكانهم « حرمة للحياد » كما فعلت بالضبط حكومة اوبوتــه في يوغنده(١٢). وقامت اثيوبيا بتوازن من نوع آخر فاستخدمت الاسرائيليين للعمل بجانب الامريكان في تدريب جيشها دفعا لتهمة التحول الى قاعدة امريكية . وحاول موبوتو درء التهمة نفسها فانتدب الاسرائيليين لتدريب كتائب المظليين(١٣). وعملت البعثات العسكرية الاسرائيلية في كثير من الدول الافريقية بما فيها اثيوبيا والكونغو وسيراليون وغانا ويوغنده بالاضافة الى ايران وماليزيا في آسيا . ومع الخبراء تذهب طبعا البضائع العسكرية الاسرائيلية الى هذه الدول .

ويتضح مدى تصاعد التوغل التجاري الاسرائيلي في افروآسيا من النسب المئوية في الجدول الآتي(١٤):

سنة	الى بريطانيا	الى امريكا وكندا	الى آسيا وافريقيا
١٩٤٩	٥٣،٧	١٧،٠	١٤،٤
١٩٦٧	١٣،٠	١٧،٨	١٧،٣

وقامت اسرائيل بعشرات المشاريع الضخمة كالشركة الملاحية مع لايبريا ومصنع السيارات في تركيا وشبكة مياه طهران ومطار اكرا الدولي وبرلمان سيراليون ومشروع الفضلات لاصفهان وعدة مطارات في اثيوبيا والمشروع السياحي الضخم للريفييرا الافريقية في ساحل العاج — وهو

من تصميم المهندس الامريكي هاينز فيشل ـ بالاضافة الى عشرات المشاريع الزراعية والصناعية والانشائية والتعدينية . ويعطي النشاط الاسرائيلي في ايران صورة عن التوسع الضخم بعد حرب ١٩٦٧ والذي تتوج بخط الانابيب المشترك بين ايلات والبحر المتوسط بقيمة ١١٢ م/د .

ان من الصعب جدا التحقق بالتفصيل عن مدى حظ الرساميل الامريكية في هذا النشاط الاخطبوطي بالنظر للابواب المتعددة التي ترد فيها الاموال الامريكية والاسماء التي تجري تحتها النشاطات الاسرائيلية . فمثلا ان معظم فعاليات اسرائيل في غانا جرت عن طريق شركة غانا الاهلية للبناء وترتبط هذه بشركة سوليل بونيه ، وهذه الشركة هي ملك الهستدروت ، والهستدروت غارق بالقروض والمنح الامريكية . وتحيط تل ابيب عملياتها بكتمان شديد . ومن السخف ان نتصور اسرائيل الغارقة بالديون والقائمة على التبرعات والمعونات تتقدم هي بالتبرعات الى الدول الاخرى ، واحيانا الى دول اغنى منها . انها تقوم بهذه العمليات نيابة عن الامبريالية الامريكية التي غذتها بما تجاوز البليون دولار من المعونات الرسمية و٢٫٥ بليون دولار من الاموال الخاصة حتى ١٩٦٨ . وتقدر المصادر ان نصف البرامج الاقتصادية الاسرائيلية ممول من الخارج . ويؤكد الاستاذ سلفربرغ الخبير الامريكي بالشؤون الافريقية الاسرائيلية ان محاولة الحصول على صورة دقيقة لحظ الرأسمال الامريكي من هذه البرامج مضيعة للوقت بسبب السرية التي تحيطها(١٥).

ومع ذلك فان تدفقا أمريكيا نحو الاستثمار عن طريق اسرائيل اصبح واضحا بعد ١٩٦٧ . وتجلى هذا بالجولات المختلفة التي قام بها رجال المال الاسرائيليون طلبا للقروض والرساميل الامريكية ، والتسهيلات الجديدة التي قدمتها الحكومة للممولين الاجانب . وقالت التايمس اللندنية ان حرب ١٩٦٧ قد رفعت مجموع الرساميل الامريكية الواردة للتوظيف في اسرائيل الى حد ٧٨٠ م/د في ١٩٦٨ ، اي بزيادة ٣٠٠ م/د عن مجموع السنة السالفة(١٦). ووصل النشاط ذروته في عقد مؤتمر المليونيرية في القدس وكان من نتائج المؤتمر تأسيس شركة للاستثمار برأسمال قدره مائة مليون دولار بالاضافة الى شركات تأمينية ومالية اخرى . وانبثقت عن المؤتمر اللجنة الامريكية التي انتجت ٦٣ مشروعا في اسرائيل بقيمة ٧١ م/د حتى ١٩٦٩ . هذا بالاضافة الى ١٩ مشروعا آخر بقيمة ٥٠ م/د في طريق الانجاز . وتتعلق معظم هذه المشاريع بانتاج الكيمياويات والمعادن والصناعات الطبية وتساهم فيها ١٦ شركة امريكية كبيرة منها شركة امفينول لوحدات الطائرات وشركة مغنافوكس للالكترونيات وشركة ايروجت جنرال كوربوريشن . ومن المؤتمر ايضا انبثقت لجنة كاليفورنيا للتجارة والتكنولوجيا لتجنيد العلماء والخبراء الامريكان لهذه الصناعات الاسرائيلية الجديدة(١٧).

والتفت الممولون الى الامكانيات التي فتحتها اسرائيل باحتلالها المناطق العربية واستغلال الايدي العاملة الفلسطينية الرخيصة . وبلغ عدد العمال الذين سخرتهم اسرائيل من المناطق المحتلة ٤٠٠٫٠٠٠ عامل يتقاضون ٤٫٢٠ ليرة يوميا مقابل اجرة العامل اليهودي البالغة ٢٠ ليرة(١٨). وترددت في اسرائيل النكتة القائلة بأن جميع اليهود سيتركون اسرائيل عن قريب لان الامريكان هم الذين يعطون راس المال والعرب هم الذين يقومون بالعمل . وتحت عنوان « غزة : خزان للطاقة العاملة الرخيصة لاسرائيل » كتبت صحيفة معاريف ان اجرة عمال غزة على درجة من الانخفاض تضطرهم الى استخدام ابنائهم ممن دون العاشرة سنا . واضافت قائلة ان خبراء وول ستريت الامريكان قد استحسنوا الموقف الاقتصادي في غزة(١٩).

والى هذا المسرح تدفقت الرساميل الامريكية فاقامت عدة مشاريع في اسرائيل والمناطق المحتلة بما فيها القدس والجولان . ومن ذلك هلتن القدس الذي كلف ٥٠ م/ليرة اسرائيلية وفندق المستعمرة الامريكية في القدس العربية . وعندما تأسست شركة هيات هاوس الامريكية للاستثمار في افروآسيا ، قررت ان تجعل باكورة نشاطها فندقا بقيمة ٢١ م/ليرة في القدس العربية ايضا . وقررت شركة اخرى توظيف ٢٫٨ م/ليرة في تجارة الفنادق والمطاعم الاسرائيلية . وخصصت شركة بسمان وغليك اوف شيكاغو عشرة ملايين دولار لانشاء فنادق في اسرائيل . وقررت شركة اخرى امريكية اقامة مزرعة حيوانية لانتاج اللحوم في الجولان . وهكذا استطاع الرأسمال الامريكي ان يزحف وراء الدبابات الاسرائيلية فيدخل مناطق لم يكن يحلم

بها . وما زالت تل ابيب في اول الطريق . غاية الطريق هي اقتحام الاسواق العربية كليا وتحويل المنطقة الى كيان اقتصادي واحد اشبه بمنطقة الاراضي المنخفضة ، كما قالت التايمس ، « ولن يهم عندئذ اين تمر الحدود » حسب نظر موشي ديان(٢٠).

وتأخذ الشراكة الامريكية الاسرائيلية خمسة صور رئيسية :

١ — القروض المالية المباشرة لقاء فوائد سنوية . والمثال الاول هنا السندات الاسرائيلية المباعة في امريكا . وبلغ مجموع الفوائد التي دفعتها تل ابيب عن ديونها ١٨٠ م/د في ١٩٧٠ .

٢ — الحصول لامريكا على المواد الخام . والمثال هنا هو الماس الذي تحصل عليه اسرائيل من افريقيا وتعيد تصديره الى امريكا بعد صقله . وهو يشكل اهم فقرة في صادراتها الى امريكا . وبهذه الطريقة تتحاشى واشنطن المداخلات السياسية التي تغشي الموضوع : افريقيا ، ولكن لايبيريا التي فطنت الى الموضوع بادرت الى فسخ اتفاقيتها مع اسرائيل وآثرت البيع مباشرة الى نيويورك . ويتم التعاون هنا بتزويد اسرائيل بالاموال والخبرة اللازمة لهذه التجارة ويقوم معهد المجوهرات الامريكي بتدريب العمال الاسرائيليين ومد معهد الماس الاسرائيلي بما يحتاجه من مساعدات ومعرفة . وبفضل هذا الترتيب ارتفعت تجارة الماس الاسرائيلية بالنحو البليغ التالي(٢١):

سنة	المستورد بالدولار	الصادرات بالدولار
١٩٥٤	١٣،٧٩٣،٠٠٠	١٥،٦٩٨،٧٨٠
١٩٦٩	١٩٢،٧٥٠،٤٧٧	٢١٥،٩٠٧،٣١٦

٣ — اشتراك مؤسسات امريكية واسرائيلية في الحصول على مشاريع في العالم الثالث وتسييرها. ومن ذلك معمل المعدات الالكترونية الذي اقامة الطرفان في السنغال .

٤ — اقامة الشركات الامريكية مشاريع او فروع لها في اسرائيل كما الحال بالنسبة للفنادق الامريكية التي اشرنا اليها . وفتحت شركة ايروجت كوربوريشن مفاوضات لاقامة معمل لصهر المعادن بقيمة ٣٠ م/د لسد حاجات اسرائيل من الفلزات وتصدير الفائض من منطقة كيشون الحرة التي فتحتها اسرائيل مؤخرا لزيادة عمليات اعادة التصدير(٢٢).

٥ — الاشتراك مع مؤسسات اسرائيلية في اقامة صناعات داخل اسرائيل ، ومن ذلك في حقل الكيماويات شركة مراد المؤسسة لانتاج ٢٣٠،٠٠٠ طن من حامض الفسفوريك سنويا للاستهلاك الداخلي والتصدير . وتم التوقيع على عقود اخرى منها واحد لانتاج محركات وينكل من قبل شركة مسافكل التي تمتلكها شركة بيبر ملسز الامريكية الاسرائيلية وبنك اسرائيل البريطاني . ونشرت الوول ستريت جرنال نبأ تأسيس شركة ماريتايم دينامكس لبناء الناقلات البحرية العملاقة بحمولة تتجاوز ٢٠٠،٠٠٠ طن . وتمتلك الشركة الجديدة مؤسسة الشحن الاسرائيلية وشركة جنرال دينامكس المتصلة بصناعات الحرب الامريكية . واعطت راس المال الجماعة المصرفية المسماة فرست نشنسال بوسطن كوربوريشن . وباكورة الشركة هي بناء ست شاحنات بقيمة ٣٥٠ م/د .

وانتبه تجار الموت الى سمعة اسرائيل العسكرية فتهالكوا على توظيف اموالهم فيها . وتقول المصادر ان امريكا وبريطانيا والمانيا الغربية قد وظفت اكثر من ١٣٠ م/د في الصناعات الحربية الاسرائيلية تنفيذا لمقررات المليونيرية الثاني(٢٣). وبلغ مجموع الصادرات من المعدات الحربية ٣١ م/د في ١٩٦٩ وارتفعت صادرات مؤسسة تعاز المنتجة للاسلحة بخمسة اضعاف ما كانت عليه قبل ١٩٦٧ . ووصل التعاون الامريكي الاسرائيلي في الانتاج الحربي اوجه في الاتفاقية السرية لتزويد تل ابيب بالامكانيات لانتاج الاسلحة الثقيلة والمعقدة بما فيها الطائرات النفاثة والدبابات . ومن الوهم ان نتصور ان الاتفاقية موجهة بصورة خاصة ضد العرب . انها حلقة اخرى من التاريخ الاسود لتجارة الموت الرأسمالية . وحيث ستترفض دولة ناشئة ابتياع الاسلحة من امريكا ، ستشير عليها امريكا بشراء الاسلحة من اسرائيل .

وتدفقت البضائع الامريكية جنبا الى جنب مع الرساميل في عين الفترة ، او بعبارة ادق ضمن السنوات الثلاث التالية لحرب حزيران فارتفعت مستوردات اسرائيل من امريكا بنحو ٥٠ ٪ في حين لم تتغير صادراتها اليها الا بقليل . ويعود جزء كبير من العجز المستمر في ميزان المدفوعات الاسرائيلي الى هذه البضائع المستوردة والى العوائد والفوائد المترتبة على الرساميل الاجنبية . وقد ارتفعت هذه العوائد والفوائد من ٩٤ م/د

في ١٩٦٥ الى ١٥٢ م/د في ١٩٦٩ ونحو ١٨٠ م/د في ١٩٧٠ . ومما يذكر ان مجموع العوائد والفوائد المستحقة من اسرائيل ساوت خلال عامي ١٩٦٨ و١٩٦٩ مجموع الارباح التي جنتها اسرائيل من الزيادة في القيمة المضافة للصادرات(٢٤).

ومن الطريف أن نلاحظ سير النشاط الاسرائيلي بامتداد خطوط النفوذ الامريكي في العالم الثالث . فخط الملاحة الليبيري الوطني (من مشاريع شركة هارون روزفيلد الاسرائيلية) يسير من ايلات الى الحبشة وافريقيا الجنوبية ونايجيريا وليبيريا. ويسير خط تسيم من ايلات الى فرموزة وهونغ كونغ واليابان وامريكا الشمالية . والدول العميلة الرئيسية لاسرائيل هي ايران والحبشة وافريقيا الجنوبية وليبيريا . واخذت تل ابيب مؤخرا ، وربما بتوجيه من واشنطن ، بالاتجاه الى المنطقة التقليدية للنفوذ الامريكي — امريكا اللاتينية ، التي بدأت جماهيرها بالتحرك ضد سيطرة الدولار . وامام انطلاقاتها الثورية ، اسرع مدير بنك الاعمار الدولي لزيارة تل ابيب في اوائل ١٩٧٠ ملتمسا زيادة نشاطها في تلك المنطقة . ومن المعروف ان اسرائيل كانت تنفق سنويا حتى ذلك الحين نحو خمسة ملايين ليرة على مساعدة امريكا اللاتينية وتزودها بحوالي ٤٠ خبيرا . ولها بضعة مشاريع صغيرة منها حقل للبذور في البرازيل . ووقعت مؤخرا اتفاقية مع المكسيك لاستغلال المصادر المائية والغذائية واقامة معمل للكيمياويات البترولية وآخر للسيارات .

ومن ذلك يتضح ان اسرائيل اصبحت الباب الذي تدخل منه الامبريالية الامريكية الى العالم الثالث وان اموالا في حدود البلايين قد اصبحت الان مرهونة لدى الاقتصاد الاسرائيلي . وان اي تفكير من جانبنا يتصور ان امريكا ستعرض هذه المصالح للخطر اكراما لعيوننا هو سذاجة مغرقة .

٣ — دور اسرائيل في خنق الحركات الثورية : لما كان التحالف الامريكي الاسرائيلي تحالفا رأسماليا فقد اصبح من البديهي له ان ينشط ايضا في مقاومة الحركات المعادية للرأسمالية ، وقد قامت في امريكا جماعة الابحاث الافريقية بدراسة دور اسرائيل كدولة ثالثة في خدمة الرساميل الامريكية ومحاربة الحركات المعادية للامبريالية في افريقيا ونشرت تقريرها الضافي في مجلة ترايكونتنتال الكوبية(٢٥). ويتضح من التقرير ان واشنطن تنظر الى اسرائيل كبديل للشعوب الافريقية الثائرة ضد امريكا بحول دون انتقالها الى الشيوعية او السوفييت . وكان ارنولد رفكين الخبير الامريكي قد دعا في سنة ١٩٥٩ في مجلة فورين افيرز الى ارشاد الدول المتمردة على الغرب الى الاحتذاء باسرائيل في البرمجة الاشتراكية المعتدلة واقامة نظام اقتصادي ثالث يختلف عن النظامين الشرقي والغربي « ولكنه يبقى بالتاكيد اكثر ميلا الى مصالح العالم الحر منه الى النموذج الشيوعي » على حد قوله . ومضى رفكين فعالج طرق تحقيق ذلك بواسطة تحويل جزء من المساعدات الغربية المخصصة لافريقيا الى اسرائيل بحيث تعود هذه بدورها فتقدمها الى افريقيا « بالنظر لمؤهلات اسرائيل الخاصة وقبول الدول الافريقية لها كما اتضح » . ومن المهم ان نعرف ان المستر رفكين كان رئيسا لمشروع الابحاث الافريقية لمركز الدراسات الدولية في مساشوستس . اما المركز نفسه فقد نظمته وكالة الاستخبارات الامريكية ، ومنه انتقل رفكين الى البنك الدولي الذي اعطى قروضا واسعة لاسرائيل . ومن خبراء امريكا المختصين في المساعدات الاسرائيلية لافريقيا المستر سلفربرغ الاستاذ في الجامعة الامريكية في واشنطن. وسرعان ما نكتشف ان سلفربرغ يعمل ايضا في مركز الابحاث للانظمة الاجتماعية الذي يعمل لحساب الجيش الامريكي والمشهور بفضيحة كاميلوت للتجسس على امريكا اللاتينية . وينهمك هذا المركز في اعداد دراسات تحليلية لمقاومة حرب العصابات . وكانت اطروحة سلفربرغ (وهو يهودي) بعنوان «المساعدات الاسرائيلية العسكرية وشبه العسكرية لافريقيا » .

واستخلصت جماعة الابحاث الافريقية النتائج التالية من دراستها : ١ — ان الحكومة الامريكية ساعدت في وضع اسلوب المساعدات ومادتها . ٢ — انها وحلفاءها ساعدوا في تمويل المساعدات الاسرائيلية حسب اسلوب « الدولة الثالثة » . ٣ — ان هذه المساعدات قد تركزت في الميادين المهمة ستراتيجيا وخاصة التدريب العسكري ومقاومة حرب العصابات . ٤ — ان برامجها تخدم الاستعمار الاسرائيلي الصغير نسبيا ومن ورائه الاستعمار الامريكي الواسع .

ومن اهم المؤسسات الاسرائيلية التي عملت امريكا على تأسيسها في هذا الصدد لاحتواء كوادر العالم الثالث هو المعهد الافرواسيوي الذي يتلقى كل

عام عشرات من شبيبة افروآسيا لتدريبهم . وتأسس هذا المعهد بمنحة من اتحاد العمل الامريكي AFL-CIO . والمعروف ان هذا الاتحاد يرتبط ارتباطا وثيقا اندماجيا بالاستخبارات المركزية(٢٦).

واصبحت تل ابيب مركزا جديدا لتدريب كلاب الامبريالية وقد كشفت مناقشات الكنيست في ١٢/٤/١٩٦٧ ان جموعا من الفيتناميين الجنوبيين كانوا يتلقون تدريبهم في اسرائيل(٢٧). وحج الى تل ابيب ايضا رئيس اركان بيرو ووزير داخلية البرازيل بالاضافة الى عدد كبير من قواد الجيوش الافريقية وبوليسها . ونسمع بين الفينة والفينة عن فضيحة جديدة تتعلق بالنشاطات المريبة للخبراء العسكريين الاسرائيليين ، وكان من آخرها ما دفع الجنرال امين الى طرد السبعمائة خبير اسرائيلي من اوغندة . وتحت ضوء ذلك نستطيع ان نفهم النصح المستمر الذي يعطيه خبراء امريكا وساستها الى الدول الناشئة بالاستعانة باسرائيل . ومن ذلك نذكر كتاب ليوبولد لوفر «اسرائيل والامم الناشئة: طرق جديدة للتعاون » وكتاب رفكين « افريقيا والغرب » وكتاب سلفربرغ المشار اليه آنفا .

٤ ــ **الموساد ووكالة الاستخبارات المركزية :** تفخر اسرائيل بأقدر جهاز تجسسي في العالم . ولهذا الفخر تاريخ طويل يمتد الى القرون التي فرضت فيها ظروف معاداة السامية وتشريد اليهود ، مهمة الوساطة والوكالة والجاسوسية عليهم . هكذا عملوا للفرس ضد الرومان وللمسلمين ضد اوربا وللانكليز ضد العرب واخيرا للامريكان ضد السوفييت . وساعدتهم على ذلك عوامل منها اتقانهم لعدة لغات وتجولهم في الامصار ومعرفتهم بأحوال الامم ووجود اخوان لهم في كل مكان . وفي الحرب الاخيرة اضافوا خبرة جديدة من عملهم لاستخبارات الحلفاء ضد المحور . ومن ابناء هذه الخبرة البولونيون الذين بنوا الاستخبارات الاسرائيلية .

واقامت الوكالة اليهودية اول جهاز رسمي للاستخبارات عام ١٩٣٧ باسم الموساد وعمل في هذا الجهاز معظم رجالات اسرائيل كاشكول وغاليلي وسابير . وعلقت على هذا سوفتسكايا بلروسيا في ١٩٧١/١/٦ بقولها ان الاستخبارات الاسرائيلية فريدة في العالم . فهي الاستخبارات الوحيدة التي تأسست قبل تأسس الدولة نفسها . والى جانب الموساد توجد اجهزة شن بت وآمان وخدمات اليهود المضطهدين ، ووراءها يقف ما يزيد على ٥٠٠ منظمة صهيونية في كل مكان لتغذية هذه الاجهزة . ومما يعطي الاستخبارات الاسرائيلية قدرتها العظيمة ، هو المستوى الفظيع الذي تنزل اليه من التغرير ، بما في ذلك استعمال النساء بأبشع الصور ، الى الارهاب بما فيه القتل القاسية . ويروي فان هورن ، كبير المراقبين الدوليين ، صنوفا من ذلك مما تعرض له ضباطه في القدس(٢٨).

ولا شك ان اي استخبارات في العالم تطمح للتعاون مع مثل هذه الاجهزة . وكان من الطبيعي ان يتجه هذا التعاون نحو واشنطن . وحققت اسرائيل للبنتاغون احلاما لم يكن من سبيل لتحقيقها . ومن ذلك ان حصلت استخباراتها على طائرة ميغ ٢١ من العراق في وقت كان الفيتناميون فيه يتدربون في موسكو على استعمال هذه الطائرة ضد الامريكان(٢٩). وجاءت حرب ١٩٦٧ بغنائم جديدة من المعلومات عن الاسلحة السوفييتية الى البنتاغون . وما كادت موسكو تفتح دبابات ت ٦٢ امام قوات حلف الاطلسي حتى حصلت اسرائيل على مجموعة سالمة منها نقلت لاختبارها عمليا بالرمي من قبل الحلف في انكلترا(٣٠).

وانتقل هذا التعاون عام ١٩٦٨ الى مرحلة جديدة بعد ان تحققت اسرائيل ان بامكانها ان تبتلع المناطق المحتلة دون خوف . ولتحقيق هذا الضم ، اقتضى عليها الحصول على الوف جديدة من المهاجرين تنفيذا لسياسة التوسع بسلاح الضغط السكاني . على ضوء ذلك خططت المنظمة الصهيونية لحملة ضد المعسكر الاشتراكي تجبره على السماح لهجرة الملايين الثلاثة . فكانت الحملة الاعلامية الشهيرة وصرخة الاضطهاد السوفييتي لليهود . وتشير كافة خطوط هذه الحملة الى نقطة انطلاق في اوائل ١٩٦٨ . في ذلك الوقت ايضا انتهى معهد هدسن الامريكي من وضع مخططه المعروف « بالثورة المعاكسة الهادئة » . ووضعت الاستخبارات الامريكية نظرية « بناء الجسر » للتوغل في العالم الاشتراكي والحصول على المعلومات والدعوة للثورة المعاكسة(٣١).

في ١٩٦٨/٤/٣٠ ، صدر في الاتحاد السوفييتي العدد الاول من النشرة السرية « سجل الاحداث الجارية » لتكون لسان ما يسمى بالحركة الدمقراطية . وبعد صدورها بقليل تأسست جماعة النشاط للدفاع عن حقوق الانسان التي اتخذت

النشرة نافذة لها . وبعين الوقت صدرت مجلة اكتوبريانا التي تتهكم من السوفييتية من زاوية الجنس والسخرية . ويتضح من دراسة هذه المطبوعات ارتباطها المباشر او غير المباشر بالمخطط الصهيوني الامريكي لهذه الاسباب :

١ ــ توقيت صدورها في ١٩٦٨ . ٢ ــ افتضاح صهيونية عدد من قادتها مثل تلسن وتسوكرمان بعد هجرتهم الى اسرائيل . ٣ ــ ارتباط نشرة السجل بالنشريات والفعاليات الصهيونية الصرفة، اذ تفرغت بعد قليل من السجل مجلة اكرودز لتنطق باسم الصهيونية صراحة . واعترف الباحثون الغربيون بتداخل نشاط النشرتين(٣٢). ٤ ــ المحتوى ، كما يؤكد ردوي ، الذي لا يحمل اي برنامج او يتعرض لاي مشكلة اجتماعية عامة، وانما يركز على حقوق الاقليات وحقهم بالعودة الى اوطانهم ومحاكمات « الاحرار » وخرق السلطات للقوانين ، والموضوع الاخير هو ما يؤكد عليه الصهاينة في ان حصر الهجرة وتمع الادبيات الصهيونية يخالف القوانين السوفييتية .

واكتشفت السلطات عدة منظمات صهيونية منها جماعة لنينغراد وريغا وكشنيف ، وكلها على اتصال باسرائيل . وكان حلقة الاتصال مع جماعة لنينغراد دونالد ميلامنت ، صهيوني امريكي من جامعة ييل . واعترف ميلامنت بأنه جاء من امريكا لحض العلماء على الهجرة الى اسرائيل(٣٣). وحرصت المنظمات الصهيونية على اعطاء نشاطها صفات عامة تجر غير اليهود اليه . ومما لا شك فيه ان مجرد صدور النشرات يفتح الباب ، كما تأمل الاستخبارات الامريكية ، الى ترعرع حركة معارضة وتحدي داخل المعسكر الاشتراكي .

ويعطي الدور الذي لعبته الصهيونية في احداث ١٩٦٨ في تشكوسلوفاكيا درسا عن الامكانيات الكامنة في الاستخبارات الصهيونية . والمعروف ان لوستيغ وزملاءه التشيكيين « الاحرار » الذين استقروا الان في اسرائيل قد لعبوا دورا خطيرا في النشاط المعادي للسوفييتية على التلفزيون والراديو والصحافة . وكشفت التحقيقات عن اتصال لوستغ ببرامبرغ ، وكيل الاستعلامات الامريكية الذي وصل براغ اثناء الحوادث فقدمه لوستغ الى رئيس اتحاد الكتاب فولد ستكر (صهيوني اخر) وبالمؤسسات التشيكية الحساسة . ومن الوثائق التي عثروا عليها مع برامبرغ تقرير عن اوضاع

وبعين الوقت ، تسند وسائل الاعلام الغربية الخاضعة للتأثير الصهيوني ، هذه الحملة بالتشهير بالمعسكر الاشتراكي واضطهاد الاديان والاقليات فيه . ويغذي الصهاينة اعمدة الصحف بسلسلة من التظاهرات والاستفزازات امام المؤسسات السوفييتية في الخارج ، والظاهرة الواضحة الان هي ان الاسواق الغربية قد امتلأت منذ ١٩٦٨ بالمؤلفات المهربة من المعسكر الاشتراكي او الفاضحة له .

هذه خلاصة وجيزة جدا للخدمة الاعلامية والايديولوجية والتجسسية التي تقدمها اسرائيل للامبريالية الامريكية . وما من دولة استطاعت ان تقدم احسن منها . ايجوز لواشنطن ان تحذف هذه الخدمة ايضا من حسابها وتعيد للعرب المناطق المحتلة التي تشكل الدافع الحيوي للحملة الصهيونية المذكورة ؟

٥ ــ **الاعتبارات الستراتيجية** : وعلى رأسها اهمية لامريكا غلق قناة السويس . هذا الغلق يؤدي الى اضعاف المنافسة التجارية الاوروبية لامريكا جنوبي وشرقي السويس ويسد من ناحية اخرى الباب في وجه الاساطيل السوفييتية التي يتوجس الغرب خطرا من زيادة وجودها في المحيط الهندي . ومن المفهوم ايضا ان الامدادات السوفييتية الى فيتنام قد تعقدت وصعبت بعد هذا الغلق ايضا . واذا كان البنتاغون حريصا على جنوده في فيتنام فلا شك ان سد القناة سيبقى مطلبا ستراتيجيا لهم . وهكذا صرح رئيس اركان الجيش الاسرائيلي بقوله : « لقد ادركت امريكا اثناء حرب الاستنزاف ومنذ ايامها مدى القيمة الستراتيجية لاسرائيل »(٣٥). في الحين نفسه ، توالت التقارير عن انضمام اسرائيل الى حلف الاطلسي . وسواء انضمت ام لم تنضم ، فان وجودها كقلعة للعالم الغربي في الشرق الاوسط هو خير ضمان للحلف .

النتيجة : ان هناك كثيرا من العوامل تشير الى اتحاد بعيد الامد بين المصالح الاسرائيلية والامريكية تجاريا وسياسيا وتجسسيا واعلاميا وستراتيجيا. وتجعل مصالح هذا الاتحاد من الصعب ، ان لم نقل المستحيل ، لاي رئيس امريكي ان يغير موقف بلاده من ازمة الشرق الاوسط ، ولا سيما عندما نأخذ بنظر الاعتبار الموقف المالي القوي لاسرائيل

في الوقت الحاضر والذي يجعلها اقدر على تحدي الضغوط الخارجية الى مدى طويل كما اسلفنا في اول البحث . وان توجيه مثل هذا الضغط الطويل الامد والشديد البأس يعرض دون شك اسس الشراكة الامريكية الاسرائيلية الى الانهيار ، وهو ما لن تقبل به اوساط البنتاغون والوول ستريت والاستخبارات المركزية والاستعلامات الامريكية .

---

١ — **نيوزويك** ، ١٩٧١/١/١٣ .
٢ — راديو ٤ ، الاذاعة البريطانية ، ١٩٧٢/٢/٢٢ .
٣ — **جروسلم بوست** ، ١٩٦٧/٦/١٦ .
٤ — **التايمس** ، ١٩٧٢/٢/٢٣ .
٥ — كوبلند ، مايلز ، **لعبة الامم** ، الترجمة العربية لدار الفتح ، بيروت ، ص ٥٧ — ٦٢ .
٦ — جونسن ، بول ، **حرب السويس** ، لندن ، ١٩٥٧ ، ص ٣ .
٧ — كوبلند ، **نفس المصدر** ، ص ٢٩٨ — ٢٩٩ .
٨ — **مصالح الولايات المتحدة في الشرق الاوسط : تحليل خاص** ، امريكان انتربرايس انستتيوت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٢ .
٩ — **مصالح الولايات المتحدة** ، ص ٦١ .
١٠ — **نفس المصدر** ، ص ٧٣ .
١١ — **مدل ايست انترنشنال** ، ايلول ١٩٧١ .
١٢ — **سجل افريقيا المعاصر** ، ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ، ص ٦٨ .
١٣ — **الجيوش الافريقية والنظام المدني** ، معهد الدراسات الستراتيجية ، لندن ، ١٩٦٩ ، ص ٨٥ .
١٤ — يوسف شبل ، **تجارة اسرائيل الخارجية** ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ص ٢٦ .
١٥ — **ترايكونتنتال** ، عدد ١٥/١٩٦٩ ، ص ٥٥ .
١٦ — **التايمس** ، ١٩٦٩/٣/٢٧ .
١٧ — **فاينانشال تايمس** ، ١٩٧٠/١/٢٧ .
١٨ — **هآرتس** ، ١٩٧٠/١٢/١٨ .
١٩ — **معاريف** ، ١٩٧٠/١/١٤ .
٢٠ — **التايمس** ، ١٩٦٩/٦/٣ .
٢١ — **اسرائيل** ، جمع م. امانويل ، لندن ، ص ١٤٩ .
٢٢ — **جروسلم بوست** ، **جويش كرونكل** ، ١٧/ ١٩٧١/٨ .
٢٣ — يحي عرودكي ، **العلاقات الاقتصادية الخارجية لاسرائيل** ، مركز الابحاث ، ص ٣٠ .
٢٤ — **جروسلم بوست** ، ١٩٧٠/١٢/٧ .
٢٥ — **ترايكونتنتال** ، ص.ب. رقم ٤٢٢٤ ، هفانا ، عدد ١٩٦٩ .
٢٦ — انظر موريس ، جورج ، **وكالة الاستخبارات المركزية والعمال الامريكان** ، ١٩٦٨ . انظر ايضا كتيب د. فايز صايغ ، **المعهد الافرو آسيوي في تل أبيب** ، مركز الابحاث في م.ت.ف. بيروت ، ١٩٦٧ .
٢٨ — انظر هورن ، جنرال كارل فون ، **تجند من اجل السلم** ، لندن ، ١٩٦٦ .
٢٩ — **تايمس** ، ١٩٦٦/٨/٣٠ .
٣٠ — **ديلي اكسبرس** ، ١٩٦٩/١٠/١٧ .
٣١ — بولشاكوف ، **معاداة السوفييتية مهنة الصهاينة** ، موسكو ، ١٩٧١ .
٣٢ — ردوي ، بي ، **روسيا بدون رقابة** ، لندن ، ١٩٧٢ ، ص ٣٩ .
٣٣ — **اليهود في أوربا الشرقية** ، تشرين الثاني ١٩٧١ .
٣٤ — تفاصيل بولشاكوف .
٣٥ — **الفاريان** ، ١٩٧١/١٢/٣١ .

تقرير خاص
خطة التنمية الثلاثية في الاردن ٧٣ — ١٩٧٥

أحاطت السلطات الاردنية موضوع خطة التنمية الثلاثية بكتمان شديد ولم يسمح لاجهزة الاعلام الاردنية بالتحدث عنها او نشر تفاصيلها حتى عقد الامير حسن ، وهو الذي يرأس لجنة الخطة ، مؤتمرا صحفيا في عمان يوم ١٩٧٢/٩/١٢ . دعا اليه السفراء العرب والاجانب وشرح لهم تفاصيل الخطة طالبا مساعدة دولهم في ذلك . وكانت اللجنة التي اعدت الخطة ووضعت تفاصيلها ، تضم كبار مخططي السياسة الاميركية في الاردن ، منهم ميشل مارتوماد . حنا عوده . د. سعيد النابلسي والدكتور خليل السالم وآخرين .

ومن اهم الاهداف التي سعى واضعو خطة التنمية الثلاثية لتحقيقها هي :

(أ) زيادة الدخل القومي الى ٨ ٪ خلال مرحلة الخطة (٣ سنوات) . (ب) تخفيض العجز في الميزان التجاري . (ج) تخفيض الاعتماد على المساعدات . (د) زيادة فرص التوظيف (زيادة موظفي الادارة وعدد أفراد مؤسسة الجيش) . (هـ) خلق أماكن عمل جديدة لخمسة وسبعين الفا خلال الثلاث سنوات . (و) توزيع مشاريع التنمية على كل مناطق المملكة بالتساوي (دون التركيز على عمان) . والمقصود هنا مناطق الاغوار وحطيه — العقبة وغيرهما المعدة لاستقبال واسكان اللاجئين والنازحين .

ويلاحظ من اجمالي الخطة ثلاث مسائل مهمة : (١) اعتراف واضعي الخطة (كتابة) بعدم جدوى التركيز السابق في مشاريع التنمية (خطة السنوات السبع) على المشاريع غير الانتاجية كالطرق والخدمات . ففي الخطة توجه لمرحلة جديدة هي البدء بقيام مشاريع انتاجية في قطاع الزراعة والصناعة .. الخ . (٢) يلاحظ كذلك في الخطة توجه يمكن تسميته « بالتطور شبه اللارأسمالي » في تحديث الاردن . فالخطة تشير مثلا الى انه ستكون هناك مراقبة على الاسعار والاستيراد والتصدير ... الخ .

وتؤكد هذه الملاحظة احجام الاستثمارات المحلية بعد ايلول عام ١٩٧٠ عن المغامرة بمشاريع مكلفة في ظل غموض المستقبل السياسي للاردن . فلقد شهدت الاسواق المالية الخارجية (خاصة بيروت) تدفقا كبيرا لرؤوس الاموال الهاربة من الاردن بعد احداث أيلول ١٩٧٠ . والارتفاع المفاجيء والكبير في ارصدة ودائع البنك العربي — فرع بيروت — بعد أيلول خير شاهد على هذه الظاهرة. اضافة الى ذلك فان رؤوس الاموال المحلية في الاردن ظلت طوال السنوات الماضية تتجه الى الاستثمار في قطاعات التجارة والخدمات وملحقاتها، اي الاستثمارات ذات المردود السريع . (الاستثمارات الزراعية والصناعية ذات مردود بعيد المدى) . ويعزز هذه الملاحظة كذلك كون الاردن قاعدة مصالح سياسية وليست اقتصادية للامبريالية الاميركية ، بدليل عدم وجود شركات اجنبية برؤوس أموال كبيرة تشكل الثقل الاقتصادي للمصالح الاميركية في المنطقة مثلا . ان هذا التوجه الجديد للنظام الاردني يشير الى بداية خلاف في معسكر الحكم المؤلف من الطبقة التجارية والطبقة البيروقراطية الجديدة ، ومؤسسة الجيش القمعية ، في ظل العرش الملكي . ان مصلحة الطبقة البرجوازية التجارية سوف تتأثر حتما بالتوجه الجديد الذي تقوده الطبقة البيروقراطية الجديدة . فلقد ورد في الخطة نص يقول : « في حالة احجام القطاع الخاص عن القيام بدوره المرسوم، فستأخذ الدولة على عاتقها مهمة القيام بمشاريع انتاجية بديلة !!! » . (٣) يلاحظ ايضا ان خطة التنمية للضفة الشرقية فقط مع العلم بأن مدتها ثلاثة اعوام تنتهي في آخر عام ١٩٧٥ ، أن الخطة

لتطوير الاقليم الاردني فقط في مملكة الحسين العربية ، وتكريس قواعد النظام « كلابد » في الضفة الشرقية فقط .

المشاريع التي تتضمنها الخطة :

ان التحليل الاولي لموازنة الدولة العامة لسنة ١٩٧٢ ، ومقارنتها بأرقام موازنتي عام ٧١ ، ٧٠ فيما يتعلق ببند النفقات الانمائية (الرأسمالية) في مؤسسات الدولة المعنية بمثل هذه المشاريع ، كوزارة الزراعة ، وسلطة المصادر الطبيعية ، ووزارة الاشغال العامة ، والمؤسسة الاقليمية لمياه نهر الاردن، وسلطة قناة الغور الشرقية.. الخ يتضح ان السلطة تعتزم تنفيذ عدد من المشاريع الكبيرة ، والتي تتطلب أيدي عاملة لاعمار مناطق جديدة تستوعب فيها المخيمات .... الخ . ومن هذه المشاريع على سبيل المثال لا الحصر :

(١) مشروع تطوير وري منطقة الغويره — رم — العقبة ، تموله شركة امبرزيت الايطالية . وكانت الحكومة الاردنية قد اجرت مفاوضات مع الحكومة الايطالية لتقوم الاخيرة بتمويل هذا المشروع بنفسها. ويهدف هذا المشروع الى : (أ) إستصلاح اراضي المنطقة المذكورة . (ب) استخراج مياه جوفية حيث انها متوفرة في هذه المنطقة كما تقول بذلك التقارير الجيولوجية في مجلس التخطيط القومي التي تقدر وجود كمية من المياه تكفي لري المنطقة بكاملها في اغراض الزراعة . (ج) توليد طاقة كهربائية عن طريق سدود المياه والمياه المستخرجة لانارة منطقة العقبة والعقبة نفسها . (د) — مد طريق لتصريف الانتاج الزراعي الذي ستدره المنطقة ينصل بطريق العقبة السعودية . ولقد رسا هذا المشروع على شركة امبرزيت الايطالية وبعض المقاولين الفرعيين المحليين ، وبوشر بتنفيذه . وقد ظهر في موازنات السنوات الماضية وبكلف ٦٣ الف دينار اردني حتى بداية هذا العام ، مع العلم انه خصص لهذا المشروع ٩ ملايين دينار لتنفيذه على ثلاث مراحل تكلفة كل منها ٣ ملايين دينار .

(٢) مطار العقبة . وقد اشارت اليه صحيفة الرأي الاردنية . الهدف من هذا المطار هو كونه جزءا من خطة تطوير مدينة العقبة (ثغر الاردن) ومنطقتها ليجعلها بيروت بديلة في المنطقة . وقد جرت اتفاقية مع السلطات الاسرائيلية بخصوص اذونات الهبوط والاقلاع والطيران واللاسلكي والخروج من ميناء ومطار العقبة ، توجب على السلطات الاردنية ابلاغ مطار وميناء ايلات بهذه العمليات .

(٣) مشروع الدرة بـ العقبة . وقد رسا عطاؤه على شركة اتحاد المقاولين (C.C.C.) وهي شركة مقاولات لبنانية .

(٤) تكملة سكة حديد الحجاز — حطية — العقبة، حيث تقوم شركة المانية غربية بتنفيذه .

(٥) مشروع سد الزرقاء . يموله الصندوق القومي الكويتي .

(٦) المشاريع الزراعية في الاغوار . وقد لوحظ خلال السنة الماضية تركيز الامير حسن على هذه المشاريع بشكل خاص ، وتركيز كل من وزارة الزراعة ودائرة البحث العلمي ومجلس التخطيط وفريق من الخبراء لدراسة المنطقة .

(٧) عدة مشاريع زراعية في مناطق الازرق ووادي الضليل .

ان الخطورة في مثل هذه المشاريع ، هي ان الاستثمارات الرأسمالية الزراعية هذه تستطيع اسكان عدد كبير من اللاجئين والنازحين وتشغيلهم، في ظل اوضاع البطالة التي تثير نقمة المواطنين على السلطة . كذلك فان عددا كبيرا من هؤلاء المستثمرين هم من اصل فلسطيني ، مما سيمهد الطريق امام مؤامرات السلطة لتذويب الفلسطينيين واستيعابهم في الضفة الشرقية ، وابعادهم عن العاصمة والمدن الرئيسية الاخرى في الاردن .

غير ان اخطر ما تتضمنه الخطة مشروعان :

أولا : مشروع نقل المخيمات : لقد شكلت مسألة وجود مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في عمان وقرب المدن الاردنية الاخرى قضية خطيرة على أمن السلطة ووجودها في الاردن منذ عام ١٩٥٠ ، وهذه المسألة كانت واضحة في ذهن النظام الاردني خلال العشرين سنة الماضية ، والدليل على ذلك تعدد مشاريع الاسكان والاستيعاب والتوطين التي كانت تطرحها السلطة او وكالة الغوث او غيرها من البعثات الاستعمارية التي كانت تفد الى الاردن تحت اسماء مختلفة . ولقد برزت خطورة هذه المسألة بوضوح لدى النظام خلال الفترة التي تلت حرب حزيران عام ١٩٦٧ وانتهت في ايلول عام ١٩٧٠ ، ممن هذه المخيمات القريبة من العاصمة ومن المدن الاردنية الاخرى كانت حركة المقاومة التي رأى فيها النظام خطر البديل له .

وعليه ، فان لدى النظام الاردني الان مخططا يهدف الى نقل مخيمات اللاجئين والنازحين من اماكنها الحالية الى اماكن اخرى في الضفة الشرقية لاستيعابهم في عملية التذويب والتصفية . فبعد عودة الامير حسن من جولته الاخيرة في اوروبا (دول السوق المشتركة) بأيام قليلة ، استدعي للقصر وزير الانشاء والتعمير (وزارة اللاجئين في الاردن) وطلب منه دراسة توفير عمال زراعيين للعمل في الاغوار بعد ان هدأت الاحوال واستتب « الامن والاستقرار » في البلاد ، وشدد الامير على ضرورة الاهتمام بالانتاج الزراعي المحلي بدل الاعتماد على الجسور المفتوحة مع الضفة والقطاع !! ومن المعروف ان جولة ولي العهد الاوروبية قد اسفرت عن اتفاقية لم يعلن عنها بعد ، بين الحكومة الاردنية وحكومة المانيا الاتحادية تحصل بموجبها الحكومة الاردنية على مبلغ ٤٢ مليون دولار على ان تستثمر في مشاريع اسكان وتعمير ، وايجاد ايد عاملة زراعية لاستثمار مناطق الاغوار . والترجمة الحقيقية لهذه الاتفاقية، هي انها لتغطية نفقات نقل مخيمات اللاجئين والنازحين الفلسطينيين من اماكنها الحالية الى مناطق الاغوار الشمالية والوسطى والجنوبية ، كذلك اعمار بعض مناطق المشاريع الالمانية في جنوب الاردن . اما برنامج نقل المخيمات ، حسب الاولوية ، فهو على النحو التالي : مخيم الحصن ثم شنلر ، غزة ، ماركا ، سوف ، البقعة ، اربد ، الطالبية ، الزرقاء ، وينتهي البرنامج بنقل مخيمات العاصمة (الوحدات وجبل الحسين) .

واعقب استدعاء الامير حسن لوزير الانشاء والتعمير الخطوات الاجرائية التالية :

(٢) استدعى الوزير عددا من مخاتير مخيمي الحصن وسوف — القابعين تحت مظلة ارهاب وقمع وتجويع خطيرة — مبديا لهم ضرورة تقديم عرائض للملك حسين تطالب بنقل المخيمات . وشرح لهم الوزير « حسنات » هذا المشروع . وقد عارض قسم منهم هذا المشروع ووافق قسم آخر عليه .

(٣) اجتمع الوزير — الذي اخذ على عاتقه هذا المشروع — مع اركان الوزارة وعدد من مسؤولي وكالة الغوث في الاردن لدراسة هذا المشروع ، واقترح عليهم البدء بنقل بعض المخيمات للاغوار (الحصن ، جرش ، سوف) لتحسين ظروفهم المعاشية ، فاستقر البحث على مخيمي سوف والحصن . ومن المعروف ان هذه المخيمات تسمى لدى وزارة الانشاء والتعمير « بمخيمات طوارىء للنازحين » ، قسم من نزلائها مسجلون لدى وكالة الغوث كلاجئين وقسم منهم تقع على الدولة مسؤولية صرف مكافآت اعاشتهم من وكالة الغوث . واتفق في ذلك الاجتماع على البدء بدراسة نفقات نقل المخيمات ، وشكلت لجنة لهذا الخصوص .

(٣) كان تقرير اللجنة ان تكاليف نقل مخيم سوف للاغوار الجنوبية (غور الصافي) والحصن للاغوار الوسطى تكلف مبلغ ٢٥٢ الف دينار .

(٤) جرت مفاوضات لاحقة مع وكالة الغوث للاسهام في هذه العملية واسفرت المباحثات عما يلي :

— الوكالة غير مستعدة للمساهمة بعملية نقل المخيمات .

— ابدت الوكالة استعدادها في حالة نقل المخيم بكامله ان تنشىء له ادارة جديدة في مكانه الجديد واقامة الانشاءات والخدمات التي تقدمها الوكالة عادة لكل مخيم لاجئين . اما اذا نقل نصف المخيم او قسم منه فهي غير مستعدة لاقامة منشآتين لمخيم واحد في مكانين متباعدين .

(٥) وعليه ، فقد طلب الامير حسن القيام بعملية احصاء لسكان هذه المخيمات الثلاثة (الحصن ، سوف ، جرش) يرافقها سؤال استفتائي عن عملية نقل المخيمات يعرض على عائلات المخيمات. بدأت عملية احصاء هذه المخيمات في الفترة الواقعة بين ٢٠ — ٧٢/٥/٢٩ ، وقد اشترك في هذه العملية ١١ موظفا من وزارة الانشاء والتعمير و١٦ موظفا من طلبة المعهد الاحصائي بدائرة الاحصاءات العامة وجهاز موظفي الوكالة في المخيمين المذكورين. وتجمعت نتائج عملية المسح الاحصائي في الاستمارات بواسطة الحاسب الالكتروني (الكمبيوتر) بدائرة الاحصاءات العامة . وعدلت النتائج بناء على احصاءات مكتبية من وزارة الانشاء والتعمير وجداول الوكالة ، وكانت النتائج كما يلي:

	عدد السكان	عدد الاسر	نسبة الموافقين على النقل
مخيم الحصن	١٥٬٨٧١	٢٬٦٨٠	٥٣٫٢ ٪
مخيم سوف	٩٬٧٢٢	١٬٧٤٢	١٥٫٣ ٪
مخيم جرش	١٣٬٥١٢	٢٬٣٠٦	٪

عرضت هذه النتائج على الامير حسن شخصيا ثم

على مجلس الوزراء ، لدراسة خطوات التنفيذ اللاحقة ضمن خطة التنمية الثلاثية التي يجري اعدادها ودراستها ليل نهار في قصر الثقافة بمدينة الحسين الرياضية وبالاشراف والدوام المباشر من قبل الامير وعدد من منظري الخطة الجديدة وهم الدكتور خليل السالم ، د. تيسير عبد الجابر ، د. سعيد النابلسي ، د. اسامة العزب ، وعدد من الخبراء المتخصصين الاخرين ، والتي صرح للاعلام الداخلي في وزارة الاعلام الاردنية بالبدء بنشر انباء عن الخطة ، بدون اية تفاصيل للمشاريع او ذكر ارقام او حتى الخطوط العريضة للخطة منذ النصف الثاني من شهر تموز ١٩٧٢ فقط .

وعلى العموم فقد اظهرت نتائج المسح الاحصائي لهذه المخيمات ما يلي :

(أ) نسبة سكان مخيم الحصن :

(١) اللاجئين ٥٠ ٪ والنازحين ٣٨ ٪ وغير مبينين ١١،٤ ٪ . وهذه النسبة تشير إلى مسؤولية كل من الوكالة والدولة في تنفيذ نقل المخيم وتغطية نفقاته .

(٢) المناطق الاصلية التي كان يسكنها لاجئو المخيم ونازحوه سابقا .. وهي كما يلي : نسبة السكان من الضفة الشرقية الى مجموع عدد سكان المخيم ٢٩،٥ ٪ ، نسبة السكان من منطقة القدس ٣،٥ ٪ ، نسبة السكان من منطقة نابلس ٥٨،٢ ٪ ، نسبة السكان من منطقة الخليل ٠،٦ ٪ ، نسبة السكان من منطقة غزة ١ ٪ ، نسبة السكان من منطقة غير مبينة ١٠،٢ ٪ . ويلاحظ من هذا التوزيع ان نحو ٦٠ ٪ من سكان مخيم الحصن هم من قرى الاغوار الغربية ومناطقها خاصة منطقة طوباس وقرى منطقة نابلس الغربية . واظهرت الاحصائية ان نسبة عدد العاملين في المخيم بلغت ٨٦،٢ ٪ ، معظمهم يعمل في قطاع الزراعة (٥٥،٧ ٪) . واظهرت الاحصائية ان نسبة العاملين قد انخفضت في مخيمي سوف وجرش الى ٧٨ ٪ و٢١،١٢ ٪ على التوالي . كذلك انخفضت نسبة العاملين في الزراعة في هذين المخيمين الى ٣٩،٢ ٪ و١٢،٦ ٪ على التوالي ايضا . وذلك عائد الى طبيعة العمل السابق لسكان هذين المخيمين . ففي مخيم الحصن اكثرية من فلاحي الضفة الغربية لذا اظهرت الاحصائية نسبة اعلى في عدد العاملين خاصة في قطاع الزراعة .

(٣) بلغت نسبة الطلاب في مخيم الحصن الى مجموع سكان المخيم ١٩،٩ ٪ بينما بلغت في مخيم سوف ٢٥،٤ ٪ وذلك يرجع الى ان سكان مخيم الحصن اغلبهم من الفلاحين الذين يعملون مع عائلاتهم في مزارع القرى القريبة .

(٤) لوحظ انخفاض عدد سكان مخيم الحصن في هذا الاحصاء عن رقم احصائيات وكالة الغوث نظرا لتغيب عدد كبير من الاسر في اعمال الحصاد (كما ورد في تقرير لجنة المسح الاحصائي) ، وتواجدهم في مناطق الاغوار كعمال زراعيين في بعض المزارع الحديثة التي بدأت تنتج على اساس تجاري واستثمرت فيها رؤوس اموال كبيرة نسبيا .

(٥) يلاحظ كذلك ـ حسب ما ورد في الاحصائية ـ ان نسبة الموافقين على نقل سكنهم في مخيم الحصن اكبر من الموافقين على ذلك في مخيم سوف . يعود ذلك الى ما يقاسيه سكان هذا المخيم من بؤس العيش وهوان الارهاب والاذلال في ظل اوضاع البطالة والكساد الاقتصادي القائم في الاردن خاصة في مناطق الشمال . وتشير الاحصائية الى تقارب نسبة الموافقين على نقل المخيم الى مناطق الاغوار، الى نسبة العاملين في قطاع الزراعة . (٥٣،٢ ٪ عمال زراعيون ، ٥٥،٧ ٪ موافقون على النقل) . ولقد كان لانقطاع موارد حركة المقاومة عن سكان هذه المخيمات اضافة جديدة لاوضاعهم السيئة من ارهاب وسجون وترميجات وبطالة .

(ب) مخيم سوف :

(١) اظهرت الاحصائية ان نسبة سكان مخيم سوف من اللاجئين بلغت ٧٨،٣ ٪ والنازحين ٨،٨٪ وغير مبينين ١٢،٩ ٪ . وبالمقارنة مع نسب السكان في مخيم الحصن تبين ان غالبية سكان مخيم سوف هم من اللاجئين بينما نصف سكان مخيم سوف هم من النازحين . وهذه النسبة تشير الى ما ذكره الاستفتاء من نسبة الموافقين على النقل في هذا المخيم والتي بلغت ١٥ ٪ بينما بلغت في مخيم الحصن ٥٥،٧ ٪ .

(٢) كانت نسب قدوم اللاجئين والنازحين في المخيم من مناطق اقامتهم قبل حزيران ٦٧ كما يلي : الضفة الشرقية ٥،٥ ٪ ، الخليل ٢١،١ ٪ ، القدس ٣٩،٦ ٪ ، غزة ٢،٦ ٪ ، نابلس ١٨،١ ٪ . وبمقارنة هذه الارقام بمثيلاتها في مخيم الحصن يتبين ان هؤلاء اللاجئين النازحين مرة ثالثة هم

سكان مخيمات اصلاً في الضفة الغربية ، اي غير زراعيين ولهذا قلت نسبة العاملين في هذا القطاع من سكان المخيم عن مخيم الحصن . واضافة لذلك فلقد عطلت المؤامرات والقمع والارهاب طاقاتهم ، ولم تتح لهم طبيعة وتركيب النظام الاقتصادية ان يساهموا في تحسين اوضاعهم المعيشية .

(٣) بلغت نسبة العاملين في مخيم سوف ٦٨ ٪ بينما بلغت نسبة العاملين في مخيم الحصن ٦٨ ٪ اما العاملون في الزراعة في مخيم سوف ، فقد بلغت نسبتهم ٣٦ ٪ بينما بلغت في الحصن ٥٥،٧ ٪ .

(ويمكن الخروج بعدد من النتائج الاخرى لدى تحليل اوضاع هذين المخيمين في دراسة منفصلة ، ولكن سجلت هذه المؤشرات لالقاء الضوء على ما يمكن ان تسفر عنه عملية التهجير والتذويب التي تنتظرهم) .

الاجراءات المتوقعة :

(١) عرض وزير الانشاء والتعمير تقريرا مفصلا عن مسالة نقل المخيمات على الامير حسن ، وبحثت الاجراءات في لجنة الخطة الثلاثية وذلك في اوائل شهر حزيران من العام المالي ١٩٧٢ . كما عرض تقرير وزير الانشاء والتعمير على مجلس الوزراء . وحتى الان لم تظهر اية نتائج عملية ولم تتخذ اية اجراءات .

(٢) ستتضح الصورة الكاملة من خلال الخطة الثلاثية (خطة التنمية) والمشاريع التي ستقرها في هذا المجال ، وما ستسفر عنه الندوة العالمية التي سيدعو لها الملك حسين ممثلي الدول والاحتكارات والممولين الغربيين لدراسة المشاريع على الطبيعة ، وذلك لتقديم « المساعدات » اللازمة لاردنة الضفة الشرقية وتحديثها كما تحدثنا في البداية .

(٣) لوحظ في خطاب اخير لرئيس الوزراء الاردني احمد اللوزي ، تركيزه « على ضرورة اعمار وزراعة الاراضي الاردنية حتى تصبح جنة وتعطي الخير للبلاد ، وضرورة زراعة الاغوار والجبال وكافة مناطق البلاد . وحتمية ان يعمل الكل بالزراعة حتى نحن الاعيان والنواب والوزراء وانا شخصيا ، نحمل الفاس ونزرع » . وركز اللوزي على ضرورة توفير الايدي العاملة في الزراعة .

ثانيا : مشروع اعمار وادي الاردن وتطويره :

كان اخطر ما تضمنته خطة التنمية الثلاثية ، مشروع تطوير الاغوار . حيث يرتبط هذا المشروع كليا بمخطط نقل المخيمات واستيعاب الفلسطينيين وتذويبهم في الضفة الشرقية . وقد احاطت الحكومة الاردنية هذا المشروع بسرية كاملة باستثناء السفارة الامريكية في عمان وبعض خبراء التخطيط . وفي شهر ايار من العام الحالي حضر خبير امريكي في شؤون التنمية والتمويل الى الاردن موفدا من حكومة الولايات المتحدة لدراسة المشروع على الطبيعة ، واسم هذا الخبير (اليوت) . ولوحظ يوم ٧٢/٧/٦ وفي نشرة الساعة الثامنة في تلفزيون عمان صورة للامير حسن مع السفيرين الامريكي والالماني وعدد من خبراء لجنة الخطة الذين تدارسوا مشروع تطوير الاغوار ضمن الخطة الثلاثية للتنمية ، وذكر المذيع ان الامير دعا السفيرين والخبير الامريكي (اليوت) لدراسة المشروع على الطبيعة . وقيل في النشرة : لاقناع هذه الدول بتمويل المشروع .

ان الخطوط العريضة لهذا المشروع تتضمن ما يلي :

(١) تمديد قناة الغور الشرقية ١٨ كيلومترا الى الجنوب . (٢) انشاء شبكات توزيع مياه سد الزرقاء واستصلاح ١٠٠ الف دونم . (٣) انشاء مشاريع خدمات واسكان وطرق في مناطق الغور ، بحيث يصل عدد سكان الاغوار خلال الثلاث سنوات القادمة (مدة الخطة) الى ما بين ١٢٠ — ١٧٠ الف نسمة . (٤) قدرت نفقات تمويل المشروع بـ ٢٥ مليون دينار . رصد منها لمشاريع المياه ١٤ مليون دينار ، وللزراعة ٥،٥ مليون ، وللتنمية الاجتماعية ٥،٥ مليون دينار كذلك . والمقصود بالتنمية الاجتماعية هنا بناء وحدات سكنية ومدارس ومراكز صحية وشوارع وكهرباء ... الخ(١) .

في مجال مشاريع الاسكان تتضمن الخطة ما يلي :

(أ) اعادة بناء القرى المهجورة واعادة سكانها اليها حيث قدرت الوحدات السكنية في هذه القرى

---

(١) قال احمد اللوزي رئيس الوزراء الاردني في خطاب القاه امام وفد من أهالي الكرامة :

« انه بتوجيهات من جلالة الملك حسين فقد تقرر اعداد خطة لتنظيم منطقة الاغوار ، ومن ضمنها بلدة الكرامة ، بهدف انعاش المنطقة ، وتزويدها بكافة الخدمات الضرورية من ماء وخدمات صحية وثقافية واجتماعية وغيرها » . صحيفة **الرأي الاردنية** ١٩٧٢/٦/٣٠ .

بـ ٥٤٠٠ وحدة سكنية . (ب) بناء ٧٢٠٠ وحدة سكنية جديدة تكاليف كل وحدة منها ٣٣٠ دينارا . (جـ) كل وحدة سكنية لها وحدة زراعية مناسبة تعمل فيها الاسرة الجديدة (المشروع للاغوار الوسطى والجنوبية فقط في هذه المرحلة) .

وهكذا تتضح اول معالم الخط السياسي الجديد في الاردن وخطوطه من خلال هذا المشروع التآمري الذي قدر له ان يستوعب ما بين ١٢٠ — ١٧٠ الف لاجيء فلسطيني ينتظر ان يقتلعهم النظام من مناطق سكنهم الحالية حول عمان والمدن الاخرى ، في محاولة لابعاد خطرهم الذي يشكله تواجدهم القريب من مناطق عصب السياسة (العاصمة والمدن) .

وفي الوقت الحالي فان وزارة الداخلية للشؤون البلدية والقروية بالتعاون مع اجهزة الدولة الاخرى ذات العلاقة ، تحاول التوصل الى معرفة الاماكن الجديدة التي نزح اليها سكان هذه المناطق بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وخاصة من الشرق اردنيين ، في محاولة لاعادة هؤلاء الى بيوتهم بالقوة(٢). ومما يلفت النظر ان افرادا في الاسرة الملكية اعترضوا على اعادة بناء الكرامة في موقعها القديم ، بحجة ان اراضي المنطقة هي ملك للملك عبدالله حيث تملكها منذ عام ١٩٢٢ وبنى هناك قصره الشهير (المشتى) الذي كان يقضي فيه اشهر الشتاء مع وزارته وحاشيته على غرار القصور الاموية في الازرق والصحراء الاردنية في القرن الثامن . ونتيجة لاحتجاج العائلة المالكة فقد أمر ولي العهد بتعديل موقع الكرامة الى موقع جديد. ذكرت جريدة الرأي الاردنية يوم ١٩٧٢/٨/٨ : « ان الاقتراح كان ببنائها غربي موقعها القديم ، غير انه استقر الرأي اخيرا على بنائها في سفوح الجبال شرقي موقعها السابق » . وتعطي هذه المسألة في جملة ما تعطيه مؤشرا جديدا لدخول افراد العائلة المالكة مجال سلب فلاحي الاغوار والعمال الزراعيين فيه حقوقهم في الارض التي زرعوها منذ ٥٠ سنة . ومن جملة ما يذكر في هذا الصدد ان وصفي التل كان قد اقطع الشريف حسين بن ناصر عندما تولى وصفي التل الوزارة مساحة ٤٠٠ دونم في الغور الاوسط قرب جسر اللنبي غربي الكرامة ، وهذه المنطقة من اجود المناطق الزراعية في الاغوار . وكان حسين بن ناصر قد اقطع وصفي التل مساحة ٣٠٠ دونم في الغور الشمالي قرب اربد حينما تولى الاول الوزارة عام ١٩٦٤ . كما ان هناك الكثير من الاقطاعيات لرجال الحكم وافراد من الاسرة المالكة في هذه المنطقة . وهذا كله يشير الى نتيجة واحدة ، هي ان هذه الاراضي بحاجة لمن يفلحها . فهل تتوفر الايدي الزراعية «الماهرة» من غير فلاحي المخيمات الذين سينقلون الى هذه المناطق ؟ ان الاجابة على هذا التساؤل تشير بوضوح الى معالم هذه المؤامرة الجديدة . ويذكر بعض المطلعين على حيثيات هذا المشروع المؤامرة ان حكومة الولايات المتحدة الامريكية قد كلفت سفيرها في عمان ابلاغ الحكومة الاردنية موافقتها على تمويل هذا المشروع كاملا وبدون تحفظ وذلك قبل ان تجري بعض الامور الشكلية على هذا المشروع ، مثل اقراره بارادة ملكية وعرضه على الممولين لاجراء مناقصة عليه .

---

(٢) كان اهالي قرية الشيخ حسين الموجودة في منطقة الاغوار قد تركوا قريتهم بعد حرب حزيران على اثر ما تعرضت له القرية من اعتداءات اسرائيلية . والان تحاول السلطة الاردنية اعادة سكانها المقيمين في قرى مجاورة اليها من طريق القوة . ولا شك ان الثبات في الارض والصمود بوجه العدوان ضرورة وطنية ولكنها لا تتم بغير الاقناع المستند الى توفير الحماية لهؤلاء المواطنين ، لكن الذي يجري هو العكس ، حيث شاهد الاهالي تردد الجنود الاسرائيليين على بيت المختار (تمار الصالح العواد) والسهر عنده وتطمينه بضرورة احضار اقاربه لانه لن يكون هناك خطر عليهم . وحينما اشتكى هؤلاء الى السلطة رفضت شكواهم واعتبرتهم من المشاغبين .

ثلاثة آراء حول
مؤتمر الكتّاب والصحافيين الفلسطينيين

ثلاث وجهات نظر حول المؤتمر الاول للاتحاد العام للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين ، تنشرها « شؤون فلسطينية » وهي معنية اساسا بامرين :
الامر الاول : حرصها الدائم على ان تسجل وقائع كل مؤتمر فلسطيني ، او على علاقة بالقضية الفلسطينية ، كوثيقة يمكن الرجوع اليها فيما بعد من قبل الباحثين والدارسين .
الامر الثاني : حرصها على الموضوعية في المعالجة ، هذه الموضوعية التي تستدعي ، تجاه مؤتمر الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، فسح المجال امام اكثر من وجهة نظر ، بسبب ما أثير حوله من انتقادات وملاحظات .
ونحن نحرص دائما على تسجيل هذه الوقائع ، حتى في زحمة الاحداث السياسية ، كي لا تضيع ، وكي لا يطغى عليها النسيان . هذا وقد كتب كل من الاخوان رأيه دون ان يطلع على ما كتبه الآخران .

(١) بلال الحسن

شهدت بيروت في السادس من أيلول ١٩٧٢ انعقاد المؤتمر الاول للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، الذي اثيرت حوله قبل ان يعقد ، وأثناء انعقاده ، وبعد أن انهى اعماله ، سلسلة من المناقشات والانتقادات ، كانت لهـا دوافع متناقضـة .

قبل الانعقاد كانت هناك مشكلة اتحاد الكتـاب الفلسطينيين القديم في القاهرة .

واثناء الانعقاد برزت مشكلة عضويـة المؤتمـر وطريقة تكوينه .

وبعد الانعقاد تركز النقد حول الأمانة العـامة الجديدة ، ومـدى تمثيلهـا للكتّـاب والصحفيين الفلسطينيين .

وسنحاول هنا استطلاع الاطار العام للمناقشات التي دارت حول هذه القضايا .

اتحاد القاهرة :

من المعروف ان دائرة التنظيم الشعبي في منظمـة التحرير الفلسطينية هي التي تشرف على كـافة الاتحادات الفلسطينية ، انطلاقا من ان هـذه الاتحادات تعتبر نفسها قاعدة من قواعد منظمـة التحرير . الا ان العلاقة بين اتحاد الكتـاب في القاهرة وبين دائرة التنظيم الشعبي لم تكن منذ البداية ، علاقة ايجابية ، ويعود ذلك الى اسباب عدة منها :

١ ــ ان اتحاد الكتاب في القاهرة لم يكن يمنـح منظمة التحرير التأييد التي تمنحه لها الاتحادات الفلسطينية الاخرى . بل كان على العكس من ذلك مركز تجمع لعناصر معارضة ذات دوافع لا يمكن الركون اليها .

٢ ــ ان عضوية الاتحاد ، كانت محدودة جدا ، بحيث يصح التساؤل اذا كان هذا الاتحاد يمثـل الكتاب الفلسطينيين ام لا ؟

٣ ــ ان نشاطات الاتحاد كانت شبه مجمدة ، حتى يمكن القول انه لم يكن له وجود فعلي .

وفي عام ١٩٧٠ حاولت دائرة التنظيم الشعبـي تشكيل اتحاد جديد للكتاب والصحفيين الفلسطينيين وجرى تشكيل لجان تحضيرية في اكثر من بلد عربي ، بل أن انتخابات جرت في عمان لهذا الغـرض ، ثم ما لبثت دائرة التنظيم الشعبي أن اتخذت قرارا بالغائها . ومع بدايات عام ١٩٧٢ برزت الفكرة من جديد ، واتخذت دائرة التنظيم الشعبـي ، ودائرة الاعلام في المنظمة قرارا بتشكيل لجنـة

تحضيرية مهمتها الاعداد لعقد مؤتمر عام .

هل كان هذا القرار يعني حلا للاتحاد القديم في القاهرة ؟ لقد نشرت رسميا معلومات تقول ان قرارا بالحل قد اتخذ ، ثم تمت اجراءات تدل على العكس . خبر الحل نشرته جريدة فتح بعد وفاة السيد خيري حماد الأمين العام للاتحاد . والاجراءات التي تدل على عكس ذلك ، تمت حين اعتبر اعضاء الامانة العامة لاتحاد القاهرة اعضاء في اللجنة التحضيرية لعقد المؤتمر الجديد، وذلك بعد مناقشة جرت في اللجنة التحضيرية ، رأى فيها اعضاء اللجنة ان مهمتهم ليست هدم اتحاد موجود ، بل بناء اتحاد يعبر فعلا عن القاعدة العريضة للكتاب والصحفيين الفلسطينيين. وقد استجاب لهذه الدعوة عدد من اعضاء الامانة العامة لاتحاد القاهرة ، بينما رفضها عدد اخر منهم . الذين استجابوا للدعوة شاركوا في الجلسات الاخيرة للجنة التحضيرية ومناقشاتها . والذين رفضوا الدعوة ، عقدوا المؤتمر الثالث لاتحاد الكتاب في القاهرة ، وانتخبوا السيد « عوده بطرس عوده » امينا عاما جديدا ، وذلك في شهر آب الماضي .

وقبل أن يعقد المؤتمر العام الجديد في ٦ ايلول ، جرت محاولة أخيرة لحل الخلاف القائم ولكن السيد عوده رد على هذه المحاولة برسالة الى اللجنة التحضيرية يعلن فيها انه لا يعارض عقد مؤتمر بيروت اذا اقتصر على ان يكون مؤتمرا للصحفيين الفلسطينيين ، على أن يبقى اتحاد القاهرة اتحادا للكتاب . ولكن هذا الاقتراح رفض ، وتقرر عقد المؤتمر بتاريخه المحدد ، على أن يكون مؤتمرا للكتاب والصحافيين ، يستمد شرعيته من قاعدته العريضة ، ومن اعتراف منظمة التحرير به .

اللجنة التحضيرية :

وهنا لا بد ان نقف قليلا عند أعمال اللجنة التحضيرية لنقيم ما انجزته بصدد التحضير للمؤتمر. لقد بذلت اللجنة جهدا ملحوظا لاعداد الوثائق الاساسية اللازمة لمؤتمر تأسيسي ، وأجرت الاتصالات اللازمة مع الاتحادات المماثلة ، عربيا ودوليا ، لتشارك في المؤتمر . واتخذت تجاه بعض القضايا الاساسية ، قرارات واعية ، كان أبرزها موضوع العضوية . ففي هذا الموضوع خرجت اللجنة عن الاعتبارات التقليدية ، واقرت شروطا نضالية للعضوية تمثلت في بندين :

البند الاول : فتح مجال العضوية امام العاملين في مؤسسات حركة المقاومة الاعلامية ، البعيدين عن الضجيج ، وغير المعروفين على صعيد الصحف والاعلام العلني والتجاري .

والبند الثاني : فتح مجال العضوية امام العرب العاملين في أجهزة الاعلام الفلسطينية انطلاقا من أن الانتماء للعمل الوطني الفلسطيني هو انتماء نضالي ، وليس انتماء بالجنسية فقط .

وعند مناقشة الاعتبارات التي ستحكم تشكيل الامانة العامة للاتحاد أقرت اللجنة التحضيرية ، انه لا بد من مراعاة التوزع الجغرافي للكتاب والصحفيين الفلسطينيين كما لا بد من مراعاة التيارات السياسية بين صفوفهم ، ولكنها أقرت قبل ذلك كله ، ان عنصر الكفاءة لا بد ان يكون المقياس الاول سواء في مراعاة موضوع التوزع الجغرافي ، او التيارات السياسية .

ولكن اللجنة التحضيرية ارتكبت في المقابل خطأين أساسيين :

الخطأ الاول : تمثل في مستوى الابحاث التي اعدت للمؤتمر ، والتي لم يجر التفكير فيها الا في آخر لحظة ، بحيث جاءت هذه الابحاث، السياسية منها والادبية ، ادنى بكثير مما هو مطلوب من مؤتمر تأسيسي للكتاب والصحفيين ، يفترض فيه أن يكون قاعدة للتوجيه والتطوير ، وليس مجرد اداة لتكرير الافكار الشائعة . ولم يكن ليليق بالمؤتمر ان يكون التقرير السياسي الوحيد الذي طرح فيه للمناقشة متخلفا مثلا عن التقرير الذي قدم للمؤتمر الشعبي الفلسطيني .

الخطأ الثاني : تمثل في رضوخ اللجنة التحضيرية لضغوط المنظمات ، وقبولها تشكيل لجنة خماسية تمثل منظمات اللجنة التنفيذية ، للبت في عضوية المؤتمر ، وفي الواقع فان تشكيل هذه اللجنة وتحديد مهمتها ، تم باتصالات فردية ، ومن وراء ظهر اللجنة التحضيرية . وما عرف عن مهمتها من قبل اعضاء اللجنة التحضيرية، انها جاءت للمساعدة فقط وحتى أسماء اعضاء هذه اللجنة الخماسية ، لم تكن معروفة لعدد كبير من اعضاء اللجنة التحضيرية ، بل ان بعض اعضاء اللجنة التحضيرية لم يكن يعرف بوجودها أصلا .

على يد اللجنة الخماسية ، التي شكلت للمساعدة كما قيل ، تم اعداد لائحة العضوية ، وهنا بدأ

الاشكال الحقيقي حول المؤتمر . فقد انطلقت هذه اللجنة من المبدأ النضالي الذي أقرته اللجنة التحضيرية والقائل بحق العاملين في أجهزة الثورة الاعلامية بالانضمام الى عضوية الاتحاد والمؤتمر، لتجعل منه بابا للتنافس البعيد عن الروح النقابية السليمة ، وغير الحريص على بنية الاتحاد الداخلية ، فقد كان هم ممثلي المنظمات ان يحصلوا على أكبر عدد من الاصوات التي تمثلهم في المؤتمر ، سواء أكانت هذه الاصوات تنطبق عليها شروط العضوية ام لا ، ولذلك شهدت قاعة المؤتمر حشدا كبيرا من أعضاء المنظمات لا يمتون بصلة الى عالم الكتابة ، بكافة أشكالها . وكان لا بد لهذه القضية الهامة والاساسية ان تعكس نفسها على كافة اعمال المؤتمر ، على مستوى مناقشاته، ثم على طبيعة تشكيل الامانة العامة ، واخيرا على اسلوب انتخابها . ومنذ اللحظات الاولى لانعقاد المؤتمر ، كانت طبيعة تشكيله ونمط العضوية فيه ، حديث الجميع ، ومركز الاستقطاب في انتقاداتهم . ونتيجة لهذا الجو السائد ، فقد تركز اهتمام عدد كبير من أعضاء المؤتمر على مناقشات لجنة النظام الداخلي ، وحاولوا جهدهم اعادة صياغة البنود التي تتعلق بعضوية الاتحاد بصورة دقيقة تضع حدا لاي تلاعب بها في المستقبل يخرجها عن حدودها النقابية السليمة ، على أن تكون من اولى مهمات الامانة العامة بعد انتخابها، اعادة النظر بعضوية الاتحاد بناء على شروط العضوية المقرة .

الامانة العامة :

واذا تغزنا عامدين عن مستوى المناقشات التي تمت في المؤتمر ، وعن مستوى التوصيات التي اتخذت، لنصل مباشرة الى قضية الامانة العامة ، فسنجد أنفسنا مباشرة ، امام القضية التي كادت ان تفجر المؤتمر ، بسبب الافق الضيق الذي عولجت به سياسيا ونقابيا . فكما تحكمت لجنة الخمسة التي تمثل المنظمات بعضوية المؤتمر ، تحكمت مرة اخرى بتشكيل الامانة العامة . فقد التقت هذه المنظمات ، واتفقت فيما بينها على أمانة عامة مشكلة من خمسة عشر عضوا ، كان واضحا تماما أنها اختيرت بناء على قاعدة واحدة ، هي توازن القوى (قوى الاصوات) بين المنظمات ، دون أن تأخذ بعين الاعتبار نوعية المؤتمر ، كمؤتمر للكتاب والصحفيين ، ودون أن تلتزم بالقرار الذي اتخذ في اللجنة التحضيرية ، والذي من على أن تكون الكفاءة هي المقياس الذي يعتمد في الحوار حول طبيعة تشكيل الامانة العامة للاتحاد . والقاعدة التي اتبعت في تشكيل الامانة العامة كانت كما يلي: حدد لكل تنظيم ان يعين عددا من اعضائه حسب نسبة اتفق عليها ، وان يعين بالاضافة الى ذلك مستقلا يختاره هو . ولما كانت التنظيمات لا تملك بين اعضائها او بين المستقلين المقربين اليها اسماء تتمتع بالكفاءة اللازمة ، فقد جاء تركيب اللائحة معبرا عن توازن القوى التنظيمي ، وبعيدا كل البعد عن التعبير عن الكتاب والصحفيين. ولتوضيح الجو العام الذي ساد في مناقشات الكواليس ، يكفي أن نذكر ان لجنة الخمسة ناقشت لمدة طويلة ترشيح الشاعر محمود درويش للامانة العامة ، ثم كان قرار الاغلبية بالرفض ، وخلت القائمة من كتاب وصحافيين مرموقين لانه لم يوجد تنظيم يقترح ترشيحهم . وبناء لذلك تشكلت القائمة المقترحة على الشكل التالي :

— ٣ اعضاء لفتح ومستقل تختاره .

— ٢ اعضاء للصاعقة ومستقل تختاره .

— عضو واحد لكل من الديمقراطية والشعبية وجبهة التحرير العربية ، اضافة الى مستقل تختاره .

— عضوان من المستقلين .

وقد أثار تشكيل هذه القائمة ، ضجة واسعة في اوساط المؤتمر ، وتمثل الرد عليها بتقديم قائمة اخرى ، تجمع بين اسماء الكتاب الفلسطينيين المعروفين ، وأسماء ممثلي المنظمات ، لتحقيق تزاوجا بين العامل السياسي والعامل النقابي في تشكيل أي مؤسسة نقابية ، كما تمثل الرد عليها بترشيحات فردية اخرى . ولكن كان واضحا بشكل مسبق أن القائمة المقرة من قبل المنظمات هي التي ستفوز بحكم طبيعة تشكيل المؤتمر التي تحدثنا عنها ، وبالفعل فقد فاز بالانتخابات ١٣ عضوا من أصل ١٥ من اعضاء القائمة ، ولم يفز من الاسماء المرشحة خارجها الا غانم زريقات والدكتور أنيس صايغ (وحل محمود درويش محل بلال الحسن الذي انسحب من القائمة) .

وقبل أن تعلن نتائج الانتخابات بصورة نهائية ، تبين أن المنظمات بالرغم من اتفاقها على قائمة موحدة ، الا أنها قامت بعملية تلاعب على بعضها

البعض ، أدى الى سقوط ممثلتي الصاعقة الثلاثة ، وكان من الواضح ان اعلان القائمة بهذا الشكل سوف يثير ازمة سياسية بين المنظمات ، قد لا تقتصر على الاتحاد ، لتسحب نفسها على مجالات اخرى للوحدة الوطنية . ولحل هذه الاشكال تصرفت بعض جهات المؤتمر على الشكل التالي :

١ — طلبت من السيد رشاد ابو شاور ان يسحب ترشيحه ليفوز مكانه السيد فايز قنديل من الصاعقة ، الموازي له بالاصوات .

٢ — طلبت من الدكتور انيس صايغ ان يعلن استقالته !! ليصبح في القائمة فراغ يسمح بادخال ممثل آخر للصاعقة . وقد أعلنت استقالة الدكتور انيس صايغ ، رغم انه رفض الاستقالة . ثم طلبت من السادة عبدالله حوراني، وزهدي النشاشيبي، سحب ترشيحهما (وكان ترتيبهم بالاصوات يلي آخر الناجحين) حتى يفسحوا المجال لنجاح السيد عبد الرحمن غنيم ، كممثل للصاعقة .

وقد رفضت الصاعقة هذه التسوية ، واعتبرتها مهينة لها ، واصدرت بناء على ذلك بيانا يعلن انسحابها من الامانة العامة ، ثم قيل ان اللجنة التنفيذية شكلت لجنة للمصالحة ، قررت الصاعقة على اثرها أن تعود وتسهم في عضوية الامانة العامة للاتحاد . ونتيجة لكل هذه الاشكالات لم تعلن رسميا حتى الان اسماء اعضاء الامانة العامة ، ولا تشكيلاتها الداخلية التي تمت بعد الاجتماع الاول الذي عقدته ، والتي انتخب فيها السيد ناجي علوش أمينا عاما للاتحاد .

ملاحظات لا بد منها :

لقد تعمدنا حتى الان ان نقف عند الوقائع ذات الدلالة ، وان نسردها كما حدثت بكل ما يترتب عليها من تقييمات . الى جانب الوقائع لا بد من وقفة قصيرة لمناقشة بعض الحجج التي اثارتها الاشكالات التي احاطت بهذا المؤتمر .

ومن اهم هذه الاشكالات قضية البنية النقابية للاتحاد . فهناك تيار داخل المؤتمر هلل للوضع الذي ساد انطلاقا من القول بأن المهمة النقابية هي مهمة سياسية بالدرجة الاولى ، وان الالحاح على الجانب النقابي يقود الى الغرق في النضال المطلبي « الاقتصادي » الذي يبعد النقابة عن المجرى الثوري للنضال . وفي ظروف العمل النقابي الفلسطيني ، فان التركيز على الجانب السياسي فيه ، ضرورة يفرضها الواقع النضالي اليومي . وينطلق أصحاب هذا التيار من هذا الراي ليبرروا تصرف المنظمات الذي تم سواء في تشكيل المؤتمر أو في انتخابات الامانة العامة . ولكن هذا المنطق السليم نظريا (والمأخوذ من الكتب بانتقان) يتجاهل اوليات العمل السياسي للنقابة او الاتحاد ، سواء كان اتحادا للكتّاب او العمال او الطلاب ، هذه الاوليات التي تفرض ، يكون هناك **جسم نقابي** اولا ، حتى يستطيع هذا الجسم النقابي ان يناضل من أجل مهمات سياسية محددة، وان يكون نضاله حين يتم تعبيرا عن قطاع اجتماعي معين ومحدد وصاحب مصلحة في تشكيل الاتحاد ومواقفه السياسية . أما حين يتم بناء الاتحادات بطريقة فوقية من جهة ، وحسب شروط لا تبلور جسما نقابيا يعبر عن قطاع اجتماعي محدد من جهة اخرى ، فان الوصول الى النضال السياسي المطلوب من النقابة او الاتحاد يصبح مطلبا عزيزا لا يمكن نواله . ونجد انفسنا في النهاية امام قيادة عليا (أمانة عامة أو أي اسم آخر) لا تمثل الا نفسها ، ولا تعبر في مواقفها السياسية الا عن اجتهادات أعضائها . وحين اباحت المنظمات لنفسها ان تشكل عضوية الاتحاد والمؤتمر بطريقة لا تمت الى النقابية بصلة ، حكمت على النضال السياسي المطلوب من الاتحاد ان يكون نضال بيانات تعبر عن اشخاص الامانة العامة ، لا نضال مواقف تعبر عن قطاع اجتماعي يلتف حولها .

وهذه الظاهرة في العمل النقابي التنظيمي ، تكاد أن تكون ظاهرة عامة وهي تعبر عن نفسها بمظهر بسيط يتكرر باستمرار ، حين يكون عدد المنتخبين في كل اتحاد من الاتحادات الفلسطينية يفوق المئات بينما لا يتجاوز عدد العاملين فعلا في هذه الاتحادات اشخاصا معدودين . واذا كان هذا المنهج قد فرض نفسه حتى الان على الاتحادات الفلسطينية الاخرى فقد كان المطلوب بداهة ان يكون اتحاد الكتاب والصحفيين ، اي الاتحاد الذي يفترض فيه ان يكون مركز التوجيه والتثقيف الجماهيري ، ميدانا لبلورة تجربة نقابية سليمة تكون قدوة للاتحادات الفلسطينية الاخرى ، تسعى للنسج على منوالها ، حتى يمكن الارتفاع بمستوى العمل النقابي الفلسطيني . ولكن الذي حدث ، كان تكريسا للتقاليد السائدة ، وارتياحا لاساليب العمل التي تنتجها . وتحت ستار الضرورات

السياسية جرى اغتيال الاولويات النقابية ، التي لا يمكن لعمل سياسي ان يعيش بدونها .

ومن الاشكالات الاخرى التي اثارها المؤتمر قضية « الكفاءة » . فقد برز تيار يقول أن هناك من يتحمس للكفاءات مأخوذا بعنصر الشهرة فقط متجاهلا التيار الواسع من الكتاب الثوريين غير المعروفين على نطاق جماهيري وأن امانة عامة تتشكل من الكفاءات هي أمانة عامة لا تعمل . لقد اراد هذا التيار في مناقشاته ان يضع الكفاءة مقابل الثورية وان يوجد بينهما تناقضا مبدئيا ، وهو منطق اضعف من أن يناقش او ان يرد عليه ، خاصة في ميدان الكتابة ، وكأن هناك من يريد ان يحكم سلفا على أن كل كاتب فلسطيني استطاع أن ينتزع اعترافا بكفاءته ، وان يحقق عن طريق هذه الكفاءة شيئا من الشهرة ، هو كاتب فقد ثوريته ، بل أنه يقف عقبة أمام نمو اجيال جديدة من الكتاب والصحفيين. ولعل افضل ما ينقض هذه الحجة المناقشات التي جرت في الكواليس مع ممثلي المنظمات وركزت على اهمية الجانب السياسي في تكوين الامانة العامة ، بل على اهمية ان تكون الاغلبية فيها للمنظمات ، شرط أن يتوفر في عضوية الامانة العامة عدد من الكتاب والصحفيين الذين تؤهلهم كفاءتهم وان يؤهلهم التزامهم الوطني لاحتلال هذا المنصب ، ولكن هذا الاقتراح رفض امام صراع التوازن بين المنظمات الفدائية ، التي كانت منشغلة بالجانب « التنظيمي » ، وليس السياسي ، في تشكيل الامانة العامة .

اقتراح اخير :

على ضوء هذه الصورة لواقع المؤتمر العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، لا نستطيع ان نجد مخرجا لازمته الا بالعمل على تحقيق الامور التالية :

اولا : ان تتحول الامانة العامة المنتخبة الى لجنة تحضيرية لمؤتمر عام جديد .

ثانيا : ان تعيد الامانة العامة ، بعد أن تتحول الى لجنة تحضيرية ، النظر في عضوية الاتحاد ، مطبقة في ذلك شروط العضوية المحددة كما اقرتها لجنة النظام الداخلي .

ثالثا : ان تجري الدعوة لعقد مؤتمر ديمقراطي ، في وقت قريب ومناسب . تتحقق فيه الشروط النقابية للعضوية، حتى يصبح للبحث في الاعتبارات السياسية ، التي لا يجوز انكارها ، معنى ثوري حقيقي .

وبدون ذلك ، فان المؤتمر الذي عقد ، والامانة العامة التي انتخبت ، لا تعبر عن الكتاب والصحفيين الفلسطينيين . وهي امانة عامة مطعون بشرعيتها ، قبل أن يكون هناك طعن بكفاءتها في تمثيل هذا القطاع الفلسطيني الهام .

(٢) شفيق الحوت
ثلاث ملاحظات واربع نتائج !!

الثورة ، اية ثـورة ، هي في الاساس رفـض للواقع ، يتم التعبير عنه بأسلوب ثوري قادر على تجاوز الواقع المرفوض ، وتحقيق « واقع » جديد اكثر ملاءمة وتطابقا مع اهداف الثوار .

والثورة عملية مستمرة ومتصاعدة ، بمعنى أنها ترفض — كذلك — الوقوع في أسر منطق مرحلة من مراحلها وتكريسه منطلقا خالدا وواقعا دائما .

فمثلا ، اذا كان التعدد في فصائل الثورة قد اعتبر ظاهرة صحية في مرحلة من مراحل النضال ، فهذا لايعني التمسك بهذه المقولة عن هذه « الظاهرة الصحية » الى أبد الابدين ، وتكريس التعدد بناء عليها . بل أن ما يمكن اعتباره في مرحلة مـا ظاهرة ايجابية ، قد يصبح بعد تطـور ظروف النضال السياسية ظاهرة سلبية ، وربما قاتلة .

وهذا ليس « اختراعا » ثوريا جديدا نحاول ادغاءه او فرضه ، بل ان هذا في حقيقة الفكر الثوري ليس سوى بديهية اولية في ابجدية «النظرية والتطبيق» في الكفاح الثوري .

وعندما نسلم بهذه البديهية ، ولا خيار لاحد الا التسليم بها ، فاننا عندئذ نستطيع ان ننقد اي جانب من جوانب نشاطنا بايجابية الثوار ، وبابتعاد كامل عن العواطف الشخصية ، فردية كانت ، ام تنظيمية ، وبالتالي نكون بنقدنا هذا ادينا واجبا ثوريا مطلوبا من كل عامل في الثورة ، مهما كان موقعه فيها .

بهذا المنظار وهذه الروحية ، فاننا نتعرض للمؤتمر العام لاتحاد كتاب وصحفيي فلسطين وما ترتب عليه من نتائج ، بهدف تطوير اجهزة منظمة التحرير الفلسطينية والارتقاء بها شيئا فشيئا الى المستوى الثوري المنشود .

ان جميع المعنيين بشؤون التنظيمات السياسية ، والثورية منها بشكل خاص ، يعرفون تمام المعرفة ان الهدف الاساسي من انشاء الاتحادات المهنية والنقابية والتنظيمات الشعبية ، هو استقطـاب اوسع القواعد الشعبية — وبشكل خاص غـير الملتزمة بتنظيمات سياسية محددة — الى الاطار السياسي العام الذي تقوده تلك التنظيمات تحت راية الثورة . لانه من طبيعة التنظيمات السياسية، ولا سيما الثورية ، بسبب ظروف النضال السري، ان تكون محدودة العدد . وكي تنتشر رسالتهـا الثورية بين الجماهير ، التي هي اولا واخيرا اداة الثورة الراسخة ، فان الاتحادات المهنية والشعبية وجدت لتقوم بهذه المهمة الثورية الاساسية .

هذه كذلك ، بديهية اخرى من بديهيات النضـال التنظيمي ، التي لا يختلف عليها اثنان ، وأي ممارسة تناقض هذه البديهية تسيء من غير شك للثورة ولا تعطي الا مردودا سلبيا .

فماذا جرى بالنسبة لاتحاد كتاب وصحفيي فلسطين، على ضوء هذه البديهية التنظيمية ؟

وسنوجز في ملاحظاتنا لسببين ، رغم الحاح الحاجة للتفصيل .

الاول : ان « شؤون فلسطينية » طلبت الايجـاز وحددت مساحة التعليق .

الثاني : أن الكثير من التفاصيل المطلوبة ليست سرا على احد ومعروفة بشكل او بآخر للمهتمين بشؤون الاتحاد .

● الملاحظة الاولى : ان قضية الاتحاد « السابق » بقيت ولا تزال معلقة من حيث الغاؤه او الابقاء عليه . وهذا تقصير من قيادة المنظمة التي كـان عليها أن تحسم بالقضية تلافيا للبلبلة والازدواجية. ومما زاد في القضية تعقيدا ان في قيادة المنظمـة تناقضا في الموقف حول هذا الموضوع وصل حـد المكاتبات الرسمية المتناقضة .

● الملاحظة الثانية : ان قيادة المنظمة ، ممثلـة بمن مثل المنظمات المتعددة — اللجنة التحضيرية — لجأ في طرحه لموضوع انشاء الاتحاد الجديد الى الاسلوب التقليدي الذي شل او يكاد ، كـل الاتحادات التابعة للمنظمة . وهـو الاسلـوب التوفيقي ، الذي يركز على المنظمات وتمثيلها ، ضاربا بعرض الحائط الاغلبية الساحقة من غير المنتمين تنظيميا ، والملتزمين بالثورة مـن ابنـاء الشعب .

● الملاحظة الثالثة : وبسبب الاسلوب التوفيقي اولا ، وانطلاقا من فقدان الثقة بين المنظمات ، فقد عمدت اللجنة التحضيرية لتنسيب اعضـاء

للاتحاد بالجملة ودون اي اعتبار لشروط المعنوية ، مما افقد الاتحاد قيمته النوعية . والنوعية في اتحاد كاتحاد الكتاب قضية اساسية لا يمكن التهاون فيهـا .

وقد شهد المؤتمر ، لهذا السبب ، مآسي مخزية بالفعل أثارها جهل العديدين من الحاضرين ، بشكل لا يليق ابدا بسمعة شعبنا وثورتنا .

من هذه الملاحظات الموجزة جدا ، يستطيع الواحد ان يتنبأ مسبقا بما سيترتب ، وترتب بالفعل ، من نتائج . وهي بايجاز أيضا :

اولا : ان الاتحاد الجديد ، بدل أن يستقطب المزيد من القاعدة المثقفة،خسر تلك القلة التي كانت فيه بعد ان أحس الجميع بأن المؤتمر ، لـم يعد مؤتمرا مفتوحا للكتاب ، بقدر ما هو مؤتمر لكوادر المنظمات ، رغم عليه يافطة تقول انه مؤتمر للكتاب والصحفيين .

ثانيا : ان الامانة العامة التي انبثقت عنه اصبحت معزولة منذ تشكيلها [ولا اقول انتخابها والكل يعرف لماذا] فوقعت في المطب الذي كانت تأخذه على الامانة السابقة ، رغم حرمان تلك الاخيرة من الكثير من حقوقها على المنظمة .

ثالثا : جاء المؤتمر الاخير كدليل جديد ، يعكس أزمة الثورة المزمنة ، في موضوع علاقات المنظمات مع الجماهير وعناصر الثورة من غـير المنتمـين والملتزمين في اطارها العريض .

رابعا : كشف المؤتمر ــ ولعـل هـذه أحدى ايجابياته ــ اخلاقية بعض العاملين في الثورة من المثقفين البورجوازيين الذين يمارسون عكس مـا يزعمون لانفسهم من مواقف ثورية . اذ اتضح منذ اليوم الاول للمؤتمر ان كل هـذا التجمع ليس الا « ديكورا » لاسباغ الشرعية على عدد من الافراد كقادة للكتاب والصحفيين الفلسطينيين . وقد كان ذلك بارزا بشكل خلا حتى من « اللياقة » مما اساء الى العديد من كتابنا وادبائنا من ابناء الرعيل الذي سبقنا في حمل المشعل ، مما اعطى المؤتمر والمؤتمرين صفة لا تجوز من عدم الوفـاء والتقدير لمن يعمل في قضية بلاده .

خامسا : كذلك كان من الطبيعي بعد عزل غير المنتمين والاتفاق على لائحة « الكودا » ان يقـع التناقض بين ممثلي المنظمات انفسهم . وهـذا ما حدث ، وعلمه لدى الجميع، الامر الذي فجر ما تبقى من نتائج المؤتمر .

سادسا : من هذا كله ، وعودة الـى البديهيين اللذين اشرنا اليهما نجد أن ما مارسته « اللجنة التحضيرية » قد جاء مناقضا لكل النتائج المرجوة من المؤتمر ، واضافت الى سلسلة الاتحادات التي تعاني من مثل هذا التركيب اتحادا جديدا هو ما يسمى بـ « اتحـاد الكتـاب والصحفيين الفلسطينيين » ..

ما العمل ؟

لا حل الا بالعودة الى الجوهر وطرح السـؤال الثوري :

ــ لماذا نريد الاتحاد ؟ ومن هم الذين نريـد استقطابهم لتوسيع وتعميق دائرة الاتصال بين الثورة والجماهير .

هذا بالطبع ان اردنا اتحادا للشعب ، لا للمنظمات او الافراد .

(٣) ناجي علوش

حول المؤتمر العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

بيروت ٦ ــ ١٩٧٢/٩/٩

عقد مؤتمر عام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين في بيروت ما بين السادس والتاسع من ايلول سنة ١٩٧٢ . وقد حضره نحو ٣٠٠ اديب وصحفي من لبنان وسورية ومصر والعراق والكويت . ومع أن الدعوات وجهت الى كتاب وصحفيين في ليبيه وتونس والجزائر والمغرب ، الا انه لم يأت أحد من هناك .

وكان معظم الحاضرين من سورية ولبنان ، لانهما يضمان أكبر تجمعين للكتاب والصحفيين الفلسطينيين .

وكان الداعي الى عقد المؤتمر خلق مؤسسة للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ترعى شؤونهم وتنظم علاقاتهم ، وتزيد من فعالية مساهماتهم في خدمة القضية الفلسطينية .

ومع انه كان هنالك اتحاد للكتاب الفلسطينيين ، عقد مؤتمرين ، فان عدد الذين شاركوا في المؤتمرين كان ضئيلا اذ حضر الاول المنعقد في غزة سنة ١٩٦٦ اثنان وثلاثون شخصا فقط ، وحضر الثاني المنعقد في القاهر سنة ١٩٦٩ سبعة عشر شخصا فقط ، ولذلك ظل اتحاد الكتاب السابق ضعيفا ، وظل مقطوع الصلة بالقاعدة . أما هذا المؤتمر فقد جاء اضخم مؤتمر للكتاب والصحفيين فعلا وشارك فيه عدد لا بأس به من الكفاءات الفلسطينية التي عودتنا دائما عدم حضور المؤتمرات المماثلة ، وخاصة مؤتمري غزة والقاهرة .

ولا بد لنا في البدء من ان نشير الى ان هذا المؤتمر يختلف عن المؤتمرين السابقين في أن الذين حضروه ليسوا ادباء فقط ، بل ادباء وصحفيون . وان كان الصحفيون الذين حضروه لا يشملون كل العاملين في الحقل الصحفي ، كما تشمل نقابات الصحفيين ، بل شمل العاملين في التحرير منهم فقط .

وقد حاول بعض الذين رأوا هذا العدد الكبير ان يسخروا من الحاضرين ، فسماهم البعض «قراء» . وكان هذا التهجم ينطلق من منطلقين :

الاول : نظرة متعالية لا تعتبر اديبا او صحفيا الا اولئك الذين عرفوا واشتهروا ، اي وجاهة الادباء والصحفيين .

الثاني : نظرة ضيقة مسبقة ترفض ان تعترف بأن المؤتمر مؤتمر للادباء والصحفيين ، وتصر على ان المؤتمر مؤتمر ادباء ، مع ان اسمه المؤتمر العام للكتاب والصحفيين .

وما أود ان اؤكده ، وما ستؤكده الايام المقبلة هو أن عدد الادباء والكتاب والصحفيين الفلسطينيين اكبر من المشاركين في المؤتمر كثيرا .

ولقد كان من اهم اهداف المؤتمر :

١ ــ خلق مؤسسة توحد الكتاب والصحفيين وترعى مصالحهم ، وتزيد من مساهمتهم في خدمة قضيتهم .
٢ ــ تحديد موقف الكتاب والصحفيين الفلسطينيين في هذه المرحلة ، من القضايا الاساسية المطروحة عليهم ، وخاصة القضايا السياسية والمهنية .
٣ ــ توفير الفرصة لتعارف العدد الاكبر من الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، ولتفاعلهم . ٤ ــ انتخاب أمانة عامة تمثلهم وتعبر عن تطلعاتهم ومطامحهم .

ولقد تشكلت لجنة تحضيرية ، مهمتها الاعداد للمؤتمر ، مكونة من واحد وعشرين عضوا ، هم : غسان كنفاني ، محمود درويش ، شفيق الحوت ، عبد الكريم الكرمي ، ماجد ابو شرار ، فريد الخطيب ، د. نبيل شعث ، ابراهيم العابد ، بلال الحسن ، ناجي علوش ، مازن البندك ، انيس الخطيب ، حنا مقبل ، خالد علي مصطفى ، هارون هاشم رشيد ، خالد ابو خالد ، غطاس صويص ، غانم زريقات ، عودة بطرس عودة ، د. نادرة السراج ، محمد زهدي النشاشيبي . وروعي في تشكيل اللجنة التحضيرية ان تمثل اجيالا مختلفة ، واتجاهات مختلفة ، وان تضم عددا من كتابنا وصحفيينا الكبار . وحين بدأت اللجنة التحضيرية تجتمع اكتشفنا أن نصابنا لا يزيد دائما عن النصف زائد واحد ، الكل موافق على اللجنة التحضيرية ، ولكن الذين يحضرون ليسوا جميع الاعضاء . وكان هنالك من حضروا

جلسة او اثنتين ثم غابوا ، مثل بلال الحسن ومحمود درويش والدكتور نبيل شعث . كما كان هنالك من لم يحضروا قط مثل شفيق الحوت وعودة بطرس عودة وعبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) . وسارعت اللجنة التحضيرية في اعمالها يحدوها أمل في أن تعقد مؤتمرا نموذجيا ، ولكن اقتراب موعد المؤتمر كان يكشف كل يوم امورا جديدة منها :

اولا : لم يكن هنالك استعداد للمساهمة في كتابة الابحاث . لقد اعتذر الدكتور نبيل شعث عن كتابة بحث عن الاعلام ودوره في معركة التحرير واعتذر محمود درويش عن بحث وعد بكتابته حول دور الكلمة في الارض المحتلة يوم كان يجب ان يسلمه ، ولم يجب عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) على رسائلنا بضرورة كتابة دراسة عن دور الكاتب الفلسطيني في المعركة . وهذه مجرد امثال .

ثانيا : واخذت اللجنة التحضيرية ولجنة العمل المنبثقة عنها تحس أنها وحدها تعمل ، وان الجميع متفرجون ، المؤتمر ليس له علاقة بهم . واخذت اللجنة التحضيرية تعمل وتعد فلا تجد مساعدا او معينا . وحتى الذين طلبت منهم مساعدتها في أعمال الاعداد والاستقبال لم تجد منهم حماسة او اندفاعا، ولم يشاركوا كما يجب ان يشاركوا .

ثالثا : وحين اقترب موعد المؤتمر بدأت المنظمات الفدائية ترمي بثقلها . قال بعضهم ان فتح تعمل للسيطرة على المؤتمر . وطالب آخرون بضمانات تقنعهم بان اللجنة التحضيرية غير متحيزة ، واخذت اللجنة التحضيرية تواجه الصعوبات ، وبدأت تحس أن المؤتمر سيجهض قبل ان يبدأ . وكان من نتيجة هذه الاتصالات ان نشأت لجنة خماسية تمثل المنظمات الخمس ، مهمتها مساعدة اللجنة التحضيرية ومراقبة اعمالها ، كي لا تنحرف او تتحيز . ولقد لعب انشاء هذه اللجنة دورا في بلبلة اللجنة التحضيرية وفي عرقلة اعمالها ، وفي اجبارها على اتخاذ مواقف وقرارات كانت اللجنة التحضيرية لا تريدها .

رابعا : وكان هنالك اتجاه يرى ان اهم ما في موضوع المؤتمر هو قضية الامانة العامة . ولذلك حاول التركيز عليها ، واهمل ما دونها . بينما كنت أنا شخصيا ارى ان قضية الامانة العامة قضية مهمة ،-ولكن هنالك قضايا لا تقل اهمية ومن هذه القضايا : قضية الحوار والتفاعل داخل المؤتمر ، قضية النظام الداخلي الذي سيقره والقرارات والتوصيات التي سيتخذها .

ولقد كاد التركيز على قضية الامانة العامة ان يفجر المؤتمر قبل بدايته . كما كاد ان يفجره منذ اول ايام انعقاده . ولذلك حاولنا جهدنا أن نمنع اثارة القضية قبل يوم الانتخابات حتى لا ينفجر المؤتمر قبل انجاز مهماته .

خامسا : وحين بحثت قضية الامانة العامة كنت ارى انه من الضروري ان تتكون امانة عامة تتسم بالكفاءة والقدرة على العمل والالتزام بالقضية الوطنية ، على ان تمثل الاتجاهات الوطنية المختلفة، وتعبر عن مصالح القواعد ومطامحهم . وكنت ارى ان الامانة العامة لا يجوز ان تكون « كوتا » للمنظمات ، كما لا يجوز ان يستثنى من عضويتها المناضلون من الكتاب والعاملين في الصحافة والاعلام، على ان يتم ذلك باعتبار الصفة الشخصية لا التنظيمية . ولكن المنظمات ضغطت باتجاه اخر . وكانت القائمة التي سميت قائمة الوحدة الوطنية ، والتي كنت عضوا فيها ، والتي دافعت عنها ، وناضلت من اجل انجاحها رغم عدم قناعتي الكاملة بها . ولكن ترشيح القائمة اثار موجة من التذمر بين فئتين : الاولى : تمثل بعض المستقلين الذين لم يجدوا لهم مكانا في القائمة ، ولم يرضهم تكوينها . الثانية : من قواعد المؤتمر التي كانت مطامحها اكبر من القائمة ، وكانت تريد ان تخرج امانة عامة لا وجوه تقليدية فيها .

ولذلك رشحت قائمتان منافستان لقائمة الوحدة الوطنية ، الاولى ، قائمة شفيق الحوت التي ضمنها بعض اسماء من القائمة الاولى ، والثانية قائمة الشباب الذين رشحوا افرادا ، مثل رشاد ابو شاور ، وغانم زريقات ، عبد الكريم عبد الرحيم واخرين ممن اعلنوا انسحابهم ، والذين كانوا يدعمون بعض اعضاء القائمة الاولى ايضا. وبينما كانت الفئة الاولى تريد امانة تضم اسماء اكثر بريقا ولمعانا ، كانت الفئة الثانية تريد امانة اقرب الى القواعد بمجموعها ، واكثر تعبيرا عن خط سياسي جذري . وجاءت الانتخابات واذا بالفئة الاولى تقتحم لائحة الوحدة الوطنية بالدكتور انيس صايغ الذي لم يحضر ولم يشارك بسبب اصابته . كما ان الفئة الثانية اقتحمت القائمة بغانم زريقات ورشاد ابو شاور،ومرت قائمة الوحدة الوطنية باثني عشر عضوا. هل كان من الخطأ ان ترشح قائمة ؟ هذا اسلوب الانتخابات في كل مكان . وهو

اسلوب لا يتعارض مع الديمقراطية ، ويساعد في الوقت ذاته على نجاح مجموعة متعاونة متفاهمة او على قدر من التعاون والتفاهم. بعد هذا كله هل نجح المؤتمر ؟

لقد نجح فعلا ، لانه استطاع ان يخلق مؤسسة جديدة هي اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ولكن هذا النجاح كان يمكن ان يكون اكبر لولا مجموعة من العوامل : اولها : عدم مشاركة عدد من اعضاء اللجنة التحضيرية في اعمالها . وكانت مشاركة هؤلاء ستزيد من نجاحات المؤتمر في كل المجالات . ثانيها : عدم اهتمام الكتاب والصحفيين باعداد الدراسات اللازمة ، والوثائق اللازمة ، الضرورية للارتفاع بمستوى المؤتمر . ثالثها : اضطرار المشرفين على المؤتمر ان يلغوا الندوات العلنية ، وان يختصروا المناقشات بسبب الامن ، ذلك ان عملية ميونيخ اوجدت جوا كان يستدعي شيئا من احتياطات الامن اثرت على عدم الالتزام بالبرنامج المعلن .

وبعد هذا كله فان قرارات المؤتمر السياسية والاعلامية والمهنية تحدد خطا سليما وصحيحا يهتدي به الكتاب والصحفيون الفلسطينيون في المرحلة المقبلة .

ولقد جسد الكتاب والصحفيون الفلسطينيون باشراكهم الكتاب والصحفيين العرب ، العاملين مع المقاومة ، في المؤتمر ، التلاحم الحقيقي بين الثورة الفلسطينية والمثقفين العرب. ولقد توجوا هذا كله بانتخاب الاخ موسى شعيب الشاعر والمناضل اللبناني عضوا في الامانة العامة . ان هذا نصر كبير . وهو بادرة خيرة في المؤسسات الفلسطينية . ولكن انجازات المؤتمر كلها كادت تغيب في الضباب الذي احدثته نتائج الانتخابات ، وفي البيانات التي انطلقت تهاجم من هنا وهناك . ان المؤتمر لم يكن نموذجيا كما اردنا ، بسبب تقصير المتفرجين منا ، وبسبب الوضع الفلسطيني العام والعلاقات بين المنظمات وبين المنظمات وبعض المستقلين . ولكن المؤتمر ما كان يمكن ان يكون اكثر نجاحا في وضع مثل هذا الوضع . ومقدار نجاحه او فشله ستبرزه امانته العامة الجديدة ، خلال الاشهر المقبلة .

رسالة من خالد محي الدين : رد على مقال « مؤتمر بولونيا للسلام والعدل في الشرق الاوسط »

يهمني في ردي على تعليق السيد احمد خليفة كي يتوضح الامر للقارىء العربي ان تنشر أغلب الوثائق المرفقة او الجزء الاغلب منها اذ انني سوف احيل في كثير من ردي الى هذه الوثائق .

الوثيقة الاولى(١) : وهي الاعلان الصادر عن الاجتماع التحضيري الاول « للمؤتمر العالمي للعدل والسلام في الشرق الاوسط روما ١٩ — ٢٠ ابريل ١٩٧١ » لانه الاساس السياسي للمؤتمر .

والوثيقة الثانية(٢) : هي بيان اللجنة الايطالية عن الاجتماع التحضيري الثاني الذي لم يتم ١ — ٢ مارس ١٩٧٢ — والصادر في ٧٢/٣/٣ . والوثيقة الثالثة « هي ردي على مجلة الحوادث على ما نشر فيها في عدد ١٩٧١/١٢/١٧ وقد نشر في مجلة الحوادث اللبنانية في ١٩٧٢/١/٢١ — وأهميتها انها توضح الخطوات التي تمت ووجهة نظري الخاصة ووجهة نظر حركة السلام المصرية في الامر وهذا الرد كان سابقا على الاجتماع التحضيري الثاني الذي لم يتم . الوثيقة رقم « ٤ »(٣) هي رسالة موجهة مني للسيد جيدوفانتي رئيس اللجنة الايطالية للمؤتمر العالمي للعدل والسلام في الشرق الاوسط ردا على صورة رسالة وصلت الي فيها رأي اوري افنيري عن المؤتمر نشر اغلبها في مجلة « هاعولام هازيه » الاسرائيلية وقد طلبت من السيد جيدوفانتي ان يحولها الى كل من يهمهم الامر في كل البلاد ردا على رأي اوري أفنيري ، بجانب انني ارسلت منها نسخا عدة الى كل حركات السلام الاوروبية والعربية — وكانت باللغة الانجليزية والفرنسية وبتاريخ ١٦ يونيو ١٩٧٢ — وفيها أوضحت رأيي في كل ما جاء على لسان اوري افنيري في مجلة « هاعولام هازيه » او غيرها عن المؤتمر ، وفيها رد على كثير من النقاط التي اوردها السيد احمد خليفة في تعليقه على المؤتمر والذي اعتبر ان ما نشر في الصحافة الاسرائيلية هو فقط الصحيح . والوثيقة رقم « ٥ »(٤) هي التقرير السياسي الذي قدمته للمؤتمر السنوي للمجلس المصري للسلام — بصفتي سكرتيرا عاما للمجلس المصري للسلام — والذي ناقشه المجلس في اجتماعه السنوي ١٧ — ١٨ مايو ١٩٧٢ وحضر الاجتماع ممثلو عديد من حركات السلام من البلاد الاشتراكية والاوروبية والعربية وخاصة لجنة السلام الفلسطينية . وأهمية هذا التقرير انه يعكس وجهة نظرنا في كل القضايا السياسية الخاصة بحل أزمة الشرق الاوسط وهو الرأي الوحيد الذي نلتزم به امام حركة السلام المصرية وكل جماهير شعبنا . وكذلك الوثيقة رقم « ٦ »(٥) وهي البيان السياسي الذي نلتزم به وليس هناك من خط سواه . والوثيقة رقم « ٧ »(٦) وهي اجتماع حركات السلام العربية في القاهرة في يوم ١٩ مايو سنة ١٩٧٢ . والوثيقة رقم « ٨ »(٧) قرار حركات السلام العربية بخصوص « المؤتمر العالمي للعدل والسلام في الشرق الاوسط » . .

كنت أود قبل ان ينشر السيد احمد خليفة رأيه عن مؤتمر العدل والسلام في الشرق الاوسط ان يرسل الينا طالبا الوثائق ورأينا في توضيح عدد من النقاط وذلك كي يكون تعليقه شاملا كل الجوانب — او كان ينشر فقط رأي الدوائر الاسرائيلية في المؤتمر — اما وقد ادخل رأيه في الامر فكان من الواجب سماع وجهات النظر الاخرى حتى يكون التعليق شاملا لكل جوانب الصورة .

لسنا ملزمين بأي رأي ينشر في الصحافة الاسرائيلية . ان ما يلزمنا هي وثائق الاجتماعات الخاصة بالمؤتمر والاراء التي نشرناها نحن او صدرت منا . اما تفسير الصحافة الاسرائيلية فعلينا ان نطلع عليه ونضعه في الاعتبار ولكن لا نعتبر انه هو الشيء الوحيد الصحيح — (في

صفحة ٦٩ من عدد شؤون فلسطينية حزيران ٧٢ — رأي افنيري في وثيقة اللجنة الايطالية وهي الوثيقة رقم « ٢ » يقول « انجاز كبير وخطوة هامة للامام على طريق تحقيق السلام في المنطقة لانه لاول مرة تنشر وثيقة بموافقة العرب تقرر بشكل واضح انه سيتم لقاء وجها لوجه بين عرب واسرائيليين ») .

ونرجو الاطلاع على الوثيقة رقم « ٢ » وهي وثيقة اللجنة الايطالية فليس فيها ما يشير الى اجتماع وجها لوجه بين عرب واسرائيليين — بل هي تعبير عن اجتماع عالمي لكل القوى المؤيدة للبيان السياسي ١٩ — ٢٠ ابريل ١٩٧١ (وهي الوثيقة رقم « ١ » **التي تعمل لتحضير المؤتمر والتي تبذل قصارى جهدها لحشد الراي العام العالمي من اجل اقامة السلام الدائم والعادل في الشرق الاوسط** . وهذا وارد في نهاية الفقرة الثالثة من هذه الوثيقة رقم « ٢ » . هو اذا اجتماع عالمي لكل القوى المؤيدة للبيان السياسي (الوثيقة رقم « ١ ») بما في ذلك تلك القوى في اسرائيل . وذلك من اجل الضغط في اتجاه تسوية عادلة في الشرق الاوسط . وحتى يكون ثمة ضغط لا بد من مواجهة جميع وجهات النظر بعضها ببعض . وهذا وارد في الفقرة الاخيرة في الوثيقة رقم (١) ونحن نوردها كما هي « وتختلف وجهات نظر الكثيرين فيما يختص باولويات هذه المسائل . ان مناقشة ومواجهة جميع وجهات النظر ببعضها يمكنها فقط ان تدعم الضغوط في اتجاه تسوية عادلة في الشرق الاوسط » . هو اذا اجتماع عالمي لكل القوى في كل البلاد التي تؤيد بيان روما ١٩ — ٢٠ مارس سنة ١٩٧١ « **الوثيقة رقم « ١ » ولا بد من مواجهة كل وجهات النظر حتى يتم الضغط والتعبئة العالمية من اجل تسوية عادلة ولا يستثنى من ذلك تلك القوى المؤيدة لهذا الاتجاه في اسرائيل** » .

لقد اوضحت في ردي على « مجلة الحوادث » الوثيقة رقم « ٣ » هذا الرأي — وكذلك الوثيقة رقم « ٤ » وهي رسالتي للسيد جيدوفانتي رئيس اللجنة الايطالية ردا على ما نشره اوري افنيري النائب بالكنيست الاسرائيلي — لقد اوضحت في هذه الرسالة رأينا فيما يسمى اللقاء وجها لوجه بين العرب والاسرائيليين او مناقشة مباشرة او حوارا مباشرا او اجتماعا مباشرا — وخاصة في الصفحة الاولى فيها — وهذا رد قاطع على استفسارات السيد احمد خليفة — فلم يدر بخلدنا على الاطلاق ان هذا الاجتماع يهدف الى لقاء عربي اسرائيلي انما هو اجتماع عالمي يهدف الى تعبئة الرأي العام العالمي من اجل التوصل الى تسوية عادلة في الشرق الاوسط على اساس بيان روما الوثيقة رقم « ١ » .

أما عن رأي الاستاذ احمد حمروش في المؤتمر والذي نشر في مجلة روز اليوسف ١٩٧٢/٢/٢١ — وصحيح ان الاستاذ احمد حمروش عضو في حركة السلام المصرية ، ولكن السيد احمد حمروش ليس له اي علاقة بالاتصالات الخاصة بعقد المؤتمر — فهو يعبر عن رأيه . وان كانت الامانة تستدعي قراءة رأيه متكاملا (ورأي الاستاذ حمروش فيما يسمى بقوى السلام الاسرائيلية على ما اظن هو ما ورد في مقالته المذكورة : تلك القوى التي تعارض مبدأ ضم الاراضي الى اسرائيل وتؤيد حقوق شعب فلسطين) . وعلى العموم ، فقد قام السيد عبد الرحمن الشرقاوي بالرد على رأي الاستاذ حمروش مخالفا رأيه في عدد ١٩٧٢/٢/٢٨ ، العدد التالي من روز اليوسف ، والسيد عبد الرحمن الشرقاوي عضو في حركة السلام المصرية ايضا . ان رأينا قد نشر في مجلة الحوادث اللبنانية عدد ٧٢/١/٢١ وكذلك في ردنا على السيد اوري افنيري في رسائلنا للسيد جيدوفانتي الوثيقة رقم « ٤ » .

كل هذه الوثائق ارسلت لجميع حركات السلام العربية ولكل وكالات الانباء والصحف المصرية ، ولسنا مسؤولين عن عدم النشر . والمؤكد ان حركة السلام الفلسطينية لديها نسخ منها جميعا ، وحركة السلام الفلسطينية تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، فليس هناك ما يخفى على الجماهير العربية . ولذا يهمنا ان تنشر شؤون فلسطينية كل هذه الوثائق او اهم اجزائها كي تطلع عليها الجماهير العربية . وردي في مجلة الحوادث اللبنانية كان واسع الانتشار في مصر ولبنان والعالم العربي وكان من الواجب على مجلة شؤون فلسطينية نشره كاملا لاهميته بالنسبة للمؤتمر . ولو كان هناك سرية او شبه سرية لما نشرت ردي في مجلة الحوادث اللبنانية ، ولو كان هناك اتجاه للسرية لما نشر احمد حمروش رأيه في روز اليوسف . ولا قام عبد الرحمن الشرقاوي بالرد عليه علنا . اما عدم النشر فتسأل عن ذلك الصحافة العربية عامة ، فليس هناك تآمر ولا

بقيت كلمة خاصة باللقاء مع الاسرائيليين . والحقيقة ان هذا الاجتماع ليس اول اجتماع عالمي يوجد فيه العرب والاسرائيليون ويناقش قضية الشرق الاوسط. ففي اجتماعات مجلس السلام العالمي « بوداپست ١٩٧١ » والتجمع العالمي للسلام في برلين ١٩٦٩ — في لجنة الشرق الاوسط ، يوجد مندوبون عرب واسرائيليون ، ويتناقش في اللجان ، وكل يعبر عن وجهة نظره . ثم يكون بيان اللجنة التي تضم وفود كل البلدان ، وفي هذه الاجتماعات يتناقش المندوبون العرب بمن فيهم المندوبون الفلسطينيون مع بعض المندوبين الاسرائيليين — ولكن لم يعتبر بتاتا ان هذا لقاء عربي اسرائيلي او مواجهة عربية اسرائيلية او حوار مباشر . ان وجود مندوبين من اسرائيل في اجتماع عالمي يؤيدون عدم ضم الاراضي ويعترفون بحقوق الشعب الفلسطيني لهو مكسب ضخم ومؤثر في الرأي العام العالمي — وهذا هو عملنا وجهدنا — وهذا العمل وهذا الجهد لا يمنعان القيام بجهود اخرى عسكرية او فدائية في مجالات اخرى ونحن لا نقف امامها او نعرقلها ، لكن نضع في الاعتبار فقط ان الرأي العام العالمي قوة كبيرة لا يجوز اهمالها ، فمن يكسبها يكسب المعركة السياسية .

اما عن اشتراك اللجنة الاسرائيلية في جميع الترتيبات التحضيرية للمؤتمر ، وان تبقى اللجنة الايطالية على اتصال دائم باللجنة الاسرائيلية لمؤتمر بولونيا ، فالوثيقة رقم « ٢ » في الفقرة الثالثة توضح اولا ان اللجنة الايطالية ستوجه الدعوات لجميع البلدان . وثانيا انها ستفعل ذلك بالتعاون والتشاور مع كل اللجان التي ستنشأ لهذا المؤتمر في كل البلدان وهذا امر طبيعي — ولكن الدعوات ستوجهها اللجنة الايطالية . وفي الوثيقة رقم (٢) الفقرة الرابعة والاخيرة ما يوضح قبول اللجنة الايطالية لاقتراح ضم ممثلي بلاد اخرى للجنة من بينها فرنسا والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وممثلي بعض المنظمات الدولية وهي « مجلس السلام العالمي ومنظمة تضامن شعوب آسيا وافريقيا واتحاد الشباب الديموقراطي العالمي والاتحاد العالمي لجمعيات الامم المتحدة » — وهذه اللجنة ستقوم بالبت في كل القرارات الفنية والتنظيمية للمؤتمر — واهم قرار هو اسماء المدعوين من كل البلاد وقد تقرر استبعاد مندوبي اسرائيل والبلاد العربية من هذه اللجنة . اي ان اللجنة الايطالية بعد ان ينضم اليها ممثلو عدد من البلاد والمنظمات العالمية دون اسرائيل والبلاد العربية هي التي ستقرر كل الاجراءات .

ولقد رفضنا اجتماع روما التحضيري الثاني كما كان متوقعا لاننا نرفض ان يكون لاسرائيل رأي في المدعوين . ولقد اوضحنا للجنة الايطالية بوضوح ان هذا سيكون موقفنا في المؤتمر اذا شعرنا ان هناك محاولة لدفع عناصر مشبوهة اسرائيلية لحضور المؤتمر . وممثلو فرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفياتي ومجلس السلام العالمي ومنظمة التضامن الاسيوي الافريقي واتحاد الشباب الديمقراطي العالمي ، وهم اعضاء اللجنة التنظيمية التحضيرية الدولية التي ستعقد اجتماعها في سبتمبر ١٩٧٢ ، كلهم يعرفون رأي المندوبين العرب في الوفد الاسرائيلي ويعرفون جيدا رأينا في طبيعة المؤتمر وهو ما اوضحته في الوثيقة رقم « ٤ » . ويحسن في هذا الامر ايضا الرجوع الى تقرير الاستاذ محمد صبيح ممثل فلسطين في منظمة التضامن الاسيوي الافريقي وهو الذي حضر اجتماع روما الثاني مارس ٧٢ لمعرفة موقفنا بوضوح . وكذلك كان يحسن سؤال الجامعة العربية عن تقرير مدير مكتب الجامعة العربية في روما عن اجتماع روما الثاني مارس ١٩٧٢ وهاتان الوثيقتان مهمتان جدا ويمكن لكل لجان التضامن الاسيوي الافريقي العربية بها في ذلك لجنة التضامن الاسيوي الافريقي الفلسطينية ان تطلب نسخة من تقرير الاستاذ محمد صبيح للاطلاع عليه ونشره . وكذلك لا بد ان تكون قد وصلت صورة من تقرير مكتب الجامعة العربية في روما عن اجتماع مارس التحضيري الثاني والبيان الذي صدر عنه ، الى جميع ممثلي الدول العربية في الجامعة العربية .

اما عما يسمى برنامج قوى السلام المصرية في مؤتمر بولونيا وهو الكراس الذي نشرت جريدة الاونيتي ملخصا له ، فان السيد احمد خليفة اعتمد بدوره للاسف في تلخيص افكاره عن هذا الموضوع على صحيفة مل همشمار (١٩٧٢/٣/١٩) . وكان الواجب ان يحاول السيد احمد خليفة ان يطلع على نسخ جريدة الاونيتي وما نشر فيها وهل ذكرت جريدة الاونيتي نفسها ان هذا التقرير هو تعبير

من آراء بعض الاوساط الماركسية القريبة من خالد محي الدين في مصر — اذا كانت جريدة الاونيتي قد ذكرت ذلك فهذا مهم لان ذلك يضعنا في موقف ادانة سياسية لكاتب المقال في الاونيتي، فكيف تقوم جريدة مثل الاونيتي الايطالية بنشر افكار تدعي انها افكار اوساط قريبة من خالد محي الدين ، دون ان تسألني انا شخصيا في هذا الامر . والمسؤولون السياسيون في جريدة الاونيتي **يعرفون جيدا رأيي انا ورأي حركة السلام المصرية بوضوح فليس لنا رأي سري نخشى نشره ، والاوساط الماركسية في مصر كلها لها رأي واضح في ذلك الامر ، ولم نسمع بتاتا عن مثل هذا الكراس .**

ان حركة السلام المصرية حركة علنية تنشر كل آرائها بعلنية حتى تلك التي تخالف فيها رأي الحكومة المصرية ، ولقد اصدرت حركة السلام المصرية عديدا من البيانات التي تختلف عن موقف الحكومة المصرية ونشرتها . والخط السياسي لحركة السلام المصرية يعرض في مؤتمراتها السنوية والتقارير والبيانات الخاصة بها توزع على كل الصحف المصرية وترسل لجميع حركات السلام العربية .

وأنصح في هذا الامر ان يستمع الى رأينا في الموقف في الشرق الاوسط في الوثيقتين رقم « ٥ » و « ٦ » واللتان تبينان ان اعداد شعبنا للمعركة الشاملة وتعبئة كل الطاقات العربية هو الوسيلة الفعالة لتحرير الارض . ونحن نرفض كل الحلول الاستسلامية . ولم ندخل في نقاش المعركة التقليدية أو غير التقليدية ولا مسألة السلام الشعبي . صحيح اننا نعتقد ان مؤتمرا مثل مؤتمر بولونيا ، كتجمع عالمي ، يمكن ان يساعد على تعبئة عالمية مفيدة ولكن لم نتخيل لحظة انه يمكن ان يكون بديلا عن كل طرق الكفاح الاخرى العسكرية والسياسية ولا يمكن ان نتصور ان العمل العسكري على الجبهة المصرية يمكن ان يكون الشكل الوحيد للكفاح على الجبهات الاخرى ، ولا يمكن ان نتصور انه حتى العمل العسكري على الجبهة المصرية يمكن ان يكون له شكل واحد محدد . ان حركة السلام المصرية لها هدف محدد محلي وعالمي هو ان تعبىء شعبنا مع كل شعوب العالم ضد العدوان الاسرائيلي سياسيا . وهذه خطوة كبرى تساعد على استمرار الكفاح على كل الجبهات الاخرى العسكرية والسياسية والاقتصادية المحلية والعالمية . وهذا واضح في الوثيقتين رقم « ٥ » و « ٦ » ونطالب بسرعة الاستعداد وبتعبئة شعبنا سياسيا وعسكريا وكل طاقات الامة العربية ، فان تعبئة الرأي العام العالمي الى جانبنا يجب ان يسير في خط واحد مع اعداد شعبنا للمعركة .

هذا ما يلزمنا — وليس لنا رأي علني واخر سري — وموقفنا من قرار مجلس الامن وحقوق شعب فلسطين واردة في الوثيقتين « ٥ » و « ٦ » بوضوح . وهذا الرأي قلناه علنا امام ندوة فلسطين في فبراير ١٩٧١ في الكويت واثار على اثارة الكثيرين . هذا هو رأيي قلته في كل مكان : ان قرار مجلس الامن وكل قرارات الامم المتحدة هي وسيلة تمكننا في المجال العالمي من اكتساب الرأي العام العالمي الى صفنا ، واننا نعتبر ان هناك معركة عاجلة وهي ضرورة هزيمة العدوان القائم . وان على كل الجهود ان توجه الان لهزيمة العدوان القائم . فاذا لم تستطع هزيمة العدوان القائم فلن تستطع هزيمة العدوان السابق — اذا لم تهزم عدوان ١٩٦٧ لن تستطيع هزيمة عدوان ١٩٤٨ — هذا الرأي لم نخفه في اي اجتماع علني عالمي او عربي او محلي، ان التزامات الدول العربية الدولية غير التزام الثورة الفلسطينية . ولا نعتبر ان تطبيق قرار مجلس الامن ، لو قدر له ان ينفذ ، سيكون نهاية المطاف في صراعنا مع اسرائيل — ولن ينفذ قرار مجلس الامن او اي قرار اخر بدون قوة البلاد العربية وقوة الثورة الفلسطينية — اي قوة حركة التحرير العربية وخطها السياسي التكتيكي والاستراتيجي . ان استمرار النضال ضد الامبريالية والصهيونية هو منهاج استراتيجي لحركة التحرر العربية .

والغريب ان يتخذ من كراس ذكر انه موزع بطريقة سرية نقطة اتهام لبعض الاوساط الماركسية والسلامية المصرية صاحبة السجل النظيف في كفاحها ضد الامبريالية والصهيونية . ان حركة السلام المصرية كانت القوة الحقيقية وراء المؤتمر العالمي الثاني لنصرة الشعوب العربية الذي عقد في القاهرة والذي تولى رئاسته السيد انور السادات وكنت سكرتيره العام ، وفي هذا الاجتماع تمكنت الثورة الفلسطينية من عرض رأيها امام اكبر تجمع عالمي لنصرة العرب . وحركة السلام المصرية وحركة ذات احترام عالمي كبير لان آراءها معروفة ومحددة لا نخفيها . فليس لنا رأي علني عالمي واخر محلي — او ما يسمى للاستهلاك

الدولي — وكان واضحا خطأ في كل المؤتمرات الدولية والعربية — وقد يختلف معنا البعض ولا ندعي اننا دائما على صواب . ولكن مكانة حركة السلام المصرية عالميا جاء من خطها الواضح المستقيم واحترام الجماهير المصرية لها ايضا جاء من وضوح موقفها مما يسمى بالسلام والنضال ضد العدوان الاسرائيلي على بلادنا .

---

١ — استعرضت الوثيقة تدهور الموقف في الشرق الاوسط واقترحت « الدعوة الى مؤتمر عالمي للسلام والعدل في الشرق الاوسط يدعى للمشاركة فيه جميع الذين يهمهم مناقشة امكانات التوصل الى تسوية بالوسائل السلمية وابرزها: انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها منذ حرب ١٩٦٧ ، والتنفيذ الكامل لقرار مجلس الامن في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ وقرار الجمعية العامة للامم المتحدة في ٤ نوفمبر ١٩٧٠ بجميع بنودهما كخطوة اولى في اتجاه تحقيق الامن والاستقلال لجميع دول المنطقة وشعوبها ، وايضا التنفيذ الكامل للحقوق العادلة للشعب الفلسطيني والضمانات الممكنة من اجل تسوية دائمة تكفل مصلحة ووجود الجميع » وقالت الدعوة في ختامها « تختلف وجهات نظر الكثيرين فيما يختص بأولويات هذه المسائل . ان مناقشة ومواجهة جميع وجهات النظر ببعضها يمكنها فقط ان تدعم الضغوط في اتجاه تسوية عادلة في الشرق الاوسط » .

٢ — ذكر بيان اللجنة الايطالية للمؤتمر الدولي للسلام والعدل في الشرق الاوسط انه « على ضوء تفاقم الازمة مؤخرا في الشرق الاوسط كانت هناك رغبة مشتركة في عقد مؤتمر السلام والعدل في الشرق الاوسط في بولونيا في ايطاليا خلال هذا العام وذلك على اساس القاعدة السياسية التي وضعت في الاجتماع التحضيري الذي عقد في روما في ابريل ١٩٧١ . وقد اتفق ... على تكليف اللجنة الايطالية بارسال الدعوات للاشتراك في مؤتمر بولونيا لجميع قوى السلام في البلاد والمشار اليها سابقا [الجزائر ، مصر ، العراق ، لبنان ، سوريا ، بلجيكا، فنلندة ، فرنسا، بريطانيا ، يوغسلافيا، المانيا الديمقراطية، المجر، الاتحاد السوفياتي] وفي البلاد الاخرى ، وذلك بالتعاون والتشاور المباشر مع اللجان والمنظمات القومية التي تعمل لتحضير المؤتمر والتي تبذل قصارى جهدها لحشد الرأي العام العالمي من اجل اقامة السلام الدائم والعادل في الشرق الاوسط ...»

٣ — الرسالة تحمل تاريخ ١٩٧٢/٦/١٦ وهي توضح ان مؤتمر بولونيا « في جوهره مؤتمر عالمي لتعبئة القوى التي تريد حلا سلميا لكن عادلا في الشرق الاوسط وجمعها معا ... ومن هذا المنطلق فان المؤتمر ليس ذريعة — ولا يمكننا ان نتصور ان يكون — لتمكين طرفي النزاع من « الجلوس سويا » فان هذا ليس هدف المؤتمر وليس هو النتيجة المتوقعة من المؤتمر... وان حقيقة كون اوري افنيري يؤكد على تصوير المؤتمر وكأنه مؤتمر سوف يجلس فيه الطرفان سويا .. [هذه الحقيقة] مرفوضة بقوة ، لانها انجراف عن خط مؤتمر كهذا وعن اهدافه » وتمضي الرسالة فتقول « أن اجتماع مثل هذا المؤتمر لا يمكن ان يكون بين فرقاء محايدين فان المحتلين لا يسعهم ان يكونوا حياديين تجاه المعتدين ولا يسعهم الا ان يدينوا العدوان حتى اولئك [الممثلين] من جبهة المناضلين من اجل السلام في البلد المعتدي ... ومن سوء الحظ ان اوري افنيري أبعد من أن يتتبع هذا المبدأ » وترد الرسالة على بعض الموضوعات التي يطرحها افنيري وتؤكد مرة اخرى ان المؤتمر هو « لتعبئة الرأي العالمي من اجل حل سلمي وعادل وان هذه التعبئة تشمل جميع البلدان دون استثناء » كما تؤكد الرسالة موافقتها على « وجود ممثلين عن القوى الاسرائيلية التي هي ضد العدوان ، والتي تدين السياسة العدوانية المستمرة للحكومة الاسرائيلية ، والتي ترفض قبول الضم ، والتي تكافح من اجل انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي المحتلة منذ ٥ حزيران ١٩٦٧ ، والتي تقبل بصراحة اعلان روما السياسي في ١٩ ، ٢٠ نيسان ١٩٧١ وتتفاعل من اجل قبوله كاملا » . وتضيف

الرسالة « اننا نرفض وجود ممثلين عن الاحزاب المشتركة في الحكومة الاسرائيلية . ونحن لا نعارض وجود موفد اسرائيلي بصفته الخاصة بشرط الا يأتي ممثلا عن حزب مابام مثلا او اي من اجنحته وبشرط الا يكون شخصية قيادية في ذلك الحزب ، لان صبغته القيادية هي جزء من شخصيته حتى لو ادعى انه قادم بصفة شخصية » . وقالت الرسالة « ان عدد اعضاء الوفد الاسرائيلي ينبغي ان يكون مساويا ولا يزيد عن عدد اعضاء الوفد الفلسطيني » .

٤ — الجزء من التقرير المتعلق بالوضع العربي «يلاحظ عددا من التطورات المهمة الايجابية والسلبية على السواء ، فاسرائيل ... تزداد عزلة ... وان الخط السياسي العاقل والمتزن الذي اتبعته جمهورية مصر العربية كان واحدا من العوامل الايجابية التي اسهمت في التوصل الى هذه النتيجة ... [كذلك يلاحظ] بارتياح التنامي المتزايد للقدرة القتالية المصرية ... ولقد كان قيام الاتحاد بين مصر وسوريا وليبيا ...تعبيرا عن تصميم الامة العربية على مواجهة حاضرها ومستقبلها موحدة ... ونلاحظ ان العلاقة المصرية السوفياتية تتعزز وتتقدم ... وعلينا ان نعي ضرورة تعزيز الصداقة المصرية السوفياتية ... وفي الجانب الاخر من الصورة نلاحظ ان اعداء الامة العربية ينشطون نشاطا جريئا ... كانت نقطة البدء فيه هي المذابح الوحشية التي دبرت ضد المقاومة الفلسطينية والتي لعب فيها النظام الاردني دور الجلاد الشرس ... ثم بعد ذلك الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على لبنان والتي تبدو كجزء متمم للمؤامرة يستهدف عزل لبنان عن الصف العربي وتصفية المقاومة الفلسطينية في اراضي لبنان واخيرا هناك مشروع الملك حسين الذي لا يمكن وصفه باكثر من انه الترجمة العربية لمشروع الون » ويتحدث التقرير عن « دعاوى تتخذ من طول امد المعركة سبيلا للتشكيك في قدرتنا على خوضها ، وهي تعلن بغير خجل ان حل الازمة في يد اميركا وان علينا ... ان نتقدم خطوة وخطوات نحو من في يده الحل » ويستعرض التقرير التجارب مع امريكا ويقول « ان امريكا تريد منا موقفا معتدلا ولا تقاربا . انها تريد اعادة مصر الى دائرة نفوذها ، تريد سلب استقلالنا وحريتنا ومواردنا واسواقنا... لقد حددت امريكا موقفها نهائيا كطرف اصيل في النزاع » . ثم يتحدث التقرير عن قرار مجلس الامن ٢٤٢ ويقول « ان مصر بقبولها قرار مجلس الامن تنطلق من مطلبين اساسيين أ — ضرورة الانسحاب الكامل ... ب — ضمان الحقوق القومية للشعب العربي الفلسطيني ... وان رفض قرار مجلس الامن ينبع من عدم تصور حقيقة توازنات القوى القائمة ولا ينظر لاية اتفاقات دولية نظرة مستقبلية ، بمعنى انه ينظر للنصوص في صورة جامدة حبيسة للتصورات القائمة الان [و] دون ان يدرك ان كل شيء مرهون اولا واخيرا بقدر ما نستطيع ان نحشد من قوة وطاقة وعزم لنضعه ثقلا لصالحنا في كفة ميزان القوى المتصارعة » ويطلب التقرير « ان نعمل جميعا من اجل تحقيق الهدف وهو ازالة العدوان الاسرائيلي وضمان الحقوق القومية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره مستخدما كل الوسائل التي يراها ملائمة لتحقيق هذا الهدف » . ويضيف التقرير « اننا نعتبر كفاح الشعب الفلسطيني جزءا من حركة التحرر العربية وهو جزء لا يتجزأ من حركة التحرر العالمية ضد الاستعمار ... لذلك سيظل شعبنا وكل الشعوب العربية تساند كفاح الشعب الفلسطيني بكل الوسائل وتحت كل الظروف حتى يستطيع هذا الشعب ان يقرر مصيره على ارضه ، لانه بدون ذلك سيظل سلامنا وسلام المنطقة مهددا باستمرار » وقال « نحن انصار السلام المصريين نرى ان ازالة اثار عدوان ١٩٦٧ هي المعركة العاجلة ، ذلك ان هزيمة العدوان وعدم تمكين المعتدي من تحقيق اي كسب من عدوانه هي نقطة البدء الاولى والضرورية للتوصل الى حل عادل للقضية الفلسطينية » .

٥ — جاء في البيان السياسي للمجلس المصري للسلام في مؤتمره الرابع في ١٧ و ١٨ مايو ١٩٧٢ في القاهرة تاكيد للنقاط الواردة في التقرير السياسي الوارد تلخيصه في الحاشية رقم ٤ اعلاه فقد انتهى رأي المؤتمر الى « ان الخط السياسي المتزن الذي اتبعته جمهورية مصر العربية ... قد اثبت في مواجهة الصلف الاسرائيلي فعاليته ونجاحه . فاسرائيل تزداد عزلة على النطاق العالمي » والى « ان التمسك بالشرعية الدولية ، والمطالبة المستمرة بتنفيذ

قرار مجلس الامن ٢٤٢ وجميع قرارات الامم المتحدة وعلى الخصوص تلك المتعلقة بحقوق الشعب الفلسطيني في العودة الى ارضه وازالة آثار عدوان ١٩٦٧ ، هما الاساس في مخاطبة الرأي العام العالمي ، والى « ان حتمية المعركة ... تتطلب من الحكومات والشعوب العربية حشدا جادا وحقيقيا لجميع الامكانات والجهود المادية والمعنوية، لتكون هذه الامة مستعدة للمعركة » والى «ان نضال الشعب الفلسطيني واستمراره حتى يحقق اهدافه الشريفة هو جزء من ضمير شعبنا وكل الشعوب العربية ... وان المؤتمر يؤكد ضرورة مساندة كفاح الشعب الفلسطيني».

٦ — تشمل اسماء وفود مجلس السلام العالمي وسوريا والعراق ولبنان وفلسطين واليمن والمغرب ومصر .

٧ — جاء في هذا القرار « ان اجتماع لجان السلم العربية الذي عقد في القاهرة في تاريخ ١٩٧٢/٥/١٩ بعد ان اطلع على الجهود المبذولة لعقد مؤتمر العدل والسلام في الشرق الاوسط في ايطاليا في اواخر عام ١٩٧٢ تحت شعار تطبيق قرار مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة والانسحاب التام من الاراضي العربية المحتلة والتطبيق الكامل لحقوق الشعب الفلسطيني يؤيد النشاط الذي تبذله في هذا السبيل اللجنة الايطالية للمؤتمر واللجنة التحضيرية الدولية ، ويعتبر ان عقد هذا المؤتمر يخدم اهداف النضال العربي ... »

صدر عن مركز الابحاث في م. ت. ف.
باللغتين العربية والفرنسية كتاب

أوري افنيري أو الصهيونية المستحدثة

بقلم
كميل منصور

يقول الكاتب ان الهدف من دراسته كان « تبديد الاوهام من اذهان بعض المسؤولين والمثقفين العرب ، المعجبين باوري افنيري ، « عدو الصهيونية » و« صديق العرب » » ، اثر غضبه لافنيري في سبعة فصول تتناول : من نبذة عن حياته الى نضاله في المجتمع الاسرائيلي الى موقفه من القضية الفلسطينية، الى رايه في الحرب والسلام والى الدور الذي يلعبه في اسرائيل ، بالاضافة الى ملحقين حول مبادىء افنيري وخطة السلام التي عرضها .

١٩٠ صفحة

٢ ل.ل.

تضاف اليها أجور البريد : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي
١٠٠ ق.ل. في اوروبة ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول

تقييم استراتيجي اولي لمعارك ١٦ و١٧ ايلول

هـ. أ.

في فجر السبت ١٦ أيلول تحركت وحدة آلية اسرائيلية تضم مختلف صنوف الاسلحة نواتها المدرعات والمشاة المحمولة ، واجتازت الحدود اللبنانية من ثلاث نقاط مستخدمة محاور عديسة — الطيبة — القنطرة ، وعيترون — عيناتا — بنت جبيل ، ورميش — عين ابل — بيت ياحون . « واتصلت السلطات الاسرائيلية بلجنة الهدنة وابلغتها ان هدف دخول قواتها منطقة الجنوب هو تمشيطها من الفدائيين » (النهار ٧٢/٩/١٧) ، وأعلن الناطق العسكري الاسرائيلي منذ بدء القتال بأن هدف هذه الوحدة المهاجمة القيام بأعمال «التمشيط والتطهير» ضد قواعد المقاومة المستخدمة « كاماكن تجمع وقيادة » ، ثم ربط هذا الناطق بين العمليات العسكرية وحوادث الحدود ، واشار الى مقتل جنديين اسرائيليين في منطقة هاردوف بتاريخ ١٤ أيلول ، ومقتل جندي آخر في منطقة كفر برعم قبل عشرة ايام(١). ولم تأخذ الاوساط السياسية والعسكرية وأوساط المقاومة هذه التصريحات مأخذ الجد ، واعتبرها الكثيرون خدعة اسرائيلية تستهدف تخفيف حدة رد الفعل العالمي على هذا العدوان ، والحد من ردود فعل القيادات السياسية — العسكرية اللبنانية التي أعلنت عن تصميمها على القتال دفاعا عن الوطن مهما كان الثمن غاليا .

وظهر وسط التحليلات الاولية للموقف رايان اساسيان : يقول احدهما بأن العملية لا تخرج عن كونها ضربة موجهة الى قواعد المقاومة ، ولا تختلف عن الضربات السابقة الا بحجمها وضخامة القوة المشتركة فيها وعمق تغلغلها داخل الاراضي اللبنانية ، على حين يقول الراي الاخر بأنها عملية تستهدف احتلال جنوب لبنان حتى الليطاني ، والمساومة بعد ذلك على الانسحاب مقابل تعهد الحكومة اللبنانية بابعاد قواعد ومراكز المقاومة عن الحدود ومنعها من العمل عبرها ، ان لم يكن تعهدها بتصفية الوجود السياسي — العسكري لحركة المقاومة في لبنان كله(٢).

ويمكننا ان نؤكد بشكل قاطع على ان الراي الاول كان بعيدا عن الصواب لان طبيعة القوة المهاجمة وتشكيلها وحجمها لا تنطبق بأي شكل من الاشكال على طبيعة وتشكيل وحجم القوات المخصصة للعمل ضد العصابات ، خاصة وان قوة المقاومة الرئيسية متمركزة في المنطقة الشرقية التي تعارضت الصحافة العالمية على تسميتها باسم « فتح لاند » ، على حين أن تواجد قوات المقاومة في المناطق التي تعرضت للهجوم « محدود جدا » ولا يشمل « الا بعض القواعد الصغيرة ونقاط المراقبة التابعة لها »(٣). ومن المعروف ان العمل ضد هذا النوع من القواعد الصغيرة لا يتطلب هجوما برياً بلواء مدرع معزز بالمشاة المحمولة والمدفعية والمهندسين ، وتحت تغطية جوية كاملة ، ولا يستخدم هذا النوع من المدرعات المتوسطة والثقيلة والمدفعية الثقيلة ، بل يلجأ الى استخدام وحدات آلية خفيفة الحركة تضم عددا كبيرا من المشاة والقوات الخاصة ، وتعتمد قوتها النارية اساسا على الدبابات الخفيفة والمدفعية المحمولة الخفيفة ، وتطبق قبل « التمشيط والتطهير » عمليات قصف جوي تليها عمليات تطويق تنفذها قوات محمولة جوا تسيطر على المحاور الاساسية ، وتعتمد في المطاردة اساسا على وحدات محمولة بالهليكوبتر .

ومن المعروف ان عملية « التمشيط والتطهير » لا تكتفي بالسير على محاور الطرق وتدمير المقاومات وسدادات الطرق المقامة عليها ، بل تعمل على الاندفاع بعمق على الطرق لتحقيق التطويق ، ثم تبدأ تطهير الجيوب والجزر . فكيف تصرفت القوات المهاجمة ؟ لقد تمكن الرتل المتقدم على محور العديسة — الطيبة — القنطرة من اغلاق الطوق

العدو ان يتقدم رتل من بنت ياحون باتجاه مجدل سلم ـ اربخا . ووصل الرتل المتقدم نحو الشمال الغربي الى صديقين وقانا وجويا وكان بوسعه اغلاق الطوق لو انحرف نحو الشمال الشرقي متجها الى الغندورية ـ القنطرة . ولكن هذين الرتلين بقيا طوال الليل في المواقع التي وصلا اليها ، ولم تترك المشاة المحمولة آلياتها المدرعة ولم تتسلق المرتفعات لتحقيق « التمشيط » بعد تحقيق « التطويق » . ولم تقم بأية عملية مطاردة راجلة او محمولة جوا ضد عناصر المقاومة التي لجأت حسب تكتيك العصابات الى ترك المحاور واللجوء الى المرتفعات .

اما بالنسبة لتدمير جسري الخردلي والقمعية فقد استخدمه العدو امعانا في التضليل ، وفسره على اعتباره عملا يستهدف قطع طريق انسحاب قوات المقاومة باتجاه الداخل او باتجاه سوريا وحصر هذه القوات داخل الطوق . ولكن نظرية تطويق العصابات الصغيرة تنسف هذا الادعاء من أساسه ، فهي تؤكد على ضرورة قطع الجسور او احتلالها واغلاقها داخل اطار الطوق او على اقرب مسافة ممكنة من منطقة اغلاق الكماشة ـ اذا كانت الغاية من هذا القطع منع الانسحاب ـ والقيام بالقطع خارج الطوق على مسافة معينة اذا كانت الغاية منه منع تدفق الامدادات اللازمة لذلك التطويق . فاذا القينا نظرة واحدة على خارطة العمليات وجدنا ان الجسور المدمرة تقع على مسافة عشرة كيلومترات خارج حدود الطوق. وهذا يعني ان الافادة من هذا التدمير لمنع الانسحاب جزئية ومحدودة . بالاضافة الى ان عمق نهر الليطاني وطبيعة ضفافه ومريره وضعف تياره تجعل العربات العسكرية بما في ذلك سيارات الجيب قادرة على اجتيازه من المخاضات دونما حاجة لاية جسور . وهذا يعني باللغة العسكرية ان تخريب هذين الجسرين قد يخلق أمام الوحدات العسكرية النظامية المنسحبة عاجزا متوسطا ولكنه لا يشكل أية مشكلة للعصابات التي تعتمد في تحركاتها اساسا على التنقل سيرا على الاقدام والقيام بالمسيرات الليلية الطويلة ... فهل يعقل ان نرجع كل هذه الاخطاء الى خلل في تفكير قيادة القوات المهاجمة ؟ وهل يمكن ان نتصور قائدا عسكريا يخطط لعملية بمثل هذا الحجم ثم يستخدم اداة وطريقة لا تصلحان لتحقيق الغرض الذي أعلن عنه؟ وجوابنا على ذلك هو النفي القاطع ، والتأكيد على ان ما اعلنه الناطق العسكري الاسرائيلي حول هدف العملية كان جزءا من حملة تضليل عالمية ومحلية .

ويستند الرأي القائل بأن العملية كانت تستهدف الاحتلال الى عدة حجج منها : ١) عمق الغزوة وحجمها (غطى العدوان ٨٥٠ كيلو مترا مربعا وتغلغل بعمق اكثر من ٢٠ كيلومترا داخل اراضي الجنوب) ٢) حجم وطبيعة القوات المعادية المشتركة في الخط الاول والقوات الاحتياطية المحتشدة خلفها داخل الارض المحتلة لدعم الهجوم عند اللزوم وتظهر جيوب المقاومة ٣) ضرب الجسور على نهر الليطاني لمنع الجيش اللبناني من الانسحاب ، ولمنع الاحتياط الاستراتيجي اللبناني من التقدم لفك الحصار او القيام بهجوم معاكس (هنا تصبح الجسور هامة نظرا لكثرة الاليات التي ينبغي استخدامها للتموين والاخلاء) . ٤) حجم الحملة الاعلامية الديماغوجية التي شنها العدو داخل الاراضي المحتلة وفي العالم كله بعد عملية ميونيخ، واحتمال استغلال شرائح من الرأي العام الغربي الذي بدأ يؤيد اسرائيل ويشجب أعمال الارهاب وينتدد بكل من يدعم حركة المقاومة او يسمح لها بالعمل على ارضه . واحتمال اعتماد العسكريين الاسرائيليين على النجاح الذي حققته الديبلوماسية الاسرائيلية لتحقيق غطاء دولي ـ امريكي بالاساس ـ لعملية احتلال دائم او مؤقت .

ولقد كان على القوات الاسرائيلية المعتدية في حالة رغبتها بالاحتلال ان تنطلق في ليلة ١٦ ـ ١٧ او في صباح ١٧ ايلول باتجاه الليطاني وان تتحرك من قانا الى صور ، ومن جويا الى صور ، ومن جويا الى الغندورية ، ومن كفرا باتجاه البحر ، بشكل يقسم المناطق الجنوبية الى ست جزر يتم تطهيرها فيما بعد . ولكن هذه القوات وقفت في قانا بعد معركة لم تكن بالضبط معركة مدرعات ـ كما وصفت ـ بل كانت اقرب الى قتال مقاومة مختفية (مشاة وعدد من الدبابات ومدافع ضد الدبابات) ضد عدو يتقدم على محور . كما وقفت في جويا لاصطدامها بمقاومة عنيفة ابدتها مجموعات من قوات المقاومة مزودة باسلحة مضادة للدبابات ومختفية داخل القرية . واضطرت القوات الاسرائيلية الى الاشتباك بمعركة تطهير طويلة بدأت منذ الساعة الخامسة من مساء ١٦ ايلول ولم تنته

الا في صبيحة يوم ١٧ . وبدلا من التحرك باتجاه صور والليطاني اعلن الناطق العسكري في تل ابيب في الساعة السابعة من مساء ١٦ « ان الوحدات الاسرائيلية انهت مهمتها وعادت الى اسرائيل باستثناء وحدة تقوم بعملية تطهير قرية جويا»(٤). ومع تنفيذ الانسحاب الذي تأخر حتى مساء يوم ١٧ بسبب صعوبات اخلاء المعدات والاليات الاسرائيلية المدمرة على ارض المعركة اختفت التساؤلات حول هدف الهجمة الاسرائيلية . وبدا عمل اللواء المدرع وكأنه عرض عضلات ، او اذا شئنا استخدام التعبير العسكري الدقيق : « ردع عن طريق عرض القوة واستخدامها جزئيا » . فهل كان هذا « العرض » مخططا من قبل ام جاء نتيجة لتبديل الخطة الاسرائيلية تحت تأثير عوامل متعددة؟ ان من المتعذر الرد على هذا السؤال في الوقت الحاضر . ولكن كثيرا من الظواهر تدفعنا الى الاعتقاد — دون جزم — بأن الاسرائيليين بدلوا خطتهم خلال سير العملية نظرا للاسباب التالية :

١ — الضغوط الدولية : اذ لم يحظ الهجوم الاسرائيلي على الاراضي اللبنانية بتأييد عدد من الدول الغربية . وخاصة فرنسا التي قام وزير خارجيتها موريس شومان باخطار السفير الاسرائيلي خلال القتال « بأن فرنسا لن تبقى في موقف اللامبالاة تجاه اي مساس بسيادة الارض اللبنانية وان القائم بالاعمال الفرنسي تلقى منذ هذا الصباح تعليمات بان يطلب من الحكومة الاسرائيلية الشروع في سحب قواتها التي توغلت في الاراضي اللبنانية»(٥). ولقد لعبت الحكومة اللبنانية ورقة الضغط السياسي منذ البداية . وصرح رئيس الوزراء اللبناني صائب سلام امام النواب في جلسة يوم السبت ١٦ ايلول بان حكومتي فرنسا وبريطانيا « تضامنتا بالعمل الحثيث القوي للضغط على اسرائيل بالانسحاب . وهما تجاولان تأليب اكبر عدد من الدول للوقوف موقفهما»(٦). وفي ندوة ١٧ ايلول الاذاعية التلفزيونية تحدث رئيس الوزراء اللبناني عن عدم وجود اتجاه لتقديم شكوى الى مجلس الامن الذي اطلق عليه لقب «حائط المبكى». وخاصة بعد الفيتو الامريكي الاخير . ثم اكد اهتمام لبنان بالاتصالات السياسية مع فرنسا وبريطانيا ، والامل الذي يعقده على هذه الاتصالات للضغط على اسرائيل بقوله « إننا لا زلنا نتحفظ بالذهاب الى مجلس الامن . وبقينا نترقب تحركات بعض الدول مثل فرنسا وانكلترا»(٧). ولم يكن موقف لندن حازما كموقف باريس ولكنه كان موقفا ضاغطا الى حد ما. وبالاضافة الى الدول الغربية فقد نددت الدول الشرقية والدول المحبة للسلام بالعدوان الاسرائيلي على لبنان ، حتى ان كورنيليو مانيسكو وزير خارجية رومانيا — وهي اكثر الدول الاشتراكية تعاطفا مع اسرائيل — قد ابلغ السفير الاسرائيلي في بوخارست « بانه لم يكن هناك اي مبرر لعملية الجيش الاسرائيلي ، وانها تمس سيادة لبنان وسلامة ارضه»(٨). وبالرغم من الاتصالات التي اجراها لبنان مع واشنطن فاننا لا نملك حتى الان ما يشير الى قيام الولايات المتحدة الامريكية باي دور في مجال الضغط على اسرائيل ، ولا نتوقع ان تكون واشنطن قد لجأت الى مثل هذا الضغط حتى ولو كان هذا الضغط يخرجها جزئيا من العزلة التي وقعت فيها بعد تورطها في استخدام الفيتو في الاسبوع الماضي، وذلك لاعتقادنا بأن نيكسون عاجز عن الضغط على اسرائيل قبل ستة اسابيع من موعد الانتخابات الامريكية .

٢ — ضراوة المقاومة : لم يكن مخططو العملية ينتظرون الاصطدام بمقاومة عنيفة . وكانوا يعتقدون ان اندفاع الارتال المدرعة على الطرقات تحت تغطية مظلة جوية متفوقة بشكل حاسم سيشل كل مقاومة وينتج الطريق بلا قتال حتى الليطاني . ولقد بنوا اعتقادهم هذا على مبدأ عسكري يقول بأن التفوق الساحق يصل بالردع الى ذروة تأثيره بشكل يشل الخصم ويخفف احتمالات عمل القوات المتفوقة الى الحد الادنى . ولكن المقاومة العنيفة التي ابدتها المخافر القتالية اللبنانية المتمركزة على الطرقات (كانت هذه المخافر مؤلفة من عدد من الدبابات المتمركزة دفاعيا ، والمدافع ١٠٦ عديمة الارتداد المضادة للدبابات ، ومجموعات من المشاة والمهندسين) ، واستناد هذه المخافر في عدد من النقاط الحساسة الصعبة الى تخريبات (نسفيات)، وصمود مجموعات المقاومة الفلسطينية — رغم صغر امكاناتها في هذا القطاع — في بنت جبيل وعيناتا ومجدل سلم والغندية وقانا وجويا ، وعنف تصف المدفعية اللبنانية رغم تعرض مرابضها لقصف الطيران المعادي(٩)، واصدار الاوامر لقوات الجيش اللبناني المتمركزة في قطاع الهجوم والقطاع الغربي بالدفاع دون فكرة تراجع داخل جزر مقاومة حتى ولو تم تطويقها وعزلها نهائيا ، ان كل هذا قد ابطأ تقدم الاليات الاسرائيلية على المحاور ، وكبدها عددا من الخسائر ، ومنع العدو من اغلاق

الطول بشكل كامل قبل حلول الظلام ، واعطاء القيادة السياسية — وهذا هو اهم ما في الامر — الوقت الكافي لاستخدام سلاحها الدبلوماسي الى ابعد مدى . ولقد ذكر وزير الخارجية اللبناني خليل ابو حمد امام السفراء العرب في يوم ١٨ ايلول بانه لولا بسالة الجيش في التصدي للعدوان لما نجحت الضغوط السياسية التي حملت اسرائيل على التوقف والانسحاب ، وقال في معرض حديثه : « الحقيقة يجب ان تقال بأن الضغط على الدول الصديقة لم يكن ليأتي بهذه النتيجة الايجابية لولا الموقف الشجاع والجريء الذي اتخذه الجيش عندما تصدى بكل قوة لهذا العدوان»(١٠).

٣ — طبيعة الارض : يرتبط عامل طبيعة الارض ارتباطا وثيقا بحجم القوات المدافعة وخطتها ومدى استعدادها للقتال . ولقد كان على القوات الاسرائيلية التي وصلت الى قانا وجويا ان تقطع حوالي ٢٠ كيلو مترا قبل ان تصل الى البحر ، وتغلق الطوق ، وتحصر قوات الجيش اللبناني المتمركزة في القطاع الغربي وقوات جيش التحرير والميليشيا المتمركزة في الرشيدية . ولكن طبيعة الارض في منطقة رأس الناقورة — دير قانون — عين بعل — البزورية — طير دبه — صور ، ومرور الطرقات في هذه المنطقة عبر اراض مشجرة صالحة لاخفاء الرجال والمعدات ، وشن الغارات ونصب الكمائن ، وتجمع قوات المقاومة في هذه المنطقة بعد انسحابها من القطاع الاوسط اثر معارك قاتلت فيها وفق تكتيكات حرب العصابات ، وبشكل جعل الضربة الاسرائيلية « تقع في فراغ »(١١) جعل القوات الاسرائيلية تقدر طبيعة المقاومة الشرسة اليائسة التي يحتمل ان تلاقيها ، وتحجم بالتالي عن متابعة التقدم ليلا نحو الغرب بدون دعم الطيران الذي تبقى امكانات دعمه الليلي محدودة رغم قدرته على اضاءة ساحة المعركة الى حد ما . ولا يمكن تقييم نجاح العملية وفشلها بالنظر لما حققته من دمار وخسائر وما تعرضت اليه من ضربات . والتقييم الحقيقي لا يتم الا ضمن اطار تحديد هدف العملية . فان كانت عملية تستهدف الاحتلال والضغط فهي عملية ناجحة تكتيكيا وسط فشل على صعيد السياسة والاستراتيجية العليا دون ان يمنعها هذا الفشل من محاولة تحقيق كسب استراتيجي مهما صغر . وان كانت عملية « ردع عن طريق عرض القوة واستخدامها جزئيا » فهي عملية ناجحة تكتيكيا ، وتنتظر قطف ثمارها الاستراتيجية والسياسية . ومهما يكن من امر ، وسواء توقفت العملية لان توقفها جزء من الخطة ، أم توقفت بسبب العوامل السياسية — العسكرية — الطبوغرافية فان « الردع عن طريق عرض القوة واستخدامها جزئيا » والذي حاول التظاهر بانه عملية « تمشيط وتطهير » كان يخفي وراء هدفه المعلن اهدافا اخرى . وتذكر صحيفة النهار بأن الاوساط الاسرائيلية المطلعة حددت « ان الهدف الاساسي من الهجوم هو ارغام السلطات اللبنانية على الغاء اتفاقية القاهرة رسميا او عمليا »(١٢). ويمكننا ان نتصور ابعاد الردع الذي تتوخاه هذه الاوساط عندما نرى انها لا تكتفي بالحديث عن قواعد المقاومة الموجودة قرب الحدود اللبنانية — الاسرائيلية او في مناطق الجنوب ، بل تتحدث عن وجود « خمسة الاف فدائي في لبنان »(١٣) وتعتبر ان بيروت هي « المركز السياسي والاداري لكل المنظمات الفلسطينية المتطرفة »(١٤) وان مخيمات اللاجئين في لبنان هي « مراكز تجميع الاعضاء الجدد في المنظمات الفدائية وتدريبهم . وفي هذه المخيمات مستودعات ذخيرة . ومن هذه المخيمات ينطلق الفدائيون للقيام بعمليات ضد اسرائيل وضد المصالح والشخصيات الاسرائيلية في الخارج »(١٥). ان الفهم الكامل لعملية ١٦ — ١٧ ايلول وتحديد خلفياتها وابعادها ومراميها واحتمالات تكرارها امر مرتبط كل الارتباط بوعي منطلقات الاسلوب الاسرائيلي الذي يعتمد في مجابهة حركة المقاومة العاملة خارج الارض المحتلة على « تناوب الردع والعمل » ، و « تناوب الضغط السياسي والضغط العسكري » ، ويطبق مجموعة القواعد التالية (التي سنبحثها بشكل مفصل واسع في دراسة خاصة عن الردع والعمل في الاستراتيجية الاسرائيلية) وهي :

١ — « الرد المرن » : الذي يستخدم كل الاساليب الممكنة لتسديد الضربات ، دون البقاء ضمن اطار رد جامد تقليدي او غير تقليدي .

٢ — « الرد الاعنف » : وذلك بتصعيد العنف ، والرد على ضربات المقاومة بضربات اعنف تستهدف قواعد المقاومة — لردع المقاومة ماديا ، كما تستهدف المدنيين من سكان المخيمات — لردع المقاومة معنويا .

٣ — « الرد المتواصل » : ويتم بتسديد الضربات بصورة متلاحقة للرد على ضربة ما ، او لمتابعة

٤ ــ « المبادرة الهجومية » : وتحقيق المطاردة والضرب خارج حدود الارض المحتلة وتجاهل « الحدود السياسية » والاستعاضة عنها «بالحدود الايديولوجية » و « حدود مدى عمل القوة » .

٥ ــ « ردع الدول العربية المضيفة » : وهذا يعني استغلال اختلاف اهمية « هدف الرهان » بالنسبة لحركة المقاومة ولحكومات الدول العربية المضيفة لخلق شرخ سياسي تتم الافادة منه بشكل « متدرج » عن طريق « الردع المتدرج » الذي يبدأ بالضغط والتلويح بالقوة وينتقل الى الاستخدام المحدود للقوة (بمختلف الاشكال) وعلى درجات متصاعدة ، حتى يصل الى الاحتلال الجزئي . والغاية من هذا الردع التوصل في النهاية الى « محاربة العرب بالعرب » .

٦ ــ « استغلال الوضع العربي » : عن طريق الافادة من التناقضات التي تقع بين الدول العربية، وتسديد الضربات في الفترات التي تكون فيها القوى العربية عاجزة عن الرد لانشغالها بأوضاع داخلية حرجة ، او لانشغالها بخلافات عربية قطرية ، او لسيطرة فكرة البحث عن حل سياسي على قادتها ... الخ .

٧ ــ « العمل تحت غطاء سياسي خارجي » : وذلك باستغلال ظرف دولي معين ، او حادث عالمي لتعبئة الرأي العام العالمي ، واكتساب الدعم ــ أو منع الضغط الدولي على الاقل ــ عند تسديد الضربات التي تعطيها عادة اسم ضربة وقائية دفاعية .

ولقد ألقى وزير الدفاع الاسرائيلي موشي دايان الاضواء على هذه الاساليب الاسرائيلية في حديث اذيع من التلفزيون الاسرائيلي في يوم ٤ اذار ١٩٧٢ ونقلته صحيفة دافار في اليوم التالي عندما قال : « ... أن منع نشاط الفدائيين من الاراضي اللبنانية ليس مسألة الوجود المادي للجيش اللبناني في منطقة الحدود مع اسرائيل فقط ، بل هو مسألة سياسية . وهذه المسألة هي اية سياسة ستنتهج حكومة لبنان ازاء الفدائيين ، والى اي مدى ينفذ الجيش اللبناني هذه السياسة ؟ ليست المشكلة بسيطة ابدا ، ولا يمكن تنفيذ الامر بضربة واحدة ومرة واحدة ، فالمسألة تتم على مراحل وليست حادثا عارضا سريعا » ... « اننا لا نستبعد امكان اجتياز وحداتنا الحدود [اللبنانية] اذا اقتضى الامر للدفاع عن مواطني اسرائيل »(١٦). وليست هذه هي المرة الاولى التي يصرح بها دايان او غيره من زعماء العدو مثل هذه التصريحات . وليست عملية ١٦ ــ ١٧ ايلول هي العملية الاولى ضد الاراضي اللبنانية ولن تكون الاخيرة . انها درجة اعلى على سلم تصعيد محاولات الردع . ولقد سددت القوات الاسرائيلية في الارض اللبنانية من قبل ضربات مختلفة جوية وبرية ، ثم وقفت تنتظر النتائج . وكلنا يذكر تهديدات رئيس الاركان الاسرائيلي دافيد اليعازار في حزيران ١٩٧٢ عندما حذر لبنان « من عمليات اخرى لجيش الدفاع الاسرائيلي داخل حدودها اذا لم تغير سياستها »(١٧) وكيف طلعت صحيفة هاتسوفيه (١٩٧٢/٦/٢٤) لتقول : « ان على لبنان ان يختار بين امرين : اما ان يكبح جماح الفدائيين وتهدأ الحدود او يتجنب ذلك ويعرض نفسه لردود الجيش الاسرائيلي القوية »(١٨). ولكن الضربة العسكرية اليوم اكبر ، والوضع العربي لا يبشر باحتمالات رد موحد فعال (رغم الجهود الكبيرة التي يبذلها امين الجامعة العربية محمود رياض في هذا المجال) ، والوضع الدولي بعد خروج السوفيات من مصر وفي فترة ما قبل الانتخابات الامريكية قاتم نسبيا ، لهذا فان من الطبيعي ان يكون حجم التبجحات الاسرائيلية متناسبا مع كل هذه الاوضاع ، ومن الطبيعي أن يكون الثمن السياسي الذي تطالب به اسرائيل ضخما . وها هي صحيفة دافار تحدد خطوط الخطوة السياسية المطلوبة من الحكومة اللبنانية بقولها : « أمام الحكومة الخيار بين طرد « المخربين » [رجال المقاومة] من اراضيها او الاستمرار في التفرج على اسرائيل وهي تقوم بذلك بنفسها »(١٩). ويتعرض لبنان لاخطر عملية ابتزاز سياسي عرفها حتى الان. فلقد صرح احد قادة عملية ١٦ ــ ١٧ ايلول لمندوبي الصحافة خلال الانسحاب بين عيترون وبنيدا « ان القوات الاسرائيلية ستترك الاراضي اللبنانية اليوم ، وسننتظر اسبوعا لنرى اذا كان هناك قوة حقيقية للجيش اللبناني في المنطقة ام لا ، فان لم يكن فاننا سنعود ثانية الى الاراضي اللبنانية لنمارس عملياتنا »(٢٠). ويرسم العدو للبنان الطريق الذي عليه ان يتبعه . انه يطلب منه بعد ان يوجه المدفس الى صدغه ان يلعب الدور الذي لعبه الحكم الاردني في عام ١٩٧٠ ، وان يكرس كل قواته

لتكون حارس حدود لاسرائيل ، والا ... ! وتقف الحكومة اللبنانية حائرة بين المدافع الغربية الصائحة على طول الحدود ، والتصريح الذي اطلقه مناحيم بيغن في ١٩٧٢/٩/١٣ امام المجلس القطري لحزب حيروت وقال فيه : « ان الدول العربية مسؤولة عن اعمال القتلة ، وعلينا ان نفهمها ان وقف العمليات الاجرامية ضد ابناء الشعب اليهودي هو احدى مهماتها »(٢١)، وتاييد واشنطن لعملية الابتزاز على لسان الناطق باسم وزارة الخارجية الامريكية الذي صرح في ٩/١٨ بأن « الحدود الاسرائيلية — اللبنانية يمكن ان تكون هادئة ، اذا توقفت عمليات الفدائيين »(٢٢). فكيف سترد الحكومة اللبنانية على هذه الدعوة « لمحاربة العرب بالعرب » ! وكيف ستفسر دعوة بيار الجميل في جلسة مجلس النواب مساء ٩/١٧ الى اقناع الفلسطينيين والاتفاق معهم وفي حالة الفشل استعمال الطريق « الذي يخلصنا ويخلصهم ويخلص القضية »(٢٣)!

وهل تصبح هذه الطريق عبر الهجوم الى الجنوب ، الهجوم الى خلف ؟ ان ميزان القوى داخل لبنان ، وحجم الضغوط العربية وضغوط القوى اللبنانية ، ووطنية الجيش اللبناني ، وموقف منظمات المقاومة الموحد من التنازلات ، واحتمالات نجاح محاولات اعداد رد عربي موحد فعال ، واستمرار الضغوط المالية ، واستمرار الموقف الامريكي المماكس ، هي العوامل القادرة على اعطاء اجابة واضحة على كل هذه التساؤلات التي يرتبط بها مصير امة بأكملها . لقد انتهت المعركة العسكرية في الجنوب ، ولم تكن الضربة موجهة لقوات المقاومة او لقوات الجيش اللبناني ، بل كانت موجهة الى الارادة السياسية في بيروت مباشرة . ومع انتهاء المعركة العسكرية بدأت المعركة السياسية — الدبلوماسية ، ولا ينتصر في هذه المعركة الا من يعرف كيف يقلب موازين القوى لصالحه ، ويصمد في معركة حوار الارادات .

---

١ — تصريح الناطق العسكري الاسرائيلي ، نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية الصادرة عن مركز الابحاث في م.ت.ف. رقم ٤١ بتاريخ ١٩٧٢/٩/١٦ .

٢ — راجع تفصيلات جلسة مجلس الوزراء وجلسة مجلس النواب في يوم ١٩٧٢/٩/١٦ (النهار ١٩٧٢/٩/١٧) .

٣ — على لسان المحرر العسكري **لوكالة الانباء الفلسطينية** (وفا) ١٩٧٢/٩/١٦ ، رقم ١٠ .

٤ — **النهار** ، ١٩٧٢/٩/١٧ عن رويتر ، و.ص.ف ، يوم ١٩٧٢/٩/١٦ .

٥ — بيان وزارة الخارجية الفرنسية — و.ص.ف في — ١٩٧٢/٩/١٦ ، نقلته **النهار** ١٩٧٢/٩/١٧

٦ — **النهار** ، ١٩٧٢/٩/١٧ .

٧ — **الانوار** ، ١٩٧٢/٩/١٨ .

٨ — نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، رقم ٤٣ تاريخ ١٩٧٢/٩/١٩ ، للمراجعة .

٩ — لا بد من الاشارة هنا الى بسالة ضباط وجنود بطارية المدفعية ١٥٥مم المتمركزة في ارنون والتي تابعت عملها بكفاءة رغم تعرضها للقصف الجوي .

١٠ — **الانوار** ، ١٩٧٢/٩/١٩ .

١١ — صرح الاخ ياسر عرفات امام بعض المسؤولين الفلسطينيين قبل بدء العمليات ان المقاومة ستتبع تكتيكات واساليب تجعل الضربة الاسرائيلية المنتظرة « تقع في فراغ » .

١٢ — **النهار** ، ١٩٧٢/٩/١٧ .

١٣ — **المرجع نفسه** .

١٤ — **المرجع نفسه** .

١٥ — **المرجع نفسه** .

١٦ — نشرة **مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، عدد ١٩٧٢/٣/١٦ .

١٧ — نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية بتاريخ ١٩٧٢/٦/٢٤ .

١٨ — **المرجع السابق** .

١٩ — نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، رقم ٤٢ ، بتاريخ ١٩٧٢/٩/١٧ .

٢٠ — مقال نزيه نقوزي ، **الانوار** ، ٧٢/٩/١٨ .

٢١ — نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، رقم ٤٠ ، بتاريخ ١٩٧٢/٩/١٤ .

٢٢ — **النهار** ، ٧٢/٩/١٩ ، عن رويتر ، و.ص.ف. ، في ١٩٧٢/٩/١٨ .

٢٣ — **الانوار** ، ١٩٧٢/٩/١٨ .

شـــهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

منذ مجزرة ايلول عام ١٩٧٠ ، ومجزرة جرش في تموز ١٩٧١ ، عاش العمل الفدائي مرحلة من التراجعات ، انتهت بتصفية الوجود العلني لحركة المقاومة في الاردن . وقد انعكست اثار هذا الوضع بشكل مباشر على العمل الفدائي في الاراضي المحتلة ، فتسارعت خطوات اسرائيل في تنفيذ مخططاتها الاقتصادية والسياسية والارهابية في الضفة الغربية ، كما استطاعت ان تتفرغ لوضع مخطط مماثل لقطاع غزة ، بحيث ادى هذا الوضع بمجمله الى نجاح اسرائيل في توجيه ضربات فعالة لخلايا المقاومة السرية في الداخل ، اثرت بشكل واضح على مستوى التواجد الفدائي وكثافته . ثم تابعت اسرائيل ضغطها على لبنان بمسلسل متواصل من الاعتداءات والغارات على قرى الجنوب المدنية ، نتج عنها اتفاق بين السلطات اللبنانية والمقاومة على تجميد النشاط الفدائي المنطلق من لبنان لفترة مؤقتة لم يحدد موعد انتهائها . وقد ابرزت هذه التطورات ازمة عامة اجاطت بالمقاومة وكان لا بد لهذه الازمة من ان تعبر عن نفسها بردود فعل مختلفة ، فبرزت اولا « منظمة ايلول الاسود » واعلنت انها ستعمل على تصفية المسؤولين عن المجزرة الاردنية ، وبرزت ثانيا اساليب جديدة في العمل لم تكن مقبولة على نطاق واسع من قبل ، ونعني بها اساليب الاغتيال السياسي (وصفي التل) وخطف الطائرات (الاسرائيلية والاردنية) ، وضرب المصالح الاقتصادية الاسرائيلية والامبريالية في الخارج (تريستا ــ ميونيخ) . ففي المرحلة التي سبقت مجزرة ايلول ، كانت هذه العمليات (خطف الطائرات والعمليات الخارجية) وقفا على الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (باستثناء عملية واحدة للجبهة الديمقراطية في المعرض الصناعي الاسرائيلي بتركيا) . اما بعد مجزرة ايلول ، فقد ساهمت بها بمستويات مختلفة ، كل من الجبهة الشعبية ، وفتح ، والجبهة الديمقراطية ، ومنظمة ايلول الاسود ، ثم كادت منظمة ايلول الاسود ان تحتكر هذا النوع من العمل . وان تتوسع فيه بحيث اصبح ظاهرة بارزة اعطت لحركة المقاومة طابعا جديدا لم يكن لها في السابق .

قبل ايلول كانت فتح ترفض هذا النوع من العمليات على اساس ان خسائره على صعيد الرأي العام العالمي اكثر من فوائده . كما كانت الجبهة الديمقراطية ترفضه ايضا من خلال موقف نظري يعترض على هذه العمليات من حيث المبدأ ويرى فيها تنمية للنزعة الفردية المغامرة ، كبديل عن نزعة العمل الجماهيري المنظم الواسع النطاق . وحين ساهمت هذه المنظمات بهذا النوع من العمل بعد ايلول لم تقدم له تفسيرا نظريا ، وان كان هذا التفسير واضحا من خلال وقائع التضييق المتواصل على نشاط حركة المقاومة ، فحين تمنع حركة شعبية مسلحة من التعبير عن نفسها في ميدان عملها الطبيعي ، وباساليب العمل المتعارف عليها ، فان توسيع نطاق العمل ، واللجوء الى الاساليب الخاصة ، يصبح نتيجة موضوعية متوقعة . هل تدعم هذه النتيجة الموضوعية المتوقعة ، بموقف نظري ؟ وما هي حدود وشروط هذا الموقف ؟ هذا ما لم يطرح للحوار حتى الان في صفوف حركة المقاومة ، وان كانت الجبهة الشعبية قد رأت فيه انتصارا وتعويما لوجهة نظرها السابقة .

عملية ميونيخ :

من ضمن هذا السياق جرت مؤخرا عملية ميونيخ ، وجرت الى جانبها عمليات اخرى مماثلة . قبلها انفجرت قنبلة داخل طائرة بوينغ اسرائيلية كانت متوجهة من روما الى تل ابيب يوم ١٦ اب ، ولكنها استطاعت العودة سالمة الى المطار . واعتقل شابان عربيان وجهت لهما تهمة تدبير مذبحة (١٩ اب) . وبعدها استدرج موظف استخبارات في

ثم في صباح يوم الخامس من ايلول اقتحم ثمانية من فدائيي منظمة ايلول الاسود ، مقر البعثة الاسرائيلية في مدينة الالعاب الاولمبية في ميونيخ واحتجزوا ٩ من اعضائها ، وقتلوا اثنين اثناء عملية الاقتحام . اعطى الفدائيون لعمليتهم طابعها السياسي من خلال التركيز على ما يلي :

١ ــ اطلقوا على العملية اسم « عملية اقرت وكفر برعم » تضامنا مع نضال سكان القريتين في فلسطين المحتلة للعودة الى اراضيهم وبيوتهم المغتصبة . ٢ ــ قالت منظمة ايلول الاسود في بيانها الرسمي أن العملية تتفق مع الذكرى الثانية لمجزرة ايلول . فهي نوع من اثبات الوجود بعد عمليات التصفية المتواصلة . ٣ ــ جعلوا مطلبهم الرئيسي، مطلبا نضاليا وانسانيا ، حين اشترطوا لاطلاق سراح الرهائن ، الافراج عن ٢٣٠ فدائيا اسيرا في المعتقلات الاسرائيلية ، في مقدمتهم الفدائي الياباني اوكاموتو ، الذي قاد عملية الجبهة الشعبية في مطار اللد . ٤ ــ طرحوا شعارا رئيسيا للعملية « يا ثوار العالم اتحدوا » .

وخلال سير العملية برز بشكل واضح ، ان الفدائيين يعون تماما درس عملية اللد الاولى ، ويتصرفون بحذر بالغ حتى لا يقعوا في اخطاء مماثلة لاخطاء تلك العملية . ففي البيان الذي رموه من غرفة الاحتجاز وحددوا به مطالبهم حذروا من الخديعة قائلين ، ان اي خديعة ستعني القضاء على الرهائن ، وان سلطات المانيا الغربية ستكون المسؤولة عن ذلك ، وستكون مصالحها فيما بعد هدفا لاعمال المنظمة . وقطعا للوقوع في احابيل اي مناورة اعلنوا ايضا انهم لن يفاوضوا حول مطالبهم . وحددوا مهلة واحدة للانذار مهددين بانهم سيقتلون رهينة كل ساعتين اذا لم تستجب اسرائيل لمطالبهم . وبينوا بالاضافة الى ذلك ، ان لديهم تصورا تفصيليا لمجرى العملية يقوم على احتمالين :

الاحتمال الاول : ان تستجيب اسرائيل لمطالبهم ، وفي هذه الحالة ينقل الاسرى الفدائيون الى اي عاصمة عربية باستثناء عمان (بلد النظام العميل) وبيروت (لاسباب امنية) . وبعد وصول الاسرى يتم التفاوض لتسليم الرهائن ، وخروج الفدائيين من المانيا بطريقة تضمن سلامتهم .

الاحتمال الثاني : ان ترفض اسرائيل الاستجابة لمطالبهم ، وفي هذه الحالة يطلبون نقلهم مع رهائنهم الى عاصمة عربية ، محددين اسلوب النقل بشكل تفصيلي ، وهو ما نفذ بالفعل ، حين تم نقلهم حسب طلبهم الى ثلاث طائرات هيلكوبتر حطت في مدينة الالعاب الرياضية ، واقلتهم الى مطار عسكري كانت تنتظرهم فيه طائرة ركاب عادية .

وتنفيذا لرفض التفاوض حول مطالبهم ، لم يستجب الفدائيون الى عرض المالي باطلاق الرهائن مقابل مبلغ غير محدود من المال ، كما انهم لم يستجيبوا لعرض اخر باستبدال الرهائن الاسرائيليين برهائن من المسؤولين الالمان . والتغييرات التي ادخلها الفدائيون على خطتهم تمثلت في امرين :

الاول : قبولهم تمديد فترة الانذار بناء على وساطة من السفير التونسي .

والثاني : عدم تنفيذ ما هددوا به بقتل رهينة كل ساعتين اذا لم تستجب اسرائيل لمطالبهم .

الا ان هذه التغييرات لم تؤثر على تمكنهم من تنفيذ خطتهم بنجاح ، حتى اللحظة التي تدخل فيها عامل حاسم لا حيلة لهم فيه ، وليس من الممكن الاحتياط له . فالاتصالات التي تمت بين المانيا واسرائيل اسفرت عن اتفاق بينهما ، اعلنت فيه اسرائيل رفضها باي شكل من الاشكال الموافقة على اطلاق سراح اي اسير فدائي ، واصرارها على اعداد كمين لاطلاق سراح الرهائن حتى لو ادى الامر الى مقتلهم ، واقترحت تطبيق الخطة نفسها التي نفذها دايان قبل اشهر في عملية اللد الاولى ، والتي تقوم على مماطلة الفدائيين حتى الليل ، ونقلهم الى مكان فسيح ، وتسليط الاضواء الكاشفة عليهم ، واقتناصهم فور نزولهم من طائرات الهيليكوبتر . وقد نفذت هذه الخطة على ارض المطار العسكري القريب من ميونيخ ، ولكن الاشتباك ادى الى مقتل الرهائن التسعة ، ومقتل خمسة فدائيين ، واعتقال ثلاثة منهم كان احدهم مصابا بجراح خطرة ادت الى بتر ساقه . وبذلك يكون العناد الاسرائيلي ، والاتصياع الالماني لهذا العناد هو المسؤول الحقيقي عن مجزرة المطار ، بينما كانت نجاة الرهائن مؤكدة فيما لو تم نقلهم الى اي عاصمة عربية ، اما من خلال بقائهم احياء كأسرى ، او من خلال موافقة اسرائيل على مبادلتهم ، ولكن موقف اسرائيل كان ينطلق من رفض تقديم اي تنازل ، حتى لو ادى ذلك الى

مقتل الجميع . وتهربا من تحمل مسؤولية المجزرة، اشاع المسؤولون الالمان في اليوم التالي (٦ ايلول) ان الفدائيين هم الذين بدأوا اطلاق النار، ثم عادوا واعترفوا بتدبير الكمين وبمسؤوليتهم عن بدء الاطلاق .

ردود الفعل :

* كان رد الفعل الاعلامي الاسرائيلي التركيز المكثف على تصوير العملية على انها عملية وحشية وهمجية ، وسعت من خلال هذه الحملة الاعلامية الى استصدار ادانة عالمية ، ليس للعملية فقط ، بل ولحركة المقاومة الفلسطينية ايضا ، ثم عززت اسرائيل حملتها الاعلامية بحملة دبلوماسية مماثلة ، حين أصدرت جولدا مئير بيانا بعد اجتماع للوزارة الاسرائيلية ، دعت فيه حكومات العالم الى اتخاذ اجراءات اكثر فعالية ضد الفدائيين . ولكن مقارنة بسيطة بين موقف فدائيي ميونيخ وموقف حكومة اسرائيل ، يكشف بوضوح كامل ان التصرف الوحشي والهمجي انما تجسد في قرار الحكومة الاسرائيلية ، وفي الموافقة الالمانية الغربية على ذلك القرار ، فمطلب الفدائيين باطلاق سراح رفاقهم المعتقلين مطلب نضالي وانساني ويضمن ارواح الرهائن . بينما اصرار اسرائيل على رفض الاستجابة لهذا المطلب ، ادى الى مجزرة حقيقية في مطار ميونيخ العسكري ، مقابل التمسك بعدم تقديم اي اعتراف بالفلسطينيين ، من خلال الرفض لاي مطلب من مطالبهم ولعل اوضح دليل على أن موقف اسرائيل كان هو الهمجية بعينها وليس موقف الفدائيين ، ما تضمنه البيان الوزاري الاسرائيلي نفسه ، من امتداح وتقدير لموقف الحكومة الالمانية، لانها وافقت على الخطة الاسرائيلية ، ونفذت كمين المطار : متجاهلة ان كمين المطار لم ينفذ الرهائن .

أما رد الفعل الاسرائيلي على صعيد الاجهزة الرسمية ، فقد تمثل بالاجتماع الطارىء الذي عقدته الوزارة الاسرائيلية فور الحادث ، والذي اعقبته ثلاثة اجتماعات هامة . الاجتماع الاول هو اجتماع الكنيست حيث القت غولدا مئير خطابا حول الحادث اعلنت فيه مطالب الفدائيين ، وطالبت الدول بالتدخل .

الاجتماع الثاني عقدته جولدا مئير مع كبار مستشاريها السياسيين والعسكريين .

الاجتماع الثالث عقده وزير الدفاع موشي دايان مع مستشاريه العسكريين . وعلى الفور شاع في الاوساط الصحافية والسياسية الدولية جو يتوقع ان تقوم اسرائيل بهجوم عسكري واسع على سوريا ، وباحتمال قيامها بهجوم مماثل على لبنان. وساعد على انتشار هذا الجو ، تركيز الاعلام الاسرائيلي قبل اسبوعين من حادث ميونيخ على ان سوريا رفعت من درجة دعمها للفدائيين ، وعلى ان العمليات الفدائية المنطلقة من الاراضي السورية قد ازدادت بشكل ملحوظ . وفي الاجتماع الثاني للوزارة الاسرائيلية يوم (٦ ايلول) ، قال البيان الصادر عن الاجتماع ان اسرائيل ستواصل حربها ضد المنظمات الفدائية ، ولن تعفي الذين يساعدون اعمال الارهابيين او يحرضون عليها من المسؤولية .

* أما ردود الفعل على الصعيد الدولي ، فقد كان أبرزها موقف المانيا الغربية نفسها التي تصرفت كطرف اسرائيلي ، وليس كدولة مسؤولة تسعى لايجاد حل مرض للمشكلة العالقة فوق اراضيها . فعلى الفور ، استنكر كل من رئيس الجمهورية ، والمستشار برانت العملية بشدة ، وعقدت الحكومة الالمانية اجتماعا طارئا ، طار بعده برانت للاشراف بنفسه على الخطة المضادة ، واقيم اثناء ذلك خط اتصال مباشر بين ميونيخ والقدس . أما خارج المانيا فقد بعث برانت برسالة الى جولدا مئير يؤكد فيها أن حكومته ستبذل كل جهودها لاطلاق الاسرائيليين المحتجزين ، كما بعث برسائل الى الحكام العرب يطلب منهم فيها التدخل لايقاف العملية ، واستغل هذه الرسائل فيما بعد ليحمل مصر مسؤولية المجزرة ، قائلا أنها رفضت استقبال الفدائيين، وانها لو قبلت ذلك لأمكن انقاذ الرهائن. وقد ردت مصر على ذلك قائلة أنها لم تكن قادرة على استقبال الفدائيين قبل أن يتم الاتفاق معهم على الحل . ولكن الغريب في الامر ، انه في الوقت الذي كان فيه برانت يجري هذه الاتصالات، كان الاستعداد لكمين المطار يسير في طريقه المرسوم . ويؤكد هذا ان هدف برانت من وراء اتصاله أزمة مع مصر ، مواجهة الضغوط السياسية الداخلية التي اثارها حادث ميونيخ ، وسعت المعارضة مباشرة للاستفادة منها لصالحها .

وشكل موقف الولايات المتحدة موقفا اخر بارزا في ردود الفعل الدولية ، لم يقتصر على بيانٍ استنكار

بيوالين ، صدرها مكسون ، ولا يخفى تبرار اتخذه مجلس الشيوخ بالاجماع يدعو الى فرض عقوبات اقتصادية على الدول التي تمنح المأوى لمنظمات مثل « منظمة ايلول الاسود » ، بل تجاوز الموقف الامريكي كل ذلك ، ليدعو نيكسون يوم ٦ ايلول الى تنظيم عملية قمع دولية لنشاطات الفدائيين ، وليقوم وزير خارجيته في اليوم التالي مباشرة ، بتنظيم برنامج اتصالات مع اربعين دولة لبحث الموضوع .

أما موقف الاتحاد السوفياتي فقد تمثل في البداية باذاعة نبأ العملية دون اي تعليق . ثم صدر التعليق الاول عن الاوساط الرياضية السوفياتية التي اعربت عن أسفها للحادث . وفي ١٠ ايلول قالت التحليلات الصحفية السوفياتية « بأن الرجعيين العرب وعملاء اسرائيل يتعمدون دفع الفلسطينيين الى ارتكاب اعمال متطرفة كعملية ميونيخ » .

* ردود الفعل على الصعيد العربي الرسمي تميزت بالحذر بشكل عام ، فلم تؤيد العملية ولم تستنكرها . وقدمت معظمها تفسيرات لظروف الظلم التي تدفع الفلسطينيين لاتباع كافة الوسائل لاسماع صوتهم للعالم . ولكن برزت بالرغم من ذلك عدة أصوات معارضة . فقد استنكر الملك حسين العملية في برقية بعث بها الى برانت ، ووصفها بأنها جريمة ومخزية . واعلن مكتب الجامعة العربية في بون عن الاسف العميق للحادث ، وقال في بيان له أنه لا يقر كل أعمال الارهاب . وصرح حسنين هيكل في روما قائلا ان فدائيي ميونيخ يعيشون في الماضي .

* على صعيد حركة المقاومة لم يصدر اي بيان رسمي حول الحادث . واكتفت دائرة الاعلام بالقول ردا على اسئلة الصحفيين بأن منظمة ايلول الاسود لا علاقة لها بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وصدرت نشرة « وفا » دون اي نبأ عن العملية . وحين تحدث السيد ياسر عرفات يوم ٦ ايلول في افتتاح مؤتمر الكتاب والصحفيين الفلسطينيين لم يشر الى الحادث . اما صوت النشاز الوحيد فقد صدر عن السيد سعيد حمامي ، مسؤول الاعلام في مكتب الجامعة العربية بلندن ، الذي استنكر العملية ، ونفى ، في جو الاستنكار ، وجود اي علاقة لايلول الاسود بمنظمة التحرير الفلسطينية .

* وكخلاصة لهذا الاستعراض لوقائع عملية ميونيخ يمكن ان نسجل الملاحظات التالية :

١ — على الصعيد الرسمي الدولي كان الاستنكار شبه شامل للعملية .. ولكن لوحظ انه كان هناك بالاضافة الى ذلك تركيز واضح ، في التصريحات وحتى في الصحف اليمينية الكبرى ، على الارهاب والظلم الذي احاق بالشعب الفلسطيني ، وانه سبب هذا النوع من العمل . وكأن هذه المواقف تريد أن تنبه الى ضرورة ايجاد حل لمشكلة الشعب الفلسطيني . ٢ — على الصعيد الاسرائيلي برز الاصرار على رفض تقديم اي تنازل حتى لو كان ثمنه مقتل رهايا اسرائيليين . ولكن الاهم من ذلك كان بروز فكرة مواجهة « الشعب » الفلسطيني ، وليس منظمات المقاومة فقط ، حيث وردت اشارة واضحة لذلك في بيان جولدا مئير يوم الثلاثاء ١٢ ايلول ١٩٧٢ . ٣ — اما على صعيد النتائج السياسية للعملية ، فقد ادت الى وضع علامة استفهام كبيرة حول اي احتمال لنشاطات التسوية السياسية . فقد قال ايبان وزير الخارجية الاسرائيلية « لقد خلقوا وضعا جعل « السلام » بعيدا عن تفكيري اليوم » . وقالت مصادر مطلعة في لندن ان احداث ميونيخ كانت ضربة قاسية لامكانات التسوية السياسية . وعلقت الصحف الجزائرية فقالت ان دراما ميونيخ وضعت حملة مصر الدبلوماسية في اوربا الغربية بوضع الشك .

والان ... هل توقفت ذيول حادث ميونيخ عن التفاعل ؟ على صعيد العملية نفسها ، مثل الفدائيون الثلاثة المعتقلون امام المحكمة يوم السابع من ايلول ، حيث رفضوا الادلاء بمعلومات عن رفاقهم الذين استشهدوا ، وتمسكوا بصمت شبه كامل . وفي اليوم نفسه تلقت الحكومة الالمانية تحذيرا من منظمة ايلول الاسود ، بأنها ستنتقم اذا لم تسلمها جثث الفدائيين الخمسة ، والمعتقلين الثلاثة ، وبينما طالبت تونس يوم ٨ ايلول تسليمها جثث الفدائيين ، الا انها عادت وسحبت طلبها ، لتفسح المجال امام وفد ليبي وصل الى المانيا للتفاوض حول الموضوع . وقد سلمت الجثث الى الوفد الليبي ، حيث تم تشييعهم في ليبيا بجنازة شعبي ضخم .

العدوان الاسرائيلي :

أما على صعيد النتائج العسكرية للعملية فقد

قامت اسرائيل يوم ٨ ايلول بشن سلسلة من الغارات الجوية الوحشية على عدد كبير من المخيمات والقرى ، استهدفت السكان المدنيين بالدرجة الاولى . وشمل العدوان الاسرائيلي كلا من لبنان وسوريا . ففي لبنان اغارت الطائرات الاسرائيلية على مخيم نهر البارد وعلى قرية الرفيد وعلى قرية راشيا الوادي . وقتل في هذه الغارات نحو ٢٠ شخصا وجرح نحو اربعين ، كان معظمهم من الاطفال والنساء . وفي سوريا اغارت الطائرات الاسرائيلية على موقعي المنطار وبرج السلام في المنطقة الساحلية الشمالية ، وعلى قرية الهامة قرب دمشق ، والكفر ، ومخيم لاجئي القنيطرة السوريين في سحم الجولان ، ومقصف قرية المزيريب ، ومسقط الجولان ، والسويداء . وقتل في هذه الغارات اكثر من ٢٠٠ شخص وجرح عدد مماثل . وايضا كان معظمهم من الاطفال والنساء . وفي الاردن ، اصابت بعض الطائرات الاسرائيلية اثناء قصفها لسوريا ، قرية اردنية في قضاء مدينة اربد ادت الى مقتل ١٨ مدنيا وجرح ١٧ . وفي المياه القريبة من مدينة صور اغرقت اسرائيل زورقا للمقاومة قتل فيه خمسة من الفدائيين (٩ ايلول) . وقد قامت الطائرات السورية بهجوم مضاد يوم ٩ ايلول على المواقع العسكرية الاسرائيلية ، تلتها اشتباكات جوية ، خسرت فيها سوريا ثلاث طائرات ، كما خسرت اسرائيل ثلاث طائرات ايضا . وفي اليوم التالي (١٠ ايلول) علم ان اسرائيل وضعت قواتها في حالة تأهب قصوى على طول الحدود مع لبنان وسوريا ، وسط جو يوحي بانها تستعد لعمل عسكري كبير . وعند انتهاء الغارات وصف ناطق اسرائيلي ما حدث قائلا ان هذه العمليات كانت « اهم عمليات قام بها الطيران الاسرائيلي » ، وادعى انها كانت موجهة ضد قواعد الفدائيين . وقد سعت اسرائيل بجميع الوسائل لاظهار هذه الهجمات البربرية على انها رد على عملية ميونيخ، ولكن الوقائع تظهر عكس ذلك تماما . اذ ان لبنان كان طوال الشهر الماضي عرضة لعمليات استفزاز اسرائيلية متواصلة ، تمثلت باختراق اسرائيل المتواصل لمجاله الجوي، ولمياهه الاقليمية، والاستمرار في احتلال بعض المواقع داخل اراضيه. فقد حلقت الطائرات الاسرائيلية فوق الاجواء اللبنانية للاستكشاف والتصوير بشكل يومي منذ ١٤ آب وحتى ٢ ايلول . وقدم مراقبو الهدنة الدوليون في لبنان ثلاثة تقارير الى الامم المتحدة تؤكد وجود قوات اسرائيلية داخل الاراضي اللبنانية (١٦ آب) . أما سوريا فقد تعرضت قبل اسبوعين من عملية ميونيخ ، لحملة اعلامية واسعة ، ركزت على ازدياد نشاط الفدائيين من الاراضي السورية بدعم وتشجيع من السلطات المعنية فيها . وقد كانت هذه الحملة مكثفة الى الحد الذي دفع المراسلين الصحفيين الاجانب كافة ، الى الحديث عن احتمال قيام اسرائيل بهجمات ضد سوريا ، قبل وقوع عملية ميونيخ .

وعلى اساس هذه الوقائع يمكن القول ان اسرائيل كانت ترتب سلفا سلسلة من الاعتداءات على سوريا ولبنان وقواعد المقاومة ، ثم تذرعت بعملية ميونيخ لتنفيذ اعتداءاتها ، لتظهر وكأنها رد عليها، هذا اذا تجاهلنا الربط الاسرائيلي غير المنطقي بين عملية الفدائيين الفلسطينيين في ميونيخ ، وبين ضرورة ضرب مواقع مدنية في سوريا ولبنان .

النشاط الفدائي :

لاحظ المراقبون باهتمام تمكن المقاومة من تجديد عملياتها في الاراضي المحتلة وفي اسرائيل نفسها ولو بشكل محدود . ورأوا في تجدد العمليات هذا احتمال الخروج عن النطاق المحدود الى نطاق اوسع ، كما رأوا فيه مسا اوليا باجراءات القمع الارهابية العديدة التي نفذتها اسرائيل بشكل مكثف منذ أيلول ١٩٧٠ . ففي ٢١ آب عثر البوليس الاسرائيلي على قنبلة موقوتة وضعها شاب في منطقة ناتانيا شمال تل ابيب . واعطى بعض الشهود اوصاف الشاب ، حيث جرت حملة اعتقالات وتفتيش في المناطق المجاورة ، وفي ٢٥ آب وقع في غزة اول هجوم فدائي ، بعد اشهر من الصمت (حسب تعبير وكالات الانباء) ، اعلنت اسرائيل على اثرها تخفيف حجم قواتها في القطاع. والقيت في الهجوم قنبلة يدوية على سيارة اسرائيلية عسكرية . وفي ٢٦ آب اعلن ناطق باسم المقاومة مقتل طيار اسرائيلي اثناء وجوده في منطقة الجليل الاعلى . وفي ٢٨ آب قام الفدائيون في غزة بهجوم ثان ، حيث القيت قنبلة يدوية ، قالت السلطات الاسرائيلية انها لم تحدث اي اصابات . وعلى اثر هذا الحادث قالت مصادر مطلعة في اسرائيل ان السلطات تخشى تزايد نشاط الفدائيين بعدما تلقت معلومات تفيد بأن المنظمات اعادت تنظيم نشاطها للقيام بهجمات جديدة ضد اسرائيل . وبالفعل قام

الفدائيون بعد ذلك بعملية عسكرية اخرى في غزة (٢ ايلول) ، تلتها ابرز عمليات القطاع في الشهر الماضي واكثرها دلالة سياسية ، وتعني بها محاولة اغتيال رشاد الشوا رئيس بلدية غزة . قام بالمحاولة ثلاثة اشخاص ، ولكنهم لم يتمكنوا من اصابته . وقد اعلنت المقاومة مسؤوليتها رسميا عن الحادث ، بينما نددت حكومة عمان به . والجدير بالذكر ان هذه المحاولة جرت بعد فترة قصيرة من عودة الشوا من عمان ، واعلانه هناك موافقته على مشروع الملك حسين ، واستعداده للسير تحت « قيادته الحكيمة » ، واعلانه عن استفتاء سيجري في غزة لتقرير مصير القطاع بعد الوصول الى اتفاق صلح بين الاردن واسرائيل . وقد اثار هذا الموقف في حينه رفضا شعبيا عاما في القطاع ، عبر عن نفسه بأكثر من صورة ، كانت اخرها محاولة الاغتيال . وبذلك برهنت الجماهير في قطاع غزة انها قادرة على تقديم المزيد من الصمود والعطاء ، رغم كل اساليب القمع والارهاب التي مورست هناك ، واطمأنت السلطات الاسرائيلية بعدها ان الهدوء قد اصبح سيد الموقف .

وقد لوحظ ان تجدد النشاط الفدائي ترافق مع عودة اسرائيل الى الاعلان من جديد عن محاكمات للفدائيين المعتقلين منذ فترة طويلة ، وذلك لتذكير الجميع بسيل المحاكمات السابقة كلها . ففي نابلس اصدرت محكمة عسكرية حكما بالسجن مدى الحياة على الفدائي سليمان العلان ، الذي يبلغ من العمر ٣٧ عاما ، ووصفته بأنه المسؤول المحلي للجبهة الشعبية في مدينة نابلس ، وكان قد اعتقل في عام ١٩٧١ . وفي غزة حكم فدائي اخر من الجبهة الشعبية بالسجن ٢٠ عاما ، وكان ايضا قد اعتقل في وقت سابق من العام الماضي .

العلاقات الداخلية بين المنظمات :

برزت اثناء الشهر الماضي ازمة في العلاقات الداخلية بين المنظمات الفدائية ، دارت حول موضوع الوساطة بين المقاومة والاردن . ظهر اول نبأ حول موضوع الوساطة يوم ١٣ آب في الصحافة الكويتية حيث قالت صحيفة « الراي العام » ان لزيارة السيد عمر السقاف وزير الخارجية السعودي الى القاهرة وبيروت علاقة بالجهود المبذولة لتحسين العلاقات بين الاردن والبلاد العربية ، وان هناك مشروعا سعوديا اردنيا يشتمل على احياء الجبهة الشرقية واعادة الفدائيين الى الاردن ، على اساس ان يتمتعوا بحقوق كالتي لهم في لبنان . وفي ١٩ آب وردت اخبار من تونس تقول ان السعودية تبذل بالتعاون مع مصر جهودا لتحسين العلاقات بين الاردن وحركة المقاومة . وفي اليوم نفسه الذي اعلن فيه هذا النبأ اعلن ان السيد ياسر عرفات الذي كان قد وصل تونس قادما من ليبيا يوم ١٧ آب ، قد عقد اجتماعين ، الاول مع الامير فهد بن عبد العزيز وزير الداخلية السعودي ، والثاني مع الامير فهد والرئيس التونسي بورقيبة . وفي اليوم الثاني اصدرت اربع منظمات فدائية (الصاعقة ـ الشعبية ـ الديمقراطية ـ جبهة التحرير) بيانا موقعا باسماء ممثليها في اللجنة التنفيذية ، يعتبر اتصالات الوساطة مخالفة تنظيمية ، وقضية لا يجوز لاحد ان ينفرد بها . ولكن السيد كمال ناصر نفى في ٢١ آب ان تكون المقاومة مهتمة بمساعي الوساطة بينها وبين الاردن وقال « ان هذا الكلام خارج عن اهتمامات الثورة الفلسطينية لان موقفنا من النظام الاردني واضح في مقررات المؤتمر الشعبي » . ثم اصدر كمال ناصر في ٢٣ آب بيانا انتقد فيه بيان المنظمات الاربع ، قائلا ان هذا التصرف يشكل تجاوزا لصلاحياته كناطق رسمي ، مما يجعل منه مخالفة تنظيمية ، ستؤدي الى ضرب الوحدة الوطنية . وولد هذا الجو كله ازمة واضحة في العلاقات الداخلية ، زاد من حدتها حديث صحفي ادلى به السيد نايف حواتمه الامين العام للجبهة الديمقراطية يوم ٢٦ آب . قال فيه ان هناك وساطة سعودية تحظى برضاء مصر ، وان الوساطة ليست امرا جديدا ، بل بدأت قبل ستة اشهر . واتهم جناحا محددا في احدى فصائل المقاومة (دون ان يسميه) بأنه ضالع في هذه العملية . وقال حواتمه في حديثه ان السفير انور الخطيب الذي يلعب دورا رئيسيا في الحوار بين عمان وزعماء الضفة الغربية ، يصر على مشاركة عناصر معتدلة من المقاومة في اية تسوية سياسية مع اسرائيل ، بينما يرفض الملك حسين مبدأ اشراكهم . واضاف يقول ان حركة المقاومة رفضت التسويات السياسية من حيث المبدأ ، ولكن الرفض المبدأي لا يكفي ، بل لا بد من طرح برنامج للعمل المرحلي يقدم للجماهير اجابات واضحة على مختلف القضايا لتناضل على اساسها ، وطالب بالالتزام العملي بالبرنامج الذي اقره المؤتمر

الشعبي ، وبانجاز وحدة وطنية ديمقراطية لا تقوم على أساس الضم والالحاق ، والا فستفقد المقاومة دورها الوطني والثوري وتجد نفسها على هامش الشعب الفلسطيني . وقد رد السيد كمال ناصر ببيان حاد اللهجة على تصريح حواتمه ، وقال في رده ان الحديث بشكل خرقا فاضحا لميثاق واجراءات الوحدة الوطنية ، وانه ظاهرة انشقاقية تستفيد منها القوى المضادة ، وانه يشكك ببسيط مفاهيم الثورة التي لم تكتف بالرفض الكلامي للتسويات السياسية ، بل تعرضت للذبح في الاردن بسبب صمودها . واضاف السيد كمال ناصر يقول ان المقاومة ليست بحاجة لمن ينظر لها ، وانها ستحاول تطويق نتائج الحديث ، وان دائرة الاعلام ستطلب تجميد عضوية الجبهة في جهاز الاعلام الموحد . وفي اليوم نفسه ردت الديمقراطية ببيان آخر قالت فيه ان كمال ناصر يفهم الاعلام الموحد ، كما للافواه ، واخراسا للاصوات التقدمية، وان مجلس الاعلام الموحد لا علم له ببيان كمال ناصر ، ولم يناقش اقتراحا بتجميد عضوية الجبهة الديمقراطية فيه .

وقد اجرت اذاعة فلسطين في القاهرة حديثا مع السيد ياسر عرفات يوم ٢٨ آب ، نفى فيه وجود وساطة بين المقاومة والملك حسين ، وقال ان هناك بعض الناس الذين يتخيلون معارك وهمية على طريقة دون كيشوت ، وكشف النقاب عن ان الملك حسين ارسل وفدا الى مصر وسوريا للوساطة ، وانه رفض الاتصال بالوفد . ثم ادلى السيد ياسر عرفات بتصريح آخر في القاهرة يوم ٢٥ آب قال فيه « برزت في الاونة الاخيرة ظاهرة طابعها الرئيسي التركيز على محاولات احداث شق في حركة المقاومة عموما وفي حركة فتح خصوصا ... واعتبرت هذه المحاولات على اختلافها ما يختلقه البعض من تحليلات يقيمونها على اخبار ملفقة ترددها القوى المضادة للثورة . ان كل هذه المحاولات محكوم عليها بالفشل ... وستظل حركة فتح صفا واحدا كما كانت دائما ... وان جميع المناضلين في فتح وقيادتها ... هم في موقع نضالي واحد » .

ثم عاد السيد كمال ناصر واثار مشكلة اخرى مع السيد خالد الحسن رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير ، وذلك اثر تصريح للسيد خالد الحسن في القاهرة ، نفى فيه وجود خلافات داخل حركة فتح ، رد عليه كمال ناصر ببيان اتهمه فيه بخرق الوحدة الوطنية وارتكاب مخالفة تنظيمية قائلا ان خالد الحسن (عضو قيادة فتح) ليس الجهة المكلفة نفي وجود خلافات داخل فتح . واضاف ان كافة المخالفات ستقدم الى اللجنة التنفيذية والمجلس الوطني ليتحمل اصحابها مسؤولياتهم كاملة امام القيادة العليا والشعب . وهكذا اثارت هذه الخلافات ازمة ملحوظة ، اثيرت في اجتماع اللجنة التنفيذية بدمشق يوم ٣ ايلول ، ولكنها عولجت بشكل ودي ملحوظ ادى الى تخفيف كبير في نتائجها . ثم جاءت تطورات الاحداث السياسية والعسكرية فخلقت بين المنظمات جوا داخليا مغايرا .

ب . ح .

لقد أكدت الاحداث في الشهرين الماضيين مجموعة من الحقائق ، دار النقاش حولها وما زال يدور. ولا بد لنا من ان نبرز بعض هذه الحقائق ، لان ابرازها يساعدنا على استجلاء آفاق المستقبل من جهة ، ويكشف لنا زيف كثير من الدعايات التي كانت تسد وجه الافق . وأهم هذه الحقائق الثلاثة ، نطرحها فيما يلي :

اولا : أن السياسة المصرية التي قادت إلى اتخاذ قرار انهاء مهمات الخبراء والمدربين السوفيات ، باسم الخروج من مأزق اللاسلم واللاحرب ، بات واضحا ما ترمي اليه . لقد أنهت حالة اللاحرب ، وأبقت حالة اللاسلم وحدها . انها هنا ، ومن الطرف العربي فقط ، ابقت الباب نحو « السلام » مفتوحا ، وسدت الطريق على الحرب ، ذلك أن القرار المصري اعطى ميزات استراتيجية لدولة الاحتلال الصهيوني بسحب الخبراء والمدربين والطيارين وبعض الاسلحة المتقدمة ، وبتعقيد أمر التعاون العسكري والسياسي مع الاتحاد السوفياتي . كما انه قدم خدمات استراتيجية جلى للولايات المتحدة عن طريق انهاء التسهيلات المصرية للبحرية السوفياتية في المتوسط . وظهر الاتجاه نحو السلام واضحا في التوجه نحو اوروبا ، ومناشدتها المساعدة على اقرار « السلام » في المنطقة. وبدأت مصر توجهها الفعلي نحو «السلام»، من خلال التحرك السياسي الذي أعلنت عنه . وهذا التحرك السياسي أشار اليه الرئيس السادات مرارا ، وذكرت وكالة انباء الشرق الاوسط ان الرئيس السادات تحدث عن هذا التحرك في اجتماع مجلس الشعب يوم ٨/١٧ قائلا : « ان ما نحتاج اليه الان هو التحرك مع الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وأوروبا الغربية والدول غير المنحازة والدول العربية » . ولكن الذي يحدث عمليا هو ان العلاقات مع الاتحاد السوفياتي تسير نحو التدهور في الوقت الذي يتم التحرك فيه باتجاه الولايات المتحدة وأوروبه الغربية والدول العربية. وكان هذا طبيعيا ، لان قرار انهاء خدمات السوفيات مطلب اميركي اولا . لقد قال كيسنجر قبل سنتين : « لنتحدث بصراحة ... تريدون مبادأة اميركية فعالة لتسوية النزاع العربي — الاسرائيلي ؟ اذن انهوا الوجود العسكري السوفياتي ثم تعالوا نتباحث ... هذا هو الشرط ... واكرر هذا هو الشرط الوحيد » (الاسبوع العربي ، العدد ١٦٩٢ ، ٧٢/٩/١١) . وظلت الولايات المتحدة ، خلال السنتين الماضيتين تضغط في هذا الاتجاه حتى جاء القرار .

ولقد رافق التحرك السياسي المصري نحو اميركا واوروبه تحرك تونسي — سعودي في اتجاه اميركا والغرب من جهة وفي اتجاه القاهرة من جهة اخرى . ومن هنا تتضح ابعاد التحرك السياسي المصري . انه تحرك ضمن دائرة معينة ، هي دائرة البحث عن حل « سلمي » . وهو تحرك نحو الخارج ، جزء من الخارج . لا نحو الخارج كله . لقد اسقط الاتحاد السوفياتي من الحساب ، ولم تعط الصين ما تستحقه من اهمية واهتمام (طبعا خوف ان يحل التنين محل الدب) .

ولقد بادرت الولايات المتحدة الى التقدم خطوة اخرى على طريق لعبة « الشد والارخاء » التي تمارسها منذ حرب حزيران : فأعلنت بعد القرار المصري مباشرة ضرورة اجراء مفاوضات مباشرة ، او مفاوضات عن كثب في جزيرة رودوس ، على ان تكون مفاوضات سرية ، وعلى أن يشارك فيها مفاوضون يتمتعون بصلاحية اتخاذ القرار (الاسبوع العربي ، المرجع السابق) . وسارت الديبلوماسية « الاسرائيلية » على الطريق ذاتها ، فتقدمت خطوة الى الامام ، وطرحت قضية المفاوضات المباشرة ، واعلن دايان ولاول مرة استعداد دولة الاحتلال للتراجع جزئيا في سيناء ، اذ قال يوم ٨/١٧ في حفل لتخريج دفعة من ضباط الاركان : « ان مفتاح الحدود الامنة كامن في صحراء سيناء ... ففي صحراء سيناء يمكننا ان نعين حدا فاصلا مؤقتا او دائما ضمن اتفاق متبادل بين مصر واسرائيل ، يعطي للمناطق الاهلة بالسكان في الجانبين عمقا أمنيا » .

لقد باتت الديبلوماسية الاميركية و« الاسرائيلية » تلعب الان، ومنذ قرار انهاء خدمة الخبراء والمدربين السوفيات ورقة المفاوضات المباشرة . المفاوضات المباشرة الان هي المطلب الاساسي . ولهذا فان ايا ابيان قد اعلن (٧٢/٨/٧) : « ان الجهد الرئيسي لاسرائيل خلال العام الثالث من وقف اطلاق النار سيركز اساسا على تحقيق المفاوضات المباشرة » . وصدرت تصريحات مماثلة عن ساسة كبار من ساسة الولايات المتحدة ، مثل ملفين ليرد وزير

الدفاع ووليليام روجرز وزير الخارجية، وفي التواريخ عينها ٨/٧ ، ٨/١١ مثلا . واستخلصت سياسة تل ابيب وسياسة واشنطن درسا جديدا ، مما جدث . لقد استطاعت ان تتأكد بأن مزيدا من التشدد ازاء العرب يقود الى مزيد من التراجع . وهذا ما عبر عنه ييجال آلون نائب رئيسة الوزراء بقوله يوم ٨/٧ : « ان واشنطن تعلمت في السنتين الماضيتين ان التشدد يؤدي الى نتائج حسنة في هذه المنطقة ، فقد كانت الولايات المتحدة تسعى منذ سنتين لحمل اسرائيل على دفع اي ثمن مقابل وعد من الرئيس السادات باخراج السوفيات ، ولكن اسرائيل لم تتجاوب ، وتبين بعد ذلك انها على حق ، حيث خرج السوفيات بدون ثمن » . وهذا الدرس يعزز سياسة العصا الغليظة التي تنتهجها تل ابيب وواشنطن . ومن الجدير بالذكر ان الولايات المتحدة واصلت تقديم الاسلحة لدولة الاحتلال الصهيوني ، حتى بعد قرار انهاء خبرات السوفيات . وهذا يكشف التضليل الذي كانت تمارسه الولايات المتحدة في السابق ، لتبرير امداد دولة الاحتلال الصهيوني بالاسلحة ، كما يكشف الخطة الاستراتيجية للولايات المتحدة في المنطقة ، هذه الخطة القائمة على اساس استمرار التفوق العسكري « الاسرائيلي » في كل الظروف .

ولا بد من الاشارة هنا الى ظاهرتين من ظواهر سياسة التوجه نحو « السلم » . الظاهرة الاولى، وتتعلق بالقرار الذي اتخذته دولة الاحتلال الصهيوني بتخفيض مدة التدريب ثلاثة أشهر . « وقد اوضحت السلطات العسكرية والسياسية الاسرائيلية ان الاسباب الواقعية لهذا الاجراء — وهو الاول من نوعه منذ العام ١٩٦٧ — هي « التحولات الايجابية » التي طرأت على الجبهات العربية مع اسرائيل (الدستور ، العدد ١٠٠ ، ٧٢/٩/١١) . الظاهرة الثانية هي زيارة الرئيس السادات للولايات المتحدة ولبعض العواصم الاوروبية . وزيارة من هذا النوع لا يمكن أن يشك بأن لها اهدافا غير (السلم) .

ولذلك يجري الحديث في هذه الايام عن « حل » يشمل الجبهة المصرية والاردنية ، ويستثني الجبهة السورية . وهذا الحل يسمى حلا جزئيا ، بينما هو في الواقع خطوة نحو الاستسلام الكامل . وبات واضحا أن قادة دولة الاحتلال قد غيروا من لهجتهم، بعد القرار المصري ، فانهم بدأوا لعبه « الشد والارخاء » من جديد . الهدف الان هو المفاوضات المباشرة . والهدف من المفاوضات المباشرة هو التسليم الكامل .

ان الحقيقة الاولى التي تؤكدها الاحداث في الشهرين الاخيرين هي ان كل تراجع سياسي أمام « اسرائيل » والولايات المتحدة يقود الى تراجعات وان استمرار هذه السياسة لن يقود الا الى الاستسلام . وعلينا ان نوقف مهزلة التراجعات هذه .

ثانيا : ان عملية ميونيخ التي قامت بها منظمة ايلول الاسود قد اثبتت بما لا يدع مجالا للشك بطلان حملة التضليل التي استعرت خلال الشهرين الماضيين ، والتي انطلقت من ان الوجود العلني للعمل الفدائي يعطي كل المبررات لعمليات الانتقام من العدو . قالوا لنا : ان العودة الى السرية هي التي تحرم العدو من مبرراته . ومع اننا كنا نعلم ان هذا وهم . وهو ما أشرنا اليه في حينه (شؤون فلسطينية ، العدد ١٢) الا اننا اضطررنا للدخول في مناقشة حول الموضوع . لقد كنا نعلم ان الدعوة الى العودة للسرية ليست الا مبررا لانهاء وجود الثورة . وان العودة الى السرية لا تمنع العدو من الانتقام . ولقد جاءت عملية ميونيخ ، فأكدت ما ذكرناه سابقا . أكدت ان دولة الاحتلال الصهيوني تريد أمرا واحدا ، هو أن يصمت الشعب الفلسطيني الى الابد . وفي سبيل ذلك هي مستعدة لعمل كل شيء دون رادع او وازع . ودولة الاحتلال عندما تعجز عن مواجهة العمل الفلسطيني المسلح ، تلجأ الى دفع الدول العربية على طريق تصفية المقاومة الفلسطينية . هذا ما فعلته في الاردن ، وهذا ما تحاول فعله الان في سوريه ولبنان . لقد اعلن قادة دولة الاحتلال الحرب على العمل الفدائي اينما كان .. وقالت جولدا مئير : « ستستمر اسرائيل في حربها ضد منظمات « الارهاب » ولن تعفي من يساعد هذه المنظمات من تبعية عمليات الفدائيين » (البلاغ ، العدد ٣٦ ، ٧٢/٩/١١) ، وشنت دولة الاحتلال هجماتها ، بعد التهديد ، على سوريه ولبنان . وما زالت تهدد بشن هجمات اخرى . وتعيش المنطقة في هذه الايام جوا من القلق والفزع . ان دولة الاحتلال تطالب بسحق وجود المقاومة ، فاذا لم تقم الدول العربية المعنية ، بهذه المهمة قامت بها دولة الاحتلال . وهكذا لا تكون المقاومة وحدها مهددة ، ان استقلال الدول العربية بات مهددا . وعلى الدول العربية ان تختار

بين أن تكون أداة في يد دولة الاحتلال أو تكون دولا مستقلة لها كرامتها . وهذا يعني أن تختار بين الاستسلام وبين الحرب . وهنا تبدو الامور واضحة : أن دولة الاحتلال تحمل الدول العربية مسؤولية كل عمل مضاد لها ، حتى لو كان فاعلوه مجهولين . وعليه فان العودة الى السرية لن تنقذ أحدا ، الا اذا عنت انهاء وجود المقاومة العلني والفعلي . كما ان دولة الاحتلال لن ترضى بديلا عن أن تكون القوة المتحكمة بالمنطقة ، المسيطرة عليها . وعلى الدول العربية ان تخضع او تقاوم. وبما أن طريق الخضوع معروف ، وقد اصبحت لنا فيه « تقاليد » وممارسات ، فان طريق المقاومة هو طريق الخلاص . وطريق المقاومة ليس سرا مجهولا ، ولا هو بالخافي على احد ولكن ممارسته هي القضية .

ولقد بدأت طلائع الشعب الفلسطيني انتهاج هذا الطريق منذ ابتداء سنة ١٩٦٥ ، وما تزال سائرة على الرغم من الاخطاء والانحرافات والعقبات . وما يعمل له المعسكر المعادي الامبريالي الصهيوني لا يتعدى اطفاء جذوة هذه المقاومة . هذه هي المهمة الاساسية الان للتحالف الامبريالي الصهيوني . ويعرف هذا التحالف ان انجاز هذه المهمة لن يتم بدون المعونة الفعالة من العملاء العرب . والقوى المضادة للثورة في الوطن العربي. والرد بالطبع على هذا كله ليس السرية فحسب ، انه القتال ، التصميم على القتال ، تعبئة الجماهير للقتال، المحافظة على انجازات المقاومة وامكانياتها، اشراك الجماهير العربية بمشاركة فعالة الخ ... واذا كانت هنالك حاجة للسرية ، فضمن هذا الخط وليس دونه .

ثالثا : أن مشكلتنا الاساسية تنبع في اعتماد انظمتنا على القوى الخارجية ، واهمالها طاقاتنا وامكاناتنا . نحن نفكر بالاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، بالشرق والغرب ، وتلوم هذه الجهة او تلك . نطلب من الاتحاد السوفياتي ان يؤهلنا للحرب ، او نناشد الولايات المتحدة أن تأتي لنا « بالسلم » . وطبيعي الا يستطيع الاتحاد السوفياتي ان يقدم لنا الاهلية للحرب ، كما انه طبيعي الا تقدم لنا الولايات المتحدة « السلم » على طبق من ذهب .

وهذا لا يعني أننا لسنا بحاجة الى اصدقاء وحلفاء ، نحن بحاجة الى أصدقاء وحلفاء ، وعلينا أن نحدد اصدقاءنا واعداءنا ، علينا ان نفرق بينهم وبين نوع صداقاتهم وعداواتهم ومستوى هذه الصداقات والعداوات في كل مرحلة . ولكن هذا ليس الاساس . انه جزء من الخط السياسي الصحيح الذي علينا ان نضعه وان ننتهجه . ولكن أساس هذا الخط هو جماهيرنا وقوانا وارادة القتال لدينا .

اعتقد أن التجارب علمتنا ان النصر لن يأتي من الخارج ، ولا من الاسلحة الخارجية ، ولا من المساندة السياسية الخارجية ، وان كان ذلك كله من العوامل المساندة . أن النصر يأتي من العامل الذاتي ، من ارادتنا ومن جماهيرنا . ان اصدقاءنا الصينيين ، وهم حلفاء لا يماري احد في صداقتهم، وان بدأت الاوساط المشككة بالصداقة مع الاتحاد السوفياتي تبث الذعر في نفوسنا من التنين الذي سيحل محل الدب، يقولون لنا دائما: الاعتماد على الذات هو الطريق الى النصر . أما نحن فنهرب دائما من الذات الى الخارج ، نبدد قوانا الحقيقية لنمني النفس بمساندة قوى لا تنفعنا ان لم تنفع انفسنا . ان سر قوتنا في جماهيرنا . ومع ذلك نبحث عن هذا السر في التكنولوجيا التي لا نملكها ولا نبذل الجهود لامتلاكها . وسر قوتنا في معنويات جماهيرنا ، ومع هذا فنحن نعمل على تدمير هذه المعنويات . وسر قوتنا في وحدة جماهيرنا ونحن نفرقها ونقسمها . وسر قوتنا في تعبئة جماهيرنا ، ونحن « ننفخها » اعلاميا ونحن « نفرغها » دائما حتى لا تصبح قوة .

وفي الوقت الذي تصمد فيه الجماهير الفيتنامية في الشمال والجنوب لغارات الطيران الاميركي الايام والاشهر والسنين ، نخشى نحن غارات الطيران « الاسرائيلي » . وفي الوقت الذي نخشى فيه تفوق الطيران « الاسرائيلي » ، ونؤجل الحرب فزعا ورعبا من هذا « الشيطان الرجيم » تزحف قوات الثوار الفيتناميين ، المشاة في الاغلب ، بلا حماية من طيران ، وبلا سلاح مدرع يستحق الذكر ، على مواقع الاميركيين والفيتناميين الجنوبيين ، ويحققون النصر تلو النصر . هذا هو درسنا الاول والاخير . ان النصر مرهون بارادة الانسان ووعيه وحكمته وقدرته على استخدام قواه وطاقاته . وعلينا ان نعي هذا الدرس جيدا، لانه الدرس الذي يقودنا الى النصر .

ن . ع .

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

استمرت التطورات الناجمة عن قرارات الرئيس السادات بابعاد الخبراء والمستشارين السوفيات من مصر في السيطرة على الاجواء الدولية بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي . وكان الاتجاه الاهم الذي سارت فيه هذه التطورات هو المزيد من التدهور في العلاقات المصرية السوفياتية . هذا بالرغم عن بعض التصريحات القليلة التي ارادت ان توحي بالعكس مثل قول محمد حسنين هيكل اثناء زيارته لالمانيا الغربية بان « سحب نحو ٢٠ الف عسكري سوفياتي، بطلب عاجل من القاهرة ، لم يؤثر على الصداقة المصرية ــ السوفياتية » . وتجلت اهم مظاهر هذا التدهور في الوقائع التالية:

١ ــ التطورات التي رافقت تلقي الرئيس السادات ، في الاسبوع الاول من شهر آب ، رسالة مهمة (على حد وصف اجهزة الاعلام المصرية) من الزعيم السوفياتي بريجينيف موضوعها العلاقات العربية السوفياتية . وجدير بالانتباه ان الرسالة جاءت بعد المشاورات التي اجرتها القيادة السوفياتية مع زعماء دول حلف فرصوفيا حول الوضع المستجد في الشرق الاوسط بعد قرارات الرئيس السادات ، وبعث الرسالة مع رئيس مجلس الشعب المصري الذي كان في زيارة للاتحاد السوفياتي بدلا من الطرق الدبلوماسية المعهودة . وتشير تطورات الاحداث الى ان الرسالة تضمنت رد القادة السوفيات على قرارات الرئيس السادات الاخيرة ورأيهم فيها . وعليه اعلنت الجهات المسؤولة بأن الرسالة لاقت اهتماما كبيرا ودراسة عميقة في مصر . لكن يبدو ان القيادة في القاهرة لم تكن مسرورة من محتويات الرسالة اذ اعلن محمد حسن الزيات (طبعا ، قبل ان يصبح وزيرا للخارجية) في مؤتمر صحفي ان الدراسة المعمقة للرسالة لم تبين ، للاسف ، اية طرق جديدة مفتوحة كما انها لا تدعو مصر للقيام باي عمل في الوقت الحاضر . وذكرت انباء صحفية موثوقة مصدرها القاهرة بان الرئيس السادات قال في جلسة مغلقة عقدها مجلس الشعب المصري بانه يهيء « رداً حاداً » على الرسالة لانها لا تتضمن اية عناصر ايجابية ، ولانه يبدو ان الزعيم السوفياتي لم يفهم تماما السياسة التي تنوي مصر اتباعها حيال الاتحاد السوفياتي . كذلك ذكرت هذه الانباء ان الرئيس السادات قال في اجتماع لاحق لمجلس الشعب (١٧ آب ١٩٧٢) بانه رفض رسالة بريجنيف لان « لهجتها ومحتوياتها ونمطها غير مقبولة كليا » وكما اتهم الاتحاد السوفياتي بانه يريد اجبار مصر على الخضوع لاسرائيل بامتناعه عن تقديم الاسلحة الهجومية ، خاصة الطائرات ، وشدد على انه في ظل سريان مفعول الحظر الذي تفرضه الدول الاوروبية الغربية الصديقة على شحن السلاح الى المنطقة يكون الهدف في الخطوات السوفياتية هو « دفعنا الى شفير اليأس » والوصول «الى مرحلة ندفع فيها الى الاستسلام». وفي مقابلة صحفية مع مراسل راديو لوكسمبورغ (٢٠ آب ١٩٧٢) ذكر الرئيس السادات ان اخراج المستشارين والخبراء السوفيات من مصر ليس الا « تحذير دولي » وانه بانتظار رد من موسكو قبل القيام بخطوة ثانية .

٢ ــ تدني العلاقات الدبلوماسية بين مصر والاتحاد السوفياتي ، في كل هذه الفترة ، الى مستوى القائمين بالاعمال . اذ سافر السفير السوفياتي في مصر الى بلاده بعد اعلان السادات قراراته بفترة وجيزة ، كما استدعى الرئيس السادات السفير المصري في موسكو على أثر ورود رسالة بريجنيف . وترددت انباء صحافية مصدرها مراجع مطلعة في القاهرة بأن الرئيس السادات سيطلب سحب فينوغرادوف ــ السفير السوفياتي في مصر ــ لانه لم ينقل معلومات صحيحة من القاهرة الى موسكو وبالعكس ، ولانه غادر القاهرة بطريقة اعتبرت غلطة . وجدير بالاشارة الى ان هذا ادنى مستوى وصلت اليه العلاقات الدبلوماسية بين البلدين منذ انشائها .

٣ ــ الانسحاب السوفياتي الكامل من كافة القواعد البحرية والجوية في مصر بعد خروج خبرائهم العسكريين . وذكرت الانباء الصحفية ان الرئيس السادات اعلن ، في اجتماع مجلس الشعب الاول الذي اشرنا اليه ، ان كل الوحدات البحرية السوفياتية قد انسحبت من موانيء مصر باستثناء سفينتين حربيتين قيد الاصلاح . ولا يستبعد المراقبون ان تعيد مصر النظر في سياسة تقديم التسهيلات البحرية للاسطول السوفياتي .

٤ ـ فشل فكرة عقد قمة مصرية ـ سوفياتية ، على اساس الاقتراح الذي تقدم به الرئيس السادات حين اعلن قراراته بشأن ابعاد الخبراء والمستشارين السوفيات ، للنظر في مستقبل العلاقات العربية ـ السوفياتية . فقد أعلن محمد حسن الزيات في منتصف شهر آب عن وجود عقبات في طريق عقد مؤتمر قمة مصري ـ سوفياتي ، مع ان مصر تواصل جهودها من اجل عقد مثل هذا المؤتمر . اي انه حمل الاتحاد السوفياتي مسؤولية عدم انعقاده . ومن جهة اخرى ذكرت انباء صحفية مصدرها مراجع مطلعة في موسكو ان القيادة السوفياتية نفسها غير متحمسة لعقد مؤتمر قمة في الوقت الحاضر وتفضل اجتماع مصري ـ سوفياتي في مستوى ادنى لمناقشة التطورات الاخيرة ، وفي حال نجاح هذا الاجتماع قد يعقد مؤتمر القمة عندئذ .

٥ ـ الحملات الصحافية والاعلامية المتصاعدة في شدتها ولهجتها بين مصر والاتحاد السوفياتي . ففي القاهرة ظهرت مقالات عديدة في الصحافة اتهمت الاتحاد السوفياتي بالاتفاق مع نيكسون على الامتناع عن مد مصر بالسلاح ، وبالعجز عن فرض السلام في المنطقة ، وبعدم ايضاح موقفه علينا من التطورات الاخيرة بالنسبة لعلاقاته مع مصر . ونزعت هذه الحملة باتجاه التشكيك بجوانب عديدة وجوهرية من سياسة الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط . على سبيل المثال اثارت الكتابات الصحفية المصرية تساؤلات من نوع : هل يستغل الاتحاد السوفياتي حاجة مصر الى قطع غيار لاسلحتها كوسيلة لممارسة ضغط سياسي عليها ؟ هل سينفذ الاتحاد السوفياتي اتفاقاته مع مصر في ما يتعلق بانشاء مصانع من بينها مجمع الصلب والحديد ؟ لو افترضنا ان اميركا استطاعت فعلا ان تفرض على اسرائيل الانسحاب من كل الاراضي المصرية ، فهل ترفض مصر ذلك لمجرد انها اميركا؟ يضاف الى ذلك الكلام عن الاتحاد السوفياتي كدولة كبرى لا تختلف في موقفها عن الولايات المتحدة بالنسبة لعلاقاتها مع مصر . وتشبيه العلاقات المصرية السوفياتية بالعلاقات الاسرائيلية الاميركية. كذلك تضمنت الحملة المصرية اشارات الى ان الاتحاد السوفياتي اعتبر ضرب جناح علي صبري في النظام المصري موجها ضده مع التلميح بوضوح الى احتمال اشتراك الاتحاد السوفياتي في حركة علي صبري ضد الرئيس السادات . حتى معاهدة الصداقة والتعاون المصرية السوفياتية لم تنج من حملة التشكيك هذه ، اذ اتهمت بعض الكتابات الصحفية المصرية الاتحاد السوفياتي بعدم احترام المعاهدة وبخرق بنودها الاساسية وبعدم تنفيذها . ولا يستبعد المراقبون ان تؤدي التطورات السلبية هذه الى الغاء المعاهدة فيما بعد . بطبيعة الحال ردت الصحافة السوفياتية والشيوعية على الحملة المصرية . ففي منتصف اب شنت صحيفة الحزب الشيوعي المجري حملة شديدة على سياسة الرئيس السادات واتهمتها بانعاش اليمين المصري والرجعية العربية عامة ، كما ذكرت ان السادات ساهم في اضعاف الناصرية وفي تسديد ضربة الى اليسار في مصر . ونفت صحيفة « البرافدا » ما قيل حول توصل الاتحاد السوفياتي الى اي اتفاق سري حول الشرق الاوسط مع نيكسون في مؤتمر القمة الاخير . ووجهت النقد لتقارب « بعض الزعماء العرب » مع الولايات المتحدة وشددت على ان هذا التقارب لن يكون له أية نتيجة ايجابية على صعيد تسوية النزاع مع اسرائيل بسبب تزايد التأييد الاميركي لها ، مؤكدة ان الشعوب العربية لن تتمكن من تحقيق السلام العادل وتحقيق التقدم بدون الاعتماد على مساعدة الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية . اما صحيفة « الازفستيا » فقد انتقدت الحملة الاعلامية المصرية واعتبرتها موجهة ضد الصداقة والتعاون بين العرب والاتحاد السوفياتي ، كما احتجت على وضع العلاقات المصرية مع كل من الاتحاد السوفياتي واميركا على قدم المساواة ، وعلى تشبيه العلاقات المصرية ـ السوفياتية بالعلاقات الاسرائيلية ـ الاميركية . كذلك رفضت الاتهام بان الاتحاد السوفياتي قد خرق التزاماته بالنسبة لنصوص معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين مذكرة ان مثل هذه الآراء من شأنها ان تفرح الامبرياليين والحكام الاسرائيليين وان تجلب الضرر الى الشعب المصري ونضاله من اجل ازالة آثار العدوان . واكدت من جديد وقوف الاتحاد السوفياتي الى جانب قضية التحرير التام للاراضي العربية من الاحتلال الاسرائيلي .

وكنتيجة حتمية لتدهور العلاقات المصرية السوفياتية المستمر كان لا بد للرئيس السادات من التوجه الحذر نحو الغرب في سياسة مصر الخارجية . وظهرت بوادر هذا التوجه في عدة تصريحات لكبار المسؤولين المصريين اهمها اعلان محمد حسن الزيات في منتصف شهر آب « بان مصر مستعدة

للتعاون مع اي دولة تفهمنا — او تحاول ان تفهمنا — وتساعدنا ، سواء أكانت هذه الدولة روسيا ام الصين او اميركا » . وتصريح السادات في مقابلته المشار اليها مع مراسل راديو لوكسمبورغ بأن مصر مستعدة لمصافحة « اليد التي تمدها أمريكا » اذا وافقت واشنطن على تعديل سياستها تجاه مصر . وبهذا الصدد ترددت انباء صحفية غير مؤكدة في لبنان ، في النصف الثاني من شهر آب ، تقول ان محمد حسنين هيكل قد يجتمع بهنري كيسنغر — مستشار الرئيس نيكسون للعلاقات الخارجية — في اوروبا ، وان اتصالات امريكية — مصرية قد جرت على مستويات متعددة من اجل الاعداد لهذا الاجتماع . كما ذكرت هذه الانباء ان وزير خارجية مصر ايضا قد يقابل كيسنغر اثناء وجوده في نيويورك بمناسبة اجتماعات هيئة الامم المتحدة . الا ان ناطقا باسم البيت الابيض نفى ان يكون عند كيسنغر اية خطط لمقابلة هيكل او أي مبعوث اخر من قبل السادات . وفي اوائل ايلول ترددت انباء صحفية اخرى في لبنان ، منسوبة الى مصادر دبلوماسية في القاهرة ، تقول ان الرئيس السادات قد يقوم بزيارة نيويورك في نهاية السنة الحالية لحضور جانب من اجتماعات هيئة الامم مما سيتيح له فرصة مقابلة كبار المسؤولين الامريكيين بعد انتهاء الانتخابات في البلاد . واضافت هذه الانباء ان السادات سيزور فرنسا في طريقه الى نيويورك لكسب المزيد من تأييدها لقضية التسوية السلمية . وقد امتنع المسؤولون الفرنسيون عن تأييد او نفي خبر نبأ زيارة السادات لفرنسا ، كما أعلنت السفارة المصرية في باريس انه ليس باستطاعتها تأكيد النبأ او نفيه . وفي اواخر شهر آب اعلن في القاهرة ان وفدا مصريا رفيع المستوى برئاسة وزير الاقتصاد والتجارة سيزور الولايات المتحدة في شهر ايلول ويجتمع بممثلي المؤسسات المالية الامريكية ويبحث معهم في تقوية الروابط الاقتصادية بين البلدين . وتحمل هذه الزيارة دلالات خاصة باعتبار ان هذا الوفد هو اعلى وفد مصري يزور الولايات المتحدة منذ فترة طويلة بهدف تحسين العلاقات الثنائية بين البلدين وخاصة الاقتصادية منها . وأعلن الناطق باسم وزارة الخارجية الامريكية عن ترحيب حكومة بلاده بالوفد الزائر واستعدادها لاجراء المحادثات اللازمة معه .

لقد تركز التوجه الجديد للسياسة الخارجية المصرية على دول اوروبا الغربية الرئيسية (دول السوق الاوروبية المشتركة) واتخذ شكل الاستعداد للقيام بمسياع مصرية واسعة النطاق في اوروبا لاقناع حكومات تلك البلاد « بتبني موقف اكثر ايجابية حيال النزاع في الشرق الاوسط » . وتجلت مظاهر هذه الحملة في التحركات التالية :

أ — الاعداد لمجموعة زيارات سيقوم بها وزير الخارجية المصري ومسؤولون اخرون لعدة دول اوروبية غربية قبل افتتاح الدورة المقبلة للجمعية العمومية للامم المتحدة في اواخر شهر ايلول . ومن العواصم التي ستشملها هذه الزيارات والمساعي لندن وباريس وبروكسيل وبون . وقد اوضحت القاهرة بهذا الصدد انها ترحب بأي مجهود اوروبي لاخراج ازمة الشرق الاوسط من جمودها مع العلم انها ما زالت تعتقد بأن مفتاح التسوية السلمية موجود في يد امريكا . بعبارة اخرى المطلوب هو تعبئة الدول الاوروبية لتشكل عامل ضغط على الولايات المتحدة لتحقيق التسوية السلمية على اساس تطبيق قرار مجلس الامن .

ب — تردد إنباء مصدرها القاهرة عن عزم مصر على تقديم اقتراحات محددة لتسوية النزاع مع اسرائيل خلال الحملة الدبلوماسية المذكورة الا انه لم تتوفر اية معلومات تفصيلية عن هذه المقترحات باستثناء تركيزها على دول اوروبا الغربية بالدرجة الاولى وبهدف الوصول الى تطبيق قرار مجلس الامن . وتعزيزا لهذا الاتجاه اعلن الرئيس السادات في مقابلة مع صحيفة « الفيغارو » الفرنسية في ٢١ آب ان ابعاد المستشارين السوفيات من مصر يجب ان يؤدي الى تفهم ومساعدة اكبر لمصر من قبل دول اوروبا الغربية التي ينبغي عليها ان تساعد مصر الان بكل طريقة ممكنة . كما اشار الى ان الحظر الفرنسي على شحن الاسلحة الى المنطقة لم يعد واقعيا بعد الذي حدث .

ج — الاجتماع الذي تم بين رئيس حكومة المانيا الغربية — فيلي برانت — ومبعوث الرئيس السادات محمد حسنين هيكل كجزء من الحملة الدبلوماسية المصرية الجديدة المركزة على اوروبا الغربية . وقد احيطت المقابلة بستار شديد من الكتمان ولكن لا شك في ان المحادثات بين برانت وهيكل تناولت موضوع تحسين العلاقات بين البلدين واعادتها الى حالتها « الطبيعية » . وبهذه

المانية ترددت انباء صحفية تقول بان المانيا الغربية اخذت تقوم بدور الوساطة بين مصر والولايات المتحدة من اجل تحسين العلاقات السياسية بين البلدين بعد ان اصبح الجو ملائما لذلك في اعقاب خروج السوفيات من مصر . واوضحت هذه الانباء ان المانيا الغربية ستكون احدى الدول الرئيسية التي ستعتمد عليها مصر في حملتها الدبلوماسية الاوروبية . كما يبدو ان هدف مصر في هذه الاتصالات ليس الحصول على اية اسلحة ومعدات حربية بل الحصول على تأييد سياسي من جهة وعلى مساعدات اقتصادية وفنية المانية من جهة اخرى . وقد ذكرت « الاهرام » ان المانيا الغربية اقترحت على مصر ايفاد وفد اقتصادي على مستوى عال لاجراء محادثات لاعداد برنامج شامل للتعاون الاقتصادي بين البلدين .

د ــ الانباء التي ترددت عن امكانية قيام الرئيس السادات بالدعوة الى عقد مؤتمر سلام حول ازمة الشرق الاوسط برعاية الامم المتحدة تحضره الدول العربية واسرائيل والدول الكبرى . ويمكننا ربط هذه الانباء بسهولة بما قاله الرئيس السادات في خطاب له امام مجلس الشعب بان « ما نحتاج اليه الان هو التحرك مع الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة واوروبا الغربية والدول غير المنحازة والدول العربية » . ويبدو ان الفكرة المطروحة هي الدعوة لمؤتمر موسع بحيث تشترك عدة دول عربية وصديقة وكبرى وغير منحازة مع مصر في تحمل مسؤولية مواجهة اسرائيل بصورة مباشرة وتحت سقف واحد .

هـ ــ في الاسبوع الثاني من شهر ايلول اقال الرئيس انور السادات وزير خارجيته الدكتور مراد غالب الذي عمل كسفير لبلاده في موسكو لفترة طويلة . ومن المعروف ان غالب كان ضد دفع اتجاه العلاقات المصرية ــ السوفياتية نحو التدهور ولم يكن مرتاحا للتوجه الجديد الذي اخذت تسير به السياسة الخارجية المصرية بعد ابعاد الخبراء والمستشارين السوفيات . وقد حل محله محمد حسن الزيات الذي مثل بلاده في هيئة الامم ويعتبر من المطلعين على اوساط الدبلوماسية الغربية واجوائها . ومن الواضح ان هدف هذا التبديل هو وضع الشخص الاكثر ملائمة على راس وزارة الخارجية لانجاح الحملة الدبلوماسية المصرية في الغرب . وعلى الصعيد الاوروبي نفسه يبدو ان دول السوق الاوروبية المشتركة تجري اتصالات مع الاطراف المعنية بازمة الشرق الاوسط بهدف تنسيق المواقف على أمل ان تتمكن هذه الدول من القيام بدور اكثر فعالية في احلال التسوية السلمية على اساس تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وتتم هذه الاتصالات قبل اجتماع وزراء خارجية دول السوق الذي سينعقد في ايطاليا في ١١ و ١٢ ايلول الجاري تمهيدا لمؤتمر القمة الاوروبي الذي سينعقد في تشرين الاول المقبل . ومن المؤكد ان اجتماع وزراء الخارجية سيبحث ازمة الشرق الاوسط وتطوراتها وكيفية الخروج من حالة الركود التي تسيطر عليها باتجاه التسوية السلمية . كما سيعقب هذا الاجتماع اجتماع اخر لمديري ادارات الشرق الاوسط في دول السوق للبحث في امكانية تحديد موقف موحد لهذه الدول من قضية الشرق الاوسط عند عرضها على الامم المتحدة في دورتها المقبلة . وعلى صعيد اخر ذكرت انباء صحفية مصدرها لندن انه من المتوقع ان تقوم بريطانيا بتزويد مصر بصواريخ من نوع « رابير » لتحل محل بطاريات صواريخ سام ــ ٣ التي خرجت مع الانسحاب السوفياتي من مصر . وامتنعت وزارة الخارجية البريطانية عن التعليق على هذه الانباء الا انه من المتوقع ان يكون موضوع الصواريخ ، وربما غيرها من الاسلحة ، بين الموضوعات التي سيناقشها وزير خارجية مصر عند زيارته القادمة الى لندن في النصف الثاني من شهر ايلول .

الا ان اقتحام فدائيي منظمة ايلول الاسود المقر الاولومبي للبعثة الرياضية الاسرائيلي والنتائج التي اسفر عنها الهجوم وضع عراقيل غير متوقعة في وجه الحملة المصرية الدبلوماسية باتجاه اوروبا الغربية ، كما ازم العلاقات بين مصر والمانيا بصورة خاصة . ففي محاولة للتنصل من مسؤولية الكمين الذي اعدته للفدائيين وما نتج عنه من قتل الرهائن الاسرائيليين وخمسة من الفدائيين الثمانية قامت المانيا بتوجيه اللوم الى الدول العربية ، وخاصة مصر ، لانها تأوي منظمات المقاومة وتساعدها . وبطبيعة الحال رفضت مصر هذا المنطق والقت الزيارة التي كان سيقوم بها وزير خارجيتها الى المانيا هذا الشهر . وفي محاولة لتلافي تدهور العلاقات الالمانية ــ العربية عاد وزير الخارجية الالماني ــ فالتر شيل ــ الى سحب الاتهامات الاولى عن طريق الادلاء بتصريح يقول « ان الدول العربية ليست مسؤولة في اي حال من

الاحوال عن احداث ميونيخ التي تتحمل مسؤوليتها مجموعة صغيرة من الفلسطينيين » . كما اعرب عن امله في « الا تتوقف عملية اعادة العلاقات الالمانية — العربية الى طبيعتها » . ولا يبدو لنا ان حادث ميونيخ بذيولها ستستمر في عرقلة مساعي مصر الاوروبية لفترة طويلة . فقد اعلن وزير خارجية بريطانيا — السير اليك دوغلاس هيوم — انه غير مستعد لالقاء مسؤولية « المجزرة » في ميونيخ على الحكومة المصرية ، ورفض طلب المعارضة بالغاء زيارة وزير خارجية مصر المتوقعة الى بريطانيا قائلا بانه من الافضل بحث القضايا المشتركة بين البلدين مواجهة .

بالنسبة للولايات المتحدة فقد استمرت في التعبير عن ارتياحها ، ولكن بدون شماتة ، للاتجاه الجديد الذي اخذت تسير فيه السياسة المصرية الخارجية مؤخرا . لكن بالرغم عن ذلك تشير كافة الدلائل الى ان امريكا ما زالت متمسكة بشدة بموقفها المعروف حول التسوية السلمية والذي يتلخص : (أ) بالاصرار على ضرورة المفاوضات المباشرة مع اسرائيل ، (ب) الاصرار على تحقيق التسوية الجزئية بدلا من التسوية الشاملة التي تطلبها مصر ، (جـ) عدم فرض أية تسوية على النزاع تأتي من خارج المنطقة (هيئة الامم ، الدول الاربعة الكبرى ، الضمانات الدولية) لا توافق عليها اسرائيل . ويتضح هذا الموقف المتكامل للولايات المتحدة من عدة مصادر اهمها: (أ) الاجتماع الذي عقده المسؤول عن رعاية الشؤون المصرية في الولايات المتحدة مع وليم روجرز حيث ابلغه وزير الخارجية الامريكي ان ابعاد العسكريين السوفيات عن مصر سيسهل على واشنطن مساعيها من اجل ايجاد تسوية سلمية في المنطقة ، كما ابلغه ان بلاده لن تقوم بأية خطوات في هذا الاتجاه قبل انتهاء انتخابات الرئاسة في الخريف . كذلك اكد له روجرز ان امريكا مستعدة للمساهمة في البحث عن تسوية سلمية في المنطقة على اساس تجديد المساعي للوصول الى تسوية جزئية لاعادة فتح قناة السويس ، واجراء مفاوضات مباشرة بين الطرفين باعتبارها افضل طريق للوصول الى الهدف المطلوب ، مع التأكيد بأن هذا لا يمنع ان تبدأ المفاوضات على اسلوب « المحادثات عن كثب » تحت اشراف طرف ثالث . وقد ادلى بهذه المعلومات الناطق الرسمي بلسان وزارة الخارجية الامريكية. (ب) المؤتمر الصحفي الذي عقده وليم روجرز في الاسبوع الثاني من شهر آب حيث رفض الادلاء بأي تعليق رسمي على الانسحاب السوفياتي من مصر معتبرا الموضوع ، في العلن ، قرارا مصريا داخليا محض ، لكنه اعرب عن ارتياحه الشديد لاستمرار وقف اطلاق النار على الجبهة المصرية الاسرائيلية وعن امله في ان يؤدي هذا الاستقرار الى « مفاوضات نشطة » بين الطرفين . وعاد الى فكرة « المحادثات عن كثب » بين مصر واسرائيل باشراف الولايات المتحدة ، لكنه اعترف بأن « مشاكل مصر الداخلية تمنع الرئيس السادات من ان يستجيب فورا للعرض الامريكي » (جـ) المقابلة التي اجرتها مجلة « نيوزويك » الامريكية مع الرئيس نيكسون حيث وصف قضية الشرق الاوسط بانها « مشكلة صعبة للغاية لانه بالرغم عن انتهاء القتال لا تلوح في الافق أية بادرة للتسوية»، وقال بانه ابلغ الاسرائيليين مرارا بان وضعهم الحالي قوي جدا في/اية مساومة مع العرب ولذلك باستطاعتهم ان يكونوا اكثر كرما من ذي قبل . واكد من جديد بانه لن يقوم بفرض اية تسوية على اسرائيل . وعلى اساس هذا الموقف الامريكي المحدد من المؤكد ان حكومة نيكسون لن تستجيب لاية دعوة قد يطلقها الرئيس السادات لعقد مؤتمر موسع تشارك فيه دول عديدة بالاضافة لمصر واسرائيل للوصول الى تسوية سلمية في المنطقة .

على صعيد آخر لا بد من الاشارة الى التصريحات التي أدلى بها سيسكو حول زيارته الاخيرة الى اليمن والخليج العربي ، ذكر ان بلاده لا تريد الحلول محل بريطانيا للدفاع عن مصالح الغرب في الخليج ولكنها تريد مساعدة دول المنطقة للدفاع عن نفسها ، اي ان امريكا ستسلك طريق الاستعمار الجديد المعروفة بالاعتماد على الطبقات الرجعية الحاكمة المحلية للدفاع عن مصالح الامبريالية هناك . وقد اكد هذا بقوله ان حكومته مهتمة بالاستقرار في الخليج لان للولايات المتحدة مصالح اقتصادية واستراتيجية وبترولية فيه ، لذلك فان سياسة بلاده ستكون مبنية على تشجيع ايران والسعودية والكويت على التعاون فيما بينها لضمان امن المنطقة . كما انها مستعدة لمنح هذه الدول المعدات والتدريب لضمان امنها الخارجي والداخلي . اي ضمان استقرار الوضع على ما هو عليه والدفاع عن أمن الخليج ضد الحركة الوطنية فيه . وفي اول شهر آب وافق مجلس الشيوخ الامريكي على السماح للحكومة بعقد

اتفاقات « لبيع » الاسلحة الى اسرائيل بكميات غير محدودة .

وبالنسبة لهيئة الامم فقد حضر يارينغ من مقره في موسكو الى نيويورك لاجراء مشاورات مع كل من فالدهايم وممثلي مصر والاردن واسرائيل في هيئة الامم . واعتبرت هذه الخطوة استثنافا لمهمة الوسيط الدولي الذي صرح بانه لا ينوي زيارة منطقة الشرق الاوسط في الوقت الحاضر. ويفترض بيارينغ ان يقدم تقريرا عن مهمته الى الدورة المقبلة لهيئة الامم . وفي نهاية الاسبوع الاول من شهر آب اجتمع وزير الخارجية المصري بكل من فالدهايم ويارينغ بمناسبة وجوده (اي الوزير المصري) في امريكا لحضور مؤتمر دول عدم الانحياز . الا انه يبدو ان استئناف مهمة الوسيط الدولي لم تأت بجديد على الاطلاق باستثناء الهجوم غير العادي الذي شنه محمد حسن الزيات على يارينغ في مؤتمر صحفي حيث ابدى تحفظاته حول فعالية مهمة الوسيط واتهمه بالتحيز لاسرائيل وقال « لو كنت اسرائيليا لحاولت ان اصنع تمثالا ذهبيا للسيد يارينغ » . ولم تتوفر حتى الان اية تفسيرات توضح الدوافع الكامنة وراء هذا النقد القاسي والاول من نوعه الموجه الى الوسيط الدولي من قبل مصر ، خاصة انه لا يوجد ما يشير الى ان اي تعديل قد طرأ على طبيعة مهمته او مواقفه منذ ان وقفت مساعيه بعد المذكرة الشهيرة التي قدمها الى كل من مصر واسرائيل في ٨ شباط ١٩٧١ . وقبل منتصف آب عاد يارينغ الى مقره في موسكو على ان يعود الى الامم المتحدة مع افتتاح دورتها المقبلة . وعلى صعيد آخر أخذ فالدهايم زمام المبادرة ، بعد عملية ميونيخ لفدائيي منظمة ايلول الاسود ، بادراج موضوع « اتخاذ التدابير اللازمة للحيلولة دون وقوع هجمات ارهابية » على جدول اعمال الدورة القادمة للجمعية العامة لهيئة الامم مما سيعني مناقشة العملية الفدائية في الاجتماعات المقبلة للمنظمة الدولية . وبطبيعة الحال كانت وفود دول اوروبا الغربية والولايات المتحدة في طليعة المؤيدين لخطوة فالدهايم . وبالنسبة لمؤتمر دول عدم الانحياز الذي انعقد في امريكا وحضرته وفود تمثل ٦٧ دولة ، فقد دعا الى انسحاب القوات الاسرائيلية فورا ومن دون قيد او شرط من الاراضي المحتلة ، كما عبر عن قلقه العميق بصدد خطف اسرائيل لعدد من العسكريين السوريين واللبنانيين من الاراضي اللبنانية في شهر حزيران الماضي . كذلك استنكر المؤتمر الاعتداءات الاسرائيلية على جنوب لبنان .

صادق جلال العظم

(٤) المناطق المحتلة

من أهم القضايا التي برزت في الآونة الاخيرة في المناطق المحتلة موضوعات الاستيطان المديني ، وتوطين لاجئي قطاع غزة في اماكنهم ، واستغلال العمال العرب لدرجة اصبح معه قسم منهم وخاصة أولئك الذين يعملون في الكيبوتسات والموشافات اشبه « بالخدم والجواري » منهم بالعمال ، وتعثر الوساطة بين السلطتين الاسرائيلية والاردنية التي بدأت تحت ستار التعزية بموت الملك طلال في شهر تموز ، وتصدعت بمحاولة تصفية رئيس بلدية غزة في شهر اب ، وترتحت على اثر عملية ميونيخ في شهر ايلول .

الاستيطان المديني : ان اخطر استيطان يواجه المناطق المحتلة هو ذاك النمط من الاستيطان المديني الذي قامت به اسرائيل حتى الان في مدينة القدس حيث شادت عددا من الضواحي المدنية حول المدينة وعلى رأسها ضاحية اشكول . وتعتزم اسرائيل في الوقت الحاضر ادخال هذا النوع من المستوطنات في المناطق التي لا تعتزم الخروج منها ولو مقابل اتفاق سلام مع العرب ، فبالاضافة الى الاتماط الاستيطانية التي قامت بها خلال الاعوام الخمس الماضية (٣٩ مستوطنة) تقوم اسرائيل باقامة نواة لمدينة في هضبة الجولان ، وتجري الدراسات لاقامة مدينة في غور الاردن وتعد « مشروعا اساسيا » لاقامة مدينة في المنطقة الشمالية من سيناء شمالي العريش تتسع لربع مليون نسمة !. ففي هضبة الجولان التي تحتل الصدارة في سياسة الاستيطان يجري العمل الان لاقامة نواة لمدينة في جنوب الهضبة « بني يهودا » حيث تم بناء ٤٠ وحدة سكنية ، ويجري العمل لاقامة ٢٠ وحدة سكنية اخرى في المرحلة الاولى ، كما وشيدت مباني خدمات كالمدارس والحوانيت وعيادة وغيرها . وبدأت نواة المدينة تستقطب المستوطنين الجدد في المدن الاسرائيلية وكذلك من المهاجرين الجدد القادمين من الاتحاد السوفياتي ، حيث رشحت ٢٠ عائلة من يهود الاتحاد السوفياتي للاستيطان في المدينة النواة . وستعتمد طلائع المستوطنين في معيشتها على العمل في معمل قطع الغيار الذي اقامته الصناعة الجوية في المنطقة والذي بلغت تكاليفه ٤٫٥ مليون ليرة . ومن اجل تشجيع الاستيطان هناك تقوم السلطات المسؤولة بدفع معاشات مرتفعة معفاة من الضرائب كما وتقدم وحدات سكنية مريحة . ومن الجدير بالذكر ان سلطات الاستيطان تربط المدينة النواة بالتاريخ الغابر لليهود في هضبة الجولان مدعية ان مدينة يهودية كانت بمثابة ثغر محصن ابان الملك غريفس وقد خربت في اعقاب ثورة اليهود ضد الرومان ، كما وتربطها بالمحاولات الصهيونية في القرن التاسع عشر لاستيطان الهضبة عندما قام عدد من يهود صفد باقامة مستوطنة زراعية اطلقوا عليها اسم « بني يهودا » ومن هنا جاء اسم المدينة النواة التي تم الاحتفال بتدشينها في اواخر شهر اب .

مشروع اساسي لاقامة مدينة في شمال سيناء : وفي نفس الوقت الذي تبرز فيه معالم نواة لمدينة في هضبة الجولان أخذت وسائل الاعلام الاسرائيلية تتحدث عن مشروع أساسي لاقامة مدينة في شمال سيناء تتسع لربع مليون شخص تحمل اسم « يميت » . وقد تم اعداد المشروع بواسطة طاقم كبير مؤلف من مهندسين معماريين ومهندسين وجيولوجيين واقتصاديين وعلماء اجتماع .

تقع المدينة المقترحة على بعد ٤٠ كم شمالي العريش في منطقة تقع بين رفح والشيخ زويد ، وتحتل مساحة يصل عرضها ٦ كم وطولها ١٥ كم .

وتعتبر المدينة المقترحة التي ستكون احدى المدن الرئيسية الخمس في اسرائيل على ما يلي :

١ — اقامة مباني سكنية ابتداء من العام القادم وتتسع بعد عامين الى اربعة الاف نسمة ، والاستمرار في اقامة المباني مع توجيه سيل الهجرة اليها حتى يصبح عدد سكانها ربع مليون نسمة في عام ١٩٩٢ حسب ما جاء في المشروع الاساسي .

٢ — اقامة شبكة مواصلات تربط المدينة بالساحل والبحر الميت والعقبة . ٣ — اقامة مشاريع صناعية كبيرة بالقرب من المدينة ، وتشجيع أصحاب رؤوس الاموال لاقامة مشاريعهم هناك، خاصة وان بعد المدينة عن التجمع السكاني في السهل الساحلي له أثر كبير في المحافظة على عدم تلوث البيئة من جراء المنشآت الصناعية . ٤ — اقامة ميناء كبير في المدينة يعادل بحجمه ميناء اسدود . ٥ — اقامة مطار دولي بالقرب من المدينة في مرحلة متأخرة . ٦ — استغلال المنطقة الساحلية الغربية من منطقة

حربية في الجنوب الغربي من رفح لتطوير محطات القوى الذرية ، خاصة وان لجنة الطاقة الذرية اوصت بالاحتفاظ بهذا المكان « كاحتياطي ينبغي الحفاظ عليه من اجل هذا الهدف » . ٧ ـ اقامة مصانع ومنشآت عسكرية . ٨ ـ اقامة مراكز سياحية لكي تغدو المدينة من أجمل مدن البحر الابيض المتوسط .

هنالك ثلاث عقبات تقف امام تنفيذ المشروع : ١ ـ التكاليف الباهظة ، حيث ستصل عند الانتهاء من البناء في عام ١٩٩٢ الى ٨ مليار ليرة ، بيد ان ذلك لا يعتبر مانعا كبيرا اذا ما اخذنا بعين الحسبان قدرة اسرائيل في الحصول على الاموال من الحركة الصهيونية العالمية والحصول على قروض وهبات امريكية غربية . ٢ ـ توفير اعداد من المستوطنين وتوجيههم الى المدينة المقترحة ، الا ان هذه العقبة تبقى صغيرة ويمكن تجاوزها اذا ما أخذنا بعين الاعتبار هجرة يهود الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل ، التي غدت المعين الرئيسي الذي يصب في مجتمع المهاجرين والمستوطنين ، واذا ما استمرت الهجرة بمعدلها الحالي (٣٥ الف نسمة سنويا) طيلة سبعة أعوام ، فان عدد سكان المدينة يكون قد توفر من بلد واحد فقط . ٣ ـ رفض صاحب الارض ، مصر ، للمشروع ، وهو العائق الاهم الذي يقف أمام المشروع الاساسي ، الا ان ذلك يبقى محاطا بعلامة سؤال كبيرة ، هل ستشمل التنازلات المصرية من أجل التسوية مع العدو الاسرائيلي منطقة المدينة المقترحة ، علما بأن العدو يصر على عدم التخلي عنها ولو مقابل اتفاقية سلام ؟

واذا ما ازيلت هذه العقبات فان مشروع الدولة اليهودية في منطقة العريش الذي اتفق عليه هرتسل ويوسف تشمبرلين وزير المستعمرات البريطانية في عام ١٩٠٢ ، والذي دفن في رمال سيناء بسبب رفض الحكومة المصرية له ، يكون قد بعث من تحت التراب من جديد على شكل مستوطنات ومدن اسرائيلية .

مخطط لتصفية قضية اللاجئين : الى جانب مخططات الاستيطان اتهمكت سلطات الاحتلال بالتخطيط لتصفية قضية لاجئي قطاع غزة الذين يشكلون حوالي ثلثي السكان هناك ، بواسطة توطينهم في اماكنهم على انقاض مخيماتهم في محاولة « لوضع حد لوضع اللاجئين » . وقد اختلفت الآراء بين صفوف كتلة التجمع العمالي (المعراخ) حول معالجة موضوع لاجئي قطاع غزة ، حيث برزت وجهتا نظر ، الاولى تمثل الاكثرية وتدعو الى اعداد خطة تحسين اوضاع اللاجئين في اماكنهم ، ويقف مع وجهة النظر هذه كل من رئيسة الحكومة غولدا مئير وموشيه ديان ، والثانية تمثل الاقلية وتدعو الى نقل مهاجري القطاع وتوطينهم في الضفة الغربية اي تفريغ القطاع من ثلثي سكانه ، ويقف الى جانب هذه الدعوة عضو الكنيست د. زاكين من حزب « مبام » ويدعمه في ذلك رفنان فايتس رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية ، المشهور بمشروعه الداعي الى توطين اللاجئين في منطقة العريش . وقد انتصر رأي الفريق الاول حيث تمت الموافقة على « مشروع أساسي » اعده طاقم كبير من المهندسين المعماريين ومهندسي المواصلات واخصائيين في شؤون المياه والكهرباء وعلم الاجتماع ، ويتطرق المشروع الى تصفية وضع اكبر مخيم في القطاع ، مخيم رفح ، الذي يبلغ تعداد سكانه ٤٠ الف نسمة ، ويعتمد على اخلاء ٢٤٠٠ عائلة من مجموع الـ ٦٠٠٠ عائلة التي تسكن المخيم ، واسكانها في وحدات سكنية جديدة، كما ويعتمد المشروع كما اوردته صحيفة معاريف ٧٢/٨/٢٠ على ست نقاط : (١) اقامة وحدات سكنية متشابهة ، تصل مساحة كل وحدة منها الساحة المخصصة لها ٢٥٠ مترا مربعا . (٢) اقامة شبكة طرق رئيسية واخرى ثانوية تمكن من الوصول الى كل بيت (٣) اقامة شبكة مياه وكهرباء (٤) تصفية الازقة . (٥) تخصيص عدد من الغرف لكل عائلة حسب حجم افرادها (٦) اقامة بساتين اطفال ، ومراكز للحوانيت وملاعب. وسيتم حسب المخطط ترميم اكثر من الفي منزل، وستقام ١٣٠٠ وحدة سكنية جديدة .

يعتبر هذا المخطط الذي من المقرر ان تكون سلطات الاحتلال قد بدأت بتنفيذه ، اول مخطط منذ ان ظهرت قضية اللاجئين منذ ٢٤ عاما يهدف الى تكريس تشردهم والغاء صفة اللاجئين عنهم ، ذلك ان المنطلق الذي يقوم عليه المخطط الاساسي هو « اعتبار مخيم اللاجئين في رفح ، كمكان دائم يشكل مع مدينة رفح بلدية واحدة » .

وتعتزم سلطات الاحتلال ان تعمم المشروع الاساسي على ضوء النجاح في مخيم رفح ، على بقية مخيمات القطاع الاخرى مثل مخيمي الشاطىء وجباليا .

العمال العرب : الى جانب التوجه نحو الاستيطان المديني في المناطق المحتلة ، وتوطين اللاجئين في اماكنهم ، تكريسا للاحتلال ، وتكريسا لحالة التشرد ، استمر الاقتصاد الاسرائيلي في امتصاص الايدي العاملة العربية « الرخيصة » وتسخيرها لخدمته . يبلغ عدد العمال الذين يعملون بشكل رسمي عن طريق مكاتب العمل ٣٧ الف عامل ، ١٢ الف من قطاع غزة والباقي من الضفة الغربية، وهنالك حوالي ١٠ الاف عامل نصفهم من قطاع غزة يعملون بشكل غير رسمي . وقد ازداد تدفق العمال العرب الذين لا يعملون بشكل رسمي عند مطلع شهر مايو من هذا العام ، حين سمحت سلطات الاحتلال لاهالي القطاع بالتنقل الى اسرائيل بدون تصاريح ، ونتج عن ذلك ان اصبحت حدود الهدنة او ما يعرف بالخط الاخضر يستقبل يوميا ٥٣ الف شخص من سكان المناطق المحتلة ، من بينهم ثلاثة الاف سائح او زائر .

لا نريد ان نعود الى الحديث عن اوضاع العمال العرب (انظر شؤون فلسطينية عدد ٧ ص ٢٦٤) بل التطرق حول موضوع العمال الذين لا يعملون عن طريق مكاتب العمل ، والذين حدثت بسببهم ضجة بين المستوطنات الاسرائيلية والسلطات الاسرائيلية . وسبب الضجة لا يعود الى كونهم يعملون بدون تصاريح عمل ، بل لان قسما كبيرا منهم ينام داخل المستوطنات والكيبوتسات التي يعملون بها ، وخاصة مستوطنات النقب ، وقد رأى وزير الدفاع موشيه ديان ان ذلك يشكل خطرا امنيا ، ولذا طلب من حركة المستوطنات عدم السماح للعمال بالبقاء ليلا داخل المستوطنات ، بيد ان ذلك يعني الاستغناء عن العمال العرب وهذا أمر لا تريده المستوطنات ذلك « لانها تعارض تصفية العمل العربي غير المنظم ، لانه بدون العمل العربي لن تكون هنالك ارباح في الزراعة » !

وهذا الامر يظهر مدى الاستغلال الواقع على العامل العربي ، فاسرائيل لا تنقصها أيد عاملة يهودية ، « ولكن صاحب العمل الاسرائيلي يفضل العامل العربي لكونه رخيصا، ولا توجد لديه مطالب كثيرة ، وليست هنالك لجنة عمالية ، وفي اي وقت يمكن لصاحب العمل ان يكتفي بالقول : اذهب الى البيت ، لا تعد غدا الى العمل » . ولكي نقف على مدى الاستغلال الذي يواجهه العمال العرب في الكيبوتسات والموشافات ، لا بد من الوقوف على عدد الساعات التي يشتغلها هؤلاء خلال اليوم ، « فالعامل الذي ينام في الموشاف يعمل اكثر من العامل الذي يأتي صباحا ويعود بعد الظهر الى بيته ، ان ساعة عمل العمال الذين يسكنون في الموشافات تبدأ في الرابعة صباحا ، وتنتهي في التاسعة او العاشرة مساء ، وصاحب العمل هو السيد المطاع » (هآرتس ٧٢/٨/١١) . لا تقتصر العبودية على الرجل ، بل تشمل ايضا النساء ، فهنالك « جواري » يخدمن في المستوطنات ولا يعدن الى القطاع ، وغدت مستوطنات النقب شبيهة بمستوطنات جنوب افريقيا كما يقول احد المستوطنين: « أن ذلك بدأ يشبه جنوب افريقيا... ففي كل بيت تستطيع ان تعثر على خادمة او طباخة وعمال مزارع ، بينما يتجول صاحب البيت بينهم كالسيد » (معاريف ٧٢/٨/٨) .

بالاضافة الى « الخطر الامني » الذي يشكله هؤلاء حسب رأي ديان ، فهنالك من يرى فيهم « خطرا اجتماعيا وقوميا » مثل وزير العمل يوسف الوغي، ومن خلال شبح«الخطر الامني» و«الخطر الاجتماعي والقومي » اصدرت سلطات الاحتلال تعليمات واضحة بطرد العمال العرب من المستوطنات ، وارسلت وحدات عسكرية اليها لتنفيذ هذه التعليمات. ولكن وبالرغم من ذلك فقد غدت اوضاع وظروف هؤلاء العمال اقسى من السابق ، ذلك ان قسما كبيرا منهم اخذ يلتجيء الى البيارات القريبة من المستوطنات بمساعدة المستوطنين ، وبذلك اصبحوا بالاضافة الى الاشتغلال الذي يواجهونه في النهار على أيدي المستوطنين، تحت وطأة الخوف من وحدات المراقبة الحكومية خلال الليل : صورة تتكرر كل يوم في المستوطنات ، وصورة اخرى تعيد نفسها كل يوم على امتداد الخط الاخضر ، حيث يمر فوقها يوميا الى اسرائيل ٥٣ الف عربي، ثلاثة آلاف منهم سائح وزائر ، وخمسون الف عامل يبيعون جهدهم للاقتصاد الاسرائيلي !

تعثر التسوية السياسية : في شهريات العدد السابق تطرقنا الى تقارب الثالوث المسيطر في الضفة الغربية ، سلطات الاحتلال والنظام الاردني والزعامة التقليدية ، وتحركها في خط واحد لتصفية القضية الفلسطينية ضمن اطار عام يصون الاطماع التوسعية الاسرائيلية ويحمي شهوات العرش الملكي في السيطرة ولو اسميا ويذكي تطلعات الزعامة التقليدية . لقد لعبت الزعامة التقليدية

التي وقف على راسها رشاد الشوا من القطاع ، وانور الخطيب من الضفة الغربية دور الوساطة بين السلطتين ، ولم ينكر انور الخطيب الذي استقبل « استقبال الملوك » في عمان الدور الذي يقوم به بمباركة من الجبهري وسلطات الاحتلال ، اذ اعترف قائلا : « لي الشرف الكبير بأن يكون لي نصيب في ايجاد الحل العادل لهذا النزاع بالتوسط بين الاطراف المعنية » ، الا ان رئيس بلدية غزة فضل العمل بالتستر لاختلاف طبيعة وظروف القطاع عن الضفة الغربية .

من المعروف ان سلطات الاحتلال اقامت ورعرعت زعامة تقليدية في الضفة الغربية واقامت الى جانبها « زعامة شابة » بزعامة ابو شلبابة لاستخدامها كورقة ضغط ضد النظام الاردني والزعامة التقليدية للحصول على مزيد من التنازلات لصالح الاحتلال ، وقد ارادت ان تقوم بنفس اللعبة في القطاع ، ففي اعقاب حملات التشريد والتهجير والهدم في شهر تموز من العام الماضي ، جاءت برشاد الشوا وعينته رئيسا للبلدية في جو تصورت فيه ان المقاومة قد انتهت في القطاع ، وفي الوقت نفسه خلقت في القطاع ما يشبه « الزعامة الشابة » في الضفة، كورقة ضغط على الشوا من اجل ان لا يحيد عن طريقها ، ويمثل ورقة الضغط هذه الحاج هاشم الخزندار امام غزة الذي ينطلق من نفس الافكار التي ينطلق منها ابو شلبابة ومجموعته . ووسط جو التوسط تحركت الزعامة الشابة في الضفة الغربية ضد وساطة الشوا وأنور الخطيب وغيرهما من زعماء الضفة متهمة اياهم بالتآمر والخيانة ، وتحرك الشيخ هاشم نعمان الخزندار من جانبه متهما الشوا بانه يعمل لبيع القطاع الى النظام الاردني الذي « قام بمجازر أيلول الاسود ضد الشعب الفلسطيني » ومعتبرا ان افراد البعثة التي ترأسها الشوا الى القصور الملكية « لا يمثلون الا انفسهم ، وحسب اعتقادي ان البعثة تقتصر على عناصر تربطها بالاردن مصالح تجارية ، وخاصة عناصر اصحاب البيارات المستعدة لتصفية القضية الفلسطينية » ويتساءل : « كيف نسلم انفسنا لشخص لم يغسل يديه بعد من دماء أبنائنا » . الى هنا ويبدو الحديث معقولا ، الا انه يضيف ويكشف عن هويته كورقة ضغط تخدم سلطات الاحتلال : « انه يدرس مع مؤيديه في الوقت الحاضر امكانية تنظيم عريضة لتقديمها الى سلطات الحكم العسكري ، **من اجل اجراء انتخابات للبلدية** » . ازاء ذلك اضطر الشوا الى انكار دوره في الوساطة التي تطيح في القصور الملكية « وانه من الحماقة القول بأنني ذهبت الى حسين لكي ابيعه القطاع » مدعيا بأن نشاطه اقتصر على العمل للحصول على تسهيلات لابناء القطاع في الاردن وانه جلب معه ثلاثة الاف جواز سفر أردني لتوزيعها على الطلبة الراغبين في استكمال دراساتهم في المعاهد العربية .

الا ان اللعبة التي تجري في الضفة الغربية بين الزعامة التقليدية وورقة الضغط لا يمكن لها ان تجري في القطاع ، فهنالك طرف اصيل استطاع في عام ١٨٧١ ان يسيطر سيطرة شبه تامة على مخيمات وقرى القطاع وحول السيطرة الاسرائيلية الى سيطرة رمزية كما وجعل رئيس البلدية في ذلك الوقت يسير وفق مشيئته ، لا وفق مشيئة سلطات الاحتلال ، اخذ يبرز بعد عام من حملة التصفية ويقوم بعمليات ضد سلطات الاحتلال ، فقد قامت المقاومة الفلسطينية في القطاع بتوزيع مناشير عند مطلع شهر آب تبشر السكان بعودة المقاومة ، وتضمنت المناشير تنديدا بالشوا لتأييده مشروع الملك حسين ، متهمة اياه بالخيانة، وبعد اسبوع على ظهور المناشير ، قامت وحدة خاصة من رجال المقاومة مكونة من ثلاثة افراد بنصب كمين للشوا في حديقة منزله واطلقت على سيارته قنبلة يدوية وعيارات نارية ، الا ان الشوا نجا من الحادث ، واخذ يلتزم الصمت . وبذلك تصدع احد اركان الوساطة ، وبقي انور الخطيب وشخصيات اخرى من الضفة الغربية مثل حكمت المصري رئيس البرلمان الاردني السابق ، وعبد الرؤوف الفارس عضو البرلمان الاردني سابقا يجرون مفاوضات مع القصور الملكية . وفي خضون ذلك اخذت سلطات الاحتلال تقوم بتسهيلات لمواطني الضفة الغربية عبر خطي خطوط وقف اطلاق النار والخط الاخضر ، حيث سمحت لأصحاب السيارات بالمرور عبر الخط الاخضر الى اسرائيل بدون اذونات مسبقة كما واخذت تمكف على دراسة الغاء تصاريح الخروج الى الاردن ، واصدار تصاريح سنوية شبيهة بجوازات السفر تسمح لحاملها بالذهاب الى الضفة الشرقية في اي وقت يشاء . ومن المحتمل ان تصدر هذه التصاريح في اعقاب انتهاء زيارات الصيف . الى جانب ذلك اخذت تصدر من قبل التيارات الاسرائيلية المختلفة تصريحات بعدم الانسحاب من معظم المناطق المحتلة،

وأهم هذه التصريحات هي التي ادلى بها باتي دولة اسرائيل دافيد بن غوريون الذي اخذ يغير موقفه تجاه قضية الانسحاب ، فقد كان بن غوريون في السابق يدعو الى الانسحاب من كافة المناطق باستثناء القدس مقابل اتفاقية سلام ، وبعد ذلك ادخل منطقة الجولان ضمن خريطته ، الا انه في الاونة الاخيرة وسع الخريطة الى ان اصبحت تشمل معظم المناطق المحتلة « ذلك لان الوضع اليوم قد اختلف وان الاستيطان قد غير الاوضاع ، فلو كانت الصلاحيات بين يدي ، فانني لن آمر بتصفية المستوطنات واعادة مناطق ... اننا نتوطن في سيناء ونقيم أمورا عظيمة هناك .. لقد حدث تغير في سيناء منذ حرب الايام الستة ولا زالت حركة التغير مستمرة ، هنالك فرق بين اعادة صحراء ، واعادة منطقة مأهولة »(هآرتس ٧٢/٨/١٧) . وقد استمدت فئة الصقور الحاكمة في اسرائيل قوة من التغيير الذي حدث في موقف بن غوريون ، واخذت تقلل من قيمة الوساطة التي تجري في القصور الملكية ، والتي تمخضت من **استعداد الملك حسين** — كما يقول ديان في اللجنة السياسية لحزب التكتل العمالي — **للتوقيع على اتفاقية سلام منفرد مع اسرائيل** ، يعتمد على ترتيبات امن اسرائيلية على امتداد نهر الاردن واجراء تعديلات طفيفة على الحدود وتجريد الضفة الغربية من السلاح واعادة السلطة الاردنية اليها مع ابقاء موضوع القدس مفتوحا للمفاوضات » (معاريف ٧٢/٨/٢٤) الا ان وزير الدفاع رفض هذه التسوية . وقد اعترفت الدوائر الاسرائيلية المسؤولة ان اقوال ديان جاءت في اعقاب اتصالات غير مباشرة جرت في الاونة الاخيرة مع الملك بواسطة شخصيات من الضفة الغربية وقطاع غزة ومن اماكن اخرى .

لم تنته الوساطة بل بقي انور الخطيب مع مجموعة اخرى من الزعامة التقليدية يتداول الامر مع الملك، على أمل التوصل الى تسوية شاملة تكون فيها السلطة الرمزية بيد الملك والسلطة الفعلية بيد سلطات الاحتلال ، الا ان هذا الامل اخذ يترنح على اثر عملية ميونيخ التي قامت بها وحدة تابعة للمقاومة الفلسطينية ، الامر الذي دفع سلطات الاحتلال الى ان تضع في المرتبة الاولى من سلم الاولويات تصفية الثورة الفلسطينية في اي مكان تتواجد فيه ، وتضع التسوية السياسية مع النظام الاردني في المرتبة الثانية ، ومن هنا يمكن لنا معرفة سر الحزن الملكي من جراء عملية ميونيخ، والاسباب الكامنة وراء هذا الحزن : « لقد صدمنا وشعرنا بالاسى العميق عندما علمنا بالجريمة النكراء التي ارتكبت في القرية الاولمبية في ميونيخ . انها جريمة خطط لها وارتكبت من قبل عقول مريضة ... ان هذه الجريمة تأتي اثر جرائم عديدة ... وكانت آخر هذه الجرائم المحاولة الجبانة لاغتيال الوطني الفلسطيني رئيس بلدية غزة » .

عبدالحفيظ محارب

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني (١) من ٨/١٢ — ١٩٧٢/٩/١٢

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	ق.ث.ف.(٢)	٨/٢٥	١٢١٥	غزة	تفجير	القاء قنبلة	٢٦(٣)		اصابت سيارة مدنية باضرار	—	—	—	نشرة رصد اذاعة اسرائيل عدد٢٣ ص٤	٨/٢٦
٢	ق.ث.ف.	٨/٢٧	٨٣٠	جباليا/غزة	تفجير	القاء قنبلة	—	—	—	—	—	—	ن.(٤) عدد٢٤ ص٦	٨/٢٨
٣	ق.ث.ف.	٨/٢٩	١٠٠	ناحال جولان	قصف	تذيفة	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٢٥ ص ٧	٨/٢٩
٤	ق.ث.ف.	٨/٣٠		خان يونس	تفجير	القاء قنبلة	—	٢	اصابةباص لشركة ايجد	—	—	—	ن. عدد ٢٦ ص ٩	٨/٣٠
٥	ق.ث.ف.	٨/٣٠	١٠٣٠	دير البلح	تفجير	القاء قنبلة	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٢٧ ص ٨	٨/٣١
٦	ق.ث.ف.	٨/٣٠		ناحال جولان	قصف	قذائف	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٢٧ ص ٨	٨/٣١
٧	ق.ث.ف.	٨/٣١	٢١٣٠	رمات مغشيميم/الجولان	قصف	قذائف	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٢٨ ص ٥	٩/ ١
٨	ق.ث.ف.	٨/٣١		بين القدس ونابلس	كمين	أسلحة خفيفة	—	١	أصيب باص بطلقات نارية	—	—	—	ن. عدد ٢٩ ص ٤	٩/ ٢
٩	ق.ث.ف.	٩/ ١		دير البلح	تفجير	القاء قنبلة	—	٢	—	—	—	—	ن. عدد ٢٩ ص ٦	٩/ ٢
١٠	ق.ث.ف.	٩/ ٣		مجدل شمس/الجولان	هجوم	غير محدد	—	—	هوجمت دورية اسرائيلية	—	—	—	ن. عدد ٣١ ص ٥	٩/ ٥
١١	ق.ث.ف.	٩/ ٤		غزة	تفجير	القاء قنبلة	—	١(٥)	—	—	—	—	ن. عدد ٣١ ص ٥	٩/ ٥
١٢	ق.ث.ف.	٩/ ٤		بقعاتا/الجولان	تفجير	الغام	—	—	اصابة دبابة	—	—	—	ن. عدد ٣١ ص ٥	٩/ ٥
١٣	ق.ث.ف.	٩/ ٤	٢٣٠٠	القنيطرة/الجولان	قصف	قذائف	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٣١ ص ٩	٩/ ٥
١٤	م.ا.ا.(٦)	٩/ ٥	٦٠٠	ميونخ/المانيا الغربية	هجوم	اسلحة مختلفة	١١	—	—	٥	٣	—	ن. عدد ٣١ ص ٨ وعدد ٣٢ ص ١	٩/ ٥
١٥	ق.ث.ف.	٩/ ٦	٢١٠٠	بير عام/الجليل الاعلى	اشتباك	غير محدد	١	—	—	١	—	—	ن. عدد ٣٤ ص ٣	
١٦	ق.ث.ف.	٩/٨	٨٠٠	حصفين/الجولان	قصف	قذائف	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٣٥ ص ١٠	٩/ ٩
١٧	ق.ث.ف.	٩/ ٨	٢٠٠	الشاطىء الشمالي لاسرائيل	اشتباك بحري	قذائف بازوكا واسلحة مختلفة	—	—	—	غير محدد(٧)			ن. عدد ٣٥ ص ١٢	٩/ ٩
١٨	ق.ث.ف.	٩/١١		بين حلحول والخليل	اطلاق رصاص على حرس الحدود		—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٣٧ ص ٧	٩/١٢
١٩	ق.ث.ف.	٩/١٢	٤٠٠	بين حلحول والقدس	هجوم على سيارة	غير محدد	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٣٧ ص ٧	
٢٠	ق.ث.ف.	٩/١٢	٧٠٠	حصنية/الجولان	قصف	قذائف بازوكا	—	—					ن. عدد ٣٧ ص ٨	

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٨/١٢ — ١٩٧١/٧/١١

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية اليوم	تاريخ العملية الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة			المصدر	تاريخه
١	ق.ع.ق.ث.	٨/ ٢		القدس	كمين	غير محدود	٢ —	رشاش موزي	—	—	—	وفا	٨/٢٩
٢	ق.ع.ق.ث.	٨/ ٤		وادي الفريس/سجناء	تفجير	الغام	غير محدد	تدمير نصف مجنزرة	—	—	—	وفا	٨/١٨
٣	ق.ع.ق.ث.	٨/ ٨	٢٠٢٠	معسكر ابو زيتون/الجولان	قصف	مدفعية ثقيلة	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفا	٨/١٦
٤	ق.ع.ق.ث.	٨/ ٨		جنين	تفجير وقصف	عبوات ناسفة وقذائف صاروخية	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفا	٨/١٨
٥	ج.ش.ت.ف.(١)	٨/ ٩	٦٠٠	شخونات شهيرا/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير جزء من بناية واشعال النار فيها	—	—	—	هـ. عدد ١٦٧ ص ٤	٩/ ٢
٦	ج.ش.ت.ف.(٢)	٨/١٢	١٧١٥	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	٢٠ اصابة	تدمير جزء من مصنع اسطوانات الغاز واشعال النار فيه	—	—	—	هـ. عدد ١٦٧ ص ٤	٩/ ٢
٧	ج.ش.ت.ف.	٨/١٧		منهسوب/الجليل الغربي	قنص		١(٣)	—	—	—	—	هـ. عدد ١٦٧ ص ٥	٩/ ٢
٨	ق.ع.ق.ث.	٨/٢٠		سعد بطاح/الجولان	هجوم	قذائف صاروخية وأسلحة مختلفة	غير محدد	تدمير آلية	—	—	—	وفا	٨/٢١
٩	ق.ع.ق.ث.	٨/٢٠		حيفل وجبين/الجولان	قصف	هاون وقذائف صاروخية ورشاشات	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفا	٨/٢٢
١٠	ق.ع.ق.ث.	٨/٢٢	٢٠٠٠	خربة العرايش/الجولان	هجوم	الصواريخ الثقيلة	غير محدد	تدمير عدد من الاليات	—	—	—	وفا	٨/٢٥
١١	ج.ش.ـ ق.ع.	٨/٢٢	٦٠٠	كفر الما — جبين/الجولان	تفجير	شبكة قذائف صاروخية	٤ سـ ٦ اصابات	اعطاب ناقلة جنود	—	—	—	بيان عمليات رقم ٢٠٩ شهر ٨	
١٢	ق.ع.ق.ث.	٨/٢٥	٢٣٠٠	بين يطا والخليل	كمين	قنابل يدوية ورشاشات	غير محدد	اعطاب سيارة عسكرية	—	—	—	ف.ث. عدد ١١ ص ٤	٩/ ٦
١٣	ج.ش.ت.ف.	٨/٢٥		غزة	تفجير	القاء قنبلة	غير محدد(٤)	—	—	—	—	هـ. عدد ١٦٨ ص ٥	٩/ ٩
١٤	ج.ش.ت.ف.	٨/٢٥		معسكر الشاطىء/غزة	تفجير	القاء قنبلة	غير محدد	اعطاب سيارة عسكرية	—	—	—	هـ. عدد ١٦٨ ص ٥	٩/ ٩
١٥	ج.ش.ت.ف.	٨/٢٥		خان يونس	تفجير	القاء قنبلة	غير محدد	اعطاب سيارة عسكرية	—	—	—	هـ. عدد ١٦٨ ص ٥	٩/ ٩
١٦	ق.ع.ق.ث.	٨/٢٧	٢٠٣٠	معسكر جباليا/غزة	تفجير	القاء قنبلة	غير محدد	اعطاب سيارة عسكرية	—	—	—	وفا	٨/٢٨
١٧	ق.ع.ق.ث.	٨/٢٧	١٣٠٠	عسقلان	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير واحراق المدرسة العسكرية المسماة اسحق بن تسفي	—	—	—	وفا	٨/٢٩

١٨ — جمش.ت.ف.	٨/٢٨		معسكر جباليا/غزة	تفجير	القاء قنبلة	غير محدد	غير محدد	غير محدد	—	—	—	هـ.هيد ١٩٦٨ ص٥ ٩/٩
								الجيش العدو خلف متركز الشرطة في جباليا				
١٩ — ق.ع.ق.ث.	٨/٢٩	٤٣٠	شمار هاجولان/الجولان	هجوم	صواريخ ثقيلة	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفا	٨/٣٠
٢٠ — ق.ع.ق.ث.	٨/٢٩	٥٣٠	بين الدبوسية والفرضاوي/الجولان	تفجير	القسام	غير محدد	تدمير آلية	—	—	—	وفا	٨/٣٠
٢١ — ق.ع.ق.ث.	٨/٣٠	٢٣٠٠	العال وجبين وحينل/الجولان	قصف	هاون، مدفعية ورشاشات ثقيلة	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفا	٩/ ١
٢٢ — ق.ع.ق.ث.	٨/٣١	١٠٣٠	دير البلح	تفجير	القاء قنبلة	غير محدد	اعطاب سيارة تابعة للبلدية	—	—	—	ف.ث. عدد١١ ص٤	٩/ ٦
٢٣ — ق.ع.ق.ث.	٨/٣١	٢٢٠٠	معسكر ابو خيط ومعسكر ابو الخيطان/الجولان	هجوم	مدفعية هاون ثقيلة	غير محدد	اصابة عدد من المنشآت	—	—	—	وفا	٩/ ١
٢٤ — ج.ش. — ق.ع.	٩/ ٣		روينسة الحمراء/الجولان	اشتباك	اسلحةخفيفة ورباج	١٥ اصابة	تدمير دبابة وناقلة جنود	—	—	—	بيان عمليات رقم٢١٠ شهر٩	
٢٥ — ق.ع.ق.ث.	٩/ ٤		غزة	كمين	قنابل ومسدسات	١(٥)	—	—	—	—	وفا	٩/ ٤
٢٦ — م.ا.ا.	٩/ ٥	٦٣٠	ميونخ/المانيا الغربية	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل	١١(٦)	—	٥	٣	—	وفا	٩/ ٥ و٦
٢٧ — ق.ع.ق.ث.	٩/ ٧	١١٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	اشعال النيران في منجرة ومستودع الاخشاب	—	—	—	وفا	٩/ ٨
٢٨ — ق.ع.ق.ث.	٩/ ٨		بين حيفا ونهاريا	اشتباك بحري	مدافع ثقيلة	غير محدد	اغراق زورق	—	—	٥	وفا	٩/ ٩
٢٩ — ق.ع.ق.ث.	٩/ ٩		تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير قسم كبير من المحطة الكهربائية ريدينج	—	—	—	وفا	٩/١٢
٣٠ — ق.ع.ق.ث.	٩/١٠	٢٣٠٠	بين حلحول والخليل	كمين	قنابل يدوية وأسلحة رشاشة	غير محدد	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	وفا	٩/١٢
٣١ — ق.ع.ق.ث.	٩/١٢	٢١٥	القنيطرة/الجولان	هجوم	قذائف صاروخية	غير محدد	اصابة عدد من المنشآت	—	—	—	وفا	٩/١٢

حواشي الجدول الاول :

١ — يعتمد هذا الجدول على نشرة رصد اذاعة اسرائيل التي تصدر يوميا عن مركز الابحاث .

٢ — ق.ث.ف. : قوات الثورة الفلسطينية .

٣ — بين هذه الاصابات ٢٥ اصابة مدنية كما يدعي الناطق الاسرائيلي .

٤ — ن. : نشرة رصد اذاعة اسرائيل .

٥ — هدفت العملية لاغتيال رشاد الشوا رئيس بلدية غزة .

٦ — م.ا.ا. : منظمة أيلول الاسود .

٧ — أغرق زورق للفدائيين .

حواشي الجدول الثاني :

١ ــ أعلنت الجبهة الشعبية مسؤوليتها عن العمليات ٩ ، ١٣ ، ١٦ ــ ٢٠ ، من جدول عمليات الشهر الماضي كما أعلنت أيضا مسؤوليتها عن عملية رقم ٢١ من جدول عمليات عدد ١٢ من شؤون فلسطينية .

٢ ــ وردت هذه العمليات بعد صدور العدد الماضي من شؤون فلسطينية .

٣ ــ ضابط اسرائيلي يدعى روفي .

٤ ــ اعترف العدو باصابة مجندة واحدة .

٥ ــ هدفت هذه العملية لتنفيذ « حكم الاعدام بالخائن رشاد الشوا » رئيس بلدية غزة .

٦ ــ كما قتل جنديان في المانيا الغربية وجرح آخر .

تعريف بالمصطلحات والنشرات الوارد ذكرها

ــ ق.ع.ق.ث. : القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

ــ ج.ش.ت.ف. : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

ــ ج.ش. ــ ق.ع. : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ــ القيادة العامة .

٤ ــ م.أ.أ. : منظمة أيلول الاسود .

٥ ــ وفا : نشرة يومية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنظمة التحرير الفلسطينية .

٦ ــ هـ. : الهدف ، مجلة اسبوعية تصدر عن الجبهة الشعبيه لتحرير فلسطين .

٧ ــ ف.ث. : فلسطين الثورة ، مجلة اسبوعية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

ملحق شهريات : المانيا واسرائيل والعرب

يمكن القول عن المانيا الغربية انها بسبب ماضيها النازي ، والحرب العالمية المدمرة التي تسببت في اندلاعها ، ما زالت منذ الخمسينات عملاقة على الصعيد الاقتصادي ولكن قزما على الصعيد السياسي . فهي تابعة لواشنطن ومتأثرة بسياسات الحكومة الامريكية تأثرا مباشرا . ثم أنها دولة بلا شخصية مميزة ، تسيطر عليها عقدة نفسية متأصلة تجعلها ذات حساسية هشة تجاه كل ما له علاقة باليهود . فبعد ان اعلنت اسرائيل في ١٢ آذار ١٩٥١ انها الدولة الوحيدة التي تمثل الشعب اليهودي في العالم ، وانها الجهة الجديرة بقبض التعويضات عن الاضطهاد النازي لليهود ، سارع الدكتور كونراد اديناور ، مستشار المانيا الغربية ، الى الاجتماع بناحوم غولدمن ، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية آنذاك ، ليبحث معه الموضوع. ومن البداية حرصت اسرائيل على تحميل المانيا الظن بان قبول الدولة الصهيونية للتعويضات هو بمثابة تفضل وتنزل من جهتها ، باعتبار ان هناك فئات واسعة في اسرائيل ما زالت ترفض ان تكون لها اية علاقة بالمانيا . الا ان الكنيست وافق بتاريخ ٩ كانون الثاني ١٩٥٢ على الشروع بالمباحثات من حيث المبدأ . وفي ٢١ آذار ١٩٥٢ بدأت المباحثات بين حكومة المانيا الغربية من جانب ، وبين تل ابيب من الجانب الاخر . وبين حكومة المانيا الغربية من جهة ومؤتمر المطالب اليهودية من المانيا الممثل لسبعة وعشرين منظمة يهودية في ٦٧ بلدا ، من الجهة الاخرى .

واخيرا تم الاتفاق على دفع مبلغ ٧١٤ مليون دولار لاسرائيل في مدة تتراوح بين ١٢ و١٤ عاما ، وان تدفع المانيا مبلغ ١٥٧٫١ مليون دولار ايضا لمؤتمر المطالب اليهودي ، بالاضافة الى ٦٢ مليون دولار تقريبا تدفعها الى المجلس اليهودي المركزي في المانيا . وبتاريخ ١٥ ايلول ١٩٥٢ وافقت لجنة الشؤون الخارجية في الكنيست على الاتفاق بنسبة ٨ الى ٧ . اي ان اسرائيل استمرت في التظاهر بوجود معارضة قوية في البلاد ضد التعامل مع المانيا وقبول التعويضات من ورثة هتلر ، وان ظل رئيس الوزراء بن غوريون يردد في كل مناسبة بان اسرائيل في حاجة ماسة الى الاموال من اية جهة كانت . وفي الفترة الواقعة ما بين ١٨ و٢٢ آذار ١٩٥٣ وافق كل من البرلمان الالماني والكنيست الاسرائيلي على الاتفاقية التي اصبحت سارية المفعول ابتداء من ٢٧ آذار ١٩٥٣ حين تبودلت وثائق التصديق على الاتفاق بين اسرائيل والمانيا الغربية في مركز الامم المتحدة في نيويورك .

تم التوصل الى هذا الاتفاق وسط معارضة قوية صادرة عن الدول العربية ، وخاصة عن مصر التي واصلت تذكير المانيا بعلاقات الود التاريخية التي تربط بين الشعبين ، وتهديد اتفاقية التعويضات بنسف هذه العلاقات الطيبة . الا ان هذه الاحتجاجات لم تثن المانيا الغربية عن عزمها على تقديم التعويضات الى اسرائيل، بل حتى الطرد الذي يحتوي على المتفجرات ، والذي ارسله الارهابيون اليهود في طريقة مسرحية الى اديناور ، لم يغير من موقف المستشار الالماني المجوز ، مع ان هذا الطرد انفجر وقتل خبير المتفجرات الالماني الذي كان يبغي تعطيل مفعوله . وقد اشتركت وسائط الاعلام مع السلطات في لفلفة محاولة الاغتيال هذه ، واتهام الجهات الالمانية المتطرفة بالمسؤولية عنها ، مع ان اليهود وجهوا الرسائل الصريحة الى الصحف معلنين فيها مسؤوليتهم عن الحادث ، كما ذكرت الصحفية الاسرائيلية انغه دويتشكرون في كتابها عن العلاقات بين المانيا الغربية واسرائيل .

حسب تقرير اصدره مكتب الخارجية الالمانية ، استلمت اسرائيل في الفترة الواقعة ما بين ١٩٥٢ و١٩٦٥ مبلغ ٣٤٤٥٠٤٠٠٠٫٠٠٠ مارك الماني ، أي ما يعادل ٨٦٢٫٥٠٠٫٠٠٠ دولار . وتضمنت هذه المبالغ المعدات الثقيلة والبواخر والبترول وغير ذلك من مواد تشكل عصبا حيويا لاقامة صناعة منتجة تدعم الكيان الاسرائيلي . الا ان هذه القائمة لم تشمل جميع التعويضات التي حصلت عليها اسرائيل منذ ١٩٥٢ ، فهذه الارقام لم تكن الا اول الغيث الذي انهمر على الدولة الصهيونية من المانيا . وفي عدد صدر في نيسان ١٩٦٥ ذكرت

مجلة ديرشبيغل ان مبالغ التعويضات التي تقدمها المانيا الغربية الى اسرائيل سيصل مجموعها في النهاية الى ٣٢ الف مليون مارك ، أي ما يعادل ٨٠٠٠ مليون دولار ، حصلت اسرائيل على ٥٠٠٠ مليون دولار منها حتى عام ١٩٦٥ .

هذه التعويضات الهائلة فتحت شهية اسرائيل للمطالبة بالمزيد . فالى جانب اتفاقية التعويضات العامة ، كانت هناك التعويضات الجزئية الخاصة. فدفعت المانيا التعويض عن فقد الممتلكات ، ثم قدمت تعويضات شخصية ، واخيرا وهبت الاسلحة الثقيلة بكميات واسعة . أي انها كانت واقعة ضحية متطوعة لاضخم عملية ابتزاز تعرضت لها دولة في التاريخ . وهذا الابتزاز كان طبعا يحظى برضى واشنطن ومباركتها . وعندما قاربت اتفاقية التعويضات الموقعة عام ١٩٥٢ على الانتهاء ، بدأت اسرائيل محاولتها لعقد اتفاقيات جديدة . ففي ١٤ آذار ١٩٦٠ أجتمع دافيد بن غوريون ، رئيس وزراء اسرائيل يومئذ ، بالمستشار الالماني ادیناور في غرفة الاخير بفندق والدورف استوريا بنيويورك . وكان الاثنان يزوران الولايات المتحدة. وقد اثيرت قبل الزيارة قضية البروتوكول بين حاشية الرئيسين ، والتي دارت حول أي من الرئيسين يجب ان يقوم بزيارة الآخر في غرفته . الا أن بن غوريون - المستعجل على مقابلة الزعيم الالماني لنيل الأموال منه ، حسم المناقشة بقوله انه ما دام هو الاصغر سنا - ، فسيقوم هو بزيارة ادیناور في غرفته . ومع ان تفاصيل ما دار في تلك الجلسة التي وصفت بانها تاريخية وتبشر بالمصالحة بين الشعبين اليهودي والالماني لم ينشر في حينه ، الا ان تكهنات الصحف الالمانية والامريكية والاسرائيلية أكدت احتمال تقديم بون مبالغ جديدة الى تل ابيب . وبالرغم من ان الناطق الالماني الرسمي نفى هذه الانباء المتعلقة بتقديم المساعدات المالية الضخمة ، الا ان الضجة الكبرى التي اثارها الصهيونيون في العالم أدت في النهاية الى رضوخ المانيا لشرط اسرائيل الرئيسي ، والذي مفاده ان الدولة اليهودية تحتل مرتبة خاصة في علاقات المانيا بسائر الدول وذلك نظرا للاضطهاد الفظيع الذي اوقعته المانيا النازية باليهود .

وعلى الصعيد العسكري كانت اسرائيل منذ عام ١٩٥٧ قد أعلنت بلسان بن غوريون انها دخلت مرحلة التعاون العسكري مع المانيا . ومع ان حكومة بون نفت في بادىء الامر عزمها على تصدير الاسلحة الى منطقة كالشرق الاوسط يسودها النزاع ، الا ان اجتماع ادیناور ببن غوريون تمخض عن اتفاق سري بالغ الاهمية ينص على تقديم المانيا كمية ضخمة من الاسلحة الامريكية الصنع الى اسرائيل . وفيما انفضح امر هذه الصفقة السرية ، سارعت الدول العربية الى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع بون ، فيما عدا تونس والمغرب وليبيا . ولكن اسرائيل كانت حتى ذلك الحين قد استلمت ٨٠ بالمئة من الكميات التي ابتاعتها المانيا الغربية من الولايات المتحدة خصيصا كي تهبها للدولة الصهيونية . من الذي فضح الصفقة ؟ تتضارب الآراء حول ذلك . فمن قائل ان بعض النواب المؤيدين للعرب في مجلس البوندستاغ (البرلمان) الالماني أبلغوا ممثل الجامعة العربية في بون (وهو مصري) بموضوع الصفقة ، فنقل النبأ الى القاهرة . ومن قائل ان مكتشف أمرها هو الملحق العسكري المصري في بون آنذاك ، محمد أحمد صادق ، الذي هو اليوم وزير الحربية . لكن الارجح ان اسرائيل هي التي فضحت الصفقة لتسيء الى العلاقات الالمانية العربية .

وكان رد فعل الدول العربية متشنجا ، اذ بدلا من اغتنام هذه الفرصة للاعتراف بالمانيا الشرقية وتبادل البعثات الدبلوماسية وانماء العلاقات الاقتصادية والتعاون الثقافي معها ، فان الدول العربية اكتفت بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بون دون ان تتبع ذلك بالخطوة المنطقية التالية ، فتعترف بحكومة برلين الشرقية اعترافا كاملا ناجزا . ولم يأت ذلك الاعتراف الا بعد مرور زمن طويل على هذه الازمة بين العرب والمانيا الغربية ، وحتى عند ذاك ، لم تعترف جميع الاقطار العربية بجمهورية المانيا الدمقراطية .

ولا بد من التحدث في هذا السياق عن الدور الذي لعبته محاكمة مجرم الحرب الالماني ادولف ايخمن في العلاقات الاسرائيلية الالمانية وانعكاس هذه المحاكمة على موقف الالمان من العرب . كان الهدف الاسرائيلي الرئيسي دائما هو ابقاء عقدة الذنب الجماعية حية في اذهان الالمان ، وذلك بالعزف المستمر على نغمة افران الغاز في داخاو واوشفنتز وبيلسن ومعسكرات الاعتقال النازية الاخرى التي أبيد فيها الآلاف من البشر ، باعتبار ان هذا

التفكير المستمر سيجبر السلطات الالمانية الغربية على الظهور امام العالم في مظهر الرجل الذي تاب عن ذنوبه ويبغي التكفير عنها ، سيجبرها على ان تواصل مد اسرائيل بالاموال والسلاح ، وعلى اساس ان النفوذ الصهيوني المتغلغل في وسائط الاعلام الغربية ، وصاحب القاعدة القوية في الولايات المتحدة بامكانه ان يشوه سمعة المانيا في العالم اذا هي ترددت في الاستجابة لمطالب تل ابيب .

وكان العملاء الاسرائيليون قد اختطفوا ادولف ايخمن من الارجنتين في طائرة تابعة لشركة العال ، واحضروه مكبلا لاسرائيل حيث أعدوا له محاكمة مسرحية حشدوا لها جميع طاقاتهم الدعائية . فسلطوا الاضواء على الرجل الكهل القابع في القفص الزجاجي المقاوم للرصاص ، وبعد محاكمة استعرضت جرائم العهد الهتلري بالتفصيل ، حكموا عليه بالاعدام ونفذوا فيه الحكم .

هذه المحاكمة سببت حرجا شديدا لحكومة بون نظرا لانها نبشت فظائع الماضي في فترة كانت بها المانيا الغربية قد أصبحت عضوا مقبولا محترما في الاسرة الدولية بسبب معجزتها الاقتصادية الباهرة . ولم يقنع اديناور احدا عندما صرح بان ايخمن هو ليس مواطنا المانيا (كان ايخمن من النمسا) ولذا فالمانيا ليست مسؤولة عن تصرفاته ، فالواقع ان ايخمن خدم الدولة الالمانية في عهد الرايخ الثالث وكان ضابطا في قواتها ، ولذا لم تنجح محاولة اديناور للتنصل منه ، بل اثارت الرثاء فقط .

استمرت العلاقات الالمانية العربية بالتردي ، لا سيما اثر زيارة سكرتير الحزب الشيوعي في جمهورية المانيا الدمقراطية ، فالتر اولبريخت ، للقاهرة اثر فضح صفقة السلاح السرية . وقد توجه غيرهارت غيرستماير ، رئيس البرلمان الالماني الغربي ، الى القاهرة لمقابلة الرئيس عبد الناصر. وفي سياق الحديث تساءل هذا السياسي الالماني المحافظ عن سبب غضب العرب على المانيا بسبب مدها اسرائيل بالاسلحة ، بينما هم ، أي العرب ، يستلمون الاسلحة بكميات وفيرة من الاتحاد السوفييتي . فاجابه عبد الناصر : اننا ندفع ثمن هذه الاسلحة ولا نستلمها هبة . وعندما سأله غيرستماير ساخرا عن الثمن الذي تدفعه مصر مقابل هذه الاسلحة ، ملمحا بان مصر الفقيرة لا تمتلك الموارد الكافية لذلك ، اجابه عبد الناصر فورا : اننا ندفع الثمن بافضل ما لدينا من القطن .

وحاولت المانيا الغربية ان تثني الرئيس عبد الناصر عن عزمه دعوة اولبريخت الى مصر ، ولكنه رفض ان يسحب الدعوة . وعند ذلك طلبت منه ان يقلل من الحفاوة برجل الدولة الشيوعي عدوها اللدود ، ولكن عبد الناصر رد قائلا بأن العرب عندما يدعون شخصا لزيارتهم ، فانهم يبذلون في استقباله والترحيب به كل كرم واحتفاء ، اما اذا كانوا يزمعون استقبال ضيفهم ببرود، فالافضل الا يدعوه الى زيارتهم على الاطلاق .

ويجب القول هنا ان وسائط الاعلام الالمانية ساهمت في تسميم الجو حتى قبل ان تكون هناك ازمة فعلية في العلاقات بين المانيا ومصر . ففي بداية الستينات القت سلطات الامن المصرية القبض على الماني مقيم في القاهرة بتهمة التجسس لحساب اسرائيل. ومع ان هذا الالماني اعترف بذنبه في محاكمة نزيهة هادئة الجو ، وكان الحكم عليه خفيفا (وقد افرج عنه فيما بعد) الا ان الصحف الالمانية ظلت تردد ما يشتم منه ان مصر معادية لالمانيا ، وان الحديث عن علاقات الود التقليدية التي تربط ما بين الشعبين هو حديث ممجوج باعتبار ان العرب كانوا — على حد رأيها — يتعاطفون مع هتلر ، ولذا فان حكومة بون الدمقراطية لا يمكن ان ترث هذا العطف المشبوه الذي من شأنه ان يسيء الى سمعتها ، بل عليها ان تقوي علاقاتها مع اسرائيل « الاشتراكية الدمقراطية » على حساب علاقاتها مع العرب « الذين يلعبون على الحبلين بين الكتلتين المتنازعتين » .

ومع ان بون واصلت تقديم المساعدات الثانوية الى مصر وعدد من الاقطار العربية الاخرى ، الا ان ضغط واشنطن ، وموالاة وسائط الاعلام الالمانية للجانب الاسرائيلي ، اضطرها الى ان تتخلى عن حيادها بين العرب واسرائيل تدريجيا ، وتدلي بدلوها في الجانب الاسرائيلي . ويمكن في هذه المناسبة الاشارة الى ان الضجة الكبرى التي اثارتها اسرائيل بسبب العلماء والخبراء الالمان الذين كانوا يعملون في مصر على تطوير الصواريخ والطائرات الحربية ، فان ساسة الدولة الصهيونية ورجال علاقاتها العامة جعلوا الامر كله يبدو وكأن الالمان يساعدون العرب على ابادة اليهود بعد ان فشل هتلر في محاولته تلك . وتحركت الاستخبارات الاسرائيلية لتزهب العلماء الالمان وتقصيهم عن

مجال التعاون العلمي مع مصر ، فخطفت احد العلماء من ميونخ وقتلته . ثم حاولت اغتيال عالم آخر . ولما فشلت ، استدرجت ابن وابنة هذا العالم الى فندق في سويسرا يقع بالقرب من الحدود الالمانية ، وهناك قابلهما عميلان اسرائيليان وهددا هما بقتل ابيهما ان هو لم يتخل عن تعاونه مع المصريين . والقت سلطات الامن السويسرية القبض على هذين العميلين الا انها أفرجت عنهما بعد ذلك بفترة قصيرة . ولكن الارهاب الاسرائيلي استمر ضد كل من يتعاون مع مصر في المجال العلمي . فوضعت قنبلة في طائرة كانت تستقلها الزوجة الالمانية لرجل اعمال مصري يقيم في سويسرا ويتعامل مع الحكومة المصرية . وادى انفجار القنبلة الى سقوط الطائرة ومقتل من فيها . ولم تحرك السلطات الالمانية او السويسرية ساكنا للبحث عن الفاعل ، مع ان زوجة المصري كانت دوقة تنحدر من اسرة المانية نبيلة .

وبالاضافة الى عمليات الارهاب ضد الالمان في اوروبا ، لم تهمل الاستخبارات الاسرائيلية العلماء الالمان في مصر نفسها ، فارسلت طرودا ملغومة انفجر احدها في وجه السكرتيرة الالمانية لخبير الصواريخ فلفغانغ بلتز ، فشوه وجهها وافقدها السمع والبصر . كما انفجر طرد آخر في مصنع حلوان للطائرات مما أدى الى مقتل عدد من المصريين . واكتشفت طرود اخرى قبل ان تنفجر وكانت مرسلة من هامبورغ . وطوال هذه الفترة صاحبت العمليات الارهابية حملة في صحف المانيا الغربية ضد عمل « النازيين السابقين المعادين للسامية » في مصر ، دون ان يشير احد الى ان السلطات الامريكية هي التي اقنعت الحكومة المصرية في بداية الخمسينات بقبول هؤلاء العلماء والخبراء ، بعد ان انتفت حاجة امريكا اليهم . ويذكر مايلز كوبلند في كتابه « لعبة الامم » ان واشنطن بعد أن استعانت بعدد كبير من العلماء الالمان عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية لتطوير صواريخها ، لم تشأ ان تتركهم بدون عمل بعد الاستغناء عنهم ، فعرضتهم على بعض الدول الصديقة التي كانت مصر بينهافي اوائل الخمسينات. وعلى كل حال ، فقد فشل هؤلاء العلماء في تطوير صواريخ صالحة او بناء طائرة مقاتلة سوبر سونيك يمكن الاستفادة منها . فانهت القاهرة عقودهم اثر حرب حزيران ، وهكذا انتهى التعاون الالماني المصري على الصعيد العسكري دون ان يأتي بثمرات . اما التعاون العلمي والعسكري بين اسرائيل والمانيا الغربية ، فكان طوال هذه الفترة قائما على قدم وساق وان لم توجه اليه الاضواء ، واستمرت السرية تحيط بعمل العلماء الالمان في معهد وايزمن ، وبتدريب الضباط الاسرائيليين في المانيا على استخدام احدث الاسلحة والمعدات الاليكترونية . وحاولت وسائط الاعلام الالمانية ان تغطي على هذا التعاون الوثيق بالزعم ان مصر وبعض الدول العربية تأوي مجرمي الحرب النازيين، وان فشلت في تقديم قائمة تحتوي على الاسماء ، واخفقت في تفسير الاسباب التي تجعل قدامى النازيين يفضلون اللجوء الى امريكا اللاتينية ، وحتى الى بعض الدول الافريقية ، بدلا من الاقطار العربية . الا ان ركاكة هذه الاتهامات لم تثبط عزيمة الصحف الالمانية التي استمرت تؤدي دورا أساسيا في تسميم الرأي العام الالماني ضد العرب ككفير عن داخاو واوشفنتز . ففي نهاية الخمسينات مثلا ، انتج التلفزيون الالماني الواقع تحت اشراف الحكومة فيلما عن اسرائيل يمجد الدولة الصهيونية بقدر ما يسيء الى العرب . فاشترته أجهزة الدعاية الاسرائيلية واخذت تعرضه في كل مكان . كما ان سيل الكتب الاطرائية التي الفها الكتاب والصحفيون الالمان عن اسرائيل لم ينقطع . ولذا كانت الاوساط المثقفة في المانيا في ذلك الاطار الذهني المناسب الذي تمنت اسرائيل ان يكون فيه عندما شنت عدوانها في حزيران ١٩٦٧ . فسارت التظاهرات تندد بالعرب وتهتف لاسرائيل ، وسارعت بون بتقديم عشرين الف قناع واق من الغاز لاسرائيل ، علاوة على بعض المساعدات العسكرية الاخرى التي لم يكشف النقاب عنها . وفي مساء الخامس من حزيران ، عندما ظهر فيلي برانت في التلفزيون الالماني ليرد على الاسئلة المتعلقة بالحرب العربية الاسرائيلية ، وكان آنذاك وزيرا للخارجية في الحكومة الائتلافية التي ترأسها كيسنغر ، اجاب على سؤال تضمن الاستفسار عن الجانب الذي بادر بالهجوم ، بقوله انه لا يعلم ، مع ان الاستخبارات الالمانية التي يديرها الجنرال غلن الشهير كانت ملمة بخطة الهجوم الاسرائيلي حتى قبل وقوعه بأيام .

أجمعت الصحف الالمانية على اعتبار العرب أصحاب المسؤولية في اندلاع الحرب ، فشنت عليهم حملة مسعورة لا تقل في درجة عنفها وحقدها عن الصحف الاسرائيلية ان لم تكن قد فاقتها . ولم يحاول

انضاف العرب الا اليسار الجديد الذي تفهم دور اسرائيل الامبريالي في المنطقة . وقد تضافرت عدة عوامل على جعل العرب هدفا للكراهية من اكثر الجوانب ، فان مؤيدي سياسة الحرب الباردة واعداء الكتلة الاشتراكية لم يكونوا قد غفروا للعرب كسرهم لحلقة التحالف الغربي في الشرق الاوسط الممثل بحلف بغداد ، ولا اعتناق بعض الانظمة العربية مبدأ عدم الانحياز بين الشرق والغرب . كما ساءهم تقرب مصر وسوريا والعراق والجزائر واليمن والسودان من الكتلة الشرقية واستيراد هذه الاقطار السلاح منها . علاوة على أن دعوة عبدالناصر لاولبرخت اثارت عداء المؤسسة الالمانية القائمة ضد مصر ، لان هذه الدعوة ساهمت في تحطيم مبدأ هالشتاين . ثم كانت هناك أيضا تلك الفئات ذات الماضي النازي المخجل التي ارادت مداراة ماضيها الاسود بالتكالب على تاييد اسرائيل والتصفيق لها ، فقارنت بين رومل وديان ، مشيرة الى ان القائدين حاربا في الصحراء وانتصرا . قبل حرب حزيران كان السياسة الالمان لا يزورون اسرائيل الا بعد تقاعدهم . فزارها تيودور هويس ، رئيس الجمهورية بعد ان انتهت ولايته ، وكذلك كونراد اديناور ولودفيك ايرهارد وفرانز يوزف شتراوس ، وزير الدفاع السابق الا ان التقارب الحثيث بين البلدين لا ريب سيؤدي في المستقبل غير البعيد الى تبادل في الزيارات بين الرؤساء والوزراء الذين ما زالوا في مقاعد الحكم ، لا سيما وان المستشار الحالي فيلي برانت انضم اثناء الحرب العالمية الثانية الى المقاومة النرويجية ليحارب ابناء وطنه النازيين ، اي أنه من الساسة الالمان القلائل الذين لم يتلوث ماضيهم بأدران النازية . وفعلا وجهت اليه الدعوة قبل أشهر لزيارة اسرائيل . واسرائيل بتقاربها من المانيا تعوض بذلك على ابتعاد فرنسا عنها . ومع أن المانيا عادت فاستأنفت علاقاتها الدبلوماسية مع مصر ولبنان بعد انقطاع دام ست سنوات سببه تبادل بون السفراء مع تل ابيب ، الا ان المانيا افهمت الدول العربية التي استأنفت العلاقات الدبلوماسية معها بأن هذه الخطوة لن تؤثر على العلاقات الالمانية الاسرائيلية ، وان بون ستواصل تقديم المساعدات المالية الى تل ابيب .

ف. المنصور

أصدر مركز الابحاث في العام ١٩٦٦ كتاب

المساعدات الاميركية والالمانية الغربية لاسرائيل

بقلم

اسعد عبد الرحمن

بالعربية (نافد) وبالانجليزية سعر النسخة ١ ل.ل. يضاف اليها أجور البريد :

٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١٠٠ ق.ل. في اوروبه ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول .

اسرائيليـــات

اعلان « حرب الابادة » على الفلسطينيين

لم تكن اسرائيـــل بحاجة الى ذريعة لشن حرب الابادة ضد الشعب العربي الفلسطيني . ولكنهـــا تستثمر عملية ميونيخ لخلق مناخ ملائم لارتكاب مزيد من الجرائم الوحشية ضد هـــذا الشعب الـــذي مارست ضده اسلوب الابادة التدريجية منذ نشوئها على ارضه منذ ربع قرن حتى الان . ولعل مـــزاح الايام ثقيل الظل . فان اسرائيل التي شنت حروبها الثلاث ضد العرب « ردعا لخطر الابادة » ـــ كما كانت تقول ـــ لم تتمكن من الاستمرار فـــي خداع العالـــم ، فوقفت اخـــيرا واعلنت ، في الحكومة والبرلمان والصحف ، انها قد شنت حرب الابـــادة على الشعب الفلسطيني . لقـــد جاء هذا الاعلان متأخرا جدا . ولعل مزاح الايام ثقيـــل الظل مرة اخرى . فان اسرائيل التي استجدت عطف العالم نتيجة تعرض ملايين اليهود للابادة في اوروبا ، ترى الان ان عطف « الرأي العام العالمي » الغامر عليها بعد عملية ميونيخ ، هو الذي سيسهل عليها مهمة ابادة الشعب العربي الفلسطيني . وهذا الاعلان جاء متأخرا بعض الشيء . فلم تكن اسرائيل بحاجة الى ذرائع بقدر حاجتها الى توقيت مناسب .

لقد امتلأت اسرائيل بالاحساس بانها سيدة المنطقة، وصار من « حقها » ان تطالب الدول المجاورة لها بالتطوع للدفاع عن امنها . وما عادت تجد غضاضة في الاعلان الصريح بانها تشن حرب ابادة . ان من « حقها » ان تمضي في الدلال حتى اخر الشوط ـــ والعالـــم الغربي مفتون بها . ما زالت برقيـــات التعزية الحارة تتدفق اليها من الغرب ، ولم يجد هذا الغرب ان من باب اللياقة الحضارية ان يعزي العرب بمقتـــل عشرات الالوف منهم ـــ ضحايـــا الارهاب الصهيوني . لقد نسي هذا الغرب الرسمي أن يتساءل : لماذا مات الاحد عشر لاعبا اسرائيليا في ميونيخ ؟. لقد كـــان للفدائيين العرب مطلـــب سياســـي انساني واحد هو : الاحتفاظ بالاسرائيليين رهائن ، واطـــلاق سراحهم مقابل اطـــلاق سراح أسرى فلسطينيين في سجون اسرائيل . فلماذا لـــم تستجب اسرائيل الى هذا المطلب ، فتنقذ حيـــاة خيرة لاعبيها ؟ ان اسرائيل لا تريد ان تسجل سابقة تنازل واحدة امام المقاومة الفلسطينية . واصرارها على التشبث بهذه الغطرسة من جهة ، والاستهتار المهين بارادة المقاومة الفلسطينية ، هو الذي أدى الى مقتل رياضييها في ميونيخ . من هنا ، يكـــون الاسرائيليون الاحد عشر ضحايا العناد الاسرائيلي والغطرسة والغرور .

وفي أجهزة الاعـــلام الاسرائيلي الرسميـــة وشبه الرسمية اجماع على ان موت احد عشر اسرائيليا هو مبرر كاف لابادة شعب اخر ، وذلك من اجـــل احلال السلام والهدوء في منطقة الشرق الاوســـط والعالم . اي ـــ ان ابادة الشعب الفلسطيني هي المعادل الوحيد لضمان سلامة المنطقة والعالم . فماذا يقول الشعب الذي فقد عشرات الالوف من أبنائه ، ماذا يقول الشعب الذي اجتث من وطنه؟. ماذا يقول ؟. هل سألت اجهزة الاعـــلام الغربية نفسها هذا السؤال ؟

ولماذا نقول ان اسرائيل لا تحتاج الى ذريعة ولكنها تحتاج الى توقيت ، لتفريغ حقدها العنصري علـــى الفلسطينيين الذين يشكلون خللا في معادلة اسرائيل الامنية ؟.

لقد قررت الكنيست ، بالاجماع ، بأنه « على دولة اسرائيل القيام بواجبها وممارسة حقها في الدفاع عـــن مبعوثيها ومواطنيهـــا ، اينما كانوا » ، وان اسرائيل ستعمل بصورة متواصلة ضد منظمـــات الارهاب وقواعدها والـــذين يقدمون لها المساعدة حتى يتم وضع حد لعملياتهم الاجرامية . وقررت الكنيست بـــأن مسؤوليـــة جريمة ميونيخ وكافـــة العمليات الدموية الاخرى التي تقوم بها منظمات

الضلة تقع على عاتق الدول العربية التي تقدم لها قواعد العمل والتأييد السياسي والاسلحة والاموال ، وطالبت الكنيست كافة الدول بالعمل ضد منظمات الارهاب والقضاء على قواعدها » . (٩/١٢) (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، مركز الابحاث) . .

هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى ، اعلن وزير الدفاع الاسرائيلي موشه ديان في مونتريال بكندا « ان الارهاب العربي لا يشكل خطرا عسكريا على اسرائيل ، كما لن يؤدي الى اية نتائج » (٩/١٣) .

اذا كان ديان مقتنعا بصحة تقديره ، فاي مبرر يبقى لشن حرب الابادة اذن ؟.

ولا تكتفي اسرائيل باعلان الحرب على الفلسطينيين ، ولكنها اعلنت في الوقت ذاته حرب التهديد على الدول العربية . فقد اجمع كل المسؤولين الاسرائيليين على تحميل الدول العربية مسؤولية عملية ميونيخ وغيرها من العمليات الفدائية . قالت غولده مئير : « ان التعبيرات المؤيدة لعملية ميونيخ التي صدرت عن الدول العربية تؤكد بأن مسؤولية هذه « الجرائم » لا تقع على « المخربين » فقط ، بل تشمل أيضا الدول العربية التي تقدم لهم القواعد والدعم الادبي والاخلاقي » (٩/١٢) . فهل يعني هذا الكلام شن حرب على الدول العربية التي يتواجد فيها الفلسطينيون ؟

ان الذي يتابع تصريحات الاسرائيليين الرسمية يلاحظ ان اسرائيل ترى الوقت مناسبا للابتزاز السياسي من الدول الاوروبية ، ومن الدول العربية ايضا . لقد عبر وزير خارجية اسرائيل ابا ايبن ، بصراحة ، عن هذا المعنى بقوله ، ردا على سؤال حول « مشاريع السلام » الاسرائيلية « انني لا أفكر في هذه اللحظة بالسلام ، وانما ينصب تفكيري على كيفية ازالة « وباء الارهاب » من العالم » (٩/٨) .

معنى كلام أبا ايبن ، انه يشترط الاستمرار في الحديث عن وهم التسوية السياسية مع العرب بشرط جديد هو : القضاء على المقاومة الفلسطينية وتطلعات شعب فلسطين . ومعنى ذلك ، ان اسرائيل تلوح بتصعيد التوتر في المنطقة اذا ما استمرا الموقف الفلسطيني في التحرك . اي ان اسرائيل تريد أن تترك الكرة الان بين الفلسطينيين والدول العربية ، على اعتبار ان الفلسطينيين هم الذين يشكلون العقبة الرئيسية الان في التسوية السياسية ، بعد زوال العقبة الرئيسية الاولى وهي : الوجود السوفياتي .

هذا من جهة . .

ومن جهة اخرى . . تسعى اسرائيل الى دفع بعض الحكومات العربية — تحت الضغط العسكري — لاتخاذ موقف شبيه بالموقف الاردني من المقاومة الفلسطينية . فقد اوضح مراسل اذاعة اسرائيل احد الاهداف الرئيسية من عمليات الجيش الاسرائيلي الاخيرة ضد سوريا ولبنان . قال ردا على سؤال : « الى اي مدى قربت عمليات الجيش الاسرائيلي ضد سوريا ولبنان حكومتي البلدين ، وخاصة حكومة لبنان ، من اتخاذ قرار صريح بابعاد الفدائيين ؟ اجاب : « ان حكومة لبنان غير مهيأة للقيام بعملية تستهدف انهاء وجود المخربين في لبنان بشكل قاطع . انها تحاول اللف والدوران . ومن الواضح انه ليس هناك في العالم العربي ، باستثناء الاردن ، اية جهة على استعداد لضرب المخربين ، او مد يد العون لعملية كهذه » (٩/١١) . ولكن اسرائيل ليست يائسة من استخدام الضرب العسكري لدفع التطورات وفقا لارادتها في هذا الميدان . قال المعلق العسكري لاذاعة اسرائيل ان عمليات الجيش الاسرائيلي في سوريا ولبنان « لا تعدو كونها تذكيرا اضافيا لمنظمات التخريب وللدول العربية ، بأن الدول العربية تتحمل مسؤولية العمليات التي ينفذها المخربون في اراضيهم » . وترى اسرائيل ان مسؤولية سوريا تتمثل فيما يلي : ١ — القيادة السورية شملت الفدائيين بحمايتها وشجعتهم على عملياتهم ضد اسرائيل ، واضافة الى ذلك فهي تشرف عليهم . ٢ — سوريا تساعد الفدائيين في جميع المجالات ، بما في ذلك التدريب وتقديم المعلومات والتسليح والتموين . ٣ — القيادات الرئيسية للفدائيين تتمركز في دمشق .

اما مسؤولية لبنان فتتمثل بما يلي : ١ — يوجد في لبنان خمسة الاف فدائي منتشرين في جنوبه وشرقه . ٢ — تعتبر معسكرات اللاجئين في لبنان وكرا لنشاط الفدائيين . ٣ — يتركز النشاط السياسي للفدائيين في بيروت ، حيث يتمتعون بحرية العمل والاعلام والحصول على المساعدات والخدمات الطبية . ٤ — اشراف الجيش اللبناني على الفدائيين شكلي وغير فعال .

وصرح رئيس الاركان العامة الجنرال دانيد اليعازار بانه يمكن للفدائيين « ان يعتبروا عمليات سلاح الجو كرد على عملية القتل في ميونيخ ، لكن هذا الرد ليس هو الوحيد بالضرورة . وان العمليات الجوية ليست الوسيلة الوحيدة لمحاربة الفدائيين » (٩/٩) .

واعتبر نائب رئيسة الحكومة الاسرائيلية يغال الون الغارات التي شنتها الطائرات الاسرائيلية على كل من سوريا ولبنان « مرحلة جديدة في عملياتنا ضد المخربين » .

وتجمع وسائل الاعلام الاسرائيلية على « ضرورة » استمرار وتواصل الغارات والعمليات العسكرية الاخرى كجزء من « حرب الابادة ضد الفلسطينيين » وكتبت « هآرتس » : « ان الرضا الذي تولد عندنا نتيجة الضربات التي وجهها سلاحنا الجوي يجب الا يدفعنا للاعتقاد باننا قدمنا جوابا وحلا للمشكلة ، لان الرد مهما كان قاسيا لن يكون كافيا لمنع تكرر الاعمال الخطيرة الا اذا كان مستمرا ومتواصلا . ويبدو ان الحكومة لم تع بشكل عام حتى الان ان « الارهاب » يتطلب حربا مضادة منظمة ومخططا لها . ولهذا علينا ان نركز جهودنا للقضاء على « الوباء » من خلال المبادرة الى ضرب « المخربين » في كل مكان (٩/١٠) . وكتبت « دافار » في اليوم ذاته : « ان هناك صلة بين العمليات العسكرية التي وقعت وبين ما حدث مؤخرا في ميونيخ ، ولكن يخطيء من يعتقد ان العمليات كانت مجرد عمليات انتقامية ، وانما هناك جبهة جديدة رئيسية في مواجهة الجيش الاسرائيلي قد اشتعلت » .

هذا ، على مستوى العمليات العسكرية ضد الفلسطينيين والدول العربية . ولكن اسرائيل اعلنت انها ستمد جبهة القتال ضد الفلسطينيين الى مناطق اخرى من العالم . ومن الواضح ، ان الموقف الامريكي المتحمس في تأييده لاسرائيل ، والذي بلغ الاوج في تصريحات كبار المسؤولين الامريكيين واستخدام المندوب الامريكي حق النقض في مجلس الامن ضد مشروع قرار ادانة اسرائيل ، يدفع الحكومة الاسرائيلية للسير في العمليات العسكرية والارهاب ضد المدنيين حتى اخر الشوط. ولعل اسرائيل لم تحصل ، في تاريخها ، على مثل هذا التأييد والتشجيع الامريكيين المعلنين كما تحصل عليه الان . وتقول اذاعة اسرائيل (٩/١٢) ان البيت الابيض قرر ان يتخذ موقف الهجوم ضد « الارهاب » في العالم . وتقول الاذاعة الاسرائيلية ايضا « ان الحكومة الامريكية غير مقتنعة بادعاءات الحكومات العربية بانها غير مسؤولة عن اعمال منظمات « التخريب » » .

وكانت رئيسة حكومة اسرائيل غولدة مئير قد أشارت في الكنيست الى « امكانية عمل اسرائيل ضد « المخربين » أينما كانوا حتى في اوروبا » . فهل تسمح الدول الاوروبية لاسرائيل بممارسة هذا النشاط على اراضيها ؟. عن هذا الموضوع تحدث العقيد مئير والصحفي يشعياهو بن فورات في اذاعة اسرائيل (٩/١٣) . وقد أيد العقيد مبدأ شن حرب العصابات على الفلسطينيين في اوروبا « ولكن هناك قيودا على مثل هذا العمل الان لان الدولة التي تحترم نفسها لا تقبل بان تقوم جهة سرية اجنبية بعمل داخل اراضيها » .

وتعلن الاوساط الاسرائيلية انها لن تكتفي بمحاولة العمل ضد الفلسطينيين داخل حدود الدول الاوروبية ، بل ستصعد عملياتها داخل حدود الدول العربية . فقد قال العقيد مئير بعيل في البرنامج الاذاعي ذاته « ولكن ، بالنسبة للعمل داخل حدود الدول العربية ، فان هذا الامر جائز » . وقال المعلق الصحفي بن فورات : « ان هذا العمل جائز حتى لو تم كشف منفذيه . ولقد نسبت الدول العربية بعض الاعمال لنا ، ولم نعترف بها او ننكرها . ولكن اذا ما اكتشفت عملياتنا فيجب ان نتحمل مسؤولية النتائج المترتبة من ذلك » . واضاف العقيد الى اقوال زميله : « ان الدول العربية هي دول معادية . واقامة حركات سرية تعمل ضدها يعتبر امرا مشروعا . ولكن الامر صعب بالنسبة للدول الصديقة لاسرائيل ، او على الاقل الدول التي تتخذ موقفا محايدا » . وحدد العقيد طريقة العمل داخل الدول الاوروبية بانها يجب ان تتصف بالحذر « بحيث لا ننزلق الى استخدام العنف ضد كل شخص عربي فيها لاننا نشتبه بأن له علاقة بالارهابيين ، ولكن يجب فعل كل شيء من اجل القاء القبض على تلك الزمرة التي تنظم وتخطط لعمليات الارهاب ، اي العقول المدبرة » .

هكذا ، تتضح ملامح « حرب الابادة » التي اعلنتها اسرائيل بتشجيع علني من الولايات المتحدة الامريكية ، فهي تعتمد على العمليات العسكرية

ضد الدول العربية ، وضد تحركات الفلسطينيين فيها ، مع انذار الحكومات العربية بتأجيل الحديث عن أية تسوية معها لدفعها الى التعاون معها للقضاء على العقبة الاساسية امام التسوية وهي ـ الوجود الفلسطيني . وتعتمد على اقامة حركات سرية داخل البلدان العربية لاغتيال او اعتقال قادة المقاومة ، وعلى اقامة شبكات في الدول الاوروبية للغرض ذاته. واذا لم تحقق هذه الوسائل الاهداف المنوطة بها ، فليس من المستبعد ان تندفع اسرائيل الى توسيع رقعة الحرب في المنطقة .

مكانة الفلسطيني في الفكر الاسرائيلي

انفجرت قنبلة الفلسطيني داخل الوعي الاسرائيلي. ويبدو ان المناقشة ستطول حول هذا الكتاب الجديد الذي مس المحرمات الاسرائيلية ، لا لانه يعطي الفلسطيني حقه ، ولكن لانه ينظر اليه بمنظار آخر يقود الى الاعتراف بحق له مواز « للحق » الاسرائيلي على ارض فلسطين التي سماها المؤلف « بلاد الغزال » . ويبدو ان المناقشة ، في اسرائيل ، ستزداد احتداما حول هذا الكتاب لانه يضع الفلسطيني في مكانه المحوري من الصراع في الشرق الاوسط ، او لانه يدرس الصراع من خلال الدور الفلسطيني فيه ، وتنبع أهمية هذه النظرة ـ القضية من واقع التجاهل الاسرائيلي الرسمي للهوية الفلسطينية ولفاعليتها في اتجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي . فاذا انتبهنا الى الطريقة السائدة التي تتعامل بها اسرائيل في نظرتها الى الدور الفلسطيني ، لادركنا مغزى المناقشة الحادة حول هذا الكتاب الذي الفه اريه اليف السكرتير السابق لحزب العمل ، وصدر قبل اسابيع قليلة ، وأجمعت الصحف الاسرائيلية على تسميته « بالقنبلة الفلسطينية » التي فجرها النائب اريه اليف .

وكان اليف قد قرر الاستقالة من منصبه قبل عام للتفرغ لكتابة هذا الكتاب ، وعندما فاوضوه للتخلي عن الاستقالة قال : « اذا وافقت غولده مئير على ان اكون سكرتيرا لحزب العمل ، بعد صدور كتابي ، فساتقبل هذا المنصب » . وكان اليف ، بذلك ، يشير أو يلمح الى ما يعتزم اطلاقه من آراء تمس محرمات السياسة الاسرائيلية . والجدير بالملاحظة هنا أن سكرتارية حزب العمل قد بحثت ، في الايام الاخيرة ، الجولات التي يقوم بها اريه اليف في فروع الحزب المختلفة حيث يقوم بعرض آرائه التي تضمنها كتابه المثير ، وطالب مشو الكنيست مردخاي سوركيس باغلاق فروع الحزب أمامه . وتتلخص آراؤه بالشكل التالي : الاعتراف بوجود هوية فلسطينية تحظى بتأييد كل من القومية اليهودية والحركة العربية ، والاعتراف بحق كلتا القوميتين على ارض فلسطين التاريخية . ويرى اليف ان الحل يكمن في تقسيم البلاد الى دولتين ، واعلان اسرائيل من استعدادها للرجوع الى حدود الخامس من حزيران مع اجراء بعض التعديلات الطفيفة « من اجل اتاحة الفرصة لقيام الدولة الفلسطينية » .

أي أنه يمكن تلخيص الكتاب بأنه يدور حول محور علاقات اسرائيل مع الفلسطينيين .

وتقول صحيفة « هآرتس » (٧/٢٨) انه على الرغم من قلة النقد المباشر ضد قيادة الدولة وسياسة حزبه ، الا ان كتاب اريه اليف يشكل ، في مجمله » نقدا قاسيا لخط حزب العمل الرسمي، خط غولده مئير ـ يسرائيل غاليلي » .

ونشرت « هآرتس » موجزا للآراء الواردة في الكتاب ، ولاحظت ان المؤلف يمتنع من استخدام التسميات الاسرائيلية السائدة للمنظمات الفلسطينية ، فهو لا يسميها « منظمات التخريب » او « عصابات القتلة » ، بل يسميها « منظمات المقاومة الفلسطينية » او المنظمات الفلسطينية او المقاتلين الفلسطينيين . ويقول المؤلف : « من المحظور على اسرائيل الاستهتار بظاهرة المقاومة الفلسطينية المسلحة والتقليل من اهميتها . وعلى الرغم من وجود هذه الحركات في الحضيض ، فسيكون من أفدح الاخطار الاعتقاد بأن فترة الارهاب والتخريب ستنتهي . ولا ينبغي ايضا التخفيف من معنويات هذه المنظمات وشجاعتها . ان قوات الامن الاسرائيلية تخوض حربا عنيفة ضد رجال عنيفين ، يعملون المرارة ويؤمنون بأنهم يقاتلون من اجل قضية عادلة ، لا تنقصهم الشجاعة والتضحية. فان من يخرجون من قواعدهم ويتسللون الى اسرائيل مخترقين الحواجز والتحصينات وحقول الالغام والالات الالكترونية ويتعرضون الى ملاحقة متواصلة من قوات الجيش الاسرائيلي وأذرعة الامن الاخرى ، ليتمتعون بشجاعة غير قليلة . ان هؤلاء المقاتلين الفلسطينيين يضحون بحياتهم ،

ومن يدعي أنهم « جبناء » لا يعرف شيئا » .

ويبحث المؤلف عن جذور المقاومة التاريخية لدى الشعب الفلسطيني ، فيقول ان احداث ١٩٢٩ و١٩٣٦ لم تكن الا مقاومة فلسطينية مسلحة ضد الغزاة اليهود الاجانب « والذي ينظر الى هذه الاحداث وكأنها صدام بين يهود مسالمين يحاولون الدفاع عن انفسهم ، وبين عصابات من قطاع الطرق العرب ، فانه يمارس الكذب على اليهود وعلى العرب . لقد قاتل العرب اليهود لا من اجل القتل وسفك الدماء ، ولكنهم قاتلوا كما يقاتل المناضلون ضد من جاءوا يحتلون ما يعتقدون انها بلادهم » . هذا عن تاريخ أحداث ١٩٢٩ التي يصورها المؤرخون الصهيونيون بأنها « اعتداءات اللصوص العرب على اليهود الابرياء » . وعن أحداث ١٩٣٦ يقول المؤلف : « ان المناضلين العرب كانوا منظمين في عصابات ، ولكن اذا استخدمنا مصطلحا آخر نقول انهم كانوا يخوضون تمردا شعبيا بكل معانيه: الاضراب الشامل ، والاستعداد للتضحية ، وحرب عصابات » .

ويخلص المؤلف الى القول إن تاريخ هذا الصراع هو « صراع بين حركتين قوميتين ولدتا تقريبا في الوقت ذاته : اليهودية والعربية الفلسطينية . ولقد تجاهل مؤسسو الحركة الصهيونية هذه القضية ، ورأى هرتسل ان « اليهود العائدين الى بلادهم يحملون رسالة الرجل الابيض » . أما الذين جاءوا بعده : بيرل كتسنلسون وداڤيد بن غوريون ورفاقهما ، فقد كانت نظرتهم الى قضية العرب الفلسطينيين غامضة . كان من بينهم من أراد أن يتجاهلها، وأن يلقي مسؤولية حلها على المستقبل». ان المساواة بين حقوق « القومية اليهودية » و« القومية الفلسطينية » على ارض فلسطين ، هي نقطة الانطلاق التاريخية والسياسية لدى أريه اليف . وهنا ، تطرح مسألة نظرية في غاية الخطورة ، أمام مفكري الصهيونية ، لانها تمس الجهاز العصبي لكيان اسرائيل ، وتستتبعها اعادة نظر شاملة في كل التطبيق الصهيوني اللاحق والتطورات السياسية اللاحقة ، في حالة الموافقة الصهيونية النظرية على هذا الاعتراف . وهنا ، نعثر على الخيط الدقيق الضائع الذي يفصل بين ما اصطلح على تسميتهم « الحمائم » وبين ما اصطلح على تسميتهم « الصقور » في الفكر الصهيوني ــ الاسرائيلي الممارسة ، او بين « الصهيونية القنوعة » التي تكتفي باقامة دولة يهودية ، وبين « الصهيونية الجشعة » الطامعة في مزيد من التوسع .

هل يعترف الفكر الصهيوني بالصيغة التي طرحها أريه اليف ، القائمة على مبدأ الاعتراف بنشوء قوميتين على ارض فلسطين ــ قومية يهودية وقومية عربية فلسطينية ؟

هذا اولا .

وهل يعترف الفكر الصهيوني ، ثانيا ، باعلانه الاعتراف بحق القومية العربية الفلسطينية بالمساواة مع القومية اليهودية ؟

يعترض يوسف نبو (وهو عقيد في الجيش الاسرائيلي ومحلل للشؤون العسكرية ورئيس بلدية هرتسليا) على مقولة أريه اليف في مقال نشره في « دافار » (٨/١٨) ويقول : ان اخطر ما في كتاب اليف هو حديثه عن المساواة في حقوق الشعب اليهودي والشعب الفلسطيني على ارض اسرائيل كلها ، لانها تمس جذور كياننا القومي . ففي بحثه عن العدل للفلسطينيين يرتكب اللاعدل بحق شعب اسرائيل » . لماذا ؟ « ان جوهر الصهيونية ــ هو الحق غير المشروط للشعب اليهودي في العودة واقامة السيادة على بلاده . والاعتراف بالمساواة في الحقوق معناه ــ اشتراط حق اليهود بموافقة العرب . ان المساواة في الحقوق القومية معناها ــ الاعتراف بحق النقض للفلسطينيين على تطلعات اليهود ، فها هم يقيمون في بلادهم وهم يحتفظون بحقهم، بينما نحن نجيء من الخارج وندعي الحق». ويضيف الكاتب محللا جوهر عنصرية الصهيونية : « ان الصهيونية ، في الممارسة ، تعتمد على أولوية حق شعب اسرائيل في بلاده على اي حق اخر . وعندما تصطدم الممارسة الصهيونية مع حقوق اخرين ولا تكون هنالك امكانية للتسوية بينهما ، فان حق الصهيونية له الأولوية . وكل اعتراض على ذلك هو بمثابة اعتراض على حقنا في الكيان القومي ذي السيادة وغير المشروط » .

عندما يصطدم اي حق مع ما تدعيه الصهيونية من حق ، فان لادعاء الحق الصهيوني الافضلية الاولى غير القابلة للمناقشة . من هنا ، فان « الحق » اليهودي على فلسطين وعلى سواها هو حق مطلق، وأي اعتراض عليه يعتبر اعتراضا على جوهر كيان اسرائيل ــ هكذا يمكن تلخيص النظرة الكونية للفكر

الصهيوني « الصغير » . فكيف ينظر الفكر الصهيوني « الحمام » الى المسألة ؟.

يعتبر أريه اليعاف أحد ممثلي هذا الميل داخل السلطة الاسرائيلية . ويقول في كتابه ان الفلسطينيين — على الرغم من الكوارث التي لحقت بهم — أو بسبب هذه الكوارث قد تحولوا الى عنصر جاسم في المنطقة ، ويعتقد انهم العامل المركزي الذي ادى الى نشوب الحروب بين العرب واسرائيل . وبعد حرب ١٩٦٧ يرى اليعاف ان الشعب الفلسطيني هو العامل الجوهري . وهو لا يعترف بأن من حق اسرائيل ان تبحث المسألة على النحو التالي : هل هنالك شعب فلسطيني ام لا ؟ ويتساءل : « من نحن لكي تقرر ذلك ». « فانهم ، أو تاريخ عشرات السنين الاخيرة ، قد حددهم كشعب خاص بين الشعوب العربية » . ويقول انه بدون الفلسطينيين ليست ثمة امكانية لاية تسوية « حتى لو حدثت معجزة ، وتم التوصل الى اتفاق مؤقت أو دائم مع الدول العربية من الجنوب والشمال والشرق ، فلن تحل قضية العرب الفلسطينيين . لن نحصل على سلام حقيقي ولن ينتهي الصراع العربي — الاسرائيلي ما لم نجد ، معهم ، حلا للقضية التي هي قضيتنا » . ويرى أريه اليعاف ان الحل هو « تنازل كل من الشعبين عن تحقيق جزء من حقه واقامة دولتين — يهودية وفلسطينية عربية — على ارض فلسطين . ولا يحدد المؤلف حدود كل من هاتين الدولتين . ولكنه يشير ان حدود اسرائيل ستكون شبيهة بالحدود التي سبقت حرب الايام الستة . أما الدولة الفلسطينية فانها ستشمل قطاع غزة وضفتي الاردن .

ولا يهمنا هنا مناقشة الحل الذي يطرحه أريه اليعاف . ان ما يلفت النظر ، في هذا المجال ، هو ان نراقب نظرة الفكر الصهيوني الى الشعب الفلسطيني وحقوقه التاريخية ، وكيفية اصطدام هذه الحقوق مع الممارسة الصهيونية .

ويبدو ان يغال عيلم — مؤلف كتاب « مدخل الى تاريخ صهيوني اخر » ينتمي الى فكر الحمام الذي يحاول تبرئة الصهيونية — كايديولوجيا وتطبيق سابق ، من « اخطاء » التطبيق اللاحق التي ترتكبها « الصقور » . وعلى هذا الاساس ، فانه يجتهد كثيرا لخلق فواصل نظرية بين الاستيلاء على فلسطين عام ١٩٤٨ — كعملية « شرعية » لتطبيق « الحق » اليهودي « الشرعي » ، وبين الاستيلاء على مزيد من المناطق عام ١٩٦٧ . انه يعترض على الاعتراف بأن الممارسة الصهيونية كانت تنطوي دائما على حتمية طرد العرب ونهب اراضيهم . انه يرفض ذلك لكي لا يقوده منطق الامور الى الموافقة على عمليات الطرد والنهب في الحاضر ، ولكي لا « تشوه » سمعة الصهيونية التي كانت جرائمها في الماضي « عدالة ». انه يبرىء الصهيونية من هذه الطبيعة ، لان التأكيد على هذه الطبيعة « سيلغي الصهيونية بين صفوف الجيل الجديد ، فاذا كانت الصهيونية دائما حركة نهب ، فما هو تفوقها على حركات النهب الاخرى في التاريخ ، عدا انها لنا ». وفي مقاله عن كتاب أريه اليعاف (دافار ٨/١٨) يدافع عن ممارسات الصهيونية في الماضي ، ضد ممارساتها في الحاضر ، ويضع آراء اليعاف في مواجهة آراء اصحاب الدعوة الى « ارض اسرائيل الكاملة » السائرين في المنطق الصهيوني حتى آخر مدى . ويقول عن كتاب اليعاف « انه ، قبل كل شيء ، تجدد للينبوع الصهيوني ومحاولة لان يعيد الينا ارض اسرائيل الصهيونية — في مواجهة « أرض اسرائيل الكاملة » — تلك الارض التي وعدنا أنفسنا بها عندما خرجت الصهيونية الى الطريق ، واشترطنا بلوغها بشرطين كبيرين : ١ — ان يقوم على هذه البلاد مجتمع نموذجي يهودي ٢ — الا ينطوي عملنا على نهب العرب » . كيف يمكن ان يقوم مجتمع يهودي نموذجي على ارض ينكتها شعب اخر دون ان تنطوي العملية على نهب ؟. ان الكاتب يحل هذه المعادلة الصعبة باجابة مضللة : « أليس هنالك فارق نوعي اخلاقي حاسم بين الاستيلاء على الاراضي بواسطة المال في فترة الحكم التركي والانتداب البريطاني وبين مصادرة الاراضي بقوة الغزو في أيامنا ؟ » !!!

ويوافق الكاتب على رأي أريه اليعاف بأن « أرض اسرائيل الكاملة » ليست هي التي ستشكل قوة الجذب والتحدي للهجرة الكبيرة ، وانما تحقيق حلم المجتمع اليهودي النموذجي ، وعلينا قبل كل شيء ان نثبت لانفسنا وللعالم ان دولة اسرائيل تستطيع ان تستوعب ثمانية ملايين مواطن يستطيعون العيش بكرامة دونما حاجة الى التوسع الى أية جهة . فاذا آمنا بذلك ، واثبتنا ذلك بالقول والعمل ، وبالتخطيط فعندها نستطيع اقناع الغرب والعالم بأننا لا نتطلع الى التوسع » .

م . د .

نشرة رصد اذاعة اسرائيل

اصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ...) باخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرأ عليه في مختلف الميادين ، بحيث يسهل على ذوي الشان ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الابحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات واقوال الصحف التي تبث من الاذاعة العبرية يوميا ، بالاضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبار . وتطبع النشرة على « الاوفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . اما المشتركون خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، او باية وسائل اسرع .

يتوجه مركز الابحاث اليكم على امل ان تشتركوا بنسخة او اكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع ، الورق وغلافه) فقد تقرر ان تكون قيمة الاشتراك خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى ، يضاف اليها اجور البريد : في البلاد العربية ١١٠ ل. ل. ، في اوروبه ١٥٠ ل. ل. ، في الاميركتين ٤٠٠ ل. ل. ، وفي آسيه وافريقيه ٣٥٠ ل.ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك باكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو (خاصة واننا ننوي ان نبدا بعد فترة وجيزة بنقل البرامج الاذاعية الاسرائيلية التي تبث باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والتي سيكون لها قيمة كبيرة لدراسة الحرب النفسية التي توجهها اسرائيل للعرب ، ولدراسة التباين بين ما تذيعه اسرائيل بالعبرية لمواطنيها وما تذيعه بالعربية للعرب وما تذيعه بالانكليزية والفرنسية للراي العام العالمي وما لذلك من فائدة كبيرة لاجهزة الاعلام العربية) .

ترسل الاشتراكات الى :

مركز الابحاث ، نشرة الاستماع

ص. ب ١٦٩١ ، بيروت .

اليوميات الفلسطينية

أول وأضخم وأدق سجل علمي شامل

للقضية الفلسطينية

في تطوراتهـــا وأحداثها واخبارها

مدة ست سنوات ونصف السنة

(من ١٩٦٥/١/١ الى ١٩٧١/٦/٣٠)

ثلاثة عشر جزءا كل جزء يغطي نصف عام

٧١٠٠ صفحة من القطع الكبير

سعر المجموعة ١٤٥ ل.ل.

(عدا اجور البريد)

اطلبها من قسم التوزيع في مركز الابحاث في م. ت. ف.

ص. ب ١٦٩١ بيروت ـــ لبنان

الى اوروبـــا

ـــ رحلتان اسبوعيا الى لندن
ـــ دون توقف الى جنيف وفيينا

اربعاء : بيروت ـــ جنيف ـــ باريس ـــ لندن
الساعة ١٢،٤٥

خميس : بيروت ـــ فيينا ـــ فرانكفورت ـــ لندن
الساعة ١٢،١٥

الى بغـــداد

كل ثلاثاء : الساعة ١٨،٥٠
خميس : الساعة ١٨،٤٥
جمعة : الساعة ١٨،٣٠
سبت : الساعة ١٢،٣٠

للاستعلامات والحجز راجعوا وكيلكم للسفر المعتمد لدى « اياتا » او :

الخطـــوط الجـــويـــة العراقيـــة

شارع شاتو بريان ـــ بناية سلامه ـــ تلفون ٢٥٨٠٢٢ ـــ ٢٥٨٠٢٣

طـــائـــرات تـــرايـــدنت النفـــاثـــة

Learn Computer Programming

International Management Services Inc.

New York – U.S.A.

Announces the start of the COMPUTER Training Courses

The courses offered are :
Computer Concepts, Programming (In Cobol & Fortran) and Systems Design.
Three computers are at the disposal of the students.

The INSTITUTE is ACCREDITED BY UNIVAC SERVICES, A. G.

For registeration and information contact :

Business Automation Training Center
GEFINOR Bldg. Bloc D — Floor one
Tel. 342860 – P. O. Box 5736 — Beirut

3 S مجموعة ٣س رمز الخدمات المضمونة

شركة شماس للخدمات المضمونة ش.م.م.

● **دائرة التأمين :**

— مستشارون ووسطاء تأمين : ضد جميع الاخطار : الحريق ، السرقة ، التأمين البحري ، السيارات ، جميع الاخطار للمقاولين ، الخ...

● **دائرة الصيرفة :**

— صيارفة لجميع العملات والاوراق النقدية والشيكات والحوالات ، وكلاء معتمدون للشيكات السياحية لبنك اوف امريكا وشركة كوك .

● **دائرة العقارات :**

— ادارة عقارات، بيع شراء، رهن، تأجير.

٣ س للسفر والسياحة

● **دائرة السفر والسياحة :**

— قطع تذاكر وحجز ، سياحة ، تأجير سيارات وحجز فنادق وشقق مفروشة .

● **دائرة الشحن والتوضيب :**

— شحن جوي وبحري ، توضيب ، تخزين ، تخليص .

العنوان :

فرع اول : بناية ساروﻻ — شارع الحمراء بيروت

تلفون المكتب : ٣٤٢٨٨١/٢ — ٣٤٩٨٨٢

البناية : ٣٤٠٧٢٠/١ — مقسم ٢١

فرع ثان : بناية الفيحاء — شارع البستاني مقابل جامعة بيروت العربية — بيروت

هاتف : ٣٠٦٤٨٧

ص.ب ٦٨٦٢ — بيروت ، لبنان

برقيا : شمسكيورد

شركة بوارشي للتجارة

قرطاسية ومطبوعات

٧٢٤ شارع الحمراء — ص. ب ٣٩٠٠ — تلفون ٢٤٤٨٦٠ — بيروت — لبنان

صدر المجلد السنوى السابع من

السياسة الدولية

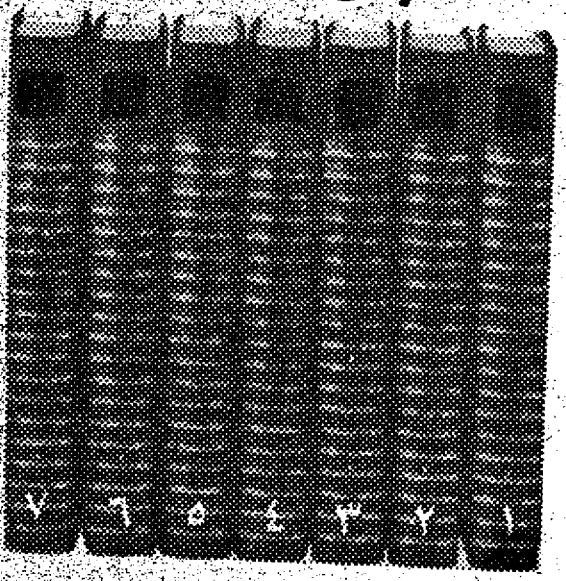

- مرجع عالمى للعاملين فى الحقل السياسى والدبلوماسى والإعلامى .
- المجلد مزود بفهرس تحليلى وفهرس للمعاهدات والاتفاقات الدولية .
- ١٠٠٠ صفحة ... الثمن ١٠٠ قرش
- يطلب من قسم الاشتراكات بمؤسسة الأهرام ومكتبة الأهرام بشارع محمد فريد والمكتبات الكبرى فى الوطن العربى
- يضم الأعداد ٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ الصادرة خلال عام ١٩٧١

رئيس التحرير
د. بطرس بطرس غالى

مدير التحرير
د. عبد الملك عودة

اطلالة اسبوعيـــة

علـــى

قضايـــا المقـــاومة الفلسطينية

وشؤون الوطن العربي

ومشاكل العـــالم وشعوبه

معالجـــة موضوعية تعتمد الدقة

والوضوح والمصادر الصحيحة

صبـــاح كل يوم اربعـــاء

تطـــل

الجمهـــور

على قرائهـــا الموزعين

فـــي

١٦ دولة عربية وافريقية واوروبية

جائزة تخليد ذكرى

الشهيد غسان كنفاني

ان رابطة الخامس من حزيران ، تخليدا لذكرى الكاتب الفلسطيني وأحد اركان المقاومة الشهيد غسان كنفاني الذي اغتيل في ٨ تموز ١٩٧٢ ، تعلن بأنها سوف تقدم جائزة باسم الشهيد قيمتها ثلاثة آلاف ليرة لبنانية (٣٠٠٠ ل.ل.) لافضل قصة او مسرحية باللغة العربية شرط ان لا تكون منشورة من قبل .

لكافة المعلومات الاضافية
الرجاء الكتابة الى العنوان التالي :

رابطة الخامس من حزيران
ص. ب : ٧٠٣٧
بيروت ــ لبنان

اطلب منشورات مركز الابحاث ـ منظمة التحرير الفلسطينية

ومجلة

شؤون فلسطينية

من

المكتبة الفلسطينية

شارع السعدون ـ عمارة العطية ـ مقابل الخطوط الجوية العراقية

ص.ب ٣٢٣٩ ـ تلفون ٨٧٨٢٧

بغداد ـ العراق

جميع اعداد السنة الاولى (١ ـ ٦)

من مجلة

شؤون فلسطينية

متوفرة الآن لدى معهد التوزيع جبريل ديب

ص.ب ١٦٩١

بيروت ـ لبنان

سعر العدد ٤ ل.ل. بما فيه اجرة البريد العادي

أوفست زيت - تلفون ٢٧١١١٣